كريم نجيب الأغر

إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام

وما جاء في علم الوراثة، والرضاعة، وبَدْء الخلق



دار المعرفة
بيروت - لبنان



إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام

وما جاء في علم الوراثة، والرضاعة، وبَدء الخلق

كريم نجيب الأغرّ

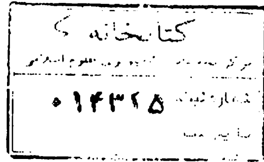
إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام

وما جاء في علم الوراثة، والرضاعة، وبَدْء الخلق



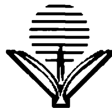


دار المعرفة
بيروت - لبنان



ISBN 9953-446-53-9

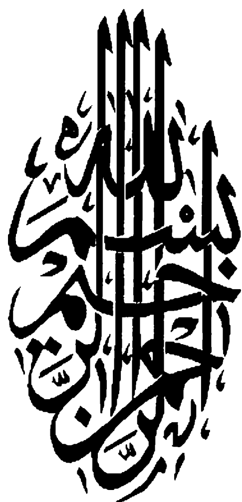
الطبعة الأولى
1425 هـ 2005 م



DAR EL-MAREFAH
Publishing & Distributing

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع

جسر المطار ـ شارع البرجاوي ـ ص.ب: ٧٨٧٦ ـ هاتف: ٨٣٤٣٠١ ـ ٨٥٨٨٣٠ ـ فاكس: ٨٣٥٦١٤ بيروت ـ لبنان
Airport Bridge, P.O.Box: 7876, Tel: 834301, 858930, Fax: 835614, Beirut-Lebanon
http//:www. marefah.com
E.mail: info@marefah.com


بسم الله الرحمن الرحيم

تنبيه

عزيزي القارئ: إن ما ستطالعه في هذا الكتاب من مباحث وقواعد شرعية، كلّه مستمد من كتب أهل العلم الأثبات، وربما خالفهم غيرهم من أهل العلم، ولا غضاضة في ذلك، فالاختلاف في الفروع هو شأن أهل العلم.

فلي أن أتبع من أثق به من أهل العلم، ولك أن تتبع من تثق به، المهم أن لا أسفه لك رأياً وأن لا تسفه لي رأياً، شريطة أن نرجح بالبرهان، ونقول بالدليل، كما قال عزوجل: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة:111).

ونسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

ريع هذا البحث للأعمال الخيرية

الرجاء لمن له تعليق على البحث من القراء الكرام أن يبعثه على البريد الألكتروني على العنوان:
Kareemaghar@hotmail.com

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تحية وذكرى عطرة بمناسبة قراءتي للكتاب المبارك، والسفر
العظيم الذي ألفه الأستاذ / كريم بن نجيب الأغر
والذي كان بعنوان: إعجاز القرآن فيما تخفيه الأرحام
وهو من أنفع ما كتب في بابه.

أيها الباحث عن خلق البشر ... أيها الناظر في سر القدر
أيها السائل عن نشأته ... كيف كانت ليس يدري ما الخبر
قد أتاك اليوم سفر كامل ... جمع النورين شمسا وقمر
صاغ معنى الخلق للإنسان في ... دقة تجلوه صفوا وكدر
فصل الأمر وجلى غيبه ... وكساه هديه حتى سفر
بين الإعجاز حتى صاغه ... من هدى الوحيين حقا واستقر
فاتخذه للمعالي سلما ... وافهم الوحي سمعا وبصر
وتدبر ما به من حكم ... وتأمل ما حواه من درر
وانظر الإعجاز في تكويننا ... ومبادي الخلق أنثى وذكر
تجد الأسفار منه أنجما ... تصعق الباغي وتهدي من نظر
كل لفظ منه تجري كوثرا ... ينبت الإيمان ينعا وثمر
ويشع النور من كل فم ... نطقته وهو نور منتظر
كتبته بهدى الدهر يد ... لا تمس الشيء إلا وازدهر
ترجم السنة علما وهدى ... وكتاب الله آيا وسور
فهو مفتاح لها في بابه ... وهو في ذاك الكلام المعتبر
أشرقت أحرفه في صفحه ... فهي لا تنطق إلا بالعبر
فخرت بين ذويها أنها ... لكريم بن نجيب بن الأغر

أبو حزم عبد الرحمن بن محمد بن أسعد الحكمي الفيفي
١/٧/١٤٢٥ - ١٧/٨/٢٠٠٤م

شخصية بارزة في علم الأجنة تدلي بشهادتها

«لقد عملت لثلاث سنوات خلت مع هيئة علم الأجنة التابعة لجامعة الملك عبد العزيز في جُدّة، السعودية، كنت أساعدهم فيها على تفسير البيانات العديدة التي وردتْ في القرآن والسُّنة، المرتبطة بالتوالد الإنسانيّ والتطور ما قبل الولادة.

بدايةً، أدهشتني دقة النصوص التي دُوِّنت في القرن السابع الميلادي، وذلك قبل تأسيس علم الأجنة، وذلك بالرغم من علمي المسبق بالتاريخ المشرق لعلماء المسلمين في القرن العاشر الميلادي، ومساهمات بعضهم في علم الطب، ولم أكن أعلم شيئاً عن الحقائق والمعتقدات الدينية الواردة في القرآن والسنة.

وأعتقد أنه من المهم للطلبة المسلمين ولغيرهم فهم معاني النصوص القرآنية المتعلقة بعلم النمو الإنساني، وذلك في ضوء العلم الحديث».

تورنتو، كندا، أيلول، 1983م. كيث. ل. مور[1].



(1) الدكتور كيث. ل. مور هو بروفسور فخري في علم التشريح وعلم الخلايا الحية، كلية الطب بجامعة تورنتو، تورنتو، كندا. وبروفسور في علم التشريح الإنساني وعلم الخلايا، قسم التشريح، كلية الطب، جامعة مانتوبا، وينبغ، مانتوبا، كندا.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على من بعثه الله رحمة للخلق أجمعين.

وبعدُ:

فإني بفضل الله استودعتُ خلاصة جهدي في هذا الكتاب، وبذلت فيه غاية وسعي، حيث بحثت فيه عن إشارات لحقائق علمية في القرآن الكريم، والسنّة النبوية المطهرة، وقصدت في ذلك أن القرآن وحيٌ من عند الله، أنزله على قلب نبيه ﷺ، ولم يتقوّله من عنده، ولم يخترعه من ذاته. وأن أعلن للملأ أن الإسلام والعلم أخوان توأمان لا يفترقان؛ فحيث وُجد الإسلام وُجد العلم، ومهما تطور العلم وترقّى فإنه كاشف دوماً عن حقيقة القرآن، ومؤكِّد أنه منزلٌ من عند الله تعالى. والقرآن يحثُّ كلّ طالب حقيقةٍ أن يقرأه، ويتعمّق في معانيه وأبعاده، ليتوصل بذلك إلى إدراك إعجازه، والإيمان بأنه ليس من وضع البشر، لأن ما يضعه البشر يختلف اختلافاً بيّناً عمّا يكون من عند الله.

يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

كما يوجّه القرآن الناس ليفتحوا عقولهم وقلوبهم كي يصلوا إلى الهدى وينظروا إليه نظرة تدبر موضوعية، فيكون دالاً لهم على حقائق علمية كبرى.

يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: 24].

والقرآن هو معجزة رسول الله ﷺ الخالدة، علماً أن الله تعالى قد أيّد رسله بمعجزات تناسب ما برع فيه أهل عصرهم؛ فمن معجزات موسى عليه السلام إبطال سحر أهل زمانه، حيث عجزوا عن الإتيان ببعض ما أتى به من الحق، فآمن السحرة وخرّوا ساجدين؛ وذلك لأنهم فرّقوا بين الحق والباطل، وبين العلم والشعوذة.

يقول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ

نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف: 113-122].

أما عيسى عليه السلام فقد بعثه الله في زمن اشتهر فيه الطب، وتفاخر الناس به، فأكرمه الله تعالى بمعجزة من جنس ما تفاخروا به؛ فأحيا من مات بإذن الله، وحرّك ما صُوّر بإذن الله، وفعل ما دون ذلك مما يعجز عنه الطب في جميع الأزمنة لا في زمانه فحسب.

يقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: 110].

فلم يؤمن برسالته إلا من فتح الله قلبه فعلم الحق، وأبصر الحقيقة.

وأما محمد ﷺ، الرسول الذي وصفه الله تعالى بالأمي في قوله عز وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: 157]، فقد بعثه الله تعالى كذلك في قوم أميين لا يقرأون ولا يكتبون ولا يحسبون كما تُعلمنا الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: 2]، وأيده بمعجزات حسّيّة متعددة في عصره مثل: معجزة انشقاق القمر، ومعجزة نبع الماء من بين أصابعه بعد أن وضع يده في الإناء، وتكلّم الشاة التي سمّتها امرأة يهودية، وزيادة الطعام ببركته، وحنين الجذع إليه الذي يمسك به حين يخطب، وإبراء المرضى بلمسه... فآمن في عصره منْ آمن، ثم أبقى له تعالى معجزة مستمرة إلى قيام الساعة، ألا وهي القرآن الكريم كتاب الله المعجز الذي: «... **لا يشبع منه العلماء... ولا تنقضي عجائبه**» [أخرجه الترمذي ح76][1]، والذي أعجز الثقلين عن

---

(1) الرجاء من القرّاء الكرام مراجعة «**قسم تخريج الأحاديث**» للاطلاع على مدى صحة سند الأحاديث التي أوردناها في هذا البحث، وعلى «**تعريف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والأسس التي يرتكز عليها**» حتى يتبين للقارئ حكم الحديث في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

الإتيان ولو بسورة من مثله، ومع كونه معجزاً في بلاغته، فإنه حجة دامغة على أهل العلم التجريبي الذين وقفوا مشدوهين أمام الحقائق الباهرة التي دلّ عليها.

ومعلوم أن القرآن قد حث على التعلم، فكانت أول كلمة نزلت من القرآن الكريم: ﴿ٱقْرَأْ﴾. قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: 1-5].

ومن هنا نفهم أهمية البحث، فالبحث وسيلة لاكتشاف الحقائق، وطريق للتمرس في العلوم عموماً، وبواسطته يرتقي الإنسان من الجهل إلى النور بإذن الله عزّ وجلّ.

وخير هذه العلوم هي التي تؤدي إلى التفكّر في آيات الله تعالى، فسبب خلق الإنسان هو التعرّف على صفات الله تعالى، من عظمة وحكمة... كما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

والعلوم التي تؤدي إلى هذا الطريق هي خير العلوم على الإطلاق، لأنها تخدم هذا الهدف السامي الذي وُجد من أجله الإنسان؛ فإحدى الطرق التي تؤدي إلى العبودية الكاملة لله تعالى هي التفكر في آيات الله عز وجلّ كما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 164].

وإني أدعو كل مثقّف لينظر نظرة موضوعية إلى ما أشارت إليه النصوص من القرآن والسنة من حقائق علمية كبرى، فتكون لهم سبيل هداية، ومنار علم في آن واحد.

كذلك فإني أحثّهم على إكمال الطريق في مجال البحث في النصوص المقدّسة لأن دلالاتها ستنكشف شيئاً فشيئاً وسيرتقي فهمها مع مرور الوقت فالله تعالى قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53].

وهذا الكتاب يتحدث عن مسألة خلق سيدنا آدم عليه السلام، ويظهر كيف أن المعطيات العلمية تتوافق مع المعطيات الدينية في هذا الشأن، ولا تعارضها، ويضع للقارئ تصوّراً جديداً لعملية تخلّق سيدنا آدم عليه السلام.

كذلك فهو يتناول موضوع تخلق الجنين بدءاً من تخلق الحيوان المنوي والبويضة، والتقاءهما، وتطوّر هذه البويضة، كما أنه يصف سائر المراحل التي تمرّ بها البويضة المخصّبة، والمراحل التي يمر بها جسد الجنين في رحم المرأة الحامل، ويتحدّث بالتفصيل عن الأعراض التي تظهر عليه من الخارج والداخل. ويصف لنا كيفية خروج الجنين من الجسد المستضيف: (الرّحم)، ويتحدّث عن مدّة المكوث في الرّحم، مع وصف دقيق له.

كذلك يتناول الكتاب موضوع الرضاعة بدءاً من تخلق العناصر الأساسية للبن، وعملية خروجها من الثدي، وامتصاصها من الرضيع، وأثرها المورفولوجي في جسده، مع التركيز على إبراز الأحكام التي تؤدي إلى تحريم الطفل لأمه أو لأخته بالرضاعة.

وهناك بحث مهم في علم الوراثة يتحدّث عن الوحدة الأساسية الموجودة في جسم الإنسان التي تتسبّب في تخلق خلايا الجنين بإذن الله تعالى، وإعطائه الصفات التي سيكون عليها، والأمراض التي قد تظهر على هذا الجنين: ألا وهي الحمض النووي الرتيبي. كذلك هناك وصف لآثار الفساد الاجتماعي على صحة الأفراد من الناحية الوراثية.

السبب الباعث:

إن ما دفعني لتأليف هذا الكتاب هو اطلاعي اليسير على بعض الكتب الطبّية المتعلقة بتخلُّق الجنين، حيث دعتني الحقائق العلمية الباهرة إلى متابعة التفكر والتأمل في مراحل تطور خلق الإنسان من بدايتها، ثمّ اطّلعت بعد ذلك على ما في القرآن الكريم والسّنة النبوية من إشارات حول هذا الموضوع، فتبين لي تطابق مذهل بين النصوص الشرعية، والحقائق الطبية الحديثة.

عندها بدأت أبحث بجدٍّ وتعمّق في هذا المجال، وأدقّق في المطابقة، فازداد يقيني بالقرآن والسنة، فحمدت الله سبحانه وتعالى على تفضله على الخلق، بمنّة الدلالة على الحق، بكتاب مقروء، مطابق للكتاب الكوني المشهود.

فبدأت بكتابة مقال مقتضب، أروم فيه إثبات هذا الإعجاز، إلا أني لم أتمكن من إقناع من أحببت له التوفيق للهداية، وكان ذلك تقديراً من العزيز العليم، مما حدا بي إلى التوسع بدقة في هذا البحث ليكون بذلك أكثر وقعاً في نفوس الناس.

فعكفت زماناً أطلع على الكتب العلمية الطبية، والكتب الدينية في هذا الموضوع، وقد تأملت كثيراً مما حوت هذه الكتب إلا أن نقاطاً عدة استوقفتني في أثناء ذلك، وبقيت فترة غير وجيزة أتبينها من أهل الاختصاص في ذلك.

وقد كانت أوّل مطالعة لي في موضوع تخلّق الجنين كتاب (وُلِدَ طفلٌ A CHILD IS BORN) وكان هذا في بريطانيا سنة 1992م، ثم انتقلت بعدها إلى الكويت، فكتبت مقالاً في هذا المجال - لم يُنشر - سنة 1994م، زرت بعدها هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة في مكة المكرمة وفي جُدّة، حيث التقيت فيها بالدكتور عبد الجواد الصاوي (الباحث الطبي بهيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة). فأهداني كتاب «علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة»، فكان هذا الكتاب بمثابة الضوء الساطع في بحثي، فانكشفت لي به بعض الأمور الغامضة التي سبق أن توقفت عندها.

وبدأت بعدها بالتوسع والكتابة وذلك عندما كنت في السعودية سنة 1996 - 1997م.

ثمّ في لبنان سنة 1998م حيث قابلت بعض علماء الطب والفقه؛ وذلك من أجل مناقشة بعض النقاط العالقة في ذهني للاطمئنان إلى أن المعلومات التي تضمّنها الكتاب علمية موضوعية، لا يعتريها شك، من الناحيتين: العلمية والفقهية، حيث اتّضح لي ما أشكل، وتبين لي - من خلال المناقشة - بعض الإعجازات العلمية التي أحسب أن لا سابقة لها.

فجاء كتابي هذا مرتكزاً على ثلاثة مقاصد:

أولا: مقابلة نصوص القرآن والسنة فيما بينها، وذلك لاستنباط الكثير من الحقائق العلمية.

ثانيا: وضع منهجية علمية في طريقة البحث، وذلك لإثبات إرادة الإعجاز في النص أو عدمه.

ثالثا: قصد إبراز موضوعات جديدة لم تناقش من قبل.

وقد أخذ البحث وقتاً طويلاً لكي يثمر عن نتائج جيدة، لأني لم أكن على علم واسع في مجال علم تخلق الجنين، كذلك في العلوم الشرعية: من تفسير وحديث وفقه، فعكفت على التمرس فيها.

والعامل الآخر الذي أطال البحث هو البحث في الكم الهائل من الكتب الكونية

والشرعية عن دلالات تربطها بعضها ببعض، وملاحقة العلماء، وحثّهم على التفكّر في هذا المجال، وإثراء البحث من مخزونهم الفكري.

أضف إلى ذلك أنه يجب أن نتوخى الحذر في انتقاء معاني الكلمات، فموضع الزلل خطير في هذا المجال، فقد يأخذ بنا إلى تفسير الآيات القرآنية بتكلف وتحميلها ما لا تحتمل، وبما أن الموضوع خطير لأن إيمان المرء قد يترسّخ أو يتزعزع من جراء التفسير الذي يجده أمامه، فوجب التركيز الشديد وإمعان النظر في المعاني المتشابهة المتشابكة التي يتوجّب فكّها كثيراً من النظر والرجوع إلى ذوي فنون متعدّدة من حديث، وأصول فقه، ولغة، وطب... حتى نتحرّى عن الحقيقة المجرّدة.

والذي تطلّب جهداً كبيراً مني هو أني قد اعتنيت كثيراً بانتقاء الصور التي قد تعبّر عن الفكرة المقصود إيضاحها تعبيراً دقيقاً، وإبرازها إبرازاً أوضح من إبراز غيرها لها، حتى يقف القارئ الكريم على جلية الأمر فكرة وصورة.

خطة البحث:

وأما خطة البحث فهي كالآتي:

ارتكزت في البحث على القرآن الكريم، وكتب تفسير القرآن، وعلوم القرآن، وكتب الأحاديث، وشروحاتها، وكتب مصطلح الحديث، وكتب الفقه، وأصوله، والمعاجم اللغوية، والكتب العلمية، بُغية أن أصل إلى نتيجة واضحة دقيقة في البحث.

وقد رتّبت عرض النصوص الشرعية خلال البحث حسبما يمليه السياق الزمني بمعنى أني رتّبت عرض هذه النصوص أو أجزاءها في البحث وفقاً للجدول الزمني لتخلّق أعضاء الجنين، حتى يسْهُل على القارئ تتبّع الأحداث. وقد اعتنيت ابتداءً بشرح معاني الكلمات الأساسية التي لها علاقة بالإعجاز، كما تناولتها المعاجم اللغوية المعتمدة؛ كي يسهل على القارئ فهم معنى الآية القرآنية أو الحديث الشريف، ومن ثمّ أتيت على ذكر التفاصيل العلمية وطابقت مفهوم الحديث على الحقيقة العلمية، وعلّقت في كثير من الأحيان على نواحي الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ولم أغفل خلال البحث ذكر ما ورد في كتب تفسير القرآن الكريم، وشرح الأحاديث الشريفة لتبيان الأبعاد التي ترمي إليها الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، فمؤلفو هذه الكتب هم من العلماء الأثبات، الذين حصّلوا العلم الواسع في كلّ

العلوم الشرعية، وقد خاضوا في التفاصيل، ويعلمون جيداً جوانب النصوص الشرعية وأبعادها، وتأويلها.

وقد أخرت بعض المباحث عن مكانها الزمني في قليل من الأحيان، حيث إن فهمها يتطلّب فهم ما يأتي بعدها من حقائق علمية.

وأما بالنسبة للموضوعات التي تناولتها:

1 - ابتدأت بشرح نظري لمسألة **خلق سيدنا آدم** عليه السلام إذ أنّ النشأة ابتدأت منه.

2 - أتيت بعد ذلك على شرح **تخلّق الجنين** بالتفصيل حيث إن الجنين تولّد من آدم وحواء عليهما السلام.

3 - وضعت بعده **قسم الرضاعة** بعد قسم تخلق الجنين، لأن الرضاعة هي بمثابة رعاية الخلق الذي نتج.

4 - أعقبت ما سبق بمبحث «**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة**» حيث إن ظاهرتي تخلق الجنين، والرضاعة ترتكزان عليه.

5 - اختتمت الكتاب بمبحث "**تعريف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والأسس التي يرتكز عليها**" وقسم "**تخريج الأحاديث وصلتها بالإعجاز**" وقد وضعتهما في النهاية حتى لا يشعر القارئ غير المتخصّص بالملل، وهما بحثان مهمان لضبط الإعجاز العلمي، ومعرفة الصحيح منه من الموهوم.

هذا وقد اعتنيت في بحثي هذا بما يلي:

1 - جمع ما توصل إليه العلماء المسلمون من إعجازات علمية متفرّقة في كتبهم ضمن مجموعة متجانسة مترابطة، متحقّق من صحتها.

2 - تصحيح بعض الأخطاء والمفاهيم المجانبة للصواب لدى بعض مفسّري القرآن الكريم، والباحثين في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، في مجال تخلّق الجنين والرضاعة، وعلم الوراثة المنتشرة في المجتمع، والتي لا بد أن نصحّحها لكي يتقدّم ويرتقي العلم في هذا المجال.

3 - التكلم عن جوانب إعجازية غير معلومة لبعض الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة التي سبق أن اكتشف بعض جوانبها الإعجازية الأخرى، والتي ظلّت إلى يومنا هذا غير واضحة، وغير معروفة من قبل كثير من الباحثين وأفراد المجتمع الإسلامي وغير الإسلامي.

4 - اكتشاف أحاديث ومفاهيم وإعجازات جديدة في كل من المجالات المذكورة آنفاً، لكي يتجدد نبع الآيات على مدى العصور، ولكي يتيقّن القرّاء الكرام أن هذا الدين لن يموت أبداً مهما تطوّر العلم، فالعلم الكوني والدين الإسلامي ينبعان من مشكاة واحدة، ولذلك لا بد أن يلتقيا على مدى الدهور.

شكر وتقدير:

في عملي المتواضع هذا، الذي أرجو أن ينال القبول من الله عزّ وجلّ، ثم من خلقه، أحمد الله تعالى وأشكره بادئ ذي بدء على ما منّ به عليّ من علم في هذا المجال، فلولا فضله عليّ وعلى خلقه لما تكامل هذا البحث، ومن ثمّ أتقدم بالشكر إلى كل من الأحبة الذين أبدوا ملحوظاتهم على البحث، أو أسهموا معي بشكل أو آخر في إثراء البحث علمياً حتى خرج بحثي على صورته هذه، فرسول الله ﷺ قال: «**من صُنع إليه معروف، فقال لفاعله: جزاك الله خيراً، فقد أبلغ في الثناء**» [أخرجه الترمذي ح93].

وأخصّ بالشكر كلاً من:

الشيخ الدكتور باسم عيتاني على مراجعته الفقهية.

والدكتورة: فدى قطّان، والدكتور: محمد جناح الحسن على مراجعتهما الطبّية.

والشيخ: محمد علي المصري على تخريجه معظم الأحاديث.

والدكتور: بديع السيد اللحام على تنقيحه الأحاديث وتحريرها.

والشيخ: عبد الرحمن بن محمد الحكمي الفيفي على مراجعته لدلالات ومعاني النصوص الشرعية.

وصلى الله على سيد المرسلين

والحمد لله رب العالمين

بيروت، لبنان، في 8 أغسطس 2004م. الموافق: 22 جمادى الآخرة، 1425هـ.

كريم الأعرج

موجز في تعريف الإعجاز العلمي في القرآن والسُنّة

من المهم أن نعرّف الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة بطريقة موجزة؛ لكي يتسنّى للقارئ فهم الآلية التي عملنا من خلالها، وتقييم الإعجاز العلمي على أسس سليمة، ومن أراد التفصيل فيمكنه قراءة مبحث "**الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والأسس التي يرتكز عليها**".

تعريف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة:

الإعجاز لغةً هو إثبات العجز، وهو الفوت والسبق.

والإعجاز هو الإعلام بعجز البشر عن معرفة حقائق مشار إليها.

والإعجاز العلمي هو إشارة إلى حقائق علمية يعجز الناس في حينها عن معرفتها.

وفي مصطلحنا، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة هو:

مطابقة معانٍ كثيرة ومتوافرة، صريحةً في دلالاتها، من الكتاب والسنة، لحقائق علمية، غير معلومة زمن التنزيل، ولا تُدرك إلا بالتجربة أو وسائل مادية، لتثبت صدق الرسالة التي جاء بها النبي محمد ﷺ من عند الله عز وجلّ.

وتفسير التعريف هو كما يلي:

- **قولنا: (مطابقة):**

التطابق في الإعجاز العلمي يكون بعرض صفات الحقيقة العلمية الثابتة على دلالة النص الشرعي القطعي، فإن وافقت صفات الحقيقة العلمية دلالة النص الشرعي طابقته.

- **قولنا: (معانٍ كثيرة ومتوافرة):**

كلمة "معانٍ" جمع معنى، والمعنى - في هذا المقام - هو المفهوم من لفظ مُستعمل، ورد في نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، وعليه أن يطابق حقيقة علمية، وهذه المعاني عليها أن تكون كثيرة ومتوافرة، حتى لا يحكم عليها بعض القرّاء بأنها أتت على سبيل الصدفة.

- **قولنا: (معانٍ. . . صريحة في دلالاتها):**

المعنى - كما أسلفنا - هو المفهوم من لفظ مستعمل يأتي في جملة مركبة، ويعود لجذر محدد.

وقد يكون لهذا الجذر كثير من التفريعات، وبالتالي معانٍ مختلفة في أحيان كثيرة.

ويجب عندها إيجاد ضابط للانتقاء من هذه المعاني: ألا وهو معنى جذر الكلمة المعتبرة.

والمعتبر في معاني الفروع أن تكون لها صفة مشتركة على الأقل مع معنى جذر الكلمة الأم.

كذلك فمن الأهمية بمكان انسجام جميع معاني اللفظ الذي يشير إليه الباحث في مجال الإعجاز العلمي مع سياق النص الشرعي، وثوابت الشريعة الإسلامية، وكذلك مع مفهوم العلم الكوني اليقيني.

وأما المصادر التي سنستقي منها التفسير للألفاظ التي وردت في نصوص الكتاب والسنة، فنلخصها كما يلي:

القرآن الكريم، والمأثور عن النبي ﷺ، والمأثور عن الصحابة، ومعاجم اللغة العربية، والمجاز.

- **قولنا: (من الكتاب والسُّنة):**

وهي النصوص الشرعية التي تشير إلى الحقائق العلمية، والتي سوف نطابق عليها السنن الكونية والمقصود بها:

● **القرآن الكريم**: وهو كلام الله المعجز، المنزل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته.

● **والسنة**: وهي ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خُلُقية.

و أمّا الأسانيد التي رويت بها الأحاديث النبوية (أي: طريقة روايتها) فإنها تنقسم إلى: مقبولة، ومردودة.

فالمقبول هو ما ترجّح به صدْق المُخبر به.

والمردود: هو ما لم يترجّح به صدْق المُخبر به، وحكمه: أنه لا يُحتجّ به ولا يُعمل به إلا بشروط.

- قولنا: (لحقائق علمية):

معناه: أن تكون الظواهر العلمية التي يشير إليها الإعجاز العلمي، مطّردة، عامّة، معلومة، محددة، وحقيقية.

- قولنا: (غير معلومة):

معناه: أن يكون التحدُّث عن حقيقة علمية غير معلومة، أو غيبيّة.

- قولنا: (زمن التنزيل):

معناه: أن تكون تلك الحقائق العلمية غير معلومة في عهد الرسالة، وأن تكون مجهولة قبله، وأن تكتشف بعد عهد التنزيل، حتى يتبيّن للناس أن ما أخبر به رسول الله ﷺ لم يكن بمستطاع البشر معرفته لولا معطيات العلم.

- قولنا: (ولا تُدرك إلا بالتجربة أو وسائل مادية):

معناه: أن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة هو كشف للحقائق العلمية الغيبية بدون وسائط، والتي ليس بمقدور البشر أن يأتوا بمثلها إلا بوسائل مادية.

- قولنا: (لتثبت صدق الرسالة التي جاء بها النبي محمد ﷺ من عند الله ﷻ):

الغرض من الإعجاز العلمي هو أن يبرهن أن النبي ﷺ مرسل من عند الله ﷻ، وليظهر ويثبت صدق مدده من عند الله تعالى.



حكم التعارض بين التفسير العلمي وتفسير السَلف

قد ينشأ في بعض الأحيان اختلاف بين تفسير السلف لبعض الآيات وبين التفسير العلمي الذي أوردناه، أو أورده بعض العلماء في كتبهم المختلفة.

وقد يكون مرد هذا الاختلاف لعدة أمور، أهمها: أن وسائل البحث في أيامنا تختلف تماماً عن أيامهم (وبالتالي فقد نصل إلى نتائج مختلفة عن نتائجهم)، وأن الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم معانيها واسعة متعددة كما يشير إليه الحديث الشريف: «**بُعثتُ بجوامع الكلم**» [أخرجه البخاري ح13] (وبالتالي فقد نستدل بمعانٍ مختلفة عن المعاني التي استدلوا بها).

وقد شرحت ظاهرة تعددية الدلالات بالتفصيل في مبحث «**تعريف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والأسس التي يرتكز عليها**»، تحت باب «معانٍ... صريحة في دلالاتها»، فانظره هناك.

ولكن ما أضيفه هنا أن بعض المعاني، وبالتالي بعض المفاهيم، التي يشير إليها المفسِّر قد تكون أصوب وأقوى بحجّتها من غيرها استئناساً بالحديث: «**القرآن ذلول ذو وجوه، فاحملوه على أحسن وجوهه**» [أخرجه الدارقطني ح101]، والأجدر أن نعتمدها[1].

وقد يرتبك القارئ في أي من الأقوال عليه أن يأخذ بها في حال الاختلاف: أقول السلف، أم قول العلماء المتأخرين؟.

فمن جهة قال بعض: «قول الصحابة حجة، ولا يجب أن نعارضهم»، ومن جهة أخرى قال بعض: «ولكن العلم يقول كذا وكذا».

فإن حصل هذا الخلاف فعلينا عندئذٍ أن نتحرّى أمرين مهمين قبل أن نخوض في حديث ترجيحي قد يكون الخوض فيه غير مجدٍ:

أولاً: أن يكون الاختلاف في النصوص الشرعية للعلم قول فيها: أي: آيات (أو أحاديث) تتحدث عن ظواهر كونية.

(1) قال الماوردي: «وقوله: فاحملوه على أحسن وجوهه يحتمل معنيين: أحدهما الحمل على أحسن معانيه، والثاني أحسن ما فيه من العزائم دون الرخص». الإتقان للسيوطي، (ج2/ ص554).

ثالثاً: أن نفرّق بين النظرية العلمية والحقيقة العلمية المسلَّم بها.

فإن لم يكن الخلاف في آيات تتحدث عن ظواهر كونية، فليس علينا أن نتقدم على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بدون دليل كما رأى بعض الفقهاء الأصوليين.

وإن كان الاختلاف في تفسير آيات كونية قائم بين نظرية كونية وقول السلف، فنتوقّف عندئذٍ ريثما تنجلي الحقيقة العلمية، لأن النظرية العلمية ليست مستقرة، وقد تكون خاطئة، وبالتالي نكون قد تعدّينا على قول السلف (في حال ظهور خطأ النظرية العلمية فيما بعد) بغير علم.

أما إن نشأ اختلاف بيّن في تفسير بعض الآيات التي تتحدث عن ظواهر كونية بين علماء يعتمدون في تفسيرهم على حقائق علمية ثابتة وبين السلف، فنواجه عندئذٍ أحد الأمور الثلاثة:

1 - إما أن كلاً من الفريقين لديه تفسير مقبول، مع استحسان قول أحد الفريقين عملاً بقاعدة النصوص الظنية عند الأصوليين واستئناساً بحديث فيه ضعف: «**القرآن ذلول ذو وجوه، فاحملوه على أحسن وجوهه**» [أخرجه الدارقطني ح101].

2 - وإما أن يكون أحد الفريقين مخطئاً.

3 - وإما أن يكون كلا الفريقين مخطئاً.

والضابط في هذا المجال القواعد التي شرحناها في مبحث «**تعريف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والأسس التي يرتكز عليها**» من قواعد بلاغية، ومعانٍ مصيبة، وأسانيد صحيحة...

فإن كان تفسير الفريقين لا يلتزم بالضوابط المتّبعة، أعدنا البحث على ضوئها في تفسير النص الشرعي الكوني، فإن ظهر أن تفسير أحد الفريقين خرج عن الصواب، أخذنا بقول الفريق المصيب، وإن كان تفسير كل من الفريقين يحتمل الضوابط، رجّحنا الأوجه من التفسيرين.

والأدوات التي سوف تساعدنا على الترجيح هي كالآتي:

1 - السياق: قد يكون أحد الفريقين فسّر النص الشرعي تفسيراً لم يراعِ فيه ما قبله أو ما بعده، وبالتالي فإن قوله يُضعّف. قال البغوي والكواشي وغيرهما: «**التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وبعدها، تحتمله الآية، غير مخالف**

للكتاب والسنة من طريق الاستنباط، غير محظور على العلماء بالتفسير»[1]. فإذا كان كذلك حال التأويل، فإن التفسير أولى أن يراعى فيه ما ذكروه.

2 – العلم: لقد أعطى الإسلام مكانة كبيرة للعلم، كما جاء في الآيتين: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:43]، و﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:9]، لذلك فأيّ من التفسيرين احتمل الحقائق العلمية أكثر، بمعنى أن أيّاً منهما تلاءمت فيه صفات الموصوف (من حقائق كونية) مع المضمون الشرعي فذلك الذي نستحسنه.

3 – العقل: لقد أثنى الله تعالى على عباده الذين يتأملون الحياة بُغية التبصُّر والتعبُّد في كثير من الآيات، منها: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [الرعد:19]، و﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:191]، و﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:43]، وبالتالي فإن الإسلام عظَّم دور العقل، وخوّله أن يستحسن في سائر أمور الحياة، ومن هذه الأمور: الأمور العلمية (كما في آية سورة آل عمران)، والأمور الفقهية. فإن كان تفسير الآية المعتبرة يعارض العقل ولا يستسيغه ضعّفناه. ومثال ذلك: قول بعض المفسرين من المتقدمين إن معنى ﴿نٓ﴾ [القلم:1]: الحوت الذي تقف الأرض عليه، وهذا مرفوض في أيمنا، ولا يقبله العقل (حتى ولو افترضنا أنه منسجم مع السياق – وهو بعيد عن ذلك –)، وإنما أخذه المفسّر عن إسرائيليات – أي: ما روي عن أهل الكتاب – .

4 – قرينة خارجية: قد يكون هناك في كثير من الأحيان شواهد أخرى من قرآن كريم وحديث شريف تساعد على إلقاء الضوء على الآية المختلف في تفسيرها، وقد يساعد هذا على ترجيح أحد الأقوال التي وردت في صددها.

قد يعترض بعض القرّاء قائلين: إن الكلام السابق مرفوض ابتداءً، لأننا لا نسلّم ولا نقبل أن يُخطِّئ العلماء المتأخرون بعض الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم – في تفسير بعض الآيات الكونية، فالصحابة هم خير القرون، وهم أعلم منّا في الدلالات اللغوية، وهم أعلم منّا في القرآن الكريم والحديث الشريف لما شاهدوه من قرائن، وهم أقرب إلى نبع الحقيقة (أي: الرسول ﷺ)، ولقد بيّن لهم رسول الله ﷺ القرآن وفقاً لما جاء في الآية: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:44] فهل يُعقل مخالفتهم؟.

(1) الإتقان للسيوطي، (ج2/ ص555).

فالجواب نعم، هم خير القرون أدباً وورعاً وإيماناً، ولكن قد لا تتكشف لهم بعض المعاني لآيات كونية، بالرغم من أنهم أفصح منا لغة، وأقرب لمصدر بيان القرآن، وقد يخطئون للأسباب التالية:

1 - أن الشرع سكت عن تبيان بعض الآيات الكونية، وفقاً للآية: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53] ليُظهرها في المستقبل من خلال كتابه الكريم، فيتبيّن للناس أن رسالة محمد ﷺ حق. وهذا المستقبل غير محصور بجيل من الأجيال، أو بوقت من الأوقات، لأن لفظ الآية جاء مطلقاً، وهذا يدل على أن هذا المستقبل يمتد إلى يوم القيامة. فإذا كان كذلك، وأظهر الله تعالى الحقائق الكونية للأجيال القادمة، فهذا يعني أنها خَفِيَت على المتقدمين، وإلا لأظهروها مخافة الإثم.

2 - من شروط المفسِّر في علوم القرآن: أن يكون له علم بالعلوم المتعلقة بالآية المُفسَّرة، وإلا لأصبح تفسيره أقرب إلى الرأي. جاء في كتاب الإتقان: **«ومنهم من قال: يجوز تفسيره** [أي تفسير القرآن الكريم] **لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسِّر إليها... قال ابن أبي الدنيا: وعلوم القرآن وما يستنبط منه، بحر لا ساحل له، قال: فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر، لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها، فمن فسّر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسّر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه... وقال ابن النقيب: جملة ما تحصل في معنى حديث التفسير بالرأي خمسة أقوال: (أحدها) التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير...»**. وبما أن موضوع الآية المعتبرة في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة يتناول حادثة كونية، فعلى المفسِّر أن يُلِمّ بالعلم الكوني المرتبط بها، وإلا لزاد احتمال الخطأ. وكما نعلم فإن وسائل البحث في أيامنا تختلف عن أيام الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - وهي أدق، وبالتالي فإن كلامهم غير مُلْزِم.

3 - أجمع العلماء أن السلف غير معصومين، وأن العصمة للأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم فقط، وبالتالي فهناك احتمال أن يُخطئ السلف، وقد أكّد السلف وأئمتهم هذه الحقيقة. في هذا ننقل بعض الأقوال: قال الإمام مالك: كلٌّ منّا يؤخذ من كلامه ويُرد إلا صاحب هذا القبر [أي النبي محمد ﷺ][1].

(1) شرح كتاب التوحيد، ص234.

وجاء في «تحفة المريد، شرح جوهرة التوحيد»: «**والعصمة - لغة -: مطلق الحفظ، واصطلاحاً: حفظ الله للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه، ولا يجوز لنا سؤال العصمة بهذا المعنى، كأن يقال: اللَّهمّ إنّا نسألك العصمة...**»[1].

4 - لقد اختلف العلماء في قول الصحابي وفقهه: هل هو حجة ملزمة؟ فإذا كان مذهب الصحابي في الفقه عامّة فيه خلاف، فكيف نحتج أن كلامه حجّة في بحث كوني ليس له إلمام به؟. قال الإمام الغزالي: «**الأصل الثاني من الأصول الموهومة: قول الصحابي. وقد ذهب قوم إلى أن مذهب الصحابي حجة مطلقاً، وقوم إلى أنه حجة إن خالف القياس، وقوم إلى أن الحجة في قول أبي بكر وعمر خاصة لقوله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي»، وقوم إلى أن الحجة في قول الخلفاء الراشدين إذا اتفقوا. والكل باطل عندنا، فإن من يجوز عليه الغلط والسهو، ولم تثبت عصمته عنه فلا حجة في قوله، فكيف يحتج بقولهم مع جواز الخطأ؟، وكيف تدعى عصمتهم من غير حجة متواترة؟، وكيف يتصور عصمة قوم يجوز عليهم الاختلاف؟، وكيف يختلف المعصومان؟، كيف وقد اتفقت الصحابة على جواز مخالفة الصحابة فلم ينكر أبو بكر وعمر على من خالفهما بالاجتهاد**»[2].

وفي النهاية من المهم جدًا أن ننوه أننا لا ندعي فهماً للقرآن أكثر من فهم خير القرون، قرن أصحاب رسول الله ﷺ. ولكننا نقول: إن الكشوف العلمية التي انكشفت في هذا القرن أمدّتنا بفهم يقيني مدعوم بالدليل، بخلاف الفهم الفطري الذي ساد في القرون الأولى؛ فكلام الخالق سبحانه وتعالى عن أسرار خلقه في الآفاق وفي الأنفس غيْب قبل أن يُرينا الله حقائق تلك الأسرار بواسطة التقدم العلمي، ولا طريق لمعرفة كيفياتها وتفاصيلها قبل رؤيتها، وذلك لأن العقول البشرية محدودة الإدراك والزمان والمكان.

ولقد اختلف السلف والخلف، رضوان الله عليهم، في شرح بعض آيات القرآن الكريم والحديث الشريف التي تتحدث عن العلوم الكونية، فأصابوا في بعض الأحيان، وأخطأوا في البعض الآخر، وذلك لأن الخطأ في التفسير قد نشأ من جراء اعتماد المفسرين على العلوم التي توفرت في بيئتهم وفي عصرهم، فحاولوا تفسير آيات تشير إلى حقائق كونية جد غريبة بالنسبة لعصرهم، بما كانوا عليه من أفهام،

---

(1) تحفة المريد، شرح جوهرة التوحيد، للبيجوري، ص149.

(2) المستصفى في علم الأصول للغزالي، ص 168، وانظر أيضاً ص151 وص171.

ومن خلال معارف بدائية وغير صحيحة تيسّرت لديهم، وأما الإصابة في التفسير، فتعود لاعتماد هؤلاء على دلالات الألفاظ المعلومة لدى العرب المتمكنين في اللغة العربية آنذاك كما تؤكده الآية: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت:3]. وقد وُفّق هؤلاء كثيراً في شرحهم لمعنى الآيات القرآنية رغم احتجاب حقائقها الكونية، متحدّين ما توصّل إليه باقي الشعوب من علم كوني، مع أن المفسّر الذي يصف الحقائق الكونية وهي محجوبة عن الرؤيا في عصره، على ضوء ما سمع من الوحي، يختلف عن المفسر الذي كُشفت أمامه الحقائق الكونية وتفاصيلها، فجمع بين ما سمع من الوحي وبين ما شاهد في الواقع، فإذا ما حان وقت كشف الحقيقة الكونية، ظهر التوافق الجلي بين تفسيرهم وبين حقائق العلم الكوني، وظهرت الأمور على حقيقتها، وازداد الإعجاز تجلياً وظهوراً.

ولذلك فنحن نعتبر كلام الصحابة في تفسير الآيات الكونية معْلماً للوصول إلى الحقيقة العلمية على سبيل الاستئناس لا الجزم.

ونعط مثالاً رائعاً على تحدي العلماء المسلمين المفسّرين للقرآن الكريم، والأحاديث الشريفة للعلماء الكونيين في عصرهم، بما فهموا من الأحاديث الشريفة خلاف ما أعلنه العلماء الكونيون آنذاك: فقد ردّ الإمام ابن القيّم والإمام ابن حجر وغيرهما أقوال علماء التشريح في عصورهم، فقال ابن حجر: **"وزعم كثير من أهل التشريح أن مني الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده، وأنه إنما يتكون من دم الحيض. وأحاديث الباب تُبطل ذلك"**[1].

وكتب الله التوفيق للمفسّرين فيما شرحوه من آيات وأحاديث متعلقة بأسرار الأرض والسماء، لأنهم اعتمدوا على نصوص الوحي المُنزل ممن يعلم السرّ في الأرض والسماء، وعلى دلالات الألفاظ، ومعاني الآيات.



(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب القدر، رقم الحديث 6594 - (ج11/ ص480).

ثقافة العالم القديم والحديث في علم الأجنة

لا بد ابتداءً من تعريف كلمة «جنين»، فمدار البحث عليها. وبداية فإن كلمة «جنين» تشير إلى الولد الذي يتخلق في البطن. جاء في القاموس المحيط: «**الجنين: الولدُ في البَطنِ ج: أجنّةٌ وأجْنُنٌ**»[1].

وفي كلام العرب إذا اجتمعت الجيم والنون في كلمة، وتقدمت الجيم، أفادت الكلمة معنى الخفاء والستر[2]. ولذلك سُمي الولد الذي في البطن جنيناً لأنه مستور عن الأعين. جاء في القاموس المحيط: «**وكلّ مستورٍ وجَنّ في الرّحم يجِنّ جنّاً: استتر، وأجنّته الحاملُ... وعليه جَنّاً وجُنوناً وأجنّه: ستره، وكلُّ ما سُتر عنك فقد جُنّ عنك**»[3]. وبالتالي فإن هذه التسمية تُعبّر عن مدى جهل العرب بحال الجنين الذي يتخلق في رحم المرأة.

ومن المهم إلقاء نظرة على تاريخ علم الأجنة ومن ثمّ متابعة الكشوفات المتلاحقة في هذا المجال، كي ندرك حقيقة المراحل التي مرّ بها علم الأجنة، وما اكتنف هذا العلم من جهل وغموض عند سائر الشعوب - غير العربية - لندرك مدى حجم الصعوبة التي كانت تحول دون معرفة العلماء الكونيين عما كان يجري في الرحم، كما تشير إليه كلمة «جنين» عند العرب.

ولا يخفى عليك صعوبة الطريق الموصلة إلى حقيقة عالم الأرحام، وما يجري فيه. وبالإجمال:

يمكننا تقسيم تاريخ علم الأجنة إلى ثلاث مراحل أساسية:

---

(1) القاموس المحيط لمجد الدين محمد، باب النون، فصل الجيم، ص 1532.

(2) ونعطي أمثلة لهذه القاعدة: فمن ذلك الجنة؛ لأنها محجوبة عن الأعين، والجن؛ لأنهم مستورون عن أعين الناس، والجنون؛ لأنه تغطية لنور العقل. ومن الشواهد القرآنية لهذه القاعدة: كلمة «جنّ» التي جاءت في الآية: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: 76]. تشير إلى سترة الليل لسيدنا إبراهيم عليه السلام، جاء في تفسير ابن كثير - (ج2/ ص151): «﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾: أي تغشاه وستره»، وكلمة «جُنّة» التي جاءت في الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: 2]، تشير إلى تستُّر المنافقين عن المؤمنين بالأيمان الكاذبة التي يسترون بها حقيقتهم. جاء في تفسير القرطبي، (ج1/ ص123): «أي سترة».

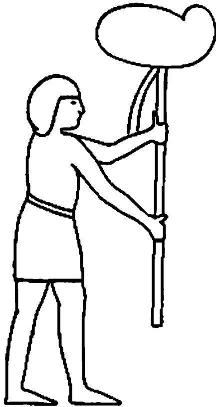
(3) القاموس المحيط لمجد الدين محمد، باب النون، فصل الجيم، ص 1532.

أ - مرحلة علم الأجنة الوصفي:

المرحلة الأولى هي التي يمكن أن نسميها مرحلة تاريخ علم الأجنة الوصفي، وهي تعود إلى أكثر من ستة قرون قبل الميلاد، وتمتد حتى القرن التاسع عشر، واقتصرت هذه الفترة على وصف الملحوظات الخاصة بظاهرة تطوّر الجنين، وإعطائها تفسيرات سطحية قائمة على التوهّم والتخيّل، مع تأثر كبير بالسحر.

ولا بأس من إلقاء نظرة عاجلة على نشاطات هذه المرحلة وتصوّراتها:

لقد وُجد في مجال علم الأجنة بعض السجلات المدوّنة من فترة السُّلالات الفرعونية الرابعة والخامسة والسادسة في مصر القديمة، وقد حمل ما لا يقل عن عشرة أشخاص متعاقبين اللقب الرسمي: فاتح مَشيمة الملك، واقتضت المراسيم فيما بعد أن تحمل راية تمثّل مشيمة الملك أمام موكب الفراعنة. (انظر الصورة رقم 1).



(1) - راية تمثل «المشيمة الملكية» لفرعون (Kleim 1964م).

وكانت تعزى إلى خواصّ المشيمة قُوى سحرية خفية في اختلاط ظاهر بين العلم والسحر، وكانت للنساء رقى وتمائم يتلونها عند الحمل والولادة، ولكي تضمن المرأة الحامل الحصول على ولادة سهلة وطبيعية، فقد كانت تستعين بتميمة تُصوّر امرأة راقدة على سريرها في هدوء وراحة شديدتين، وإلى جوارها طفلها الذي وضعته في يُسر وبلا معاناة، في تعلّق واضح على القُوى السحرية والخفية.

ودام ذلك الاعتقاد حتى عهد اليونانيين القدماء، حيث كان لعلم المنطق اليوناني أثر في فهم علم الأجنة.

وأقدم الوصفات المدوّنة للوقاية من الحمل، مدونة بالخط الهيري (لغة مصر القديمة قبل الهيروغليفية) على ورق البردي، ويعود تاريخها إلى ما بين 2000 و1800 قبل الميلاد، ومن العناصر الأساسية المكونة للوصفة رَوْث التماسيح إلى جانب عناصر أخرى[1].

(1) كتب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة. هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص 13.

وكان المصريون القدماء يقدسون الحيوانات التي لا تضر ولا تنفع، في صورة معبودات نوعية يقدم كل منها خدمة معيَّنة؛ فكانت المعبودة "تاويريت" على هيئة أنثى فرس النهر، وترمز إلى الخصب البشري، كما تحمي الحوامل من الوضع المتعسر. وكان أيضاً هناك «أبيس"، العجل المقدَّس، ويشير إلى القوة الجسدية والتفوق في النسل. وكذلك "حقْت»، المعبودة التي تُرْسم برأس ضفدعة، وكانت تساعد الحوامل في الولادة، وكان هناك أيضاً "خنوم"، ويظهر في هيئة رجل له رأس كبش، وأمامه عجلة الفخار يُشكّل عليها الطفل قبل مولده. وكانت هناك "نيت"، ونُسب إليها أنها إله التناسل، وأنها عظيمة الاهتمام بالحوامل. وكانت هناك أيضاً "مسخنت» على هيئة سيدة يعلو رأسها نبات مائي، وكانت معبودة للولادة، مما يدلُّ على دور الأوهام العظيم الذي كان يسيطر على عقول المصريين القدماء.

وكان المصريون القدماء يجهلون دور المني في تخلُّق الجنين، وإن كانوا يعتقدون أن هناك علاقة ما بين العضو الذكري والمني والحمل، وكان الرأي العلمي لديهم أن المني ينبع من الحبل الشوكي. وربما يكون مرجع ذلك إلى الكهنة الذين كانوا يذبحون القرابين، وكانوا يعتقدون بأن قضيب الثور امتداد لعموده الفقري، ومن هنا كان اهتمامهم بالعظمة الموجودة في آخر أربع أو خمس فقرات من العمود الفقري، عند العَجز، باعتبار أنها المسئولة عن الحفاظ على مني الرجل.

وقد عرف المصريون القدماء على وجه التقريب مدة الحمل؛ ففي إحدى البرديات الطبية "وستكار" نجد "خوفو" يسأل الساحر (دجيدي DJEDI) متى ستتم ولادة (ريدجدت REDDJEDDET) فيُجيبه قائلاً: "سوف تولد في الخامس عشر من أول الشتاء، وتلك فترة تتراوح بين 275 و294 يوماً"[1].

وقد وجد أيضاً في مجال طب الأجنّة الهندي (رسالة سنسكريتية SANSKRIT TREATISE) تعود إلى 1416 سنة قبل الميلاد.

هذه الرسالة تُسمى (غرْبها أوبانيشاد GARBHA UPANISHAD) وتصف الأفكار القديمة المتعلقة بتطور الجنين.

وتشير هذه الرسالة إلى ما يلي:

من اتحاد الدم والمني يأتي الجنين إلى الوجود.

(1) كتاب إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، د. محمد فياض، ص 24 - 26.

وبعد التزاوج الجنسي، في الوقت المؤاتي للحمل، يصبح [الجنين بما يسمى] (كَلادا KALADA) (أي جنين في اليوم الأول من عمره).

وبعد مرور سبع ليالٍ، يصبح [الجنين] بذرة.

وبعد مرور أسبوعين، يصبح [الجنين] كتلة مستديرة.

وبعد مرور شهر، يصبح [الجنين] كتلة متماسكة.

وبعد مرور شهرين، يتخلّق الرأس.

وبعد مرور ثلاثة أشهر، تظهر منطقة الأوصال.

وظاهر أن هذا يتنافى تماماً مع الحقيقة، ويدّل على دور الخيال في فهم مراحل تطور الجنين.

أما اليونان القدماء، فهم أول من ربط العلم بالمنطق بفضل تعليلهم لملحوظاتهم بالمنطق العقلي لا بالقوى السحرية الغامضة، ولكن مع هذا التقدم، لم ينسجم منطقهم مع الحقائق الثابتة، وظلت التعليلات بعيدة عن الحقيقة، وذلك لأن العقل لا يستطيع وحده الوقوف على الحقائق. وإلا فإن الظنون تجتاحه ويتحول منطقه مملوءاً بالخرافات.

فكان أول من تكلم في هذا المجال (هيبوكراتس HIPPOCRATES OF GOS) العالم اليوناني الشهير الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، فقد كتب: «**خذ عشرين بيضة أو أكثر ودع دجاجتين أو أكثر تحضنها، وبعد كل يوم من اليوم الذي حصل فيه التفقيس، خذ بيضة راكسرها وتفحصها، فسوف ترى تمامًا ما قلناه لك إنه من الممكن مماثلة طبيعة الطير بطبيعة الإنسان**».

ثم اشتهر العالم (أرسطو ARISTOTLE OF STAGIRA) (384 – 322 ق.م) بأبحاثه عن علم الأجنة حيث وصف تطور الصيصان وأجنة أخرى، فاعتُبر بذلك مؤسس علم الأجنة مع أن أفكاره كانت تدور حول تطور الجنين من الحيض بعد تنشيطه من قبل منيّ الرجل[1].

وقد شجّع فكرتين:

الأولى: أن الجنين يتطور من مادة لا شكل لها واصفاً إياها «**بالبذرة المُعدّة قليلة التكامل ذات نفس مغذّية وأعضاء جسدية**».

(1) كتاب (الإنسان النامي، د. مور وبرسو THE DEVELOPING HUMAN, MOORE AND PERSAUD) ص ٩، بتصرف.

والثانية: بأن الجنين يمر بمراحل، وذلك بعد أن درس تطور بيض الدجاج، غير أنه لم يعط تفاصيل كافية عنها.

أما (جالن CLAUDIUS GALEN) فقد وضع في القرن الثاني بعد الميلاد كتاباً تحدث فيه عن تطور وتغذية الأجنة، وعن المشيمة التي تحيط بالجنين، وقد اقتصر بحثه على المراحل المتأخرة من تطور الجنين.

ومن ثمّ لم تسجل **في العصور الوسطى** أبحاث تُذْكر سوى قلة نادرة جداً عن هذا الموضوع، **إلا ما ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة (وسوف نتكلم عنها بتفصيل - إن شاء الله - في هذا الكتاب فيما بعد)**.

وقد كتب العالم (قسطنطين CONSTANTINUS AFRICANUS OF SALERNO) (1020 - 1087م) رسالة قصيرة سماها (طبيعة الإنسان DE HUMANA NATURA) وصف فيها مراحل تطور الجنين المتلاحقة.

وقد ربط تطورات الجنين المتلاحقة بالكواكب، وهنا يظهر كيف أن التعليلات التي تعتمد على الظن تؤدي إلى نشوء نظريات أقرب إلى الخرافات.

أما **في عهد النهضة** فقد نشر (ليوناردو دا فانشي LEONARDO DA VINCI) في القرن الخامس عشر رسومات دقيقة عن مقاطع لأرحام حاملة مع أغشيتها وقد أدخل فيها النّسب القياسية الدالة على تطوّر نمو الجنين[1]. (أنظر الصورة رقم: 2).

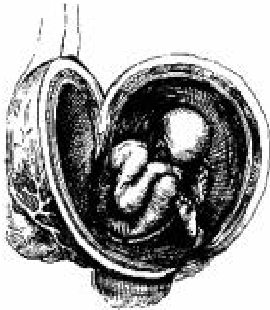
أما في القرن السادس عشر فقد أظهرت بعض الرسوم في كتب القبالة كيفية تطور الجنين من كتلة دموية وبذرة. (انظر الصورة رقم: 3).

وهذا المفهوم الخاطئ كان قد قال به العالم أرسطو، واستمّر ذلك على مر القرون.

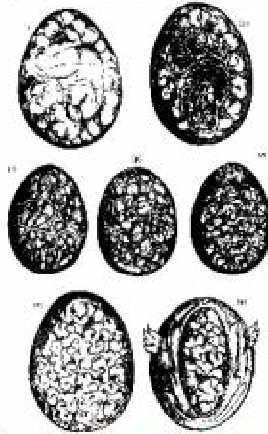
أما في عام 1604م فقد بيّنت أعمال (فابريسيوس HIERONYMUS FABRICIUS) رسمًا ممتازاً لتطور جنين دجاجة. (انظر الصورة رقم: 4). وقد اشتهر (ويليام هارفي WILLIAM HARVEY) - أحد تلاميذ فابريسيوس - في (بادوا PADUA) بدراسته في مجال دوران الدم وملحوظاته لتطور الأجنة.

---

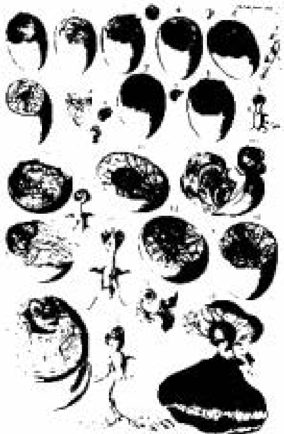
(1) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسود، ص 10، بتصرف.



(2) - رسم لليوناردو دا فانشي حيث يظهر جنيناً في مقطع للرحم وقد ظهرت الأغشية التي تحيط بالجنين.



(3) - رسوم من كتاب جاكوب رويف - 1554م - تبين الكتلة الدموية والبذرة في الرحم وفقاً لمفهوم أرسطو طاليس.
(De Conceptus et Generatione Haminis)
(Needham - 1959م)



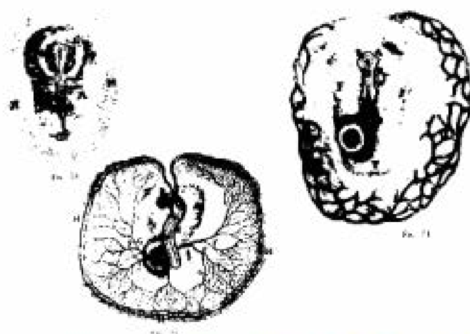
(4) - يوضح الرسم تخلق الدجاجة وهو مقتبس من كتاب:
(De Formatione ovi Fabrius Meyer ,1939م)

وفي عام 1651م نشر هارفي كتاباً سماه (الجيل الحيواني DE GENERATIONE ANIMALIUM)، وقد ذكر فيه أن بذرة الرجل (أي المني) بعد أن تدخل الرحم تتحول إلى مادة شبيهة بالبيضة يتخلق منها الجنين، كما أنه درس أجنة صيصان بواسطة عدسات ووضع بعض الملحوظات الجديدة عليها، وقد درس تطور الغزال ولكنه لم يستطع مراقبة المراحل الأولى لتخلق الجنين، وخلص إلى أن الأرحام تفرز الأجنة (أي أن بطانة الرحم تلفظها بعد أن كانت موجودة كاملة في داخلها)[1].

وفي ذلك الوقت ظهر المجهر، وكان عبارة عن عدسة بدائية مكبرة وحامل قصير ولم يكن متطوراً آنذاك.

وفي عام 1672م لاحظ (دو غراف DE GRAAF) حجرات صغيرة في رحم الأرنب، واستنتج في أبحاثه أن الرحم لا يفرز الأجنة ولكنها تأتي من أعضاء أخرى سماها (أوفاريز OVARIES) وبدون شك فقد كانت هذه الحجرات الصغيرة هي ما نطلق عليه الآن اسم (الكرات الجرثومية BLASTOCYTS).

وفي عام 1675م درس (مارسيلّو مالبيجي MARCELLO MALPIGHI) – على ما اعتقد – بيض دجاجات غير ملقحة واعتقد أنها تحتوي على أجنة صغيرة[2]، كما نشر رسومات لجنين الدجاجة المتخلق يظهر الفلقات بوضوح تام. (انظر الصورة رقم: 5).



(5) - المراحل الأولى من تخلق الدجاجة وفقاً لكتاب مالبيجي وكتابه: (De Formatione Pulli in OVO).

(1) كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص 10 - 15، بتصرف.
(2) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 11، بتصرف.

ونعرف اليوم أن هذه الفلقات تحتوي على خلايا، تولّد الجزء الأكبر من الهيكل العظمي للجسم وعضلاته.

وهذا ما لم ينتبه إليه (أو لم يكتشفه) العلماء آنذاك وذلك لأنهم كانوا يعتقدون - إلى هذا الوقت - أن التخلّق الإنساني ليس إلا زيادة في الحجم لصورة واحدة تتسع أبعادها بمرور وقت الحمل[1]، حيث كانت فكرة الخلق التام للإنسان من أول مراحله ما زالت مسيطرة على أذهان العلماء[2].

ونشرت في الوقت ذاته تقريباً مجموعة أخرى من الرسومات، تظهر تخلّق الجنين البشري وتعبّر كلها عن نفس الأفكار وعن رسم واحد، ولكن بمقاييس مختلفة. (انظر الصورة رقم 6).

وهذه الأفكار تعرف: بنظرية (الخلق الجاهز PREFORMATION THEORY).



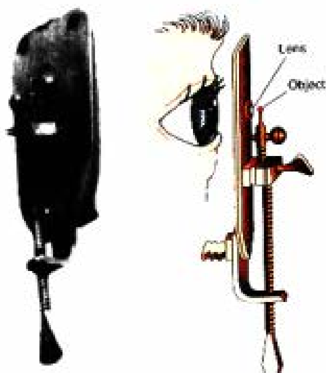
(6) - رسم قديم يظهر التخلق البشري وكان الاعتقاد السائد أن هذا الإنسان يتضخم مع مرور الوقت (1959م Needham).

وفي عام 1677م استعمل كل من (هام ولوفينهوك HAMM AND LEEUWENHOEK) مجهراً أكثر تطوراً من الذي وضع من قبل واكتشفا الحيوان المنوي وظنا أنه يحتوي على إنسان صغير جداً[3]. (انظر الصورة رقم: 7).

(1) الجمعية الملكية للفلسفة.

(2) كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص 15.

(3) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 11.



(7) - استعمل العالم لوفينهوك المجهر في أواخر القرن السابع عشر فاكتشف الحيوان المنوي، وفي الرسم منظر جانبي يوضح طريقة استخدام هذا المجهر، حيث كان الجسم يوضع أمام العدسة على الحامل القصير ويتم تعديل وضع الجسم أمام العدسة بواسطة اللولب، وفي الصفحة القادمة رسومات للحيوان المنوي وفقاً للعالم لوفينهوك.

وتظهر صورة الحيوان المنوي في الصور التي تلي (انظر الصورة رقم: 8-9) والتي وضعت وفقاً للعالم لوفينهوك عام 1701م. والرقمان 1 و7 في الصورة رقم: 9 يشيران إلى الحيوان المنوي البشري، أما البقية فتشير إلى الحيوان المنوي للأغنام.

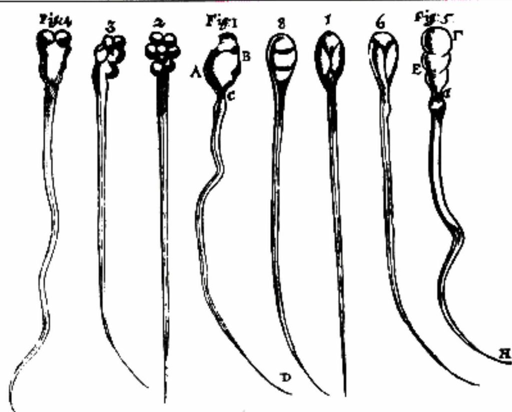
ومن أنصار نظرية الخلق الجاهز، تذكر العالم (سوامردام JAN SWAMMERDAM، (1637 - 1680م) الذي اعتقد هو أيضاً أن الإنسان موجود بصورة مصغرة في رأس الحيوان المنوي[1].

وقد ثار جدل كبير في هذه الفترة حول الملحوظات التي تمت أو تم تخيلها، ولم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى تعرف المراقبون على أشياء في الحيوان المنوي تعبّر عن روح الإبداع في ذلك العصر.

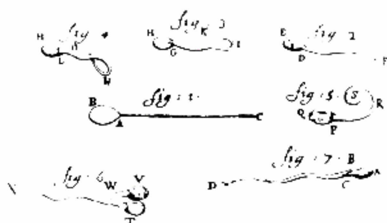
والرسم الذي قدمه (هرتسوكر HARTSOEKER) للحيوان المنوي عام 1694م (انظر إلى شكل القزم في الصورة رقم: 10) يدل على أن المجهر يومئذ لم يكن كافياً لبيان تفاصيل تكوين الحيوان المنوي، فأكملت الصورة من خيال العلماء، وعبّروا مرة ثانية عن الفكرة السائدة عندهم، وهي أن الإنسان يكون مخلوقاً خلقاً تاماً في الحيوان المنوي في صورة قزم[2].

(1) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، ص 187 - 188، بتصرف.

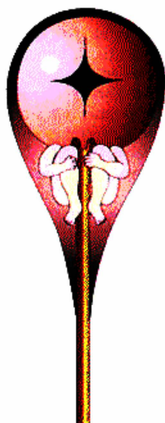
(2) كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص 21.



(8) - رسم من وضع لوفينهوك للحيوان المنوي للأرنب والكلب.

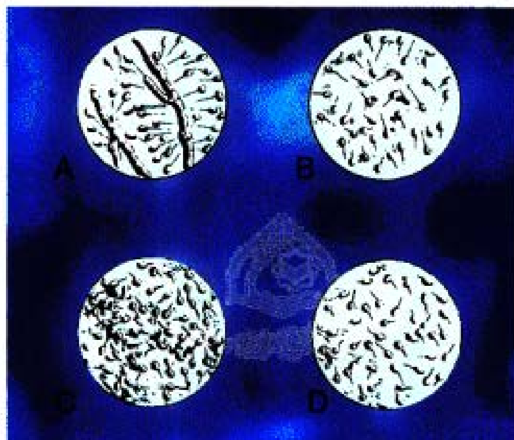


(9) - الحيوان المنوي وفقاً للعالم لوفينهوك



(10) - اعتقد العالم الذي اكتشف المجهر أن الحيوان المنوي يحتوي على إنسان مصغر، والرسم الذي قدمه العالم هارتسوكر أعلاه يوضح هذا الاعتقاد.

والرسم الذي وضعه (بوفون BUFFON) عام 1749م (انظر الصورة رقم: 11) للسائل المنوي البشري (انظر إلى الشكل في الجزء الأعلى)، والسائل المنوي للكلب (انظر إلى الشكل في الجزء الأسفل)، بما في ذلك بعض سائل من أنثى كلب لم تخصب بعد، هو مثال ثانٍ على أن الخيال كان يلعب دوراً كبيراً في فهم عملية تخلق الجنين البشري.



(11) - التناسل وفقاً للعالم بافون (1749م Buffon).

يمثل الشكل (A) المني البشري مخلوطاً بماء المطر بغية عزل ما يحتويه من خيوط للسماح بانفصال الأجسام الصغيرة.

الشكل (B) المني نفسه بعد تركه فترة من الوقت ليصبح أكثر سيولة.

الشكل (C) مأخوذ عن ذكر كلب.

الشكل (D) من أنثى كلب لم تخصب بعد.

وفي عام 1745م عادت الأنظار لتتجه إلى البويضة على أنها تحمل الجنين بصورة مصغرة، وذلك عندما اكتشف العالم (بونيه CHARLES BONNET) أن بويضات الحشرات يمكنها التطور إلى أجنة كاملة دون الحاجة مطلقاً إلى الذكر، وتدعى هذه الطريقة: (الولادة بدون أب PARTHENOGENESIS)"[1].

(1) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، ص 188، بتصرف.

وفي عام 1759م رفض (وولف CASPAR FRIEDRICH WOLFF) الأفكار القائمة سابقاً، وذلك بعد أن لاحظ أن بعض أجزاء الجنين تتطور من "كريات" (وهي أنسجة الجنين النامية)، فقد شاهد بيض دجاج غير مخصب ولم يستطع رؤية الأجنة التي تكلم عنها مالبيجي، وقدم أفكاره على أن ما نسميه اليوم بالبيضة المخصبة تتغلق لتؤلف طبقات من الخلايا (ونسميها اليوم القرص الجنيني) التي ينخلق منها الجنين.

وقد أسست أفكاره نظرية (الخلق الفوقي EPIGENESIS) القائلة بأن التطور ناتج عن نمو الخلايا وتمايزها.

وبينما كان فريق من العلماء يرى أن الإنسان يخلق خلقاً تاماً في بويضة الأنثى، كان فريق آخر يقول: إن الإنسان يخلق خلقاً تاماً في الحيوان المنوي.

ولم ينته الجدل بين الفريقين إلا قرابة عام 1775م عندما أثبت (سبالانزاني SPALLANZANI) أهمية كل من الحيوان المنوي، والبويضة في عملية التخلق البشري بعد أن أظهرت تجاربه في التلقيح الصناعي أن الحيوان المنوي هو العامل المخصب للبويضة.

ب - مرحلة علم الأجنة التجريبي:

لم تكتشف بويضة الثدييات إلا في أواخر القرن الثامن عشر. حيث بدأت المرحلة الثانية عهد علم الأجنة التجريبي - بكتابات (فون باير VON BAER) (1827م) و(شليدن وشوان SCHEILDEN AND SCHWAN) (1839م) و(داروين CHARLES DARWIN) (1859م) وآخرين.

وفي عام 1817م اكتشف (باندر HEINRICH CHRISTIAN PANDER) أن الجنين مؤلف من ثلاث طبقات.

أما فون باير (1827م) فكان عملاقاً في عصره في هذا المجال، فقد قفز بعلم الأجنة من التجارب والمشاهدات إلى صياغة المفاهيم الجنينية لا العكس، وكانت تلك نقلة نوعية دقيقة جداً. حيث انتقل به تفكيره إلى أبعد من المفاهيم التي تعلمها، فقد تابع تقاسم البويضة المخصبة في أنبوب الرحم والخلية الجرثومية في الرحم، وساهم في فهم مصادر الأنسجة والأعضاء من الطبقات التي تحدث عنها باندر ومالبيجي.

وقد عمم فون باير نظرية باندر وقال إن أجنة جميع الحيوانات تحتوي على

ثلاث طبقات، كما أنه وضع مفهومين مهمين في مجال طب الأجنة: مفهوم مراحل تطور الجنين، ومفهوم سبْق الصفات العامة للصفات الخاصة[1].

وفي عام 1824م تمكن العالمان (بريفوست ودوماس PREVOST AND DUMAS) من وصف (انشقاق البويضة CLEAVAGE) ولكنهما لم يتبينا مغزى ذلك الانشقاق[2].

وحصل تطور مهم في علم الأجنة عندما أعلن كل من شليدن وشوان (1839م) أن جسم الإنسان مكون من خلايا، وهذا المفهوم أدى إلى إدراك أن الجنين تأتي من خلية واحدة وهي: (البويضة المخصبة ZYGOTE)[3].

وفي عام 1865م وضع العالم (غريغور مندل GREGOR MENDEL) أسس علم الوراثة غير أن علماء الطب لم يفهموا معاني هذه الأسس لسنين عديدة.

وفي عام 1875م تمكن (هيرتويج HERTWIG) من ملاحظة كيفية تلقيح الحيوان المنوي للبويضة، وأثبت بذلك أن كلاً من الحيوان المنوي والبويضة يساهمان في تكوين البويضة الملقحة. وكان بذلك أول إنسان يشاهد عملية التلقيح هذه ويصفها[4].

كما تميزت المرحلة التاريخية الثانية بالبحث عن الآليات، وبرز اسم (ويلهلم روكس WILHELM ROUX) في هذا المجال، وانتقلت الدراسة الجنينية من وصف الملحوظات إلى التدخل، ومعالجة الكائنات الحية المتطورة[5].

وقد شغلت مسألة معرفة الآلية التي يحدث فيها التمايز بين الخلايا اهتمام الباحثين أمثال العالم (فليمينغ FLEMMING) (1878م) الذي شاهد (الصبغيات CHROMOSOMES) واقترح أن لها دوراً في عملية الإخصاب.

وأمثال العالم (فان بندن VON BENEDEN) (1883م) الذي وصف ظاهرة (الانقسام الاختزالي MEIOSIS) قائلاً: إن الخلايا الناتجة عن عملية الانقسام لها عدد منخفض من الصبغيات.

---

(1) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 11 - 12.
(2) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، ص 189، بتصرف.
(3) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 12.
(4) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، ص 190، بتصرف.
(5) كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص 23.

وأمثال العالمين (ستُنْ وبوفيري SUTTON & BOVERI) (1902م) حيث أعلن كل منهما على حدة أن الصبغيات تنقسم أثناء التخصيب وتخلّق الخلايا وفقاً للأسس التي وضعها العالم مندل في علم الوراثة[1].

وأمثال العالم (مورجان THOMAS HUNT MORGAN) (1912م) الذي وصف دور الجينات في الوراثة وأن هذه الجينات موجودة في مناطق محددة من الصبغيات[2].

و كان أول من حاول تحديد عدد الصبغيات هو (فون وينيوارتر VON WINIWARTER) عام 1912م قائلاً: إن عددها هو سبعة وأربعون، ومن ثَمّ أعلن كلٌّ من (تجيو ولوفان TJIO & LEVAN) عام 1956م أن عدد الصبغيات هو ستة وأربعون[3].

وفي عام 1914م رتّب (مول MOOL) مئتين وستة وستين جنيناً بشرياً في سلسلة من المراحل.

ومن ثَمّ رتب (ستريتر STREETER) عام 1942م الجنين البشري في ثلاث وعشرين مرحلة، وأطلق عليها اسم "آفاق التطور".

ومن ثَمّ قدم (أورايلي OREILLY) عام 1973م نظاماً أكثر تفصيلاً من الذي وُضع من قبل لتصنيف الجنين البشري، وخاصة خلال الأسابيع الثلاثة الأولى من تكوينه[4].

و درس (هانس سبيمان HANS SPEMANN) (1841 - 1941م) آليات التفاعل النسيجي كالذي يحدث خلال التطور الجنيني[5].

وبدأ (أوتو واربورغ OTTO HEINRICH WARBURG) (1883 - 1970م) دراسات عن الآليات الكيميائية للتخلق[6].

---

(1) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبرسو، ص 12.

(2) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، ص 190، بتصرف.

(3) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 12.

(4) كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص 175.

(5) كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص 23، كتاب الإنسان النامي، د. مور وبرسو، ص 12.

(6) كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص 23.

ج - مرحلة التقنية واستخدام الأجهزة:

وتمتد المرحلة الثالثة أو الحديثة من الأربعينات حتى يومنا هذا، وقد تأثرت هذه المرحلة تأثراً كبيراً بتطور الأجهزة مما أثر بقوة على مجرى البحوث.

وعلى سبيل المثال: فإن المجهر الألكتروني[1]، وآلات التصوير الأخرى، وقياس الشدة النسبية لأجزاء الطَّيف، والحاسوب، ومجموعة وسائل الكشف عن البروتينات، والأحماض النووية، والكربوهيدرات المعقدة، وعزلها وتحليلها، يمكن أن تعتبر كلها عوامل تجعل علماء (الأحياء البيولوجي النمائي DEVELOPMENTAL BIOLOGY) اليوم في وضع يسمح لهم بإجراء تجارب كانت تبدو قبل عقد من الزمن مجرد حلم خيالي.

فيمكننا اليوم مثلاً أن نجري تحليلاً دقيقاً مفصلاً لسطح الخلايا خلال تمايزها.

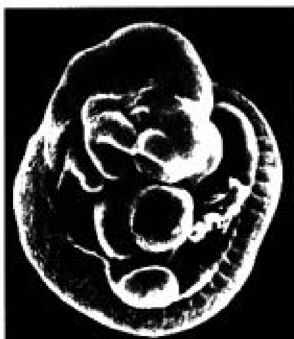
ويمكننا أيضاً أن ندرس دور النواة، والسائل الهلامي للخلية (أي السيتوبلازم: المادة الحية للخلية باستثناء النواة)، والمنابت خارج الخلية باستخدام تهجين الخلايا، وكذلك غرس النواة وغرس الجينات في الرحم، وغير ذلك من التقنيات.

ويمكننا أن ننظر أيضاً إلى الأجنة بوضوح لم يمكن تصوره في زمن العالم مالبيجي.

ويمكننا أن ننظر داخل الأقسام لنفهم آليات التمايز الطبيعي والشاذ بشكل أفضل. (انظر الصورة رقم: 12).

---

(1) المجهر الألكتروني يتيح لنا تكبير الصورة إلى درجة تصل إلى نصف مليون مرة. فالألكترونات المستخدمة في المجهر الألكتروني كمصدر للضوء، تتميز بأطوال موجية قصيرة تجعل (قوة تباين Resolution) المجاهر الألكترونية كبيرة، مما يمكننا أن نرى المسافات بين نقطتين تصل إلى حد 20-40 من النانومتر، (والنانوميتر جزء من المليون من المللم). ويمكن رؤية ودراسة طوبوغرافية وأسطح الخلايا والكائنات الصغيرة، وتكوين صورة ثلاثية الأبعاد باستخدام: (المجهر الألكتروني الماسح Scanning Electron Microscope: SEM). ويمكن رؤية الخلايا، ومحتوياتها الداخلية، وقطاعات الأنسجة باستخدام: (المجهر الألكتروني النفاذ Transmission Electron Microscope: TEM)، ولكن كل ذلك بعد تحضير العينات بمساعدة (المثبتات Fixative) و(المواد الكيميائية المنظمة Buffer) التي تغيّر في كثير من الأحيان من طبيعة وشكل النسيج المعتبر. ويمكننا تفادي هذه المشكلة باستخدام (تقنية التبريد Cryo-technique): كالتثبيت بالتبريد المنخفض والسريع، أو باستخدام مثبتات بسيطة مثل: الفورمالدهايد، أو (التبريد البديل Cryo substitution)، أو (التقطيع الدقيق بالتبريد Cryo-ultramicrotomy) التي تمكننا من دراسة العينات، ومحتويات الأنسجة، والخلايا الطبيعية باستخدام: (التحليل الدقيق بأشعة س X-Ray microanalysis EDAX) بدون تعريض العينات النسيجية للمواد الكيميائية.



مسح بجهاز الرسم الألكتروني لجنين فأر.



مسح بجهاز الرسم الألكتروني
لقلب جنين فأر.



مسح بجهاز الرسم الألكتروني لقلب جنين فأر
يظهر إحدى مراحل تكون هلام بطانة القلب.

(12) - تظهر هذه الصور كيف أننا نستطيع التركيز على عضو من الأعضاء والنظر إليها بشكل أوضح وإن كان داخل قسم من الأقسام.

معارف العرب على عهد رسول الله ﷺ

سنلقي الضوء أولاً على الحالة الثقافية التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية ليتبيّن لنا مدى الفرق الشاسع بين المستوى العلمي السائد في هذه الجزيرة، وبين ما جاء على لسان رسول الله ﷺ من آيات علمية إعجازية، وحتى نتفهم ما في آيات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة من تحد وسبق علمي للأمم عامة، وللغرب خاصة.

لم يكن العرب حينها على مستوى عالٍ من الثقافة العلمية، فغالبية العرب كانت تجهل الكتابة ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: 2] وقوله ﷺ: "**إنّا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب**" [أخرجه البخاري ح7][1].

إلا أن بعض العرب قد عرف الكتابة قبل الاسلام وكان منهم من يقرأ ويكتب بقلم المسند (قلم ظهر في اليمن) وبقلم النبط وبقلم بني أرم، وقد تعلم بعضهم اللغة العبرانية، وكان القليل منهم يلجأ إلى معابد ومدارس اليهود والنصارى لتعلم الكتابة والقراءة، ولكن السواد الأعظم منهم كان يجهل الكتابة والقراءة قبيل الإسلام، ولم يكن العرب يُعنوْن بتعليم أطفالهم الكتابة والقراءة[2]، إنما كان الرجل منهم يشعر بالحاجة إلى ذلك فيتعلمها، ولذلك لم يستطيعوا النهوض إلى درجة عالية من العلم.

لقد تفاوتت درجة العلوم التي انتشرت في عصرهم، فقويت العلوم التي كانت لها صلة ببيئتهم مثل الشعر، وتحسس مخابئ الماء تحت طبقات الأرض وعلم الأنواء (تعرُّف أوقات نزول الغيث عن طريق حركة النجوم ومنازلها)، ومعرفة آثار الأقدام (القيافة)، وعلم الأنساب (وذلك ليحفظوا أنسابهم ولأمور أخرى كان

---

(1) الرجاء من القرّاء الكرام مراجعة "**قسم تخريج الأحاديث**" للاطلاع على مدى صحة سند الأحاديث التي أوردناها في هذا البحث، وعلى "**تعريف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والأسس التي يرتكز عليها**" حتى يتبين للقارئ ما هو حكم الحديث في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

(2) كتاب مختصر الجامع في السيرة النبوية، سميرة الزايد، ج1/ ص70 - 71، كتاب السيرة النبوية، محمد بن محمد أبو شهبة، ص 93، بتصرف.

مجتمعهم البدوي بحاجة إليها)، وضعفت العلوم الأخرى عندهم مثل الطب[1]، الذي كان مرتبطاً بالسحر، واقتصر على الوسائل البدائية مثل الكيّ والبتر والفصد (الشق) والتداوي بالأعشاب والحجامة، وانتشرت بعض العلوم التي ليس لها ركائز منطقية مثل دراسة الأجرام السماوية: التنجيم والكهانة، لمعرفة الأمور الغيبية من حاضر ومستقبل.

أما علم الأرحام عند العرب - وهو الذي يعنينا في بحثنا هذا - فلم يكن أحسن حالاً من سائر العلوم الأخرى، وكان قائماً عندئذ على ما تعلّمه العرب من اليهود، كما يعلمنا الحديث الشريف: «عن ابن عباس، قال: إن ابن عمر - والله يغفر له - أوهم، إنما كان هذا الحي من الأنصار - وهم أهل وثن - مع هذا الحي من يهود - وهم أهل كتاب - وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم فكانوا يقتدون كثيراً من فعلهم...» [أخرجه أبو داود ح117].

فعلى سبيل المثال: اقتدى العرب باليهود في اعتزال المرأة إذا حاضت اعتزالاً تاماً، لا يؤاكلونها، ولا يجالسونها على فراش، ولا حتى يساكنونها، لأنهم كانوا يعتقدون أن السموم تغلب على بدن المرأة في فترة الحيض[2]. كذلك كانوا يعتقدون أن الجنين يأتي أحول إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قُبُلها - أي: إذا جامع الرجل المرأة من الخلف ولكن في قبلها -، على ما كان يعتقده اليهود، مثلما جاء في الحديث: «**حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن ابن المنكدر، قال: سمعت جابراً** ﷺ **قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت:** ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:223]» [أخرجه البخاري ح15]، وقد اعتقد الأطباء العرب أيضاً أن الجنين يُعْقد من دم الحيض[3].

وهكذا نفهم أن الظلام العلمي كان منتشراً في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، ولا سيما عند العرب.



(1) على أنه كان فيهم أطباء معروفون وإن كانوا قلة، مثل الحارث بن كلدة.

(2) انظر مبحث «**ازدياد الأرحام وغيضها**».

(3) انظر مبحث «**اضطراب عروق النطفة**».

أميّة رسول الله ﷺ

كان رسول الله ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فقد نشأ في مجتمع كانت غالبيته من الأميين، وقد اقتصر علمه ﷺ على المعرفة برعاية الغنم (وذلك لمساعدة عمه أبي طالب)، وعلى بعض الأمور الحربية (لعموم الضرورة إلى معرفة ذلك)، وعلى بعض الأمور السياسية (كاشتراكه في حلف الفضول)، وعلى بعض أمور التحكيم (فقد حكّمه قومه في وضع الحجر الأسود في الكعبة ورضي بحكمه سائر القبائل). وقد أتيح له السفر إلى اليمن أربع مرات في مهمات تجارية كان يقوم بها ﷺ للاتجار بمال خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ومرة واحدة إلى مدينة بُصرى في بلاد الشام[1]، وهي أبعد مكان رآه رسول الله ﷺ في حياته[2] (والأولى أن نقول: قبل النبوة)[3].

ومن الشواهد على هذه المعرفة قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: 48] وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: 16] وحادثة نزول الوحي (كما روتها لنا السيدة عائشة رضي الله عنها): «**أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال:** «ما أنا بقارئ»، **قال:** «**فأخذني فغطّني** (الغطّ هو العصر الشديد والكبس) **حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني»، فقال: اقرأ، قلت: «ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني»، فقال: اقرأ، فقلت: «ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني»، فقال:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق: 1-3] [أخرجه البخاري ح3][4].

---

(1) وكانت بُصرى يومئذ كبرى مدن حوران (في سورية) (المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد محمد حسن شراب، ص48 - 49).

(2) كتاب دراسة في السيرة، د. عماد الدين خليل، ص 39.

(3) يلاحظ أن الرسول ﷺ وصل إلى أبعد من هذا المكان بعد النبوة، وذلك في حادثة الإسراء (حيث كان الإسراء إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس).

(4) نرجو من القراء الكرام مراجعة «**قسم تخريج الأحاديث**» للاطلاع على مدى صحة سند الأحاديث التي أوردناها في هذا البحث، وعلى «**تعريف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والأسس التي يرتكز عليها**» حتى يتبين للقارئ حكم الحديث في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

هذه الحادثة تشير إلى نقطتين بالغتي الأهمية:

● أولاً: أن الرسول ﷺ لم يكن غير متعلم فحسب[1]، بل كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة[2].

● ثانياً: أن الله سبحانه وتعالى أشار في ثاني آية أنزلت من القرآن الحكيم - أي: في بدء الوحي - أن الإنسان خُلق من علقة تبياناً لمعجزة خلق الإنسان - والله أعلم -، وهذه المعجزة اتخذت منحىً خطيراً به بدأ أمر الله سبحانه وتعالى رجلاً أمياً ﷺ أن يعلم أمة بأكملها حيث قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [illegible].

(1) وإلى ذلك تشير الآية: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [illegible]، حيث إنها تشير إلى أن الله عز وجل علّم الرسول ﷺ أموراً لم يكن على درايتها، مثل: أمور الشرع، والحكمة كما تنص عليه الآية نفسها، وكما تنص عليه الآية التالية: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [illegible]، ومثل: بعض الأمور العلمية كما يشير إليه الحديث الشريف رقم 9 الذي سيأتي تفصيله، حيث سأل اليهودي الرسول ﷺ عن العملية التي تؤدي إلى الإذكار أو الإيناث فأجابه ﷺ: «لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به» [أخرجه مسلم ح[illegible]].

(2) وإلى ذلك تشير الآية: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [illegible]، والآية: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [illegible].

الوحي يمحو الأمية

لقد قرأنا في البحوث السابقة عن الثقافة التي كانت سائدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، فرأينا أن الظلام الدامس كان يسود كل أقطار العالم في المجال العلمي وخاصة في مجال علم الأجنة في عصر النبوة، فالعرب في شبه الجزيرة العربية آنذاك كانوا أميين في غالبيتهم، والقلّة الباقية التي تعلمت القراءة والكتابة لم تكن بارعة في العلوم الحيوية، أما الغرب خاصة وبقية العالم عامة بعد القرن الخامس قبل الميلاد، فكانوا أكثر معرفة، لأنهم استطاعوا أن يربطوا العلم بالمنطق ولكن هذا لم يفدهم شيئاً، لأنهم أخطأوا في النظريات التي وضعوها والتي كانت لا ترقى إلى مستوى الحقيقة العلمية، ولأن قلة الوسائل التقنية المتاحة لهم حجزتهم عن مراقبة الأمور عن كثب في الأرحام، وحالت دون معرفتهم لحقائق الأمور في علم الأجنة.

وهكذا فإن التاريخ يشهد أنه لم يكن هناك أي تدوين مميز شامل للتخلق البشري كالتصنيف المرحلي، وعلم المصطلحات، والوصف لمجريات الأمور في الأرحام، كما أن التاريخ يشهد أنه لم يكن هناك أية وسيلة لمراقبة ما يجري في الأرحام في عصر النبوة.

فهل يعقل - والحال هذه - أن يكشف الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - حقائق علمية لم تكن موجودة آنذاك في العلوم البشرية لولا وحي السماء؟.

لقد رأينا كيف أن الأمية والجهل يولّدان مجرد خيالات بعيدة عن الدقة كما في حالة اليونانيين، بالرغم من أنهم كانوا أكثر الشعوب تطوراً في مجالات العلوم، فأنّى للنبي ﷺ المقدرة على كشف حقائق علمية هي في أقصى الدرجات من الدقة إلا بإعجاز قاهر، من رب قادر، وقد عجز كثير من العلماء عن الإتيان بالقليل منها ولو بصورة مبسطة، حتى بعد أن اكتشفوا المجهر، وبعد أن انكبوا على مراقبة الأجنة؟.

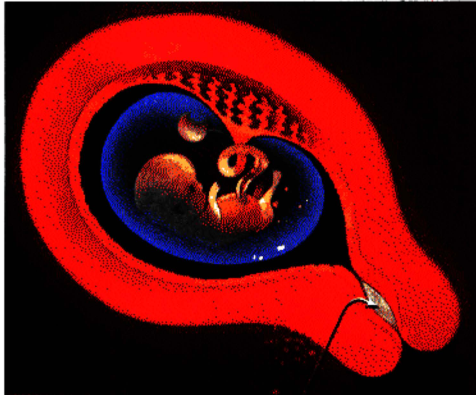
إلى غير ذلك، فتقديم وصف علمي لمراحل التخلّق البشري يتطلب الحصول على عدد كبير من الأجنة البشرية في عمر معين ودراستها، ويصعب تماماً حتى في يومنا هذا تجميع مثل هذه السلسلة، كما يحتاج إلى أجهزة متطورة جداً لم تكن متصوّرة في عصر النبوة في أي قطر من أقطار العالم (كالمجهر الألكتروني، وآلات التصوير الأخرى، وقياس الشدة النسبية لأجزاء الطيف، والحاسوب، ومجموعة

وسائل الكشف عن البروتينات، والأحماض النووية، والكربوهيدرات المعقدة وغيرها)، ولولا هذه البحوث لما توصل علم الأجنة إلى ما هو عليه الآن.

ومما يزيد الأمور تعقيداً أيضاً، أن الأجنة التي كانت تخرج في حالات الإجهاض في المراحل الأولى من تخلّق الجنين على هيئة سقْط مبكّر، كانت تخرج في كمية من الدماء، وقد تمزقت إلى أجزاء دقيقة ولم تكن لتعطي مظهراً يمكن دراسته.

إضافة إلى ذلك فإن الأجيال التي عاصرت الرسول ﷺ لم يكن بإمكانها أن تعلم أن هذه الدماء تحمل سقْطاً من جنين، لأن معرفة حدوث الحمل في الأسابيع الأولى لم تكن متحققة حتى عهد قريب.

ولو افترضنا أنه أتيح للرسول ﷺ هذا كله، فالجنين في المراحل الأولى من تخلُّقه وخصوصاً في مرحلة عجْب الذَّنب (التي سنتكلم عنها فيما بعد - انظر مبحث **«الذَّنب»** -) لا يبلغ حجم أجزائه أكثر من 0،05 ملم، وتلك الأجزاء موجودة ليس داخل الرحم ذي الظلمة الدامسة فحسب، بل داخل بطانة الرحم والوصول إلى تلك الأمكنة متعذر، لأن عنق الرحم - كما نعلم - لا يسمح في الحالات العادية - عند معظم النساء - لأكثر من الإصبع الصغير من أن يدخل فيه، وهو مسدود (بكتلة مخاطية MUCUS PLUG) في فترة الحمل (انظر الصورة رقم: 13)، والفجوة التي تحدثها النطفة عند الدخول داخل بطانة الرحم تنغلق بسدادة نسيجية.



(13) - تسد مدخل الرحم كتلة من المخاط مما يجعل مراقبة الأجنة أمراً صعباً للغاية

إنه لمن الغريب جداً، بل من المستحيل أن يصف الرسول - عليه الصلاة والسلام - أحوال ومظهر الجنين في الرحم وخصوصاً في الأسابيع الأولى، وهي تتغير باستمرار خلال أوقات وجيزة جداً، وإنه لمن الغريب أيضاً أن يضع برنامجاً زمنياً دقيقاً للغاية كما سنرى، لا يقبله أي عقل بشري في ذلك الوقت نظراً لغرابته ولخروجه عن المألوف، أوليس هذا كله دليلاً على أنه نبي يوحى إليه من الله تعالى؟. فمن يتخيل أن يتخلّق الجسم الأساسي للجنين خلال أربعين يوماً، والحال أن الجنين يمكث في بطن أمه تسعة أشهر؟، ومن يتخيل أن الجنين يشبه المادة الممضوغة التي تلوكها الأسنان؟.

لقد أخبر الرسول ﷺ ببعض أسس علم الوراثة بإذن من رب العالمين قبل 1400 سنة من اكتشافها من قبل العلماء؛ فلقد أوضح ﷺ أن بُنية الإنسان تتقدر حين خلقه عندما يلقّح الحيوان المنويّ البويضة، وأن عملية التقدير تستوجب انصهار محتوى النطفتين بعضهما ببعض، وانتشار صبغيات الحيوان المنوي بين صبغيات البويضة، وأن عملية نمو الجنين تعتمد على الشيفرة الجينية الموجودة داخل البويضة المخصبة. إن التحدث عن هذه الأمور الغيبية يُعتبر أقوى من التحدث عن التغيرات التي تطرأ على الجنين، وذلك لأن الأمور أدق في هذا المجال، فضلاً عن أنها الأسس التي تتحكم بمصير الجنين في المستقبل الخفي.

حقاً إنه لكشف مدهش، إن هذا الكشف - إن لم يكن وحياً من الله تعالى - فإنه يحتاج إلى كثير من الوقت والعديد من الاختصاصيين المتمرّسين ليفهموا تلك الأحداث، وإلى تقنيات متطوّرة للغاية؛ وهذا الوقت وتلك التقنيات لم تكن متوفرة للرسول ﷺ؛ لأنه كان مشغولاً بالدعوة وتنظيم الأمة الإسلامية على أحسن حال، إضافة إلى أنه لم يمارس في حياته نشاطاً علمياً قط في هذا المجال كما سجّل التاريخ (فهو عليه الصلاة والسلام اشتغل برعاية الغنم، ثم بالتجارة قبل البعثة، ومن ثمّ تفرّغ لأعباء الدعوة). وكان أميّاً كما أخبر بذلك القرآن، وكما يظهر لنا من خلال رواية حادثة بدء الوحي.

وفي المقاطع اللاحقة سنقارن - إن شاء الله - بين ما بيّنه الله عزّ وجلّ على لسان رسوله ﷺ، وبين الاعتقادات السائدة في عصره في مختلف مراحل تخلّق الجنين (والتي قلبها رأساً على عقب). هذا من جهة، ومن جهة أخرى بين ما اكتشفه

مجموعة من العلماء بعد قرون عديدة بواسطة آلات ذات تقنية[1] عالية (كان أولها في القرن السابع عشر، وآخرها في القرن العشرين) لندرك مدى إعجاز الكشف الرباني على رسول الله ﷺ، وحتى نزداد يقيناً أنه وحيٌ من عند الله ﷻ .



(1) إن كلمة «تقانة» هي القياس اللغوي الصحيح. ولكنا سنستعمل كلمة «تقنية» في البحث لأنها هي الشائعة في عصرنا هذا.

التحدّي

إن من قرأ وتأمّل في تاريخ دعوة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - للناس لاحظ أن دعوتهم كانت حافلة بالتحدي، فعامة الناس لا يؤمنون بالرسل إلا إذا رأوا منهم آيات أو معجزات تدل على صدق نبوتهم.

فعلى سبيل المثال: لم يؤمن السحرة بنبوة سيدنا موسى عليه السلام إلا عندما رأوا العصا تتحول إلى حية، وإلا حينما عاينوا يده تشع نوراً... وكذلك قوم سيدنا صالح عليه السلام لم يؤمنوا إلا عند رؤيتهم الناقة العملاقة تخرج من الحجر... وقوم سيدنا عيسى عليه السلام إلا عند معاينتهم له يُحيي الموتى بإذن الله، ويشفي الأكمه والأبرص بإذن الله... إلخ ما ورد من القصص العديدة المروية في القرآن الكريم، والعهد القديم والعهد الجديد، وكتب الرواية وكتب التاريخ البشري.

وعندما بُعث الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - تحداه قومه كالعادة، وطالبوه بأن يأتي بالمعجزات وبالآيات التي تدل على اصطفائه ﷺ من قبل الله عز وجل كما حكى عنهم القرآن الكريم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [طه: 133]، أو كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: 90-93] فقبل الرسول ﷺ هذا التحدي بإذن من رب العالمين، وتحققت المعجزات وتنوعت على يده؛ فكان منها: المعجزات الإخبارية كحادثة وصفه لبيت المقدس وهو ﷺ في مكة وذلك في حادثة الإسراء والمعراج، وحادثة الإخبار بأن الأرضة أكلت الصحيفة التي تعاهد فيها كفار مكة على مقاطعة سيدنا محمد ﷺ وبني هاشم، واستثنائها لأسماء الله تعالى التي كتبت عليها.

ومن المعجزات أيضاً معجزات حسّية كنبع الماء من أصابع الرسول ﷺ، وكإعادته عين مقاتل إلى مكانها بعد أن اقتلعت، وككسر كدية عظيمة - أي صخرة صلبة من الأرض لا تعمل فيها الفأس - عجز الصحابة عن كسرها، بثلاث ضربات حتى عادت كالكثيب - أي كالرمل المتجمع -، وكالبركة في الطعام حتى إن الطعام

الذي دعا إليه جابر بن عبد الله رضي الله عنه الرسول ﷺ، وهو طعام يكفي لرجلين فقط، كفى ألفاً من الصحابة، وبقي بقية منه .. إلخ.

ولما كان الرسل قبل محمد ﷺ يبعثون إلى أقوامهم خاصة، ولأزمنة محدودة فقد أيدهم الله ببينات حسية كما رأينا، وتستمر هذه البينات الحسية محتفظة بقوة إقناعها في الزمن المحدد لرسالة كل رسول، حتى إذا تطاول الزمن وتقادم وتكدّر نبع الرسالة الصافي، اختفت قوة الإقناع الحسية، وبعث الله رسولاً آخر بالشريعة التي يرضاها وبمعجزة جديدة وبينة مشاهدة. ولما ختم الله النبوة بمحمد ﷺ ضمن له حفظ دينه، وذلك بأن أيده بمعجزات معنوية تنكشف في المستقبل، لكي يؤمن بها المتأخرون من الأمم، فتبقى البينة الكبرى بين أيدي الناس قائمة إلى قيام الساعة[1].

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [العنكبوت: 50، 51]، فهذه الآيات تعلمنا أن الله تعالى أجاب طلب قوم رسول الله ﷺ لآيات يؤمنون من خلالها بأن القرآن الكريم هو خير دليل على صدقه ﷺ، بما فيه من معجزات معنوية.

وقوة هذه البينة هي أنها تدحض ادعاءات من افترى، وادعى كذباً أن سيدنا محمداً ﷺ استفاد من العلوم المتوافرة في عصره لتأليف القرآن.

فبإظهار الرسول ﷺ معلومات لم تكن معروفة في عصره، وهي من اختصاص علم الله تعالى، تنقطع الحجة بأن الرسول - عليه أفضل الصلاة والتسليم - قد استفاد وتعلم من الأمم التي عاصرها، وبهذا لا يستطيع أحد أن ينفي أن معلوماته مستقاة من خالق الإنسان، وهذه الآيات التي فيها الإخبار بما لم يكن معروفاً في زمنه هي من علم الله. وستبقى منار هدى، وسبيل معرفة بأن القرآن هو كلام الله لكل إنسان في كل زمان ومكان.

---

(1) قد يعترض بعض الناس أن هناك أشخاصاً تنبأوا ببعض الأمور في الكون وحدثت، نعم قد يحدث بعض الناس بأمور ستحدث في المستقبل وتقع، ولكنهم أيضاً يحدثون بأمور كثيرة ولا تقع، بل يحدثون بخلاف الواقع، وهذا يطعن في الشخص: في سيرته وفي أقواله. أما رسول الله ﷺ فأقواله وأحاديثه صحيحة السند عن الأمور الكونية دائماً مصيبة كما سنرى في «**قسم تخريج الأحاديث وصلتها بالإعجاز العلمي**»، وتتحدث عن الواقع الكوني كما هو، دون تحليل ذهني وعن تجربة، بل هو إعلام من الله تعالى فقط. فقد قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113].

قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 166].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية[1]: «أنزله بعلمه، أي: فيه علمه الذي أراد أن يُطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان، وما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل».

وهكذا يسطع نور الوحي المنزل على سيدنا محمد ﷺ بيّناً، بما نزل فيه من علم إلهي يدركه الناس في كل زمان ومكان متجدداً على مر العصور، ولم يتأتَّ ذلك لسائر النبيين - عليهم السلام -، ولذلك قال ﷺ: «ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أني أكثرهم تابعاً يوم القيامة» [أخرجه البخاري ح10].

وفي القرآن توجد إشارات كثيرة إلى كشوفات علمية سيرفع عنها اللثام في المستقبل، وسوف تبقى ظاهرة متجددة إلى قيام الساعة، وهذه الأنباء موجودة في القرآن، ولكن حقائقها وكيفياتها لا تتجلى إلا بعد حين، قال الله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٧ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ۝٨٨﴾ [ص: 87-88].

قال الفراء - من علماء اللغة - في تفسير الحين: إنه «بعد الموت وقبله .. أي في المستأنف»[2].

وذهب السُّدّي الكبير - من التابعين - إلى هذا المعنى[3].

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره: «إن الله أعلم المشركين المكذبين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين من غير حدٍ منه لذلك الحين بحدٍ... ولا حدّ عند العرب للحين»[4].

وشاء الله أن يجعل لكل نبأ زمناً خاصاً يتحقق فيه هذا النبأ، فإذا تجلى الحدث ماثلاً للعيان أشرقت تلك المعاني التي تدلّ عليها الحروف والألفاظ في القرآن، وفي هذا الباب قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: 67].

ويبقى النبأ الإلهي محيطاً بكل الصور التي يتجدد ظهورها عبر القرون، قال ابن

(1) تفسير ابن كثير - (ج1/ ص589).
(2) تفسير القرطبي - (ج15/ ص231).
(3) البحر المحيط لأبي حيان - (ج7/ ص411).
(4) تفسير الطبري - (ج23/ ص121).

جرير الطبري في تفسيره: «لكل خبر مستقر، يعني قراراً يستقرّ عنده ونهاية ينتهي إليه فيتبين حقُّه وصدقُه من كذبه وباطله»[1].

وقال الطبري أيضاً: «يقول: وسوف تعلمون أيها المكذبون بصحة ما أخبركم به»[2].

وقال ابن كثير في تفسيره: «أي لكل خبر وقوع، ولو بعد حين، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: 88] وقال: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: 38]»[3].

وإلى هذا ذهب كثير من المفسرين[4].

ومن هذا الباب أيضاً قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: 93].

قال أبو حيان في البحر المحيط: «﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: تهديد لأعدائه بما يريهم الله من آياته التي تضطرهم إلى معرفتها والإقرار أنها آيات الله»[5].

وإشارة أخرى من الله عز وجل: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: 37].

قال القرطبي في تفسيره للآية[6]: «والمراد بالآيات ما دل على صدق محمد ﷺ من المعجزات وما جعله له»[7].

---

(1) تفسير الطبري (ج7/ ص147).

(2) تفسير الطبري - (ج7/ ص147).

(3) تفسير ابن كثير - (ج2/ ص143).

(4) تفسير القرطبي - (ج7/ ص11)، فتح القدير للشوكاني - (ج2/ ص128)، تفسير الرازي - (ج7/ ص25، 26)، محاسن التأويل للقاسمي - (ج6/ ص112)، تفسير أبي السعود - (ج7/ ص239)، نظم الدرر للبقاعي - (ج16/ ص435).

(5) البحر المحيط لأبي حيان - (ج7/ ص103).

(6) تفسير القرطبي - (ج11/ ص289).

(7) والدليل على أن هذه الآية تشير إلى الإعجاز العلمي في العلوم الكونية أنها أتت بعد الحديث عن ظواهر كونية كان فهمها ضرباً من الغيب على عهد رسول الله ﷺ، وهي الآن محط أنظار العلماء الكونيين والإسلاميين لإثبات إعجازها، مثل ظاهرة الانفجار الكوني العظيم كما في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: 30]، وأن كل شيء خلق من ماء وفقاً للآية ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30]، وأن الجبال تحفظ الطبقة الأرضية الخارجية من الانزلاق وفقاً للآية ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: 31]، وأن الأرض والقمر يدوران في فلك كما جاء في الآية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33]، ومن الجدير بالذكر أن النص القرآني موجه إلى الكفار، حتى يؤمنوا بعد أن يروا مطابقة الحقائق الكونية لمعاني الآيات القرآنية كما أشارت إلى الآية ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ...﴾ [الأنبياء: 30].

ومن المعجزات التي تتحدث عن المستقبل على سبيل المثال، ما قاله ﷺ عما سيحل بأمته في آخر الزمان في الحديث: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قيل: أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل إنكم يومئذ كثيرون ولكنكم كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت» [أخرجه أبو داود ح11].

ومن الأمثلة المستقبلية أيضاً، ما جاء في القرآن عن كشف أسرار طبيعة الإنسان، والذي سيكشفه العلم في المستقبل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53].

والسين في قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ﴾ للاستقبال، وهي قرينة تدل على أن الفعل المضارع للاستقبال.

والأفق: ما ظهر من نواحي الفلك وأطراف الأرض، وآفاق السماء: نواحيها[1].

قال الشوكاني عند تفسيره الآية: «سنريهم دلالات صدق القرآن، وعلامة كونه من عند الله في الآفاق - أي في النواحي - وفي أنفسهم» ..[2].

ولقد وردت في القرآن الكريم - في عدة مواضع - آيات تؤكد على أن الله يعلم ما يجري في الأرحام، مثل:

- قال العليم الحكيم: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ...﴾ [فاطر: 11].
- قال عز وجل: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: 34].
- قال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ...﴾ [آل عمران: 6].
- قال علام الغيوب: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ...﴾ [الرعد: 8].

---

(1) مقاييس اللغة لابن فارس - (ج1/ص114 - 115)، لسان العرب لابن منظور - مادة «أفق» - (ج1/ص164)، الصحاح للجوهري - (ج4/ص1446)، تاج العروس لمحمد مرتضى - مادة «أفق» - (ج1/ص6)، المفردات للأصفهاني - ص79.

(2) فتح القدير للشوكاني - (ج4/ص523).

● قال جل ذكره: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ . . .﴾ [النجم: 32]

وتعدد إيراد هذه الآيات قد يكون للدلالة على مدى صعوبة كشف الأحداث المنوطة بتخلق الجنين في رحم الأم، وعلى مدى إعجازه، ولم تقتصر الآيات على التشديد على هذا الأمر بل تعدته لتعلن أن الله أعلم من الناس أنفسهم بتخلقهم. فلماذا هذا التأكيد؟: وحدهم علماء الأجنة يستطيعون الإجابة على هذا السؤال؛ وذلك لأن الرحم غير بارز، بل هو واقع في وسط الجسم، ومن الصعب معرفة ما يجري فيه في مراحل تخلق الجنين الأولى إلا بواسطة المجاهر الإلكترونية التي لم تكن موجودة في عصر النبوة. فالجنين الذي يدور الكلام عليه لا يبلغ طوله أكثر من 1 ملم في مراحله الأولى و13 ملم بعد تخلقه ولا مجال لرؤية تفاصيله في الرحم إلا بواسطة تلك المجاهر المتطورة.

إن المعجزات الإخبارية الغيبية أقوى من المعجزات الحسية بالنسبة لعصرنا، ذلك لأن الإنسان يفتقد السيطرة على الأمور غير المرئية، ولا مجال لديه للاطلاع عليها أصلاً، ولذلك كان حقاً على ابن آدم أن يؤمن إذا أبلغ بها.



بدء الخلق

- قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30].
- قال رسول الله ﷺ: «كل شيء خُلق من ماء» [أخرجه أحمد ح12].
- قال الله ﷻ: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ...﴾ [الحج: 5].
- قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض...» [أخرجه الترمذي ح64].
- قال الله علام الغيوب: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: 7].
- قال العليم الحكيم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: 12].
- قال الخالق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: 11].
- قال الواحد الأحد: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26].
- قال الله البارئ المصور: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: 14].
- قال الله العليم الحكيم: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: 17].

وقبل الخوض في موضوع «**تخلّق الجنين في الرحم**»، نود إلقاء نظرة على مسألة بداية الخلق: فمن هذه النقطة ابتدأ خلق الإنسان، ومن هذا الباب خرج الإنسان إلى الوجود، وكان بالتالي أول الأسباب لإيجاد الأجنّة في الأرحام، ومن هذه النقطة نستطيع النظر عن كثب إلى المادة التي خُلقنا منها لكي يصبح الموضوع متكاملاً، واضحاً، مترابطاً فيما بينه.

من الأمور التي لا مجال للنقاش فيها: مسألة خلق سيدنا آدم عليه السلام، فلم يشاهد أحد ذلك ولا يستطيع أحد أن يزعم أن هناك آلة خاصة أو منهجية محددة تخلّق منها الإنسان الأول، وذلك لأن هذا العلم والخلق من اختصاص الله سبحانه وتعالى ومن دلائل قدرته، فهو القائل: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: 51]. ولكن ما نستطيع أن نتعرف عليه هو المادة التي خُلق منها سيدنا آدم عليه السلام: صفاتها، ومستلزماتها لكي تصبح مادة حيّة - أي مادة مكوّنة من خلايا - مهيّئة لتقبّل الروح بإذن من رب العالمين وفق السنن الكونية التي وضعها الله ﷻ.

ولا بد من ركيزة لهذه المعرفة، وهذه الركيزة لا بد من أن تُتلقَّى من رب العالمين؛ فهو الخالق، وهو الأعلم بالمخلوقات التي خلقها، فهو القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14]

هذه الركيزة هي آيات الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم والتي ذكرناها سابقاً.

من هذه الآيات تتوضح لنا عدة أمور:

أولاً: أن من عناصر المادة التي خلق منها سيدنا آدم عليه السلام: **الماء**، كما في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30] وكما في قول رسول الله ﷺ: «كل شيء خُلق من ماء» [أخرجه أحمد ح12].

ثانياً: أن العنصر الثاني الذي كوّنت منه هذه المادة هو: **التراب** كما في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ...﴾ [الحج: 5] وفي قول الرسول - عليه الصلاة والسلام -: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض...» [أخرجه الترمذي ح64].

فإذا اجتمع التراب والماء أصبحا **طيناً**، وهذا ما أكده الله تعالى في قوله: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ...﴾ [السجدة: 7] وكان هذا الطين **رخواً لزجاً**، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: 11]. قال الطبري: «وإنما وصفه باللزوب لأنه تراب مخلوط بماء»(1).

ومن صفات هذا الطين أنه أسود، أو أن صفاته تتغير إلى أن يصبح الطين مائلاً إلى السواد، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26]، جاء في تاج العروس: «حمأ: الحمأة بفتح فسكون: الطين الأسود المتغيّر»(2)، وقال القرطبي: «(الحمأ): الطين الأسود...و(المسنون): المتغيّر»(3).

---

(1) صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني - تفسير سورة الصافات - (ج3/ ص29).

(2) تاج العروس - مادة حمأ - (ج1/ ص140).

(3) تفسير القرطبي (ج10/ ص21). وجاء في تفسير الألوسي - (ج3/ ص21) للآية: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: 259]. «﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي لم يتغير في هذه المدة المتطاولة، وقيل: أصله لم يتسنن ومنه - الحمأ المسنون - أي الطين المتغير ومتى اجتمع ثلاثة حروف متجانسة يقلب أحدها حرف علة كما قالوا في تظننت: تظنيت وفي تقضضت: تقضيت».
وجاء في تفسير أبي السعود - (ج5/ ص239): «﴿وَجَدَهَا﴾ أي الشمس ﴿تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: 86] أي ذات حمأة وهي الطين الأسود، من حمئت البئر إذا كثرت حمأتها..».

ومن صفات هذا الطين أيضاً أنه منتن. عن ابن عباس ومجاهد: أن الحمأ المسنون هو المنتن[1].

جاء في لسان العرب: «و المسنون: **المنتن**»[2].

ومن صفات هذه المادة أنها ليِّنة بحيث نستطيع أن نصْقُلها صقلاً، وأن نلمسها بسهولة لكي نُصوِّرها.

جاء في لسان العرب: «المسنون: **المصقول** من سننته بالمسنِّ سنّاً، إذا مرَّرته على المسن،... والمسنون المصور وقد سننته أسنه إذا صوَّرته، المسنون **المملس**... وسنَّ عليه الماء صبه وقيل أرسله إرسالاً ليِّناً،... والسنُّ الصب في سهولة»[3].

والآن بعد أن سردنا عناصر هذه المادة وصفاتها، نأتي إلى الحديث عن شروط عملية التكوين هذه التي وضعها سبحانه وتعالى.

نستخلص أول شرط من الآية الكريمة التالية: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: 14]، أي خلق أباكم آدم من طين يابس يسمع له صلصلة، أي: صوت[4].

فإذا كان التراب معجوناً بالماء كما أسلفنا القول فكيف يذكر الآن أنه يابس؟. الجواب هو أن هذا الطين تعرض للحرارة حتى جف، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾، فالفخار يستلزم حرارة عالية ليصبح على ما هو عليه[5].

---

(1) تفسير ابن كثير - تفسير سورة الحجر - (ج2/ ص550).

(2) لسان العرب لابن منظور - مادة «سنن» - (ج6/ ص401).

(3) لسان العرب لابن منظور - مادة «سنن» - (ج6/ ص395).

(4) صفوة التفاسير - تفسير سورة الرحمن - (ج3/ ص295).

(5) ومما يشير إلى أن الطين تعرض لحرارة عالية هو ما جاء في تفسير أبي السعود - (ج5/ ص239): «﴿وَجَدَهَا﴾ أي الشمس، ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي ذات حمأة، وهي الطين الأسود من حمئت البئر إذا كثرت حمأتها، وقرئ حامية أي حارة. روي أن معاوية قرأ (حامية) وعنده ابن عباس رضي الله عنهما فقال: (حمئة)، فقال معوية لعبد الله بن عمرو بن العاص: كيف تقرأ؟ قال: كما يقرأ أمير المؤمنين، ثم وجه إلى كعب الأحبار: كيف تجد الشمس تغرب؟ قال: في ماء وطين. وروي في ثأط فوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما، وليس بينهما منافاة قطعية لجواز كون العين جامعة بين الوصفين».

أما الشرط الثاني فيتجلى لنا من الآية: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: 17][1]، قال بعض المفسرين في تفسير هذه الآية: "وأنشأكم من الأرض كما يخرج النبات"[2]: أي أنبتكم من الأرض بالطريقة التي اتُّبعت لإنبات النبات، وبالتالي فإن الطريقة المرموز إليها هي عملية (التمثيل الضوئي PHOTOSYNTHESIS) والله تعالى أعلم، وذلك أن النبات يعتمد خلال نموّه على عملية التمثيل الضوئي بحيث يحول بواسطتها مادة (ثاني أوكسيد الكربون CO_2) ومادة الماء إلى (مواد عضوية ORGANIC COMPOUNDS) (كمادة النشاء STARCH) ومادة الأوكسيجين من خلال مادة لونها أخضر (في الغالب) تسمى (كلوروبلاست CHLOROPLAST) موجودة داخل خلايا نسيج النبات الأخضر مستعيناً بالطاقة الشمسية التي يلتقطها لاقط للضوء لونه أخضر هو الآخر يسمى (الكلوروفيل CHLOROPHYLL) موجود بدوره داخل مادة الكلوروبلاست[3]. والحاصل أن الكلوروفيل يلتقط الطاقة الشمسية ويستعملها لكسر ذرات الماء في النبات إلى أوكسيجين وهايدروجين، فأما الأوكسيجين فيطلقه النبات في الهواء وأما الهايدروجين فيستعمل لتحويل ثاني أوكسيد الكربون الموجود في الهواء إلى نشاء وسكر نباتي[4]. وبالتالي فإن الكلوروفيل يعتبر المولّد للطاقة، والسبب الأول لحصول عملية التمثيل الضوئي ولإيجاد المواد العضوية،

(1) من المهم أن ننوّه إلى أن هذا البحث عامة، والشرط الثاني خاصة غير قطعي، لأننا نعتمد على دلالات الآيات القرآنية والحديثية، وليس هناك علم كوني يقيني يثبت ما أشرنا إليه، فنحن لم نشاهد خلق سيدنا آدم ﷺ، وبالتالي لا نستطيع أن نجزم بالتفسير المشار إليه أعلاه، غير أننا نرجحه لأن الأدلة تعضد بعضها بعضاً، ولا تعارضها المعطيات العلمية.

(2) صفوة التفاسير - تفسير سورة نوح - (ج3 ص 453).

(3) GROLLIER MULTIMEDIA ENCYCLOPEDIA SCIENCES LIFE SCIENCES BOTANY PLANT STRUCTURE AND PHYSIOLOGY CHLOROPHYLL PHOTOSYNTHESIS

(4) قد يعترض بعض القراء أن الإنسان - في عصرنا والعصور التي مضت - لم يكن لديه أجهزة نمو النبات مثل الكلوروفيل والكلوروبلاست، وبالتالي فإن نظرية خلق المادة الحية للإنسان - الخلايا - بواسطة التمثيل الضوئي باطلة. غير أنه نود التذكير أن عدم وجود هذه الأجهزة لدى الإنسان الحالي لا تنفي ابتداء الخلق باستعمال عملية التمثيل الضوئي وذلك أنه لا يشترط أن يحتفظ الإنسان بهذه الأجهزة بعد أن يستغني عنها، فقد تتغير طبيعة المادة التي خلقت بواسطة هذه الأجهزة بعد الفراغ منه دون أن تتغير صورة الإنسان الخارجية. وذلك أن الله تعالى - كما نعلم - قد خلق آدم ﷺ على صورته وفقاً للحديث: «خلق اللهُ آدم على صورته طوله ستّون ذراعاً» [أخرجه البخاري ح107]، أي أنه خلقه على صورته التي وُجد عليها دون أن ينتقل في أطوار تمسّ صورته، بل تؤثر على مادته؛ فلا خلاف لدى العلماء أن مادة سيدنا آدم ﷺ مرت بعدة أحوال إلى أن صارت على ما هي عليه، وبالتالي فقدت تركيبتها الأولى. =

والكلوروبلاست السبب الثاني والعملي لتصنيع البروتين النباتي، وكلاهما أخضر (ما عدا عدداً قليلاً من أنواع الكلوروبلاست). والدليل على أن الآية ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: 17] تشير إلى عملية التمثيل الضوئي هي الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ [الأنعام: 99]. فهذه الآية تتكلم عن نمو النبات على وجه عام، وقد أشارت إلى المادة الخضراء (من خلال إيراد كلمة «خضراً») التي يتخلق منها النبات. والهاء التي جاءت في الجملة: ﴿خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ تعود لكلمة «خضراً» وذلك أن الضمير في اللغة العربية يعود لأقرب مذكور له[1]، ووظيفة كلمة «من» التي جاءت في اللفظ ﴿خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ هي ابتداء الغاية[2]، وبالتالي فإن معنى الآية على النحو التالي: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ **(نخرج بدءاً من هذا الخضر حباً متراكباً. . .)**، وكما رأينا سالفاً فإن المواد العضوية تتخلق بدءاً من المواد الخضراء: الكلوروفيل والكلوروبلاست من خلال عملية التمثيل الضوئي. **(وبالتالي فإن عملية الإنبات التي وردت في الآية رقم 17 من سورة نوح ترتكز على عملية التمثيل الضوئي التي تحصل في «المادة الخضراء» التي ذكرتها آية رقم 99 من سورة الأنعام)** كما أثبته العلم الحديث وكما أشارت إليه الآيات القرآنية. والإشارة إلى هذه المادة هو إعجاز بحد ذاته، لأن هذه المادة الخضراء غير مرئية، حيث إن حجمها يتراوح بين أربعة إلى ستة ميكرون طولاً (والميكرون هو واحد على الألف من المليمتر)، وواحد إلى اثنين ميكرون عرضاً، ولم يكتشفها العلماء إلا في القرن التاسع عشر على يد العالمين (هيوغو فون موهل HUGO VON MOHL) و(جوليوس فان ساش JULIUS VON SACHS). أي بعد حوالي ألف ومائة سنة تقريباً!!!.

نستنتج إذاً أن تكوين وخلق سيدنا آدم عليه السلام استلزم التالي:

1 - الماء.

2 - التراب.

= كذلك لا يشترط أن يكون لدى الإنسان أجهزة شبيهة بأجهزة النباتات ذلك أنه قد تكون عملية التمثيل الضوئي قد حصلت بأجهزة أخرى وأدت إلى نتائج مختلفة عن تلك التي حصلت وتحصل للنباتات، غير أن كيفية وآلية التخلق كاستعمال الطاقة الشمسية لكسر وتركيب ذرات المادة التي تخلق منها سيدنا آدم عليه السلام اتبعت خلال تخلقها، والله تعالى أعلم وأجل وأكرم.

(1) راجع الحاشية رقم 3، ص 137 في مبحث **«اختلاط عروق النطفة»**.

(2) راجع مبحث **«النطفة/ النطفة»**.

3 - كون الطين رخواً لزجاً في بادئ الأمر.

4 - كون الطين قريباً إلى السواد.

5 - كون الطين منتناً.

6 - خضوع الطين للحرارة العالية.

7 - كون الطين ليّناً صالحاً للصقل، وللتصوير.

8 - عملية (التمثيل الضوئي) في عملية تخلّق المادة الحيّة أو الخلايا.

قبل بدء البحث في الشروط التي استخلصناها من الآيات والأحاديث الشريفة التي أسلفنا ذكرها نود أنْ نلفت نظر القارئ إلى آن الإنسان يتغذى ويتكون من خلاصات الطعام، والطعام إما أن يكون من مصدر نباتي أو من مصدر حيواني، والمصدر الحيواني يتغذى ويتكوّن على المصدر النباتي، والنبات ينبت من الأرض، وبالتالي فإن سلالته من طين.

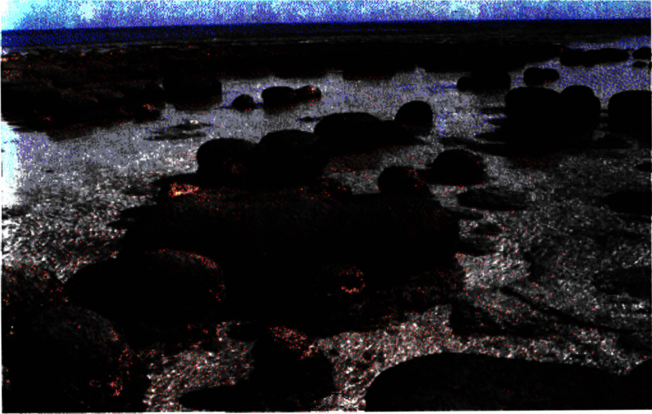
لنر الآن ماذا يقول العلم الحيوي في صدد الشروط التي ذكرناها سابقاً:

يفيد العالم في (علم التبيؤ ECOLOGY SCIENCE) (وهو علم الأحياء الذي يدرس العلاقات بين الكائنات الحية وبيئتها) (دايفد أتامبورو DAVID ATTENBOROUGH): "إنه مما لا شك فيه أن أساس تركيبات البروتينات مثل (الحامض الأميني AMINO ACID) و(الحامض النووي NUCLEIC ACID) والسكريات وغيرها قد تكونت في البحار في بادئ التاريخ"[1] معتمداً على بعض التجارب المخبرية التي أجريت عام 1950م. وهذا ما يؤكد أن كل شيء حي خلق من الماء مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: 30] وذلك لأن تلك الذرات (أي الحامض الأميني وغيره) هي أساس تركيبات الكائنات الحيّة.

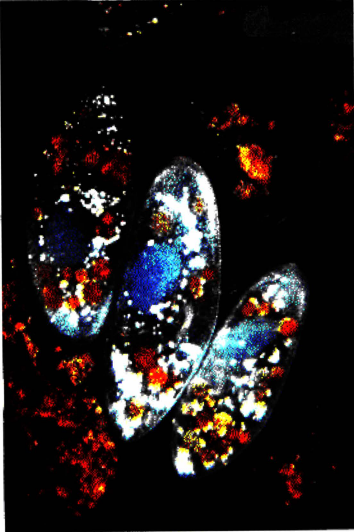
ويفيد عالم التبيؤ دايفد أتامبورو أيضاً أن أبسط صور للكائنات الحية مثل البكتيريا، و(الطحالب الزرقاء والخضراء BLUE - GREEN ALGAE)، و(البرزنوزوا PROTOZOA) الأحادية الخلية تعيش في الماء وتحتاج لعملية (التمثيل الضوئي) لكي تبقى على قيد الحياة. (انظر الصورتين رقم: 14-15)، وهذا ما يؤكد أن الخلايا في المادة الحيّة تعتمد على العملية التي تمتاز بها النباتات خلال تكاثرها، وهكذا نفهم لماذا قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: 17].

---

(1) (كتاب الحياة على الأرض، دايفد أتامبورو LIFE ON EARTH, DAVID ATTENBOROUGH)، ص 19 - 22.



(14) - تكاثر (الطحالب الزرقاء والخضراء Blue-Green Algae) على ساحل في أستراليا يسمى (ساحل كلاب البحر Shark Bay) في منطقة تسمى : (بركة هاملين Hamelin Pool).



(15) - نوع من الحيوان ذات الخلية الواحدة يدعى : (براميسيوم Paramecium) (الصورة مكبرة 400 مرة).

وبما أنه كان من المتعذر علينا مشاهدة حادثة خلق أبينا آدم عليه السلام، فالطريقة الوحيدة التي تتيح لنا أن نتحقق عملياً من النقاط التي أوردناها أعلاه هي إيجاد وسط اصطناعي مخبري يخضع للشروط التي أسلفنا ذكرها، أو النظر إلى وسط طبيعي يمتاز بهذه الشروط لنرى مدى تشابه حصيلة اجتماع تلك المستلزمات بالشروط المرموز إليها في القرآن الكريم.

وبما أنه من المتعذر علينا في عصرنا هذا صناعة خلايا معقدة في وسط مخبري يتصف بالشروط التي أتينا على ذكرها، فقد اخترنا النظر عن كثب إلى وسط طبيعي يتصف إلى حد ما بالشروط التي ذكرناها آنفاً، من غير أن نحدد أو نجزم بالمكان الذي خُلق فيه الإنسان الأول.

يشير العالم دايفد أتامبورو[1] إلى منطقة تقع في الولايات المتحدة تسمى: منطقة (يالوستون YELLOWSTONE) في ولاية (وايومينغ WYOMMING)، يقول: إن هنالك الكثير من البكتيريا التي تتولد في هذه المنطقة البركانية ذات الصخور المائعة - أي الطين - (انظر الصورة رقم: 16). ومن هنا نفهم لماذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: 11].

ويتفجر من هذه الصخور الماء مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: 30]، وهذه المياه ذات حرارة عالية لأنها تنبع وسط أرض بركانية، مما يطابق المعطيات القرآنية في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: 14]، ومن هذه الصخور تفوح رائحة البيض المعفن الناتجة من رائحة الهيدروجين الكبريتي (الذي يتولد من تفاعل الكبريت المعدني مع المياه الجوفية) والتي تعتمد عليه تلك الكائنات الحية في غذائها وتكاثرها، وهذه الصخور لينة بحيث إن لها القابلية على أن تنصقل وتملس «فأكثر أنواع الكبريتيد لينة»[2]، وتلك الصفات تحدثت عنها القرآن في الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26]، أي من طين منتن كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد رحمه الله، وهذا الطين له القابلية على أن ينصقل بسهولة كما جاء في لسان العرب: «المسنون: **المصقول** . . . المسنون: المملّس . . . وسنّ عليه الماء: صبه، وقيل: أرسله إرسالاً ليّناً، والسن:

(1) كتاب الحياة على الأرض، دايفد أتامبورو، ص 20.

(2) GROLIER MULTIMEDIA ENCYCLOPEDIA، 1995، (باب الكبريت المعدني SULFIDES MINERALS).



(16) - تتوالد البكتيريا في منطقة (يالوستون Yellowstone) في أمريكا وهي منطقة بركانية ذات حرارة عالية.

الصب في سهولة»[1]. وهذه الصخور تميل إلى السواد لأنها من مشتقات الكبريت المعدني مما يفسر قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ . . .﴾ [الحجر: 26]، أي من الطين المتغير إلى السواد، «فالكبريتيد يأتي في عدة ألوان حسب صفاته من الشوائب، ولكن الصفرة والسواد المعدني والسخامي (أي القاتم) يغلب عليه»[2].

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «سن» - (ج6/ص398 - 399 - 401).

(2) GROLIER MULTIMEDIA ENCYCLOPEDIA, 1995، (باب الكبريت المعدني SULFIDES MINERALS).

يقول الدكتور محمد علي البار[1]: "ويقول العلم الحديث إن نشأة الحياة كانت من الطين الأسن. طين المستنقعات التي تتصاعد منه الغازات الكريهة الرائحة. وهي غاز (الميثان METHANE) و(غاز كبريتور الهيدروجين H2S) وغاز النشادر (الأمونيا AMMONIA) وترى صورة ضخمة في قاعة المتحف الطبيعي بلندن تصور كيف تجمعت هذه الغازات المنتنة من الحمأ المسنون لتكوّن الأحماض الأمينية ثم كيف تطورت هذه لتكوّن البروتينات وأهمها الحامض النووي الذي به سر الحياة".

ومن هذه النقاط نرى توافق المعطيات العلمية مع المعطيات الدينية على النقاط السبع المنطوية في الآيات القرآنية ألا وهي: الماء، التراب، أن يكون الطين مائعاً، أن يكون التراب قريباً إلى السواد، أن يكون التراب منتناً، أن يخضع التراب للحرارة العالية، وأن تستعمل عملية التمثيل الضوئي في عملية تكاثر الخلايا.



(1) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص 17.

تعريف الأطوار

● قال عزّ وجلّ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: 13-14].

● قال العليم الحكيم: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ...﴾ [الزمر: 6].

إن التخلق الإنساني معقد للغاية؛ وذلك لأن تركيبة الإنسان البيولوجية وصورته تختلف وتتغير مع مرور الوقت، لذلك إذا أراد الإنسان أن يفهم تطور الجنين في رحم أمه، فإن أفضل طريقة لذلك هو أن يقسم تطور الجنين إلى عدة مراحل محددة بأوقات زمنية، ولها مميزات خاصة تدل على ما يطرأ عليها من تغييرات على الجنين.

والطّور لغة: هو الحال أو الهيئة[1].

ومن هذا التفسير نفهم أن الآية السابقة تعني: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (- أي عظمة وجلالاً - وقد خلقكم على هيئات).

وبما أن لفظ طور أتى في صيغة الجمع فقد دل ذلك على أن الهيئات مختلفة.

يؤكد هذا المفهوم الآية الثانية في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ...﴾ [الزمر: 6]، فعبارة «خلقاً من بعد خلق» تنص على أن خلقاً جديداً يضاف إلى خلق آخر قد تم من قبل، أو بعبارة أخرى إلى طور جديد قد حدث.

ولمزيد من التفسير نورد ما جاء في تفسير الألوسي: "وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد، وقوله تعالى: ﴿خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ مصدر مؤكد إن تعلق من بعد بالفعل، وإلا فغير مؤكد، أي: يخلقكم فيها خلقاً مدرجاً حيواناً سوياً، من بعد عظام مكسوة لحماً، من بعد عظام عارية، من بعد مضغة غير مخلقة، من بعد علقة، من بعد نطفة، فقوله سبحانه: ﴿خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ لمجرد التكرير كما يقال مرة بعد مرة لا أنه مخصوص بخلقين.."[2].

وبالفعل سوف يتيقن القارئ عبر قراءته للكتاب أن الجنين يمر بمراحل مختلفة.

---

(1) المعجم الوسيط مادة «طار» - (ج2/ ص569).

(2) تفسير الألوسي - (ج23/ ص241).

ولقد فهم بعض فقهاء الصحابة رضوان الله عليهم المفسرين للقرآن معنى هذه الآيات: جاء في تفسير القرطبي تفسيراً لكلمة «أطواراً»[1]: «قال ابن عباس: أطواراً يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة» وهو يشير بذلك - كما سنراه لاحقاً - إلى مراحل تخلق الجنين التي وردت في الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14].

وورد في تفسير القرطبي تعليقاً على عبارة ﴿خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾[2]: «قال قتادة والسدي: نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم لحماً».

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أول من اكتشف أن تطور الجنين يمر في مراحل هو (أرسطو ARISTOTLE) في القرن الرابع ق.م، من خلال أبحاثه على الدجاج. غير أن هذه الأبحاث لم تكن هامة لسببين:

الأول: أنه لم يعط تفاصيل عنها.

والثاني: أن المراحل الابتدائية للدجاج لا تنطبق على المراحل الأولى للتخلق البشري. وظل بعدها العلم المختص بتقسيم تخلق الجنين إلى أطوار ضعيفة للغاية حتى القرن العشرين. وفي أواسط القرن السابع عشر اكتشف المجهر، وقد أدى هذا التطور إلى اكتشاف الحيوان المنوي، واعتقد العلماء في ذلك الحين أن كل حيوان منوي يحمل كائناً بشرياً في داخله، (كما أشرنا إليه سابقاً في مبحث «**ثقافة العالم القديم والحديث في علم الأجنة**»). وفي عام 1675م ظن العالم مالبيجي - الذي يعتبر أباً لعلم الأجنة الحديث - أن بيضة الدجاج غير المخصبة تتضمن شكلاً مصغراً لدجاجة، على إثر دراسته لبيضة دجاجة غير ملقحة.

إن الصورة التي كانت سائدة لدى سائر العلماء هي أن الحيوان المنوي أو البويضة يحمل كائناً بشرياً دقيق الحجم وأن التخلق الإنساني ليس إلا زيادة في الحجم لصورة واحدة تتسع أبعادها مع مرور الوقت (كما أشرنا إليه سابقاً في مبحث: «**ثقافة العالم القديم والحديث في علم الأجنة**»)، غافلين عن أن تخلق الجنين يمر بمراحل مختلفة، ولم ينته الجدل بين العلماء إلا عام 1775م عندما أثبت (اسبالانزاني SPALLANZANI) أهمية كل من الحيوان والبويضة في عملية التخلق.

---

(1) تفسير القرطبي - (ج18/ ص303).

(2) تفسير القرطبي (ج15/ ص236).

وكانت هذه الحادثة انطلاقة جديدة لمفاهيم تخلق الأغشية الجنينية التي وضع أسسها (فون باير VON BAER) عام 1827م مشيراً إلى مراحل تطور الجنين، بيد أن أول محاولة لوصف مراحل تخلق الجنين ظهرت عام 1914م على يد (مول MOOL) ومن ثمّ ابتدأ وصف المراحل الجنينية يتطور على أيدي العلماء إلى يومنا هذا أمثال (ستريتر STREETER) و(أورايلي OREILLY) وغيرهما. ويرمز علماء الأجنة اليوم إلى مراحل تخلّق الجنين بواسطة أرقام عديدة تجعل تصنيف المراحل معقداً للغاية.

لقد ذكر القرآن الكريم والسنّة المطهرة منذ أربعة عشر قرناً الحقيقة العلمية وهي أن التخلق البشري يتم على مراحل، ولم تكن هذه الحقيقة معروفة للعلماء غير المسلمين حتى منتصف القرن التاسع عشر، وبذلك يكون سيد البشرية، معلم الخلائق - عليه الصلاة والسلام - السبّاق في هذا المجال بما أوحى الله إليه.

وسنتناول في هذا الكتاب كل مرحلة على حدة في مقاطع وضعناها وفق ترتيب حصولها.



المنهجية المتبعة في وصف الأطوار الجنينية

لقد وضع العلماء في بداية محاولاتهم لوصف تخلق الجنين حرفاً أبجدياً لوصف كل مرحلة من المراحل التي يمر بها الجنين، ثم غيّرت الحروف إلى أرقام، إلا أن هذه الحروف والأرقام لم تحمل مفهوماً وصفياً مميزاً لمرحلة دون أخرى.

ومن ثم حاول العلماء وضع تسميات مناسبة لكل مرحلة، غير أنهم ما زالوا يجدون صعوبة في اختيار تسميات مناسبة لوصف الملامح الأساسية لكل مرحلة.

والتسميات المستعملة حالياً لوصف هذه المراحل لا تبرز الصفات المميزة للجنين في كل مرحلة، وقد يستعمل الترقيم التعددي لذلك، دون إشارة إلى أي وصف.

من هذا المنطلق ينبغي استعمال مصطلحات متطورة أكثر من التي استعملت من قبل العلماء تُبرز صفات الجنين، ويجب أن يكون هناك توافق تامّ بين التسمية وبين طبيعة التطور والأحوال التي يمر بها الجنين في هذه المرحلة، ولكي نتجنب الالتباس بين مرحلة وأخرى يجب أن يكون المصطلح واصفاً للمظهر، وأن يعكس العمليات التي تحدث في كل طور وأن يحدد بداية ونهاية واضحة لكل مرحلة.

لذلك كانت المصطلحات الواردة في القرآن والسنة تتميز بالبساطة والشمولية، كما أنها تتصف بالإيجاز وكثافة المعلومات التي تلقيها على المستمع، إضافة إلى انسجامها مع علم الأجنة الحالي، وهي مع ذلك معبرة عن التغيرات الداخلية التي تطرأ على الجنين، وعن الأوصاف الخارجية معاً.

أما البساطة فهي مشار إليها في الآية التالية: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: 17]، والتيسير هو جعل المعنى بسيطاً قريباً إلى أذهان مختلف طبقات الناس.

وأما الشمولية وغزارة المعلومات مع الإيجاز وكثرة المعاني في التعبير فقد أشار إليها الرسول ﷺ بقوله: "بُعثتُ بجوامع الكلم" [أخرجه البخاري ح13]، وجوامع الكلم هو جمع أكثر من معنى في كلمة واحدة.

ورد في "فتح الباري بشرح صحيح البخاري"[1]: "وجوامع الكلم: القرآن فإنه

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري - كتاب الجهاد - باب قول النبي ﷺ: "نصرت بالرعب مسيرة شهر" رقم الحديث 2977 (ج6/ص128). وانظر تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للمباركفوري كتاب السير - باب ما جاء في الغنيمة رقم 1553 (ج5/ص119).

تقع فيه المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وكذلك يقع في الأحاديث النبوية الكثير من ذلك».

وجاء في صحيح مسلم بشرح النووي[1]: «(أعطيت جوامع الكلم) وفي الرواية الأخرى (بعثت بجوامع الكلم) قال الهروي: يعني به القرآن، جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة، وكلامه ﷺ كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني».

وكذلك قيل في شرح سنن النسائي للسيوطي والسندي[2].

وورد في عون المعبود شرح سنن أبي داود[3]: «(يستحب الجوامع من الدعاء): أي الجامعة لخير الدنيا والآخرة، وهي ما كان لفظه قليلاً، ومعناه كثيراً».

وأفضل ما يقال في هذا المجال - بعد كلام رسول الله ﷺ -: اللفظ قائم، والمعاني مختلفة، تدور حوله.

نستنتج من التعليقات التي وردت في كتب شروح الحديث والتي سردناها آنفاً أن كلام الرسول ﷺ يحتوي على الكثير والعديد من المعاني، وهذه القاعدة تطبق أيضاً على كلام الله تعالى. وهذا المنهج يفتح الباب على مصراعيه لوصف مراحل تطور الجنين وإلقاء الضوء على التغيرات والعمليات التي تطرأ عليه من عدة أوجه بعبارات وجيزة، وهكذا فإن المنهجية في وصف الأطوار الجنينية تقتضي البحث عن معاني كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ في الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، وتخريج الأوجه الخفية منها بشرط أن لا تتعارض فيما بينها، وأن تكون منضبطة ضمن قواعد اللغة العربية، وأن تتفق مع العلم الديني والدنيوي.

ونحن نقترح - خدمة للإنسانية جمعاء على وجه العموم، وللطب على وجه الخصوص - «قرأنة» المصطلحات التي تشير إلى مختلف المراحل الجنينية لأن كلمات القرآن الكريم، والحديث الشريف شاملة وأيسر من التي وضعها علماء الأجنة (وانظر في آخر الكتاب جدول «**قرأنة مصطلحات المراحل الجنينية**»).

---

(1) صحيح مسلم شرح النووي - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب ابتناء مسجد النبي ﷺ - رقم الحديث 6 (ج3/ ص10).

(2) شرح سنن النسائي للسيوطي وحاشية السندي - كتاب الجهاد - باب وجوب الجهاد - (ج6/ ص3).

(3) عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب - كتاب الصلاة - باب الدعاء - رقم الحديث 1469 - (ج4/ ص355).

الماء والمني

أ - نبذة علمية عن إفرازات الرجل والمرأة:

لكي لا يلتبس الموضوع على القارئ نريد في البداية أن نوضح ما يلي قبل الاستفاضة في الشرح:

للرجل نوعان من السوائل من حيث آلية الإفراز من العضو التناسلي:

أولها: سائل شفاف يسيل من العضو التناسلي للرجل، وليس له علاقة في تكوين الجنين، ومهمته تنظيف القناة البولية عند الرجل قبل خروج سائل ثانٍ (المذكور فيما يلي)، وهذا السائل يخرج عند شهوة الرجل.

ثانيها: سائل متدفق يخرج من العضو التناسلي للرجل، وقَدْر هذا السائل حواليْ ثلاثة ونصف من المللتر وهذا السائل يحتوي على الحيوانات المنوية التي هي سبب لتخلق الجنين لأنها تلقح بويضة المرأة، وهذا السائل يخرج عند اشتداد شهوة الرجل.

وللمرأة نوعان من السوائل من حيث آلية الإفراز من العضو التناسلي:

أولها: سائل لزج يسيل ولا يتدفق وهو ماء المهبل . . . وليس له علاقة في تكوين الجنين، ومهمته المساعدة في الإيلاج - أي في إدخال إحليل الرجل في مهبل المرأة -، وفي ترطيب المهبل وتنظيفه من الجراثيم والميكروبات، وهذا السائل يخرج عند شهوة المرأة.

ثانيها: سائل متدفق يخرج من المبيض مع كل بويضة، وقَدّر هذا السائل عشرة إلى خمسة عشر مللیتر، وهذا السائل يحتوي على البويضة التي هي سبب لتخلق الجنين لأنها تجتمع مع الحيوان المنوي، وهو يخرج مرّة كل شهر.

ب - التعريف القرآني واللغوي للماء والمني:

المني: ورد في لسان العرب[1]: «مني: المنى بالياء: القدر».

وجاء أيضاً في نفس الكتاب: «(قال) أبو بكر: تمنيتُ الشيء أي قدّرْتُه وأحببْتُ أن يصير إليّ، من المنى وهو القدر. . .».

---

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «مني» (ج13/ ص202).

وجاء أيضاً: «يقال منى الرجل وأمنى من المنيّ بمعنىً، واستمنى أي استدعى خروج المني»[1].

إذاً فأصل كلمة مني هو القدر، والمني سمّي منيّاً لأن الإنسان يُقدّر نزوله، ويتمنّى حصول الشهوة بنزوله.

ومن الجدير بالذكر أن لفظ «منيّ» لفظ خاص، لأنه وُضع للسائل الذي يخرج بشهوة الإنسان.

واللفظ الخاص هو اللفظ الموضوع وضعاً واحداً لكثير محصور، أو لواحد سواء أكان شخصياً، أم نوعياً، أم جنسياً[2].

وبالتالي فدلالته على معناه دلالة قطعية، وهذا يعني أن لفظ "مني" يدل فقط على المعنى الذي أوردناه سابقاً ولا يصرف عن معناه الذي وضع له إلى غيره إلا بدليل يدل على ذلك.

وهكذا فإن لفظ "مني" لا يصح أن نصرفه إلا للسائل الذي يخرج من خلال شهوة الإنسان.

الماء: الماء هو - كما جاء في القرآن الكريم - السائل الذي يتخلق منه الجنين كما في الآية: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: 5-7].

ومن الجدير بالذكر أن لفظ "ماء" من أسماء الأجناس التي تدل على ماهية الشيء، وهو بالتالي من ألفاظ العموم.

واللفظ العام هو اللفظ الدال على كثيرين، المستغرق لما يصلح له، بحسب وضع واحد، دفعة واحدة من غير حصر[3].

---

(1) غريب الحديث - ج1/ ص667: «التمني: يتصرف على ثلاثة أوجه: أحدها أن يقال: **تمنى الرجل بمعنى قدّر وأحبّ**، وهو مأخوذ من المني وهو القدر. يقال: منى الله لك ما تحب مني، أي قدّر لك. ومنه قوله: ﴿من نطفة إذا تمنى﴾ [النجم: 46] أي تقدّر».

(2) كتاب أصول الفقه الإسلامي، د. إبراهيم السلقيني، الفصل الخامس، التقسيم الرابع باعتبار وضع اللفظ للمعنى، المبحث الثاني: العام، ص 291 - 293. **واللفظ الخاص الذي أشرنا إليه هنا هو بالمعنى الاصطلاحي لا بالمعنى الأصولي**.

(3) كتاب أصول الفقه الإسلامي، د. إبراهيم السلقيني، الفصل الخامس: التقسيم الرابع باعتبار وضع اللفظ للمعنى، المبحث الثاني: العام، ص 279 - 280.

وهذا يعني أن اسم الجنس إذا عُرِّف بأل التعريف، فيشمل ويتناول ما وضع له من أفراد مفهومه.

وهكذا فإن لفظ «الماء» قد يطلق على أي نوع من السوائل، سواء أكانت تسبب التخلق أم لا، وهو بذلك قد يدل على المني أو على أي سائل آخر في الرحم.

ج - مطابقة بين المعطيات العلمية والتعريف القرآني واللغوي للماء والمني[1]

سائل المبيض: هو السائل الذي يخرج من المبيض والذي يحتوي على البويضة ويتخلق منه الجنين، ولذلك يسمى ماء على وجه التحديد في مجال علم الأجنة وفقاً لما جاء في القرآن.

إن السائل الذي يخرج من المبيض لا يخرج عند شهوة المرأة، ولكن يخرج في أوقات محددة في الشهر، ولذلك فلا يصح أن يسمى منياً، للدليل الذي سقناه سابقاً في نص «التعريف القرآني واللغوي للماء والمني».

وهكذا، فإن هذا السائل يسمى ماءً فقط.

سائل المهبل: هو السائل الذي يخرج من المهبل تقذّر المرأة نزوله، وتتمنى حصول الشهوة بنزوله، ولذلك يسمى منياً وفقاً للمعنى اللغوي الذي أوردناه سابقاً.

إن السائل الذي يخرج من المهبل لا يتخلق منه الجنين، غير أنه في نهاية الأمر سائل من السوائل، وبالتالي فقد يُشار إليه بالماء على اللفظ العام، كما أشرنا إليه سابقاً في نص «التعريف القرآني واللغوي للماء والمني».

وهكذا، فإن هذا السائل يسمى منياً على اللفظ الخاص، وماءً على اللفظ العام.

سائل الرجل: هو السائل الذي يخرج من إحليل الرجل يحتوي على الحيوانات المنوية ويتخلق منه الجنين، وبالتالي يسمى ماءً على وجه التحديد في مجال علم الأجنة وفقاً لما جاء في القرآن.

إن السائل الذي يخرج من إحليل الرجل يقذّر الرجل نزوله، ويتمنى حصول الشهوة بنزوله، ولذلك يسمى منياً على وجه التحديد وفقاً للمعنى اللغوي الذي أوردناه سابقاً.

(1) للمزيد من التفصيل عن الماء والمني يرجو مراجعة مبحث «**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة**»، قسم «دور النطفة في تحديد جنس الجنين».

وهكذا فإن هذا السائل يسمى منياً وماءً على وجه التحديد في الوقت نفسه.

أما الماء الذي يسيل من إحليل الرجل عند شهوته قبل خروج المني، والذي لا يحتوي على الحيوانات المنوية، فليس له أثر يُذكر على عملية تخلق الجنين، ولذلك لن نتحدث عنه في هذا البحث، ونظراً لدقة الألفاظ، سمّته الشريعة الإسلامية المذي للتفريق بينه وبين المني للحديث: عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: اسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْمَذْيِ مِنْ أَجْلِ فَاطِمَةَ فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «مِنْهُ الْوُضُوءُ» [أخرجه مسلم ح102].

وفي كلمة مختصرة: فإن سائل المهبل يسمّى منياً فقط، وسائل المبيض يسمّى ماءً فقط، وسائل الرجل الذي يخرج عند الجماع يسمّى منياً أو ماءً، وسائل الرجل الذي يخرج عند الشهوة قبل القذف يسمّى مذياً فقط.

د - النقاط الثمانية حول الماء والمني:

الآيات والأحاديث التي جاءت في هذا المجال هي:

● قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾ [الطارق: ٥-٧].

● قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: 172].

● قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً...﴾ [النساء: 1].

● قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ...﴾ [الحجرات: 13].

● عن أم سلمة رضي الله عنها: جاءت أمّ سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غُسلٍ إذا هي احتلمت؟ فقال النبي ﷺ: «إذا رأت الماء» فغطت أم سلمة - تعني وجهها - وقالت: أوتحتلم المرأة؟ فقال: «تربت يمينك فبم يُشبهها ولدها؟» [أخرجه البخاري ح130].

● عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ... قال رسول الله ﷺ: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منيُ الرجل منيَ المرأة أذكرا بإذن الله وإذا علا منيُ المرأة منيَ الرجل آنثا بإذن الله» [أخرجه مسلم ح9].

● قال رسول الله ﷺ: «ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما سبق كان الشبه» [أخرجه النسائي ح67].

من خلال الآيات الحكيمة والأحاديث الشريفة السابقة الذكر يمكن أن نستنتج ثمانية نقاط:

● النقطة الأولى: أن للمرأة منياً كما أن للرجل منياً.

● النقطة الثانية: أن لمنيّ الرجل ومنيّ المرأة دوراً في إتمام تسهيل عملية إذكار أو إيناث الجنين.

● النقطة الثالثة: أن كلاً من ماء الرجل وماء المرأة يشارك في تخلق وإذكار أو إيناث الجنين.

● النقطة الرابعة: أن لماء المرأة ولماء الرجل دوراً في شبه الجنين بأمه أو بأبيه.

● النقطة الخامسة: أن هذا الماء متدفق - أي يخرج بقوة وبسرعة مع ضغط -.

● النقطة السادسة: أن هذا الماء ليس متدفقاً فحسب بل هو دافق - أي يملك قوة دفع ذاتية -.

● النقطة السابعة: أن مكونات هذا الماء تخرج من الظَهر وتحديداً من مكان موجود ما بين الصلب والترائب.

● النقطة الثامنة: أن ماء المرأة أصفر.

تفسير النقطة الأولى (أن للمرأة منياً كما للرجل مني):

● الحديث الأول: عن أم سلمة جاءت أم سليم ﷺ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال النبي ﷺ: «إذا رأت الماء»، فغطت أم سلمة - تعني وجهها - وقالت: أوتحتلم المرأة؟ فقال: "تربت يمينك فبم يُشبهها ولدها" [أخرجه البخاري ح١٣٠].

● الحديث الثاني: عن أم سليم ﷺ قالت: إنها مجاورةُ أم سلمة ﷺ زوج النبي ﷺ، فكانت تدخل عليها، فدخل النبي ﷺ، فقالت أم سليم: يا رسول الله أرأيت إذا رأت المرأة أن زوجها يجامعها في المنام أتغتسل؟ فقالت أم سلمة: تربت يداك يا أم سليم فضحت النساء عند رسول الله ﷺ، فقالت أم سليم: إن الله لا يستحيي من الحق وإنا أن نسأل النبي ﷺ عما أشكل علينا خير من أن نكون منه على

عمياء، فقال النبي ﷺ لأم سلمة: «بل أنت تربت يداك، نعم يا أم سليم عليها الغسل إذا وجدت الماء»، فقالت أم سلمة: يا رسول الله، وهل للمرأة ماء؟!، فقال النبي ﷺ: «فأنى يُشبهها ولدها؟ هن شقائق الرجال» [أخرجه أحمد ح77].

يؤكد الحديث الأول أن المرأة تحتلم.

والاحتلام في نظر الصحابيات - رضي الله عنهن - هو ورود الشهوة خلال النوم، والدليل على ذلك أن أم سليم قالت - على سبيل الإيضاح - بخصوص موضوع الاحتلام، في الحديث الثاني: «إذا رأت المرأة أن زوجها يجامعها في المنام» [أخرجه أحمد ح77].

ويصاحب الاحتلام في أغلب الأحيان، خروج ماء عند المرأة (غير مخاطية عنق الرّحم).

هذا الماء في نظر الشرع الإسلامي هو المني.

جاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري[1]: «قوله: إذا رأت الماء: أي المني بعد الاستيقاظ...».

وكما أشرنا إليه في نص «التعريف القرآني واللغوي للماء والمني» الذي أوردناه سابقاً[2]، فلفظ الماء هو لفظ عام. وقد يشير إلى أي سائل يفرزه الرحم، فلا يوجد بذلك تعارض بين دلالة لفظ الماء الظاهر في الحديث وبين تفسير العلماء على أنه المني.

إن معرفة الصحابيات بالاحتلام لا يعني أنهن يعلمن أن للمرأة منياً يخرج عند الاحتلام؛ فأم سلمة رضي الله عنها كانت على شك من أمرها لأنها قالت: «يا رسول الله، وهل للمرأة ماء؟!» [أخرجه أحمد ح77].

هذه الحادثة تدل على قلّة المعرفة التي كانت سائدة في أوساط الجزيرة العربية في هذا الجانب العلمي - «مجال الإفرازات المهبلية» -، كما أنه إشارة إلى كون الرسول ﷺ معلماً لأمته في مجال علم الأرحام، مصداقاً للحديث الشريف: «إنما بُعثت معلّماً» [أخرجه ابن ماجه ح78].

فجاء الرسول ﷺ، وأكد أن المرأة تفرز منياً قياساً على ما يُفرز ولدها من مني، بقوله ﷺ: «فأنى يُشبهها ولدها، هن شقائق الرجال» [أخرجه أحمد ح77].

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري - كتاب الغسل - باب إذا احتلمت المرأة - رقم الحديث 282 - (ج1/ ص389).

(2) انظر ص 76.

فشبه المرأة بولدها هو أنها تُفرز ماءً كما يُفرز ولدها ماءً لأنها من نفس الجنس.

جاء في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي عن معنى "الشقائق"[1]: «قال ابن الأثير: أي نظائرهم وأمثالهم، كأنهن شُققن منهم، ولأن حواء خُلقت من آدم عليه السلام».

وجاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري[2]: (وقد روى أحمد من حديث أم سليم رضي الله عنها في هذه القصة أن أم سلمة رضي الله عنها قالت: "يا رسول الله وهل للمرأة ماء؟!، فقال: هن شقائق الرجال"، وروى عبد الرزاق الصنعاني في هذه القصة «إذا رأت إحداكن الماء كما يراه الرجل»، وروى أحمد من حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها في نحو هذه القصة: "ليس عليها غسل حتى تُنزل كما ينزل الرجل).

ونود الإشارة هنا إلى أن خروج المني عند الاحتلام غير واضح للمرأة، وذلك لأن هناك سوائل أخرى تخرج من رحم المرأة، ولا سيما ما يسمى بالطُهر (والمخاط عند وقت الإباضة)، غير أن ما يميِّز المني هو كثرته (وتركيبته الكيميائية)، ولذلك قال الرسول ﷺ: "إذا رأت الماء" [أخرجه البخاري ح14]، فلا بد أن يخرج هذا السائل بكثرة ليكون بيّناً وتراه المرأة بعد سيلانه.

ورد في شرح سنن ابن ماجه للسندي[3]: «أثبت أنها يمكن أن تحتلم، إذ خروجه ممكن إذا كثر وأفاض".

وهذه نظرة دقيقة للأمور بفتح من الله عز وجل على رسوله الكريم ﷺ.

وهكذا أكد الرسول ﷺ أن للمرأة منياً.

وقد ثبت علمياً، أن الطُهر يختلف عن المني بشيئين: أولاً بكميته، وثانياً بنسب التركيز في عناصر السوائل التي تؤلفه.

فخلال الجماع يُفرز حائطُ المهبل (الغشاء المخاطيّ TRANSUDATE)، ويحتقن عنق الرحم بالأوردة، ويخرج من الغدد - خصوصاً (غدد سكن

(1) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري - أبواب الطهارة - باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللاً، ولا يذكر احتلاماً - رقم الحديث 113 - (ج1/ ص326).

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري - كتاب الغسل باب إذا احتلمت المرأة - رقم الحديث 282 - (ج1/ ص389).

(3) شرح سنن ابن ماجه للسندي، كتاب الطهارة وسننها - أبواب التيمم - باب المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل - (ج1/ ص108).

(SKENE GLANDS) و(غدد بارثولين BARTHOLIN GLANDS)[1] - إفرازات بكمية كبيرة، وبذلك فإن مني المرأة مُكوّن من عدة سوائل على غرار مني الرجل المكوّن - هو أيضاً - من عدة سوائل ولا سيما إفراز (البربخ EPIDIDYMIS)، و(الحويصلة المنوية SEMINAL VESICLE)، و(غدد البروستاتا - الموثة - PROSTATE GLANDS)، وغدد صغيرة تقع حول مجرى البول تدعى (غدد كوبر COWPER GLANDS).

التمييز بين ماء المبيض والمني عند المرأة:

● قال رسول الله ﷺ: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر. فإذا اجتمعا فعلا منيُّ الرجل منيّ المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة منيّ الرجل آنثا بإذن الله» [أخرجه مسلم ح9].

إن هذا الحديث يحتاج فهمه إلى دقة علمية ولغوية لكي يُفسّر على الوجه الصحيح؛ فالاكتشافات العلمية والمفردات التي ينتقيها الرسول - عليه الصلاة والسلام - ثم صياغة الحديث، هي التي تضع الأسس الواجب انتهاجها عند البحث عن الحقيقة.

وكما أسلفنا القول فإن للمرأة نوعين من السوائل من حيث آلية الإفراز:

- سائل يتدفق من المبيض ويحتوي على البويضة، وهو السبب في تخلّق الجنين.

- وسائل تفرزه المرأة عند الجماع وعند الشهوة، وهذا السائل ليس له دور في تخلّق الجنين.

وتختلف وظيفة هذين السائلين، وذلك تبعا لاختلاف خصائص كل منهما، واختلاف تركيبتهما الكيميائية.

ولذلك، فقد فرّق الرسول ﷺ بين هذين السائلين، في حديثه الشريف المتعلق بعملية إذكار أو إيناث الجنين.

والتفريق يحصل من خلال صياغة الحديث، وانتقاء المفردات الملائمة لكل سائل.

والتفريق بين السائلين يتمّ من خلال استعمال كلمتين مختلفتين (ماء) و(مني)

---

(1) هذه الغدد تقع في الجهة الخلفية من الفرج، على جانبي (الدهليز VESTIBULE)، وللغدة قناة طولها 25 ملم، تفتح في الفرج داخل الشفرين الصغيرين.

لهما دلالات مختلفة في حديث واحد، حيث تعود كلمة (ماء) لسائل المبيض، وتعود كلمة (مني) لسائل عنق الرحم[1].

والتفريق يتمّ من خلال ذكر عمليتي اختلاط متعاقبتين (علا) و(أذكرا) أو(آنثا) لسائلين مختلفين (مني) و(ماء)، وذلك إن أحسنا فهم الحديث على أنه لا يشير إلى عملية اختلاط واحدة لسائل واحد (على عكس ما فهمه الكثير من العلماء). وإن أصبنا في إعادة ألف التثنية لكلمة (اجتمعا) وألفي التثنية لكلمتي (أذكرا) و(آنثا) للفاعلين المناسبين. فكثير من العلماء لم يفرّقوا بين كلمة (ماء) وكلمة (مني)، واعتبروهما سائلاً واحداً. وبالتالي فهموا أن ماء الرجل وماء المرأة (أو مني الرجل ومني المرأة - حيث لا فرق عندهم بين الكلمتين -) يختلطان، فيعلو الواحد الآخر، فينتج عن ذلك إذكار أو إيناث الجنين.

وهذا خطأ لعدّة أسباب: أن ماء المرأة مختلف عن مني المرأة، ولا يختلط ماء المرأة بماء الرجل في بادئ الأمر. وإنما يختلط في البداية مني المرأة بمني الرجل، ومن ثم يختلط ماء الرجل (بالمعنى الخاص) بماء المرأة، فينتج عن ذلك إذكار أو إيناث الجنين.

وتفصيل ذلك فقهياً وعلمياً:

بداية سوف نتحدث عن ألف التثنية لفعل «اجتمعا» الذي ورد في الحديث الذي أسلفنا ذكره.

إن ألف التثنية هذه قد تعود إلى الرجل والمرأة كما قد تعود لماء الرجل وماء المرأة وقد ورد ذكر كل منهما في الحديث.

إن الماء الذي يخرج من المبيض يتبعثر في (التجويف البطني PERITONEAL CAVITY)، وما يصل منه إلى (قناة فالوب FALLOPIAN TUBE) يختلط بالسائل الذي يغطيها، وبالسوائل الأخرى التي تفرزها غدد رحمية موجودة في الرحم مثل (لبن الرحم UTERINE MILK)[2]. وبالتالي ما يخرج من عنق المهبل، في حال خرج منه، تخف خصائصه وتضعف قبل أن تتفاعل مع مني الرجل وبذلك لا يكون هذا السائل مميزاً عن غيره من السوائل، وهذا يعني أنه بعيد عن ماء الرجل الذي يقع في مهبل المرأة، فلا مجال إذاً للاختلاط مباشرة به فور جماع الرجل لامرأته.

(1) إن الماء والمني اللذين نتكلم عنهما في هذه الحالة يعودان للمرأة، كما سبق بيانه.

(2) كتاب (علم الأجنة الإنساني، بويد وموسمان، هاملتون HUMAN EMBRYOLOGY, BOYD AND MOSSMAN, HAMILTON)، ص 85.

ومن هذا الشرح نفهم أن ألف التثنية لفعل «اجتمعا» تعود للرجل والمرأة وليس لماء الرجل ولماء المرأة وذلك لأن ماء المبيض وماء الرجل لا يجتمعان في بادئ الأمر.

هذا المفهوم يؤيده الحديث التالي الذي سنأتي على تفسيره في مبحث «**اختلاط عروق النطفة**» وهو «إذا أراد الله تعالى أن يخلق النسمة فجامع الرجل المرأة...» [**رواه الطبراني ح21**]، ففي هذا الحديث يظهر جلياً أن فعل «جامع» يعود للرجل والمرأة فقط لأنه لا يوجد ذكر لأي من السوائل فيما قبل، والحديث يفسّر بعضه بعضاً.

أما الماء الثاني الذي يفرز من قبل المرأة عند الجماع فهذا يُفرز من (عنق الرحم CERVIX) ومن غدد أخرى مثل: (غدد بارثولين) و(غدد سكن) وهو يختلط (أو يجتمع) بماء الرجل في المهبل فور الجماع كما جاء في الحديث الشريف أعلاه: «... فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة...» [**أخرجه مسلم ح9**].

لذا نجد أنفسنا أمام نوعين من السوائل يتحدث عنهما الرسول ﷺ، أحدهما يختلط بعضه ببعض أولاً بأول، عند الجماع، ويسمى «منياً»، والثاني لا يختلط بعضه ببعض في بادئ الأمر، فور الجماع، ويسمى ماءً.

أما ألف التثنية لفعلي (أذكرا) و(آنثا) فتعود لماء الرجل وماء المرأة (كما سنراه في تفسير النقطة الثالثة)، حيث يشتركان معاً في إذكار أو إيناث الجنين، وبالتالي فإن الحديث ينص أن هناك جماع الرجل للمرأة، ومن ثمّ علو مني الرجل لمني المرأة (أو العكس)، ومن ثمّ إذكار أو إيناث الجنين من جراء اختلاط ماء الرجل بماء المرأة.

ويظهر بالتالي فكّ الإشكال سابقاً من أن ألف التثنية في (اجتمعا) تعود للرجل والمرأة بذاتهما، وألف التثنية في (أذكرا، آنثا) تعود إلى مائهما[1].

---

(1) لفك الإشكال الذي نتج في الحديث رقم 9، لا بد من الاستعانة بقواعد اللغة العربية، والارتكاز على دلالاتها، وما توصل إليه العلم الكوني في هذا المجال حتى يستقر المعنى على نحو سليم ومنضبط. فهذا الحديث جاء في مجال تحدّي رسول الله ﷺ لليهودي في نبوته، وبالتالي ناسب إظهار أقصى درجات الإعجاز البلاغي في الكلام النبوي الشريف إلى جانب الإعجاز العلمي لإثبات نبوة الرسول ﷺ عبر استعمال عدّة أدوات بيانية في آن واحد تؤدي مجتمعة إلى إيصال المعنى المراد بطريقة موجزة ومكثفة، يعجز الجن والإنس عن الإتيان بمثلها:

في الحديث استعمال «الكناية» (وهو ضرب من المجاز، انظر مبحث «**الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والأسس التي يرتكز عليها، باب: قولنا: معان... صريحة في دلالاتها**»).

وتتمثل الكناية هنا باستعمال فعل (اجتمعا) كناية عن الجماع والممارسة الجنسية، تماماً كما أن لمس

الرجل للمرأة في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: 43]. كناية عن جماع الرجل للمرأة بالاتفاق عند علماء الحنفية، حيث أن الاجتماع والتماس بين الجنسين هو لغرض الجماع.

تنبيه: الكناية في فعل (اجتمعا) ليس فيها الإعجاز، وليست هي عين الإعجاز، ولكن الإعجاز في كيفية الإذكار والإيناث التي لا تتعلق بمجرد اجتماع الجنسين، وإنما جاءت هذه الكناية عرضاً ضمن سياق الكلام. فليست من قبيل هذا الإعجاز الذي نتكلم عنه (راجع مبحث «**الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والأسس التي يرتكز عليها، باب: قولنا: معان... صريحة في دلالاتها**» للوقوف على تعليقنا عن الكناية)، وإنما هي أداة لإظهار الإعجاز الموجود في الحديث، وبالتالي فهي لا تؤثر على مصداقية الإعجاز المعتبر.

وفي الحديث استعمال «الاستخدام»، وهو فن بديعي تعرفه العرب، وتعريفه: «أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما، ثم بضميره معناه الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أحدهما، وبالآخر الآخر» (بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، لعبد المتعال الصعيدي، ج4/ ص33).

ويتمثل الاستخدام بأن ألف التثنية في فعل (اجتمعا) تعود إلى الرجل والمرأة ذاتهما على ما سلف أنه كناية عن الجماع، على حين أن ألفي التثنية في (أذكرا) و(آنثا) تعودان إلى ماء الرجل وماء المرأة على جهة الاستخدام.

ويبان وقوعه في الحديث أنه أراد بألف التثنية الرجل والمرأة في فعل (اجتمعا)، ثم أراد بألف التثنية الأخرى في (أذكرا) و(آنثا) المعنى الآخر الذي له صلة ماسة بمجتمع الرجل والمرأة، وهو مني الرجل ومني المرأة.

وفي الحديث «التدرج من العام إلى الخاص»، حيث انتقل من خلال هذا الأسلوب من الفعل العام الذي كني به عن الجماع في قوله (اجتمعا) إلى الفعل الخاص وهو اختلاط (ماء) الرجل (بماء) المرأة، وهذا يندرج تحت باب «الإطناب من علم المعاني»، ضمن مبحث «الإيضاح بعد الإبهام».

وفي الحديث استعمال «اللف والنشر»، وتعريفه: «ذكر متعدد على جهة التفصيل والإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرده إليه» (انظر «التلخيص لعلوم المفتاح»، (ج4/ ص34)، ضمن «بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح». وانظر «عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح» لبهاء الدين السبكي، (ج4/ ص347). وانظر «الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم» لابن عربشاه، (ج1/ ص400)، وانظر «المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم» للتفتازاني، ص654).

ويتمثل اللف والنشر هنا بذكر جميع أعضاء الموضوع المراد تفصيله على سبيل اللف، وهي جنسا بني آدم، وجنس الماء، ثم تفصيل ما لكل من الجنسين من أدوار على سبيل النشر، حيث أعاد فعل الاجتماع (أي الجماع) للرجل والمرأة، ومن ثم الإذكار والإيناث لماء الرجل وماء المرأة.

ومما يجدر ذكره هنا أن المني عند المرأة يطلق عليه اسم الماء، وذلك لأنه في نهاية الأمر سائل من السوائل كما أوضحنا سابقاً. أما ماء البويضة فلا يسمى منياً، وذلك لأنه لا يخرج عند الشهوة، ولكن يخرج في وقت محدد من كل شهر (وهو اليوم الذي يأتي قبل أربعة عشر يوماً من أول يوم للحيض المقبل) ولذلك ذكر الرسول ﷺ في حديث أم سلمة الماء وإن كان الحديث يدور على المني أصلاً[1]، وامتنع في حديث الإذكار أو الإيناث عن ذكر كلمة الماء فقط بل استعمل في صياغة الحديث كلمتي (الماء) و(المني).

٢ - تفسير النقطة الثانية (أن لمني الرجل ولمني المرأة دورا في تسهيل عملية إذكار أو إيناث الجنين):

● قال رسول الله ﷺ: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منيُ الرجل منيَّ المرأة أذكرا بإذن الله وإذا علا منيُ المرأة منيَّ الرجل آنثا بإذن الله» [أخرجه مسلم ح19].

إن الفعل الرئيسي في الحديث النبوي الذي يشرح عملية الإذكار أو الإيناث هو فعل «علا».

وهذا الفعل له عدة معانٍ. منها:

= وهذا الأسلوب جاء في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ونظيره: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص ٧٣]، فالليل والنهار فيهما لف، ثم نشر من الكلام ما يخص كل واحد منهما، حيث يرد السمع إلى كل واحد منهما ما يخصه، فالليل يخصه قوله تعالى: ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾. والنهار يخصه قوله تعالى: ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

(1) قد يتساءل القارئ: لماذا ذكر الرسول ﷺ لفظ «الماء» أمام أم سلمة وأم سليم رضي الله عنهما في الحديث «إذا رأت الماء» [أخرجه البخاري ح141]، وقد امتنع في حديث الإذكار أو الإيناث «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منيُ الرجل منيَّ المرأة أذكرا بإذن الله وإذا علا منيُ المرأة منيَّ الرجل آنثا بإذن الله» [أخرجه مسلم ح٧] عن تسمية المني ماء؟، ونقول - والله أعلم -: إنه في الحديث الأول يعلم الرسول ﷺ أم سلمة وأم سليم رضي الله عنهما أحكاماً شرعيةً لا تحتاج لدقة علمية، بل تحتاج لبساطة في الصياغة حتى يفهمها عامة الناس، أما في حديث الإذكار أو الإيناث فالسؤال محدد، وفيه مجابهة بين الحق والباطل، وتحدٍ واضح من الكفار للرسول ﷺ لإبراز معلومات علمية دقيقة غير مألوفة تدل على صدق نبوته، وهذا ما استوجب أن تكون الإجابة دقيقة وعلمية لكي يستنير بها العلماء، والأجيال التي ستأتي فيما بعد، ولكي يستيقنوا أنها تحمل في طياتها إعجازاً علمياً بالغاً

1 - غلب. جاء في تاج العروس[1]: «علوت الرجل: غلبته». هذا المعنى ورد في القرآن الكريم في آيتين: الأولى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص 4]، الثانية: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139].

2 - أن يأتي شيء فوق شيء ويعلوه. جاء في تاج العروس[2] أيضاً: «(وعلاه)... (صعده) جبلاً كان أو دابة». وجاء في الحديث: عن أبي موسى الأشعري قال: أخذ النبي ﷺ في عقبة - أو قال في ثنية - (وهو المرتفع من الأرض)، قال: فلما علا عليها رجل، نادى فرفع صوته: لا إله إلا الله والله أكبر، قال: ورسول الله ﷺ على بغلته. قال: «فإنكم لا تدعون أصمّا ولا غائباً» [أخرجه البخاري ح16].

وسوف نتطرق إلى المعنى الأول لفعل علا (غلب) في مبحث **"معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة"** وذلك خلال حديثنا عن شبه الولد لأمه أو لأبيه.

أما المعنى المرموز إليه في الحديث المذكور آنفاً فهو أن يأتي شيء فوق شيء ويعلوه، وتفصيل ذلك:

- من المعلوم أن الإفراز المهبلي للمرأة يمتاز بخاصية الحموضة، وتأتي هذه الخاصية نتيجة لوجود (حامض اللاكتيك LACTIC ACID) الذي يخرج من الخلايا المهبلية الغنية بمادة (الجليكوجين GLYCOGEN).

هذه الحموضة هامة وذلك لحماية المرأة من غزو البكتيريا لها، غير أن هذه الحموضة تضعف وتقتل كثيراً من الحيوانات المنوية الحاملة للذكورة Y، وذلك لصغر حجمها مقارنة بالحيوانات المنوية الحاملة للأنوثة X التي تستطيع مقاومة هذه الحموضة.

ولكن ما ينقذ الموقف الحرج بالنسبة للحيوانات الذكرية هو مني المرأة، فهذا الأخير له خاصية قلوية، وهو يعدّل من الحموضة في المهبل عندما تفرزه المرأة، فإذا صبّ الرجل ماءه في فرج المرأة قبل أن تستثار جنسياً فإن ماءه يلتقي بالوسط الحامضي للفرج، وبذلك تموت أعداد كثيرة من الحيوانات المنوية الحاملة للذكورة Y وتعطب، ويضعف بذلك احتمال أن يفوز بالسباق إلى البويضة الحيوان المنوي الذكري.

(1) تاج العروس لمحمد مرتضى - مادة «علو» - (ج19/ ص699).
(2) تاج العروس لمحمد مرتضى - مادة «علو» - (ج19/ ص693).

في هذه الحالة يظهر مني الرجل قبل مني المرأة، لأن الرجل قد صب ماءه قبل أن تستثار المرأة جنسياً، ومن ثمّ يأتي مني المرأة ويعلوه - أي يأتي فوقه - .

أما في الحالة المعاكسة، أي في حالة إثارة المرأة وإفرازها لمنيها قبل أن يقذف الرجل ماءه فإن منيها في هذه الحالة يكون موجوداً قبل مني الرجل، وبما أن له خاصية قلوية فإنه يلطف من حموضة المهبل، ومن ثم يأتي مني الرجل فوق مني المرأة ويعلوه، وتنجو بذلك الحيوانات المنوية الذكرية من الهلاك، وبما أن الحيوانات المنوية الذكرية أصغر حجماً من الحيوانات المنوية الأنثوية، فهي بالتالي أسرع منها وتستطيع أن تصل إلى البويضة بسرعة أكبر، وبذلك يزيد احتمال أن يأتي الولد ذكراً[1].

وهكذا نفهم أبعاد الحديث «فإذا علا منيُ الرجل منيَ المرأة أذكرا بإذن الله وإذا علا منيُ المرأة منيَ الرجل آنثا بإذن الله» [أخرجه مسلم ح9].

تفسير النقطة الثالثة (أن كلاً من ماء الرجل وماء المرأة يشارك في تخلّق وإذكار أو إيناث الجنين):

● قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: 5-7].

● قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ...﴾ [النساء: 1].

● قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ...﴾ [الحجرات: 13].

● قال رسول الله ﷺ: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا منيُ الرجل منيَ المرأة أذكرا بإذن الله وإذا علا منيُ المرأة منيَ الرجل آنثا بإذن الله» [أخرجه مسلم ح9] .

إن ضمير التثنية المثبت في الفعلين «أذكرا» و«آنثا» في الحديث السابق يعود للماءين: ماء المبيض وماء الرجل، وليس لمنيّ المرأة ومنيّ الرجل كما يعتقده بعض الناس، وذلك لأن كلاً من ماء المبيض وماء الرجل يشارك في تخلّق الجنين: فنصف (المورِّثات GENES) لدى المخلوق الجديد تأتي من ماء الرجل، والنصف الآخر يأتي من ماء المرأة وبذلك يشاركان كلاهما في عملية التخلّق وعملية الإذكار أو الإيناث.

---

(1) كتاب هل نستطيع اختيار جنس مولودك: ولد أم بنت؟، د خالد بكر كمال، ص 22، 25، 31، بتصرف.

إن نطفة الرجل (أي الحيوان المنوي) - كما سنشرحه في مبحث «**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة**» - هي التي تحمل الصبغيات X أو Y ونطفة المرأة تحمل الصبغية X فقط، فإذا اجتمع الحيوان المنوي الحامل للصبغية Y مع نطفة المرأة الحاملة للصبغية X أصبح الجنين ذكراً بإذن الله وإذا اجتمع الحيوان المنوي الحامل للصبغية X مع نطفة المرأة الحاملة للصبغية X أصبح الجنين أنثى بإذن الله. وهكذا يعود ضمير التثنية في الفعلين "أذكرا" و"آنثا" للماءين مجتمعين: ماء الرجل وماء المرأة؛ لأن إذكار أو إيناث الجنين يحتاج لكليهما معاً. ومن هذا المنطلق نفهم لماذا خص الرسول ﷺ بالذكر نوعين من السوائل في الحديث: الماء والمني؛ وذلك لأن الماء (أي ماء الرجل وماء المرأة) هو أساس لتخلق الجنين، والمنيّ (منيّ الرجل ومنيّ المرأة) هو الذي يسهل عملية الإذكار والإيناث.

وقد أشار القرآن إلى أن ماء المرأة وماء الرجل يشتركان في تخلّق الجنين في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ...﴾ [الحجرات: 13].

جاء في القرطبي[1]: "بيّن الله تعالى في هذه الآية أنه خلق الخلق من الذكر والأنثى، وكذلك في أول سورة النساء... والصحيح أن الخلق يكون من ماء الرجل والمرأة لهذه الآية فإنها نص لا يحتمل التأويل".

كذلك أشار الله عزّ وجلّ في أول سورة النساء إلى هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً...﴾ [النساء: 1]

ورد في تفسير ابن كثير[2]: "وذرأ منهما أي: من آدم وحواء رجالاً كثيراً ونساءً".

فالخلق كان من الذكر والأنثى وليس من واحد دون الآخر، والبثّ كان من آدم وحواء - أي: من ذكر وأنثى -، والفقهاء أقروا أن هذا الخلق إنما هو من ماء الرجل وماء المرأة.

والآية ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ تعني ماء الرجل وماء المرأة على حدٍّ سواء، لأن لفظ "ماء" جاء هنا على إطلاقه، وهذا ما أكده القرطبي في تفسيره للآية قائلاً[3]: "وأراد ماءين: ماء الرجل وماء المرأة، لأن الإنسان مخلوق منهما"، فتلك الآية لم

---

(1) تفسير القرطبي - (ج16/ ص343).

(2) تفسير ابن كثير - (ج1/ ص448).

(3) تفسير القرطبي - (ج20/ ص4).

تفرق بين ماء الرجل وماء المرأة، كما أن كلا الماءين يتدفق، وكلاهما يخرج من بين الصلب والترائب، كما سنرى في النصوص المقبلة.

إن الاعتقاد السائد قبل عهد الرسالة، أي قبل التوضيح بالآيات القرآنية والحديث، هو أن الجنين يتخلق من اتحاد المني مع دم الحيض. وهذا ما كتبه (أرسطو) في القرن الرابع قبل الميلاد، وكان يعتبر أفضل المراجع العلمية آنذاك. وهذا الاعتقاد (بأن دم الحيض وليس مني المرأة هو سبب وجود الطفل) ظل مسيطراً لمدة طويلة إلى أن أتى الإسلام بتعاليمه الحكيمة، ولم يكتف الإسلام بنسف فكرة تخلق الإنسان من دم الحيض، بل أمر بعدم إتيان النساء في فترة الحيض: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222].

ومنعاً للجدل ولتثبيت الحقائق المنصوصة في الآية الكريمة (التي لم يحدد الله سبحانه وتعالى فيها أن الماء هو منيّ الرجل فقط)، حدّد الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - أن الماء هو للمرأة كما هو للرجل في حديث الإذكار أو الإيناث الذي أوردناه سابقاً.

تفسير النقطة الرابعة (أن لماء المرأة ولماء الرجل دوراً في شبه الجنين بأمه أو بأبيه):

● قال رسول الله ﷺ: «ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما سبق كان الشبه» [أخرجه النسائي ح67].

لقد رأينا في المقطع السابق أن كلاً من ماء المبيض وماء الرجل يشارك في تخلّق الجنين، وذلك لمشاركة الحيوان المنوي والبويضة في تلك العملية. فإذا كان كذلك، فهذا يعني أن الجنين سيتخلّق وفق ما تحمله تلك الأعضاء من خصائص. وبالتالي فهذه مسؤولة عن إعطائه شكلاً يشبه شكل الأم أو الأب، وسنفصل هذا الأمر أكثر - إن شاء الله - في مبحث **«معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة»**، فانظره هناك وفقك الله.

تفسير النقطة الخامسة (أن هذا الماء متدفق):

● قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: 5-7].

كما هو ظاهر في الآية القرآنية فإن الماء الذي يُخلق منه الجنين يدفق - أي يخرج بقوة وبسرعة مع ضغط - .

ولسنا بحاجة هنا إلى توضيح استمناء الرجل وتدفق مائه فذلك ظاهر، ولكن تجدر الإشارة إلى ما يحصل عند المرأة، وذلك أن سلالة المرأة (أي البويضة) - كما يفسره الدكتور عدنان الشريف، جزاه الله خيراً[1] - التي ستنضج في أحد مبيضيها، تسبح داخل (جريب FOLLICLE). وهذا الجريب يحتوي سائلاً يتزايد ضغطه إلى درجة من الضغط تساوي 15 مليمتراً زئبقياً تنفجر عندها حويصلة البويضة وقشرة المبيض في أضعف نقطة منهما، فتقذف بالسلالة والخلايا الحامية لها والمحيطة بها مع قليل من ماء الحويصلة إلى تلافيف بوق أنبوب الرحم المعروف بقناة فالوب (انظر الصورة رقم: 17)، ولولا هذا الضغط لما استطاعت البويضة أن تقفز من المبيض إلى (التجويف البطني PERITONEAL CAVITY)، لتلتقطها من ثمّ (أهداب بوق فالوب FIMBRIAE OF FALLOPIAN TUBE).

إن الضغط الذي يصاحب انتقال البويضة والسرعة التي تحتاجها حتى تستطيع الانتقال من المبيض إلى بوق فالوب لهو الدليل على أن ماء المرأة هو ماء دافق كما هو ماء الرجل وفقاً لصياغة الآية الكريمة السابقة الذكر التي جاءت على الإطلاق لتشمل الماءين: ماء الرجل، وماء المرأة.

تفسير النقطة السادسة (أن هذا الماء ليس متدفقاً فحسب بل دافق):

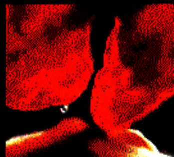
● قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: 5-7]

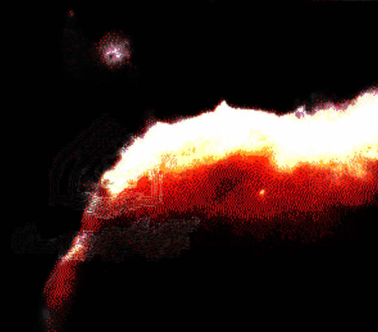
لقد اختلف العلماء كثيراً في تفسير كلمة (دافق) التي وردت في الآية: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ [الطارق: 6]، فمنهم من اعتبر أن كلمة (دافق) اسم فاعل، ولكن أسندها إلى المجاز، ومنهم من أوّل كلمة الدفق بالدفع، وأخذها على حقيقتها، واعتبر أن الدفع ناتج من فاعل ومفعول به، ومنهم من أوّل دافق بمعنى مفعول، ومنهم من صرف الدفق إلى النسب، ومنهم من قال: إن كلمة (دافق) اسم فاعل، وانظر لهذا الغرض قول تفسير ابن عاشور[2]، وتفسير الألوسي[3]، وتفسير الشوكاني[4]، وتفسير ابن القيم[5] في هذا الموضوع.

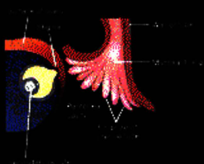
(1) كتاب من علم الطب القرآني، د. عدنان الشريف، ص 76.
(2) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور - ج30/ ص261.
(3) روح المعاني، ج30/ ص99.
(4) فتح القدير، ج5/ ص420.
(5) التبيان في أقسام القرآن، ج1/ ص64.

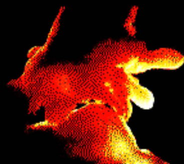
(17) - في الصورتين أدناه (في الإطار) نرى كيف أن الضغط يتزايد في جريب البويضة حتى أن شبه البذرة تنبت على سطح المبيض ومن ثم يتدفق ماء الحويصلة مع البويضة من البذرة المتولّدة على سطح المبيض إلى تلافيف بوق فالوب (في الصور أعلاه).











ومن الطبيعي أن يكون هذا الخلاف في معنى هذه الصيغة موجوداً على أشدّه عند المتقدمين، فإن حقائق مبادئ الخلق كانت غير متوفرة لهم، وهي التي كشفت لنا المعنى الحقيقي لهذه الصيغة، وجعلتنا نتلمس مواطن الإعجاز في هذه النقطة.

ولا بد أن نلقي نظرة على أبعاد هذه الصيغة من الناحية البلاغية، قبل أن نستعرض المعطيات العلمية في هذا الخصوص، لكي نوفق بينهما على أتمّ وجه، وتتكشّف لنا الأسرار الإعجازية في استعمال هذه الصيغة.

والتحقيق في هذه الصيغة ما نقلته من تعليقات الشيخ عبد الرحمن الحكمي على كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، قال: «اشتقاق صيغة [فاعل] من فعْلها، ينبغي أن يكون في الصيغة معنى الفعل، أي: يكون الفعل قائماً بالصيغة، فإذا قلنا: آكل، فمعنى ذلك أن الأكل - وهو مصدر أو معنى الفعل - يكون قائماً بالصيغة التي هي اسم الفاعل الذي قام بالأكل، هذا هو الأصل والأكثر في اللغة العربية بالنسبة لهذا الاشتقاق وهذه الصيغة.

ولكن قد ترد هذه الصيغة في كلام العرب، ويلحظ المتلقي أن الفعل ليس قائماً فيها، بل قائم بغيرها، وإنما جاء على صورتها لكون صاحبها له صلة فعلية مؤثرة من قريب أو بعيد فيها، وذلك نحو قولهم: «لابن - تامر»، عن صاحب اللبن وصاحب التمر، فاللبن لم يقم بالرجل الذي هو صاحب الصيغة، إنما قام بالدابة التي ربّاها الرجل واعتنى بها حتى صارت لابنة، وكذلك التمر، لم يونع في الرجل المقصود بصيغة [فاعل] في "تامر"، وإنما أينع في النخل التي اعتنى بها الرجل وثمّرها حتى صارت مُثمرة.

وفيما تقدّم تظهر في هذه الصيغة، بهذا المعنى، مراعاة فاعلين حقيقيين لفعل واحد، وإن كان أحدهما مظهراً للفعل أو محلاً له، ولكن لم يُهمل في هذه الصيغة بهذا المعنى لقوّة سببه، وشدّة تأثيره، فاللابن بهذا المعنى جمعت هذين الفاعلين:

1 - الرجل الذي قُصد بها مع أن اللبن لم يظهر فيه، ولكن اعتُبر سببه، واعتُد بتأثيره، حتى أُخرج على أنه فاعل، فأعطي صورة الفاعل.

2 - الدابة التي أُلبنت وظهر فيها اللبن، وهي الفاعل الحقيقي.

وقد عبّر كثير من النحويين عن مثل هذا المعنى في هذه الصيغة بأنه يحمل معنى [ذو]، والمراد من لابن مثلاً: ذو لبن.

وقد ذكر الإمام الرازي - رحمه الله - وجود مثل هذا اللون في اللغة، وجوّزه في مبحث تام في كتابه «المحصول» (ج1/ص248-250) . قال: "ومما يدل على أنه ليس من شرط المشتق منه قيامه بمن له الاشتقاق: أن المفهوم من الاسم المشتق

ليس إلا أنه «ذو» ذلك المشتق منه، ولفظ «ذو» لا يقتضي الحلول». وقد طوّل الإمام ابن الحاجب - رحمه الله - هذه المسألة في «مختصر المنتهى»، وانظره بشرح العضد - رحمه الله - (ج1/ ص181-182).

وذكر الإمام ابن الوزير - رحمه الله - أن هذه المسألة لغوية ليس فيها نظر ولا قياس (أي أنها سماعية)، وأن العرب قد يشتقون مما ليس بقائم بالفاعل صيغة (فاعل)، انظر كتابه «العواصم والقواصم» (ج4/ ص366).

. . . وسبب ذلك أن المقصود بهذه الصيغة - التامر (أو اللابن) - كان سبباً مؤثراً، وعاملاً قوياً، في الإيناع حتى صار في درجة قوّة الفاعل، وأصبح لصيقه وضميمه، حتى كأنه هو، ولذلك ظهر في صورته، وتجلّى في مظهره، فأتى على صيغته، وليس في الأصل، ومن هنا يتبيّن صدق هذه الصيغة، وصحة ورودها، ودقّة معناها فيما جاءت له» انتهى كلامه.

أما إذا أردنا أن نقابل الكلام السالف ذكره على موضوع الدفق المنصوص سابقاً في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، فنقول:

إنه إذا حقّ على كلمة (دافق) أن تكون اسم فاعل، فهذا يعني أن فعل الدفق قائم بها، أي بمعنى آخر أن صفة تكوين الماء: الاندفاق، حيث يوجد فيه قوّة ذاتية للدفق كسبب لصيق به، وكصفة ثابتة فيه لا تنفك عنه، قائمة به. أما إذا حقّ أن تنطبق صيغة النسب على (دافق)، فهذا يعني أن السبب الرئيس للدفق ليس قائماً بالماء، ولم يحل فيه، ولكن حلّ بغيره، غير أن السبب الرئيس متصل مع سبب ثانوي قائم بالماء لكي تحقّ صفة النسب على فعل دفق الماء.

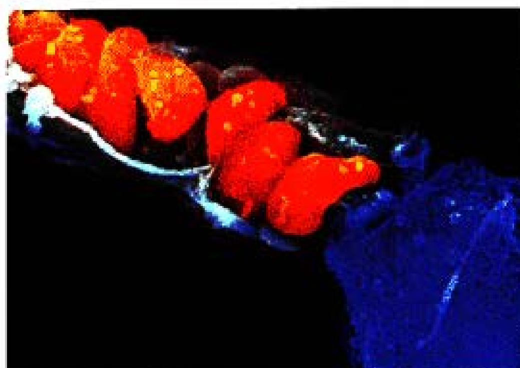
وسنستعرض المعطيات العلمية ونرى مدى صحة آخر تفسيرين.

وقد أثبت العلم في العصر الحديث أن للحيوانات المنوية قطعاً مصفوفةً واحدةً تلو الأخرى تسمى: (ميتوكوندريا MITOCHONDRIA) موجودة قبل رأس الحيوان المنوي، وتحتوي على مادة (أدينوزين تريفوسفات ADENOSINE TRIPHOSPHATE: ATP) - المادة المهمة لتزويد الحيوان المنوي بالطاقة الدافعة إلى الأمام لعدة ساعات[1] - (انظر إلى الصورة رقم: 18 حيث تظهر قطع «الميتوكوندريا»). كما أن الغطاء النسيجي لقطع الميتوكوندريا يدفع ذيل الحيوان المنوي إلى الحركة[2].

---

(1) كتاب (ولد طفل، د. لارس همبرغر A CHILD IS BORN, LARS HAMBERGER)، ص45، بتصرف وكتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 23.

(2) OURA AND TOSHIMORI, 1990.



(18) - نرى في الصورة قطع «الميتوكوندريا» خلف رأس الحيوان المنوي، وهذه تعطي للحيوان المنوي الطاقة لكي يتحرك، وبالتالي فهو والمني الذي يرافقه دافقان، كما تشير إليه الآية: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]

بالإضافة إلى أن ماء الرجل يحتوي على مادة (البرستاجلاندين PROSTAGLANDINS) التي تُحدث تقلصات في الرحم تساعد على نقل الحيوانات المنوية إلى موقع الإخصاب، وبالتالي فإن مصدر النطف - ماء الرجل - هو الذي يُسبِّبُ دفع الحيوان المنوي إلى الأمام.

كذلك فإن (الحويصلات المنوية SEMINAL VESICLES) تفرز مادة (الفركتوز FRUCTOSE) التي تصبح أحد أعضاء المني، وهذه المادة تعطي الطاقة للحيوانات المنوية لكي تتابع سيرها[1].

وهكذا يتبين لنا أن هناك سببين ينشآن من نفس الفاعل ويؤديان إلى إحداث الفعل به، كصفة لا تنفك عنه، وهما مادة الميتوكوندريا والفروكتوز، وأن هناك سبباً آخر ينشأ من نفس الفاعل بإذن الله، ولكن لا يتجلى به مباشرة، بل يرد فعل عكسي من خلال عضو آخر يدفع الفاعل إلى فعله، كما في حالة مادة البرستاجلاندين، فيعود الدفق بذلك إلى النسب في هذه الحالة.

---

(1) BARATT AND COOKE, 1991

ويكون مجمل حركة الماء ناتجاً من سببين على صيغة فاعل، ومن سبب على صيغة نسب.

أما بالنسبة للبويضة فإن عملية إباضتها معقدة للغاية، ودفقها غير واضح ولا جلي، غير أن العلماء استطاعوا أن يكتشفوا كماً مهماً من المعلومات عنها، وإذا أردنا تحليل دلالات كلمة دافق، لنرى كيف تنطبق على عملية الإباضة، وانتقال البويضة من المبيض إلى قناة فالوب، فلا بد أن نراجع بالتفصيل عملية الإباضة، ونتوقف عند كل مرحلة من مراحلها.

ويخبرنا الدكتور آلان أندرز عن مراحل عملية الإباضة قائلا[1]:

1 - (تنشق البذرة التي تتكون في سطح المبيض في أضعف منطقة لها RUPTURE OF THE STIGMA)، فيخرج الماء الحويصلي بسرعة، مع (حبيبات الخلايا GRANULOSA CELL)، وذلك من جراء الضغط المتولد من الماء الحويصلي[2] حيث يبلغ 20 ملم زئبقياً، وهو وإن كان معتدلاً، ولكن يلعب دوراً مهماً[3].

2 - ومن ثم يتبع ذلك خروج البويضة مع (كم الخلايا التي ترافقها CUMULUS CELLS) بسرعة أقل [من الماء الذي سبقها].

3 - وتتقلص بعض العضلات داخل الحويصلة باعجة إياها، ودافعة لها، فتساعدها على الخروج مع بقية الماء الحويصلي.

وتقلص العضلات المراد هي عضلات الأغشية الخارجية التي تحيط بالحويصلة (تكا أكسترنا THECA EXTERNA)، والتي يعود تقلصها لمادة (البرستاجلاندين PROSTAGLANDINS)[4] الموجودة في الماء الحويصلي[5]، ولانخفاض ضغط الماء

---

(1) March 4, 1998, Human Microscopic Anatomy, Dr Allen Enders CHA, http: medocs.ucdavis.edu CHA 402 lectsyl 98 fem.HTM 402 702. DATE: 22 4 2004.

(2) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 29.

(3) Ovulation: Lawrence L. Espey, Trinity University, San Antonio, TX 78212 http www.trinity.edu lespey ovulation encyc encyc.html. DATE: 22 4 2004

(4) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 29.

(5) SURGICAL PATHOLOGY OF OVARIES, PETER RUSSEL AND ANNABELLE FARNSWORTH, SECOND EDITION, 1997, PAGE 40, CHURCHILL LIVINGSTONE

الحويصلي الذي يدفع عضلات الغشاء الخارجي للحويصلة للتقلص بطريقة منتظمة ومتقطعة[1].

4 - وتتمايل أهداب بوق فالوب حول المبيض. . . مساعدة شعيرات بوق فالوب [التي تتمايل هي أيضاً] لالتقاط البويضة وإدخالها مع الخلايا المحيطة بها إلى داخل البوق.

أضف إلى ذلك أن دفق البويضة يعود أيضاً لإشارات كيميائية تأتي مع الماء الحويصلي، وتجعل عضلات قناة فالوب تنقبض، وتولّد ضغطاً سلبياً، مما يساعد شعيرات بوق فالوب على التقاط البويضة[2].

وبعد ذلك تنتقل البويضة ببطء في قناة فالوب إلى الرحم من جراء دفع الشعيرات التي تبطن القناة لها[3].

وبذلك تكون الحركة الإجمالية للماء مزيجاً من السرعة والبطء، والضغط الداخلي المعتدل، والشفط الخارجي.

وهكذا فإن دفق الماء الحويصلي مع البويضة يعود لماء البويضة نفسه فقط (كما في حالة ضغط الماء) (كاسم فاعل)، ولماء البويضة بالتعاون مع مسبّب آخر لا يظهر فيه فعل الدفق، بل يحث عليه (كما في حالة انقباض عضلات قناة فالوب من جراء الإشارات الكيميائية التي تأتي مع الماء الحويصلي، ولانقباضات العضلة التي تحيط بالجريب بفعل مادة البرستاجلاندين الموجودة في الماء الحويصلي، وبفعل انخفاض ضغطه) (فيعود الدفق بذلك إلى النسب)، كما أنه يعود لعوامل خارجية مستقلة (شعيرات بوق فالوب) غير أن هذه الشعيرات أنتجت أثراً فاعلاً أدّى إلى حركة الماء بدفق حتى صار في صورة الفاعل، وليس هو هنا في الحقيقة بفاعل، وهذا كلّه لا يخرج عن معنى النسب في هذه الصيغة.

ومن هذا الكلام نفهم أن مجمل الدفق يعود للنسب أو للفاعل نفسه في

---

(1) Barry university: Natural and health science, endocrinology Departement. http: 66.218.71.225 search cache?sp expulsion + of + the + oocyte & sp_vt any & vst 0 & vd all & fl 0 & vf all & ei ISO-8859-1 & vm p&n 20 & u snhs-plin.barry.edu _dse10 000000a3 htm & w a22 expulsion of + the oocyte"a22 & d 73F5F21271 & c 483 & ye 45082 & tep 1. Date 22 4 2004.

(2) كتاب وَلَد طفل، د. لارس هامبرغر، ص_32.

(3) كتاب وَلَد طفل، د. لارس هامبرغر، ص 35.

الغالب، وهو يظهر كذلك بالرغم من أن هناك عوامل خارجية تضاف إلى العوامل الفاعلة والنسبية، ولا يعبّر عن هذه الصفات - أو الأسباب - إلا صيغة «الدافق» بالمعنيين المتقدّمين فقط لا غير، فيا سبحان الله!.

وفي النهاية نودّ تلخيص ما سبق:

1 - يتبيّن لنا في المبحث السابق، أن صعوبة الصيغة، وعدم تجلّي الحقائق العلمية في ذلك للمتقدمين أدى إلى خلاف كبير في عدم فهم هذه الصيغة على معناها الدقيق.

2 - صيغة (فاعل) تأتي في اللغة العربية لفاعل الفعل الذي اشتق منه، وهذا هو الأكثر.

ولكن قد تأتي لغير ذلك، لمناسبة بين الفاعل الحقيقي وبين الكلمة التي اشتقت له مثل (لابن)، وكلا هذين المعنيين لهذه الصيغة حقيقة لغوية، وسماع عن العرب، وليس بمجاز.

و(دافق) جمعت هذين المعنيين معاً، وكانت هذه الصيغة هي المناسبة تماماً للإحاطة بتفاصيل صفات ذلك الماء وملابساته.

3 - قد ظهر ذلك كما تقدّم مفصلاً، ويمكن تلخيصه فيما يأتي:

I - ماء الرجل:

أ - تعطي مادة الفركتوز ومادة الميتوكوندريا الطاقة للحيوان المنوي على السير ذاتياً، وفي كلا هاتين الحالتين يتجلّى المعنى الأكثر لصيغة (الفاعل)، حيث إنه هو الفاعل الحقيقي المستقل.

ب - تحث مادة البرستاجلاندين الموجودة في الماء الرّحم على الانقباض مما يؤثر عكسياً على الحيوانات المنوية في السير، فيحل سبب الدفق الرئيس في غير الفاعل، ولكن يظهر الفعل في الفاعل، ويكون للفاعل نسبة في إحداث السبب الرئيس، فيتجلّى معنى النسبية في الصيغة [فاعل].

II - ماء المرأة:

أ - يدفق ماؤها من جراء ضغطه المتولّد في الحويصلة، فيقع بذلك سبب الفعل على الفاعل نفسه، ويتجلّى معنى (اسم الفاعل) في هذا المقام.

ب - يدفق ماؤها من جراء المواد الموجودة فيه، والتي تحث أعضاء أخرى - مثل عضلات غشاء الحويصلة، وعضلات قناة فالوب - على دفعه إلى الأمام، فيصير

الماء مظهراً للفعل، حتى كأن فيه سبب الفعل الرئيس. فيحق أن يذكر الفعل على صيغة النسب في هذا المقام.

ت - يدفق ماؤها من جراء عوامل مستقلة، مثل تمايل شعيرات بوق فالوب، التي تحدث ضغطاً سلبياً، فتجذب ماء الحويصلة إلى داخل البوق، فيظهر دافقاً وكأنه هو الذي دفق بنفسه، وبذلك حق هنا المعنى الثاني لصيغة الفاعل، وهو النسبة.

ويظهر مما تقدم من اللطائف أن صيغة (دافق) استوعبت كل من هذه الحالات الست.

تفسير النقطة السابعة (أن مكونات هذا الماء تخرج من الظهر):

● قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: 5-7].

لفظ ﴿الترائب﴾ اسم صفة، لا اسم ذات، ويدل بأصل اشتقاقه على التماثل والتناظر، فكلمة "الترائب" جمع تريبة وهي مشتقة من ترب، أي من التراب والتراب هو الأرض، جاء في لسان العرب: "ترب: . . . (قال) الليث: التُّرْبُ والتُّراب واحد، إلا أنهم إذا أنثوا قالوا التربة، يقال أرض طيبة التربة أي خِلْقَة ترابها. . ."، وتستعمل الكلمة لوصف أن شيئاً ما تستوي حاله مع التراب، جاء في لسان العرب: ". . . ورجل تَرِبٌ، لازق بالتراب من الحاجة، ليس بينه وبين الأرض شيء، وفي حديث أنس ﷺ، لم يكن رسول الله ﷺ سبّاباً ولا فحّاشاً، كان يقول لأحدنا عند المعاتبة: ترب جبينه، قيل: أراد به دعاءً له بكثرة السجود. . ."، وبالتالي فهي تعني على وجه العموم الاستواء بين شيء وشيء آخر، جاء في لسان العرب: ". . . والترب اللدة والسن: يقال هذه تِرْبُ هذه أي لدتها، وقيل تِرْبُ الرجل أي الذي ولد معه. . ."، ويقيّد دلالة اللفظ السياق الذي يأتي فيه، والقرائن التي تستنبط من النص، والقرائن الخارجية من حديث شريف وعلم ثابت. . . فعلى سبيل المثال: يشير السياق والأحاديث النبوية الشريفة أن كلمة "ترب" في الآيات: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝٥٢﴾ [ص: 52]، و﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾ [الواقعة: 35-37]، و﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣﴾ [النبأ: 33] تشير إلى التماثل في الحسن والجمال والبهاء وفيض الأنوثة ونضارة الشباب في تصوير حال الزوجات في الجنة.

ونظراً لطبيعة هذه الكلمة فقد تفسّر على أكثر من وجه، ولذلك اختلف المفسّرون بشكل واسع حول دلالة اللفظ في النص القرآني المعتبر، جاء في لسان

العرب[1]: «والترائب: موضع القلادة من الصدر، وقيل: ما بين الترقوة إلى الثندوة، و قيل: الترائب عظام الصدر، وقيل: ما ولي الترقوتين، وقيل ما بين الثديين والترقوتين... وقيل: الترائب أربع أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته...»، وإذا اعتبرنا قاعدة أن دلالة اللفظ يقيّدها السياق والقرائن التي تأتي فيه، فهمنا أن قرائن النص في هذا المقام - مقام الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة - تعتمد مباشرة على المعطيات العلمية التي تثبت هذه الصفة طبقاً للحقيقة الموجودة في جسم الإنسان، فيصدق بذلك أن يصرف إلى الأضلاع التي تكوّن عظام الصدر - كما سنرى فيما بعد -، ولفظ ﴿ٱلصُّلْبِ﴾ بالمثل، اسم صفة، لا اسم ذات، يدل بأصل اشتقاقه على قائم متين، يُصلب عليه الشيء ويُشد محمولاً عليه. فيصدق على العمود الفقري الذي يحمل معظم بدن الإنسان القائم، غير أن المفسّرين لم يختلفوا حوله، وذلك لأن الأعضاء النظيرة في الجسم كثيرة كما رأينا. أما الأعضاء المتينة التي تحمل أعضاء أخرى فهي جد قليلة في الجسم، وهو كما جاء في لسان العرب[2]: «والصُّلْبُ: عظْم من لدن الكاهل إلى العجب...».

وتحدثنا الآيتان التاليتان ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ أن الماء يخرج من مكان ما واقع ما بين الصلب والترائب[3] وذلك لكل من المرأة

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «ترب» - (ج2/ ص: 24-25).

(2) لسان العرب لابن منظور - مادة «صلب» - (ج7/ ص: 379).

(3) لقد أعاد بعض العلماء فعل ﴿يَخۡرُجُ﴾ الذي جاء في النص القرآني: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: 5-7] للإنسان. فتصبح الآية عندئذ تعني: فلينظر الإنسان مِمَّ خلق، خلق من ماء دافق، يخرج الإنسان من بين الصلب والترائب. ونقول: إن الآية في هذه الحالة لا تفيد شيئاً جديداً، بل ولا تشير إلى حكمة بالغة، فكلنا يعلم أن الحمل - أي الجنين بالمعنى المتداول - يخرج من الرحم الذي يقع في وسط الجسم، وبذلك يخرج عبر محور الجسم الذي يقع بين الصلب والترائب، وهذا يتنافى مع بلاغة القرآن. فالآية تعلن بوضوح من خلال فعل ﴿فَلۡيَنظُرِ﴾ أن هناك أمراً مهمّاً يجب النظر إليه - ألا وهو إعجاز علمي -، أكثر من مجرد الإخبار عن خبر مألوف لدى الجميع. كذلك فإن سياق النص القرآني: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢﴾... [الطارق: 7-12] يشير إلى عدة إعجازات علمية مثل: أن السماء لها خاصية الرجع، أي أنها ترجع عدة أشياء إلى الأرض، كإرجاع ماء البحور - التي تتبخر ومن ثم تتكثف - إلى الأرض من خلال سقوط المطر، وإرجاع الأشعة الصوتية القصيرة إلى نقطة الخارجي. ومثل: أن الأرض ليست قطعة واحدة متواصلة، بل يوجد فيها صدوع عدة، تحملها مؤلفة من (لوحات PLATES) عدة، تتحرك وتمور كما تخبرنا الآية: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: 16]. -

والرجل، لأن لفظ «ماء» يخص كليهما، وهو لفظ عام غير مقيّد بأحد الجنسين، وليس كما أشار إليه بعض المفسّرين أنه من صلب الرجل ومن ترائب المرأة.

قال الألوسي: "وظاهر الآية أن أحد طرفي البينية (التوسط): الصلب، والآخر الترائب... فكان الصلب والترائب لشخص واحد فلا تغفل... قال الحسن، وروي عن قتادة أيضاً: أن المعنى يخرج من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة، وترائب كل منهما..."[1].

ولقد أعاد باحثون آخرون الخروج المذكور إلى الإنسان مرة أخرى، ولكن في إشارة إلى اجتماع الأصول الخلوية في الظهر في الحدبة التناسلية لدى الإنسان، مثل ما جاء في البحث الذي قدّمه د. محمد إبراهيم دودح في المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، 22-24 مارس 2004، دبي الإمارات العربية المتحدة، وهذا وجه مقبول ويتفق مع دلالة الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [illegible] التي تشير إلى أن الإنسان انحدر من الظهر في عالم الذر، ويكون تفسير الآية عندئذ: يخرج [أصل الإنسان] (مقدّر محذوف) من مكان يقع بين الصلب والترائب، من خلال ماء يدفق فيما بعد من الخصية (أو المبيض).

وفي ذلك التفسير إشارة إلى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة الموجود بقوة في عدة آيات من سورة الطارق. ومفهوم هذا التفسير يتفق مع المفهوم الذي اعتمدناه، وذلك أن الأصول الخلوية التي أشار إليها الباحثون الكرام في هذه المرحلة (أي عند الخروج من مكان يقع بين الصلب والترائب) هي مكوّنات أصل الماء الذي أشرنا إليه في تفسيرنا السالف الذكر ومفاده: يخرج أصل الماء (مقدّر محذوف) من مكان يقع بين الصلب والترائب.

واللفظ البياني -كما ترى أيها القارئ الكريم- معجز من حيث يمكنه أن يتسع لجميع الدلالات المقبولة التي نستخرجها من النص القرآني، فسبحان من علّم الإنسان البيان كما جاء في النص القرآني: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾ [illegible]

ومن الجدير بالذكر أن النصوص القرآنية بلغت في التعبير أقصى درجات البلاغة، حيث إنها لم تشر إلى أن الأصول الخلوية تتخلّق في الظهر، أو بين الصلب والترائب، بل تخرج وتؤخذ منهما، والخروج غير التخلق كما لا يخفى عند الجميع، والأخذ كذلك، فكلا الفعلين السالفي الذكر يشيران إلى أن الأصول الخلوية تؤخذ من مكان ما في الظهر، يقع بين الصلب والترائب، فتخرج منه وتنتقل إلى مكان آخر، وهي الخصية (أو المبيض).

وهذا ما يشير إليه العلم التكويني بالفعل، (فالأصول الخلوية PRIMARY GERM CELLS) تتخلّق في جدار (كيس المح YOLK SAC) بداية من الأسبوع الرابع من عمر الجنين، وتنتقل عبر الأمعاء إلى الحدبتين التناسليتين، حيث تندمج (بالخيوط الجنسية الأولى PRYMARY SEX CORDS) في الأسبوع السادس للحدبتين التناسليتين الواقعتين بين الصلب والترائب، واللتين بدورهما تنتقلان إلى الجزء السفلي للجنين لتصلا إلى حيث يقع المبيض أو الخصية في حوالي الأسبوع الثامن والعشرين (كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص323، 324، 342).

(1) روح المعاني، ج30/ ص99.

ونلاحظ أيضاً أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ ولم يقل ...يخرج من الصلب والترائب، لماذا؟:

ذلك لأن الماء يخرج من موضع ما قريب من التقاء الصلب والترائب وليس من الموضعين نفسيهما، هذا الاستنتاج ليس خطأً أو غريباً عن القرآن الكريم لأن هذا الأسلوب وصف في موضع آخر من القرآن الكريم تخلّق اللبن عند الحديث عن مصدره في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ [النحل: ٦٦]. وقد أوضحنا في باب تخلّق اللبن في مبحث «**الرضاعة**» الآتي لاحقاً أن اللبن يستخلص من الفرث ومن ثمّ من الدم، وليس هو الدم والفرث نفسيهما[1].

كلنا يعلم أن ماء الرجل إنما يتكون في الخصية وملحقاتها، وأن ماء المرأة يتكون في المبيض، فكيف يخرج الماء إذاً من مكان بعيد عن تلك الأعضاء (أي من بين الصلب والترائب)؟

الحقيقة أن الآية تتحدث عن أصل الماء وليس عن الماء نفسه وذلك لإظهار الإعجاز في معرفة خفايا تخلّق الماء.

إن أصل الماء هو الماء الذي يغذّي المبيض والخصية، وبالتالي يكون أساساً لهذا الماء.

يقول الدكتور محمد علي البار في حديثه عن تحديد موقع مصدر «أصل الماء»: «إن الخصية والمبيض إنما يتكوّنان من الحدبة التناسلية بين صلب الجنين وترائبه... وتتكون الخصية والمبيض في هذه المنطقة بالضبط أي: بين الصلب والترائب. ثم تنزل الخصية تدريجياً حتى تصل إلى كيس الصفن (خارج الجسم) في أواخر الشهر السابع من الحمل.. وبينما ينزل المبيض إلى حوض المرأة ولا ينزل أسفل من ذلك. (انظر الصورة رقم: 19).

ومع هذا فإن تغذية الخصية والمبيض بالدماء والأعصاب واللمف تبقى من حيث أصلها.. أي من بين الصلب والترائب. فشريان الخصية أو المبيض يأتي من الشريان الأبهر (الأورطي البطني) من بين الصلب والترائب، كما أن وريد الخصية يصب في نفس المنطقة.. يصب الوريد الأيسر في الوريد الكلوي الأيسر بينما يصب وريد الخصية الأيمن في الوريد الأجوف السفلي.. وكذلك أوردة المبيض وشريانها يصبان في نفس المنطقة أي بين الصلب والترائب.. كما أن الأعصاب المغذية

(1) انظر مبحث «**الرضاعة**».

للخصية أو للمبيض تأتي من المجموعة العصبية الموجودة تحت المعدة من بين الصلب والترائب.. وكذلك الأوعية اللمفاوية تصب في نفس المنطقة أي بين الصلب والترائب... فالحيوانات المنوية لدى الرجل أو البويضة لدى المرأة إنما تستقي مواد تكوينها من بين الصلب والترائب، كما أن منشأها ومبدأها من بين الصلب والترائب»[1]. (انظر الصورة رقم: 20).

فالخصية أو المبيض قد بدأ تكوينهما إذاً من مكان يجاور الكلى (من جسم (ولف WOLFF) وقناته الذي نشأ بدوره على جانب من جانبي العمود الفقري)، أي ما بين منتصف العمود الفقري تقريبا ومقابل أسفل الضلوع، لذلك ظل مصدر تغذيتهما حيث كان، أي: بين الصلب والترائب.

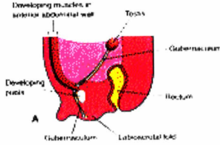
ومما يعزز هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: 172]. تشير هذه الآية إلى أن الشامختين التناسليتين، اللتين تمثلان أصل الإنسان بما تحتويان على خلايا جنسية، ابتدأ تخلّقهما على الجدار الخلفي للبطن من الظهر. (انظر الصورة رقم: 21). وللعلم فإن الظهر ليس محصوراً بالصلب كما يعتقده عامة الناس ولكن يشمل كلاً من الصلب والترائب والأعضاء الموجودة على الجهة الخلفية للإنسان، وذلك واضح في المفهوم القرآني والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا...﴾ [الأنعام: 146]، أي ما احتوت ظهورهما[2]، وبذلك تندرج الشامختان التناسليتان في محتوى الظهر لدى الجنين، ويكون أصل الذرية من الظهر.

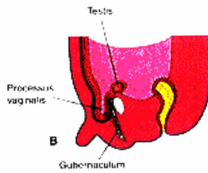
إنه بحق إعجاز علمي، فمن يتصوّر أن المبيضين والخصيتين ينحدران من مكان ما يقع ما بين الصلب والترائب؟!، ومن يتصوّر أن تغذيتهما باللمف والأعصاب والأوردة تنبع من نفس المكان؟!، مع أن المبيضين والخصيتين موجودان في أسفل البطن، ومع أن ماءهما يخرج من الأعضاء التناسلية بعيداً عن الصلب والترائب كما يشاهده عامة الناس، لا شك أن ذلك غير متصوّر في عصر خلا من الوسائل والتقنيات العلمية، ولكن إثباته في ذاك لا يدل إلا على شيء واحد، ألا وهو الوحي الإلهي الرباني؟!!.

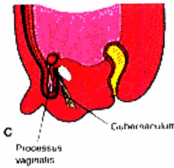
---

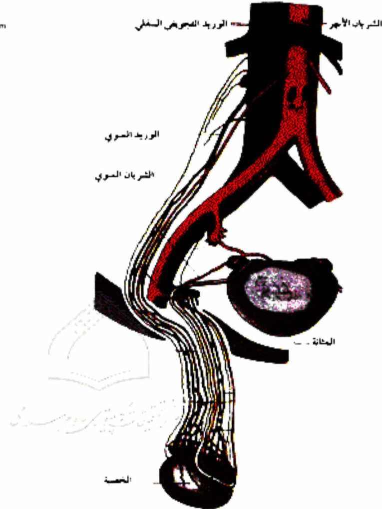
(1) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص 114.

(2) قال الإمام ابن كثير في تفسيره للآية رقم 146 من سورة الأنعام: «يعني ما علق بالظهر من الشحوم». واختلف العلماء على ما شملته الآية من أعضاء (وهذا لا يعنينا في بحثنا هذا، وما يعنينا هو أن الظهر يشمل الأعضاء الموجودة في الجهة الخلفية من جسم الإنسان على وجه العموم).









(20) - رسم تشريحي للوريد والشريان المنوي اللذان يمدّان الخصية بالدم يبيّن نشأتهما من الشريان الأورطي والوريد التجويفي السفلي في مكان يوجد بين الصلب (العمود الفقري) والترائب (الأضلاع).

(19) - يشير الرسم أعلاه، ممثلاً مقطعاً لجسم الجنين، إلى نزول الخصية بدءاً من الأسبوع الثامن والعشرين حيث إن (هرمون الذكورة Testosterone) الذي تفرزه الخصية يسبب نزولها، بينما يوجه العضل المسمى: (غوبارنكولوم Gubernaculum) الخصية إلى كيس الصفن، وبذلك فإن موقع الخصية الأولي هو بين الصلب والترائب مصداقاً للآية ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧﴾ [الطارق].



(A) رسم يظهر موقع (الخلايا الجنسية الأوّلية Primordial germ cells) في (كيس المح Yolk sac) في جنين عمره ثلاثة أسابيع.

(B) رسم لجنين عمره خمسة أسابيع يظهر كيف أن الخلايا الجنسية الأولية تهاجر من كيس المح عبر الأمعاء إلى (الشاخين التناسليتين Primordium of gonad)

(C,D,E) مقطع لجنين عند مستوى الشاخين التناسليتين يظهر كيف أن الخلايا الجنسية تهاجر من (المعي الخلفي Hindgut) إلى الخصية حيث تتخذ مواقع لها.

(21) نرى من خلال هذه الصور كيف أن الخلايا الجنسية التي يتخلق منها الإنسان تهاجر من كيس المح لتستقر في الخصية التي بدورها تقع في ظهر الجنين ليتحقق معنى الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: 172].

ومن الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أنه قد جاء ذكر الأصلاب في ثلاثة نصوص شرعية هي الآية الكريمة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 23]، والحديث الشريف: "عن عائشة أم المؤمنين ﷺ قالت: دُعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبيٍّ من الأنصار، فقلتُ: يا رسول الله طُوبى لهذا عُصفورٌ من عصافير الجنة لم يعمل السُّوء ولم يُدركْهُ، قال: أو غير ذلك يا عائشةُ! إنّ الله خلق للجنة أهلاً خلقهُم لها وهُم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهُم لها وهُم في أصلاب آبائهم". [أخرجه مسلم ح109][1]، والحديث الشريف: "قال النبيُّ ﷺ: بل أرْجو أنْ يُخرِجَ اللهُ منْ أصْلابِهِمْ منْ يَعْبُدُ اللهَ وحْدَهُ لا يُشْرِكُ به شيْئاً" [أخرجه البخاري ح110].

وظاهر النصوص الثلاثة يشير إلى أن الإنسان كان موجوداً في عالم الذر في الصلب، وبالتالي فهذا الظاهر يتعارض مع الحقيقة العلمية التي سبق وأشرنا إليها

(1) فائدة:

من المهم بمكان هنا أن نوضح أمرين أساسيين ليس لهما صلة بالإعجاز العلمي، وهما يرتبطان بصلب العقيدة الإسلامية، ويرتكز عليهما فهم الحديث رقم 109

إن علم الله ﷻ هو علم كاشف راصد، وهذا العلم لا دخل له في اختيارات العباد، ولا في إلزامهم بها، فهو علم إحاطة فقط، والله جلّ وعلا يعلم أعمال العباد واختياراتهم للكفر والإيمان قبل أن يخلقهم في الأزل.

إن الأطفال في الإسلام - سواء أكانوا أطفال الكفار أم أطفال المؤمنين - يدخلون الجنة على أغلب أقوال العلماء، ويشهد لذلك عدة أحاديث ثابتة، وذلك لأنهم لم يبلغوا الحلم، ولم يكلّفوا بعد. وإنما جاء نهي الرسول ﷺ للسيدة عائشة ﵂ في التكلم عن مصير الطفل، تعليماً لنا بأن نتوقف عن التكلم عن مصير المخلوقات لأن هذا من اختصاص الله تعالى، فالأحوط أن نتوقف في هذه المسائل الغيبية حتى لا نقع في الخطأ ونحاسب عليه، جاء في شرح سنن النسائي للسندي للحديث رقم 1947، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الصبيان: "(أو غير ذلك) أي بل غير ذلك أحسن وأولى وهو التوقف... قال النووي... لعله نهاها للمسارعة إلى القطع من غير دليل".

وهي: أن الإنسان انبثق من الشامختين التناسليتين اللتين تقعان قرب الصلب والترائب، وليس من نفس الصلب والترائب، كما أشار إليه النص القرآني الكريم: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝﴾ [الطارق: 5-7].

وفي الحقيقة ليس هناك تعارض لعدّة أسباب، أهمها: هو أن آية سورة النساء، والحديث رقم 109، والحديث رقم 110 جاءوا على ذكر الأصلاب من باب المجاز المرسل للدلالة على أن الإنسان انحدر من مكان يجاور الصلب، وذلك لكثرة تداول وشيوع هذه الكلمة عند العرب.

فالعرب تستعمل هذا النوع من المجاز، وقد جاء ذكره في كتب اللغة العربية، قال الكردي في «نظرات في البيان»[1]: «إذا كان الشيء مجاوراً لآخر في مكانه يكون بينهما اتصال، يعدّ في العرف مجاورة. من ذلك قولك: شربت من الراوية. الراوية: ما يستقي عليه من بعير وغيره، والمزادة: سقاء الماء الذي يوضع عليها. والراوية مستعملة في المزادة، والعلاقة مجاورة المزادة للراوية، والقرينة كلمة: شربت».

وعند الأصوليين إذا وقع تعارض ظاهر بين نصّين شرعيين، فعلينا التأليف بينهما قبل أن نحكم عليهما بالتعارض. وهو الحال هنا.

فهناك الكثير من الأحاديث تتكلّم عن أمور لها صلة بظواهر كونية لم تكن تُعرف لدى العرب وقت التنزيل، والتكلم عن هذه الأمور جاء لتبيين مواضيع شتّى كالتشريع... أو إظهار حكمة ما، ولم يُسق أساساً لتبيين الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، والاستطراد في الكلام لتبيين الأمور العلمية الغيبية التي تتفرّع من المواضيع الأساسية يجعل فهم المواضيع الأساسية معقّداً على السامعين. لذلك فالاختصار في الكلام في هذا الموضع واستعمال المجاز فيه، المألوف للمجتمع العربي آنذاك، يسهّل استيعاب الكلام، وفي الوقت نفسه يفتح المجال لاكتشاف الحقيقة العلمية في المستقبل، وهذا الأسلوب يدلّ على دقّة عالية، وحكمة متناهية، في التعبير عن المعاني التي يصل إليها الكل بطرق مختلفة. حيث إن استعمال المجاز هنا لا يعارض معتقدات هذه الشعوب (لأنه بالظاهر يوافق معتقداتهم بأن الإنسان ينسل من الصلب)، ولا الحقيقة العلمية (لأنه يستخدم المجاز الذي يتيح فهم أن انسلال

---

(1) «نظرات في البيان»، للدكتور محمد الكردي، باب المجاز المرسل، ص 238. وانظر «عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح»، لأحمد السبكي، (ج1/ص100) - و«المطول في شرح تلخيص العلوم»، للتفتازاني، ص576. و«الأطول شرح لمختصر مفتاح العلوم»، لإبراهيم محمد بن عربشاه العصام الحنفي، (ج1/ ص85).

الإنسان هو من مكان يجاور الصلب) في آن واحد. فجاء التأليف بينهما بأسلوب سهل، لين، سائغ للسامعين.

ولا يعتبر هذا الأسلوب تضليلاً للسامعين عن الحقيقة العلمية، لأن الرسول ﷺ بين الحقيقة العلمية في مكان آخر. فقد جاء ذكرها في نص سورة الطارق بأسلوب يدعونا للتفكر واكتشاف الحقيقة العلمية، وهو أسلوب إيضاح، وتبيين، وتفصيل لمبدأ نشأة الإنسان كما يشير إليه سياق النص القرآني: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝﴾ [سورة ...] ، أما في آية سورة النساء والحديث رقم 109، والحديث رقم 110 فقد جاء ذكر كلمة "الأصلاب" بطريقة موجزة، وهكذا فإن النصوص الشرعية الثلاثة مجملة، وآية سورة الطارق مبينة، وعلينا أن نرد المجمل إلى المبين كما يقرره علم "أصول الفقه"، وبالتالي فلا نستطيع أن نقول إن النصوص الشرعية الثلاثة تتعارض مع نص سورة الطارق. كذلك فإن نص سورة الطارق سيق لغرض تبيين نشأة الإنسان، والنصوص الشرعية الثلاثة لتبيين أمور أخرى، وقد استعمل فيها كلمة "الأصلاب" تبعاً في ذكر أمر آخر، وعلينا أن نرد الأمر العرضي إلى الأمر الأساسي. أضف إلى ذلك أن المجاز استعمل في النصوص الشرعية الثلاثة، والحقيقة العلمية في نص سورة الطارق، وعلينا أن نرد المجاز إلى الحقيقة قبل أن نجزم أن هناك تعارضاً.

تفسير النقطة الثامنة (أن ماء المرأة أصفر):

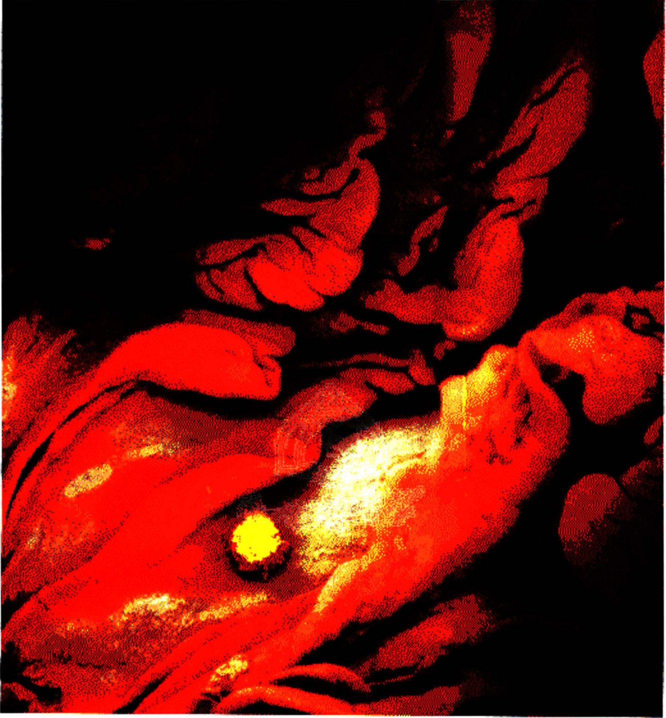
● قال رسول الله ﷺ: "ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر..." [أخرجه مسلم ج١].

إن الماء الذي يتدفق من مبيض المرأة (أي السائل الحويصلي) والذي يحتوي على البويضة، أصفر اللون، والحديث السابق يشير إلى هذا الماء؛ والدليل على ذلك هو أن الرسول ﷺ أشار في حديث آخر[1] إلى لون النطفة الذكرية والأنثوية، وبما أن النطفة هي القطرة من الماء، فبالتالي إن لونها يتبع لون الماء الذي يحويها. (انظر الصورة رقم: 22). وبعد خروج البويضة من الحويصلة يتحول ما تبقى من تلك الحويصلة إلى ما يعرف (بالجسم الأصفر CORPUS LUTEUM)[2].

---

(1) الحديث هو: "نطفة الرجل بيضاء غليظة، ونطفة المرأة صفراء رقيقة، فأيهما غلبت فالشبه له" ذكره ابن هشام ج١٥٧.

(2) كتاب الآيات العجاب في رحلة الإنجاب، د. حامد أحمد حامد، ص40.



(22) - نرى هنا النطفة داخل بوق فالوب وهي صفراء اللون وفقا للحديث «ماء المرأة أصفر» [أخرجه مسلم ج٢]

هذا الأمر لم يستطع أحد تأكيده في عهد رسول الله - عليه وعلى آله الصلاة والسلام - لأن المجهر لم يكن موجوداً في ذلك العصر ليكشف عما يجري داخل الرحم، بيد أن هذا الأخير اكتشف عام 1677م على يديْ هام وهوك ليوين.

النطفة

● قال العليم الحكيم: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة: 37].

● قال العليم الحكيم: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: 8].

● قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما مِنْ كل الماء يكون الولد . . .» [أخرجه مسلم ح17].

● قال رسول الله ﷺ: « ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فمن أيهما علا أو سبق يكون الشَّبهُ منه» [أخرجه مسلم ح67].

● عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة فأيهما غلبت فالشبه له». [ذكره ابن هشام ح69].

أ - النطفة:

1 - تعريف النطفة

نفهم من الآيتين الكريمتين السابقتين أن الإنسان خلق من جزء من المني وليس من المني كله، لأن الإنسان خلق من ﴿نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ﴾[1]. فالنطفة ليست المني كله ولكنها جزء من المني، ويكون معنى الآية: ألم يك الإنسان قطرة من مني يمنى؟.

(1) لقد رأينا في مبحث «**الماء والمني**» أن الإنسان يتخلق من مني الرجل وماء المرأة، وأيقنا أيضاً أن ماء الرجل هو مني الرجل في الوقت نفسه، على حين أن ماء المرأة يختلف عن مني المرأة. لذلك قد يتساءل بعض القرّاء لماذا قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة: 37]؟ والحال هي أن الإنسان لم يتكون بأكمله من مني يمنى، لأن الآية في هذه الحالة تشير بالظاهر إلى مني الرجل فقط، وهي تؤلف نصف مادة الجنين المتخلق، وليس كلها، كذلك فالقارئ قد يتساءل أن الله تعالى لو قال: ألم يك نطفة من ماء، ألم يكن ذلك يكفي المعنى؟

نقول - وبالله التوفيق - : إن الله تعالى نزّل هذا الكلام منزلة التغليب، وتعريفه: «وحقيقته إعطاء الشيء حكم غيره، وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر. أو إطلاق لفظه عليهما، إجراء للمختلفين مجرى المتفقين». «البرهان في علوم القرآن للزركشي»، ص 302. وانظر «الأشباه والنظائر» للسيوطي - (ج1/ص170).

= وهذا الأسلوب جاء بوفرة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: 34]، حيث صرّح بأمر السجود للملائكة واستثنى منهم إبليس، مع كونه ليس منهم، إنما هو من الجن (والأصل في المستثنى أن يكون من جنس المستثنى منه)، وكقوله ﷻ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: 12]، حيث إن الله تعالى وصف مريم ابنت عمران بأنها من القانتين، ولم يصفها بأنها من القانتات، فغلّب الذكور على الإناث، وكقوله ﷻ: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ [الشورى: 11]، فغلّب المخاطبين، وهم بنو آدم على الأنعام، ولم يقل للأنعام: يذرؤها فيه، مع قربها للضمير إليها، إلى ذلك من أمثال. وللمزيد انظر مبحث «التغليب» في كتاب «الأشباه والنظائر» للسيوطي. (ج1/ص169 – 171).

وفي هذه الآية يتمثّل التغليب بنوعين: تغليب المذكر، وتغليب الأشهر، وكلاهما من أنواع التغليب كما «في البرهان في علوم القرآن»، ويتمثل تغليب الأشهر بأن الله جلّ وعلا غلّب كلمة «مني» (التي تشير إلى سائل الرجل الطاهر للعيان) على كلمة «ماء» (التي تشير إلى سائل الرجل والمرأة على حدّ سواء)، فصرّح بكلمة «مني» وأعرض عن ذكر كلمة «ماء»، ويمثّل تغليب المذكر بأنه جلّ وعلا غلّب مني (أو ماء) الرجل على ماء المرأة، أي أنه صرّح بمني (أو ماء) الرجل فقط، وورّى عن ذكر ماء المرأة، مع استوائهما في إرادة المتكلم لعدة أسباب:

- في مجال تغليب كلمة مني (أو ماء) الرجل على ماء المرأة:

1 - أن الرسول ﷺ بعث بجوامع الكلم كما أشرنا إليه في مبحث «**المنهجية المتبعة في وصف الأطوار الجنينية**»، وبالتالي فإن الله تعالى بذكر الآية: ﴿نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة: 37]، أتاح لنا تفسير النص القرآني: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: 37-39] بوجهين سليمين، يتفق كلٌ منهما مع قدرات القراء وثقافتهم، سواء أكانوا متأخرين أم متقدمين. فمن الممكن في هذه الحالة أن نرجع ضمير «الهاء» في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ إلى الإنسان المذكور في سورة القيامة على العموم - وذلك يجوز لأن موضوع سورة القيامة يتكلم عنه - أو نلمس المذكور في الآية: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة: 37] – وذلك يجوز أيضاً لأن كلمة «مني» هي أقرب مذكور إلى ضمير الهاء في «منه» - وكلا الوجهين صحيح علمياً، ويؤدي إلى فهم النص القرآني على نحو سليم. ففي الحالة الأولى من الممكن أن نفهم أن الآية تفيد أن إذكار أو إيناث الجنين يحصل بعد مرحلة التسوية المشار إليها في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [القيامة: 38]، والمذكورة مباشرة قبل الزوجين: الذكر والأنثى، كأن نقول إن الآية تقول: فسوى، ومن ثمّ جعل من الإنسان (أي الجنين) الزوجين: الذكر والأنثى، كما سنفصله لاحقاً في مبحث «**النشأة/ مرحلة القابلية للحياة/التعديل/التميز الجنسي**». وهذا المفهوم يدعمه الحديث الشريف التالي: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب: أذكر أم أنثى؟...» [أخرجه مسلم ح1415]. وإذا أرجعنا ضمير «الهاء» في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ =

. . . .

―القيامة: 37) إلى المني المذكور في الآية ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ ... صحّ أيضاً، ونصّ أن الإذكار أو الإيناث سببه المني (أو ماء الرجل) فقط، وليس ماء المرأة، كأن نقول: إن الآية تقول: فجعل من المني الزوجين الذكر والأنثى، كما سنفصّله في مبحث "**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة/دور النطفة في تحديد جنس الجنين**"، وهذا المفهوم يدعمه النص القرآني: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝﴾.

2 - إن مني الرجل ظاهر للعيان، وبالتالي فمن الأسهل على المخاطبين - على وجه عام - أن يستوعبوا أن الإنسان يتخلق منه، بدلاً من أن يحاولوا استيعاب أن الجنين يتخلق من مني الرجل، ومن ماء غير مرئي، مخبئ في جسد المرأة. «والعرب تغلّب الأقرب على الأبعد»، كما صرّح السيوطي في الأشباه والنظائر (ج1/ص170). لذلك غلّب المني على ماء المرأة، لقربه من الذهن أكثر من ماء المرأة.

3 - إن ذكر نطفة ومني الرجل جاء من أجل دحض اعتقاد العرب أن المرأة هي السبب في انجاب الإناث. وكان يترتب من جراء هذا الاعتقاد ظلم وإيذاء للمرأة. فكان لا بد من إعادة الأمور إلى نصابها، وإظهار أن الرجل هو السبب في إذكار أو إيناث الجنين، وترسيخ وتغليب هذا المفهوم على الاعتقاد الخاطئ والسائد عند العرب. لذلك غلّب مني الرجل على ماء المرأة. فجاء الإخبار عن حقيقة علمية غيبية إعجازاً علمياً ساطعاً، وخصوصاً أنه تحدى زعم العرب آنذاك، وأشار إلى عكس ما آمنوا به. وأرى من الأهمية بمكان أن أنقل ما جاء في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، (ج5/ص94)، حتى يتبين للقارئ أن الإسلام هو أول من دافع عن المرأة، وأدى لها كامل حقوقها، ونصّه ما يلي: «ومن النساء من تكون خصبة في ولادة البنات، فيجلب لها الخصب هجر زوجها لها وفراره منها ومن رؤية بناته. يحدث الأصمعي أن امرأة ولدت لرجل بنتاً سمتها الذلفاء، فكانت هذه البنت سبباً في هرب الرجل من البيت، فقالت:

ما لأبي الذلفاء لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا؟
يحرد أن لا نلد البنينا ... وإنما نأخذ ما يعطينا

ومثل تلك المرأة المسكينة كثير من النساء هجرهن أزواجهن لكثرة ما كن يلدن لهم من البنات، ولسان حالهن يكرر كلمات أم الذلفاء».

في مجال تغليب كلمة «مني» على كلمة «ماء»:

1 - أنه لو قال الله تعالى: ألم يك نطفة من ماء، لما كان بالإمكان فهم الآية على أن سبب إذكار أو إيناث الجنين هو المني، كما ذكرنا سابقاً، لانتفاء التخصيص في نوع الماء الذي يتولد منه زوجا الجنين.

2 - إن الكلام لن يعود متناسباً من الناحية البلاغية، ولن يحتفظ بجمال أسلوبه على الأقل...:

● فمن ناحية: أن ذكر المني يفيد الشهوة كما بيناه في مبحث «**الماء والمني/التعريف القرآني واللغوي للماء والمني**»، وهو يتوافق مع ذكر الزوجين، وميلهما إلى بعض، فأرجع الكلام إلى أوله، ورد العجز على صدر الكلام. ولعل الآية تشدد على إبراز الشهوة، ذلك أنه كان يكفي أن تقول ألم يك نطفة

إلى ذلك فالنطفة في اللغة العربية هي القليل من الماء الذي يعدل القطرة.

جاء في لسان العرب[1]: «النطفة: والنطفة القليل من الماء... والنطف: القطر ونطف الحب والكوز وغيرهما ينطف وينْطُف نطفاً ونطوفاً ونطافاً ونطفاناً: قطر».

وقد وردت عدة أحاديث للرسول ﷺ، وروايات للصحابة ﷺ تحمل هذا المفهوم منها: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة فإذا رجلٌ آدم سبْطُ الشعر بين رجلين ينطُف رأسه ماء...» [أخرجه مسلم ح18]، ومنها: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلع رجل من الأنصار تنطُف لحيته من وضوئه. [أخرجه أحمد ح19]. **هذا هو مفهوم الصحابة ﷺ للنطفة.**

هذا وقد أوضح الرسول الكريم - عليه أزكى الصلوات وأطيب التحيات - أن مصدر الإنسان إنما هو من جزء من الماء بقوله ﷺ: «ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء» [أخرجه مسلم ح17]، فمنطوق الحديث أنّه ليس من كل الماء يكون الولد، ومفهومه بل من جزء يسير منه، وبهذا تكون النطفة - أي القطرة من الماء - السبب في خلق الإنسان.

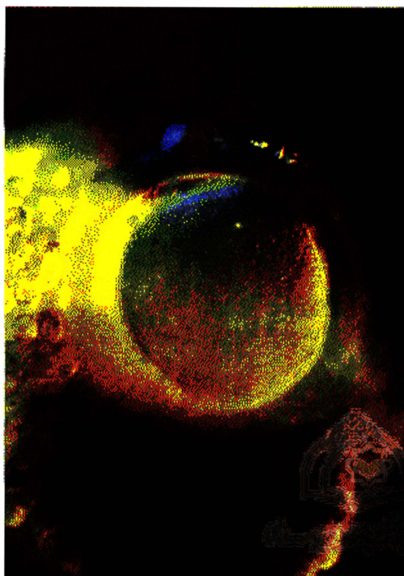
وهكذا نفهم لماذا أطلق الرسول الكريم ﷺ لفظ «نطفة» على كل من بويضة المرأة والبويضة المخصبة، بل وحتى على الحيوانات المنوية التي تنتقل هي أيضاً من المهبل إلى قناة فالوب حتى تلقح بويضة المرأة. (انظر الصورتين رقم: 23 - 24).

=من مني؟ أو ألم يك نطفة تمنى؟ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝﴾ [النجم: 45، 46]، لكي نفهم المعنى، غير أن تكرير أصل «مني» من خلال كلمتي «مني» و«يمنى»، الذي يشير إلى مني الشهوة بنزول السائل الجنسي دلّ على أن شهوة الذكر للأنثى (أو شهوة الأنثى للذكر) تلعب دوراً كبيراً في تسهيل إذكار أو إيناث الجنين كما يشير إليه الحديث الشريف: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منيّ الرجل منيّ المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة منيّ الرجل آنثا بإذن الله» [أخرجه مسلم ح19، وكما أشرنا إليه في مبحث **«الماء والمني/أن لمني الرجل ولمني المرأة دوراً في تسهيل عملية إذكار أو إيناث الجنين)**: ومن هنا كان ارتباط آخر الكلام بأوّله».

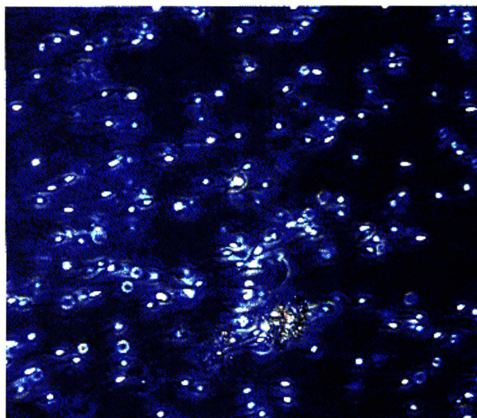
● ومن ناحية أخرى: إن قول - على سبيل المثال - : ألم يك نطفة من ماء يندفق، ثم كان علقة، فخلق، فسوى، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى، لن يحتفظ بجمال البيان ورونقه. كما لا يخفى على العالم باللغة العربية، ونحوها، وبلاغتها...

والله تعالى أعلم، وأجلّ وأكرم.

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «نطف» - (ج14/ ص187).



(23) - نرى في الصورة البويضة وهي وسط الماء الذي يرافقها وفقاً لقول الرسول ﷺ:
«ما من كل الماء يكون الولد» [أخرجه مسلم ح17].



(24) - نرى في الصورة كيف أن مني الرجل يحتوي على الكثير من الحيوانات المنوية وبالتالي يتخلق الولد من جزء من الماء كما نفهم من الحديث الذي [أخرجه مسلم ح 17].

2 - نُطف ذكرية وأنثوية

● سأل يهودي الرسول الكريم - عليه أفضل الصلاة والتسليم - قائلاً : يا محمد ممّ خُلق الإنسان ؟، فقال رسول الله ﷺ : "يا يهودي من كلٍّ يُخلق : من نطفة الرجل ونطفة المرأة » [أخرجه أحمد ج20].

بعد أن عرفنا – من خلال ما تقدم – أن للمرأة ماءً كما أن للرجل ماءً، لا بد أن نشير إلى أن إثبات وجود ماء للمرأة لا يلزم منه إثبات وجود بويضة داخل هذا الماء.

وإن كانت الفرضية قد تقود إلى مثل هذا الفهم، فإن ثمة فرضيات كثيرة أخرى تقود إلى خلاف هذا، فقد ذهب العالم (مارسيللو مالبيجي MARCELLO MALPIGHI) 1675م إلى أن الحيوان يكون في ماء الرجل ويتغذى من ماء المرأة.

إذاً فالمعرفة الدقيقة لهذا المعنى لا بد أن تكون قائمة على أسس أكثر ثباتاً من الفرض والتخمين.

وقد أثبت الرسول ﷺ :

● أن للمرأة نطفة كما أن للرجل نطفة.

● أن نطفة المرأة تلعب دوراً أساسياً كنطفة الرجل في خلق الإنسان، والحال أن اكتشاف حويصلة البويضة لم يتم إلا في القرن السابع عشر على يد العالم دوغراف، ولذلك تسمى : (فوليكول دوغراف FOLLICULE DE GRAAF).

وبذلك يكون الرسول – عليه الصلاة والسلام – قد نسخ مزاعم الطبيب مالبيجي التي أطلقها في سنة 1675م من أن البويضة تحمل الجنين بصورة مصغرة، وأن السائل لا وظيفة له إلا تنشيط البويضة، واعتقاد (هام ونوفينهوك HAMM AND LEEUWENHOEK) أن الجنين موجود بصورة مصغرة جداً في الحيوان المنوي، وأن لا وظيفة للبويضة إلا في تغذيته وتنشيطه، وذلك عندما أكد ﷺ أن لكل من نطفة الرجل ونطفة المرأة حظاً في عملية تخلّق الجنين، وكان بذلك ﷺ قد أشار إلى هذه الحقيقة العلمية قبل أن يكتشفها العالم (سبلانزاني SPALLANZANI) (1729 - 1799م) أيضاً.

ب - السلالة:

هذا ما يتعلق بكلمة نطفة، أما بالنسبة لكلمة سلالة، فنشير إلى أن كلمة سلالة قد وردت في الآية الكريمة : ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: 8] إلى جانب كلمة "ماء".

هذه السلالة تُستخرج من الماء تحديداً وليس بالضرورة من المني، وبالتالي فإن السلالة تأتي من الرجل أو من المرأة وليس من الرجل فقط، وذلك لأن الماء هو سبب تخلّق الجنين كما أشرنا إليه في مبحث «**الماء والمني**» وهو بالتالي يحمل نطف المرأة أو نطف الرجل. أما المني فهو يحتوي على نطفة الرجل فقط ولا يحتوي على نطفة المرأة (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**الماء والمني**»).

والماء المهين هو الماء القليل في اللغة العربية.

جاء في لسان العرب[1]: «مهين: قال أبو إسحق: هو فعيل من المهانة وهي القلة... وقوله عزّ وجلّ: خُلق من ماء مهين، أي من ماء قليل ضعيف».

كلنا يعلم أن مني الرجل قليل وذلك لأنه ظاهر للعيان؛ فعلى سبيل المثال: فإن متوسط ما يتدفق من المني عند استمناء الرجل يبلغ حوالي ثلاثة ونصف من المليلتر، ويوجد في هذا الحيّز من المكان حوالي ثلاثة مائة وخمسين مليون حيوان منوي؛ أي أن لكل مئة مليون نطفة - تبلغ من الطول ستة في المائة من المليمتر ملم مكعب واحد تتحرك فيه، وهذا مكان صغير نسبياً.

أما بالنسبة للبويضة فإن قطرها يبلغ 0،13 مليمتر عند خروجها من الجريب[2] ويبلغ حجم السائل الذي يُقذف معها حوالي 10 إلى 15 مليلتر[3]، وهو أيضاً رقم صغير نسبياً.

إذاً معرفة أن ماء الرجل قليل كما أسلفنا القول ليس من الإعجاز، أما معرفة أن ماء المرأة قليل فهو أمر غير طبيعي؛ فالسائل الذي يحتوي على البويضة غير ظاهر ولا سبيل للنظر إليه إلا بواسطة آلات متقدمة كانت غير موجودة في عصر الرسول ﷺ. وهذا السائل يخرج من المبيض ويتبعثر في (تجويف البطن PERITONEAL CAVITY)، وما يصل منه إلى قناة فالوب يختلط بالماء الموجود فيها وبالسوائل الأخرى التي تفرزها غدد رحمية موجودة في الرحم مثل (لبن الرحم UTERINE MILK)[4]، وبالتالي ما يخرج من الرحم، في حال خرج منه، لا يكون مميّزاً عن غيره من السوائل، وهكذا فلا سبيل لمعرفة مقداره.

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «مهن» (ج13/ ص212).
(2) كتاب الآيات العجاب في رحلة الإنجاب، د. محمد أحمد حامد، ص40.
(3) كتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص31.
(4) كتاب علم الأجنة الإنساني، بويد وموسمان، هملتون، ص85.

ولنتكلم الآن عن معنى كلمة «سلالة»، فهذه الكلمة مشتقة من كلمة «سلّ»، وكلمة «سلّ» لها عدة معانٍ منها:

1 - الماء القليل.

2 - السمكة الطويلة.

3 - انتزاع الشيء وإخراجه في رفق[1].

4 - الخروج من الزحام.

5 - الخروج من مضيق.

6 - السير السريع والسباق.

قال ابن فارس: «سل: السين واللام أصل واحد، وهو مدّ الشيء في رفق وخفاء... ومما حمل عليه: السلسلة: سميت بذلك لأنها ممتدة في اتصال، ومن ذلك: تسلسل الماء في الحلق إذا جرى...»[2].

ورد في لسان العرب[3]: «سلل: السّل: انتزاع الشيء وإخراجه في رفق، سلّه يسلّه سلاً واستلّه فانسلّ وسلّلته أسلّه سلاً... والسلالة ما انسلّ من الشيء... والانسلال: المضي والخروج من مضيق أو زحام... قال ابن بري: قوله سال السليل بهم أي ساروا سيراً سريعاً... وسلّة الفرس: دفعته من بين الخيل، وفرس شديد السلة: وهي دُفْعتُه في سباقه».

جاء في تاج العروس عن السلالة[4]: «وأيضاً السمكة الطويلة».

ونقول: إن العرب سمّت السمكة الطويلة بالسلالة لأنها ممتدّة باتصال، وأن انتزاع الشيء من الشيء الآخر هو امتداد له، لذلك أطلق العرب اسم السلالة على ما استُخرج من الشيء، كذلك الخروج من الزحام هو امتداد للجماعة التي تشكل الزحام، والخروج من المضيق هو اختفاء عن الأنظار من خلال الولوج في هذا المضيق والخروج من ناحيته الأخرى، والسير يشكل حلقة متّصلة من الخطوات،

(1) القاموس المحيط لمجد الدين محمد - مادة «سلل» - ص1312. تاج العروس لمحمد مرتضى - مادة «سلل» (ج14/ ص349).

(2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (ج3/ ص59 - 60).

(3) لسان العرب لابن منظور - مادة «سلل» (ج6/ ص338 - 340).

(4) القاموس المحيط لمجد الدين محمد - مادة «سلل» - ص1312. تاج العروس لمحمد مرتضى - مادة «سلل» - (ج14/ ص350).

والسرعة في السير تضفي الخفاء على الشيء لأنه يقطع مسافة معيّنة في مدّة قصيرة فيغيب عن الأنظار...

ومما يجب التنويه به هنا هو أن حرف "منْ" له عدة وظائف في اللغة، فهو قد يأتي لابتداء الغاية في الأماكن والأزمنة، أو للتبعيض، أو للجنس.

جاء في لسان العرب[1]: "من:... ومنْ بالكسر حرف خافض لابتداء الغاية في الأماكن، وذلك قولك من مكان كذا وكذا إلى مكان كذا وكذا، وخرجت من بغداد إلى الكوفة، وتكون أيضاً للتبعيض، تقول: هذا من الثوب وهذا الدرهم من الدراهم وهذا منهم، كأنك قلت بعضه أو بعضهم، وتكون للجنس كقوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ [النساء: 4]، فإن قيل: كيف يجوز أن يقبل الرجل المَهْر كله وإنما قال منه؟، فالجواب في ذلك أن "منْ" هنا للجنس، كما قال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: 30] ولم نؤمر باجتناب بعض الأوثان...".

فإن اعتبرنا حرف "منْ" لابتداء الغاية في الأماكن، فإنه ينطبق على السلالة معنى الخروج من مضيق، أو من الزحام، أو الخروج برفق، وكان المعنى على هذا النحو: ثم جعل نسله من شيء ينسلّ برفق أو من مضيق أو من زحام إلى مكان كذا وكذا. وإن اعتبرنا حرف "منْ" للجنس انطبق على السلالة معنى السير السريع والسباق، وكان المعنى على هذا النحو: ثم جعل نسله من ماء قليل يسير بسرعة. وإن اعتبرنا حرف "منْ" للتبعيض انطبق على السلالة معنى السمكة الطويلة، وكان المعنى على هذا النحو: ثم جعل نسله من بعض المني يشبه السمكة الطويلة.

المعنى الأول وهو الماء القليل: كلمة سلالة تشير إلى البويضة وإلى الحيوان المنوي لأنها تعني القليل من الماء، وذلك حسب ما يشير إليه وزن الكلمة، جاء في تفسير زاد المسير[2]: "﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: 12]: قال الزجاج: والسلالة فُعالة، وهي القليل مما ينسل، وكل مبنيّ على فُعالة يراد به القليل، من ذلك: الفُضالة، والنُخالة، والقُلامة".

في هذه الحالة تكون وظيفة "منْ" للتبعيض ويكون المعنى على النحو التالي: ثم جعل نسله من ماء قليل (أي من نطفة) ينسل من ماء قليل أيضاً (وهو الماء الدافق).

---

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة "منن" - (ج13/ ص201).

(2) زاد المسير لابن الجوزي - (ج5/ ص462).

وبالفعل فإن حجم الحيوان المنوي 1/100 من الملم، وحجم البويضة عندما تنسل من الجريب 0.13 ملم، وهي أرقام صغيرة نسبياً.

ونفهم من هذا الكلام أن الذي أوحى القرآن لسيدنا محمد ﷺ أراد أن يشير الجذر «سلّ» إلى معنى الشيء القليل، فتكلّم به على وزن «فُعالة» ليُرينا أنه يعلم أن الحيوانات المنوية والبويضة التي تنسل من الماء صغيرة الحجم.

المعنى الثاني وهو السمكة الطويلة: توجد الحيوانات المنوية في المني، والمني هو السائل الذي يتدفق من العضو التناسلي للرجل، وبالتالي فإن الحيوانات المنوية توجد في وسط مائي كما توجد الأسماك في مياه البحار والأنهار.

إلى ذلك فإن الحيوان المنوي مؤلف من ثلاثة أجزاء: رأس، وقطعة متوسطة، وذيل. يسبح ويتنقّل الحيوان المنوي في هذا السائل بواسطة ذيله الذي يدفع به إلى الأمام، وهكذا فإن الحيوان المنوي يشبه السمكة من حيث الحركة.

يتخذ رأس الحيوان المنوي شكلاً كُمثرياً - أي مثل شكل الإجاصة - وهو ضخم بالنسبة للقطعة المتوسطة والذيل مما يجعله يشبه السمكة ذات الرأس الكبير من حيث الشكل.

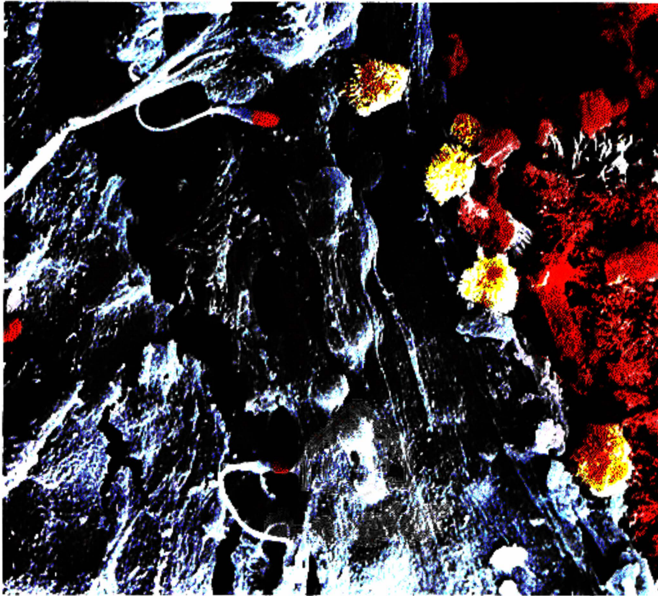
وهكذا نرى تشابه الحيوان المنوي بالسمكة من حيث المحيط والحركة والمظهر.

إنّ الحيوان المنوي طويل جداً بالنسبة لعرضه؛ يبلغ طول الحيوان المنوي ستة في المئة من المليمتر ويحتل رأسه الضخم خمسة ميكرونات فقط (والميكرون هو واحد على الألف من المليمتر)[1]، أما باقي أجزاء الحيوان المنوي - القطعة المتوسطة والذيل - فهي تتخذ شكلاً مستطيلاً طويلاً وتحتل معظم طول النطفة؛ وبالتالي فإن الحيوان المنوي يظهر للرائي ليس كسمكة فحسب بل كسمكة طويلة كما تنص عليه كلمة «سلالة» التي وردت في القرآن الكريم. (انظر الصورة رقم: 25).

المعنى الثالث وهو انتزاع الشيء وإخراجه في رفق: بعد تدفق المني من عضو الرجل في مهبل المرأة تبدأ الحيوانات المنوية رحلتها إلى البويضة فتسبح في بادئ الأمر في مني الرجل ومن ثمّ تصعد إلى قناة عنق الرحم سابحةً في منيّ الرجل.

---

(1) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص160.



(25) - نرى في الصورة الحيوان المنوي يتحرك في الرحم
وكأنه سمكة طويلة تسبح في قاع البحر وفقاً لمعنى كلمة «سلالة»

وتجدر الإشارة هنا إلى أن (عنق الرحم CERVIX) يمتلئ في هذه الفترة بمادة مخاطية ولكن تصبح طبيعتها أكثر لزاجةً فتُسهّل عبور الحيوانات المنوية إلى الرحم وتمدها بالأوكسيجين. كما أن جدار الرحم يمُد الحيوانات المنوية بالطاقة لمواصلة سيرها إلى هدفها مما يساعدها على الانسلال برفق من المني إلى الرحم فقناة فالوب تماماً كما تعنيه كلمة «سلالة».

أما بالنسبة للبويضة فإن حركة (أهداب بوق فالوب FIMBRIAE) تُسهّل انسلالها؛ فهذه تكون قد تلقت من الجريب مواد كيميائيةً ترشدها إلى المكان الذي ستنفجر منه الحويصلة. وبذلك تتخذ مواقع لها تُمكنها من التقاط البويضة بحيث لا تضيع في جوف البطن، كما أن جريب البويضة يفرز مادة تجعل أهداب بوق فالوب

تسحب ماء البويضة إلى داخل البوق، إلى ذلك فإن حركة شعيرات قناة فالوب وتقلّص عضلات قناة الرحم يحدثان ضغطاً سلبياً مما يساعد على التقاط البويضة والمحافظة عليها. والأهم من ذلك كله هو أن البويضة تُحاط بكمية كبيرة من الغذاء تُخوّلها مواصلة نشاطها. ولولا هذا التسهيل لواجهت النطف - سواء أكانت الحيوانات المنوية أو البويضة - الموت المحتّم.

وهكذا يتبّين لنا كيف أن التعبير بكلمة «سلالة» متوافق تماماً لما توصّل إليه العلم من أن هناك عوامل تُسهّل رحلة الحيوانات المنوية من محيطها الأول إلى محيطها الثاني، وأن هناك عوامل أخرى تسهّل انسلال البويضة من المبيض إلى مكان تلقيحها.

المعنى الرابع وهو الخروج من زحام: كما أسلفنا القول: فإن حجم ما يتدفق من المني عند استمناء الرجل يبلغ حوالي ثلاثة ونصف من المليلتر، ويوجد في هذا الحيّز من المكان حوالي ثلاث مائة وخمسون مليون حيوان منوي!!! وبذلك فإن المني مزدحم بتلك النطف.

إلى ذلك تجتمع الحيوانات المنوية في مرحلة أولى حول عنق الرحم الذي لا يسمح بمروره إلا للقليل منها فتتزاحم الحيوانات المنوية لتعبره ومن ثمّ تخرج منه بدفعات قليلة وتصعد إلى قناة فالوب فينقص عددها إلى حوالي خمسمائة حيوان ولا يلقح البويضة إلا نطفة واحدة. (انظر الصورة رقم: 26).

وهكذا يخرج هذا الحيوان المنوي من وسط هذا الزحام ليلقح البويضة التي تنتظره.

أما بالنسبة للبويضة فإن المبيض يحتوي على أربع مائة ألف بويضة أولية عند بلوغ الأنثى، وبشكل دوري - يتكرر مرة كل شهر - يتم انتخاب واحدة منها لتنزل إلى قناة فالوب وحتى يلقحها الحيوان المنوي. وهكذا تخرج البويضة من ازدحام المبيض بالبويضات لكي تحقق المعنى الدقيق لكلمة «سلالة» التي وردت في القرآن الكريم.

مفهوم الخروج من الزحام يستوجب أن يكون هناك زحام، والزحام بدوره يستوجب كثرة الأفراد وإلا لما حصل هناك زحام، وانتقاء كلمة «سلالة» يدل على أن من جعل تلك الكلمة في مكانها ذلك يعلم تمام العلم أن هناك كثرة من الحيوانات المنوية والبويضات وأنه يحصل ازدحام من جراء ذلك.

المعنى الخامس وهو الخروج من مضيق: تحدثنا أعلاه أن الحيوانات المنوية تزدحم عند فتحة عنق الرحم ومن ثمّ تحاول عبور هذا العنق.

وعنق الرحم هو الواصل بين المهبل والرحم - وهو جزء لا يتجزأ من الرحم-.

وهذا العنق له فوهتان تنفتح الظاهرة منهما على جوف المهبل أما الباطنة فتنفتح على جوف الرحم.

إن منطقة الفوهة الباطنة تسمى (المضيق - أو البرزخ - UTERINE ISTHMUS).

ومسافة هذا المضيق هي اثنان إلى خمسة ملم[1].

وتحت تأثير (الأستروجين ESTROGEN)[2] يمتلئ عنق الرحم بالمادة المخاطية ولكن تصبح طبيعتها أكثر لزاجة مما يسمح للحيوانات المنوية بالعبور عبر قنيوات ضيقة تتخلل المخاط. (انظر الصورة رقم: 27 - 28).

إن عرض القنيوات الضيقة يعادل عرض شعرة الرأس[3].

وهكذا يتجلى لنا كيف أن الحيوانات المنوية تعبر عنق الرحم - الذي يشكل مضيقاً بصورة عامة -، عبر قنيوات ضيقة - التي تشكل كل واحدة منها مضيقاً بصورة خاصة - لتدخل إلى الرحم.

أما بالنسبة للبويضة؛ فإن عملية الانسلال من مضيق تحصل لها بعد أن تلقح، فهذه النطفة بعد أن تهاجر من (الثلث الوحشي لقناة فالوب AMPULLA OF THE UTERINE TUBE)، تواجه عند دخولها الرحم، مضيقاً لا يسمح - لصغر قطره - للبويضة بعبوره لولا اتساعه في ذلك الحين. فهذا المضيق لا يزيد قطره عن 0,7 ملم في الأيام العادية و1 ملم عند خروج النطفة منه.

ونورد في هذا المضمار ما قاله الدكتور لارس هامبرغر[4]: «إن أضيق مكان من قناة فالوب يتسع ومن ثمّ تخرج البويضة الملقحة عبر الممر المحدود إلى الرحم».

ذكر كلمة "سلالة" في القرآن الكريم يدل على أن من جعلها في مكانها يعلم تمام العلم شكل رحم المرأة وهو يبدأ بمضيق عند قناة عنق الرحم وعند مدخل قناة فالوب وذلك لما تعنيه كلمة "سلالة" من: الخروج من مضيق.

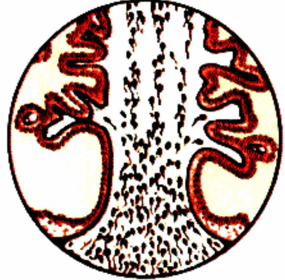
---

(1) كتاب القرار المكين، د. مأمون الشقفة، ص40.

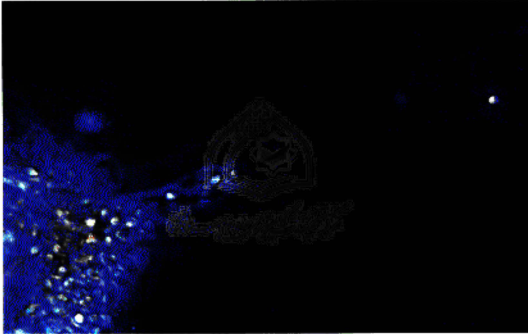
(2) والأستروجين هو هرمون المرأة ويفرز المبيض هذه المادة في بداية الدورة الشهرية.

(3) كتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص41.

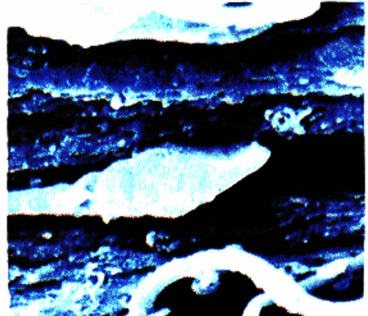
(4) كتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص39.



(26) - على اليمين رسم لمدخل الرحم يوضح كيف أن الحيوانات المنوية تزدحم عند فوهة الرحم، ومن ثم تخرج من هذا المضيق والزحام بأعداد قليلة نسبياً لنحقق معنى كلمة «سلالة».



(27) - صورة حقيقية تظهر كيف أن الحيوانات المنوية تزدحم عند (المادة المخاطية Mucus)، وكيف أن القليل منها ينسل من هذه المادة فيعبر عبر قنوات ضيقة.



(28) - صورة لحيوان منوي ينتقل عبر قناة ضيقة في المادة المخاطية.

المعنى السادس وهو السير السريع والسباق: تصل المسافة التي يقطعها الحيوان المنوي إلى حوالي خمسة عشر إلى ثمانية عشر سنتيمتراً، وتستغرق رحلة الحيوانات المنوية من فتحة عنق الرحم إلى قناة فالوب في العادة عدة ساعات ولكن بعض الحيوانات المنوية تصل إلى أنابيب الرحم بعد ثلاثين دقيقة!!!.

وبالتالي فإن سرعة الحيوان المنوي قد تصل إلى 3 ملميتر في الدقيقة وهو بذلك يقطع مسافة تعادل طوله خمسين مرة في الدقيقة الواحدة.

أما بالنسبة للبويضة؛ فهي أكبر وأثقل بكثير من الحيوانات المنوية، وبالتالي فهي أبطأ من النطف الذكرية ولا مجال للمقارنة بينهما. وبما أن السرعة معيار نسبي فسنحلل سرعتها من زاوية أخرى:

إن رحلة البويضة من المبيض إلى بوق قناة فالوب تستغرق من خمس عشرة إلى عشرين ثانية!!! ومن المبيض إلى الثلث الوحشي من قناة فالوب تستغرق خمساً وعشرين دقيقة. وبعد أن تلقح البويضة تستغرق رحلتها من الثلث الوحشي لقناة فالوب إلى الرحم من ثلاثة إلى أربعة أيام. وبالتالي فإن مرحلة السلالة، أي مرحلة انسلال البويضة من المبيض إلى حين تلقيها من الحيوانات المنوية هي أسرع بكثير من مرحلة هجرتها من قناة فالوب إلى داخل الرحم؛ فهي تقطع ثلث المسافة المقدرة لها في خمس وعشرين دقيقة خلال فترة السلالة مقارنة بالمرحلة التي تليها حيث تقطع ثلثي المسافة بثلاثة إلى أربعة أيام. وتعزى سرعة البويضة في مرحلة السلالة إلى الضغط المتولد في جريب المبيض - خمسة عشر مليمتراً زئبقياً - والذي يدفع بها إلى الأمام وإلى حركة أهداب بوق قناة فالوب والتي تسحب بدورها البويضة إلى داخل البوق، كما أن حركة الشعيرات وانقباض عضلات قناة الرحم تساعد على إحداث ضغط سلبي يتم به سحب البويضة إلى الداخل.

وهكذا يتجلى لنا الإعجاز العلمي في استعمال كلمة «سلالة»: وهو السير السريع للحيوانات المنوية والبويضة لمصيرها المقدر ألا وهو التلقيح.

باختصار شديد: فإن النطفة تسمى سلالة، لأنها جزء صغير من السائل الذي يحتويه «ماء التخلق» (أي المني)، وشكل هذا الجزء شكل سمكة طويلة، وهو يخرج برفق من «ماء التخلق» بواسطة السباحة، ويزدحم عند مضيق هو مضيق عنق الرحم، فيخرج من الزحام ومن المضيق ويسير بسرعة بُغية التلقيح.

ج - الوصف الداخلي للنطف:

● عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: "نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة فأيهما غلبت فالشبه له" [ذكره ابن هشام ح69].

ما سبق هو الوصف الظاهري الخارجي للنطفة. فما الوصف الداخلي لها؟ يحدثنا الرسول ﷺ عن تلك الصفات قائلاً إن نطفة الرجل غليظة ونطفة المرأة رقيقة.

جاء في صحيح مسلم بشرح النووي[1]: «قال العلماء: مني الرجل في حال الصحة أبيض ثخين...»[2].

وجاء في لسان العرب[3]: "ثخن: ثَخُنَ الشيء ثُخُونَةً وثخانةً وثُخْناً، فهو ثخينٌ: كثُف...».

وورد في لسان العرب[4]: "رقق: الرقيق نقيض الغليظ والثخين...".

إذاً المني كثيف وماء المرأة على العكس من ذلك.

والكثافة معيار نسبي، ولكي نستطيع أن نصف شيئاً بالكثافة، فلا بد أن نقارنه مع شيء آخر لذلك سوف نقارن النطفتين:

إن نطفة الرجل مؤلفة من ثلاثة أجزاء: الرأس، والجزء المتوسط، والذيل. إن أهم مكون في هذه النطفة هو الرأس نظراً لأنه يحمل أهم مادة ألا وهي المادة الوراثية. إن المادة الوراثية في رأس هذه النطفة مركَّزة بصفة عالية - أي إنها شديدة الكثافة وغليظة - ؛ يقول الدكتور كيث مور[5]: "إن الكروماتين (المادة الموجودة في رأس الحيوان المنوي) شديد الكثافة". أما المادة الوراثية الموجودة في البويضة فهي قليلة الكثافة إذا قارنّاها مع نظيرتها الموجودة في رأس الحيوان المنوي؛ الدليل على ذلك هو أن رأس الحيوان المنوي ينتفخ جداً فيما بعد ليصبح بنفس حجم نواة

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب الحيض - باب وجوب الغسل على المرأة - رقم الحديث 30 (ج2/ ص228).

(2) جاء في تفسير السمرقندي - (ج3/ ص525): «ثم قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: 2] يعني: مختلطاً ماء الرجل وماء المرأة، لا يكون الولد إلا منهما جميعاً. ماء الرجل أبيض ثخين، وماء المرأة أصفر رقيق».

(3) لسان العرب لابن منظور - مادة «ثخن» (ج2/ ص87).

(4) لسان العرب لابن منظور - مادة «رقق» - (ج5/ ص286).

(5) كتاب (الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور THE DEVELOPING HUMAN with islamic additions)، ص15.

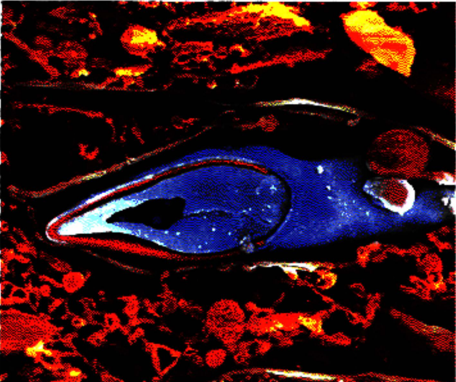
البويضة. وهذا يعني أن المادة الوراثية في البويضة تأخذ حيزاً من المكان أكبر من ذلك الذي تأخذه المادة الوراثية في رأس الحيوان المنوي. وبذلك تكون أقل كثافة منها (انظر إلى الصورة التالية حيث يظهر كيف ينتفخ رأس الحيوان المنوي). وهكذا نرى أن نطفة المرأة أرق من نظيرتها لدى الرجل وإن كانت أكبر منها وأثقل، وذلك لأن محتواها هو أقل كثافة من محتوى نطفة الرجل فيتحقق قول الرسول ﷺ: "نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة" [ذكره ابن هشام ج69]. (انظر الصورة رقم: 29). وعلى العموم فإن نطفة المرأة يحيط بها غلاف يسمى (التاج المشع CORONA RADIATA) شبيه بالمادة الجيلاتينية[1] وهي محاطة بسائل شبيه بمادة الجيلاتين يسمى: (السائل الحويصلي FOLICULLAR FLUID)[2] مما يُضفي عليها مظهر الرقة الذي تكلم عنه رسول الله ﷺ. (انظر الصورة رقم: 29).

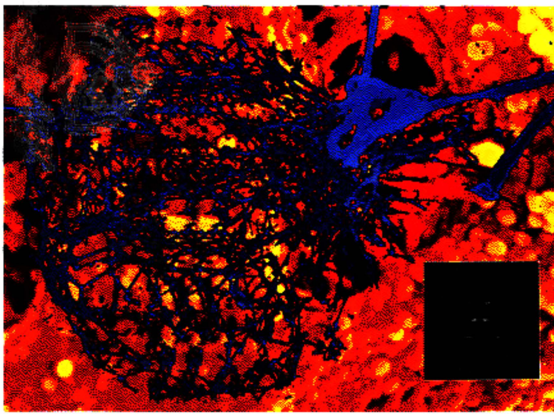
و هكذا يتبين لنا الإعجاز في دقة المعاني المستعملة والحقائق العلمية التي تنطوي عليها الآيات التي نزلت على رسول الله ﷺ منذ أكثر من 1400 سنة، على أن لا ننسى أن العالم بأسره كان يأخذ بمعلومات خاطئة حتى عام 1677م، وشهادة ذلك أن الطبيب البريطاني هارفي كتب في عام 1651م أن الجنين يفرزه الرحم، إلى أن أتى العالمان هام وهوك ليوين واكتشفا أنه يوجد في الماء المتدفق من عضو الرجل حيوان منوي، كل ذلك يؤكد شهادة الله عز وجل لذاته ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك 14].

(1) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص24.

(2) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص26.

(29) - نرى في الصورة الحقيقية في أعلى اليسار لنطفة الرجل كيف أن الصبغيات في رأسه مركزة بصورة عالية كما يشير إليه قول الرسول ﷺ: «نطفة الرجل بيضاء غليظة» [ذكره ابن حبان ح69]. والدليل على ذلك أن الكروماتين يتمدد فيما بعد كما ترينا الصورة في أدنى اليمين. والصورة في أدنى اليسار تبين لنا بويضة لأنثى أرنب تدفق مع ماء لها، ويظهر لنا فيها جلياً أن هذا الماء يشبه المادة الجيلاتينية كما أشار إليه الحديث الشريف: «ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر» [أخرجه مسلم ح67].







مستودع النطف

● قال العليم الحكيم: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1].

● وقال العليم الحكيم: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 98].

جاء في لسان العرب: "المستودع: المكان الذي تجعل فيه الوديعة، يقال استودعته وديعة إذا استحفظته إياها"[1].

ومن هذا الكلام نفهم أن المستودع هو المكان الذي تُحفظ فيه الوديعة لفترة من الوقت ريثما تُؤخذ منه في المستقبل.

تُرى ما هي الوديعة؟.

الآية ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ تجيب على السؤال: فهذه الآية تشير إلى أن الإنسان كان نطفة لفترة من الوقت قبل أن يخلقها الله إنساناً.

وكلمة «هل» تأتي بمعنى "قد" ولها وظيفة التقدير والتقريب، جاء في تفسير الكشاف[2]: «هل بمعنى "قد" في الاستفهام خاصة، والأصل: أهل، بدليل قوله: أهلْ رأونا بسفْع القُاع ذي الأكم، فالمعنى: أقد أتى؟ على التقدير **والتقريب** جميعاً، أي: أتى على الإنسان **قبل زمان قريب**"[3].

والآية تصف حالة الجنس البشري على العموم، جاء في تفسير القرطبي[4]: "وقد قيل «الإنسان» في قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ﴾ عني به الجنس من ذرية آدم»[5].

---

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «ودع» - (ج15/ ص254).

(2) الكشاف للزمخشري - (ج4/ ص166).

(3) تفسير القرطبي - (ج19/ ص118): «هل: بمعنى قد؛ قاله الكسائي والفراء وأبو عبيدة. وقد حكى عن سيبويه «هل» بمعنى قد». تفسير الألوسي - (ج29/ ص150): «وعن ابن عباس وقتادة هل هنا بمعنى قد».

(4) تفسير القرطبي - (ج19/ ص120).

(5) تفسير الألوسي - (ج29/ ص151): «**المراد بالإنسان الجنس** على ما أخرجه ابن المنذر عن ابن عباس».

والحين يشير إلى فترة زمنية غير محدودة، جاء في تفسير الآلوسي[1]: «والحين طائفة محدودة من الزمان شاملة للكثير والقليل والدهر: الزمان الممتد غير المحدود...».

وبالتالي فالآية تعني: لقد مرّ على كل إنسان فترة زمنية قريبة لم يكن فيها شيئاً مذكوراً.

ولما ذُكر في الآية ﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾، نسأل: هل كان الإنسان شيئاً قبل أن يُصبح على الصورة التي هو عليها؟

والجواب - وبالله التوفيق - هو: أن الإنسان كان نطفة قبل أن يخلقه الله تعالى كما تُعلمنا الآية: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨)﴾ [القيامة: 37-38].

جاء في تفسير القرطبي[2]: «وحكى محمد بن الجهم عن الفرّاء: «لم يكن شيئاً»، قال: كان شيئاً ولم يكن مذكوراً».

وجاء في تفسير الكشاف[3]: «أي كان شيئاً منسياً غير مذكور، نطفة في الأصلاب»[4].

فالإنسان كان شيئاً - أي نطفة -، ولكن لم يكن مذكوراً، لأن النطفة هي شيء صغير جداً، لا تُذكرُ لصغر حجمها، ولقلّة قدرها عند الناس.

جاء في تفسير ابن كثير[5]: «يقول تعالى مخبراً عن الإنسان أنه أوجده بعد **أن لم يكن شيئاً يُذكر لحقارته وضعفه**».

وجاء في تفسير القرطبي أيضاً[6]: «أي قد أتى على الإنسان حين لم يكن له **قدر عند الخليقة**».

---

(1) تفسير الآلوسي (ج29/ص151).

(2) تفسير القرطبي (ج19/ص119).

(3) الكشاف للزمخشري (ج4/ص166).

(4) وفي الحقيقة أن النطفة ليست في الأصلاب أي صلب الرجل والمرأة - ولكن في المستودع أي الخصية والمبيض، وهذا لا يقدح في التفسير، لأننا نأخذ منه منهاج التفكير وليس العلم الجنيني، حيث إن الحقيقة العلمية لم تكن مستقرة في مجتمع المؤلف.

(5) تفسير ابن كثير (ج4/ص453).

(6) تفسير القرطبي - (ج19/ص119).

وهذا المعنى تشهد له الآية: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: 8] فهي تشير إلى أن سلالة الإنسان - أي النطفة - شيء مهين، أي حقير، ضعيف، قليل.

جاء في لسان العرب[1]: "مهن: قال أبو إسحق: هو فعيل من المهانة وهي القلة، . . . وقوله عز وجلّ: خُلق من ماء مهين، أي من ماء قليل ضعيف".

كذلك فإن سياق النص القرآني لسورة الإنسان المذكور أعلاه، يشير إلى أن الإنسان كان نطفة لفترة من الوقت قبل أن يصبح إنساناً، لأن الآية التي تلي الآية المذكورة، وهي: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2]، تذكر أيضاً أن الإنسان خُلق من نطفة. فالنص القرآني يتكلم على العموم عن النطف، وبالتالي علينا أن نفسر الآية حسب ما يمليه السياق.

فإذا أيقنّا بأن الإنسان كان لفترة من الوقت نطفة قبل أن يتخلق، فهمنا عند ذلك أنه وضع وديعة تُحفظ في مكان ما، لحين من الدهر، قبل أن يخلقها الله تعالى إنساناً، وهذا لا يكون إلا في المستودع قبل أن يخرج.

فإذا جمعنا معنى الآيتين السابقتين: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1]و ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 98]، يصبح المعنى هكذا: لقد مرّ على كل إنسان فترة من الوقت قريبة كان شيئاً لا يُذكر لحقارته ومهانته محفوظاً في مستودع قبل أن يخلقه الله تعالى إنساناً[2].

---

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة "مهن" - (ج13/ ص212).

(2) قد يتساءل بعض القراء: كيف يصح أن نقول إن الآية "﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: 98] تشير إلى أن الإنسان وُضع في مستودع والحال أنه لم يتكون بعد وذلك لعدم اختلاط النطفتين؟، كذلك فإن الخصية والمبيض عضوان يحمل كل منهما جزءاً من الإنسان (أي نطفة الرجل ونطفة المرأة) **فكيف يصح أن نطلق اسم "المستودع" على الإنسان**، والإيداع هو للنطف وليس للإنسان؟. نقول - وبالله التوفيق -: إن نطفة الرجل ونطفة المرأة هما بمثابة "مستودع" لإنسان، وبالتالي فإن الخصية والمبيض مستودعان للأجزاء التي ستؤدي مآلاً إلى خلق إنسان، وهذا ضرب من المجاز باعتبار ما سيكون، كما في الآية: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: 36]، فالرجل كما نعلم لأنه يرى أنه يعصر عنباً سيتحول إلى خمر فيما بعد، وقد أُطلق على العنب اسم الخمر مجازاً باعتبار ما يؤول إليه (أصول الفقه الإسلامي، د. إبراهيم السلقيني، الفصل الأول، التقسيم الأول للفظ باعتبار الاستعمال، ص239)، وبالتالي يصح عندئذ أن نطلق على الخصية أو المبيض اسم "المستودع". وعلى كلٍّ حال فإن الآية رقم 98 من سورة الأنعام جاءت بصيغة النكرة: فهناك مستودع، ولم تحدد الآية أن المستودع هو للإنسان تكون مكتملاً، أو للأجزاء التي ستكون

ومن السياق نفسه نستنتج أن الله تعالى يخلق النطف قبل أن يحين موعد خروجها وتلقيحها بقليل (أو بكثير)، وإلا لما حُفظت في مستودع.

جاء في تفسير الألوسي[1]: . . . والمعنى هنا: قد أتى، **أو هل أتى على جنس الإنسان قبل زمان قريب طائفة محدودة مقدرة كائنة من الزمان الممتد لم يكن شيئاً مذكوراً بل كان شيئاً غير مذكور بالإنسانية أصلاً، أي غير معروف بها على أن النفي راجع إلى القيد، والمراد أنه معدوم لم يوجد بنفسه، بل كان الموجود أصله مما لا يسمى إنساناً، ولا يعرف بعنوان الإنسانية، وهو مادته** البعيدة أعني العناصر، أو المتوسطة وهي الأغذية، أو القريبة وهي النطفة المتولدة من الأغذية المخلوقة».

ونود الإشارة هنا إلى أن تلك المفاهيم المنطوية في الآيات الكريمة التي أشرنا إليها في مبحثنا هذا، ليس من السهل أن يعلمها أحد ولو كان متمرساً في مجال «تخلّق الجنين»، فإذا كان هناك نطف فهذا لا يستلزم أنها تخلّقت قبل أن تخرج من الجسد بكثير، وإذا كان هناك نطف فهذا لا يستلزم أيضاً أن تحفظ بمستودع لها[2].

فهناك احتمال كبير أن يستطرد العالم في اتجاه مختلف عن الذي أشار إليه المولى عزّ وجلّ؛ فعلى سبيل المثال قد يظن العالم أن النطف قد تتخلق عند خروج المني من جسم الإنسان.

والإشارة إلى وجود مستودعٍ لهذه النطف هي بحد ذاتها عجيبة. لأن هذا

=إنساناً، وبالتالي فليس شرطاً أن نعيد كلمة «مستودع» إلى الإنسان، فقد تكون الآية تشير إلى أيّ من هذين المعنيين: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ﴾ [الأنعام: 98] لهذه النفس [في بادئ الخلق] [في الرحم] ومستودع لها [في المبيض والخصية]، أو: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ﴾ لنطفة هذه النفس [في الرحم] ومستودع لنطفها [في الخصية والمبيض].

(1) تفسير الألوسي - (ج29/ ص151).

(2) لقد اتفق كثير من علماء تفسير القرآن على أن النطف تُحفظ في مستودع، ولكن أخطأ هؤلاء العلماء في تحديد موقع هذا المستودع: فقد جاء في تفسير ابن كثير (ج2/ ص159) - تعليقاً على الآية 98 من سورة الأنعام -: «فعن ابن مسعود أو ابن عباس وأبي عبد الرحمن السُّلمي وقيس بن أبي حزم ومجاهد وعطاء وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والسُّدّي وعطاء الخراساني وغيرهم «فمستقر» أي: في الأرحام قال أكثرهم «ومستودع» أي: في الأصلاب»، ولعل فهمهم أن المستودع هو الأصلاب مُستمد من الآية ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝﴾ [الطارق: 5-7]، ولقد ألقى العلم الحديث النور على معنى هذه الآية الكريمة، فأشار إلى أن الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب وليس من الصلب والترائب.

المستودع غير ظاهر، فهو مختبئ داخل الجسم. وعلينا أن نُشرِّح الجسم لنكتشف وجوده.

ولمعرفة موقع هذا المستودع يجب أن نتابع خط سير تخلق النطفة، ونفهم المسار الذي تتخذه لكي تخرج من الجسم. وهكذا نستطيع التوقف عند المحطة حيث تجثو هذه النطف قبل الخروج، وأن نقول إنه المستودع الذي تتكلم عنه الآية الكريمة.

وأما مواقع هذه المستودعات فهي كالتالي:

1 - **عند الرجل**: تتكون خصية الرجل بمختصر مبسط من حبال تسمى "قنيوات منوية" موجودة داخل فصوص، وعند مرحلة بلوغ الذكر تتخلّق الحيوانات المنوية من الطبقات التي تبطن تلك القنيوات[1]. وبعد أن تتخلق تذهب إلى (البربخ EPIDIDYMIS) الواقع على أعلى الخصية حيث تستودع هناك إلى أن يحين وقت الخروج. وهكذا فإن الخصية هي مستودع النطف على وجه العموم، والبربخ هو المستودع على وجه الخصوص الذي تنص عليه الآية الكريمة السابقة[2]. (انظر الصورة رقم: 30).

2 - **عند المرأة**: يوجد في مبيض الجنين الأنثى في الأسبوع الخامس من تخلّق الجنين حوالي خمسة ملايين نطفة، ولكن في فترة نمو المرأة يضمر أكثر هذه النطف ويموت، حتى إذا بلغت الأنثى عشر سنوات يكون تعداد النطف قد أصبح 400,000 نطفة تقريباً يتمّ انتخاب 400 إلى 500 منها للإخصاب.

هذه البويضات تكون داخل ما يسمى حويصلات، وهذه الحويصلات تكون داخل مبيض. وتظل هذه البويضات في هذه الحويصلات إلى حين نضوجها، ثم تخرج منها ليلتقطها البوق داخل رحم المرأة.

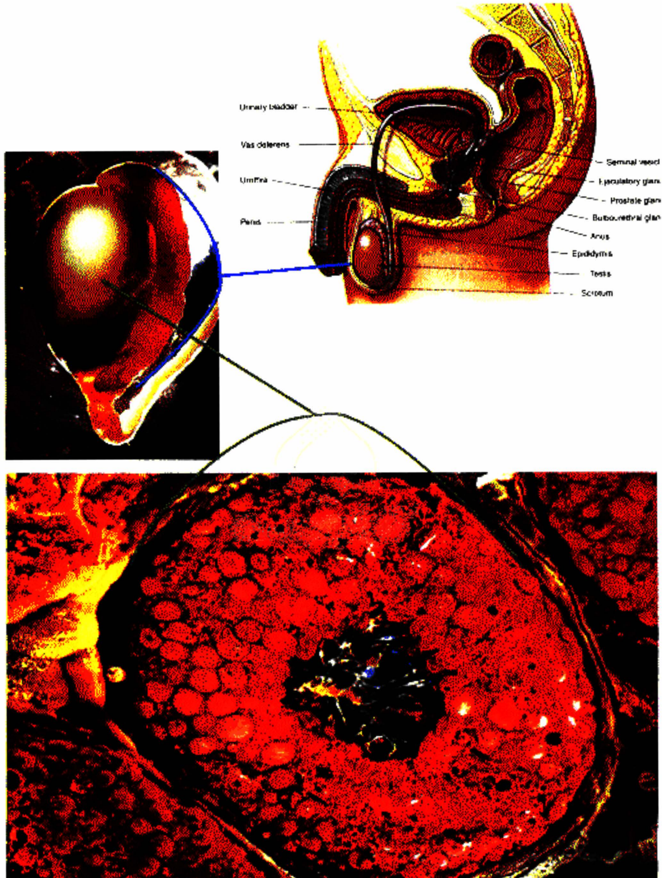
وهكذا يتبيّن لنا أن مستودع نطف الأنثى الذي تتكلم عنه الآية الكريمة السابقة هو المبيض على وجه العموم، وهو الجريب داخل المبيض المسمى بالحويصلة[3] على وجه الخصوص. (انظر الصورة رقم: 31).

---

(1) الآيات العجاب في رحلة الإنجاب، د. حامد أحمد حامد، ص 51، بتصرف.

(2) كتاب وُلد طفل، د. لارس هامبرغر، ص 26.

(3) كتاب وُلد طفل، د. لارس هامبرغر، ص 20.



(30) - نرى في الرسم أعلاه (كيس الصفن Scrotum) الذي يحتوي على (الخصية Testis). وهذه بمثابة المستودع العام للنطف لدى الرجل ويعلوها (البربخ Epididymis) الذي هو بمثابة المستودع على وجه خاص لدى الرجل، وحيث تمكث النطف فيه قبل أن تقذف (عبر الحبل المنوي Vas deferens) إلى الخارج. ونرى إلى الشمال صورة حقيقية للمستودع، وفي الأسفل مقطع له، حيث نرى النطف وقد تخلقت فيه مصداقاً للآية الكريمة: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: 98].







(31) - نرى في الرسم أعلاه (المبيضين Ovaries) على يمين وشمال (الرحم uterus)، وتؤلفان المستودع الذي تحتوي على البويضات. والصورة على شمال الرسم هي مقطع لمبيض المرأة يظهر فيه عدة حويصلات لتلك البويضات. وفي الرسم أدناه مقطع للحويصلات حيث تظهر فيه بويضة، وبالتالي فإن المبيض هو المستودع على وجه العموم للبويضات، والحويصلة هي المستودع على وجه الخصوص للبويضة وفقاً للآية: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: 98].

ويُفهم من كلامنا أن اختيار كلمة «مستودع» يشير إلى إعجاز علمي يتجلى في معرفة الرسول ﷺ أن النطف تتخلّق قبل أن تخرج بكثير، وأنها تُوضع في مخابئ تحفظها من التلف مع السائل المنوي (أو الماء الدافق) إلى أن يحين وقت خروجها[1].

وتعليقاً على تسمية «المستودع»، نشير إلى أن هذه التسمية جامعة؛ فهي تشير على حدٍّ سواء إلى الخصية أو إلى المبيض، كما أنها تشير إلى أن النطف تحفظ في مكانٍ آمنٍ لفترة من الوقت لا يستهان بها، وأن هذه النطف تخرج من هذا المكان في

(1) **فائدة:** قد يتوهم البعض أن «المستودع» المذكور في الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنعام: 98] يشير إلى الرحم وليس إلى الخصية أو المبيض، وذلك لأن النطف تحفظ لفترة مؤقتة في الرحم كما تحفظ لفترة ما في الخصية أو المبيض. والحق يقال: إن هذا غير صحيح، فالنطفة عندما تستقر في الرحم تصبح سبباً لذكر لأن الأم والأب يعطيانها عندئذ العناية الفكرية الفائقة، أضف إلى ذلك أن حجم النطفة يتضخم فتصبح فيما بعد شيئاً محسوساً لا يمكن تجاهله. والوديعة التي توضع في المستودع لا تتغير طبيعتها. أما في حالنا هذه فالنطفة سرعان ما تخرج عن طبيعتها في الرحم، ولذلك لا يمكن أن نطلق تسمية «المستودع» على الرحم، وما قاله ابن عباس والألوسي وابن تيمية - رحمة الله عليهم - يستدل به لمعرفة ما ترمي إليه الآية. فقد جاء في تفسير الألوسي - (ج7/ ص235): (وأخرج جماعة منهم الحاكم وصححه من طرقٍ عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن المستقر الرحم، والمستودع الأصلاب [ولا يشترط الأخذ باجتهاد ابن عباس ﷺ لأنه اجتهاد. ويتعلّق بالقضايا الكونية، وهي تحتاج إلى وسائل تقنية للوصول إلى معرفتها، وهذا لم يكن موجوداً في عصر الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم -، وهذا ليس أمراً توقيفياً بمعنى التوقف فيه]. وجاء في رواية أن حبر مدينة تيماء كتب إليه يسأله رضي الله تعالى عنه عن ذلك فأجابه بما ذكر. ويؤيد تفسير المستقر بالرحم قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ [الحج: 5] وأما تفسير المستودع بالأصلاب فقد قال شيخ الإسلام: إنه ليس بواضح. وليس كما قال. فقد ذكر الإمام بعد أن فرق بين المستقر والمستودع «**بأن المستقر أقرب إلى الثبات من المستودع**، ومما يدل على قوة هذا القول - يعني المروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما - **أن النطفة الواحدة لا تبقى في صلب الأب زماناً طويلاً والجنين يبقى زماناً طويلاً**، ولما كان المكث في الرحم أكثر مما في صلب الأب كان حمل الاستقرار على المكث في الرحم أولى». **ويلزم ذلك أن حمل الاستيداع على المكث في الصلب أولى**). (أي في المبيض أو الخصية أولى)، وإذا قسنا ذلك على العلم فإن النطفة تمكث في الرحم 266 يوماً. وأما الحيوان المنوي فيحتاج إلى 72 يوماً تقريباً لكي يتخلق، وإلى 12 - 21 يوماً ليرتحل عبر قنيوات البربخ إلى أعلى الخصية (الآيات العجاب في رحلة الإنجاب، د. حامد أحمد حامد، ص 51، بتصرف)، أي ما مجموعه 88 يوماً، وإذا أضفنا إلى ذلك مدة مكوثه في أعلى الخصية (شهر على أبعد تقدير، ريثما يقذف الرجل النطف بالاتصال أو الاحتلام) فيصبح مجموع مكوثه في الخصية ابتداءً من أول يوم يبدأ تخلق الحيوان المنوي 120 يوماً تقريباً، وهذا أقل بكثير من 266 يوماً - مدة مكوث النطفة في الرحم

نهاية المطاف، أما تسمية (المبيض OVARY) وتسمية (الخصية TESTICLE) فهاتان تشيران فقط إلى أن تلك الأعضاء تحتوي على النطف، فسبحان من علّم الإنسان البيان! قال عز وجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: 1-4].



نطفة الأمشاج

● قال الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2].

● سأل يهودي الرسول الكريم - عليه أفضل الصلاة والتسليم - قائلاً: يا محمد ممَّ خُلق الإنسان؟، قال رسول الله ﷺ: «يا يهودي من كُلٍّ يُخلق: من نطفة الرجل ونطفة المرأة» [أخرجه أحمد ح120].

إن الله سبحانه وتعالى لم يترك الأمر بدون توضيح تام باهر للعقول؛ وذلك لكي يتبين للناس عامة وللعلماء خاصة أنه الحق، أي أنه دليل واضح على أن القرآن ليس من كلام البشر بل هو من كلام الله تعالى الذي أوحاه إلى عبده خاتم الرسل والأنبياء سيدنا محمد ﷺ وجعله المعجزة الخالدة الدالة على صدقه وعلى أن هذا الدين الذي بُعث به هو الحق.

ولذا نرى أن القرآن الكريم أشار إلى أن خلق الإنسان كان من نطفةٍ أمشاج.

وقد رأينا في المبحث السابق ما يشير إليه معنى النطفة (القطرة)، ومما يضاف إلى التفسير الأول هو أن النطفة المذكورة هي «قطرة مختلطة» (أمشاج)، أي قطرة تتشكل من خلط أجزاء متفرقة تختلط فيما بينها - وهي نطفة الرجل ونطفة المرأة -[1].

جاء في مختار الصحاح[2]: «م ش ج: مَشجتُ بينهما مشجاً: خلطتُ، والشيء مشيجٌ، والجمع أمْشاجٌ».

وجاء في تفسير القرطبي عن كلمة الأمشاج[3]: «أخلاط... ويقال مشجْتُ هذا بهذا أي خلطته... وقال الفراء: أمشاج: أخلاط ماء الرجل والمرأة».

(1) انظر حاشية الصاوي على تفسير الجلالين لأحمد صاوي - (ج4/ ص273). وفتح القدير للشوكاني (ج5/ ص344).

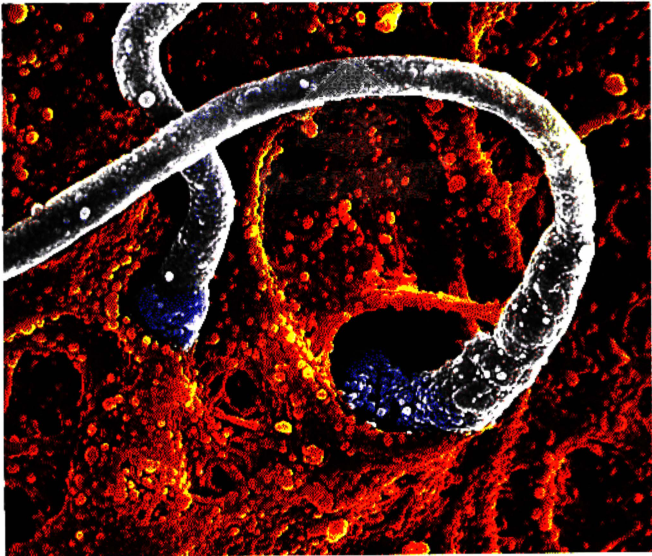
(2) الصحاح للجوهري (ج1/ ص241).

(3) تفسير القرطبي - (ج19/ ص120).

وجاء في الدر المنثور للسيوطي[1]: (أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله "من نطفة أمشاج" "قال من ماء الرجل وماء المرأة حين يختلطان").

وبالفعل فإن الحيوان المنوي يندفع نحو البويضة ويرتطم بجدارها ويشق لنفسه طريقاً داخل هذا الجدار ومن ثَمّ يلجُ إلى داخل النطفة الأنثوية. (انظر الصورة رقم: 32).

ومما يثبت ما قلناه أن نبيّ الله، ﷺ، أشار إلى أن **كلاً** من الحيوان المنوي والبويضة **يساهم** في تخليق **جسم واحد** (أي الجنين) عندما قال «من كُلٍّ يُخلق: من نطفة الرجل ونطفة المرأة» [أخرجه أحمد ح20] وهذا يقتضي اتحادهما.



(32) - نرى في الصورة كيف أن الحيوانات المنوية تحفر لنفسها ممراً لتدخل البويضة وتختلط بها فتصبح هي والبويضة «نطفة أمشاج» كما وصفها الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: 2].

(1) الدر المنثور للسيوطي، (ج6/ ص297).

وبذلك تصبح النطفتان نطفة واحدة، ويؤيد هذا المفهوم صياغة الآية الكريمة التي وصفت حادثة الاختلاط: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾. فكلمة «نطفة» اسم مفرد، وأما كلمة «أمشاج» فهي صفة في صيغة الجمع، وقواعد اللغة تجعل الصفة تابعة للموصوف في الإفراد والتثنية والجمع، وبالتالي فإن كلمة «أمشاج» هي صفة جمع تصف كلمة «نطفة» المفردة، قال القرطبي: «وقال أهل المعاني: الأمشاج ما جُمع وهو في معنى الواحد لأنه نعت للنطفة كما يقال: بُرمة أعشار وثوب أخلاق»[1].



---

(1) تفسير القرطبي، (ج19/ ص121).

اختلاط عروق النطفة

● قال الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2].

● قال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: 54].

● قال سبحانه وتعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عبس: 17-19].

● عن مالك بن الحويرث ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى إذا أراد خلق النَّسمة فجامع الرجل **المرأة طار ماؤه في كل عرق وعصب منها**، فإذا كان يومُ السابع جمعه الله تعالى ثم أحضر له كل عرق له بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 8]» [أخرجه الطبراني ج21].

رأينا في مبحث «**نطفة الأمشاج**» أن النطفة الذكرية تلج إلى داخل النطفة الأنثوية.

فيا تُرى هل تختلط النطف بكل أجزائها أم هناك أجزاءٌ منها تختلط فيما بينها؟.

إن كلمة «أمشاج» تعبّر عن حالة عامة ألا وهي حالة الاختلاط. هذه الحالة تحصل على نطاق واسع من خلال دخول نطفة الرجل نطفة المرأة وعلى نطاق ضيّق من خلال انصهار نواة النطفتين.

ولقد أشار المولى عزّ وجلّ إلى عملية الانصهار بقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾.

إن المعنى الشائع لكلمتي نسب وصهر لدى عامة الناس هو معنى القرابة (سواء أكانت بالتوالد أم بالتزاوج)، أما المعنى الجلي الذي يظهر من خلال الآية السابقة فإنه أعم من ذلك ويشمل معنى آخر له صلة بالتخلّق الإنساني.

فـ «صهراً»: مصدر من صهر، ويعني الاندماج. والدليل على ذلك: ما قاله القرطبي في شرحه للآية: «واشتقاق الصهر من صهرت الشيء إذا خلطته»[1].

---

(1) تفسير القرطبي، (ج13/ ص60).

استعمال هذه الصفة هنا - صفة الانصهار - إلى جانب كلمة ماء له مدلوله الخاص، فهو يشير إلى عملية انصهار تحصل للماء أي للنطف لتؤلف نطفة لها صفات جديدة.

الماء المذكور هنا هو النطفة (قطرة الماء) التي جاء تعريفها في الحديث «ما من كلّ الماء يكون الولد...» [أخرجه مسلم ح17] وكما أشار إليه القرطبي في تفسيره للآية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا...﴾ عندما أعاد صياغتها مستبدلاً كلمة ماء بكلمة نطفة «أي خلق من النطفة إنساناً...»[1].

الهاء التابعة لفعل «فجعله» في هذه الآية ضمير قد يعود لإحدى الكلمتين: «الماء» أو «بشراً» والدليل على ذلك ما جاء في تفسير القرطبي[2]: «فجعله: جعل الإنسان نسباً وصهراً. وقيل: من الماء...»[3] [4].

في كلتا الحالتين ينطبق المعنى بدقة مصداقاً لقوله ﷺ: «بُعثت بجوامع الكلم» [أخرجه البخاري ح13]. فإذا أرجع الضمير لأول كلمة، أي إذا أرجعت الهاء إلى الماء فقد تعني: فجعل الماء (ماء الرجل وماء المرأة أو نطفهما كما جاء في تفسير

---

(1) تفسير القرطبي. (ج13/ ص59).

(2) تفسير القرطبي. (ج13/ ص59).

(3) نشير هنا إلى أن القاعدة العامة هي إرجاع الضمير إلى أقرب مذكور له في الكلام، وبالتالي فعلينا إرجاع الضمير - هاء - إلى «بشراً». وهذا ما فعله معظم السلف الصالح لأنه لم تتح إليهم الوسائل التي تطلعهم جيداً على العلم الكوني والإلمام به، وهذا لا يمنع إرجاع الضمير - هاء - إلى ما هو أبعد له، بقرينة دالة على جواز ذلك، كما أشار إليه القرطبي بقوله: «وقيل من الماء»، وأمثال ذلك كثيرة في القرآن كقوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد 7]، حيث إن الضمير المستتر في جعلكم عائد إلى الله، لا إلى رسوله ﷺ، لاستقرار المعنى على هذا النحو. والقرينة الدالة على جواز إرجاع الضمير إلى ما هو أبعد له في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة هو استقرار معنى الآية أو الحديث كما يشير إليه السياق القرآني والصياغة (انظر إلى تعليقنا الذي يلي). وفي هذه الحالة فإن العلم الكوني يوافق معنى الآية إذا أرجعنا الضمير - هاء - إلى «الماء» (انظر إلى تفسير الآية كما أوردناه أعلاه).

(4) ولا يضر أن يفسّر القرطبي الآية المعتبرة على هذا النحو بقوله: «وقيل»، أي بصيغة التضعيف، وذلك أنه ضعّف هذا التفسير لعدم إحاطته بالعلم الكوني المرتبط بصهر الماء إحاطة كامنة من جراء عدم تقدم العلم الكوني في عصره، غير أنه أشار إلى أن هذا الاحتمال وارد وفق الدلالات اللغوية. والفصل في النهاية هو للعلم الكوني في تفسير الآيات التي تتكلم عن ظواهر كونية لأن القرآن الكريم والعلم الكوني توأمان لا يفترقان على مدى الدهور.

القرطبي) صهراً، أي ينصهر بعضه مع بعض، وإذا أرجع الضمير إلى كلمة «بشر» فقد تعني فجعل البشر يتصاهرون فيما بينهم[1].

---

(1) قد يظن بعض القارئين أننا نغلو في تفسير الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: 54]، وأن معنى كلمة «صهرا» الذي نشير إليه (اختلاط نطفتي الرجل والمرأة) ليس هو المراد، إنما المراد هو المعنى المتداول بين الناس، ألا وهو معنى القرابة، ذلك أن معنى الاختلاط بعيد عن متناول أذهان عامة الناس، إلا إذا ألقى عليه العلماء الضوء، ولكننا نقول: إن هذه الآية جاءت بعد آية أخرى تشير إلى إعجاز علمي، وهي: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: 53]. فهذه الآية تشير إلى أن هناك حاجزاً مائياً بين البحر العذب والبحر المالح عند ملتقاهما، وأن هذا الحاجز يحول -إلى حد ما- دون أن تلج مياه أحدهما في الآخر، كذلك فإن اختلاف نسبة الملوحة تمنع أسماك البحر العذب من أن تدخل في البحر المالح (و العكس صحيح)، فيصبح هذا الحاجز حجراً محجوراً، وهذا يعني أن النص القرآني يشير ملياً إلى إعجاز علمي لأن السياق يقتضي ذلك، وخصوصاً أن صيغة الآيتين واحدة، وجاءت باستعمال صيغة «وهو الذي...»، حتى تربط بين ما ترمي إليه الآيتان، ألا وهو موضوع الإعجاز العلمي في القرآن. ولعل ذكر ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ في نهاية الآية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: 54] هو للدلالة على أن هناك إعجازاً علمياً مرموزاً إليه، وهو عملية انصهار معقدة للماء، تحدث على مستوى دقيق جداً، لا يقدر على إحداثها وضبط نسبها إلا الذي مرج البحرين وخلق من الماء بشراً، وبالتالي فإن السياق والصياغة - إضافة إلى المعنى - يحملنا إلى أن ننسب هذه الآية إلى الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

وقد تكرر مثل هذا الأسلوب في القرآن الكريم في الكلام عن الإعجاز في خلق العنصر الحيواني من الماء مثل قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: 45] (انظر مبحث «**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة/ السبب الوراثي لتنوع خلق الحيوانات**»)، فظهور القدرة في كلا الأمرين (تنوع الخلق من الماء - انصهار ماءين مختلفين ماءً واحداً) أوضح وأجلى وأمكن في الإعجاز من كونه خلق من الماء نوعاً جعل منه النسب والصهورة.

وكذلك فإن الآيتين - آية رقم 53 و54 من سورة الفرقان - على هذا التفسير ستكونان من قبيل المقابلة التي تزيد المعنى الإعجازي وضوحاً، وذلك أنه ﷻ مرج ماءين (مالحاً وعذباً) دون أن يختلط أحدهما بالآخر، مع توافر دواعي الاختلاط والامتزاج في رأي العين، وفي الآية الأخرى مرج ماءين (ماء الرجل وماء المرأة) مع اختلاف صفاتهما، وتوافر دواعي عدم امتزاجهما كما كان يتصور لدى الناس حتى عهد قريب (أي حتى سنة 1775م، حيث اكتشف العالم (سبالانزاني SPALLANZANI) تلقيح الحيوان المنوي للبويضة)، ومع ذلك صهرهما تماماً حتى صارا شيئاً واحداً، بعكس الماءين الآخرين (المالح والعذب)، والخلاصة: أنه ذكر ماءين (ملح، عذب) وعدم اختلاطهما مهما امتزجا في رأي العين، وذكر ماءين (ماء الرجل، ماء المرأة) وانصهارهما معاً مع عدم عقلان ذلك في الذهن، وهذا تماماً هو المعنى البديع للإعجاز العلمي، وكما قيل «الضد يظهر حسنه الضد»، وهذا في رأيي هو الأنسب لتلاحم السياق واتصال أوله بآخره لأن المقابلة تعد من ضروب الصلات بين الكلامين

. . . .

=المختلطين، وهذا الأسلوب قد تكرر مراراً في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝﴾ [الانفطار: 13-14]، مما يرسّخ لدينا الاعتقاد أن الله تعالى أراد في القرآن الكريم الدلالة على عمليتي الانصهار والنسب على النحو الذي أشرنا إليه، فسبحان الله! والله تعالى أعلم.

وقد يعترض البعض أن كلمة «ماء» هنا عرّفت بأل التعريف، وبالتالي فإن كلمة «الماء» التي جاءت في الآية السالفة الذكر تشير إلى الجنس، أي إلى الماهية (أي إلى مفهوم الماء العام) (أصول الفقه الإسلامي، د. إبراهيم السلقيني، تقسيم اللفظ باعتبار ظهور الدلالة على معناه وخفائها، ص280).
نقول - وبالله التوفيق -: إن الله تعالى أراد أن نفهم الآية على وجهين: على المعنى الشائع للتصاهر والانتساب بين الناس، وعلى معنى التصاهر والانتساب على مستوى النطف وفقاً لقوله ﷺ: «بعثت بجوامع الكلم» [أخرجه البخاري ج4]، فإذا فهم من الآية المعنى الأول اقتضى تعريف كلمة ماء بأل التعريف حتى نفهم أن الآية تشير إلى جنس الماء، وإذا فهم من الآية المعنى الثاني وجاءت كلمة ماء معرفة بأل التعريف لم ينف ذلك أن تشير الآية إلى ماء النطف لأن هذا النوع من الماء يندرج تحت الماء العام والله تعالى أعلم. والشاهد على كلامنا قوله ﷺ: «ما من كل الماء يكون الولد» [أخرجه مسلم ج2] فهو يشير بدون أي التباس إلى ماء النطف ولكن جاءت صيغته بأل التعريف.

وإذا سلمنا جدلاً أن الماء بأل التعريف لم يرد في القرآن الكريم إلا لجنس الماء، فلا يضر في النتيجة التي توصلت إليها أن كلمة «الماء» عبّر عنها في: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: 54] بالمعنى الدارج المعروف، والمقصود به جنس الماء، وعبّر بضميرها في ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ عن الماء الذي يتوالد منه الإنسان (ماء الرجل وماء المرأة) والذي ينطوي تحت جنس الماء، وهذا سائغ معروف في اللغة ويسمى «الاستخدام»، ولا مجال لإنكاره. وقد سبق تعريفه في مبحث «**الماء والمني/ تفسير النقطة الأولى**» فانظره هناك. ومثل هذا تماماً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: 11]، فالضمير في «عمره» يعود إلى «معمّر» كما هو الظاهر، غير أن التعمير ونقصان التعمير في واحد لا يجتمعان، فلزم أن يعود الضمير إلى جنس المعمّرين، أي: إلى أيّ معمّر، بمعنى: أنه لا يعمّر من معمّر ولا ينقص من عمر معمّر آخر إلا في كتاب، وقد تساءل الزمخشري عن هذا الأسلوب؛ تماماً كما وقع لي في آية سورة الفرقان السالفة الذكر، وكلامه مهم للغاية سأنقله بتمامه، قال: «فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾؟ قلت: معناه: وما يعمّر من أحد، وإنما سمّاه معمّراً بما هو سائر إليه. فإن قلت: الإنسان إما معمّر، أي: طويل العمر، أو منقوص العمر، أي: قصيره، فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال، فكيف صح قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾؟ قلت: هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله بأفهام السامعين، واتكالاً على تسديدهم معناه بعقولهم، وأنه لا يلتبس عليهم إحالة الطول والقصر في عمر واحد. وعليه كلام الناس المستفيض، يقولون: لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه إلا بحق، وما تنعّمت بلداً ولا اجتويته إلا قلّ فيه ثوائي» (الكشاف، ج3/ ص303). فالكلام السابق للزمخشري يشير إلى أن الاستخدام في آية سورة فاطر سائغ لأنه يعتبر أن فهم النص القرآني وتأويله على نحو سليم من الأمور المسلّمة بها، ويتكل على تسديد=

كيف تتم عملية الانصهار؟.

والحاصل أن نواة نطفة الرجل ونواة نطفة المرأة تقتربان من بعضهما بعد أن يلج الحيوان المنوي في البويضة، وعند التقاء النواتين يتفكك غشاؤهما النووي وتنصهر النواتان.

يقول الدكتور لارس هامبرغر في هذا المضمار: «إن النواتين (نواة البويضة ونواة الحيوان المنوي) تجذبان بقوة فيما بينهما وبعد قليل **تنصهر**»[1].

ومما يعزز معنى الانصهار قوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: 19]، هذه الآية تشير إلى البداية الإنسانية. فباختلاط الحيوان المنوي بالبويضة يتحقق خلق إنسان جديد لأن جميع الخطوات التالية ترتكز على هذه الخطوة وتنبثق منها، فهذه الخطوة الأولى لوجود مخلوق جديد.

يتبع دخول الحيوان المنوي في البويضة انصهار نواة النطفتين، وفي هذه العملية تتحدد الصفات التي ستظهر في الجنين في المستقبل، كما أنه يتقدر فيها جنس الجنين، لذلك قال تعالى: ﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾ بعدما قال: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾: فالخلق أولاً، والتقدير ثانياً.

تجدر الإشارة هنا إلى أن وَضع حرف «الفاء» بين الفعلين «خلقه» و«قدره» هو للإشارة إلى سرعة العملية (فهذه العملية تستغرق أقل من 30 ساعة).

إن حرف «الفاء» يفيد الترتيب مع التعقيب كما سنرى في المراحل الآتية (انظر إلى مبحث **«الأسلوب القرآني في استخدام حرفي «ثم» و«الفاء» في آيات علم الأجنّة»**) وذلك للدلالة على سرعة العمليات التي ستحصل بعكس حرف العطف «ثم».

=السامعين معنى الآية بعقولهم، وذلك بأن يشير ضمير الفاعل - أو المفعول به، أو نحوهما - في الآية المعتبرة إلى فاعل - أو مفعول به، أو نحوهما - آخر من جنسه حتى تصبح الآية مفهومة، وهذا هو المراد أيضاً في سورة الفرقان والله تعالى أعلم. حيث إن الاستخدام في هذه الآية، مع إفادته الإيجاز (وذلك بأن لا يصرّح بذكر المنطوي تحت المذكور، وإنما يكتفي بضميره)، فإنه يقدّم لكل عصر، وطبقة من المجتمع، إمكانية فهم الآية حسب إمكانياتهم الفكرية، وما آلت إليه علومهم لفقدان التصريح بالمنطوي عنه، فيفتح بذلك المجال للتأويل المحدود؛ فهو في هذه الحالة يجمع لذة السامعين بتصوّرهم إيّاه على ما يعرفونه من النسب والصهر (وذلك بصرف ضمير «فجعله» «البشر»)، كما أنه يجمع إلى ذلك فهم علماء الإعجاز العلمي لمعناه على ما قدّمْته آنفاً (وذلك بصرف ضمير «فجعله» الذي يشير إلى نوع معيّن من الماء - ماء الرجل وماء المرأة - إلى جنس الماء العام الذي ينطوي تحته).

(1) كتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص56.

وهكذا تنصهر النواتان فيما بينهما لتؤلّفا ما يسمى باللغة العلمية: (البويضة المخصّبة ZYGOTE).

وهنا يظهر الإعجاز، إذ ليس ثمة كلمة أدق وأوجز من تلك التي وردت في كلام الله سبحانه وتعالى لتبيان حقيقة الانصهار.

أما بالنسبة لمعنى كلمة "نسب" التي وردت في الآية المذكورة أعلاه فإن الحديث الذي سنورده إن شاء الله والذي سنعلق عليه في مبحث "**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة**" سيلقي الضوء على الوجه الثاني لمعنى النسب والحديث هو: "إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كلّ نسبٍ بينها وبين آدم" [رواه الطبراني ح63]، فانظره هناك.

لننظر الآن إلى الحديث الذي رواه مالك بن الحويرث وإلى رواية زيد بن أسلم رضي الله عنه لنرى تفاصيل هذا الانصهار: «إن الله تعالى إذا أراد خلق النّسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عرْق وعصب منها، فإذا كان يوم السابع جمعه الله تعالى ثم أحضر له كل عرق بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾» [أخرجه الطبراني ح21].

سبحان الله! إن صياغة هذا الحديث بسيطة جداً ولكنها في غاية الإعجاز. فهو يحمل في طياته أكثر من إعجاز إخباري ولا يستنبط أسراره إلا الراسخون في العلم الديني والدنيوي. وسوف نتعرض لكلٍ من هذه الإعجازات في مواضعها المناسبة من النصوص المتعلقة بها - إن شاء الله تعالى -.

الماء المذكور هنا هو النطفة في المفهوم النبوي، كما قال ﷺ: «ما من كلّ الماء يكون الولد...» [أخرجه مسلم ح17] وكما جاء في تعريف النطفة (قطرة من ماء).

يعلم الرسول ﷺ تمام العلم أن النطفة لا تطير (حسب مفهومنا العامي)[1]،

---

(1) نشير هنا إلى التفسير العلمي الخاطئ للحديث رقم 6594 في فتح الباري شرح صحيح البخاري: «إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً...» (وسوف نشرح هذا الحديث في مبحث لاحق بعنوان «**الاجتهاد غير مصيب**»)، ونحن نورده هنا حتى لا تختلط المفاهيم على القارئ فيذهب بعيداً عن الصواب؛ فقد «رُوي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قد فسّر الحديث السابق ذكره: بأن النطفة إذا وقعت في الرحم وأراد الله أن يخلق منها بشراً طارت في جسد المرأة تحت كل ظفر وشعر، ثم تمكث أربعين يوماً، ثم تنزل دماً في الرحم، فذلك جمعها» (كتاب القدر - رقم الحديث 6594 ج11/ص480)/ وهو بذلك قد استعان لشرح الحديث السابق بالحديث «طار ماؤه في كل عرق وعصب منها، فإذا كان اليوم السابع، جمعه الله» (رواه الطبراني ح21)، والله تعالى أعلم. =

وأنها تسبح بدلاً من أن تطير (كما تعني كلمة سلالة : راجع مبحث «**نطفة**»)، وأن وظيفة النطفة الذكرية هي تلقيح النطفة الأنثوية: فهو الذي أكد أن الماء يختلط بدلاً من أن يطير (وفقاً لما جاء في الحديث الشريف: «يا يهودي من كُلٍّ يُخلق من نطفة الرجل ونطفة المرأة» [أخرجه أحمد ح20] أو كما أوحى الله سبحانه وتعالى على لسانه ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ...﴾ [الإنسان: 2]، لذا وجب تفسير الحديث على الوجه الصحيح.

ولا بد إذا أردنا أن نصيب في التفسير، أن نلاحظ النقاط التالية:

1 - أن الطيران حاصل في العروق (وهذا مستحيل علمياً حسب مفهومنا العامي للطيران)، لأن العروق - أي العروق التي يجري فيها الدم - منتشرة في جسم الإنسان. وإذا أخذنا الحديث الشريف بالمعنى العامي أي بمعنى الطيران، فهذا يعني أن النطفة تجري في كافة أعضاء الإنسان وهذا أمر يرفضه العلم.

2 - أن الحديث يتكلم عن التخلق كما يشير إليه قوله ﷺ: «إن الله تعالى إذا أراد خلق النسمة...» [أخرجه الطبراني ح21]. وعملية التخلق هذه تستوجب اختلاط النطف، ومفهوم الطيران وجب عليه من هذا المنطلق أن يكون ضمن هذا الإطار، بحيث يتوافق مع السياق، وهذا يستوجب معنى الانتشار كما سنراه.

3 - لو جاء معنى العروق بالمعنى المتعارف عليه في أيامنا هذه (أي عروق الدم) لأصبح المعنى عبثياً مستحيلاً وذلك لأن إحضار العروق من سيدنا آدم عليه السلام متعذر.

4 - أن العرق الذي ذكر في الحديث الشريف هو (الصبغيات CHROMOSOMES) في المصطلح العلمي، والدليل على ذلك:

● ورود كلمة عرق في عدة أحاديث بمعنى الصبغيات كما في «تزوّجوا في الحجْر الصالح فإن العرق دساس» [ذكره السخاوي ح71]، و«هذا لعله يكون نزعه عرق له...» [أخرجه مسلم ح65] (انظر إلى مبحث «**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة**» ومبحث «**الانحراف التخلّقي ومضاعفاته كما يراه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة**»).

هذا التفسير ذكره الخطابي وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير من رواية الأعمش أيضاً عن خيثمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود، وقوله: «فذلك جمعها» كلام الخطابي أو تفسير بعض رواة الباب، وأظنه الأعمش. فظن ابن الأثير أنه تتمة كلام ابن مسعود» (كتاب القدر - رقم الحديث 6594، ج11/ص 480).

● إذا أردنا أن نعيد معنى كلمة "العرق" للجنين فإن إحضار العرق حسب مفهومنا العامي مستحيل وذلك لأن الجنين في مراحله الأولى كتلة خلايا وليس هناك أيّ عرق دم فيه. وإذا أردنا أن نعيد كلمة «العرق» إلى المرأة فإن إحضار عروق المرأة مستحيل أيضاً لأن تلك العروق تبقى في محلها.

أما عن معنى كلمة «عصب» فسنتعرض له في مبحث «**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة**»، فانظره هناك.

إن المفهوم النبوي للتخلّق ولحركة النطفة (حركة التخصيب FERTILIZATION)، بالإضافة إلى النقاط المذكورة أعلاه يرسم لنا الإطار الذي يجب أن نفكر فيه للوصول إلى التفسير الصحيح والحقيقة.

إن المعنى الذي ينطبق على فعل «طار» في هذه الحالة هو انتشر، ويستعمل للدلالة على شدة الانتشار وسرعته (انظر حاشية "الملحق" المرفق في آخر الكتاب). والدليل على ذلك هو ما قاله ابن فارس: "طير: الطاء والياء والراء، أصل واحد يدل على خفة الشيء في الهواء، ثم يستعار ذلك في غيره وفي كلّ سرعة... يقال لكل من خف: قد طار"[1].

فإذا خفّ الشيء في الهواء، أخذه الهواء في كلّ ناحية، وتفرّق.

قال ابن فارس: "ويقال من هذا: تطاير الشيء: تفرّق، واستطار الفجر: انتشر، وكذلك كل منتشر"[2].

وورد في لسان العرب[3]: "والتطاير والاستطارة: التفرق. واستطار الغبار إذا انتشر في الهواء. وغبار طيّار ومستطير: منتشر....

وفي حديث بني قريظة: وهانَ على سراة بني لؤيّ حريقٌ، بالبُويْرة، مستطير
أي منتشر متفرّق **كأنه طار في نواحيها**".

لذلك فإن كلمة «طار» في الحديث هي من قبيل الاستعارة[4].

---

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ج3/ ص435.

(2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ج3/ ص436.

(3) لسان العرب لابن منظور - مادة «طير» - ج8/ ص238 - 240.

(4) قد كثر استعمال كلمة «طار» في هذا المعنى كما يفهم من ابن فارس سابقاً، حتى صار مستعملاً في كلّ سرعة، أو في كلّ منتشر، وبهذا أصبح قريناً لحقيقة الانتشار والسرعة، إن لم يكن أشهر منها، وهو بالتالي من المجاز الصريح المنضبط، بل كاد أن يكون أشهر من الحقيقة، حتى أصبحت دلالته للانتشار قطعية في الحديث إذا ما أخذنا بالاعتبار الحقيقة العلمية، وبالتالي يصح الاستدلال به لما سيمر معنا في الحاشية رقم1، ص581 من مبحث «**الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والأسس التي يرتكز عليها/ باب معان... صريحة في دلالاتها**».

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان: 7].

جاء في ابن كثير تعليقاً على هذه الآية[1]: "ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفةً من سوء حساب يوم المعاد وهو اليوم الذي شره مستطير أي منتشر عامّ على الناس إلا من رحم الله... قال قتادة: استطار - والله - شرُّ ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض...".

ولقد ورد معنى الانتشار في التعليق على الحديث الذي رواه مالك بن الحويرث في كتاب "فتح الباري بشرح صحيح البخاري"[2]: "وكل ذلك لا يدفع الزيادة التي في حديث مالك بن الحويرث في إحضار الشبه في اليوم السابع وأن فيه يبتدئ الجمع بعد الانتشار".

وكما أسلفنا القول فإن النطفة الذكرية (أي الحيوان المنوي) تدخل في النطفة الأنثوية ومن ثَمّ يقترب رأسها المحتوي على كتلة الصبغيات (أو العروق) من نواة النطفة الأنثوية (البويضة) التي تحتوي على كتلة عروق مماثلة فتطير وتنتشر عروق هذا الحيوان المنوي بين عروق البويضة[3].

يقول الدكتور كيث مور[4]: "إن صبغيات الأم وصبغيات الأب تختلط في (الطور الاستوائي METAPHASE) (لأول عملية انقسام ميتوزية FIRST MITOTIC DIVISION) للبويضة المخصبة".

فإذا أردنا أن يستقر معنى الحديث "طار ماؤه في كل عِرْق وعَصَب منها" [أخرجه الطبراني ح21] على ضوء المعطيات العلمية التي ذكرناها سابقاً وَجبَ علينا أن

(1) تفسير ابن كثير - ج4/ ص454.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري - كتاب القدر - رقم الحديث 6594 - ج11/ ص481.

(3) قد يظن بعض الناس أن الحديث يشير إلى انتشار كامل مني الرجل داخل عروق (أي شرايين) رحم المرأة! نقول - وبالله التوفيق -: إن هذا التفسير للحديث يستحيل أن يستقر؛ وذلك لأن الرسول ﷺ أكد أن المعني هو جزء من الماء وليس الماء كله في الحديث «ما من كل الماء يكون الولد...» أخرجه مسلم ح117، ولأن الرسول ﷺ تكلم عن الماء الذي سيتركب منه الجنين كما يشير إليه الحديث النبوي «ثم قرأ: ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: 8]»، وبالتالي فهو يتكلم عن الجزء الذي سيتكوّن منه الجنين، أي النطفة لزوماً. وإذا سلمنا أن النطفة هي المعنية في الحديث، فهمنا من ذلك أنه لا بد أن تكون عروق النطفة هي التي تنتشر، وليس «كل الماء». انتهى.

(4) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص32.

نعيد الضمير في كلمة "منها" إلى بويضة المرأة[1]، فإذا فعلنا ذلك تكشّفت لنا إعجازات علمية عديدة هي التالية:

1 - إن النطفة الذكرية أصغر من النطفة الأنثوية وإلا لما طارت في... (أي انتشرت في...). فالانتشار في مكان ما يستوجب من المنتشر أن يكون أصغر من مكان الانتشار، وهذا يعني أن الرسول ﷺ كان يعلم تمام العلم أن الحيوان المنوي أصغر من البويضة. (انظر الصورة رقم: 34 في الصفحات الملونة).

2 - إن الحيوان المنوي يدخل البويضة لأنه ينتشر فيها.

ومما يؤكد استدلالنا هو صياغة الحديث الشريف حيث ورد: «طار ماؤه في كل عرق وعصب منها» [أخرجه الطبراني ح21].

فالرسول ﷺ أدرج **ماء** الرجل **بأكمله** وعروق المرأة فقط في عملية الانتشار.

ومن المعلوم أن عملية الانتشار تستوجب إدراج عروق الحيوان المنوي وعروق البويضة فقط في عملية الانتشار.

فلو أن الرسول ﷺ قال: طارت عروق ماء الرجل في عروق ماء المرأة لاستثنى بذلك ذيل الحيوان المنوي من دخول البويضة ولقيّد عملية الدخول بعروق نطفة الرجل فقط، ولكن الواقع يشير إلى أن الحيوان المنوي يدخل بأكمله البويضة (باستثناء غشائه الذي يلصق بغشاء البويضة أثناء الدخول)، ولذلك كان لا بد من أن يتكلّم الرسول ﷺ عن الماء بأكمله وليس عن العروق فقط. (انظر الصورة رقم: 34 في الصفحات الملونة).

غير أن إدراج الماء بأكمله في عملية الانتشار لا يستوجب أن ينتشر الذيل أيضاً؛ فالذيل يتحلل فور دخول الحيوان المنوي البويضة[2]، وتبقى العروق لعملية

(1) هذا الضرب من الكلام يسمّى الاستخدام، وقد سبق تعريفه في مبحث «الماء والمني/ تفسير النقطة **الأولى**»، فانظره هناك، وبيانه هنا: أنه ﷺ عبّر بالضمير في قوله «منها» عن أحد المعاني التي تحتملها كلمة المرأة، أو لها منه سبب، ويريد بالضمير هنا «البويضة»، وهذا له اتصال وسبب بالمرأة، فمن هنا ساغ «الاستخدام»، وهذا يبيننا عن عظيم القدرة البيانية التي يتمتع بها رسول الله ﷺ، حيث يستطيع الأعرابي البسيط أن يفهم الحديث على أن الضمير يعود للمرأة نفسها، فلا ينكر ذلك لأنه المتناسب مع مفهوم زمانه حينذاك، وفي الوقت نفسه، يفهم عالم الإعجاز العلمي المعنى الحقيقي للحديث، وأن عود الضمير إلى المرأة بمعنى إلى بويضتها، التي هي منها، أو لها سبب بها.

(2) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسود، ص36، كتاب (علم الأجنة الطبي، سادلر MEDICAL EMBRYOLOGY, SADLER)، ص30.

الانتشار فقط، وتصبح العروق الممثل الوحيد للماء، ولذلك أُطلق اللفظ الذي يشير إلى الكل (أي إلى الماء) في صياغة الحديث الشريف وأريد به الجزء (أي عروق النطفة). (انظر الصورة رقم: 35).

وهذا الأسلوب معروف في اللغة العربية ويندرج في باب المجاز المرسل؛ مثال على ذلك قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: 19]، فالمقصود من الآية أن أطراف الأصابع تُجعل في الآذان وليس الأصابع كلها[1].

والدلالة على أن عملية الاختلاط تقتصر على عروق الرجل فقط دون الذيل (وعلى عروق المرأة أيضاً) حسب المعطيات الشرعية هو الحديث الذي سيلي تفسيره في المباحث اللاحقة وهو «**إذا كان حينُ الولد، اضطربت العروق كلها**...» [أخرجه الحكيم الترمذي ح22] حيث إنه أتى على ذكر العروق فقط لعملية تسبق عملية الانتشار بدقائق معدودة، وهذه العروق هي عروق الرجل والمرأة فقط كما سنراه لاحقاً.

ومن كلامنا السابق نفهم أن الرسول ﷺ يعلم أن الحيوان المنوي يدخل بأكمله البويضة وأن ذيله لا ينتشر فيها، وبذلك يكون النبي ﷺ تكلم عن دخول الحيوان المنوي البويضة قبل العالم (هيرتويج HERTWIG) الذي تمكن من ملاحظة كيف يُلقّح الحيوان المنوي البويضة عام (1875م) أي بعد 1200 سنة تقريباً!!!.

3 - إن النطفة الأنثوية تحتوي على عروق وإلا لما ذكر الرسول - عليه الصلاة والسلام - أن الماء يطير (أي ينتشر) في عروق المرأة - أي في العروق التي تُفرزها المرأة ألا وهي عروق نطفتها - . وهذا يشير إلى معرفة رسول الله ﷺ أن النطفة تحتوي على صبغيات. فلو أن العروق لم تكن موجودة في بويضة المرأة - حسب المفهوم الإسلامي - فلماذا تُفرز المرأة نطفة تعطي الجنين صفات، إن كان العرق غير موجود فيها وهو المسؤول عن إعطاء الصفات؟، ولهذا تشهد الأحاديث التالية: «وهذا لعله يكون نَزَعه عِرق له» [أخرجه مسلم ح65]، «وانظر في أيّ **نصاب تضع** ولدك فإن **العرق دسّاس**» [ذكره العجلوني ح71]، «الناس معادن والعِرْق دساس» [ذكره ابن الجوزي ح71]، «تزوّجوا في الحِجر الصالح فإن العِرْق دسّاس» [ذكره السخاوي ح71]، «نطفة الرجل بيضاء غليظة **ونطفة** المرأة صفراء رقيقة **فأيهما غلبت صاحبتها فالشبه له**» [ذكره ابن هشام ح69][2].

(1) كتاب أصول الفقه الإسلامي، د. إبراهيم محمد سلقيني، ص240.

(2) انظر مبحث «معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة».

كذلك فهم بعض فقهاء الصحابة ﷺ ما أشرنا إليه؛ فلقد أشار الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ إلى أن النطفة تحتوي على عروق، كما في الروايتين التاليتين:

- جاء في الدر المنثور: أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عبد الله بن مسعود قال: إذا جئناكم بحديث أتيناكم بتصديقه من كتاب الله إن النطفة تكون في الرحم أربعين ثم تكون علقة أربعين ثم تكون مضغة أربعين، فإذا أراد الله أن يخلق الخلق نزل الملك فيقول له: اكتب، فيقول: ماذا أكتب؟ فيقول: اكتب شقياً أو سعيداً، ذكراً أو أنثى، وما رزقه، وأثره وأجله، فيوحي الله بما يشاء ويكتب الملك، ثم قرأ عبد الله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ ثم قال عبد الله: **أمشاجها عروقها**.

- وورد فيه أيضاً[1]: أخرج سعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن **ابن مسعود في قوله أمشاج، قال: العروق**.

قال ابن رجب الحنبلي[2] - بعد أن أورد الآية ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ - قال: "وفسّر طائفة من السّلف أمشاج النطفة بالعروق التي فيها"[3].

والخلاصة: قوله: إن النطفة لها أمشاج، وهذه الأمشاج هي العروق (أي الصبغيات)، هو دلالة على أن في النطفة صبغيات.

وهكذا فإن الرسول ﷺ تحدث عن دور الصبغيات في عملية الإخصاب قبل العالم (فليمينغ FLEMMING) (1878م).

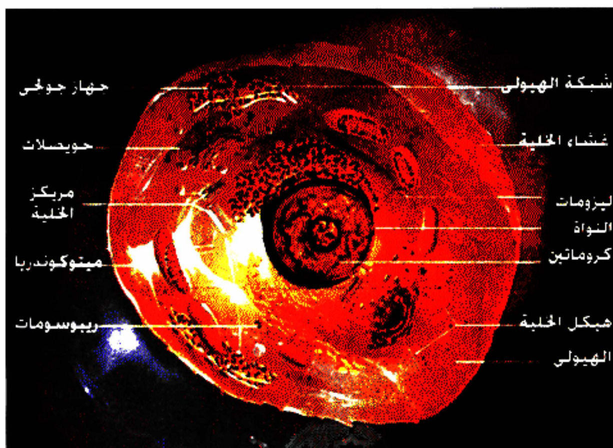
4 - إن النطفة الأنثوية (أي البويضة) لا تحتوي على عروق فحسب، بل على مُكوّنات أخرى وذلك لأن ماء الرجل يطير في عروق من نطفة المرأة لا في النطفة بأكملها؛ فالانتشار ثابت بين أعضاء محددة من البويضة (أي الصبغيات) كما تشير إليه كلمة «منها».

وبالفعل فإلى جانب العروق التي توجد في نواة النطفة هناك (الهلام الخليوي CYTOPLASM) الذي يحيط بالنواة والذي يحتوي على (مولدات الطاقة MITOCHONDRIA) في النطفة ومصانع تصنيع البروتينات (الريبوسومات

(1) الدر المنثور للسيوطي - (ج6/ ص297 - 298).

(2) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، ص 158.

(3) اللافت للنظر جداً أن يستنتج أسلافنا في عصر يملؤه الجهل العلمي أن هناك عروقاً للنطفة. وقد استنبط ذلك الصحابة - رضوان الله عنهم - معتمدين على النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة، ولا عجب، فهؤلاء لهم مدد نوراني من الله ﷻ، ويشهد لذلك الحديث الشريف التالي: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» أخرجه الترمذي ج174.



(33) - نرى في الرسم مقطعاً للخلية (وبالتالي البويضة) حيث يتبين لنا أنها تتألف من أعضاء كثيرة غير الصبغيات كما أشرنا إليه في النقطة رقم 4 لتفسير الحديث «طار ماؤه في كل عرق وعصب منها» [أخرجه الطبراني ح21].

(RIBOSOMES) و(جهاز جولجي GOLGI APPARATUS) المختص بتخزين عمليات البناء في الخلية، وعناصر أخرى. (انظر الصورة رقم: 33).

وهذا ما أكده زيد بن أسلم حيث قال في تفسيره للآية: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾: الأمشاج العروق التي في النطفة[1].

فلقد حدد أن العروق موجودة داخل النطفة وبالتالي حدد أن العروق لا تؤلف كل النطفة بل هناك أعضاء أخرى.

ومن كلامنا السابق نفهم أن الرسول ﷺ يعلم أن الصبغيات لا تكوّن كلّ البويضة.

5 - إن الأجزاء التي اختلطت هي عروق موجودة في النطفة وليس سواها، وذلك لأن الماء يطير في (أي ينتشر بين) عروق وأعصاب نطفة المرأة (أي صبغياتها) ولم ينتشر في أعضاء أخرى.

(1) الدر المنثور للسيوطي - (ج6/ ص298).

وهذا تلميح واضح إلى أن العناصر الأخرى لا تشارك في عملية الاختلاط. (انظر الصورة رقم: 38).

وقد أقرّ الصحابي عبد الله بن مسعود والتابعي زيد بن أسلم رضي الله عنهما هذا المفهوم في قولهما: «أمشاجها عروقها» و«الأمشاج العروق التي في النطفة»؛ أي أن الأجزاء التي تختلط هي العروق المتواجدة داخل النطفة. ومما يقوّي هذا التفسير هو أنه إذا اختلط شيئان نقول عنهما: «مشيج» في الغالب وليس «أمشاج»، ذلك أن كلمة «أمشاج» تشير إلى أن عدة أشياء اختلطت فيما بينها؛ ألا وهي العروق، جاء في لسان العرب[1]: «مشج: المَشْجُ والمشَجُ والمَشَجُ والمَشِيجُ: كل لونين اخْتلطا... وقيل: **هو كل شيئين مختلطين، والجمع أمْشاج**». وجاء في مختار الصحاح[2]: «م ش ج: مشجتُ بينهما مشجاً: خلطتُ، والشيء مَشِيجٌ، والجمع أمْشاجٌ»[3].

---

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «مشج» - (ج13/ص111).

(2) الصحاح للجوهري - (ج1/ص241).

(3) هناك بعض الباحثين ممن يفسّر نطفة الأمشاج على أنها نطفة الرجل، أو نطفة المرأة، أو النطفة المخصبة، وذلك أن نطفة الرجل (أو نطفة المرأة) تحتوي على أخلاط من الصبغيات انحدرت من كلٍ من الجدّ والجدّة على حدّ سواء، وأن الصبغيات تحتوي على مزيج من المورّثات جاءت منهم أيضاً من خلال عملية (التصالب والعبور CROSS OVER) التي حدثت (للنطفة الجنسية الأولية PRIMARY SEX CELL) التي انقسمت مرّتين خلال نضوجها (الانقسام الميوزي الأول والثاني FIRST AND SECOND MEIOTIC DIVISION) والتي أدّت إلى نشوء نطفة الرجل (أو المرأة) (انظر مبحث «**انفلاق النطفة والازدواجية في التركيب**»)، فكل من نطفة المرأة ونطفة الرجل نطفة مشيج، والنطفة المخصبة نطفة أمشاج، حصلت من جمع مشيجين حسب مفهومهم، فجعلوا كلمة «أمشاج» جمع «مشيج»، وذلك خطأ من الناحية اللغوية، لأن كلمة «أمشاج» صفة للنطفة التي هي مفردة، وبالتالي فإن صفتها (أي كلمة أمشاج) لفظ مفرد وليس بجمع، جاء في تفسير الرازي (ج30/ص740): «قال صاحب «الكشاف»: الأمشاج لفظ مفرد، وليس بجمع، بدليل أنه صفة للمفرد، وهو قوله: نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ، ويقال أيضاً: نطفة مشيج، ولا يصح أن يكون أمشاجاً جمعاً للمشج، بل هما مثلان في الإفراد، ونظيره برمة أعشار، أي قطع مكسرة، وثوب أخلاق، وأرض سباسب...». والإشارة إلى أن لفظ نطفة الأمشاج قد يشير إلى نطفة الرجل أو نطفة المرأة جائز، ذلك أن كلاً منهما يحتوي على أخلاط، وكذلك الإشارة إلى أنه قد يشير إلى النطفة المخصبة جائز أيضاً، لأن النطفة المخصبة مزيج من نطفة الرجل ونطفة المرأة، أو لأنها تحتوي على أخلاط من الصبغيات والمورّثات، ولكن القول بأن القرآن أشار إلى أن هناك مزجاً على مزج غير صحيح، لنسب الذي سقناه سابقاً، ونكون بذلك قد حمّلنا القرآن الكريم ما لم يشر إليه، والله تعالى أعلم. ولقد استحسنا أن نعتمد التفسير القائل بأن نطفة الأمشاج هي النطفة المكونة من نطفة الرجل ونطفة المرأة، لأن عموم الأحاديث تتكلم عن تفاعل - إن لم يكن اختلاط - نطفة الرجل بنطفة المرأة، ولأن أكثر السلف الصالح فسروا نطفة الأمشاج على أنها اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة، ولأن التوجه العام للبحث يشير عقلاً إلى هذه الظاهرة.

وهذا يفيد أن الرسول ﷺ يعلم بوحي ربّاني أن هناك عناصر أخرى لا تختلط مع عروق الحيوان المنوي.

6 - إن عروق نطفة الرجل تقترب من عروق نطفة المرأة[1]، فالانتشار بين عروق المرأة يستوجب الاقتراب منها، وإلا لما استطاعت العروق الاختلاط. (انظر الصورتين رقم: 37 - 38).

ومما يثبت صحة كلامنا هذا، هو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: 54]، فهذه الآية - كما سبق وتكلمنا - تشير إلى انصهار نواتيْ الماءين، والانصهار يتوقف على الاقتراب. ونفهم من هذا الحديث أن النبي ﷺ يعلم أن نواتيْ الحيوان المنوي والبويضة تنجذب إحداهما إلى الأخرى.

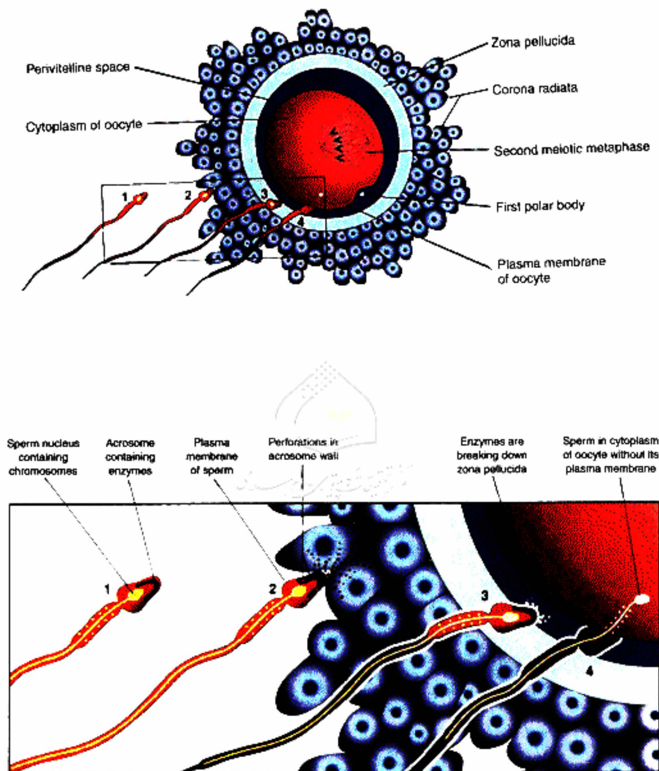
7 - إن عملية التقدير المذكورة في الآية: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ تكون من خلال مشج (أي اختلاط) العروق فيما بينها، وذلك يوافق ما جاء في الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا . . .﴾ من أن النسب يعقب الخلق وذلك بانصهار النواتين، كما أنه يوافق المعنى الذي أتى في الحديث: «إذا كان حينُ الولد اضطربت العروق كلها ليس منها عرق إلا يسأل الله أن يجعل الشّبه له» [أخرجه الحكيم الترمذي ح22] والمفيد بأن إحضار الشبه يكون عندما يحين الخلق وذلك بسبب العروق.

8 - إن رأس الحيوان المنوي يتسع ويتضخم، فالانتشار يقضي تمدّد وتبعثر أعضاء المادة المنتشرة. والحيوان المنوي في بادئ الأمر يكون غليظاً كثيفاً بالنسبة لنطفة المرأة (فعروقه أكثر تراصاً وتراكماً من عروق المرأة) كما يشير إليه الحديث النبوي الشريف «نطفة الرجل بيضاء غليظة. . .» [ذكره ابن هشام ح69] ومن ثم تضطرب عروقه وتتسع (أي تتحرك وتتمدد) كما يعنيه الحديث «إذا كان حينُ الولد **اضطربت العروق كلها**» [أخرجه الحكيم الترمذي ح22][2] (انظر الصورة رقم: 36)، ومن ثَم تنتشر وتختلط عروق النطفتين وفق الحديث «**طار ماؤه في كل عرق وعصب منها**» [أخرجه الطبراني ح21] (انظر الصورة رقم: 39)، بعكس حالة البويضة، فهي في بادئ الأمر رقيقة، قليلة الكثافة بالنسبة للحيوان المنوي كما وصفها الحديث «**نطفة المرأة صفراء رقيقة. . .**» [ذكره ابن هشام ح69]، غير أن تلك العروق تستكمل امتدادها فور دخول الحيوان المنوي لأن الحديث شمل كلّ العروق في عملية الاضطراب كما أتى في لفظ «اضطربت العروق كلها» [أخرجه الحكيم الترمذي ح22] ولم يشر إلى بعضها دون البعض الآخر.

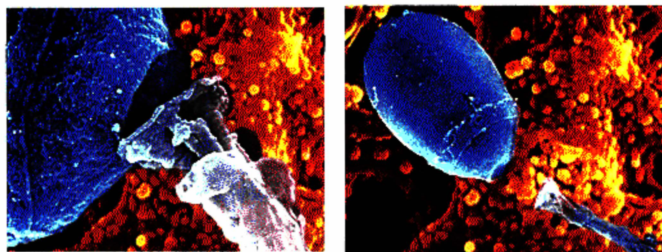
---

(1) وبالتحديد إن عروق نطفة المرأة وعروق نطفة الرجل تقترب بعضها من بعض.

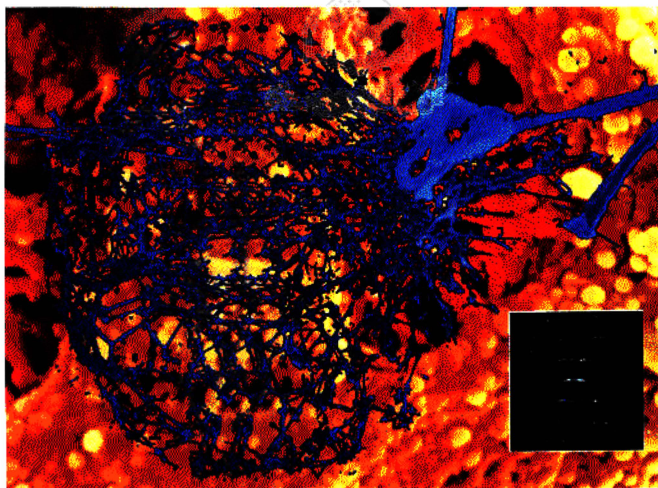
(2) انظر مبحثيْ «**اضطراب عروق النطفة**» و«**النطفة**».



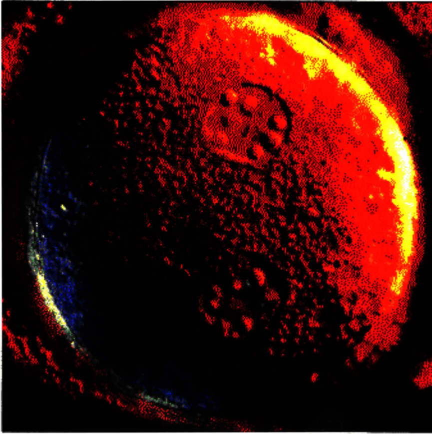
(34) - نرى في الرسومات أعلاه كيف أن الحيوان المنوي يدخل البويضة بأكمله (باستثناء غشائه) حسبما يشير إليه الحديث النبوي الشريف «طار ماؤه في كل عرق وعصب منها» [أخرجه الطبراني ح21]، وكما رأينا في النقطة الثانية لتعليقنا على هذا الحديث. كذلك نرى من خلال هذه الرسومات كيف أن الحيوان المنوي الذي يدخل البويضة أصغر بكثير منها كما استنتجناه في النقطة الأولى لتعليقنا على الحديث السابق ذكره.



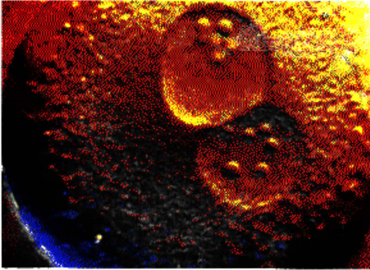
(35) - نرى في الصورتين أعلاه كيف أن ذيل الحيوان المنوي ينفصل عنه ويتحلل بعد أن يدخل الحيوان المنوي في البويضة وبذلك يستثنى من عملية اختلاط العروق حسبما تشير إليه المعطيات الشرعية، وكما رأيناه في النقطة الثانية لتعليقنا على الحديث السابق ذكره.



(36) - نرى في الصورة أعلاه كيف أن رأس الحيوان المنوي يتسع ويتضخم بعد أن يدخل الحيوان المنوي البويضة كما يشير إليه الحديث الشريف: «طار ماؤه في كل عرق» [أخرجه الطبراني ح21]. وكما أشرنا إليه في النقطة الثامنة لتفسير هذا الحديث.



(37) - نرى في هذه الصورة كيف أصبح لدينا نواتان في البويضة بعد أن دخل الحيوان المنوي البويضة: نواة البويضة، ورأس الحيوان المنوي بعد تضخمه.



(38) - نرى في الصورة على اليسار كيف أن النواتين قد اقتربتا بعضهما من بعض وهما على وشك أن تنصهرا كما تشير إليه الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ الفرقان 54 وكما استنتجناه من خلال النقطة رقم 6 لتعليقنا على الحديث الذي رواه الطبراني رقم 21. ونستنتج أيضاً من هذه الصور ما جئنا على ذكره في النقطة رقم 5 لتعليقنا على الحديث من أن الذي يختلط هو عروق المرأة فقط دون سواها من أعضاء البويضة.



(39) - نرى في الرسم على اليسار كيف أن عروق الحيوان المنوي قد انتشرت بين عروق البويضة في الطور الاستوائي لأول عملية انقسام ميتوزية وكما جئنا على ذكره في النقطة رقم 8 لتعليقنا على الحديث رقم 21.

ونود الإشارة هنا إلى أن:

- عملية الانتشار تتصف باختلاط أجزاء متفرقة.
- وأن الأجزاء المتفرقة هي عروق.
- وأن هذه العروق هي عروق موجودة في النطفة.

بما أن ذلك كله متحقق، فنفهم عندها أن إطلاق تسمية «نطفة الأمشاج» على البويضة المخصبة يعني «**نطفة العروق المختلطة**». وهكذا يتجلى لنا الإعجاز البلاغي للقرآن لأنه اختصر عدة معانٍ في كلمتين فقط.

وفي النهاية نود التعليق على التسمية التي أطلقها القرآن الكريم على البويضة المخصبة ونقارنها بالمصطلحات التي وضعها الأطباء لنرى أيهما مناسب أكثر من حيث الدلالة:

أطلق العلماء على البويضة التي يلقحها الحيوان المنوي اسم (البويضة المخصبة FERTILIZED OVUM)، وعلى البويضة المخصبة بعد أن تتحد فيها نواتا الحيوان المنوي والبويضة اسم: (الخلية الموحدة ZYGOTE)، وبالتالي فإن تسمية "البويضة المخصبة" تشير إلى تلقيح الحيوان المنوي للبويضة، كما أنها تشير إلى أن شكل البويضة مستدير نسبياً، وهذه التسمية غير مناسبة بتاتاً؛ ذلك أنها توحي إلى القارئ أن بويضة المرأة هي الأصل، وأن الحيوان المنوي لا يلعب إلا دوراً هامشياً، أي دوراً محفزاً في تكوين الجنين. أما بالنسبة لتسمية الخلية الموحدة فهي لا تعكس ما يجري داخل البويضة المخصبة، ولا تشير إلى شكل البويضة... إلخ.

أما تسمية «نطفة أمشاج» فهي تشير إلى الشكل الخارجي للبويضة المخصبة، وتدل على حجمها، وتعكس العمليات التي تجري داخلها، ناهيك عن أنها تشير إلى حركة البويضة المخصبة؛ فالنطفة تعني، كما أشرنا إليه في مبحث "**النطفة**"، القطرة من الماء، وبالتالي فإن هذه التسمية تشير إلى أن البويضة المخصبة صغيرة كقطرة الماء، وأنها مستديرة نسبياً كقطرة الماء، وأنها تنساب على سطح ما يسمى "بقناة فالوب" خلال هجرتها من المبيض إلى الرحم كما تنساب القطرة من الماء على السطح المائل.

ووصفها بأنها "أمشاج" يشير إلى أنها مكونة من أعضاء كثيرة (الصبغيات)، ويعكس العمليات الداخلية التي تجري داخل البويضة من اختلاط الصبغيات فيما بينها، ناهيك أنه يعطي للحيوان المنوي نفس الأهمية التي يعطيها لبويضة المرأة، في إشارة إلى شراكة متساوية للذكر والأنثى في تكوين الجنين. فتأمل أيها القارئ الكريم !!!.

اضطراب عروق النطفة

● عن عبد الله بن بريدة: أن رجلاً من الأنصار وَلَدَتْ له امرأته غلاماً أسود، فأخذ بيد امرأته، فأتى بها رسول الله ﷺ، فقالت: والذي بعثك بالحق، لقد تزوّجني بكراً وما أقعدت مقعده أحداً، فقال رسول الله ﷺ: «صدقتِ! . . . **إذا كان حينُ الولد، اضطربت العروق كلها**، ليس منها عِرْق إلا يسأل الله أن يجعل الشَّبَه له» [أخرجه الحكيم الترمذي ح22].

● عن ابن عباس مرفوعاً: «النطفة التي يُخلَق منها الولد **ترعد لها** . . . **العروقُ كلُّها** إذا خرجت وقعت في الرحم» [أخرجه الديلمي ح23].

هذه المرحلة تبدأ زمنياً قبل مرحلة «اختلاط عروق النطفة» وتنتهي عندها، ولكن وضعناها بعدها لكي تتضح الأمور للقارئ، ولأن مبحث «**اضطراب عروق النطفة**» مرتبط بمبحث «**اختلاط عروق النطفة**».

إن الحديث الذي رواه عبد الله بن بريدة ﷺ جاء في توضيح ما حصل لامرأة ولدت غلاماً أسود لا يشبه أحداً من أبويه، فشك زوجها في عفّتها ولكنْ برّأها الرسول ﷺ من شكّ زوجها.

العِرْق في الحديث هنا وفي سائر الأحاديث الشريفة التي ذكرناها في هذا الكتاب يعني الصبغيات في المصطلح العلمي[1].

يكشف لنا الحديث الشريف الذي رواه عبد الله بن بريدة النقاب عن حادثة «اضطراب». هذا الاضطراب يحصل للعروق كلها وذلك «إذا كان حينُ الولد» [أخرجه الديلمي ح23] أي إذا حان وقت خلق الجنين.

نقطة الصفر في ولادة الجنين تحصل عند دخول الحيوان المنوي البويضة أي عند مشج واختلاط النطفتين وذلك لأن أجزاءه المتفرقة تتوحّد تحت جسم واحد.

وما رُوي عن ابن عباس: «النطفة التي يُخلَق منها الولد **ترعد لها** . . . **العروقُ**»

(1) لمزيد من التفاصيل الرجاء إلقاء النظر على مبحث «**اختلاط عروق النطفة**» ومبحث «**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة**».

[أخرجه الديلمي ح23] يوافق هذ المعنى؛ فالنطفة التي يخلق منها الولد تشير إلى البويضة المخصبة وذلك لأن النطف التي لم تُخصَبْ لا تُودي إلى تخلّق الولد.

لكل من النطفتين - النطفة الذكرية والنطفة الأنثوية - عروق أي صبغيات(1).

هذه العروق تضطرب أي تتحرك لحظة دخول الحيوان المنوي البويضة.

جاء في لسان العرب(2): «وتضرّب الشيء واضطرب: تحرك وماج، والاضطراب: تضرّب».

وجاء أيضاً(3): «رعد... والارتعاد الاضطراب، وفي حديث زيد بن أسود: فجيء بهما ترعد فرائصهما أي: ترجف وتضطرب من الخوف» [أخرجه الترمذي ح24]..

كل من العروق - عروق الحيوان المنوي وعروق البويضة - ترتجف وفقاً لما جاء «اضطربت العروق كلها» [أخرجه الحكيم الترمذي ح22] و«ترعد لها... العروق كلها» [أخرجه الديلمي ح23].

ونود الإشارة هنا إلى أن عملية الاضطراب والارتجاف هي عملية ذات طابع ارتدادي، أي أن أعضاء هذه العملية تتحرك ومن ثم تعود أدراجها. وبالتالي فإن عملية الاضطراب ليست مجرد عملية تحرك، كما أن أعضاء عملية الارتجاف تتحرك تحركاً محدوداً فهي تموج وتتحرك قليلاً في مكانها ولا تتحرك كثيراً كالانتقال من مكان إلى آخر.

كيف تتم عملية الاضطراب؟.

بعد أن يدخل الحيوان المنوي البويضة تنقسم العروق الموجودة داخل نواة البويضة إلى جزأين محدثة (الانقسام الميوزي الثاني SECOND MEIOTIC DIVISION)(4) حيث ينزوي قسم من العروق في أحد جوانب البويضة بينما يواجه القسم الثاني عروق الحيوان المنوي التي دخلت البويضة.

ومن ثمّ تمتد عروق نواة البويضة داخل النواة من خلال عملية تسمى: عملية (تخفف التكثف DECONDENSATION)(5).

---

(1) راجع لهذا الغرض مبحث «اختلاط عروق النطفة».
(2) لسان العرب لابن منظور - مادة «ضرب» - (ج8/ ص35).
(3) لسان العرب لابن منظور - مادة «رعد» - (ج5/ ص242).
(4) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص32.
(5) كتاب الإنسان النامي، د. كيث مور ود. بارسو، ص37.

إلى ذلك، فإن رأس الحيوان المنوي الذي يحتوي هو أيضاً على صبغيات (أي عروق) بشكل متراص ومتراكم يتضخم رأسه وتتسع وتمتد عروقه بداخله[1].

يعقب ذلك تضاعف صبغيات كل من النواتين[2].

وتتقارب النواتان.

وعند التقاء النواتين يتفكك غشاؤهما النووي كما رأينا في مبحث «**اختلاط عروق النطفة**» وتنصهر النواتان.

يعقب ذلك تكثّف صبغيات كل من النواتين[3].

خلال عملية التكثف تغلظ الصبغيات ويقصر طولها[4].

إن عملية امتداد العروق وانقباضها على نفسها ما هي إلا عملية تموّج أي عملية تحرك ارتدادي تماماً كما تعنيه كلمة «اضطراب».

إلى ذلك فإن تحرك العروق في عملية الامتداد والانقباض محدودة جداً؛ فالامتداد والانقباض له مقدار لا تستطيع العروق أن تزيد عليه في الامتداد ولا أن تنقص منه في الانقباض.

وهكذا ترتجف العروق لتحقق معنى الاضطراب والارتعاد الذي ورد في الأحاديث الشريفة.

ومن الجدير بالذكر هنا أن عملية الاضطراب تأتي زمنياً بعد عملية التخلق (أي بعد عملية التخصيب) وقبل (أو عند) عملية تقدير شبه الجنين. وذلك لأن العروق تستعد لعملية التقدير بسؤال الله عزّ وجلّ أن يجعل الشبه لها.

الاستعداد لعملية التقدير يكون بامتداد العروق - والله أعلم - (وذلك ليتاح لها أن تضاعف صبغياتها فتكون مؤهلة لعملية التقدير)، وبانقباض العروق على نفسها [(وذلك لكي يتاح لمادة (الدي أن آي DNA)[5] التي يبلغ طولها حوالَيْ مترين أن تُعبّأ داخل نواة خلية واحدة لا يزيد قطرها عن ستة ميكرون[6] (والميكرون هو واحد على الألف من المليمتر)].

---

(1) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص32 / كتاب وُلد طفل، د. لارس هامبرغر، ص55.

(2) كتاب الإنسان النامي، د. كيث مور ود. بارسو، ص 37.

(3) كتاب الإنسان النامي، د. كيث مور ود. بارسو، ص37.

(4) كتاب الآيات العجاب، د. حامد أحمد حامد، ص 12 – 13.

(5) والدنا هو الحمض النووي الرئيسي منقوص الأكسجين.

(6) كتاب الآيات العجاب، د. حامد أحمد حامد، ص 13.

إن المُتتبِّع والمستقرئ للنصوص القرآنية والحديثية يدرك مدى عظمة الإعجاز الإسلامي في الإخبار عن الأمور العلمية في مجال «تخلّق الجنين». فالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة توضح لنا الصورة التي تكون عليها العروق والمسار الذي تتبعه، وهو على النحو التالي:

- كثافة الحيوان المنوي بالنسبة للبويضة - دخول الحيوان المنوي البويضة - تمدد الحيوان المنوي - اقتراب نواتي النطفتين - انصهار نواتي النطفتين - اختلاط العروق - إحضار الشبه.

التكلم عن أشياء **موجودة داخل مكان مغلق ومظلم** (أي داخل الرحم) يلفت النظر . . .

والتكلم **عن أشياء صغيرة جداً** (أي عن البويضة والحيوان المنوي) موجودة داخل ذلك المكان يسترعي الانتباه . . .

والتكلم عن **عمليات لتلك الأشياء الصغيرة** (كاختلاط النطفتين) إعجاز إخباري مبين . . .

والتكلم **عن أعضاء متخفية داخل تلك الأجزاء الصغيرة** (أي عن العروق) يزيد من قوة الإعجاز . . .

والتكلم عن **تحرك تلك الأعضاء الصغيرة** المتخفية أمر مدهش . . . !

وأما **تحديد طبيعة التحرك** لأعضاء تلك الأشياء الصغيرة المتخفية فهو أمر يبهر العقول . . . !

إلى ذلك **فإن توقيت التحرك المحدود للأعضاء الصغيرة المتخفية بدقة متناهية** أمر لايصدقه عقل إلا إذا كان:

1 - وحياً ربانياً،

2 - أو كشوفاً علمية لمجمع علمي منعقد لسنين مستمرة، ومزود بتقنيات عالية.

والاحتمال الثاني تكشّف في عصرنا هذا. والاحتمال الأول **قد أشير إليه قبل 1400 سنة في ظل من الأمية مسيطر**، فاعتبروا يا أولي الأبصار!!!.

وانظر لهذا الغرض تعليقنا في الملحق المرفق في آخر هذا الكتاب.



انفلاق النطفة والازدواجية في التركيب

● قال العليم الحكيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: 95].

● قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: 49].

● قال الله عز وجل: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: 36].

نود في البداية التعليق على الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: 95].

ورد في لسان العرب[1]: "والحبة من الشيء: القطعة منه".

وجاء في تفسير ابن كثير[2]: "... وقد عبّروا عن هذا وهذا بعبارات كلها متقاربة مؤدية للمعنى، فمن قائل يُخرج الدجاجة من البيضة وعكسه...".

وجاء في القرطبي[3]: "يخرج البشر الحي من النطفة الميتة، والنطفة الميتة من البشر الحي... وفي صحيح مسلم عن عليّ ﷺ: والذي فلق الحبة وبرأ النَّسمة إنه لعهد النبي الأمّي ﷺ..." [أخرجه الترمذي ح25].

وجاء نفس الكلام في مراجع عديدة[4].

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «حبب» - (ج3/ ص10). القاموس المحيط - باب الباء/ فصل الحاء -. الصحاح للجوهري - باب الباء/ فصل الحاء - .

(2) تفسير ابن كثير، ج2/ ص 158.

(3) تفسير القرطبي، ج7/ ص 44.

(4) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي - (ج3/ ص33). ونقل نفس الكلام في فتح الباري - باب سورة آل عمران عن مُجاهد - كتاب التفسير - سورة آل عمران - (ج8/ ص209). وفي جامع البيان في تفسير القرآن للطبري - (ج7/ ص187) - عن السُّدّي وعن أبي مالك وعن ابن عباس. وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ورد عن ابن عباس - (ج7/ ص44). وفي تفسير الألوسي (ج7/ ص226، و11/ 110، و21/ 30). وفي تفسير السمرقندي - (ج1/ ص469). وفي زاد المسير لابن الجوزي - (ج3/ ص90).

إذا أخذنا بمجموع التفاسير المذكورة السابقة أصبحت الآية تعني: إن الله فالق القطع الصغيرة من جسم الإنسان ونواتها (وهي الحبّ أي النطف)[1] يُخرج البشر الحي من النطفة الميتة، ومخرج النطفة الميتة من البشر الحي.

هنا الدهشة تمتلك من يتدبر الآيات القرآنية

إن الآيــة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥] تعبّر عن سمةٍ كونية عامة يمتاز بها عالم النبات والحيوان والإنسان، فالفَلْق سمة عامة لكل خلاياهم (الجنسية أو الجسدية) كما يشير إليه العلم الكوني، وكما تدل عليه صياغة الآية الكريمة، فاللفظ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ جاء على إطلاقه ولا يقيِّد سمة الفلق لجنس من الأجناس.

إن البويضة بعد تخصيبها من الحيوان المنوي تنفلق – أي تنقسم – إلى جزأين مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ...﴾، هذا الانفلاق يحصل أيضاً لنواة البويضة كما جاء في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾.

والتفصيل كالآتي:

لقد رأينا في مبحث «**اضطراب عروق النطفة**» أن صبغيات النطفة المخصبة تمتد ومن ثَمّ تتضاعف صبغياتها ومن ثَمّ تنقبض على نفسها. ويعقب ذلك أن تصطفّ العروق وهي مؤلّفة من زوج من الحبال تسمى: (كروماتيد CHROMATIDS) بشكل منتظم عند خط استواء النطفة، ويتصل كل زوج من حبال الكروماتيد بقسيمة مركزية تسمى: (سنترومر CENTROMERE).

إلى ذلك يتألف القسم المركزي للنطفة من زوج يسمى: (سنتريول CENTRIOLES) يتباعدان بحيث يتجه كل سنتريول في اتجاه أحد قطبي النطفة.

وخلال اصطفاف العروق عند خط استواء النطفة تمتد خيوط شعاعية من (قسيمات النطفة المركزية CENTRIOLES) إلى كل (القسيمات المركزية للصبغيات CENTROMERES) وتؤلف ما يسمى بخيوط المغزل.

ويعقب ذلك أن ينقسم كل (سنترومر CENTROMERE) إلى اثنين بحيث تنفصل الحبال الشقيقة (الكروماتيد) إلى حبال مستقلة.

ومن ثَمّ تنكمش خيوط المغزل نحو قُطبي النطفة فتنجذب الحبال المنفصلة

(1) للمزيد من التعليق على أن كلمة الحب تشير أيضاً إلى النطف راجع مبحث «**الحرث**».

معها بحيث يجتمع في النهاية عند كل قطب من النطفة عدد متساوٍ من الحبال، وبذلك تنفصل نواة النطفة إلى نواتين مستقلتين.

ويعقب ذلك أن ينقسم (الهلام الخلوي للبويضة CYTOPLASM) إلى جزأين مستقلين[1] يحتوي كل منهما على نواة، وبذلك تنفلق النطفة إلى خليتين مُحدثةً ما يسمى باللغة العلمية: (الانفلاق الفتيلي MITOTIC DIVISION)، ويتحقق الانفلاق للنطفة على وجه عام ولنواتها على وجه خاص كما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ...﴾. (انظر الصورة رقم: 40).

إلى ذلك فإن عملية الانفلاق التي تحدثنا عنها والتي تحدث للنطفة ولنواتها هي التي سوف تؤدي إلى خلق شيء حي، كما جاء في الآية الكريمة: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾، وهذا المعنى يزيده تفسير ابن كثير والقرطبي (يخرج البشر الحي من النطفة الميتة) كما ذكرناه في بداية هذا البحث. فلولا هذه العملية لما نشأ فيما بعد (كما ستراه في مبحث «**جمع خلايا الجنين**») كتلة الخلايا التي ستؤلف الجنين.

وبذلك فإن الوحي السماوي قد سبق العالميْن (بريفوست ودوماس PREVOST AND DUMAS) (1824م) إلى وصف ظاهرة (انشقاق البويضة CLEAVAGE)، والعالِم (وولف WOLFF) (1759م) إلى أن الكرويات تنفلق لتؤلف طبقات من الخلايا يتخلق منها الجنين، والعالِم (فون بندن VON BENEDEN) (1883م) الذي وصف ظاهرة الانقسام الاختزالي (أي انقسام نواة البويضة).

وتعليقاً على الآيتين: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، و﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ نورد ما يلي:

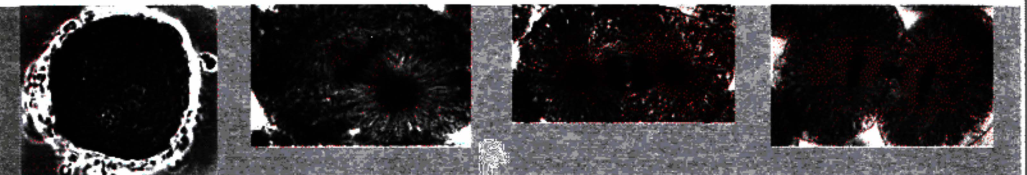
إذا تأملنا تطور النطفة يمكننا تسجيل هذه النقاط:

● إن نطفة الرجل - وخلال هجرتها من الجهة الظاهرة من الخصية إلى الجهة الباطنة - تنفلق إلى جزأين، وكل جزء من هذين الجزأين ينفلق إلى جزأين آخرين.

● إن خلايا نطفة المرأة **قُبيل تلقيحها** من قبل الحيوان المنوي، تنقسم إلى جزأين بعد أن تسقط من المبيض داخل قناة فالوب. والحاصل أن نصف خلايا النطفة تنزوي في جسم صغير معلّق بالنطفة يسمى: (الجسم القطبي POLAR BODY)، ويبقى النصف الثاني في النطفة. (انظر الصورة رقم: 41).

(1) كتاب علم الأجنة الطبي، سادلر، ص85.

(40) - عملية انفلاق البويضة



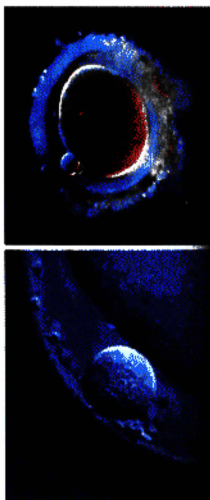


(A) - نرى في الصورة أعلاه كيف أن نواة الحيوان المنوي ونواة البويضة اقتربتا بعضهما من بعض. وفي الرسم أدناه كيف أن (قسيمتي النطفة المركزية **Centrosomes**) تتمركزان في الجهتين المتقابلتين لمكان الانصهار.

(B) - نرى أعلاه في الصورة لخلية جسدية كيف أن الصبغيات اصطفت عند خط الاستواء. ونرى الخيوط الشعاعية وقد امتدت من (القسيمتين المركزيتين **Centrioles**) إلى (القسيمات المركزية للصبغيات **Centromeres**) كما يوضحه رسم النطفة المخصبة.

(C) - نرى في أعلى الصورة لخلية جسدية كيف أن الصبغيات انقسمت إلى حبال مستقلة متجهة كل منها إلى أحد قطبي الخلية. وأدناها نرى كيف أن البويضة تنقسم متبعة نفس الحركة الانفصالية.

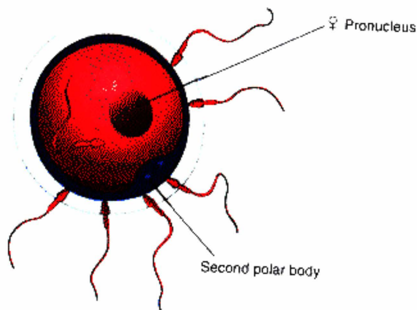
(D) - نرى في الصورة أعلاه خلية جسدية نهاية الانقسام وقد أصبحت الخلية الأم خليتين بنواتين مستقلتين. والرسم أدناها هو لبويضة وقد انقسمت إلى خليتين مستقلتين يجمعهما غلاف خارجي لتحقق معنى الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: 95].



(41) - تنقسم البويضة خلال رحلة نضوجها إلى جزأين، وينزوي القسم الثاني في جسم صغير معلق بالنطفة.

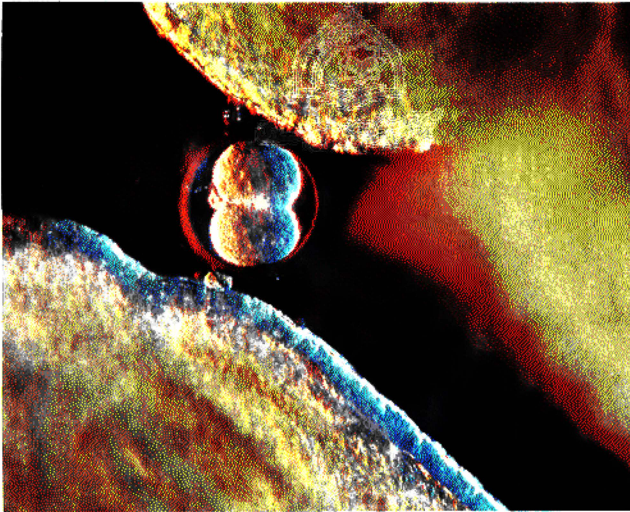


● بعدما تدخل نطفة الرجل نطفة المرأة تنقسم نواة نطفة المرأة **قُبيل انصهارها** مع رأس الحيوان المنوي فتؤلف جزأين: الجزء الأول ينزوي في ضواحي النطفة، والجزء الثاني ينصهر مع رأس الحيوان المنوي. (انظر الصورة رقم: 42).

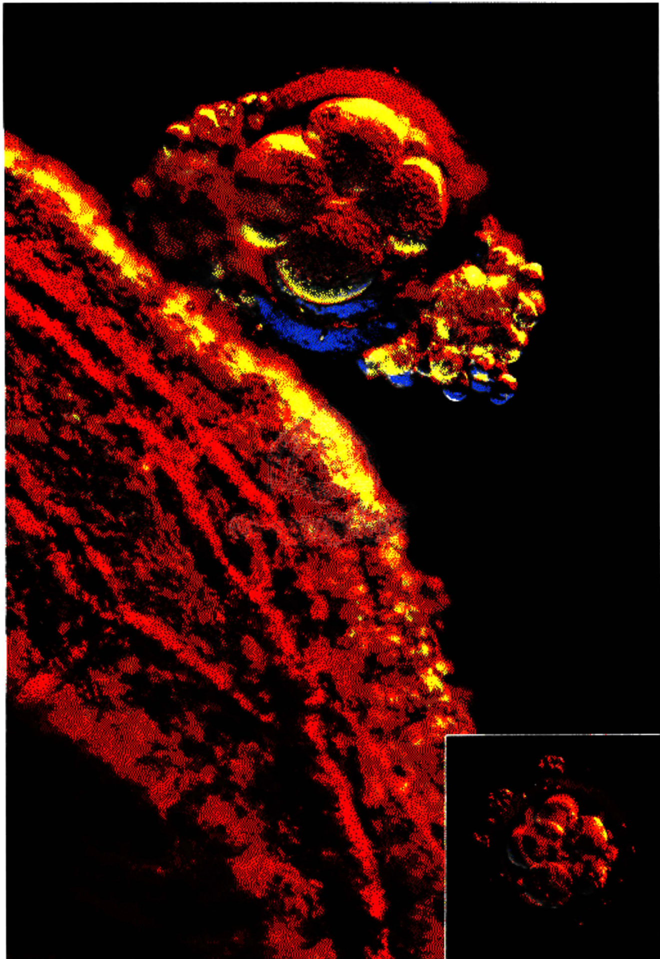


(42) - ترى في الصورة (الجسم القطبي الثاني Second polar body) الذي تأتى من انقسام نواة البويضة بعد أن دخلها الحيوان المنوي.

● **بعد أن ينصهر النصف الثاني من نواة نطفة المرأة مع رأس الحيوان المنوي،** يبدأ انفلاق (نطفة الأمشاج ZYGOTE): فالنطفة الحاصلة تنفلق إلى جزأين، وهذان الجزآن ينقسم كل واحد منهما إلى جزأين آخرين، ويتم هذا الانفلاق في كل من الأجزاء اللاحقة، فتسمى النطفة عندما تصبح مكونة من ثمانية خلايا باللغة العلمية (بالتوتة MORULA) ومن ثمّ (بالكرة الجرثومية BLASTOCYT). (انظر الصورتين رقم: 43-44)



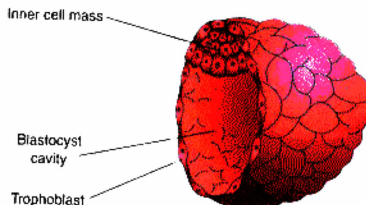
(43) - صورة للنطفة داخل الرحم وقد انقسمت إلى قسمين اثنين.



(44) - صورتان لنطفة داخل الرحم وقد انقسمت إلى ثماني خلايا، ومن ثم إلى ست عشرة خلية وفقاً للآية:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: 95].

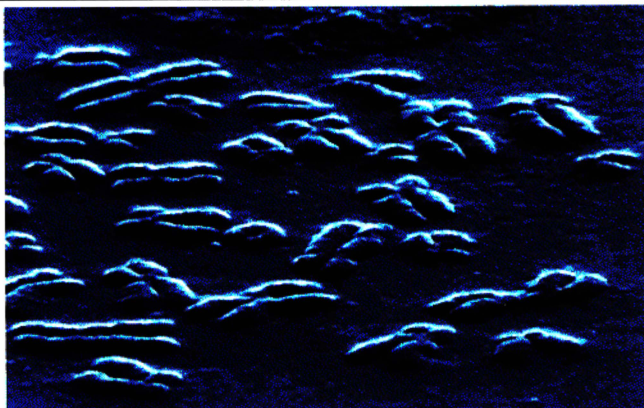
- عندما تدخل نطفة الأمشاج في الرحم، تنقسم الخلايا الناتجة من الانفلاق إلى جزأين: أحدهما سوف يؤدي إلى تخلّق الجنين (ويسمى كتلة الخلايا الداخلية)، والثاني سوف يؤدي إلى تخلّق (المشيمة PLACENTA) (ويسمى كتلة الخلايا الخارجية). (انظر الصورة رقم: 45).



(45) - رسم يوضح كيف أن الخلايا التي تأتت من الانشطارات المتوالية انقسمت إلى جزأين:
(مجموعة الخلايا الداخلية Inner cell mass)
(مجموعة الخلايا الخارجية Trophoblast)

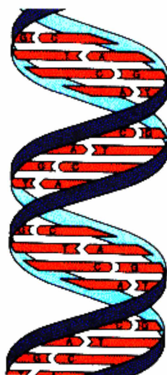
فالنقاط الخمس التي ذكرناها أعلاه تؤكد إخبار الله - سبحانه وتعالى - قبل أربعة عشر قرناً بأنه يفلق النواة إلى جزأين. وهذا التصريح تُؤكده الآية الكريمة الثانية: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: 49]. على أن الآية الأخيرة عامة في معناها أكثر وتشمل وتُظهر حقائق أكثر؛ فكل شيء مكوّن من زوجين سواء انفلق أم لم ينفلق:

- فالإنسان مؤلّف من رجل وامرأة.
- والنطفة من نطفة ذكرية (حيوان منوي) ونطفة أنثوية (بويضة).
- ونطفة الرجل تنقسم إلى جزأين، ونطفة المرأة تنقسم إلى جزأين ونطفة الأمشاج تنقسم إلى جزأين وكل جزء منها ينقسم إلى جزأين، ومجموعة السلالات التي تؤلف النطفة بعد أن تقع في رحم المرأة تنقسم إلى جزأين.
- ونواة الخلية العادية سواء عند المرأة أو عند الرجل مؤلفة من ثلاثة وعشرين زوجاً من الكروموزومات (أي الصبغيات: وهي التي تحدد فيما بعد شكل الإنسان) وكل اثنتين من هذه الصبغيات متعلقة بعضها ببعض. (انظر الصورة رقم: 46).



(46) - نرى هنا كيف أن الصبغيات تأتي ضمن أزواج.

● يحتوي الصبغ على حلزون (الحمض النووي الرئيسي DNA)، هذا الحلزون مزدوج التركيب أي أنه مؤلف من سلسلتين من الخيبيات. (انظر الصورة رقم: 47).



(47) يوضح هذا الرسم كيف أن الحامض النووي الرئيسي مؤلف من سلسلتين.

● وكل من السلسلتين مصنوع من مجموعة من الجزئيات، وكل مجموعة من السلسلة الأولى تتحد مع مجموعة أخرى من السلسلة الثانية على شكل زوج: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: 36]. لاحظوا التعبير الدقيق: ﴿ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ و﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: لقد جاء هذان التعبيران للدلالة على أن الأزواج موجودة في جسم الإنسان، وأضاف عليها: ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ للتلميح إلى أن الكثير من الأزواج لم تُكتشف بعد: ذلك أن المعاصرين للرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يكتشفوا تلك الأزواج التي توصل إليها العلم الآن، ولا ندري ماذا سيكتشف العلم مستقبلاً. ناهيك عن أن الآيتين: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ...﴾ و﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ...﴾ لم تحصرا الأزواج في الإنسان فقط، وهذا ما برهنه العلم أيضاً فالحيوان من زوجين، والنبات و(نطفها POLLEN) أزواج ...إلخ.

● كما أن هذه السلاسل تتكون من أربع قواعد نيتروجينية وهي:

(آدنين، غوانين، سايتوزين، وثايمين ADENINE. GUANINE. CYTOSINE. THYMINE) وهذه القواعد جاءت أزواجاً. فالآدنين دائماً يتزاوج مع الثايمين، والغوانين دائماً يتزاوج مع السايتوزين.

ولا يمكن أبداً أن يتزاوج الآدنين مع الغوانين، ولا الغوانين مع الثايمين، ولا السايتوزين مع الآدنين، ولا الثايمين مع السايتيوزين.

● كما أن كل واحد من هذه القواعد الأربعة يتصل بأحد (السكريات الناقصة الأوكسيجين - DEOXY RIBOSE)، وهذا السكر يتصل بجزئيء من الفوسفات ليكون أيضاً زوجاً، لا يبتعد عنه، ولا ينفصل منه[1].

والرسم (صورة رقم: 48) على اليسار يوضح هذا الكلام.

فوسفات فوسفات
| |
سكر - آدنين - ثيامين - سكر
| |
فوسفات فوسفات
| |
سكر - غوانين - سيتوزين - سكر

(48) - تركيبة سلاسل (الدي آن إي D.N.A).

(1) كتاب الإعجاز العلمي في القرآن: المعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيتو، ص269 - 270، بتصرف.

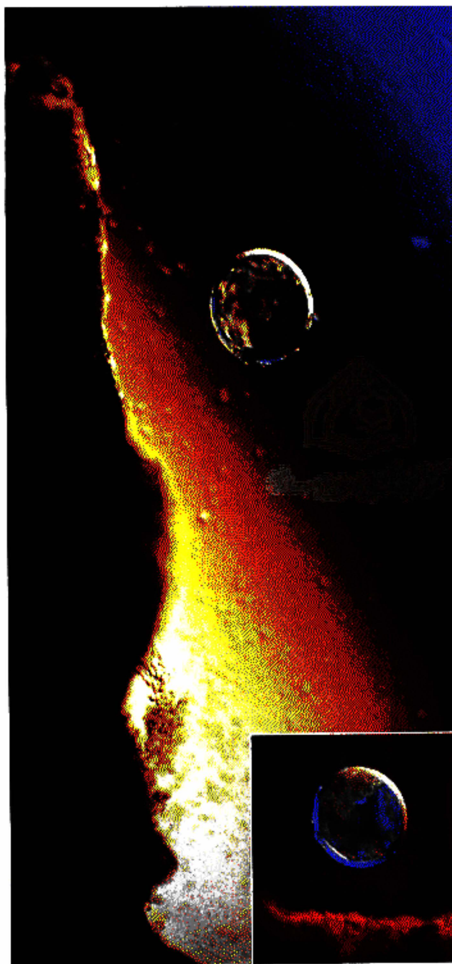
وقوع النطفة في الرّحم

● قال - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: "إذا **وقعت** النطفة **في الرحم** بعث الله ملكاً . . ." [رواه الطبري ح[illegible]].

هذا الحديث يخبرنا بأن النطفة تقع في الرحم، وقد يعتقد البعض أن الإشارة الظاهرة من قبل رسول الله ﷺ لا تحتوي إعجازاً إخبارياً ولكنه اعتقاد مجانب للصواب، فوقوع النطفة في الرحم كما جاء في الحديث الشريف "إذا وقعت النطفة في الرحم . . ." [رواه الطبري ح[illegible]] يدل على إعجاز علمي لأن وقوع النطفة - يحصل خلال دقائق معدودة - أو ثوانٍ معدودة على وجه أصح - وحجم الكرة الجرثومية (أو نطفة الأمشاج) لا يبلغ حينها أكثر من 0,7 ملم. (انظر الصورة رقم: [illegible]).

إن وقوع النطفة في الرحم ظاهرة يصعب التنبؤ بها إلا إذا وُجد شخص يترقّب الأحداث داخل الرحم بواسطة مجاهر إلكترونية.

أيضاً قد يظُنّ عالم الأجنة أن النطفة تتدحرج بدلاً من أن تقع في الرحم، أو أنّ الرحم يُفرزها (أي أن بطانة الرحم تلفظها بعد أن كانت موجودة كاملة في داخلها) حيث تبقى على سطحه وتتخلّق بدلاً من أن تهاجر من مكان آخر إلى الرحم، لذلك كان حديث رسول الله ﷺ بمثابة إعجاز إخباري.



(49) - نرى في الصور النطفة وهي تقع من قناة فالوب على سطح الرحم مصداقاً للحديث: «إذا وقعت النطفة في الرحم» [رواه الطبري ح32].

القرار المكين

● قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [.......]

لقد رأينا في النص السابق أن النطفة تقع في الرحم، ترى ما صفة هذا الرحم؟ وكيف سيستقبلها؟ إن النص التالي سوف يجيب على هذه الأسئلة.

هذه الآية تتضمن وصفاً لعلاقتين: علاقة الرحم بالجنين وعلاقة الرحم بجسم الأم.

بالنسبة لعلاقة الرحم بالجنين: فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ﴾ ولم يقل ثم جعلناه في مكان، لماذا؟ لأن كلمة قرار لا تشير إلى مجرد مكان فحسب ولكن تشير إلى أكثر من ذلك: فهي تعني أن الرحم بمثابة مكان آمن لاستقرار الجنين[1] وراحته، فهو بمثابة مكان سكن للنطفة، جاء في لسان العرب[2]: «قرر: والقرار والقرارة من الأرض: المطمئن المستقر».

وليس مطمئناً فحسب، ولكن في غاية الاطمئنان، جاء في تفسير الألوسي[3]: «﴿فِى قَرَارٍ﴾ أي مستقر وهو في الأصل مصدر من قرّ يقرّ قراراً بمعنى ثبت ثبوتاً، وأطلق على ذلك **مبالغة**».

ومكين في اللغة العربية بمعنى ثابت، راسخ في مكانه. جاء في لسان العرب: «مكن... المكنة إنما هي بمعنى التمكّن مثل الطّلبة بمعنى التّطلّب والتّبعة بمعنى التّتبّع. يقال: إنّ فلاناً لذو مكنةٍ من السلطان، فسمي موضع الطير مَكنةً لتمكُّنه فيه؛ وتمكّن كمكُن...»[4].

---

(1) جاء في القاموس المحيط لمجد الدين محمد - مادة «قرر» - ص592: «وبالمكان يقرّ، بالكسر والفتح، قراراً وقُروراً وقرّاً وتقِرّةً: ثبت، **وسكن**، كاستقرّ وتقارّ... والقرار والقرارة: ما قرّ فيه، **والمطمئن** من الأرض».

(2) لسان العرب لابن منظور - مادة «قرر» - (ج11/ ص100).

(3) تفسير الألوسي (ج18/ ص13).

(4) لسان العرب لابن منظور - مادة «مكن» - (ج13/ ص163).

والدليل من القرآن أن كلمة مكين معناها: ثابت، متمكن بقوة هو معنى الآية ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: 54]

ومكين على وزن فعيل، وهذه الصيغة للمبالغة كخليق من خلق، جاء في تهذيب اللغة: «وقال الليث: وامرأة خليقة ذات جسم وخلق... وقال غيره يقال: رجل خليق إذا تم خلقه»[1].

ومن الكلام السابق نفهم أن مكين في هذا المقام يعني: في غاية التمكّن، والرساخة والثبوت.

والثبوت هو للنطفة في الرّحم.

جاء في تفسير الألوسي[2]: «﴿مَّكِينٍ﴾ أي متمكن مع **أن التمكن وصف ذي المكان وهو النطفة هنا** على سبيل المجاز كما يقال طريق سائر»[3].

وهذا يعني أن النطفة متمكنة وثابتة بقوّة في الرحم.

كما نعلم جميعاً أنّ من طبيعة الجسم أن يطرد أيّ جسم خارجي، ولكن ما يحصل هو أن الرحم يتهيأ لاستقبال النطفة من جراء الهورمونات التي يفرزها المبيض. كما أن النطفة تحوي موادّ تؤثر على جهاز المناعة عند المرأة فتضعفه، وبذلك يصبح الرحم بمثابة قرار لها[4]. (انظر الصورة رقم: 50).

إلى ذلك فإن من وظائف الرحم أن يمكّن الجنين من مواصلة نموه، فالرحم يستطيع أن يكبر آلاف المرات (من 2 – 3 سم3 إلى 5000 سم3 أي بازدياد مقداره حوالي 2500 ضعف) وهو بذلك يتكيف مع حجم الجنين في مختلف مراحله، ونتيجة هرمون البروجسترون[5] تكون تقلّصاته متئدة وقورة بحيث لا تؤذي الجنين. (انظر الصورة رقم: 51).

وأيّ مكان أكثر سكوناً من هذا المكان؟.

---

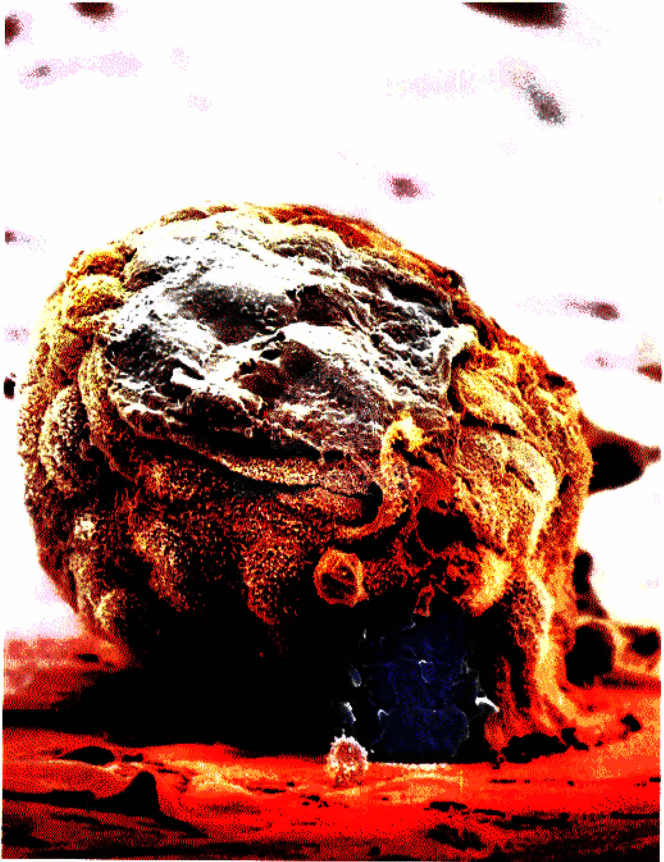
(1) تهذيب اللغة – (ج7/ ص16).

(2) تفسير الألوسي – (ج18/ ص13).

(3) وجاء في الكشاف للزمخشري – (ج3/ ص44): «القرار: المستقر، والمراد الرحم. وصفت **بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها**، كقولك: طريق سائر».

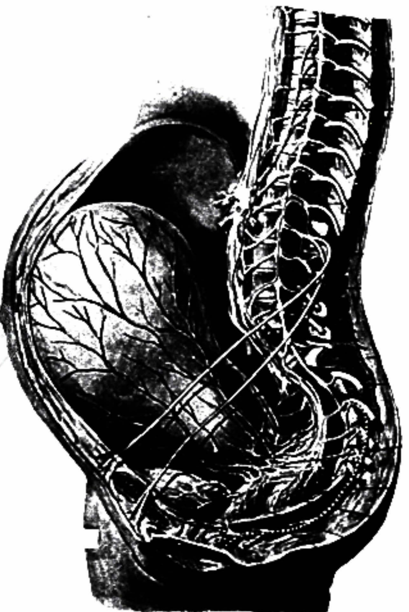
(4) كتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص64، بتصرف.

(5) وهو هرمون يفرزه المبيض إلى الأسبوع السابع من الحمل ومن ثمّ يفرزه الغشاء المشيمي (المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي، الإعجاز الطبي في القرآن، 25/ 9/ 1985م: د. جولي سمسون).



(50) - نرى في الصورة الحقيقية كيف أن النطفة تفرز بعض السكريات التي تعلن وقوع البويضة على سطح الرحم، وتعرّف بها حتى لا يطردها الرحم عنه مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: 13].





(51) - مقطعان لجسم المرأة يظهران مدى قابلية الرحم للتمدد، حيث أن الرسم إلى اليمين يظهر الرحم في درجة عالية من التمدد والرسم إلى اليسار يظهر الرحم في حالته الطبيعية.

ب وأما بالنسبة لعلاقة الرحم بجسم المرأة: فالآية تفيد بأن النطفة - أي نطفة الأمشاج التي انقسمت إلى عدة خلايا والتي تسمى باللغة العلمية: (الكرة الجرثومية BLASTOCYST) - تستقر في مكان راسخ. جاء في تفسير السمرقندي[1] عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [...]: "يعني في مكان حريز حصين" وفي تفسير أبي السعود[2]: "﴿فِى قَرَارٍ﴾ أي مستقر وهو الرحم".

وجاء أيضاً في تفسير الألوسي[3]: "وجوّز أن يقال: إن الرحم نفسها متمكنة، ومعنى تمكنها أنها لا تنفصل لثقل حملها أولا تمج ما فيها". فهو كناية عن جعل النطفة محرزة مصونة وهو وجه وجيه.

إذا تأملنا الصورة التشريحية لهذه المنطقة يتبين لنا مدى صدق هذه الحقيقة من خلال ملحوظات عدة:

1 يمكن اعتبار الرحم من الوجهة الفراغية في منتصف الجسم تماماً طولاً وعرضاً وعمقاً. وهكذا يصعب الوصول إليه ويعتبر محمياً بما فيه الكفاية. (انظر الصورة رقم: 52).

2 يحيط بالرحم تصفيح عظمي من جميع الجهات. وتجدر الإشارة هنا إلى أن حوض المرأة أوسع وأقصر من حوض الرجل، وبذلك يكون له دور أكمل في الدفاع عن الجنين. (انظر الصورة رقم: 53).

3 يثبّت الرحم كثير من الأربطة والعضلات وهي على نوعين: أربطة كاذبة، وأربطة حقيقية.

والأربطة الكاذبة سميت كذلك لأنها مكوّنة من انعطافات بروتينية، وليس لها صفاقات ولا عضلات، غير أنها تساهم مساهمة فعّالة في حفظ الرحم في محله، وهذه الأربطة هي (انظر الصورة رقم: 54):

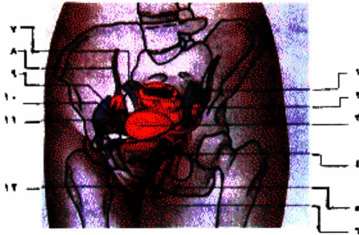
- الرباط الرحمي العريض: المكوّن من انعطاف بريتوني بالحوض، ويتصل بجسم الرحم من الأمام والجزء الأكبر من السطح الخلفي للرحم.
- الرباط المبيضي الرحمي: الذي يربط بين المبيض والرحم ويثبّت كلاً منهما بالآخر.
- الرباط الرحمي المثاني: الذي يثبّت الرحم بالمثانة من الأمام.

---

(1) تفسير السمرقندي (ج2/ ص496).
(2) تفسير أبي السعود - (ج6/ ص126).
(3) تفسير الألوسي - (ج8/ ص13).

أربطة الرحم

1 - الحالب.
2 - القولون.
3 - الرحم.
4 - الرباط المبروم الرحمي.
5 - فتحة الشرج.
6 - المهبل.
7 - الرباط الرحمي العجزي.
8 - الرباط المعلق للمبيض.
9 - قناة فالوب.
10 - الرباط الرحمي العريض.
11 - قناة مجرى البول.



الرحم وأعضاء الحوض

1 - الشفة الأمامية.
2 - الشفة الخلفية.
3 - عنق الرحم.
4 - الجيب الرحمي الشرجي.
5 - القبو الخلفي للمهبل.
6 - الشرج.
7 - فتحة الرحم الخارجية.
8 - القبو الأمامي للمهبل.
9 - المهبل.
10 - قناة فالوب.
11 - المبيض.
12 - السرة.
13 - جسم الرحم.
14 - الجيب الرحمي المثاني.
15 - المثانة.
16 - الارتفاق العاني.
17 - البظر.
18 - فتحة قناة مجرى البول.
19 - الأشعران.
20 - الشفيران.



(52) - رسمان يظهران كيف أن الرحم يقع في وسط الجسم عرضاً وعمقاً بينما يقع داخل الجسم طولاً حتى أن المثانة تطبق عليه من الناحية السفلى.



(A - 53) - صورة لحوض المرأة، لاحظ اتساع الحوض وكونه أعرض وأقصر من حوض الرجل في الصورة التالية.



(B - 53) - صورة لحوض الرجل وهو أعمق وأضيق من حوض المرأة وتضاريسه أكثر بروزاً وخشونة. ولذلك فإن حوض المرأة أكثر أماناً للجنين من حوض الرجل، كما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: 13].

- الرباط الرحمي المستقيمي: الذي يثبّت الرحم من الخلف بالمستقيم.

و الأربطة الحقيقية مكوّنة من صفاقات وعضلات، وهذه الأربطة هي:

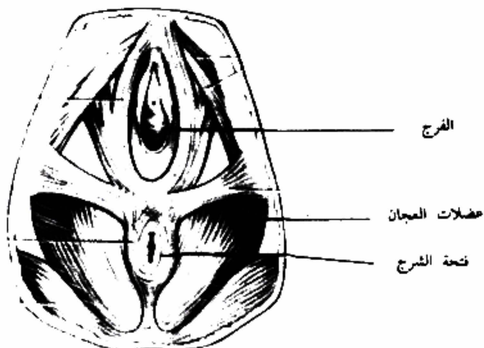
- الرباط الرحمي المبروم: الذي يتصل من جهة بقرن الرحم من كل جانب، ومن جهة ثانية بجبل الزهرة الواقع على عظم العانة، ويثبّت الرحم من الجهة الأمامية[1].

- الرباط الرحمي العجزي: الذي يثبّت الرحم بعظام العجز من الخلف.

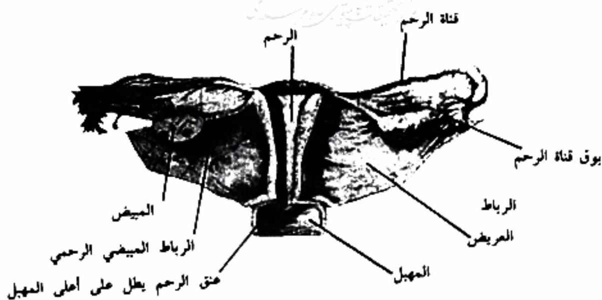
- الرباط الحامل للمبيض والرباط المبيضي: اللذان يثبّتان الرحم من جانبيْه الأيمن والأيسر.

---

(1) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص 65 - 66 بتصرف. وكتاب الآيات العجاب في رحلة الإنجاب، د. حامد أحمد حامد، ص 110.



صورة لعضلات العجان تمسك بفتحة الشرج والفرج



صورة تشريحية للرحم وقناتي الرحم والمبيضين وبعض الأربطة التي تثبت الرحم في مكانه

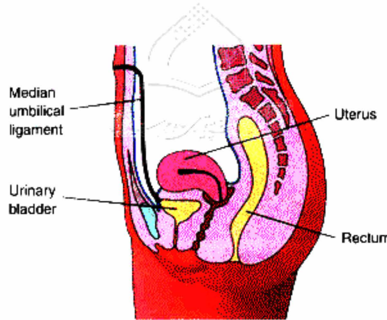
(54) - رسمان يوضحان كيف أن الرحم مثبت بأربطة عضلية من كل الجهات وبالتالي فهو متمكن في جسم المرأة.

● الرباط العاني الرحمي المثاني: الذي يثبّت الرحم والمثانة وعظم العانة من الأمام.

● الرباط الوحشي لعنق الرحم: الذي يثبّت الرحم من جانبيْه الأيمن والأيسر.

4 - إن هناك توازناً ثابتاً بين الضغوطات المتولدة نتيجة عضلات الحجاب الحاجز وعضلات جدار البطن التي تدفع بالرحم إلى الأسفل وبين تقلّص عضلات العجّان التي تدفع بالرحم إلى الأعلى.

5 - إن الرحم هو عضو عضلي أجوف ذو جدار ثخين ومتين، سمكه سنتيمتران ونصف، مكوّن من ثلاث طبقات، أولها من الخارج: (الطبقة البروتينية PERIMETRIUM) التي تغطي الرحم، وثانيها: (الطبقة العضلية MYOMETRIUM)، وثالثها: (الطبقة المخاطية ENDOMETRIUM) وهي الغشاء المبطن للرحم. (انظر الصورة رقم: 55).



(55) - ترى في الصورة كيف أن جدار الرحم ثخين بالنسبة لحجمه ليحقق معنى القرار المكين الذي جاء في القرآن الكريم.

وهكذا نفهم أبعاد كلمة «قرار مكين» التي تشير إلى كثير من الصفات الغيبية الدقيقة للرحم وللنطفة على وجه سواء. ويتبيّن لنا الإعجاز العلمي الكامن وراء استعمال هذه الكلمة.

ازدياد الأرحام وغيضها

● قال العليم الحكيم: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: 8].

● قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "إذا كان دم الحيض فإنه أسود يعرف، فإذا كان ذلك فأمسكي عن الصلاة" [أخرجه أبو داود ح26].

● قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "ليس ذلك بالحيض إنما هو عرق، لتقعد أيام أقرائها، ثم لتغتسل، ثم لتستثفر بثوب، ولتصلِّ" [أخرجه أحمد ح27].

● قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222].

● قال ﷺ: "مُري فاطمة بنت أبي حبيش فلتمسك كل شهر عدد أيام أقرائها ثم تغتسل وتحتشي وتستثفر وتنظف ثم تطهر عند كل صلاة وتصلي، فإنما ذلك ركضة من الشيطان، أو عرق انقطع، أو داء عرض لها" [أخرجه أحمد ح31].

الكلمتان الأساسيتان في الآية: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ هي: "تغيض" و"تزداد".

ليس من الصعب فهم كلمة "تزداد"، فهي الزيادة في الحجم أو الوزن أو ما شابه ذلك.

أما بالنسبة لكلمة "تغيض" فنورد ما جاء في لسان العرب[1]: "غيض: غاض الماء يغيض غيضاً ومغيضاً ومغاضاً، وانغاض: نقص أو غار فذهب. وفي الصحاح: قلَّ فنضب. وفي حديث سطيح: وغاضت بحيرة ساوة أي غار ماؤها وذهب. وفي حديث خزيمة في ذكر السنة: وغاضت لها الدِّرة أي نقص اللبن. وفي حديث عائشة تصف أباها، ﷺ: وغاض نبع الرِّدة أي أذهب ما نبع منها وظهر..."

وجاء في المعجم الوسيط[2]: "غاض الماء غيضاً ومغاضاً: قلّ ونقص. أو غار فذهب. أو قل ونضب. أو نزل في الأرض وغاب فيها".

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «غيض» (ج10/ ص157).

(2) المعجم الوسيط - (ج1/ ص668).

وجاء في مفردات ألفاظ القرآن[1]: "والغيضة المكان الذي يقف فيه الماء فيبتلعه".

وجاء في معجم البلدان[2]: «الغيض: بالفتح والسكون، يقال: غاض الماء يغيض غيضاً، إذا نقص وغار في أرض أو غيرها».

إذاً فعل «غاض» قد يعني:

- نقص من.
- دخل في (أي غار في).

جاء في تفسير القرطبي بخصوص هذه الآية[3]: «الغيض: ما تنقصه الأرحام من الدم والزيادة ما تزداد منه. وقيل: الغيض والزيادة يرجعان إلى الولد».

ومن الجدير هنا أن ننوه إلى أن الزيادة والنقصان لا يقتصران على الدم فقط لأن لفظ الآية ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: 8] جاء على إطلاقه وبالتالي فقد يشمل أشياء أخرى في الرحم مثل: ازدياد حجم وأعداد الغدد الرحمية ونقصانها أو ما شابه ذلك.

فإذا كان الغيض يشير إلى ما يحدث للأرحام نفسها انطبق عليها المعنى الأول «نقص من» وأصبحت الآية تعني: الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تنقص الأرحام من دم وما تزداد منه.

وإذا كان الغيض يشير إلى ما يحدث للحمل انطبق عليها المعنى الثاني «دخل في» (أو غار في)، وأصبحت الآية تعني: الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما يغور في الأرحام من حمل وما يزداد منه.

وفي هذا النص سوف نتحدث عن المعنى الأول، أما المعنى الثاني فسنتناوله في مبحث «**غيض النطفة في الرحم**».

تحدثنا في المبحث السابق - مبحث «**القرار المكين**» - أن الرحم يتهيأ لاستقبال النطفة، ولكننا لم نحدد كيف تستقر فيه، وما هي العمليات التي تحصل للرحم فتخوله أن يحتويها بدلاً من أن يطردها كما هو الحال مع أي جسم خارجي.

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن - ص 619.

(2) معجم البلدان للحموي باب العين والياء وما يليهما - (ج4/ ص221).

(3) تفسير القرطبي (ج9/ ص289).

وبعد: فإن دورة الرحم تتكوّن من ثلاث مراحل أساسية: وهي مرحلة النمو، ومرحلة الإفراز، ومرحلة الغيض.

تؤلف مرحلتا النمو والإفراز مرحلة الازدياد، وفيها يتهيأ الرحم لاستقبال النطفة.

أ - **(مرحلة النمو** PROLIFERATIVE PHASE): تبدأ (الدورة الحيضية MENSTRUAL CYCLE) عندما تصنع (خلايا عصبية مفرزة NEUROSECRETORY CELLS) (الهرمون المطلق للجونادوتروبين GONADOTROPIN-RELEASING HORMONE) في (الهيبوتالاموس HYPHOTALAMUS) (أي ما تحت المهاد، وهو جزء من المخ)، وهذا بدوره ينبه (الغدة النخامية PITUITARY GLAND) (التي تقع عند قاعدة المخ) لتفرز (الهرمون المحفز للحويصلات المبيضية FOLLICLE STIMULATING HORMONE: F.S.H) الذي يحفز نمو الحويصلات البويضية في المبيض، بالإضافة إلى إنتاج هورمون الإستروجين من المبيض، وينتقل الإستروجين في الدم حتى يصل إلى الرحم ويسبب زيادة في حجم بطانة الرحم. فينمو غشاء الرحم من نصف مليمتر إلى خمسة مليمترات وتنمو الأوعية الدموية نمواً كبيراً حتى تصير لولبية الشكل من فرط طولها ويزداد عدد الغدد الرحمية وتصبح على شكل أنابيب طويلة. (انظر الصورة رقم: 56).

ب - **(مرحلة الإفراز** SECRETORY PHASE): ومستويات الإستروجين المتزايدة تجعل الغدة النخامية تنتج سيلاً من (هورمون اللوتنة LUTEINIZING HORMONE: L.H)، وارتفاع مستويات هورمون اللوتنة تسبب انطلاق بويضة ناضجة من إحدى الحويصلات المبيضية الموجودة في المبيض، والحويصلة التي صارت فارغة الآن تنتج المزيد من الإستروجين، بالإضافة إلى البروجسترون، وكلاهما يعمل على بناء بطانة الرحم كاستعداد لاستقبال البويضة المخصبة فيما بعد. فينمو الغشاء المبطن للرحم من خمسة مليمترات إلى ثمانية مليمترات، وتكثر الغدد الرحمية كثرة بالغة، ويمتلئ تجويفها بالإفرازات كما تنمو الشرايين المغذّية للرحم. (انظر الصورة رقم: 56).

وهكذا يتبين لنا إعجاز الآية في تصوير نموّ الرحم.

فمرحلة الازدياد هي مرحلة نمو الرحم لأنه يزداد فيها الرحم حجماً وتزداد أعداد الأوعية والغدد وأحجامها خلال هذه الفترة.

والتهيؤ لاستقبال النطفة يكون بازدياد ثخانة الرحم وبازدياد مخزونه من الجليكوجين والمخاطين الذي يوفر بدوره الغذاء للنطفة.

كل هذا يكون قبل الحمل، فإذا حملت المرأة ازداد الرحم نمواً، واندرج ذلك تحت مرحلة الازدياد مرة أخرى.

ج - **(مرحلة الغيض** PHASE OF ENDOMETRIAL BREAKDOWN): وإذا لم يحدث إخصاب للبويضة، فحمل، فإن الحويصلة الفارغة تتوقف عن صنع الإستروجين والبروجسترون. وعندما تنخفض مستويات هذه الهرمونات جداً إلى الحد الذي لا تتمكن عنده من المحافظة على بطانة الرحم المتثخنة فإن الحيض يحدث وتبدأ مرحلة الغيض.

والحيض هو دم يسيل من رحم المرأة بعد بلوغها في أوقات معتادة.

فالحاصل أن أوعية بطانة الرحم تنقبض، فيقل جريان الدم، وتتسع الشرايين من جراء ذلك، ومن ثم (تنقبض الشرايين وتتسع بشكل متكرر RYTHMIC VASOCONSTRICTION AND DILATATION)، ويزداد ضيق الشرايين، فينقص دوران الدم و(ينحسر عن الرحم ENDOMETRIAL ISCHEMIA AND STASIS)، و(تموت الأنسجة في بطانة الرحم NECROSIS IN THE SUPERFICIAL TISSUES)، مما يعطي (للرحم مظهراً مائلاً للبياض ENDOMETRIAL BLANCHING)، وتتشقق فيما بعد الشرايين، وينفذ الدم في بطانة الرحم مؤلفة (جزراً مغلقة VENOUS LACUNAE)، ويتفتت ويسقط غشاء الرحم، ويسيل الدم منه[1].

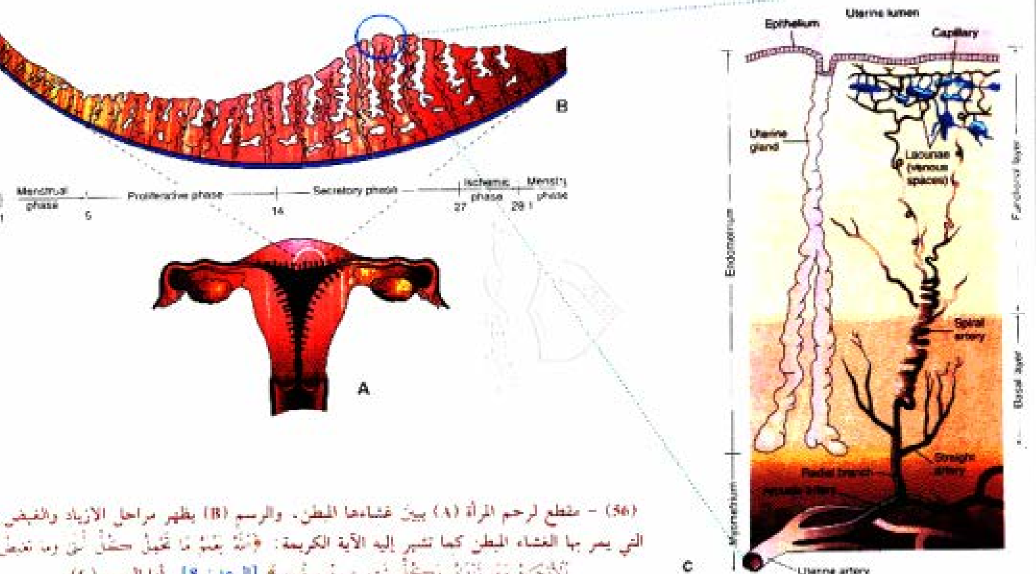
ومن جراء سيلان الدم ينقص وزن الرحم ويغيض.

وهكذا يكون الحيض وسيلة لغيض الأرحام الذي تكلمت عنه الآية التي سبق ذكرها.

فإذا حملت المرأة وأتى وقت الطلق ووضعت المرأة مولودها، فإن الرحم ينقبض ويعود إلى ما كان عليه ويدخل مرحلة الغيض التي تكلمت عنه الآية التي سبق ذكرها.

وقد أوضح الرسول ﷺ وقت الغيض والازدياد في الحديث «**فتحيضي ستة أيام أو سبعة أيام في علم الله ثم اغتسلي، فإذا رأيت أنك قد طهرت واستنقأت فصلّي أربعاً وعشرين ليلة أو ثلاثاً وعشرين ليلة وأيامها**...» [أخرجه الترمذي ح80]، ففي الحديث هناك حيض ونقاء، والحيض علامة على الغيض - كما رأينا سابقاً -، والنقاء علامة على الازدياد. وبالتالي فإن الحديث يشير إلى أن فترة الغيض المتوسطة لدى النساء أقصاها سبعة أيام، وفترة الازدياد ثلاثة وعشرون يوماً.

(1) كتاب LEON SPEROFF, CLINICAL GYNECOLOGIC AND ENDOCRINOLOGY، ص269، 270.



(56) - مقطع لرحم المرأة (A) يبيّن غشاءها المبطن. والرسم (B) يظهر مراحل الازدياد والغيض التي يمر بها الغشاء المبطن كما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: 8]. أما الرسم (C) فهو يظهر ازدياد غشاء الرحم بالأوعية الدموية والغدد الرحمية.

واللفظ الدال على أن هذه الفترة هي الفترة المتوسطة لدى النساء على العموم: "فتحيّضي ستة أيام أو سبعة أيام **في علم الله**"، أي كما أقرّه الله تعالى في علمه للنساء عامة.

وفترة الحيض المتوسطة لدى النساء هي خمسة أيام، وقد تزيد أو تنقص يومين (مع العلم أن فترة الحيض الطبيعية لدى النساء قد تزيد أو تنقص أكثر من ذلك، كما تشير إليه المعطيات العلمية، وكما هو معروف لدى الفقهاء المسلمين. غير أن الفترة التي تزيد أو تنقص عن الحد المذكور آنفاً لا تُعتبر متوسطة).

جاء في كتاب "علم التوليد وعلم الأرحام": "إن الفترة العادية للجريان [جريان الدم] هي خمسة [أيام] مع زيادة أو نقصان يومين"[1].

وبالتالي فإن فترة الحيض المتوسطة القصوى هي: 5 + 2 = 7 أيام، وفترة الحيض المتوسطة الدنيا هي 5 - 2 = 3 أيام.

وبما أن الصحابية التي كانت تستفتي الرسول ﷺ كانت تعاني من حيضة قوية قائلة: "يا رسول الله إني أستحاض حيضة كثيرة شديدة فما تأمرني فيها؟" [أخرجه الترمذي ح٩٨]، فلزم اختيار الفترة المتوسطة القصوى لكي تحتاط المرأة من النجاسة وتتأكد من نقائها.

وأما وقت الدورة الشهرية المتوسطة حسبما جاء في الحديث فهو: 6 + 24 = 30 يوماً، أو 7 + 23 = 30 يوماً.

ومن المعلوم في الطب النسائي أن متوسط الدورة الشهرية[2] لدى النساء هي ثمانية وعشرون يوماً، مع فترة متوسطة للحيض قدرها خمسة أيام، فإذا اعتبرنا الفترة الاعتيادية القصوى للحيض - سبعة أيام (أي بازدياد مقداره يومين) - أصبحت فترة الدورة الشهرية المتوسطة القصوى 28 + 2 = 30 يوماً.

جاء في كتاب "خلق الإنسان بين الطب والقرآن": "وتعتبر الدورة الشهرية بما فيها الحيض والطهر 28 يوماً قد تزيد أو تنقص يوماً أو يومين"[3].

---

(1) كتاب (علم التوليد وعلم الأرحام (OBSTETRICS AND GYNECOLOGY)، لويلسون كاريتغتون، ص 83.

(2) يقصد بالدورة الشهرية المدة الواقعة بين بدايتي حيضتين.

(3) كتاب "خلق الإنسان بين الطب والقرآن"، د. محمد علي البار، ص 94.

وبالتالي فإن العلم يوافق قول رسول الله ﷺ تماماً في هذا المجال.

وبعد: فنفهم من الشرح السابق ومن أحاديث رسول الله ﷺ عدة أمور:

إذا نظرنا إلى الحديثين «ليس ذلك بالحيض إنما هو **عرق**...» [أخرجه أحمد ح27] و«إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم» [أخرجه البخاري ح28] استنتجنا أن العروق الموجودة في جسم الإنسان تحتوي على الدم وتكوّن مجاري لها.

وهذا ما يؤكده الحديث حيث قال النبي ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العرق» [ذكره السيوطي ح94].

والرحم يحتوي على عروق كما يشير إليه الحديث الشريف - بطريقة غير مباشرة - «ليس ذلك بالحيض إنما هو عرق...» [أخرجه أحمد ح27]، فالمكان الذي يتكلم عنه ﷺ هو الرحم، بدليل أن الموضوع هو عن الحيض، ولقد عزا نبي الله ﷺ النزيف الحاصل في الرحم إلى العروق، وهذا يعني أن الرحم يحتوي على العروق.

وللمقابلة فلقد رأينا في المقاطع السابقة أن الرحم يمتلئ بالعروق في مرحلتي النمو والإفراز.

وبما أن العروق تكوّن مجاري للدم، فهذا يعني أن أيّ نزيف للرحم يحصل من جراء تشقق لتلك العروق، وهذا ما يؤكده الحديث التالي «فإنما ذلك ... عرق **انقطع**» [أخرجه أحمد ح31].

وبما أن الحيض يتألف من الدم وفقاً لما جاء في الحديث الشريف «**إذا كان دم الحيض** فإنه أسود...» [أخرجه أبو داود ح26]، فبالتالي تشقّق العروق وخروج الدم منها يحصل خلال الحيض، وهذا يكون في الحالة الطبيعية في مرحلة الغيض، أما باقي المراحل فهي مراحل ازدياد كما ألمحت إليه الآية الكريمة: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد 8].

وللمقابلة فلقد رأينا أن العروق تتشقق في مرحلة الغيض ويحصل نزيف داخلي في بطانة الرحم ومن ثمّ يسيل الدم من الرحم حاملاً معه أغشية بطانة الرحم.

وخروج الدم يكون أيضاً في حالة الاستحاضة، والاستحاضة: سيلان الدم من الرحم في الأوقات غير الاعتيادية.

فالحديث «ليس ذلك بالحيض إنما هو **عرق**...» [أخرجه أحمد ح27] جاء في

معرض الجواب عن استفسار حول مشكلة استحاضة صحابية[1] بشكل شبه متواصل لفترات طويلة من الزمن كما جاء في الرواية: «قالت عائشة: فكانت تغتسل لكل صلاة وتصلي، وكانت تغتسل أحياناً في مركنٍ في حُجْرة أختها زينب وهي عند رسول الله ﷺ حتى إن حمرة الدم لتعلو الماء» [أخرجه النسائي ح29].

وبعد أن تمر مرحلة الحيض يتهدم البناء السطحي لبطانة الرحم ويتخثّر الدم ويتوقف.

وفي حالة الصحابية التي كانت تنزف لفترات طويلة، فإن العرق هو السبب المباشر في النزيف كما يشير إليه الحديث «إنما هو عِرْق» [أخرجه أحمد ح27]، وبالتالي فإن الدم يخرج مباشرة من العروق إلى خارج سطح الرحم لعدم وجود الطبقة المبطنة بعد انهيارها[2] ولعدم تخثّر بعض العروق.

والواقع فإن توقف النزيف في الرحم له عدة أسباب من أهمها: انقباض العروق لفترات طويلة، وانهيار الأنسجة، وتوقف الدم عن الجريان وإفراز هرمون الاستروجين الذي يؤدي إلى تخثّر الدم[3].

وبالتالي فإن التخثّر يلعب دوراً مهمّاً في توقُّف نزيف الدم، فإذا لم يتغلّب هذا العامل على نزيف بعض العروق ظلّ الرحم يسيل دماً. وهذا ما أشار إليه قول الصحابة في الحديث الشريف: «أن امرأةً مستحاضة على عهد رسول الله ﷺ قيل لها إنه عرق عاند» [أخرجه النسائي ح130] أي عرق لم ينسد رغم وجود عامل التخثر وظل يعاند التخثر وينزف دماً.

والاستحاضة لا تُعزى فقط إلى تشقق الشرايين في الرحم ولعدم انسدادها، وإنما لأمراض شتّى، وهذا ما أكده رسول الله ﷺ بقوله: «فإنما هو داء عرض» [أخرجه أحمد ح31]. ونذكر هنا للمقابلة بعض الأمراض التي تسبب استحاضة المرأة:

(1) ولا يضير إن استشهدنا سابقاً بالحديث لتفسير ظاهرة الحيض وإن كان جاء في مجال الاستحاضة، لأن علة سيلان الدم من الرحم واحدة للحيض والاستحاضة، فالدم ينزف في كل من الحالتين، ولا بد أن يكون النزيف ناتج عن تشقق العروق الموجوده في الرحم لأنها تكون مجاري لها، غير أنه في حالة الاستحاضه تتشقق عرق أو عرقان عمقه، وفي حالة الحيض تنقطع كل العروق ويسقط الغشاء المبطن للرحم بأكمله، ويصحب الدم أشياء أخرى.

(2) نشير هنا إلى أن هناك حالات مرضية أخرى يحصل فيها استحاضة للمرأة، ولكن رسول الله ﷺ سكت عنها لأن حالة الصحابية لم تكن تندرج تحت تلك الحالات.

(3) كتاب LEON SPEROFF, CLINICAL GYNECOLOGIC AND ENDOCRINOLOGY، ص270.

- فمن ذلك الأمراض التي يسببها الخلل الهرموني؛ مثل: (انخفاض نسبة هرمون الأستروجين والبروجسترون؛ .ESTROGEN WITHDRAWAL BLEEDING PROGESTERONE WITHDRAWAL BLEEDING, ESTROGEN BREAKTHROUGH BLEEDING PROGESTETONE BREAKTHROUGH BLEEDING).

- ومنها أمراض السرطانات، مثل: سرطان الرحم، أو سرطان عنق الرحم، أو المبيض، وبعضها يُعزى لأسباب أخرى مثل: وجود تليّف في جدار الرحم... إلخ

وهكذا يتبين لنا مفهوم رسول الله ﷺ - والله أعلم - لسائر العمليات التي يخضع لها الرحم وتتجلّى لنا المعاني الدقيقة التي تحتويها أحاديثه الشريفة.

ومن كلامنا السابق يفهم أن الدم يخرج من العروق في كلتا الحالتين: الاستحاضة، والحيض. وبالتالي فإن دم الحيض (عند خروجه من العروق) ودم الاستحاضة لا يختلفان.

وما يجعل دم الحيض يختلف عن دم الاستحاضة هو أن دم الحيض يحتوي زيادة على دم العروق على: ماء، و(أيونات IONS)، وذرات (الأمينو أسيد AMINO ACID) التي أضيفت في مرحلة الازدياد[1]. كما أنه يحتوي على أنسجة بطانة الرحم التي قد تشققت في مرحلة الغيض.

وهذا الاختلاف نص عليه الحديث الشريف بقوله ﷺ: «**ليس ذلك بالحيض إنما هو عرق**...» [أخرجه أحمد ح27]. وبالتالي فإن لدم الحيض مميزات خاصة تجعله مختلفاً عن الدم العادي. هذه المميزات يفسرها لنا الدكتور ج.س. جورنجر[2]؛ فأبحاثه المعملية أثبتت أن هناك فرقاً بين نسب التركيز في المكوّنات الخاصة بكل نوع من أنواع الدم، وعلى سبيل المثال: دم الحيض لا يحتوي على البروتين المسمى (بالفيبرينوجين FIBRINOGENE) لأنه يتحلل بسرعة، ويمكن قياس المواد المتحللة بكثرة في دم الحيض والتي هي شبه منعدمة في الدم العرقي. كما أن المواد المسماة (بالهيموغلوبين HEMOGLOBIN) و(الألبومين ALBUMIN) تنقص في دم الحيض إذا ما قارناها بالدم العادي. وهناك أيضا فرق واضح بين نسب (الصوديوم SODIUM) و(النحاس COPPER)، أما مستوى (البروستاغلاندين PROSTAGLANDIN) فهو عالٍ جداً في دم الحيض.

وهكذا تتحقق نبوءة الرسول ﷺ بأن دم الحيض يختلف عن الدم العادي.

---

(1) كتاب LEON SPEROFF, CLINICAL GYNECOLOGIC AND ENDOCRINOLOGY، ص267.

(2) المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي: الإعجاز الطبي في الإسلام، 25/9/1985م.

أما بالنسبة لصفات هذا الدم فإن الحديث: «إذا كان دم الحيض فإنه أسود يُعرف، فإذا كان ذلك فأمسكي عن الصلاة» [أخرجه أبو داود ح126] يلقي الضوء عليها.

جاء في عون المعبود شرح سنن أبي داود[1]: «[يُعرف]: فيه احتمالان: الأول: إنه على صيغة المجهول من المعرفة؛ قال ابن رسْلان: أي تعرفه النساء، قال الطيبي: أي تعرفه النساء باعتبار لونه وثخانته. والثاني: أنه على صيغة المعروف من الإعراف أي له عرْفٌ ورائحة».

ولم يكتف الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بأن يشير إلى أن دم الحيض يختلف عن الدم العادي بل أوضح صفة هذا الدم أيضاً، وذكر أنه أسود وأن له رائحة وأنه يُعرف . فماذا يقول العلم؟.

إن لدم الحيض رائحة. لسنا بحاجة إلى أن نتوسع في هذا الباب فكل النساء تعرف أن دم الحيض له رائحة وهذه الرائحة حاذة متميزة.

إن دم الحيض معروف أيضاً. فالعلماء يعرفون دم الحيض من خلال مميزاته التي سبق وذكرناها، أما النساء فهن يعرفنه من خلال مدته ومقداره. يقول الدكتور دوغادلبيرد في هذا الصدد: «وما بين البلوغ وسن اليأس تكون العادة في أغلب النساء منتظمة.. وهن يعرفن موعد حيضهن ومدته ومقداره.. فإذا اختلف عرفته بسرعة.. وتستطيع معرفة ذلك أغلب النساء دون صعوبة».

أما بالنسبة لسواد دم الحيض فلنستمع إلى الدكتور دوغادلبيرد[2] وهو يبدي رأيه في هذا الموضوع: «إن لون دم الحيض هو أسود... أما الدم الأحمر المشرق فإنه دم غير طبيعي... ودم الحيض لا يتجلط[3]. ويمكن إبقاؤه سنين طويلة على تلك الحالة دون أن يتجلط... فإذا ظهر دم يتجلط أثناء الحيض فإن الحائض سرعان ما تعرف ذلك، ويعتبر غير طبيعي».

والسبب في عدم تجلّط الدم في الرحم هو أن الرحم يفرز أنزيمات تحلل مادة الفايبرينوجين التي تسبب تخثر الدم وتدعى: (مذيب الفيبرين PLASMIN)، ولذلك لا يتجلط دم الحيض ولو بقي سنين طوالاً.

---

(1) عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب - كتاب الطهارة - باب إذا أقبلت الحيضة تدع الصلاة - رقم الحديث 283 - (ج1/ ص471).

(2) المرجع في امراض النساء والولادة، د. دوغادلبيرد (انظر كتاب خلق الانسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص 89-90).

(3) أي عنه.

د - علاقة الزمان والمكان بدم الحيض:

ولم يقتصر الأمر في الإسلام على وصف الدورة الرحمية وصفات دم الحيض، بل تعداه إلى وصف علاقة الزمان والمكان بدم الحيض، وأثره على العلاقة الزوجية.

١ - **معتقدات الشعوب عن الحيض:**

ولا بد أن نلقي نظرة على معتقدات الشعوب عن المحيض حتى يتبين لنا مدى الجهل العلمي الذي كان سائداً عبر التاريخ، ولكي ندرك مدى الإعجاز العلمي الذي جاء به الرسول ﷺ.

معتقدات قدماء المصريين: لقد عزا المصريون القدماء منذ ما يقرب من سبعة آلاف سنة، حدوث الحيض إلى قوى شريرة تصيب المرأة، تجعل كل جسدها خبثاً ودنساً وقت الحيض. ومن ثم قام طبيبهم الكاهن باستنبات مجموعة من بذور البقل، سقاها بماء مخلوط بدماء الحيض، ومجموعة أخرى سقاها بالماء العذب، ولما تأخر نمو المجموعة الأولى ثم ذبلت، وماتت، خلص إلى وجود السم في دماء الحيض، ورسخ لديه ذلك الاعتقاد، وبما أن تلك السموم قد خرجت من بدنها، فهذا يعني أن جميع جسدها خبثٌ وسمٌ، ومن ثَمّ كان المصريون يعتزلون المرأة الحائض تماماً إلى حد نبذها وقت الحيض.

معتقدات اليهود: والمعروف عن اليهود أنهم يتشددون في مسائل الحيض، والدم بصفة عامة، ولا يفرقون في نظرتهم ولا في أحكامهم بين الحيض والاستحاضة، وذلك حسب ما ورد في العهد القديم[1]، فالحائض عندهم تعزل تماماً خلال فترة الدم - وهي فترة سبعة أيام - وخلال هذه الفترة كلها، يتجنبون ملامستها والجلوس معها على فراش، وحتى ملامسة فراشها[2]، وإن ضاجعها رجل بحيث يصير طمثها عليه يكون نجساً سبعة أيام وكل مضجع يضجع عليه يكون نجساً[3]. وعندما ينقطع منها السيلان تغتسل، وفي اليوم الثامن تتقدّم للحاخام أمام الرب، في خيمة الاجتماع بيمامتين، أو فرخي حمام، واحدة منهما ذبيحة خطيئة، والأخرى محرقة، ويكفّر عنها الكاهن سيلان نجاستها أمام الرب[4].

معتقدات المجوس: وكذلك اعتقد المجوس.

---

(1) سفر اللاويين (سفر الأحبار)/الإصحاح الخامس عشر، 26، 29.

(2) سفر اللاويين (سفر الأحبار)/الإصحاح الخامس عشر، 20، 22.

(3) سفر اللاويين (سفر الأحبار)/الإصحاح الخامس عشر، 25.

(4) سفر اللاويين (سفر الأحبار)/الإصحاح الخامس عشر، 30 - 31.

معتقدات النصارى: لم يرد في الإنجيل ذكر عن الحيض، من قريب أو من بعيد، وبالتالي فإن النصارى لا يعيرون هذا الأمر أهمية، ويجامعون نساءهم غير عابئين بهذه الظاهرة.

معتقدات العرب قبل الإسلام: أما العرب في عهد الجاهلية، فقد كان اعتقادهم المتوارث عن هذا الأمر، لا يختلف في كثير أو قليل، عن اعتقاد المجوس واليهود ومعاصريهم؛ فكانوا يعتزلون المرأة إذا حاضت اعتزالاً تاماً، لا يؤاكلونها، ولا يجالسونها على فراش، ولا حتى يساكنونها. جاء في تفسير القرطبي[1]: «وسبب السؤال فيما قال قتادة وغيره: **أن العرب في المدينة وما والاها كانوا قد استنّوا بسنة بني إسرائيل في تجنب مؤاكلة الحائض ومساكنتها، فنزلت هذه الآية**». تلك العقيدة لم تكن ثمرة العقل، ولا كانت نتاجاً للفكر، بقدر ما كانت تراثاً متواتراً خلّفه الخيال ورسخ في الوجدان على مرّ السنين. وكانت المرأة تتصف عندهم إذا حاضت بعدة أوصاف: فالمرأة الحائض حسب اعتقادهم هي "عارك"، و«فارك"، و«كابر»، و"دارس»، و"طامث"، و"ضاحك»، و"حائض». قال ابن العربي كما جاء في تفسير القرطبي[2]: "... ولها ثمانية أسماء: الأول: حائض، الثاني: عارك، الثالث: فارك، الرابع: طامس، الخامس: دارس، السادس: كابر، السابع: ضاحك، الثامن: طامث». ولأغلب هذه التسميات[3] - فيما خلا لفظ «الحائض» - دلالات

---

(1) تفسير القرطبي - الآية رقم 222 - سورة البقرة - (ج3/ ص81).

(2) تفسير القرطبي - الآية رقم 222 - سورة البقرة (ج3/ ص82). وجاء في لسان العرب لابن منظور - مادة «حيض» - (ج3/ ص419): (قال ابن خالويه: «يقال: حاضت ونفست ونفست ودرست وضحكت وكادت وأكبرت ويقال: حاضت المرأة وتحيضت ودرست وعركت تحيض حيضاً ومحاضاً ومحيضاً...»).

(3) ونقول أغلب هذه التسميات للاحتياط، وإلا فجميعها غير صحيح، وذلك أن بعض العلماء اللغويين وإن كانوا قلة - يقولون أن لفظ «المرأة الضاحك» الذي ورد في الآية: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ ... يعني المرأة الحائض، وهو قول ضعيف، جاء في تفسير القرطبي - (ج9/ ص66): «قال مجاهد وعكرمة: حاضت، وكانت آيسة؛ تحقيقاً للبشارة؛ وأنشد على ذلك اللغويون:

وإني لآتي العرس عند طهورها   وأهجرها يوماً إذا تك ضاحكا

وقال آخر:

وضحكت الأرانب فوق الصفا   كمثل دم الجوف يوم اللقا

والعرب تقول: ضحكت الأرنب إذا حاضت... وقد أنكر بعض اللغويين أن يكون في كلام العرب ضحكت بمعنى حاضت. وقال الجمهور: هو الضحك المعروف...

وقال مقاتل ... وليس الضحك الحيض في اللغة بمستقيم. وأنكر أبو عبيد والفراء ذلك؛ قال الفراء: لم أسمعه من ثقة؛ وإنما هو كناية».

في اللسان العربي غير صحيحة من الناحية العلمية، إذ يستدل منها أنهم كانوا يعتقدون أن هذا الأمر الذي يعتري المرأة مرة كل شهر، وبصفة دورية، هو بمثابة «فرك» لمواد ضارة وسامة في بدنها «طمست» عليه وألمت به فغطته، ولو أنها بقيت فيه لأضرت به وأهلكته، وهي امرأة "ضاحك" أي منفرجة الأنسجة، متفتحة المسام، كي تتخلص من تلك السموم، وهي "عارك" و«دارس»، وفيهما معنى المغالبة لهذه المواد، وهي أيضاً «كابر»، لأنها تُكْبِر هذا الأمر لما فيه من خلاصها من السموم والأضرار، وهي كذلك «طامث» والطمث من الدنس والمسّ والفساد[1].

تلك كانت نظرة العرب في جاهليتهم لهذا الأمر، وذلك كان اعتقادهم، ولقد كان اعتقادهم ذلك راسخاً في نفوسهم، مستقرا في وجدانهم، شبيهاً بنهج اليهود والمجوس، وربما اقتبسوه من المجوس واليهود.

معتقدات علماء الغرب: ولم يختلف اعتقاد أبوقراط وجالينوس[2] ومن تبعهما، ممن مارسوا صناعة الطب في القرون الوسطى عن المعتقدات الأخرى الخاطئة في أن المرأة تحمل سموماً في دم الحيض.

وقد تلمس كثير من العلماء، أمثال (جوتييه GAUTIER)[3] و(بورسيه BOURCET)[4] عام 1900م سموم الزرنيخ واليود، وهي من أشد السموم فتكاً، في إفرازات جسم الحائض، من عرق ولعاب وما إلى ذلك.

وقد أعلن (ماخت MACHT)[5] عام 1943م أنه وجد في لعاب وعرق الحائض، وكذلك في دورتها الدموية، مواد سامة، توقف نمو النبات المستزرع، كما أعلن أن ملامسة الحائض للخضراوات والزهور تتسبب في عطبها وذبولها، وتحول دون حفظها.

وقد أعلن (جورج فان سميث SMITH, G. V.) و(أوليف واتكسن سميث

(1) القاموس المحيط لمجد الدين محمد - مادة «فرك» ص1227 - مادة «طمس» ص715 - مادة «ضحك» ص1222 - مادة «عرك» ص1224 - مادة «درس» ص701 - مادة «كبر» ص601 - مادة «طمث» ص220.

(2) Quated by LAURENCE, W.R. (1943), Gynecology Text Book, W.B Sounders Co.

(3) GAUTIER (1990), Compt. rend. Acad. d.Sc., Paris, p: 362

(4) BOURCET (1990), Compt. rend Acad d. Sc., Paris, p: 493

(5) MACHT, D.I. (1943). "Further Historical and Experimental studies on Menstrual Toxin" Amer J. Med. Sc., 206:281.

(SMITH. O. W.) في العقد الخامس من القرن العشرين (1940 - 1950م)[1] أن حيوانات الاختبار، تُتوفّى من جزاء حقنها بكميات ضئيلة من دماء الحيض، بعد تخفيفها بالماء المقطّر، وقد أطلقوا عليها اسم السموم الحيضية.

لكن (رينولدز REYNOLDS)[2]، لم يستطع أن يداري ارتيابه عام 1947م فيما خلص إليه فان وأوليف سميث من نتائج، حيث أعلن عن عدم اقتناعه بأن حدثاً وظيفياً كالحيض، يُناط به أو يرتبط بوجود سموم، وهو ما ينافي الفطرة التي جُبل عليها الإنسان، وقد حذا حذْوه الكثير من العلماء آنذاك.

وقد عُقِد مؤتمر طبي في مدينة نيويورك عام 1949م، شارك في أعماله مائة وسبعة عشر طبيباً من أساطين الطب وأساتذته في العالم آنذاك، وقد ناقش المؤتمرون في ذلك المؤتمر موضوع الحيض، وأنه يحوي سموماً فتاكة.

أما المؤلفان الإنجليزيان (كرتس وهوفمان CURTS. E and HOFFMAN)[3]، فقد أعلنا عام 1950م أن الاعتقاد الراسخ في خطورة المباشرة في المحيض تملي عدم ممارسته.

---

(1) SMITH O.W. and SMITH G.V. (1940). "Menstrual Discharge of Woman I. Its toxicity in rats Exper. Biol & Med., 44:100.

SMITH O. W. and SMITH G. V. (1940). "Menstrual Discharge of Woman II. Its progesterone Stimulating Effect in Mature Rats" Exper. Biol & Med 44:104.

SMITH O.W. and SMITH G. V. (1944). "Further Studies on the Menstrual Discharge of Women" Exer. Biol. & Med., 56:285

SMITH O.W. and SMITH G.V. (1945). "Evidence that Menstrual Toxin and Canine Nec - rosin are Identical". Exper. Biol. & Med. 59:116.

SMITH O.W. and SMITH G.V. (1945). "A fibriolytic Enzyme in Menstruation and Late pregnancy Toxemia". Science, 102:235

SMITH. G. V. (1946). "Further studies on the Menstrual toxin during Menstruation and Toxemia of Late Pregnancy" Exper. Biol & Med.62:227

SMITH. O W. (1950). "Menstrual Toxin experimental studies in Menstruation and Its Disorders". Engle Charles C. Thomas, Spring field . III.

SMITH G.V. (1950). "Menstrual Toxin Disorders" Ed.E.T Engle. Charles C. Thomas. Springfield III.

(2) REYNOLDS S R.M. (1947). "The physiologic Basis of Menstruation". J. Amer. Med. Ass , 135:552.

(3) Curts E. and Hoffman J. (1950). "Hygiene at the time of Menstruation" Gynecology. Sounders Co. Ed. VI.

وقد عزا (برنارد زوندك ZONDEK. B)[1] عام 1953م وفاة الحيوانات خلال تجارب فان وأوليف سميث إلى احتمال وجود جراثيم في دماء الحيض، وليس لوجود سموم فيها.

على أن الغالبية العظمى من مؤلفي كتب أمراض النساء من الأوروبيين والأميركيين يوردون في كتبهم ما أورده المؤلف الإنجليزي (جافكوت JEFFCOATE)[2] عام 1967م في كتابه «أسس أمراض النساء»، والذي يعتبر المرجع الأول لجميع المشتغلين بصناعة الطب في هذا الفرع. حيث اعتبر أن الغسل المهبلي بعد الحيض، أو في أي وقت آخر يشكل بصفة عامة خطورة بالغة، لأنه يزيل معه الوسائل الوقائية الطبيعية، وأن الزوجين يستطيعان ممارسة المباشرة الجنسية في المحيض في حال كانا خاليين من الأمراض، ولا خوف على أيٍّ منهما من أي ضرر، غير أنه لا يستحب الجماع زمن الحيض لوجود الدم فقط، وينصح بالغسل المهبلي، وبوضع حاجز يحجب سيل الدم مؤقتاً.

2 مسألة المحيض في الفقه الإسلامي: كلمة «حيض» تعني سيل، جاء في لسان العرب[3]: «حيض: . . . وقال المُبرِّد: سُمي الحيض حيضاً من قولهم حاض السيل إذا فاض. . . (وقال) الأزهري: يُقال: حاض السيل وفاض إذا سال يحيض ويفيض. . .». والدم الذي يخرج من رحم المرأة خلال دورتها الشهرية سُمي حيضاً لأنه يسيل من فرجها ويفيض.

وسيلان الدم من رحم المرأة ظاهرة طبيعية كما نفهم من الحديث التالي: (عن عائشة ﵂ أنها تقول: خرجنا لا نرى إلا الحج فلما كنا بسرف، حضتُ، فدخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قال: «ما لك؟ أنفست؟»، قلت: نعم، قال: «إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم فاقضي ما يقضي الحاجّ غير أن لا تطوفي بالبيت») [أخرجه البخاري ح82]. فالحيض أمر كتبه الله تعالى على بنات آدم، أي أن الله تعالى جبلهن عليه، وليس سببه قوى سحرية كما اعتقده قدماء المصريين.

ونفهم من قوله تعالى: ﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ﴾ الذي ورد في الآية الكريمة ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ

---

(1) ZONDEK B. (1953). "Does Menstrual Blood contain a specific toxin?" Amer J. Obst & Gyn. 65:1068.

(2) JEFFCOATE .T.N.A (1967). "Principles of Gynecology" Butterworth - London Ed. III.

(3) لسان العرب لابن منظور - مادة «حيض» - ج3/ ص419.

حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222] نفهم أنه يتعين على الرجال اعتزال النساء اللاتي يسيل الدم من فروجهن وعدم الاقتراب منهن، وهذا الاعتزال هو اعتزال مجامعتهن وليس عدم الاقتراب منهن كلياً كما بيّنته السنة النبوية الشريفة، فلقد وردت أحاديث كثيرة، يُعتدّ بها، تشير إلى أن الرجل يستطيع أن يمارس الجنس مع امرأته من دون أن يجامعها، كما في الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» [أخرجه مسلم ح180] - من باب الجواز -. وفي الحديث: "عن حزام بن حكيم عن عمه أنه سأل رسول الله ﷺ: ما يحل لي من امرأتي وهي حائض؟ قال: «لك ما فوق الإزار» [أخرجه أبو داود ح81]" - من باب الإباحة - .

وكلمة «المحيض» التي جاءت في الآية الكريمة مصدر من حاض، على وزن كلمة «المجيء» و«المبيت» و«المغيب» وتُطلق على مكان الحيض، بالإضافة إلى الدم، جاء في لسان العرب[1]: «حيض: الحيض: . . . والمحيض يكون اسماً ويكون مصدراً . . . قال عزّ وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾، قيل إن المحيض في هذه الآية المأتي من المرأة، لأنه موضع الحيض، فكأنه قال: اعتزلوا النساء في موضع الحيض ولا تجامعوهن في ذلك المكان. . .». وهكذا فإن الآية تُحرم مباشرة النساء في مكان الفرج فقط.

ونفهم من التفسير السابق أن الإسلام يخالف اليهود والعرب والمجوس والمصريين في اعتزال النساء؛ فهو لا يأمر باعتزال النساء كلياً ولكن باعتزال جماعهن زمن المحيض، ولا يرى مجامعتهن مجامعة كلية كما يرى النصارى، فهو بهذا دين وسط ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143].

كذلك يخالف الإسلام اليهود بأنه يسمح للرجال بإتيان نسائهم فور انقطاع دم الحيض شرط أن يغسلن فروجهن بالماء[2]، فقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ. . .﴾، يشير فيما يشير[3] إلى انقطاع دم الحيض كما جاء في حديث للسيدة عائشة رضي الله عنها: "وكن نساء يبعثن إلى عائشة بالدُّرجة فيها الكُرسف، فيه الصفرة، فتقول: لا تعجلن حتى ترين القصة البيضاء، تريد بذلك الطهر من الحيضة" [أخرجه البخاري ح83]، وقوله

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «حيض» ج3/ ص419.

(2) وكذلك شرط أن يغتسلن كلياً عند الجمهور، غير أن الاغتسال الكلي أمر تعبدي فقط. انظر كلامنا في الحاشية رقم 3، ص196 - 198.

(3) فقد يشير إلى أن يغسلن النساء فروجهن بالماء، فتبرأ من الحيض (انظر الحاشية رقم 3، ص196 - 198).

تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ. . .﴾ يشير إلى شرط غسل الفرج بالماء للمجامعة، كما روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها: «عن عائشة أن امرأة من الأنصار قالت للنبي ﷺ كيف أغتسلُ من المحيض؟، قال: «خذي فِرصة ممسكة فتوضّئي ثلاثاً»، أو قال توضئي بها، ثم إن النبي ﷺ استحيا فأعرض بوجهه، فأخذتُها فجذبتُها فأخبرتُها بما يريد النبي ﷺ» [أخرجه البخاري ح84]. وكما نعلم فإن الوضوء هو الغسل بالماء، وما يريد النبي ﷺ هو أن تزيل الدم من فرجها بالغسل كما جاء في رواية أخرى «عن عائشة أن امرأة سألت النبي ﷺ عن غُسلها من المحيض، فأمرها كيف تغتسل، قال: «خذي فرصة من مسك فتطهري بها»، قالت: كيف أتطهر؟ قال: «تطهّري بها»، قالت كيف؟ قال: «سبحان الله تطهري»، فاجتذبتُها إليّ، فقلت: تتبعي بها أثر الدم» [أخرجه البخاري ح85].

وقد جاء في هذا الصدد، في تفسير ابن كثير[1]: «وقد اتفق العلماء على أن المرأة إذا انقطع حيضها لا تحل حتى تغتسل بالماء. . . وقال ابن عباس: ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ. . .﴾؛ أي من الدم، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ. . .﴾؛ أي بالماء، وكذا قال مجاهد وعكرمة، والحسن ومقاتل وابن حيان والليث بن سعد وغيرهم». وجاء في تفسير القرطبي[2]: «فإذا تطهّرن، يعني بالماء، وإليه ذهب مالك وجمهور العلماء، وأن الطُّهر الذي يحل به جماع الحائض الذي يذهب عنها الدم، هو تطهّرها بالماء كطهر الجُنب»[3].

---

(1) تفسير ابن كثير - ج1/ ص260.

(2) تفسير القرطبي - ج3/ ص88.

(3) الرجاء قراءة نص «الحقائق العلمية» (ص201) قبل قراءة هذه الحاشية.

لقد اختلف الفقهاء في وطء المرأة التي انتهت من فترة الحيض، في طهرها وقبل الاغتسال، فذهب مالك والشافعي والجمهور إلى أن ذلك لا يجوز حتى تغتسل. وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن ذلك جائز إذا طهرت لأكثر مدة الحيض، وهو عنده عشرة أيام، وذهب الأوزاعي إلى أنها إن غسلت فرجها بالماء جاز وطؤها (أعني: كل حائض طهرت متى طهرت)، وبه قال أبو محمد بن حزم.

وسبب اختلافهم: الاحتمال الذي في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 222]، هل المراد به الطهر الذي هو انقطاع دم الحيض أم الطهر بالماء؟ ثم إن كان الطهر بالماء فهل المراد طهر جميع الجسد أم طهر الفرج؟ فإن الطهر في كلام العرب وعرف الشرع اسم مشترك يقال على هذه الثلاثة المعاني.

وقد رجح الجمهور مذهبهم بأن صيغة التفعل إنما تُطلق على ما يكون من فعل المكلفين، لا على ما يكون من فعل غيرهم، فيكون قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أظهر في معنى الغسل بالماء منه في الطهر الذي هو انقطاع الدم، والأظهر يجب المصير إليه حتى يدل الدليل على خلافه.

= ورجّح أبو حنيفة مذهبه بأن لفظ يفعلن في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ هو أظهر في الطهر الذي هو انقطاع دم الحيض منه في التطهر بالماء. والمسألة كما نرى محتملة». (بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد، الباب الثالث، المسألة الثانية [وطء الحائض في طهرها قبل الاغتسال]، ص 52 - 53).

وفي كلام العرب فإنه من المعسر أن يجمع المتكلم في الكلام بين معنيين، فإنه ليس من عادة العرب أن يقولوا: لا تعط فلاناً درهماً حتى يدخل الدار، فإذا دخل المسجد فأعطه درهماً قياساً على ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 222]، وبالتالي فإن علينا إما: 1 - صرف أياً من اللفظين: ﴿يَطْهُرْنَ﴾ و﴿تَطَهَّرْنَ﴾ إلى الآخر، والعمل على أنهما يدلان في الآية على معنى واحد (أي إما على معنى الطهر أي انقطاع الدم، وإما على معنى الاغتسال بالماء). 2 - وإما أن نقول: إن هناك كلاماً محذوفاً تقديره: ولا تقربوهن حتى يطهرن ويتطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله. والدليل عليه يكون ظهور لفظ التطهر في معنى الاغتسال. لكن هذا يعارضه ظهور عدم الحذف في الآية. إلا في حال وجود قرينة خارجية تشير إلى ظهور لفظ التطهر.

وإذا انتهى بنا الأمر إلى مثل هذا الموضع، فإن التحكيم يكون للحقائق العلمية في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. ونقول - وبالله التوفيق -: إن علة مباشرة الحائض كما جاءت في الآية الكريمة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: 222] هو وجود الأذى، فإذا انتفى الأذى، انتفت العلة وصح مباشرة الحائض التي انتهت من عدتها.

والأذى يتلخص بأن هناك جراثيم في الحيض تسبب الأذى للرجل أو المرأة عند الجماع. ووجود الجراثيم يرتكز على عاملين: وجود الدم، ووجود المطهّر لهذا الدم من الجراثيم.

وعليه، فإننا نميز أربع حالات، لا خامس لها، لمهبل المرأة:

1 - وجود مطهّر مع عدم وجود دم في مهبل المرأة: في هذه الحالة، فإن المهبل نظيف جداً، ولا وجود للأذى المذكور في الآية الكريمة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: 222]، وبالتالي يصح الجماع شرعاً وعلمياً.

2 - عدم وجود مطهّر مع وجود دم في مهبل المرأة: في هذه الحالة يكون الدم ملوثاً لانتفاء المطهّر ولوجود الدم الذي هو بمثابة البيئة المناسبة لتكاثر الجراثيم، وبالتالي فهناك احتمال لأن يصاب الرجل أو المرأة بمرض من الأمراض. ومثال هذه الحالة: الحيض، والفترة التي تأتي مباشرة بعد انقطاع الحيض كما سنراه لاحقاً - . وتبعاً لذلك ومنعاً لحصول ضرر لأحد من الزوجين، فإن وطء المرأة لا يجوز.

3 - عدم وجود مطهّر مع عدم وجود دم في مهبل المرأة: في هذه الحالة لا وجود للجراثيم لأن الدم غير موجود مع أن المطهّر غير موجود. ومثال هذه الحالة: المرأة التي على وشك الحيض، ولم تحض بعد. في هذه الحالة لم يسل الدم بعد، وتأثير وأعداد عصويات دودرلين يكون ضعيفاً للغاية وفي أدنى مستوياته (فعصويات دودرلين - كما سنشير إليه في البحث اللاحق - تظهر تدريجياً إلى أن تصل إلى أوجها في نصف الدورة، ومن ثم تقل إلى أن تصبح في أقل نسبة لها قبل فترة الحيض مباشرة)، وبالتالي لا بأس من الجماع تيسيراً في الشرع وفقاً للآية: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: 6].

4 - وجود مطهّر مع وجود دم في مهبل المرأة: في هذه الحالة تكون المرأة في حالة الاستحاضة أي أن هناك حالة نزيف مرضي مستمر للمرأة مع وجود عصويات دودرلين المطهّرة - وهذا يعني أن=

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام يخالف النصارى لأنه ينهى عن مجامعة النساء وقت المحيض، بينما هم يحلّونه.

ولم يحرم الإسلام مباشرة النساء لوجود الدم في موضع الإتيان فقط، بل لورود زمن الحيض. فكلمة "المحيض" التي جاءت في الآية ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى...﴾ [البقرة: 222] لا تشير إلى سيلان الدم وإلى موضع النكاح فحسب، بل إلى ورود زمن الحيض أيضاً. جاء في لسان العرب[1]: "حيض: ... وقيل المحايض جمع المحيض وهو مصدر حاض، فلما سمّي به جمعه، ويقع المحيض على المصدر والزمان والدم".

ومن التفسير السابق نفهم أن الآية تعني: اعتزلوا موضع جماع النساء، لوجود الدم، خلال الفترة المعلومة للحيض.

وللدلالة على أهمية عامل زمن المحيض، وأنه يعتد به، جوّزت الشريعة الإسلامية مجامعة الرجل لامرأته حال كونها مستحاضة. والمستحاضة هي المرأة التي يسيل الدم من فرجها لمرض ما على غير عادة، في غير وقت الحيض والنفاس. فإن لم تستطع أن تميّز بين دم الحيض ودم الاستحاضة فإنها تمتنع عن زوجها في الفترة التي يغلب على ظنها أنها فترة المحيض، بينما تُحل نفسها له في الفترة المتبقية وتعتبرها استحاضة. وإحلال فرجها لزوجها يصح لأنه لم يرد دليل بتحريم جماعها

=هناك دماً غير ملوّث في مهبلها، وبالتالي يجوز شرعاً الوطء للمعطيات الشرعية وكما تشير إليه المعطيات العلمية (انظر الحاشية رقم1، ص199 - 200).

ومن الكلام السابق نُضعّف مذهب الحنفية في هذا الأمر، لأنهم لم يشترطوا غسل المهبل، وبالتالي إزالة الدم الملوث من مهبل المرأة.

ومذهب الأوزاعي يُحمل على الجواز لأن شرطهم من طهارة وغسل الفرج يزيل الأذى.

ومذهب الجمهور يُحمل على الندب، لأنهم يشترطون إضافة إلى إزالة الأذى، غسل المرأة جميع بدنها، وذلك لأن الله تعالى يحب المتطهرين كما جاء في تكملة الآية: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222].

ويظهر من هذا الكلام أن الصواب - وبالله التوفيق - ظهور لفظ ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ في الاغتسال (لأن الاغتسال يقتضي أن تطهر المرأة من حيضها إضافة إلى الاغتسال، وإلا لم يمنع المرأة أن تغسل فرجها فقط، ودم الحيض يسيل)، أو أن يكون هناك كلام محذوف في الآية: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: 222] وتقديره: ولا تقربوهن حتى يطهرن ويتطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله. والله تعالى أعلم.

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «حيض» (ج3/ ص420).

خلال فترة الاستحاضة، وذلك عند جمهور العلماء. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «تغتسل وتصلي ولو ساعة، ويأتيها زوجها إذا صلت، الصلاة أعظم» [أخرجه البخاري ح86]. يعني إذا جاز لها أن تصلي ودمها جار، جاز جماعها، لأن الصلاة أعظم من المواقعة في شروط الجواز. و«عن عكرمة عن حَمْنة بنت جحش أنها كانت مستحاضة وكان زوجها يجامعها» [أخرجه أبو داود ح87]. وقد جاء في أكثر من حديث ما يدل على أن عامل الوقت مهم. فعن (أم سلمة رضي الله عنها قالت: سألت امرأة النبي ﷺ، قالت: إني أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة؟، قال: «لا، ولكن دعي قدر الأيام والليالي التي كنت تحيضين - قال أبو بكر في حديثه: وقدرهن من الشهر - ثم اغتسلي واستثفري بثوب وصلي») [أخرجه ابن ماجه ح88]. وعن (حَمْنة بنت جحش، قالت: كنت أستحاض حيضة كثيرة شديدة، فأتيت النبي ﷺ أستفتيه وأخبره، فوجدته في بيت أختي زينب بنت جحش، فقلت: يا رسول الله إني أستحاض حيضة كثيرة شديدة فما تأمرني فيها؟، قد منعتني الصيام والصلاة، قال: «أنعت لك الكرسف فإنه يذهب الدم». قالت: هو أكثر من ذلك. قال: «فتلجّمي». قالت: هو أكثر من ذلك. قال: «فاتخذي ثوباً». قالت: هو أكثر من ذلك، إنما أثجّ ثجاً. فقال النبي ﷺ: «سآمرك بأمرين أيهما صنعت أجزأ عنك فإن قويت عليهما فأنت أعلم». فقال: «إنما هي ركضة من الشيطان، **فتحيضي ستة أيام أو سبعة أيام في علم الله ثم اغتسلي**، فإذا رأيت أنك قد طهرت واستنقأت فصلّي أربعاً وعشرين ليلة أو ثلاثاً وعشرين ليلة وأيامها، وصومي وصلّي، فإن ذلك يجزئك، وكذلك فافعلي كما تحيض النساء، وكما يطهرن **لميقات حيضهن** وطُهرهن، فإن قويت على أن تؤخري الظهر وتعجّلي العصر ثم تغتسلين حين تطهرين، وتصلين الظهر والعصر جميعاً، ثم تؤخرين المغرب وتعجّلين العشاء ثم تغتسلين، وتجمعين بين الصلاتين فافعلي، وتغتسلين مع الصبح وتصلين وكذلك فافعلي، وصومي إن قويت على ذلك»، فقال رسول الله ﷺ: «وهو أعجب الأمرين إلي») [أخرجه الترمذي ح89]. وقوله ﷺ: «فتحيضي ستة أيام أو سبعة أيام في علم الله»، يعني اعتبري نفسك في المحيض خلال فترة ستة أو سبعة أيام، كما علمك الله تعالى، والله أعلم(1).

---

(1) «اختلف العلماء في جواز وطء المستحاضة على ثلاثة أقوال:

فقال قوم: يجوز وطؤها، وهو الذي عليه فقهاء الأمصار، وهو مروي عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وجماعة من التابعين.

وقال قوم: ليس يجوز وطؤها، وهو مروي عن عائشة، وبه قال النخعي والحكم.

وقال قوم: لا يأتيها زوجها إلا أن يطول ذلك بها، وبهذا القول قال أحمد بن حنبل. =

وللمستحاضة حكم الطاهرات، فتصلي وتصوم وتعتكف وتقرأ القرآن وتمس المصحف وتحمله وتفعل كل العبادات وهذا مجمع عليه من جمهور العلماء. والإسلام يخالف اليهود بأنه يفرق بين دم الحيض ودم الاستحاضة، بينما نجد أن نظرة التحريم في اليهودية قائمة على أساس وجود الدم ولا تفرق بين الحيض والاستحاضة. فالسلوك اليهودي تعبّدي فقط، بينما نجد أن السلوك الإسلامي يعتمد على الأساس العلمي إلى جانب الشق التعبّدي. فتحريم نكاح النساء في الإسلام قد وُضع للضرر الذي قد ينشأ، ولذلك قدّم الله تعالى العلة على الحكم في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ. . . .﴾.

وقد هيمن الظلام الدامس على العالم الغربي إلى أن تقدم الطب والعلم. وقد اعتقد العلماء أن دم الحيض يحمل سموماً وأن هذا السم منتشر في جسد المرأة من لعاب وعرق . . . إلخ وظل هذا الاعتقاد سائداً بأوجه مختلفة إلى العقد الخامس من القرن التاسع عشر والله أعلم. ومن ثَمّ اختلف العلماء إلى أقسام شتى، فبينما أبدى علماء كثيرون شكهم من النظرة المعاصرة، ظل علماء آخرون يقيمون الندوات والدراسات التي تؤيد النظرة القديمة، وسلك علماء آخرون مسلكاً جديداً وهو أن مكان الجماع آمن، وذهبوا إلى حد التحذير من أن غسل الفرج يشكل مخاطر جدية!!!، والإسلام قد أشار إلى الحقيقة منذ زمن بعيد: وهو أن دم الحيض ليس في طبيعته ساماً، غير أن ظروف الوقت والزمان تجعل منه ضاراً لأسباب علمية سنلقي عليها الضوء في النص التالي.

= وسبب اختلافهم: هل إباحة الصلاة لها هي رخصة لمكان تأكيد وجوب الصلاة. أم إنما أبيحت لها الصلاة لأن حكمها حكم الطاهر؟ فمن رأى أن ذلك رخصة لم يجز لزوجها أن يطأها. ومن رأى أن ذلك لأن حكمها حكم الطاهر أباح لها ذلك. وهي بالجملة مسألة مسكوت عنها. وأما التفريق بين الطول ولا طول، فاستحسان. (بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد. الباب الثالث. المسألة الخامسة [وطء الحائض المستحاضة]. ص 56 - 57).

وكما أشرنا إليه سابقاً فإن العلم الكوني يُعتبر أداة ترجيح للمسائل الفقهية المختلف فيها في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ومن هذا الباب نقول - وبالله التوفيق -: إن مذهب الجمهور في وطء المستحاضة، ما خلا في الوقت الذي تظن أنه وقت حيض، هو الصواب، والله تعالى أعلم. وذلك أن دم المستحاضة في مهبلها غير ملوث بالبكتيريا. وعصويات دودرلين التي هي بمثابة المطهر موجودة وفعالة، وبالتالي يجوز شرعاً الوطء لانتفاء علة الأذى (كما تشير إليه المعطيات العلمية) إضافة إلى المعطيات الشرعية الأخرى (من قياس كما أشار إليه ابن عباس ﷺ. ولأن من الصحابة من وطء زوجه حال الاستحاضة ولم ينزل من الوحي ما يمنعه، فدل ذلك على إجازة الوطء حال الاستحاضة) (انظر تعليقنا على الحديث رقم 87 في **«قسم تخريج الأحاديث وصلتها بالإعجاز»**).

ومن الجدير بالذكر أن الأذى الذي قد ينشأ لا يقتصر على المرأة فقط، فاللفظ ﴿قُلْ هُوَ أَذًى...﴾ على إطلاقه، وهذا يعني أن الضرر قد يلحق بالمرأة والرجل على حد سواء.

3 - **الحقائق العلمية**: قام طبيب مسلم يدعى محمد عبد اللطيف سعد[1] عام 1976م بدراسة تغيرات مجهريات المهبل ودرجة التأين الحمضي خلال دورة الحيض؛ فتم انتقاء خمسين من السيدات الخاليات من الأمراض الباطنية والنسائية لتكون مادة للدراسة.

وترددت النساء فرادى على العيادة في أربع زيارات؛ قبل الحيض وأثناءه وبعده، ثم في منتصف الدورة الشهرية.

وعند كل زيارة أخذت من كل واحدة منهن مسحة من أسفل المهبل، وأعلاه، وخزعة من البطانة الرحمية، ثم عينة من البول، وقيست درجة التأين الحمضي للمهبل.

وتم فحص العينات بعد زرعها في مزارع مختلفة، وعمل التحليلات المتباينة لبيان جميع أنواع المجهريات في أسفل وأعلى المهبل، وفي البول، ودرست علاقة ذلك بوقت الدورة الشهرية، ودرجة التأين الحمضي في المهبل، وكذلك في البول.

وتبين عند الفحص أن هناك وجود دورة لمجهريات المهبل ليست منفصلة عن دورة هرمونات المبيض، فوجود الجراثيم الضارة من ناحية، و(عصويات دودرلين DODERLEIN BACILLI) من ناحية أخرى، يسيران في خطين متضادين. فعندما يكثر الواحد يقل الآخر؛ ففي خلال فترة الحيض وُجدت الجراثيم الضارة بأعداد رهيبة في حين اختفت عصويات دودرلين تماماً.

كذلك تبين أنه أثناء فترة الحيض، وُجدت الجراثيم الضارة في أسفل المهبل في حين بدا الجزء العلوي منه خالياً منها تماماً.

أضف إلى ذلك، أن هناك أنواعاً أخرى من الجراثيم الضارة وُجدت أثناء فترة الحيض، بخلاف تلك الموجودة أصلاً، وهذه هي جراثيم مجرى البول والشرج.

(1) Abd El - Latif, M., Hefnawy, F., SOLIMAN A. A Kandil, O. F HABLAS, R.A., SAMI, G.E., (1976). "Vaginal flora during the menstrual cycle, An Approach to clarify Islamic view concerning menstrual hygiene". Thesis submitted to the faculty of medicine, Al - Azhar University, for the M.D degree in Obstetrics and Gynecology

وتبين أيضاً أن هناك جرثومة واحدة غير ضارة بطبيعتها، اكتسبت خاصية الضرر وقت الحيض وفي بعض الحالات.

كذلك ازدهر طفيل الترايكومونس وقت الحيض، وتكاثر إلى أربعة أضعاف ما كان عليه. ومن العجب أنه بدلاً من أن يبقى في أسفل المهبل، مكانه الأثير، فإنه تسلق إلى الجيوب المهبلية في أعلى المهبل.

ووضح من هذه الدراسة أن عصويات دودرلين، توجد بصفة طبيعية في المهبل، وهي تعتبر الحارس عليه ضد الجراثيم الضارة؛ ذلك أن المهبل حُرم من الوسائل الدفاعية الأخرى ضد الجراثيم، إذ تبطن جدره الداخلية طبقةٌ كثة من النسيج الطلائي الذي لا يحتوي على خلايا إفرازية ولا على أهداب تطرد الجراثيم من القنوات الهضمية والبولية والتنفسية. كذلك حُرم المهبل من ميزة الانقباضات والتقلصات التموّجية كما هو الحال في الأمعاء.

وبالتالي فإن عصويات الدودرلين تعتبر وسيلة الدفاع الوحيدة للمهبل ضد الجراثيم الضارة؛ فهي تخلص المهبل من الجراثيم الضارة وتطردها إلى الخارج وتمنع دخولها إلى الرحم، ومن ثَمّ إلى القنوات، وبالتالي إلى فراغ البطن الداخلي، وتلك العصويات تعيش على السكر المخزن في خلايا جدر المهبل. وهذه الخلايا تقع تحت تأثير هرمونات المبيض من ناحيتين:

الناحية الأولى: هي نسبة تخزين وتركيز السكر بها؛ حيث وجد أن أعلى نسبة تركيز للسكر داخل تلك الخلايا تكون في منتصف الدورة الشهرية، وتقل تدريجاً مع انخفاض نسبة هرمونات المبيض، حتى تتلاشى تماماً قبل الحيض بساعات وأثناءه.

الناحية الثانية: هي انفصال هذه الخلايا من جدر المهبل؛ حيث تنفصل هذه الخلايا كجزء من عملية التجديد الدائم، وقد وُجد أن أعلى نسبة لانفصال هذه الخلايا تحدث في منتصف الدورة الشهرية، ومن ثم تقل تدريجياً حتى تصل إلى الدرجة الدنيا قبل الحيض بساعات، ومن ثم أثناءه.

وعلى ذلك، فإن أعلى نسبة لتركيز السكر في المهبل تحدث في منتصف الدورة، وأقل نسبة تحدث قبل الحيض مباشرة، حتى أنها تكون معدومة أثناء الحيض، وبالتالي فإن عصويات دودرلين تصل إلى قمة تكاثرها ونشاطها في منتصف الدورة، حيث وصل معدلها في تلك الدراسة إلى $10^7 \times 5$ مم^3، ومن ثم تقل وتضعف قبل الحيض مباشرة، وعند حدوث الحيض ونزول الدم، فإن درجة التأين الحمضي للمهبل تتغير من الحامضية إلى القلوية، فتموت تلك العصويات، ويأخذها

تيار الدم معه إلى خارج المهبل. وقد وجد أن العصويات توجد في أسفل المهبل فقط، وأن أعدادها لا تزيد على 0.1×10^4 مم^3 في الأيام الأولى للحيض، أما في الأيام التالية، فقد وُجد أن المهبل يكون خالياً منها تماماً، ذلك لأن تيار الدم قد جرفها إلى الخارج بعد موتها.

وفي هذا الوقت بالذات، أي في وقت الحيض، تكون الفرص كلها سانحة والظروف كلها مهيأة لنمو وتكاثر ونشاط الجراثيم الضارة، وذلك لأن عصويات دودرلين تحول السكر إلى حمض اللبنيك، الذي يقتل الجراثيم الضارة، ولأن وجود تلك العصويات يكبل نمو الجراثيم الضارة، ويقف دون نشاطها، ويحول دون تكاثرها، بطريقة مازال يكتنفها شيء من الغموض.

وفي غياب تلك العصويات، وتبدل درجة التأين الحمضي إلى القلوية، تجد الجراثيم في الدم المرتع الخصب للنمو والتكاثر، ليس هذا فحسب، وإنما تنضم إليها جراثيم الشرج ومجرى البول، وليس أشد غدراً من جرثومة ضارة.

وقد وجد أن هذه الجراثيم الضارة تزداد في أعدادها وأنواعها وقت الحيض، حيث يصل عددها إلى 6×10^7 مم^3. وليس من سبيل يمنع دخولها إلى جدار الرحم المتهتك في هذا الوقت الحرج، أو نفاذها إلى داخل فراغ البطن، أو اقتحامها للأنسجة الرخوة والبالغة الطراوة، سوى شيء واحد؛ ذلك هو تيار الدم المضاد الآتي من الأعلى إلى الأسفل.

وأما بعد انقطاع الحيض، فقد وضح من نتائج الدراسة أن الوسائل الدفاعية الطبيعية غير موجودة بتاتاً في هذه الفترة، ليس هذا فحسب، بل إن مقومات وجودها أيضاً من السكر و(درجة التأين الحمضي PH) غير متوافرة، هذا فضلاً عن وجود أعداد رهيبة من الجراثيم الضارة في أسفل المهبل، حيث توقف سيل الدم عنها، وبالتالي توقف جرفها إلى الخارج.

ليس من الحكمة إذن في شيء، ولا من المنطق، في كثير أو قليل، معاندة الطبيعة باقتحام حاجز الدفاع الوحيد والباقي للمحيض، ألا وهو عصويات دودرلين، وذلك بالإيلاج حيث إن القضيب يحمل معه جراثيم ضارة من قبل الرجل، غير الجراثيم التي تتكاثر لدى المرأة في هذا الوقت، وأنسجة المهبل ضعيفة. ومما يزيد الأمور تعقيداً هو أن جدار الرحم الذي يكون مكوناً من عدة طبقات من الخلايا يضعف أثناء الحيض ويصبح جداره رقيقاً ومكوناً من طبقة رقيقة من الخلايا بدلاً من

الطبقات العديدة التي نراها في أوقات الطهر. وبالتالي فإن استعداد الرحم لمقاومة الميكروبات الغازية تقل نتيجة لذلك.

ومن الجدير بالذكر هنا أن الرحم يتقرّح عندما يقذف غشاءه المبطن أثناء الحيض، ولذلك، فإن فرص انتقال الميكروبات تزيد.

ولا يقتصر الأذى على ما ذكرناه من نمو الميكروبات في المهبل، مما يسبب التهاب الرحم والمهبل الذي كثيراً ما تطول فترة التهابهما ويصعب علاجهما، ولكن يتعداه إلى أشياء أخرى. فقد تمتد الالتهابات إلى قناتيْ الرحم فتسدّهما، أو تؤثر على شعيراتهما الداخلية التي لها دور كبير في دفع البويضة من المبيض إلى الرحم، وذلك يؤدي إلى العقم أو إلى الحمل خارج الرحم.

وقد يمتد الالتهاب إلى قناة مجرى البول، فالمثانة، فالحالبين، فالكلى.

ولا يقتصر الأذى على الحائض في وطئها، وإنما ينتقل الأذى إلى الرجل الذي يطؤها أيضاً. فقد وجد أيضاً أن طفيل الترايكومونس في وقت الحيض يتضاعف إلى أربعة أضعاف، وهذا الطفيل وجد في أعلى المهبل أثناء الحيض متحيناً فرصته ومترقباً صيده. ومن المعروف أنه يسبب التهابات في الجهاز البولي والتناسلي للذكر. ومن المعروف أيضاً أن انتقاله إليه لا يكون إلا عن طريق المباشرة الزوجية، واحتمال الإصابة به قائم في ذلك الوقت إذا ما حدثت المباشرة.

وتنتقل الميكروبات السبحية والعنقودية من قناة مجرى البول إلى البروستاتا والمثانة. والتهاب البروستاتا سرعان ما تطول فترته لكثرة قنواتها الضيقة الملتفة والتي نادراً ما يصلها الدواء بكمية كافية لقتل الميكروبات المختفية في تلافيفها. فإذا ما طالت فترة التهاب البروستاتا، فإن الميكروبات سرعان ما تغزو بقية الجهاز البولي والتناسلي فتنتقل إلى الحالبين ومنه إلى الكلى.

وقد ينتقل الميكروب من البروستاتا إلى الحويصلات المنوية فالحبل المنوي فالبربخ فالخصيتين، وقد يتسبب ذلك بإحداث عقم نتيجة انسداد قناة المنيّ أو التهاب الخصيتين. كما أن الآلام المُبرّحة التي يعانيها المريض في العقم تفوق ما قد ينتج عن ذلك الالتهاب[1].

إن عدم وجود الجراثيم في أعلى المهبل، هو الدليل القاطع على أن دم الحيض لا يحمل سموماً، وكما وضح من الدراسة فإن عاملي الوقت والمكان تجعل

(1) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص 100 - 104، بتصرف.

من الدم مؤذياً كما نص عليه القرآن الكريم والسنة الشريفة. والطريقة المثلى للتعامل مع هذا الوضع هي انتظار انقطاع الدم، أي انتظار الطُهر، ومن ثَم التطهُّر بالماء. وقد وضح سابقاً أن ذلك يزيل الجراثيم الضارة في الوقت الذي لا يوجد فيه تيار سائل جارٍ لغسلها طبيعياً، ويهيئ أيضاً الظروف الطبيعية لوجود عصويات دودرلين مرة أخرى.

وهكذا يتبين لنا الإعجاز العلمي في انتقاء كلمة "المحيض" من بين المفردات الأخرى وكيف أن التعاليم الإسلامية هي الطريقة المثلى، لخلاص البشرية من همومها وظلامها.

4 - **مجموع الإعجازات (أو الإشارات) العلمية في مجال الحيض:**

وختاماً يمكننا أن نلخّص مجموع النقاط التي تتضمّنها الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، حتى يتضح لنا حجم الإعجاز العلمي في ذلك:

1 - ازدياد مكونات الرحم.

2 - غيض الرحم من جراء الحيض.

3 - احتواء الرحم على عروق.

4 - خروج الدم من العروق في حالة الحيض فقط، وليس من سواها خلال الدورة الرَحمية (ما عدا حالة الاستحاضة - وهي حالة مرضية-).

5 - خروج الدم من خلال تشققات في العروق.

6 - اختلاف دم الحيض ودم الاستحاضة (عند خروجهما من المهبل، وليس عند خروجهما من العروق).

7 - سواد دم الحيض.

8 - رائحة دم الحيض المتميزة.

9 - معرفة دم الحيض (من قبل النساء والأطباء من خلال مقداره، ومكوّناته . . . إلخ).

10 - علاقة الزمان والمكان بالأذى الذي قد يتخلّق في المحيض.

11 - التصرف المثالي للزوجين لتجنب الأذى المتولد في المحيض.

ومجدّداً تتوالى النبوءات على لسان هذا النبي الأمّي ﷺ لترفع راية العلم ولتعزّز معرفة الأطباء.

الإجهاض المبكر

● قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكاً فقال: يا رب: مخلّقة أو غير مخلّقة؟ فإن قال: غير مخلقة مجّتها الأرحام دماً، وإن قال: مخلقة، قال: يا رب: فما صفة هذه النطفة؟». [رواه الطبري ح32].

● قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «النطفة إذا استقرت في الرحم جاءها ملك فأخذها بكفّه، فقال: أي رب: مخلّقة أم غير مخلّقة ؟ فإن قيل غير مخلقة لم تكن نسمة وقذفتها الأرحام دماً» [أخرجه ابن أبي حاتم ح33].

يُعرف الإجهاض أو السقط في الطب بأنه خروج محتويات الحمل قبل مرور 20 أسبوعاً تُحسب من آخر حيضة حاضتها المرأة.

قبل أن نسترسل في تفسير الحديثين نفيد بأنهما يختصان بنطفة الأمشاج إذ إن النطفة غير الملقحة غير قابلة للتخليق : فلا معنى لأن يرسل الله سبحانه وتعالى ملكاً ليسأله هل ستتخلق النطفة أو لا

انتهينا في المقطع السابق إلى أن البويضة الملقحة ترحل من فم الأنبوب إلى داخل الرحم حيث تقع هناك: ترى ماذا يحصل آنذاك؟.

فالواقع أن هناك احتمالاً كبيراً بأن تجهض المرأة بويضتها بعد أن تقع على سطحها. فهنالك 45٪ من الحالات تجهض الأم فيها نطفة الأمشاج - التي انقسمت عدّة مرات وأصبحت تسمى باللغة العلمية: (الكرة الجرثومية BLASTOCYT) - في الأسبوع الأول من الحمل بعد أن تقع على سطحها وذلك لأسباب عدة، منها: كما يؤكده لنا الدكتور لارس هامبرغر[1] قائلاً: «إن هناك كثرة من المورثات غير سليمة (في البويضة) أو أنّ هناك مورثات أكثر أو أقل من اللازم» (وذلك من جراء دخول أكثر من حيوان منوي إلى البويضة) «وبما أن كثيراً من المادة الوراثية قد دخلت البويضة فبالتالي يتم التطور بطريقة غير سليمة.

هذا واحد من أسباب الإجهاض المبكر.

(1) كتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص69.

هناك سبب آخر للإجهاض المبكر وهو أمر ليس بالخصوص غير اعتيادي، وهو (وجود) خطأ في التركيبة الوراثية للحيوان المنوي".

كذلك فإن نقصاً في إفراز هرمون (البروجسترون PROGESTERONE) وهرمون (الأستروجين ESTROGEN) من قبل (جريب البويضة الذي قذف بالبويضة فيما قبل CORPUS LUTEUM) هو أحد أسباب الإجهاض التلقائي(1).

إن هذه الظاهرة - ظاهرة الإجهاض للنطفة - التي تحدث عنها الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - بإعجاز لم تعرف في الأوساط العلمية إلا في الآونة الأخيرة، فالصعوبات من التحقق من أنّ المرأة حامل في الفترات الأولى من الحمل حالت دون معرفة العلماء أمر الإجهاض المبكر وذلك لأن الرحم يقذف البويضة بعد تلقيحها أو بعد انغرازها فيه مباشرة (أي في فترة "الحرث" التي تلي)... ويكون ذلك في موعد الحيض فلا تفطن المرأة إلى أنها حملت أصلاً... وقد تتأخر حيضتها بضعة أيام ثم تأتي العادة الشهرية فتظن المرأة أن حيضتها قد تأخرت لأيام فقط ولا تفطن إلى وجود حمل(2) فمن حالات الإجهاض الـ45٪ التي أسلفنا ذكرها، 30٪ لا تفطن فيها المرأة إلى أنها حامل و15٪ تعلم بحملها.



(1) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 42.

(2) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص 400.

مكان مستودع النطف وموقع الإخصاب

● قال العليم الحكيم: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: 13].

● قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [المرسلات: 20-21].

● قال الله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَتِكُمْ. . .﴾ [الزمر: 6].

● قال رسول الله ﷺ: «إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكاً فقال: يا ربّ: مخلّقة أو غير مخلّقة؟ فإن قال: غير مخلّقة مجتها الأرحام دماً، وإن قال: مخلّقة قال: يا ربّ: فما صفة هذه النطفة؟». [رواه الطبري ح32].

● عن عبد الله بن بريدة: أن رجلاً من الأنصار ولدت له امرأته غلاماً أسود، فأخذ بيد امرأته، فأتى بها رسول الله ﷺ، فقالت: والذي بعثك بالحق، لقد تزوجني بكراً وما أقعدت مقعده أحداً، فقال رسول الله ﷺ: «صدقتْ، . . . إذا كان حينُ الولد، اضطربت العروق كلها، ليس منها عرق إلا يسأل الله أن يجعل الشّبه له» [أخرجه الحكيم الترمذي ح22].

● عن ابن عباس مرفوعاً: «النطفة التي يُخلق منها الولد ترعد لها . . . **العروقُ كلُّها إذا خرجت وقعت في الرحم**» [أخرجه الديلمي ح23].

لقد بيّنا في مبحث «**مستودع النطف**» أن مستودع النطف عند الرجل هو البربخ الواقع أعلى الخصية، وهو عند المرأة المبيض.

إن تبيان مكان المستودع إعجاز بحد ذاته وخاصة إن كان يخص الأنثى: فتضاريس مستودع الرجل ظاهرة للعيان وإن كان هذا المستودع واقعاً تحت البشرة، أما بالنسبة للمرأة فالرحم منغلق على نفسه، داخل الجسد وتضاريسه غير ظاهرة.

وإذا افتقدنا الوسائل العلمية التي تتيح لنا معرفة دقائق الأمور فمن الطبيعي أن نظن أن النطفة تأتي من الرحم نفسه أو أن الرحم يفرزها (أي: أن بطانة الرحم تلفظها بعد أن كانت موجودة كاملة في داخلها، وبذلك يكون الرحم هو المستودع الذي تتكلم عنه الآية) - هذا إن علمنا أن هناك نطفة تفرزها المرأة - ذلك أن الرحم يظهر

للعيان مغلقاً. ولا سبيل إلى أن يفقه أحد كيف يمكن للنطفة أن تأتي من خارجه إلا إذا تفحص عالم بواسطة مجهر تركيب الرحم، فعلى سبيل المثال: ظن العالم (هارفي HARVEY، 1651م) أن الرحم يفرز الجنين وذلك لعدم تمكنه من مشاهدة تطور الجنين في المراحل الأولى من تخلقه.

نتوقف هنا عند الآية: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [المرسلات: 20، 21]. فهي تشير إلى أن الماء المهين، أي المني يجعل، أي يوضع، في القرار المكين، أي الرحم، إذ فعل "جعل" يأتي بمعنى "وضع". جاء في لسان العرب: "جعل: جعل الشيء يجعله جعْلاً ومجْعلاً واجتعله، وضعه..."[1]. وما يوضع في الرحم هو الماء بعد أن يلقح، والدليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى قال في سورة المؤمنون: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾. وهذه الآية تخص النطفة المخصبة لأن سياق الآيات التي تأتي من بعدها تتكلم عن التخلق البشري، فلو أن النطفة لم تخصب، لم تؤدِ إلى تخلق الإنسان، ولما تكلم الله تعالى في الآيات اللاحقة في سورة المؤمنون عن تخلق العلقة من النطفة كما جاء في قوله عزّ وجلّ:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: 13-14][2].

ولقد أكّد المولى عزّ وجلّ في موضع آخر من القرآن الكريم أن النطفة التي يتخلق منها الجنين هي النطفة المخصبة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾.

وكما أسلفنا القول فإن الآية رقم 13 من سورة المؤمنون تشير إلى أن النطفة المخصبة تدخل الرحم الموصوف بالقرار المكين باستعمال لفظ (ثم جعلناه ... في قرار ...)، فلو أن النطفة كانت في القرار لم تكن لتجعل فيه، وهذا يدل على أن النطفة المخصبة تأتي من خارج الرحم. والحديث رقم 32 يؤكد هذا بواسطة مصطلح آخر ألا وهو: "إذا وقعت النطفة في الرحم..." [رواه الطبري ح32]. فلو أن النطفة كانت في الرحم لما وقعت فيه. وهذا يدل على معجزة معرفة الرسول - عليه الصلاة والسلام - بتركيب الرحم، حيث إن الرحم متصل بقناة فالوب التي تتلقى البويضة من المبيض - مستودع النطفة -، فالوقوع في الرحم يلزم الخروج من مكان ثانٍ؛ ألا وهو "قناة فالوب".

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة "جعل" (ج2/ ص300).

(2) للمزيد من التعليق الرجاء قراءة مبحث "**العلقة**".

وتفيد هذه الرواية أيضا بأن الرسول - عليه الصلاة والسلام - يعلم تمام العلم بأن مكان تخصيب البويضة - وبالتالي بداية الخلق هو خارج الرحم، وداخل القناة التي تعرف اليوم بقناة فالوب، لأن الآية والحديث يعنيان البويضة المخصبة. فالنطفة عندما تقع في الرحم تكون ملقحة، أي جاهزة لأن تتخلق. وإلا لما سأل الملك الله سبحانه وتعالى هل يريد أن يخلق البويضة أم لا، وفقاً لما جاء في الحديث رقم 32 والذي علقنا عليه في مبحث «**الإجهاض المبكر**».

والحديث «النطفة التي يُخلق منها الولد ترعد لها . . . العروق كلها إذا خرجت وقعت في الرحم» [أخرجه الديلمي ج23]، أوضح دلالة من الحديث رقم 32 في أن مكان التخصيب يقع خارج الرّحم، حيث إنه يشير إلى أن النطفة التي يُخلق منها الولد (أي النطفة المخصبة) إذا خرجت (أي إذا خرجت من مكانٍ ما يقع خارج الرّحم وهو قناة فالوب) وقعت في الرّحم.

إلى ذلك فإن القرآن الكريم يشير بطريقة غير مباشرة إلى أن الخلق يبدأ من خارج الرحم من خلال قول الله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ. . .﴾ [. . .]. فلو كان الخلق في الأرحام فقط لقال الله - سبحانه وتعالى - نخلقكم في أرحام أمهاتكم والله تعالى أعلم. وهذه إشارة إلى أن بدء الخلق الذي يتلخص باجتماع الحيوان المنوي مع البويضة وبانصهاره معها يبدأ في مكان ما خارج الرحم ألا وهو قناة فالوب.

وهذه الحقائق التي أشار إليها الرسول الكريم ﷺ بحق إعجازٌ علميّ، لأن قطر البويضة الملقحة حين تدخل الرحم لا يزيد عن 0,7 ملم، وهذا لا يبيح حتى لعالم بيولوجي متمرس أن يفقه من أين تأتي البويضة إلا إذا زُوّد بمجهر الكتروني. وإذا أمضى وقته في البحث عن المكان الذي تدخل منه النطفة - هذا إن خطر على باله أن هناك مدخلاً للنطفة من خارج الرحم إلى داخله - لأن الرحم يظهر للعين المجردة مغلقاً تماماً من كل الجهات، وذلك لصغر مدخل النطفة من قناة فالوب إلى الرحم، حيث إنه لا يزيد قطره عن 0,7 ملم في الأيام العادية، ولا عن 1 ملم عند خروج النطفة منه. فالحاصل أن هذا المدخل يتسع لكي تتمكن النطفة الملقحة من عبوره.

نشير هنا إلى أنّ حدود الرحم لا تشمل قناة فالوب، وذلك لأن قناة فالوب هي دار ممر وليست بدار مقر. والواقع أن النطفة بعد أن تخرج من مستودعها تقع في قناة فالوب وتهاجر منه إلى الرحم الذي وصفته الآية الكريمة بدار مقرّ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾.

إضافة إلى ذلك فإن فعل «جعل» يأتي بمعنى «خلق»، جاء في لسان العرب[1]: «جعل: . . . وجعل خلق. . . وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء 30] أي خلقنا». فإذا أبدلنا فعل جعل بفعل خلق أصبح معنى الآية: ثم خلقناه نطفة في قرار مكين، وبالتالي فإن الآية السابقة تشير إلى أن الإنسان يُخلق ابتداء نطفة ويوضع - وهو يتخلق - في الرحم، فالخلق لم يتوقف منذ أن ابتدأ في قناة فالوب (كما أشرنا إليه سابقاً في مبحث «**انفلاق النطفة والازدواجية في التركيب**») عند تخصيب الحيوان المنوي للبويضة إلى أن يصبح فيما بعد علقة في الرحم (أي في القرار المكين).

ومن المهم أن ننوه إلى أن اختيار فعل «جعل» له دلالته، فلو صغنا الآية بفعل «وضع» أو فعل «خلق» لما استطعنا أن نجمع بين المعاني المختلفة وأن نوصل إلى القارئ المعنى المزدوج، وهذا من الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم الذي جاء على لسان الرسول الكريم ﷺ حيث قال: «بُعثت بجوامع الكلم» [أخرجه البخاري ح13].

ومن المعجزات الإخبارية أيضاً: إشارة الرسول ﷺ بطريقة غير مباشرة إلى أن مخرج قناة فالوب الذي يتصل بالرحم يقع عند هاوية وإلا لما وقعت النطفة في الرحم بل لدخلته.

وبعد هذا كله، نستنتج من الحديثين: «. . .إذا كان حين الولد اضطربت العروق كلها. . .» [أخرجه الحكيم الترمذي ح22] و«إذا وقعت النطفة في الرحم. . .» [رواه الطبري ح32] أن عملية اضطراب العروق وبالتالي عملية التقدير تقع خارج الرحم، لأن في الحديث رقم 22 إشارة إلى أن عملية الاضطراب تقع «إذا كان حين الولد» أي عند تخصيب البويضة، والتخصيب كما أشرنا إليه سابقاً في هذا البحث يقع خارج الرحم في قناة فالوب وفقاً للحديث رقم 32 «إذا وقعت النطفة في الرحم. . .».

والحديث رقم 23 يشير إلى نفس الحقائق التي تحدث عنها الحديثان رقم 22 و32 مجتمعين من اضطراب العروق خارج الرحم ولكن بلفظ أكثر وضوحاً:

- فالنطفة التي يخلق منها الولد: [دلالة على أن عملية التخصيب قد حصلت].

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «جعل» - (ج2/ ص301).

- ترعد لها العروق كلها: [دلالة على أن عملية اضطراب العروق، وبالتالي عملية التقدير حصلت بعد أن تمت عملية التخصيب].

- إذا خرجت: [دلالة على أن خروج البويضة من مكان ما يقع خارج الرحم (قناة فالوب) حصل بعد أن تمت عملية التخصيب وعملية التقدير وعملية الاضطراب].

- وقعت في الرّحم: [دلالة على أن وقوع البويضة المخصبة حصل بعد أن تمت العمليات التالية: التخصيب والتقدير والاضطراب والخروج من مكان التخصيب].

ومن التعليق السابق نرتب مجموع المعلومات عن الرحم وعن العمليات التي تحصل خارج الرحم كالتالي:

1 - مكان مستودع النطف يقع خارج الرحم.

2 - عملية تلقيح البويضة تقع خارج الرحم.

3 - عملية اضطراب العروق تقع خارج الرحم.

4 - عملية التقدير تقع خارج الرحم.

5 - مدخل قناة الرحم الذي يتصل بالرحم يقع عند هاوية.



هجرة النطفة من المستودع إلى الرحم

● قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: 5-7].

● قال رسول الله ﷺ: «**إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكاً فقال يا رب: مخلّقة أو غير مخلّقة؟ فإن قال: غير مخلّقة مجّتها الأرحام دماً، وإن قال: مخلّقة قال: فما صفة هذه النطفة؟**» [رواه الطبري ح32].

● قال عزّ وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 98].

هذه المرحلة تقع زمنياً قبل مرحلة «نطفة الأمشاج» ولكن وضعناها بعد مبحث «**الإجهاض المبكر**» ومبحث «**مكان مستودع النطف وموقع الإخصاب**» لكي يستطيع القارئ أن يؤلف صورة إجمالية عن الأحداث التي تقع في بطن المرأة الحامل قبل استقرار النطفة في الرحم، فيستنتج من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدلائل التي تشير إلى هجرة النطفة من المستودع إلى الرحم.

نفهم من الآيات الكريمة: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ أن الماء المذكور يدفق، وبالتالي فهذا الماء ينتقل من مكان إلى آخر.

هذا الماء الذي يدفق يحتوي على البويضة غير المُخصّبة وذلك:

1 - لأن مكونات الماء الدافق مستقاة مباشرة من الأوردة التي تتفرع من المنطقة الواقعة بين الصلب والترائب[1]، وأما النطفة المخصبة فهي تتكون من الحيوان المنوي والبويضة[2].

2 - لأن البويضة المخصبة التي أشار إليها الملك بقوله: «مخلّقة أو غير مخلّقة» في الحديث «**إذا وقعت النطفة في الرحم** بعث الله ملكاً فقال: يا رب: مخلّقة

(1) لمزيد من التفاصيل انظر مبحث «**الماء والمني**».

(2) لمزيد من التفاصيل انظر مبحث «**نطفة الأمشاج**».

أو غير مخلّقة؟ فإن قال: غير مخلّقة مجّتها الأرحام دماً" [رواه الطبري ح32] تقع[1] ولا تدفق.

وكما أشرنا إليه سابقاً فالبويضة تخرج من المستودع الذي تتكلم عنه الآية الكريمة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ﴾ وتصب في قناة فالوب[2].

ودفق الماء مهم وذلك لكي تستطيع النطفة أن تقفز من المبيض إلى قناة فالوب بدون أن تضيع داخل جسم المرأة.

وبعد أن تدفق البويضة من المستودع إلى قناة فالوب تخف سرعتها وتجري ببطء[3] ويلقحها الحيوان المنوي عملاً بالآية الكريمة: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2]، وبالحديث الشريف: يا محمد: ممَّ خُلق الإنسان؟ قال رسول الله ﷺ: "يا يهودي من كلٍّ يُخلق: من نطفة الرجل ونطفة المرأة" [أخرجه أحمد ح20]، ومن ثمّ تعاود النطفة رحلتها إلى الرحم.

فالبويضة في بادئ الأمر تدفق، أي: أنها تخرج بقوة وبسرعة مع ضغط من المستودع إلى قناة فالوب، ومن ثمّ تخرج من قناة فالوب وتقع في الرحم كما جاء في الحديث الشريف: "إذا وقعت النطفة في الرحم" [رواه الطبري ح32].

فالوقوع في الرحم يستلزم الخروج من مكان آخر: ألا وهو قناة فالوب، وهذا هو ما يشير إليه الحديث: "النطفة التي يُخلق منها الولد ترعد لها... العروق كلها **إذا خرجت** وقعت في الرحم" [أخرجه الديلمي ح23].

ولقد أضاف الله - سبحانه وتعالى - الشدة في وصف خروج الماء (من المبيض)، أما الرسول ﷺ فلم يستعمل الوصف الشديد عندما حدثنا عن خروج النطفة (من قناة فالوب) ووقوعها في الرحم، وهذا يعني أن سرعة البويضة تخف حسب المعطيات القرآنية والحديثية.

---

(1) فالنطفة غير المخصبة لا يتخلق منها الولد. ولمزيد من التفاصيل عن أن النطفة المشار إليها هي النطفة المخصبة انظر مبحث «**مكان مستودع النطف وعملية الإخصاب**». ولمزيد من التفاصيل عن عملية وقوع النطفة في الرحم انظر مبحث «**وقوع النطفة في الرحم**».

(2) لمزيد من التفاصيل انظر مبحث «**مستودع النطف**».

(3) يقول د. لارس هامبرغر في كتابه ولد طفل، ص 36: «تتدحرج البويضة ببطء على سطح طيات الغشاء منتظرة نظيرها الذكري».

وقد ورد في أكثر من حديث أن النطفة تقع في الرحم بدون الإشارة إلى أي شدّة في وقوع النطفة في الرحم وذلك للتأكيد على نفي الشدة أثناء وقوعها والله تعالى أعلم.

وهذه الأحاديث هي:

1 - "إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكاً فقال يا رب: مخلّقة أو غير مخلّقة؟ فإن قال: غير مخلّقة مجتها الأرحام دماً، وإن قال: مخلّقة قال: يا ربّ فما صفة هذه النطفة؟.." [رواه الطبري ح32].

2 - عن حذيفة بن أسيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ بأذنيّ هاتين يقول: "**إن النطفة تقع في الرحم** أربعين ليلة ثم يتصوّر..." [أخرجه مسلم ح48].

3 - عن ابن عباس مرفوعاً: "النطفة التي يُخلق منها الولد ترعد لها... العروق **كلها إذا خرجت وقعت في الرحم**". [أخرجه الديلمي ح23].

فإذا خفت سرعة البويضة لزم منها أن تمكث في موقع الإخصاب مدة من الزمن لا يُسْتهان بها. ومما يُدعّم هذا المفهوم لفظ "إذا" الذي ورد في الحديث الشريف: "إذا وقعت النطفة في الرحم" [رواه الطبري ح32]، و"إذا: اسم يدل على زمان مستقبل"[1]، وهذا يشير إلى ثلاثة احتمالات:

1 - أن النطفة غير المخصبة تمكث في المستودع حقبة من الزمن، فيستلزم استعمال اسم "إذا" في صياغة الحديث الشريف للدلالة على مكوث الهيكل الأساسي للنطفة المخصبة خارج الرحم (أي في المبيض - أو المستودع...) زمناً طويلاً، وهذا يوافق المعنى الذي تشير إليه كلمة "مستودع" أن النطف تمكث في هذا المكان فترةً طويلةً[2].

2 - أن النطفة المخصبة (أو النطفة التي سوف تتخلق) تمكث مدة من الزمن غير يسيرة في موقع الإخصاب، فيستوجب استعمال اسم "إذا" في صياغة الحديث الشريف للإشارة إلى بقاء النطفة خارج الرحم فترةً طويلة. ومما يدّل على أن البويضة المخصبة تمكث في موقع الإخصاب زمناً طويلاً هو استعمال حرف العطف "ثم"

---

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة "إذا" - (ج1/ ص301).

(2) لمزيد من التفاصيل انظر مبحث "**المستودع**".

الذي يفيد الترتيب والتراخي[1] في النص القرآني: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ [المؤمنون: 12-13]. ففي هذا النص نرى أن الله تعالى ذكر ابتداء مرحلة السلالة، وهو بذلك استثنى مرحلة مكوث النطفة غير المخصبة في مستودعها لأنه تكلم عن السلالة (أي النطفة التي انسلت - أي خرجت - من مستودعها)، ومن ثم فصل بين مرحلة السلالة ومرحلة نطفة الأمشاج في القرار المكين - أي في الرحم -، بحرف العطف «ثم»، مما يشير إلى أن النطفة غير المخصبة تحتاج إلى زمان غير يسير لتخصب ومن ثم لتنتقل من موقع الإخصاب إلى الرحم.

3 - أن النطفة تمكث في المستودع مدة طويلة، كذلك في موقع الإخصاب مما يدعو إلى استعمال اسم «إذا» في الحديث الشريف لنفس السبب الذي ذكرناه آنفاً.

ومن كلامنا السابق نفهم أن الرسول ﷺ أثبت الحركة الديناميكية للنطفة؛ فهي تدفق (في موقع التخصيب)، ومن ثم تقع في الرحم، ومن ثم تستقر وتغيض في الرحم[2]، وبالتالي أثبت هجرة النطفة من المستودع إلى الرحم. ومفهوم تحرك النطفة بعيد عن متناول الأذهان؛ فلو اتضح للعالم أن هناك نطفة يتخلق منها الجنين فهذا لا يلزم أن تنتقل من مكان إلى آخر. وهذا يدل على إعجاز معرفة النبي ﷺ للأمور غير المرئية في مجال علم الأرحام في زمانه.

والواقع أن النطفة تمكث في قناة فالوب حوالي ثلاثة إلى أربعة أيام تنفلق على التوالي كما تشير إليه المعطيات العلمية[3].

إلى ذلك فإن الدفق يستوجب أن يكون المكان الذي يدفق فيه الماء طويلاً وإلا لما سال فيه. ومثال على ذلك: جريان مياه العين، فلولا طول مجرى العين لما تدفقت وسالت المياه فيه.

ومما قلناه نستنتج أن موقع الإخصاب (أي قناة فالوب) طويل بالنسبة إلى البويضة بحيث يستطيع ماء المستودع أن يدفق فيه وبالتالي أن تسير النطفة فيه. وكما

(1) لمزيد من التفاصيل الرجاء مراجعة مبحث «**الأسلوب القرآني في استخدام حرفي «ثم» و«الفاء» في آيات علم الأجنة**».

(2) لمزيد من التفاصيل انظر مبحث «**غيض النطفة في الرحم**».

(3) كتاب علم الأجنة الطبي، سادلر، ص 36، انظر أيضاً مبحث «**انفلاق النطفة والازدواجية في التركيب**».

نعلم يبلغ طول قناة فالوب خمسة عشر سنتيمتراً، وأما قطر البويضة فيبلغ 0,055 ملم[1] عند خروجها من المبيض، و0,7 ملم عند خروجها من قناة فالوب.

إن اختيار الألفاظ (مستودع - دفق - نطفة مخلّقة أم غير مخلّقة - وقوع - رحم) واختلاف دلالاتها لشدة الحركة أو رخائها (دفق - وقوع) يحدد لنا الصورة الإجمالية التي ترتبط بالنطفة خلال وجودها خارج الرحم؛ فهناك مكان تخصيب (كما تشير إليه عبارتا ﴿نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: 2] و﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: 5] وله مدخلان: أحدهما يُطلّ على المبيض (أي على المستودع) والثاني على الرحم، وعبر كل من المدخلين هناك حركة انتقالية للنطفة (دفق - وقوع) مما يشير إلى أن النطفة في حركة انتقالية مستمرة وإن اختلفت ديناميكية تلك النطفة (كما تشير إليه دلالات كلمات "دافق" و"خرجت" و"وقعت").

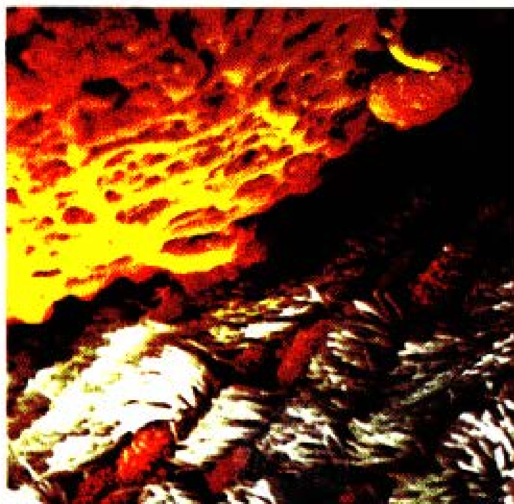
وتفصيلاً:

يتزايد ضغط الجريب الذي يحتوي على البويضة إلى درجة من الضغط تساوي 15 مليمتراً زئبقياً تنفجر عندها حويصلة البويضة وقشرة المبيض في أضعف نقطة منهما، فتقذف بالبويضة والخلايا الحامية لها والمحيطة بها وقليل من ماء الحويصلة إلى (تلافيف بوق أنبوب الرحم FIMBRIAE OF FALLOPIAN TUBE) ومن ثم إلى (قمع قناة فالوب INFUNDIBULUM OF FALLOPIAN TUBE) . . . إلخ فيتدفق الماء من جراء الضغط المتولد. كذلك مما يحفز الماء على التدفق هو أن جريب البويضة يفرز مادة تجعل أهداب بوق فالوب تسحب ماء البويضة إلى داخل البوق إلى جانب تقلص عضلات قناة الرحم الذي يُحدث هو أيضاً ضغطاً سلبياً تجاه قناة فالوب، ومن ثم تخف سرعة البويضة. ولكن ما يساعدها على مواصلة مسيرها هو أنه يوجد في قناة فالوب غابة من الشعيرات الصغيرة تموج موجاً، تدفع بالبويضة إلى الأمام[2]. (انظر الصورة رقم: 57). إضافة إلى ذلك تتجمع الحيوانات المنوية التي نجت من الوسط الحامضي للمرأة ومن سائر المعوقات حول البويضة، ويكون عددها حينئذ حوالي الخمسمائة. هذه الحيوانات تحاول - جاهدة - دخول البويضة، فتتسابق فيما بينها وتتزاحم حول حائط البويضة، فترتطم به لكي تشق لنفسها طريقاً داخل الجدار، ومن ثم ينفذ واحد فقط إلى داخل البويضة.

---

(1) كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة. هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص236.

(2) كتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص 35.



(57) - إن جدار الرحم مبطن بالشعيرات التي تدفع بالبويضة إلى الأمام، فتدور البويضة حول نفسها وتهاجر من جراء ذلك من الثلث الوحشي لقناة فالوب إلى الرحم.

ومن الجدير بالذكر أن ارتطام الحيوانات بجدار البويضة يؤدي إلى دوران النطفة[1]، فتدور النطفة حول نفسها خلال سيرها في قناة فالوب إلى الرحم[2].

---

(1) كتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص46 و57.

(2) ومن الملفت للنظر أن البويضة المخصبة تتبع حركة دائرية حول محورها خلال هجرتها من المستودع إلى الرحم. فحركة الدوران هي سنة كونية أقرها الله - سبحانه وتعالى - لسائر المخلوقات، ولعلها تسبّح به الخالق. وقد سنها الله تعالى لعباده المسلمين في دينه الحنيف (الإسلام - كما في الطواف حول الكعبة -. فالآية ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40] تتحدث عن حركة الشمس والقمر، وهي تشير إلى أن كلاً منهما يدور في فلك. والفلك خط وهمي شبه دائري تسلكه الأجرام السماوية في حركتها الدائمة في السماء. جاء في تفسير القرطبي - (ج15/ص33): «وكلٌ» يعني من الشمس والقمر والنجوم. «في فلك يسبحون» أي يجرون. وقيل يدورون». فكلمة «كل» في الآية هي للإشارة إلى أن هذه الظاهرة - ظاهرة الدوران في فلك - مطلقة، أي أنها سمة عامة ليس للشمس والقمر فحسب، بل لسائر الأجرام السماوية والمخلوقات عامة. والدليل على ذلك ما جاء في سورة التكوير=

وكذلك تدور الحيوانات المنوية حول محور النطفة متبعة حركة دائرية من جراء دوران النطفة[1]. (انظر الصورة رقم: 58). وعندما تصل البويضة المخصبة إلى نهاية قناة فالوب من جهة الرحم تتسل عبر مضيق يتوسع تلقائياً ليسمح لها أن تعبره، وبعد أن تعبر البويضة المضيق تقع داخل الرحم.

ومن شرحنا السابق فإن الصورة الإجمالية لمكان التخصيب ولما



(58) - مسح بجهاز الرسم الألكتروني يرينا كيف أن العديد من الحيوانات المنوية التصقت بجدار البويضة من جراء ارتطامها به مما يؤدي إلى دوران البويضة خلال هجرتها إلى الرحم.

* ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۞ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [illegible]. جاء في تفسير القرطبي - (ج19/ ص237) في تفسير الآية: «وفي الصحاح: الخنس: الكواكب كلها». وجاء في تفسير ابن كثير - (ج4/ ص478 - 479): «وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت خالد بن عرعرة سمعت علياً وسئل عن ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۞ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [illegible] فقال: هي النجوم تخنس/ أي تختفي/ بالنهار وتكنس بالليل... وقال بعض الأئمة: إنما قيل للنجوم الخنس أي في حال طلوعها ثم هي **جوار في فلكها** وفي حال غيبوبتها...». فتلك المخلوقات تدور في أفلاك لتسبح الله - سبحانه وتعالى - في خلقه وفقاً للآية: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [illegible]. ومن الجدير بالذكر أنها تدور بعكس عقارب الساعة وكأن الدوران عكس عقارب الساعة ركن من أركان التسبيح. فعلى سبيل المثال: تدور الأرض حول نفسها وحول الشمس عكس عقارب الساعة والذرات التي تؤلف كل شيء في الكون لها نواة (NUCLEUS)، وتدور حول هذه النواة (جزيئات ELECTRONS) صغيرة عكس عقارب الساعة أيضاً. فكل الكواكب والجزيئات تدور عكس عقارب الساعة والنطفة تدور حول نفسها عكس عقارب الساعة (كتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص107/ كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص 164)، والحيوانات المنوية تدور حول محور النطفة عكس عقارب الساعة. والمسلمون أيضاً يطوفون خلال أداء مناسك الحج حول الكعبة في الحج عكس عقارب الساعة. فبهذا المثل: مثل الدوران عكس عقارب الساعة حول نواة أثناء التسبيح - كطواف المسلمين حول الكعبة، ودوران الحيوانات المنوية حول محور النطفة، ودوران الأرض حول الشمس ودوران المجموعة الشمسية حول الثقب الأسود - يتجلى لنا تطابق النصوص الدينية الإسلامية مع نظام الكون، مما يدل على أن خالق الكون هو الذي أنزل الدين الحق الذي يتجلى فيه ناموس الكون ألا وهو الإسلام.

(1) نشير هنا إلى أن دوران النطفة لم ينتج فقط من جراء ارتطام الحيوانات المنوية بالبويضة، وإنما لوجود شعيرات تبطن مجرى قناة فالوب والتي تدفع بالبويضة إلى الأمام (كتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص35).

يحصل[1] للنطفة خارج الرحم، التي نستطيع أن نجمعها من الدلائل المستقاة من الآيات والأحاديث، والتي تشير إليها المعطيات العلمية، هي على الوجه التالي:

1 - **انتقال النطفة غير المخصبة بسرعة من مكان تحفظ فيه النطف** (أي من المستودع) إلى **مكان طويل** (بالنسبة إلى حجم البويضة) هو موضع التخصيب (أي إلى قناة فالوب).

2 - **تباطؤ سرعة** البويضة.

3 - **تخصيب البويضة**.

4 - **هجرة البويضة إلى عنق قناة الرحم (الذي يتصف بالضيق**[2] كما تشير إليه كلمة «سلالة»[3]).

5 - **مكوث النطفة المخصبة حقبة** من الزمن في موضع التخصيب.

6 - **خروجها من مكان التخصيب** إلى مكان آخر (كما تشير إليه عملية الوقوع).

7 - **وقوعها في الرحم**.

وهذا يشير إلى إعجاز معرفة الرسول ﷺ بوحي من الله تعالى إلى دقائق تركيبة الجهاز التناسلي للمرأة، وإلى أحداث تخصيب البويضة، ورحلتها عبر قناة فالوب كما أشرنا إليه سابقاً.

وقبل أن ننهي هذا المبحث نود الإشارة إلى أن الرسول ﷺ يعلم تمام العلم أن هناك العديد من الحيوانات المنوية، وأن واحداً منها فقط يلقح البويضة في نهاية المطاف. والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ: "يا يهودي من كلٍّ يُخلق: من نطفة الرجل ونطفة المرأة» [أخرجه أحمد ح20] وقوله ﷺ: «نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة فأيهما غلبت فالشبه له» [ذكره ابن هشام ح69]. فكل منهما يشير إلى أن نطفة واحدة لا غير تشارك في تلقيح البويضة مما يعني إحدى الفرضيتين: إما أن هناك نطفة واحدة في منيّ الرجل تلقح البويضة، وإما أن هناك العديد من النطف في منيّ الرجل، غير أن واحدة منها فقط تُنتخب لتلقيح البويضة. والفاصل في هذا الأمر

(1) لم نتعرض في هذا البحث للأحداث التي تجري داخل النطفة خلال هجرتها إلى الرحم. لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع الرجاء قراءة مبحث «**توقيت أحداث التخلقات في القرآن والسنة**».

(2) لمزيد من التفاصيل عن مضيق قناة فالوب انظر مبحث «**السلالة**».

(3) راجع مبحث «**النطفة**».

نصوص أخرى من القرآن والسنة توضح هذا الأمر. فإذا أخذنا بمعنى السلالة التي وردت في الآية ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: 8] - الخروج من الزحام[1] (كما رأينا في مبحث «**النطفة**») -، فهمنا أن الآية تشير إلى أن هناك العديد من النطف، وإلا لما خرج الحيوان المنوي من الزحام (وبالتالي فإن الفرضية الثانية هي الصحيحة). وبما أن نطفة واحدة فقط تشارك في تخلّق البويضة المخصبة فهذا يعني أن حيواناً منوياً واحداً - فقط لا غير - يفوز في هذا السباق، ويهرب من سائر المعوّقات، وينسل من العدد الهائل للحيوانات المنوية ليلقّح البويضة، تماماً كما تشير إليه النصوص الشرعية التي أنزلت من عند من يعلم السرّ في السماء والأرض: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: 6]



(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «سلل» - ج6/ ص 338 - 340.

الحرث

● قال جلّ وعلا: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ. . .﴾ [illegible]

● قال عزّ وجلّ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ. . .﴾ [illegible]

جاء في لسان العرب[1]: "(قال) الأزهري: الحرث قذفك الحب في الأرض لازدراع. . .".

وفي صحيح مسلم بشرح النووي[2] في تفسير الآية عن صفة الرحم: "أي موضع الزرع من المرأة وهو قُبلها. . .".

إذاً عملية الحرث المذكورة في نص القرآن الكريم تشير إلى زرع الحبة أي النطفة في قبل المرأة أي رحمها (للمزيد من التعليق على أن كلمة الحبّ تشير إلى النطفة راجع مبحث «**انفلاق النطفة والازدواجية في التركيب**»).

هذه العملية تحصل في اليوم السادس.

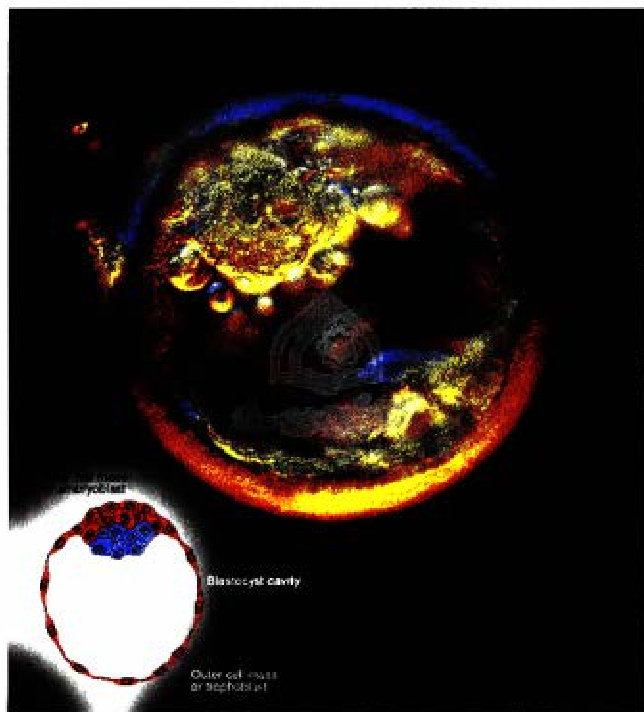
إن النطفة إذا وقعت في الرحم، إما أن يتقبلها الرحم أو يرفضها. فإذا رفضها حصل حيض وغاض الرحم من جرّاء فقدان دمائه، وإذا لم يرفضها علقت بظاهر بطانته وابتدأ طور جديد يعرف بطور الحرث.

تبدأ عملية الانغراس للنطفة في بطانة الرحم بما يشبه انغراس البذرة في التربة بواسطة خلايا تخرج منها تتعلق من خلالها في ظاهر جدار الرحم.

فالحاصل أن الخلايا التي تأتّتْ من الانقسامات المتوالية (كما رأينا في مبحث «**انفلاق النطفة**») تتمايز في بادئ الأمر إلى كتلتين من الخلايا: (كتلة خلايا خارجية OUTER CELL MASS OR THROPHOBLAST) و(كتلة خلايا داخلية INNER CELL MASS). (انظر الصورة رقم: 59).

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «حرث» - ج3/ ص 104.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب النكاح - باب جواز جماعه امرأته في قبلها من قدامها ومن ورائها من غير التعرض للدبر - رقم الحديث 117 - ج5/ ص 262.



(59) نرى في الصورة التي أخذت للبويضة وهي تسقط على سطح الرحم كيف أن مجموعة الخلايا التي تتألف منها البويضة المخصبة قد تمايزت إلى كتلتين: (كتلة خلايا داخلية Inner cell mass)، و(كتلة خلايا خارجية Outer cell mass). والرسم إلى أقصى اليسار يبين ذلك.

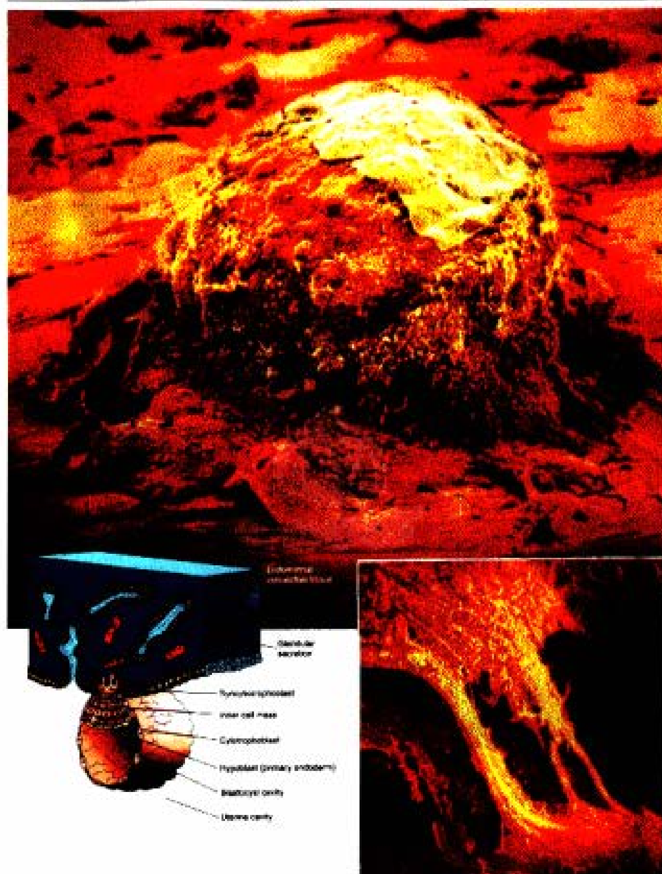
ومن ثم تتمايز كتلة الخلايا الخارجية إلى طبقتين: (كتلة مخلاوية آكلة تواجه ظاهر بطانة الرحم SYNCYTIOTROPHOBLAST) و(كتلة مخلاوية موجودة تحت الأولى CYTOTROPHOBLAST).

هذه الخلايا الآكلة تخرج من النطفة أو (الكرة الجرثومية BLASTOCYT) وتتعلق بظاهر بطانة الرحم عند القطب الجنيني [أي عند مجموعة الخلايا التي ستؤلف الجنين والتي تسمى: (كتلة الخلايا الداخلية INNER CELL MASS)]، ومن ثم تخترق هذه الأرومة السخدية ظاهر بطانة الرحم وتبدأ في الانتشار في بطانته ويكون هذا (الانغراس IMPLANTATION) انغراساً جزئياً وهو يشبه كثيراً في معناه معنى كلمة الحرث. (انظر الصورة رقم: 60).

هناك حدث يجب أن لا ننساه وهو: أنه خلال عملية الحفر يحصل في بعض الحالات نزيف دموي من جراء خروج الدم من الشرايين التي تنقطع حول مكان الحرث. وقد تظن المرأة أن الحيضة قد أتتها، ولكن الواقع أن هذه الظاهرة تأكيد لحملها. وبما أن هذا الأمر (أي نزيف الدم) قد يحصل في بعض الحالات، وقد تشك المرأة من جرائه بأنها حامل أزال الله سبحانه وتعالى هذا الشك بأن أمرها بأن تنتظر ثلاث حيضات بعد طلاق زوجها لها بقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ...﴾ [البقرة: 228]

وسنتطرق لهذا الموضوع مرة أخرى عند كلامنا عن نهاية الأسبوع الثامن (أي بعد مرحلة تخلق اللّحم) لتوضيح بقية إعجاز الآيات، لأن هذه الآيات تغطي مرحلة تمتد إلى ما بعد مرحلة عملية الحرث.





(60) - في الصورة التي أخذت للنطفة المخصبة أعلاه نرى كيف أن الأرومة السخدية ابتدأت تنتشر في كل اتجاه في بطانة الرحم. والصورة المكبرة على أدنى اليمين تظهر بوضوح هذه الأرومة. أما الرسم على أدنى اليسار فهو يوضح لنا كيف تخترق هذه الخلايا الآكلة بطانة الرحم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 223].

غيض النطفة في الرحم واستقرارها

● قال العليم الحكيم: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨].

● عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، **ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله**، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» **[أخرجه البخاري ح34]**.

● قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إن النطفة **إذا استقرت** في الرحم أحضرها الله تعالى كلَّ نسب بينها وبين آدم. أما قرأت هذه الآية في كتاب الله تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٨]؟ قال: شكَّلك» **[أخرجه الطبراني ح163]**.

● عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى إذا أراد خلق النسمة، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه في كل عرق وعصب منها، فإذا كان يوم السابع، جمعه الله تعالى، ثمّ أحضر له كل عرق له بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾» **[رواه الطبراني ح21]**.

إن الآيــة: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨] أتت بعد الآية: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، وكأنها استجابة للكفار بأن يظهر لهم رسول الله ﷺ آية تبرهن على صدق رسالته، فجاء الإخبار مباشرة عن إعجاز علمي خفي، يتحدث عن ظاهرة غيض النطفة في ظاهر بطانة الرحم.

تمتد هذه المرحلة ما بين اليوم السابع واليوم الرابع عشر.

كما رأينا في مبحث **«ازدياد الأرحام وغيضها»** فإنّ فعل غاض قد يعني:

1 - نقص من.

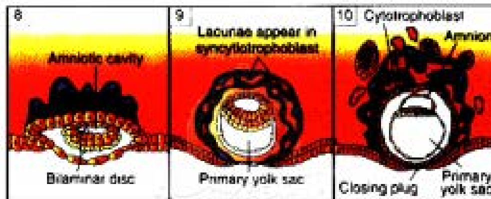
2 - دخل في.

فعل غاض بمعنى غار ذكر في سورة هود وفقاً للآية: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ . . .﴾ [هود: ٤٤].

فإذا انطبق هذا المعنى على فعل غاض أصبحت الآية تعني: الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تبلع الأرحام من حمل وما تزداد منه.

هذا المفهوم لفعل غاض يشير إلى أن شيئاً ما يدخل ويغور في الرحم، وهذا ما يحدث بالفعل، فالنطفة بعد أن تقع على سطح الرحم وتتعلق به (كما رأينا في مرحلة الحرث)، يزداد انغرازها عمقاً داخل باطن الرحم إلى أن تنغمد فيه كلياً[1] في اليومين الحادي والثاني عشر، ومن ثم ترى انغلاق مكان دخول الكرة الجرثومية إلى باطن الرحم بالسدادة النسيجية. (انظر الصورة رقم: 61).

وتعرف هذه العملية بعملية الانغراس الخلالي.



(61) - ترى في مجموعة الرسوم كيف أن البويضة تغور داخل بطانة الرحم ومن ثم تنغلق الفتحة التي تسببها (بالسدادة النسيجية Closing Plug).

يتساءل الناس لماذا يصرح الرسول - عليه الصلاة والسلام - بأنه «لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله» [أخرجه البخاري ج3] وقد توصل العلماء في عصرنا هذا إلى معرفة ما يحدث في الأرحام؟، الجواب: أن هؤلاء الناس غفلوا عن أن الرسول ﷺ استعمل كلمة «تغيض». هذه الكلمة تدل على حدوث الانطمار أو الانغراس في سطح الأرحام. فالحاصل أن معرفة الناس ستقتصر على معرفة تفاصيل مراحل تخلق الجنين ما بعد مرحلة الغيض لا قبلها، وإلا لم يكن الله ليعلن أن الناس سيكتشفون ما سيحدث في الأرحام وفقاً للآية التي ذكرناها آنفاً في مبحث «التحدي»: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: 53]. وهذا يعني أن علمهم سيكون محدوداً وفقاً لما حدده الحديث الذي أوردناه سابقاً.

(1) كتاب الآيات العجاب في رحلة الإنجاب، د. حامد أحمد حامد، ص100.

مرحلة الغيض تأتي بعد مرحلة تلقيح النطفة وانقسامها ومرحلة الحرث، وبالتالي فإن الناس لن يعلموا تفاصيل تلقيح النطفة وإلى ماذا سيؤدي. فلو علم العلماء مواصفات النطفة الملقحة بعد التلقيح لعلموا ماذا يدخل في بطانة الرحم. أما ما يجري من عمليات لتخصيب النطفة خارج الرحم، لإجراء التجارب عليها ومعرفة تكوينها، فهذه العمليات لا تندرج تحت القاعدة التي أرساها رسول الله ﷺ (ألا وهي قاعدة الانطمار والاختفاء عن الأنظار) ذلك لأنهم كسروا هذه القاعدة بإخراج النطفة من مكانها، فمتى أخرجوها استحضروها، ومتى استحضروها، فهي حاضرة لا غيب فيها. وكذلك، وللسبب نفسه، لا تندرج النطفة التي تلقح داخل الرحم تحت عملية الغيض وتلك التي تستخرج من الرحم لإجراء التجارب عليها وإعادتها ثانية إلى الرحم.

إن النطفة الملقحة التي انقسمت إلى عدة خلايا والتي تغور في الرحم لا يزيد حجمها حينئذ (أي في اليوم الثامن) عن 0,7 ملم. هذه النطفة تفقد شكلها تدريجياً وتخرج عن كونها نطفة عند انغرازها في بطانة الرّحم. فالحاصل أن مجموعة الخلايا التي تتألف منها والتي نجمت عن الانشطارات والانقسامات المتوالية التي حدثت بداخلها تتمايز في بادئ الأمر إلى مجموعتين: كتلة خلايا داخلية، وكتلة خلايا خارجية، حيث إن كتلة الخلايا الخارجية تحيط بكتلة الخلايا الداخلية من كل جانب، وهي بذلك ما زالت تحتفظ بمظهر القطرة. ولكن ما تلبث أن تتحد كتلة الخلايا الخارجية ببطانة الرّحم وتفقد النطفة عندئذ هيكلها الخارجي بالكامل، فتخرج عن كونها نطفة، وتبقى الكتلة الداخلية هي الجزء الأساسي الذي سيتألف منه الجنين. وإذا علمنا أن كتلة الخلايا الداخلية هي مجموعة هائلة من الخلايا (يقدر عددها بألفين في اليوم الثاني عشر) توجد في حيّز من المكان لا يزيد طوله في آخر يوم من مرحلة الغيض[1] عن 0,8 ملم[2] داخل بطانة الرحم، فكيف نتصور أن يكتشف ما بداخلها إذا لم تستخرج من الرحم؟[3].

---

(1) أي في اليوم الرابع عشر وهو اليوم الذي يأتي قبل بداية مرحلة الازدياد أو قبل طور الذنب مباشرة (مرحلة رقم 7 عند اختصاصيي علم الأجنة) حيث يبدأ حجم الجنين بالتطاول والظهور بشكل ملحوظ.

(2) وهو أكبر طول سيبلغه الجنين في مرحلة الغيض.

(3) نشير هنا إلى أن هناك عدة وسائل لتشخيص الحمل في رحم الأم ولمعرفة حدوث تشوهات خلقية للجنين، مثل الوسائل: PERCUTANEOUS UMBILICAL CORD, FETOSCOPY, DIAGNOSTIC AMNIOCENTESIS, ALPHA FETOPROTEIN ASSAY, AMNIOGRAPHY AND FETOGRAPHY, BLOOD SAMPLING... إلخ، غير أن هذه الوسائل لا تتيح معرفة خصائص الجنين كاملة، وقد ينتج

من الأمثلة التي تدل على أن مراحل النطفة قبل أن تغور في الرحم هي أسرار إلٰهية الأمر التالي: تنقسم النطفة الأنثوية كما أسلفنا القول إلى عدة خلايا بعد أن تلقح من قبل الحيوان المنوي، هذه الخلايا تكون متشابهة تماماً إلى أن يصبح عددها ثماني خلايا، أي إلى أن تصبح البويضة الملقحة في مرحلة ما يسمى (بالتوتة MORULA)، ومن ثم تتمايز الخلايا شيئاً فشيئاً وتستمر بالانفلاق إلى أن يقارب عددها الخمسين، عندئذ تنقسم مجموعة الخلايا (وهي مستمرة بالانفلاق) إلى جزأين: واحد سوف يؤدي إلى تخلق الجنين (ويسمى: كتلة الخلايا الداخلية)، والثاني إلى تخلق (المشيمة PLACENTA) (ويسمى: كتلة الخلايا الخارجية). ومن ثم تتمايز كتلة الخلايا الداخلية (التي ستؤلف الجنين فيما بعد) إلى ثلاث طبقات من الخلايا: أ - الطبقة الخارجية وتدعى: الأكتودرم، ب - الطبقة المتوسطة وتدعى: الميزودرم، ج - الطبقة الداخلية وتدعى: الأنتودرم. أما كيف تعلم كل خلية إلى أي فريق تنضم إلى كتلة الخلايا الداخلية أم إلى كتلة الخلايا الخارجية؟ إلى طبقة الأكتودرم أم إلى طبقة الميزودرم أم إلى طبقة الأنتودرم؟ وأي عضو ستساهم في تخليقه؟، فهذا الأمر ما زال مبهماً إلى الآن. يقول الدكتور لارس هامبرغر شاهداً على هذه المسائل: «إن هذا هو أحد أسرار الحياة الذي ما زال يحيّرنا، وهو محط أبحاث علمية واسعة»[1] [2].

= عنها بعض المضاعفات المؤذية للجنين. كما أن الأطباء لا يستطيعون إجراءها إلا بعد مرحلة متأخرة عن مرحلة التلقيح. ومن أفضل الوسائل لتشخيص الحمل ما يسمى بوسيلة (أخذ عينة من خملات المشيمة CHORIONIC VILLUS SAMPLING) (كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 120 - 123) حيث يأخذ عينة من (خملات المشيمة CHORIONIC VILLY) التي لها نفس التركيبة الوراثية للجنين، وتتم دراستها. ومع ذلك فهناك احتمال أن تكون تركيبة الخلية الوراثية للعينة المأخوذة مختلفة عن تركيبة الجنين الوراثية (كتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص 188). وبالتالي فقد تعطي هذه الوسيلة معلومات خاطئة، إضافة إلى أنها تعتمد على إخراج عينة من مشيمة الجنين من الرحم. وهذا يعني أن قاعدة الغيض التي تحدثنا عنها في هذا المبحث قد اخترقت، وكذلك فهي لا تجري إلا بعد مضي سبعة أسابيع على الحمل، أي بعد تسعة وأربعين يوماً. وهذه الفترة تتخطى فترة الغيض التي يسنبها الحديث الشريف: «ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله» أخرجه البخاري ج13، وهي فترة الأيام الأربعة عشر الأولى من الحمل.

وعلى كل حال، حتى ولو تطور الطب واستطاع الأطباء أن يأخذوا عينة من خملات المشيمة في وقت باكر من الحمل، فلن يستطيعوا أن يأخذوها قبل مضي ثلاثة إلى أربعة عشر يوماً من مرحلة التلقيح، أي في فترة الغيض، وذلك لأن خملات المشيمة لا تتخلق قبل هذا الوقت (لمزيد من التفاصيل: كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 50 - 52).

(1) كتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص66. وانظر كتاب علم الأجنة الإنساني، ص196.

(2) نتوقف هنا عند النصوص الشرعية الثلاثة، لكي نستنبط أبعاد دلالاتها وفق القواعد اللغوية. والنصوص=

. . . .

الثلاث هي:

= 1 - قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان 34].

2 - قال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد 8].

3 - الحديث الشريف: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» [أخرجه البخاري ح134].

وإذا أردنا أن نفهم إلى ما ترمي إليه النصوص الشرعية من غيض وازدياد وحمل، فعلينا أن نلقي الضوء إلى وظائف «ما»، ونتقيد بوظائفها، وبصياغة النصوص، ومعاني الكلمات التي وردت فيها.

فمن وظائف كلمة «ما» أن تكون اسماً موصولاً، أو أن تكون مصدرية.

فإذا كانت مصدرية: فهي تصيّر الفعل الذي بعدها في تأويل المصدر (رصف المباني في شرح حروف المعاني، للمالقي، تحقيق أحمد خراط، ط2، دار القلم، دمشق، 1405 هجرية، ص 265).

كما أن دلالتها لا تخلو من إبهام (انظر «نتائج الفكر» للسهيلي، تحقيق محمد إبراهيم البنا، طبعة الرياض، ص141).

أما إذا كانت اسماً موصولاً: فمن استعمالاتها أنها ترد لغير العاقل أو لصفات (العالم أو العاقل)، وللمبهم أمره، أي المجهول ماهيته وحقيقته (ولهذا يقال لحقيقة الشيء ماهيته، وهي منسوبة إلى «ما»، وعلى هذا معنى ماهية الشيء نسبة إلى «ما») (انظر «شرح الرضي» للرضي - القسم 2 - المجلد 1 - ص259 - 260). وقد ذكر بعض العلماء أنها اسم مبهم في غاية الإبهام (البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج4/ ص398).

وتفيد «ما» العموم إذا كانت معرفة نحو: هات ما رأيت (البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي، ج3/ ص 62). (وهي ها هنا معرفة بكونها تدل على ما في الأرحام)، وقد ذكرها الزركشي أيضاً في «صيغ العموم» (طبعة مصر، تحقيق د. عمر سليمان الأشقر، ص83)، وأنها من الأسماء المبهمة التي تقتضي العموم.

وهي اسم للواحد والجمع والمؤنث على حدٍّ واحد («مفردات ألفاظ القرآن» للراغب، ص 784، وانظر «البرهان في علوم القرآن» للزركشي، ج4/ ص398).

فإذا ارتكزنا على تلك الوظائف انضبط تفسيرنا للنصوص الشرعية، وتبين لنا المراد من الدلالات.

فإذا اعتبرنا أنها اسم موصول: فهمنا أن الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان 34] تشير إلى عموم الحمل: من ذكر أو أنثى، من سوي أو غير سوي، من حمل لجنين واحد، أو اثنين، أو أكثر.

كذلك فهمنا أنها تشير إلى الحمل غير العاقل (كما أشرنا إليه سابقاً)، أو العاقل وغير العاقل سواء، ولكن ليس للعاقل فقط. =

. . . .

= والدليل أنها تشير إلى غير العاقل أقوال علماء اللغة كما رأينا سابقاً. أما الدليل على أنها تشير إلى العاقل وغير العاقل فهو الآيات القرآنية نفسها كما في: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: 97]. فـ«ما» في السموات والأرض عاقل وغير عاقل. وأما الدليل أنها لا تستعمل للعاقل فهو أن كلمة «من» تستعمل في هذه الحالة بدلاً عنها.

وبالفعل فإن الحمل يكون في البداية غير عاقل، وذلك قبل نفخ الروح فيه. ومن ثم يصبح عاقلاً بعد نفخ الروح فيه، فيناسب بذلك أن تأتي «ما» في الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: 34].

أما بالنسبة للآية: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: 8]، ففي حالة كون «ما» اسماً موصولاً أصبح معناها: الله يعلم ما تحمل كل أنثى، وما يغيض في الأرحام من حمل، وما يزداد منه.

في هذه الحالة نفهم أن الحمل في مرحلة الغيض يكون غير عاقل، لأن الروح لم تنفخ فيه، أما في مرحلة الازدياد فيكون في بداية الأمر غير عاقل، ومن ثم يصبح عاقلاً، وذلك أن مرحلة الازدياد تبدأ من اليوم الثالث أو الرابع عشر، والجنين لم ينفخ فيه الروح بعد، ولا ينفخ فيه الروح إلا بعد اليوم الأربعين. وطيلة هذه الفترة - التي تمتد من اليوم الثالث عشر إلى اليوم الأربعين - لا ينفخ في الجنين روح، وبالتالي فإن هذه الفترة لا تحتوي على جنين عاقل. على خلاف مرحلة الغيض التي لا يمكن أن تحتوي إلا الحمل «غير العاقل»، لذلك غلبت هذه الصيغة على صيغة العاقل، حيث إن دلالة «غير العاقل» بصيغة «ما» تستعمل للدلالة على العاقل وغير العاقل في آن واحد، حتى تشمل المرحلتين.

أضف إلى ذلك أن «ما» تشير إلى الحمل المجهول ماهيته وحقيقته. والذي يفصل أمر الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: 34] هو الآية: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: 8]. فصياغة هذه الآية تلقي الضوء على أحوال الحمل في مختلف مراحله المتعددة وذلك من خلال الأفعال التي جاء ذكرها فيها. فالحمل يكون مجهول الماهية في بادئ الأمر جد الجهل وفقاً لمعنى كلمة «غاض»: اختفى، نقص... التي وردت في الآية. وهذا الجهل في الماهية يكون مطلقاً بالنسبة للبشر باعتبار الحديث الشريف: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» [أخرجه البخاري ح34]. فالكلمة الاستثنائية «إلا» قطعت كل معرفة وقصرتها على الله تعالى. ففي هذه النصوص الشرعية جاء استعمال «ما» التي تدل على المبهم، وجاء فعل «غاض» الذي يشير إلى الاختفاء، ووردت الكلمة الاستثنائية «إلا» لكي يصبح الأمر واضحاً أن ماهية الحمل لا يعلمها إلا الله تعالى. وبالفعل فالحمل يكون في بدايته عبارة عن نطفة جد صغيرة لا تلبث أن تنقسم إلى عدة خلايا لا يعلم أحد من العلماء إلى الآن إلى ما ستتميز، وماذا ستخلق من أعضاء. وهذه الوظيفة في أداء معنى غاية الإبهام لا تعبر عنه إلا «ما». =

. . . .

= وتماشياً مع وظيفة «ما» فالحمل يكون مجهولاً لغالب الناس في مرحلة الازدياد، إلا المختصين والعلماء في هذا المجال. ولا يصح أن يستدل أن الجهل مطلق لعدم مجيء حرف الاستثناء «إلا» في مرحلة الازدياد، ولأن معنى كلمة «ازداد» لا يحتمل الجهل.

وهكذا قصر الله تعالى اختصاصه بالعلم لما في الأرحام لمرحلة الغيض دون مرحلة الازدياد، عبر استعمال اسم الوصل «ما» – الذي يدل على المبهم – واستثنى أن يكون العلم بالازدياد لاختصاصه فقط، ولم ينفه عن عباده.

فبفضل هذه الصياغة شملت النصوص الشرعية الحمل في مختلف صوره من ذكر أو أنثى، من فرد أو جمع، وألقت الضوء على الإبهام الذي يحيط به، وأحواله من عاقل وغير عاقل.

وقد تكون «ما» استفهامية، لأنها إذا وقعت بين فعلين، سبقهما علم أو دراية أو نظر، جاز فيها الخبر بكونها اسماً موصولاً كما تقدم، وجاز فيها الاستفهام (انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج1/ ص177).

ونلحظ في آية سورة الرعد، وفي الحديث الشريف أنها وقعت كذلك.

والأمر في معناها لا يختلف كثيراً عن معنى «ما» الموصولة، فهي تدل على العموم، وعلى ماهية الشيء وحقيقته.

قال الزركشي: «ويسأل بها أعيان ما لا يعقل وأجناسه وصفاته، وعن أجناس العقلاء وأنواعهم وصفاتهم» (البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج4، ص 402).

أما إذا كانت «ما» مصدرية فيصبح المعنى: الله يعلم غيض الأرحام وازديادها، في إشارة إلى محتوى الرحم من مختلف الأعضاء من دم، وغشاء، وغدد رحمية... إلخ.

وكما تمليه علينا وظيفتها، فهي لا تخلو من إبهام. ويتمثل الإبهام في الغيض: أنه يكون لمختلف أعضاء الرحم بدون تحديد من غشاء ودماء وغير ذلك. كما أن الإبهام يكون في أن الغيض والازدياد يكونان في صورة ديناميكية. فالغيض لا يحصل دفعة واحدة، ولا يبرز بجلاء في بداية الأمر، وإنما يكون تدريجياً، وتنزف الدماء بكميات مختلفة، وتتقطع أعضاء الرحم على مراحل، ويكتمل معنى الغيض في المآل. كذلك فالازدياد يتم تدريجياً، ويظهر فيه جهاز معقد من الأوردة.. (انظر كتاب «الإنسان النامي» للدكتور كيث مور، ص31).

وبفضل استعمال «ما» نستطيع أن نصرف الغيض إلى وجهين: إلى النطفة في الرحم، أو إلى غيض الرحم بالدماء والغدد الرحمية... إلخ. ولو استعمل حرف «من» بدلاً من حرف «ما» لما استطعنا أن نصرف معنى الآية للرحم نفسه ولمكوناته، لأن حرف «من» لا يدل على غير العاقل، ولا يكون للمصدر، ولما كانت الآية تشير إلى الكثير والقليل، والمعتبر والممتهن. فلو جاءت الصيغة بحرف «من» لما شملت الحمل في أي صورة كان، وذلك أن الحرف «من» لا يستعمل للممتهن. فالجنين يكون نطفة ممتهنة صغيرة، غير معتبرة في بادئ الأمر، لا يكترث إليها الوالدين كما تشير إليه الآيتان: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1] و﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: 20]. ومن ثم يكبر ويصبح معتبراً، ويعطيه الوالدان كامل الاهتمام كما في الآية: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 189]. =

غيض النطفة في الرحم يرافقه انتشار واسع (للخلايا الآكلة SYNCYTIOTROPHOBLAST) (للكتلة الخارجية THROPHOBLAST) في ظاهر بطانة الرحم، مما يساعدها على الاستقرار فيه: فهي من جهة محاطة من كل الجهات بجدار الرحم، ومن جهة أخرى تداخلت خلاياها بالأوعية الدموية التابعة لهذا الرحم. لذلك كانت مرحلة الغيض مرحلة استقرار للنطفة. وقد أشير إلى هذا الاستقرار في الحديث الشريف: «إن النطفة **إذا استقرت** في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم» [أخرجه الطبراني ح63]. (انظر الصورة رقم: 62).

خلال هذه المرحلة تتميز مجموعة (الكتلة الداخلية INNER CELL MASS) إلى طبقتين: (طبقة خلايا داخلية، وطبقة خلايا خارجية HYPOBLAST & EPIBLAST). كما أن الأرومة الغازية تتصل في هذه الفترة بأوعية بطانة الرحم.

أما عن معنى الازدياد الوارد في الآية ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ . . .﴾ [الرعد: 8]، والذي يأتي بعد مرحلة الغيض، فهو الزيادة الواضحة في حجم النطفة بعد أن تغيض في بطانة الرحم، والزيادة في حجم ووزن الجنين بعدما تتحول النطفة إلى أنبوب عصبي (فعلقة، فمضغة. . .إلخ) كما سنرى في النصوص التي ستأتي في المباحث اللاحقة.

وحديث «إن **النطفة** إذا استقرت في الرحم **أحضرها** الله تعالى كلّ نسب بينها وبين آدم» [أخرجه الطبراني ح63] يتكلم عن النطفة المخصبة، لأن النطفة غير المخصبة لا سبيل لها أن تتخلق (حيث إن عدد أعضائها غير مكتمل لعدم تخصيبها من قبل

= ولذلك وجب أن تأتي الآية باستعمال حرف «ما»، ولعدمنا معنى الإبهام الذي تدل عليه «ما» دون «من».

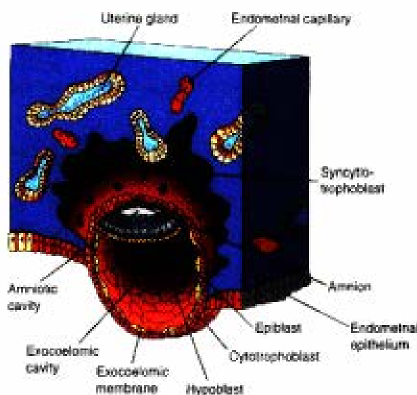
ومن الجدير بالذكر أن فعل الغيض، كما تشير إليه «ما» بمعنييها (مصدرية وموصولة)، لم يكن معروفاً قبل عهد الوحي، حيث إن الإنسان آنذاك لم يكن على دراية أن النطفة تغور في ظاهر بطانة الرحم، وجاء الوحي ليكشف اللثام عن فعل الغيض، لا عن صفة الغائض، فيبرز ما سيكتشف في المستقبل، ويخفي ما لم يستطع البشر أن يحيطوا به توافقاً مع وظيفة «ما». وهذا إذا ما دلّ على شيء، فهو يدل على إعجاز بياني يضاف إلى الإعجاز العلمي، وهو كذلك إعجاز إخباري. فتأمل أيها القارئ!.

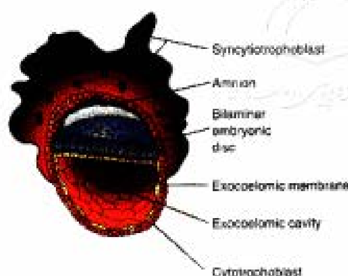
وفي النهاية نقول إن الحكمة من استعمال «ما» في النصوص الشرعية تتلخص بأنها:

1 - تعدّد دلالات النصوص الشرعية (من عاقل وغير عاقل، وكثير وقليل. . .)، وتتوافق مع أبعاد النصوص الشرعية في كل الأحوال.

2 - تصرف معنى الغيض في أكثر من اتجاه (إما للحمل، وإما للرحم).

3 - تغلّب بعض الدلالات مثل دلالة غير العاقل عندما يحتاج إليه الموقف.





(62) - نرى كيف أن (كتلة الخلايا الخارجية **(Syncytiotrophoblast** تنتشر في بطانة الرحم، فتستقر بذلك فيه لتحقق معنى الاستقرار الذي جاء في الحديث الذي رواه الطبراني رقم 63.

الحيوان المنوي)، ولا أن تستقر في الرّحم (حيث إن الاستقرار يتطلب تخلُّق كتلة مخلاوية آكلة تمكّن النطفة من التعلّق بظاهر بطانة الرحم)، ولا أن يحضر الله لها نسبها (كما سنراه في طور «القذف»).

فإذا قارنّا بين الحديثين: الحديث السابق رقم 63، والحديث «إن الله تعالى إذا أراد خلق النسمة، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه في كل عرق وعصب منها، فإذا كان يوم السابع، جمعه الله تعالى، ثمّ أحضر له كل عرق له بينه وبين آدم» [أخرجه الطبراني ح21] استنتجنا أن الحديث الثاني يتحدث هو أيضاً عن **النطفة المخصبة**.

وذلك أن كِلا الحديثين يتكلم عن نفس العملية - عملية **الإحضار** - وقد ورد في الحديث الأول لفظ النطفة.

كذلك فإن الحديث الثاني تدور وقائعه في مرحلة **الاستقرار**؛ وذلك أن كلاً من الحديثين يتكلم عن نفس العملية - عملية **الإحضار** - وقد جاء ذكر الاستقرار في الحديث الأول.

وجمعاً بين التفاسير السابقة نفهم أن وقائع كل من الحديثين: رقم 63، ورقم 21، تدور **حول استقرار النطفة المخصبة** في الرَّحم.

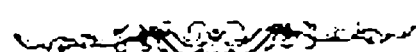
واستقرار النطفة المخصبة يحدث عند - أو قبل بقليل من - عملية الإحضار وفقاً للحديث الأول "إذا **استقرت** في الرحم **أحضرها** الله. . ." لأن معنى الحديث هو كالتالي: عندما يحين استقرار النطفة يحضرها الله. . .، وعملية جمع الجنين أيضاً تحدث مباشرة قبل عملية الإحضار حسبما جاء في الحديث الثاني "فإذا كان يوم **السابع، جمعه** الله تعالى، ثمّ **أحضر** له كل عِرْق"، وبالتالي فإن عملية الاستقرار **تحصل** في نفس الفترة الزمنية التي تحصل فيها عملية الجمع (وسوف نتحدث عن عملية الجمع في مبحث «**جمع خلايا الجنين**»). وبما أن عملية الجمع تبدأ بعد اليوم السابع فهذا يعني أن عملية الاستقرار تبدأ هي أيضاً في حوالي اليوم السابع من خلال غيض النطفة في الرَّحم حسب المعطيات الشرعية، وكما أقره العلم تماماً.

وإنه لمن الإعجاز حقاً أن يبيِّن الرسول ﷺ بدقة وقت استقرار النطفة في الرحم[1]! نظراً إلى المدة الطويلة التي يستغرقها الحمل (تسعة أشهر)، ونظراً لكثرة

---

(1) والحديث رقم 63 ضعيف جدًا (راجع «**قسم تخريج الأحاديث وصلتها بالإعجاز العلمي**»). فلا يجب نسبته للرسول ﷺ (راجع مبحث «**تعريف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والأسس التي يرتكز عليها**»)، وإن أوردناه هنا فذلك بغية التفسير لأنه واضح الدلالة، ونستعاض عنه بالحديث رقم 33. فلفظ الاستقرار وارد فيه، ومعنى التخلق (أي التركيب) (الذي يستوجب معنى الإحضار) كذلك، وهو «النطفة إذا استقرت في الرحم جاءها ملك، فأخذها بكفه فقال: أي رب: مخلقة أم غير مخلقة؟، فإن قال: غير مخلقة، لم تكن نسمة، وقذفتها الأرحام دماً» (أخرجه ابن أبي حاتم 66). **وقد نحتاج أحياناً للاستئناس بالأحاديث الضعيفة جداً لتفسير أحاديث أخرى، ولبيان بعض أبعادها المتخفية، ولكن ضمن شروط مثل: أن تتعدد الأحاديث حول الموضوع الواحد، وأن نجد بينها أحاديث مقبولة الإسناد تشير إلى نفس المعنى، بحيث تؤلف مجموعة - لا ريب - صحيحة. في هذه الحالة يذكر الحديث الضعيف مع بيان ضعفه (حتى لا ينسب للنبي ﷺ)، خصوصاً إذا تناول حقائق علمية غيبية في غاية الدقة غير مألوفة لدى العلماء إبان التنزيل وقبله، ولا مجال لإدراكها من قبل العلماء إلا بوسائل ذات تقنية عالية. وهذا الكلام ينطبق على كل الأحاديث الضعيفة جداً التي أوردناها في هذا البحث والتي تنضبط بهذه الشروط. وقد أشرنا في «قسم تخريج الأحاديث وصلتها بالإعجاز العلمي» إلى الأحاديث التي لها نفس المعاني حتى يتسنى للقارئ أن يقابل بعضها ببعض.**

الأحداث المختلفة التي تتلاحق في هذه الفترة. وإنه لمن المدهش أن يشير إلى أنه ابتداءً من هذا التاريخ تحدث عمليتان في نفس الوقت: «استقرار النطفة»، و«جمع الجنين»! وهذا يدلّ على أن علمه محيط بكل جوانب وتفاصيل الأحداث التي تحصل للنطفة سواء أكانت تفاصيل خارجية (كاستقرار النطفة)، أو داخلية (كجمع الجنين)، وأنه يعلم تماماً التاريخ الذي تحصل فيه هذه الأحداث، وهذا لا يكون إلا بمدد من الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة من علم في السموات أو في الأرض تأكيداً لما جاء في الآيــة: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: 61].



ملخص المعلومات عن النطف

بعد أن اطلعنا على معظم الآيات والأحاديث التي تتكلم عن النطف، لا بد من مراجعة مجمل المعلومات التي وردت في هذا المضمار لكي نتيّقن أنه من المستحيل أن يتكلم القرآن الكريم والرسول ﷺ عن هذه الكمية من المعلومات الدقيقة بطريق الصدفة، ولا يمكن إلا أن تكون وحياً من الذي خلق الإنسان، وأنار رحلة الإنجاب.

إن مجموع الصفات والمعلومات التي نصت عليها الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة هي:

بخصوص البويضة:

1 - تخلق النطف في مرحلة مبكرة جداً.

2 - اختزان البويضة في مستودع. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**مستودع النطف**»).

3 - صغر حجم البويضة كالقطرة من الماء الذاتية. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**النطفة**»).

4 - تدفق ماء البويضة وقوة الدفع الذاتية لها. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**الماء**»).

5 - انتزاع البويضة من الجريب وإخراجها منه في رفق. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**النطفة**»).

6 - المظهر الرقيق وقلة الكثافة. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**النطفة**»).

7 - اللون الأصفر. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**الماء والمني**»).

8 - الإخصاب. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**نطفة الأمشاج**»).

9 - السير السريع أو الدفق. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**النطفة**»).

10 - الخروج من الزحام. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**النطفة**»).

11 - البويضة أكبر من الحيوان المنوي. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**اختلاط عروق النطفة**»).

12 - احتواء البويضة على صبغيات. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**اختلاط عروق النطفة**» ومبحث «**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة**»).

13 - تقدير النطفة لبنية الإنسان. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة**»).

وبخصوص الحيوان المنوي:

1 - تخلق النطف في مرحلة مبكرة جداً.

2 - اختزان الحيوان المنوي في مستودع. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**مستودع النطف**»).

3 - صغر حجم الحيوان المنوي كالقطرة من الماء. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**النطفة**»).

4 - تدفق المني وقوة الدفع الذاتية للحيوان المنوي. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**الماء والمني**»).

5 - انتزاع الحيوان المنوي من المني، وإخراجه منه في رفق. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**النطفة**»).

6 - شدة كثافة الحيوان المنوي. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**النطفة**»).

7 - اللون الأبيض للمني (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**الماء والمني**»).

8 - مظهر ووظيفة السمكة الطويلة. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**النطفة**»).

9 - الخروج من زحام وكثرة عدد الحيوانات المنوية. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**النطفة**»).

10 - عبور مضيق الرحم. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**النطفة**»).

11 - السير السريع. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**النطفة**»).

12 - وظيفة التلقيح. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**نطفة الأمشاج**»).

13 - احتواء الحيوان المنوي على صبغيات. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**اختلاط عروق النطفة**» ومبحث «**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة**»).

14 - تقدير النطفة لبنية الإنسان. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة**»).

15 - الحيوان المنوي أصغر من البويضة. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**اختلاط عروق النطفة**»).

16 - سبب إذكار وإيناث الجنين. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة**»).

وبخصوص البويضة الملقحة:

1 - خلق البويضة الملقحة من النطفة الأنثوية والذكرية. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**نطفة الأمشاج**»).

2 - تلقيح البويضة خارج مكان الرحم. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**مكان مستودع النطف وموقع الإخصاب**»).

3 - اضطراب صبغيات النطفة الملقحة. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**اضطراب عروق النطفة**»).

4 - تداخل صبغيات البويضة الملقحة. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**اختلاط عروق النطفة**»).

5 - إحضار الشبه والنسب من البويضة الملقحة. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**اضطراب عروق النطفة**» ومبحث «**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة**»).

6 - انفلاق البويضة الملقحة. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**انفلاق النطفة والازدواجية في التركيب**» ومبحث «**جمع خلايا الجنين**»).

7 - خاصية الانسياب. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**اختلاط عروق النطفة**»).

8 - خروج البويضة الملقحة من مضيق. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**النطفة**»).

9 - وقوع البويضة الملقحة في الرحم. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**وقوع النطفة في الرحم**»).

10 - استضافة البويضة الملقحة، وحماية نُمُوّها. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**القرار المكين**»).

11 - انغراس البويضة الملقحة في الرحم. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**الحرث**»).

12 - إجهاض البويضة الملقحة. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**الإجهاض المبكر**»).

13 - غيض البويضة الملقحة في الرحم. (لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**غيض النطفة في الرحم**»).

من المدهش حقاً أن تحتوي الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة على معانٍ كثيرة تصف لنا نطف المرأة والرجل بشكل دقيق وكأننا ننظر إليها!!!. إن هذه الآيات لا بد أن تكون أنزلت من لدن رب العالمين، ولا يمكن أن يكون المخبر بها وهو الرسول ﷺ إلا نبياً صادقاً يوحى إليه من الله تعالى.



جمع خلايا الجنين

● عن مالك بن الحويرث أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى إذا أراد خلق النسمة، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه في كل عرق وعصب منها، **فإذا كان يوم السابع، جمعه الله تعالى**، ثم أحضر له كل عرق بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ [الانفطار: 8]» [رواه الطبراني ح21].

● قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم. أما قرأت هذه الآية في كتاب الله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾؟ قال: شكلك» [أخرجه الطبراني ح63].

تقع فترة جمع خلايا الجنين في فترة مرحلة الغيض، ولكننا وضعنا شرحها في نص منفصل نظرا لأهمية الحدث وقوة الإعجاز.

تحدثنا في النص السابق عن المرحلة التي يتكلم عنها هذا الحديث، وبينا أنها مرحلة غيض النطفة في ظاهر بطانة الرحم. وبينا أيضا أن عملية الاستقرار التي ترافق هذه المرحلة تخص نطفة الأمشاج أو ما يسمى (بالكرة الجرثومية BLASTOCYT).

وكما بنص الحديث رقم 21 هناك عملية جمع تحصل خلال هذه المرحلة.

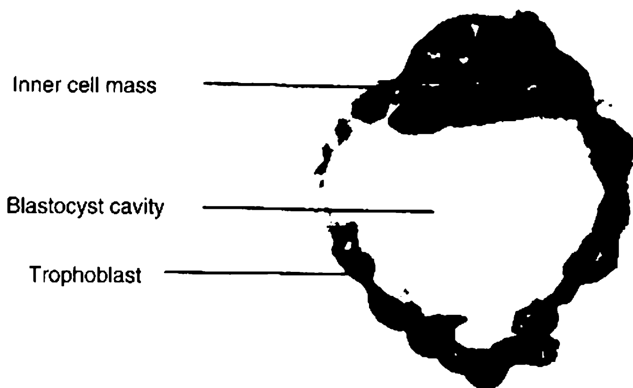
جاء في مقاييس اللغة: «جمع: الجيم والميم والعين أصلٌ واحد، يدلُّ على **تضامّ** الشيء»[1].

فإذا كانت النطفة هي المعنية - كما نلاحظ من خلال الحديث رقم 63 - وقد أتت في صيغة المفرد، فكيف يحصل لها عملية جمع إذا؟ والحاصل أن عملية الجمع تستوجب عدة أفراد ليحصل فعل الانضمام.

فالحاصل أن هذه النطفة - نطفة الأمشاج - انقسمت إلى عدة أجزاء من جراء الانفلاقات التي توالت عليها (كما رأينا سابقا في مبحث «**انفلاق النطفة والازدواجية في التركيب**») وأصبحت في نهاية الأمر - عند وقوعها واستقرارها في الرحم - كتلة من الخلايا: كتلة خلايا خارجية، وكتلة خلايا داخلية. (انظر الصورة رقم: 63).

---

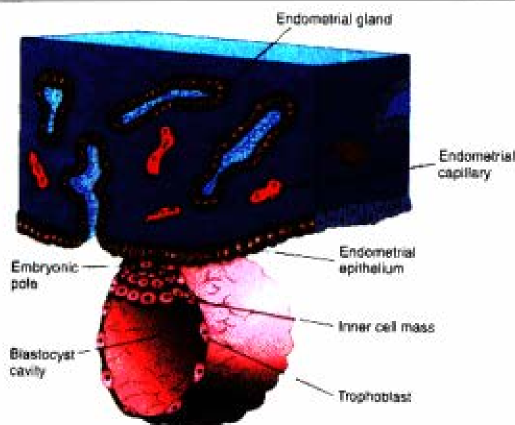
(1) مقاييس اللغة لابن فارس - (ج1/ ص479).



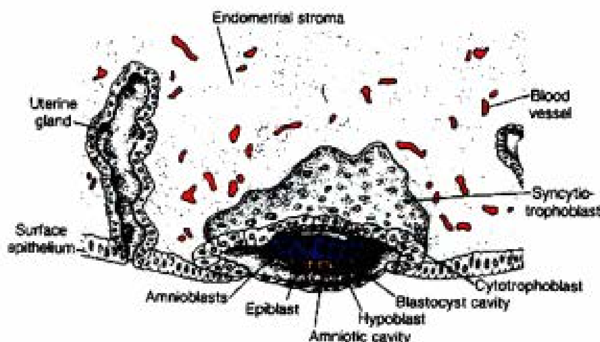
(63) - مسح بجهاز الرسم الألكتروني لنطفة في اليوم الرابع والنصف
تظهر فيه الكتلتين: الداخلية، والخارجية.

تلك الكتل تكون متصلة بعضها ببعض عند قطب من الأقطاب يسمى: القطب الجنيني (انظر الصورة رقم: 64) ولكن ما تلبث أن تتمايز، فتنفصل كتلة الخلايا الداخلية عن كتلة الخلايا الخارجية في الجزء الوسط منها، وينشأ فيما بينها فراغ يسمى (بالفراغ الأمنيوني AMNIOTIC CAVITY) (انظر الصورة رقم: 65)، بيد أن أطراف تلك الكتل تظل متصلة بعضها مع بعض. (انظر الصورة رقم: 66). عندئذ يطرأ على الخلايا الداخلية تغيُّرات تؤدي إلى تشكلها على هيئة قرص مسطح دائري يسمى: (القرص الجنيني EMBRIONIC DISC)، حيث إن هذا القرص يظل متصلاً بالخلايا الخارجية عند أطرافه، ومن ثم تنفصل تلك الأطراف عن كتلة الخلايا الخارجية **فتنضم** خلايا الجنين بعضها على بعض ضمن هذا القرص المحدد في اليوم الثالث عشر، ومن ثم يبدو مستقلاً تماماً في اليوم الرابع عشر. (انظر الصورة رقم: 67).

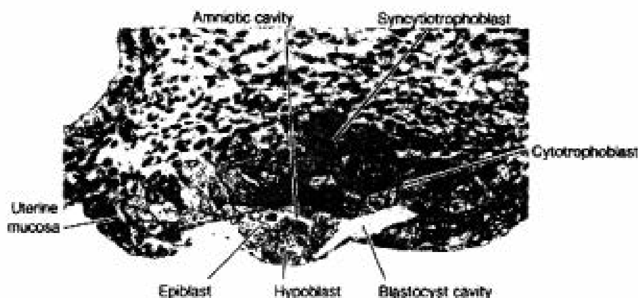
وهكذا يبتدئ **جمع** الجنين في اليوم **السابع** كما يشير إليه الحديث الشريف: "... فإذا كان يوم السابع جمعه الله تعالى..." [رواه الطبراني ج121]، وينتهي في اليوم الثالث إلى الرابع عشر.



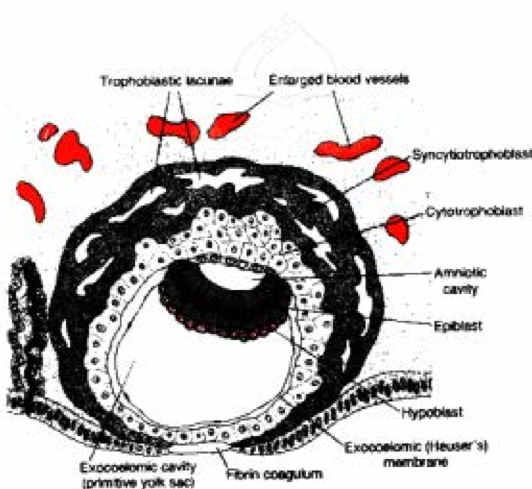
(64) - رسم يظهر مقطعا لنطفة في اليوم السادس. وتظهر (كتلة الخلايا الداخلية Inner cell mass)، و(كتلة الخلايا الخارجية Trophoblast)، حيث إنهما متصلتان عند (القطب الجنيني Embryonic pole).



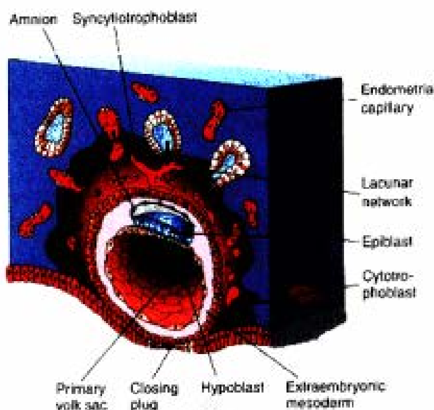
(A – 65) - رسم طبق صورة يظهر كيف أن كتلة الخلايا الداخلية انفصلت عن كتلة الخلايا الخارجية عبر شق ظهر عند القطب الجنيني يسمى (بالفراغ الأمنيوني Amniotic Cavity).



(B - 65) - مقطع لنطفة في اليوم السابع والنصف يظهر فيه «الشق»



(66) - رسم يظهر مقطعا لقرص جنيني في اليوم التاسع يبين كيف أن الشق الذي فصل الكتلة الداخلية عن الكتلة الخارجية كبر حجمه، بينما ظلت أطراف القرص الجنيني متصلة بالكتلة الخارجية. في هذا الحين ظهر (غشاء كيس المح Exocoelomic membrane) الذي سوف يفصل أطراف القرص الجنيني عن الكتلة الخارجية.



(67) - رسم لجنين في اليوم العاشر يظهر كيف أن غشاء كيس المح تطور ليصبح طبقة رخوة من النسيج تحيط بالكتلة الداخلية وبالفراغ الأمنيوني وبكيس المح. وتنفصل الكتلة الداخلية نهائياً عن كتلة الخلايا الخارجية. فيجمع الجنين ضمن قرص جنيني كما يشير إليه الحديث: «فإذا كان يوم السابع جمعه الله» [رواه الطبراني ح21].

قبل أن ننتقل إلى النص الآتي نود الإشارة إلى الإعجاز العلمي المستتر في هذا الحديث، ومضمونه: أن عملية الجمع تستوجب أن تكون أفراد العملية هذه متفرقة وفقاً لما جاء في الحديث «... فإذا كان يوم السابع **جمعه** الله...»، وهذا يشير بالتالي إلى الانفلاقات التي تحصل للنطفة قبل هذه المرحلة، وإلا لما حصل جمع للخلايا!!!.

وهكذا يكون الحديث إشارة إلى أن جسم الإنسان تكون من الخلايا. وهذا مفهوم في بالغ الأهمية، يعتبر من أساس العلم الحيوي الحديث، وقد اكتشفه العالمان شيلدن وشوان عام 1839م كما سبق أن ذكرنا في مبحث **«ثقافة العالم القديم والحديث في علم الأجنة»**، أي بعد حوالي ألف ومائتي سنة تقريبا!!!.

تذكير بالمراحل الماضية للنطفة

بعد أن عرفنا أن النطف تأتي من الرجل والمرأة على حدّ سواء، وأنها تنصهر فتؤلف ما يسمى بنطفة الأمشاج، ننتقل إلى مراحل تخلّق الجنين في الرحم.

نشير هنا إلى أن الله سبحانه وتعالى وصف لنا تلك المراحل بآية - آية رقم 14 من سورة المؤمنون - وقد احتاج العلم لمدة 2400 سنة ليكتشفها (ابتداءً من عهد اليونانيين - عهد استعمال المنطق -) إلى عهد قريب، وسنتناول كل مرحلة على حدها، مؤيدة بكلام الله - سبحانه وتعالى - المتعلق بهذه المرحلة وبأحاديث أخرى.

قال الله العليم الحكيم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: 12-14].

وقبل أن ننتقل إلى مرحلة «**العلقة**» - التي تلي مرحلة «**غيض النطفة واستقرارها**» السابقة - نود أن نشير إلى أننا استكملنا التعليق على المراحل التي سبقت مرحلة «**العلقة**» والتي وردت في الآية التي سبق ذكرها. وسنستعرضها الآن بشكل سريع حرصاً منّا على أن لا نترك أي جزء من المقطع القرآني غير واضح أو مبهم.

● قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: 12]

راجع مبحث «**بدء الخلق**» للتعليق.

ما يضاف إلى التفسير السابق هو أن النطفة تتخلّق في جسم الإنسان، وبما أن أصل الإنسان من طين بالتالي فإن النطفة طينية الأصل.

● قال العليم الحكيم: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: 13].

راجع مبحث «**القرار المكين**» للتعليق على هذه الآية.

ما يشار إليه هنا هو أن النطفة المعنية في هذه الآية هي نطفة الأمشاج التي سبق أن تحدثنا عنها في مبحث «**نطفة الأمشاج**».

وأن المراحل التي تأتي بعد مرحلة «**نطفة الأمشاج**» هي التالية: انفلاق النطفة، وقوع النطفة في الرحم، الحرث، غيض النطفة في الرحم واستقرارها، جمع خلايا الجنين.

الذنب

● قال رسول الله - عليه أزكى الصلوات وأطيب التحيات -: "كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجْب الذَّنب، منه خُلق وفيه يُركّب " [أخرجه مسلم ح35].

● وقال رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه -: "يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه . قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: مثل حبة الخردل منه تَنْبُتُون" [أخرجه أحمد ح36].

● وقال رسول الله - عليه أفضل الصلاة والتسليم -: "ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عَجْب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة" [أخرجه البخاري ح37].

● عن مالك بن الحويرث أن النبي ﷺ قال: "إن الله تعالى إذا أراد خلق النسمة، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه في كل عرق وعصب منها، فإذا كان يوم السابع، جمعه الله تعالى **ثم أحضر له كل عرق بينه وبين آدم، ثم قرأ**: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ " [أخرجه الطبراني ح21].

هذه الفترة تمتد من اليوم الخامس عشر إلى اليوم التاسع عشر.

هذا الطور هو جزء من مرحلة العلقة لأن الجنين يتعلق في هذه الفترة بجدار الرحم بواسطة ساق، ولكن وضعناه في نص منفصل نظراً للتطورات المهمة التي يتميز بها.

انتهينا في مبحث "**جمع خلايا الجنين**" إلى القول بأن خلايا الجنين تجمع ضمن قرص جنيني محدد وفقا لما جاء في الحديث النبوي الشريف: "... فإذا كان يوم السابع جمعه الله تعالى..."، أما الآن فسوف نتابع شرح الحديث ونفسر ما تبقى منه وهو: "ثم أحضر له كل عرق بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ " [أخرجه الطبراني ح21].

فإذا جُمع الجنين أحضره الله تعالى.

عندما تُحضر شيئاً ما فلا بد أن يكون غائباً. وهذا يعني أن الجنين كان قبل هذا الوقت في عالم الغيب.

كيف يكون هذا الإحضار؟ ومن أين؟.

العرق في المصطلح النبوي الشريف هو: الصبغيات في المصطلح العلمي كما أسلفنا ذكره، في مبحث «**نطفة الأمشاج**». (انظر أيضاً مبحث «**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة**»). وهذا يعني أن مصدر ومنبع الإحضار هو المورثات. وكما نعلم فإن الصبغيات تحتوي على الشيفرة الجينية التي تقدر الجنين بإذن الله تعالى. وعلى هذا يكون الإحضار من العرق هو الترجمة لهذه الشيفرة من العالم الغيبي الجيني إلى العالم العملي حيث تطبق خطة العمل على الأرض ويبتدئ العمل بها من خلال تركيب الإنسان فعلياً. ومن الجدير بالذكر أن كل الصبغيات تشارك في عملية التركيب وفقاً للفظ الحديث: «ثم أحضرله كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ ﴿فِىٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾» [أخرجه الطبراني ح21].

وكما تعني كلمة «عرق» (انظر مبحث «**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة**»)، وكما يشير إليه الحديث السابق ذكره فإن الصبغيات هي مصدر للتخلّق بإذن الله.

فكتلة الخلايا الداخلية التي جمعت ضمن قرص جنيني تتميز خلاياها ابتداء من اليوم الخامس عشر إلى ثلاثة أنواع من الخلايا، وتسمى هذه العملية: (بداية تكوّن وتشكّل الجنين: غاسترولَيشون GASTRULATION).

هذه الخلايا هي الخلايا التي سوف تنقسم فتتكاثر وتهاجر لتؤلف جميع أعضاء الجنين.

وهذه بداية تركيب الإنسان. لذلك ذكر الرسول - عليه الصلاة والسلام - الآية ﴿فِىٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 8] في كلامه عن عملية الإحضار. وفعلاً فإن شكل القرص يبدأ بالتغير ابتداءً من هذا الوقت فصاعداً ويتشكل ليأخذ في نهاية الأمر صورة جنين إنساني متميز. واللافت للنظر أن علماء طب الأجنة يعتبرون عملية الغاسترولَيشون بداية تكوّنْ وتشكّلْ الجسد[1] موافقين ما رذده رسول الله ﷺ عن المولى عزّ وجلّ: ﴿فِىٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾.

ومن الجدير بالذكر أن كلا الطرفين؛ رسول الله ﷺ، وعلماء طب الأجنة، يتفقان على أن عملية الغاسترولَيشون هي بداية تخصص خلايا الجسد. ففي هذه العملية تتميّزُ خلايا الجنين إلى ثلاث طبقات[2] وكما سنفصله فيما بعد - إن شاء الله -.

(1) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 64.

(2) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 64.

وتُسْتحْضر خُطة العمل من عالم الشيفرة الموجودة في العروق إلى عالم التركيب من خلال بناء خلايا تعكس محتوى هذه الشيفرة.

ونبدأ بحثنا الآن لرواية خلق الإنسان من عجب الذنب والتي تحمل في طيّاتها معانٍ عجيبة؛ فنشير إلى معنى "عجب الذنب" وإلى الحقائق العلمية التي تكشفها هذه الأحاديث الشريفة.

عجب الذنب له عدة معانٍ منها:

1 - أصل الذنب.

2 - العظم الذي في أسفل الذنب.

3 - ما استدق من الذنب.

جاء في لسان العرب[1]: "عجب... والعجب من كل دابة... وقيل هو **أصل** الذنب كله... العجب بالسكون: العظم الذي في **أسفل الصلب** عند العجز... والعجباء أيضاً: التي **دقّ أعلى مؤخرها**".

ويشهد لتلك المعاني الحديث: «مرّ على رسول الله ﷺ ببعير قد وُسم في وجهه فقال: «لو أن أهل هذا البعير عزلوا النار عن هذه الدابة» فقلت: لأسمنّ في أبعد مكان من وجهها، قال: فوسمت في عجْب الذّنب». [أخرجه أبو يعلى ح91].

فأبعد نقطة عن وجه البعير هو مؤخرة ذنب البعير، حيث وسمه صاحبه.

إلى ذلك فإن الحديثين النبويين الشريفين التاليين يؤكدان المعاني التي أشرنا إليها أعلاه. هذان الحديثان هما:

● قال رسول الله - عليه أزكى الصلوات وأطيب التحيات - : "يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا **عجب ذنبه**. قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: **مثل حبة الخردل** منه تَنْبُتون» [أخرجه أحمد ح36].

● قال رسول الله ﷺ: «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا **عظماً واحداً**، وهو عجب الذنب، **ومنه يركب الخلق** يوم القيامة» [أخرجه البخاري ح37].

هذان الحديثان يكشفان لنا الآتي:

أولاً: أن الإنسان له ذنب. (انظر إلى كلمة «**ذنبه**» في الحديث رقم 36).

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «عجب» (ج9/ ص52 - 53).

ثانياً: أن الإنسان خلق من هذا الذنب. (انظر إلى عبارة «**منه يركب**» في الحديث رقم 37)، وهذا يتوافق مع معنى عجب الذنب - أصل الذنب - .

ثالثاً: أن موضع تخلق الجنين موجود في مؤخرة هذا الذنب. (انظر إلى عبارة «**عجب ذنبه**» في الحديث رقم 36). وهذا أيضاً يتوافق مع معنى عجب الذنب - العظم الذي بأسفل الصلب - .

رابعاً: أن هذا الموضع عظم. (انظر إلى عبارة «**إلا عظماً واحداً**» في الحديث رقم 37).

خامساً: أن مؤخرة هذا الذنب صغيرة جداً. (انظر إلى عبارة «**حبة الخردل**» في الحديث رقم 36). وهذا أيضا يتوافق مع معنى عجب الذنب - ما استدق من الذنب - .

سادساً: إن أول ما يُخلق في الإنسان هو مؤخَرة هذا الذنب، وبعد ذلك يتكون الإنسان منه، وجميع أعضائه وأنسجته. (انظر إلى عبارة «**منه خُلق**» في الحديث رقم 35).

وتفصيلاً:

تتمايز في اليوم السابع طبقة من خلايا (الكتلة الداخلية للكرة الجرثومية INNER CELL MASS) مواجهة (لتجويف الكرة الجرثومية BLASTOCYT CAVITY) عن الكتلة الداخلية للكرة الجرثومية، وتسمى: (الهايبوبلاست HYPOBLAST)[1]. وبعد هذا الحدث مباشرة يظهر تجويف يفصل الكتلة الداخلية عن الكتلة الخارجية للكرة الجرثومية في الوسط. عندئذ تطرأ تغيرات على الكتلة الداخلية للكرة الجرثومية، فتصبح عبارة عن قرص جنيني مؤلف من طبقتين:

- طبقة خارجية: تسمى: (طبقة الإيبيلاست EPIBLAST) مواجهة للتجويف الذي يفصل الكتلة الداخلية عن الكتلة الخارجية للكرة الجرثومية.

- طبقة داخلية: تسمى: (طبقة الهايبوبلاست HYPOBLAST) مواجهة لتجويف الكرة الجرثومية.

وفي بداية الأسبوع الثالث (أي في اليوم الخامس أو السادس عشر) يظهر الشريط الأولي كثخانة من الخلايا المنجلية (أو الهلالية) في مؤخرة الطبقة الخارجية

---

(1) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 42.

للقرص الجنيني، وتسمى عندئذ: (منطقة كولر KOLLER'S SICKLE)[1]، وهي بمثابة الجسم البدائي للشريط الأولي ("عجب الذنب" كما سنأتي على ذكره لاحقاً).

وتستطيل هذه المنطقة من جراء تكاثر وهجرة خلايا الطبقة الخارجية للقرص الجنيني اليها، فتؤلف خطاً مستقيماً، جانباه اليمين واليسار مذببان في وسط الطبقة الخارجية للقرص الجنيني، ويسمى هذا الخط: (الشريط الأولي PRIMITIVE STREAK)، وتكون نهايته مدببة أيضاً، وتسمى: (العقدة الأولية PRIMITIVE NODE).

وأثناء استطالة الشريط الأولي ينشأ فيه ميزاب مستطيل يسمى: (الميزاب الأولي PRIMITIVE GROOVE) من جراء دخول خلايا الشريط الأولي إلى داخل القرص الجنيني، وينتهي هذا الميزاب بفجوة تطل على الداخل تسمى: (الفجوة الأولية PRIMITIVE PIT) تقع داخل العقدة الأولية.

فيتكون بذلك الشريط الأولي ("عجب الذنب" كما سنأتي على ذكره لاحقاً) في (الجزء الخارجي المؤخري للقرص الجنيني CAUDAL END OF EMBRIONIC DISK).

وعندما يظهر الشريط الأولي يصبح من الممكن معرفة المحور الأمامي الخلفي للجنين، ونهايته الأمامية والخلفية، وسطحه البطني والظهري، ويمينه من يساره. وتبدأ بعد نشأة الشريط الأولي بوقت قصير هجرة الخلايا من الخارج إلى الداخل[2]، ويتمايز القرص الجنيني إلى طبقات ثلاثة ستؤلف جميع أعضاء الجنين.

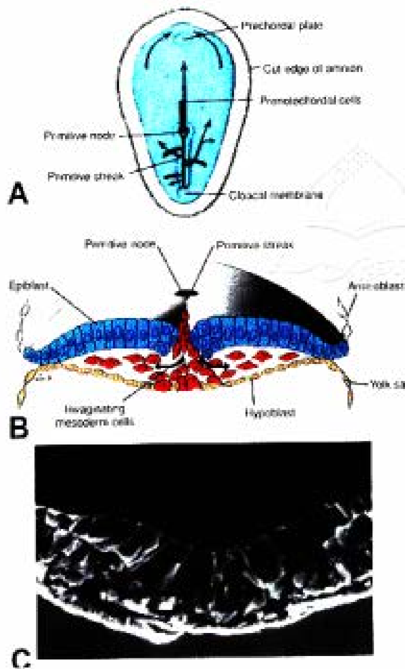
وهكذا فإن تمايز الشريط الأولي يسبق تمايز القرص الجنيني إلى جنين، وفي إيجاده لطبقات الجنين الثلاثة، أي بمعنى آخر يسبق تخلّق "عجب الذنب" تخلّق الجنين كما أشرنا إليه في النقطة السادسة السالفة الذكر.

---

(1) http:/instruct1.cit.cornell.edu/Courses/biogd385/synopsis/Synopsis2_23.html DATE: 19-4-2004
جاء في موقع الأنترنت لجامعة كورنال (السالف ذكره): "إن (المنطقة الخلفية الطرفية POSTERIOR MARGINAL ZONE: PMZ) [عند الطيور] هي منطقة تكثف لخلايا تلعب دوراً مهماً في الأحداث التي ستتلاحق... في المنطقة الخلفية الطرفية تزداد ثخانة خلايا تسمى: (خلايا كولر المنجلية KOLLER'S SICKLE)... إن الاختبارات الرئيسية أظهرت أن زراعة هذا العضو يؤدي في [جنين الطير] إلى نشأة شريط أولي".
وانظر: كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص64، الرسم: 2b - 4.

(2) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 66.

ومن جراء هجرة هذه الخلايا إلى الداخل تنمو طبقة ثالثة هي الطبقة المتوسطة تدعى: (طبقة الميزودرم MESODERM) التي سرعان ما تؤدي إلى نشوء (الطبقة الداخلية ENDODERM)[1] (أو معظمها) (للكتلة الداخلية INNER CELL MASS)[2]، بحيث تحل محل (طبقة الهايبوبلاست HYPOBLAST) السالفة الذكر من خلال (عملية إزاحة DISPLACEMENT)، (انظر الصورتين رقم: 68 – 69).



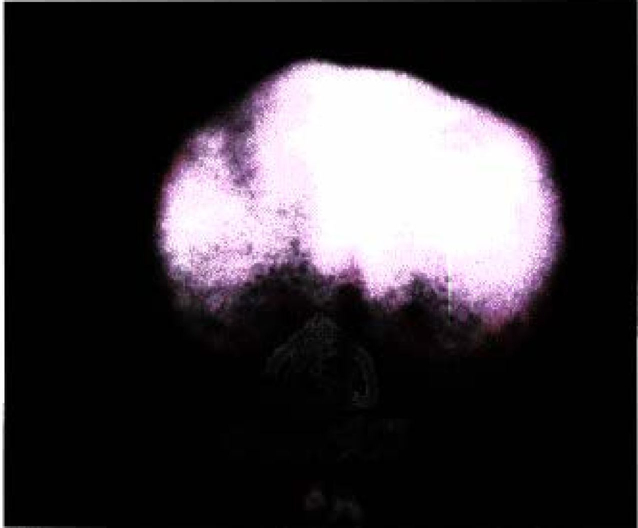
(A – 68) – رسم لقرص جنيني عمره ستة أيام يظهر كيف أن الخلايا الخارجية تهاجر إلى داخل القرص، ومن ثم تتجه في كل اتجاه.

(B – 68) – رسم يظهر مقطع لقرص جنيني عمره 15 يوماً ويبين كيف أن هجرة الخلايا من الخارج إلى الداخل تنشىء طبقة متوسطة تدعى: (ميزودرم Mesoderm).

(C – 68) – مسح بجهاز الرسم الألكتروني يظهر مقطعاً لقرص جنيني لفأر ويبين هجرة خلايا (الطبقة الخارجية Epiblast) إلى الداخل.

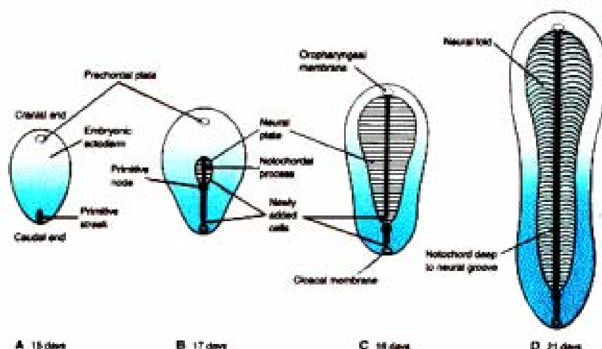
---

(1) انظر كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص 54.
(2) للمراجعة كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 67.



(69) – صورة حقيقية لقرص جنيني في يومه السادس عشر،
ويظهر في الجزء السفلي الخارجي منه (الشريط الأولي Primitive Streak).

وتهاجر الخلايا من الخارج إلى الداخل عبر الفجوة الأولية، ومن ثم إلى عمق الطبقة المتوسطة من خلال ما يسمى (بالعمليات الظهرية NOTOCHORDAL PROCESSES)، فينشأ نفق يمتد طولاً في الطبقة المتوسطة يسمى: (النفق الظهري NOTOCHORDAL CANAL)، فتطاول الكتلة الداخلية للكرة الجرثومية على أثرها، ويكبر حجمها بحيث تأخذ شكلاً كمثرياً – أي شكلاً إجاصياً –. وبعد عمليات اندماج وانطواء يتحول هذا النفق إلى ما يسمى (بالحبل الظهري NOTOCHORD)، الذي سيعطي فيما بعد الصلب. (انظر الصورة رقم: 70).



(70) - رسومات تظهر تطاول القرص الجنيني خلال الأسبوع الثالث.
نرى في البداية أن الشريط الأولي يتطاول هو الآخر من جراء تراكم الخلايا فيه،
ومن ثم يقصر بينما يتطاول القرص الجنيني، ويصبح شكله كمثريا.

وباختصار شديد فإن الشريط الأولي هو المصدر الأساسي لتطاول الكتلة الداخلية للكرة الجرثومية ولإيجاد طبقاتها الثلاث[1] ولتميّز خلاياها.

---

(1) وإذا قصدنا الدقة فإن الشريط الأولي هو المسؤول بإذن الله عن نشأة -أي تخلّق- معظم (الطبقة الداخلية ENDODERM) وكامل (الطبقة المتوسطة MESODERM) للقرص الجنيني إذا اعتبرنا معنى الخلق: أحدثه بعد أن لم يكن (انظر مبحث: **المضغة/الشكل الداخلي**)، حيث إنه رافق ظهور تلك الطبقتين بعد أن لم تكونا موجودتين. وشارك في هذا الظهور من خلال استقبال الخلايا من الطبقة الخارجية وتوزيعها في تلك الطبقتين، ولكنه لم يكن مسؤولاً عن نشأة (الطبقة الخارجية ECTODERM) لهذا القرص، لأن تلك كانت موجودة من قبل كطبقة خارجية تسمى (الإيبيبلاست EPIBLAST) قبل نشأة الشريط الأولي. غير أن الشريط الأولي مسؤول عن تخلّق (الحبل الظهري NOTOCHORD) الذي يلعب دور (المميّز الأولي PRIMARY INDUCTOR) لخلايا الجنين على وجه العموم، ولخلايا (الطبقة الخارجية ECTODERM) للقرص الجنيني على وجه الخصوص، حيث إنه يحث الطبقة الخارجية على أن تزيد ثخانتها، وعلى أن تكوّن (الصفيحة العصبية NEURAL PLATE) التي هي طليعة (الجهاز العصبي المركزي CENTRAL NERVOUS SYSTEM: CNS) (كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسود، ص 70)، وإلى تمايز الأعضاء القليلة الأخرى التي تنشأ من الطبقة الخارجية مثل: (الغطاء الخارجي لطبقة الجلد: الإيبيدارميس EPIDERMIS)، و(طلاء الأسنان ENAMEL OF TEETH)، و(بؤبؤ العين LENS OF EYE)، و(الجزء الموخرّي للغدة النخامية ANTERIOR PART

. . . .

= (OF PITUITARY GLAND) و(الأذن الداخلية INTERNAL EAR) (كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 88). وتلك الأعضاء تؤلف كمية قليلة بالنسبة لكمية مجمل أعضاء الجنين. وبما أن العرب تُطلق الغالب على الكل، فإن الحبل الظهري مسؤول عن خلق الإنسان.

فالعرب تخرج الغالب مخرج الكل لعدم الاعتداد بالقليل لأنه جاء تحت حكم الكثير، فيخرج مخرج الكل. والدليل على ذلك الآيات القرآنية التالية – على سبيل المثال لا الحصر –: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [23]، والآية: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف: 24-25]. قال القرطبي في تفسير آية سورة النمل: «أي مما تحتاجه المملكة»، وجاء في الكشاف: «تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير، فعبّر عن الكثرة بالكلية».

هذا إن لم نعتبر أن التمايز نوع من الخلق، ولكن ما نذهب إليه هو أن التمايز نوع من أنواع الخلق، والشريط الأولي مسؤول غير مباشرة عن تمايز خلايا الطبقة الخارجية للقرص الجنيني لأنه يؤدي إلى تخلق الحبل الظهري الذي يؤدي بدوره إلى تمايز تلك الطبقة.

وفي عملية التمايز يوجّه الحبل الظهري (وبالتالي الشريط الأولي، وعلى وجه الخصوص العقدة الأولية) الخلايا إلى ماذا ستصبح بالمستقبل، وهذا يؤدي إلى خلق وإحداث صورة جديدة لها من حيث أن شكلها يتغير ووظيفتها تتغير مع مرور الوقت، فينشأ منها خلايا مستقلة لها خصائص غير التي كانت موجودة في الخلايا الأم، ومختلفة عن جاراتها.

وهكذا يتبين لنا أن التمييز نوع من أنواع الخلق.

أضف إلى ذلك أن التمايز خلق يضاف على الخلق الأول، وهو بالتالي زيادة فيه، والزيادة في الخلق: خلق، والدليل على ذلك الآية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: 1]، حيث أخبر الله تعالى أن الزيادة تقع في الخلق، فأقرّ أنها من جنسه.

ومن هذا الكلام نفهم أن الشريط الأولي هو مسؤول عن خلق جميع خلايا الجنين.

والحق يقال: إن الشريط الأولي – وخاصة العقدة الأولية – يلعب دور (المنظم الأولي PRIMARY ORGANIZER) و(المميز الأولي PRIMARY INDUCTOR) لجميع خلايا الجنين، حيث إنه يوجّه الخلايا التي تمر فيه إلى مصيرها، ويعطيها التعليمات حتى تخلق طبقات الجنين الأولية.

ومن أبرز العلماء الذين تحدثوا عن الشريط الأولي («عجب الذنب»): العالمان الألمانيان الشهيران (هانس سبيمان HANS SPEMAN) و (هيلد مانغولد HILDE MANGOLD) حيث قاما بدراسات وتجارب على الخيط الأولي والعقدة الأولية، واكتشفا أن الخيط الأولي والعقدة الأولية هما اللذان ينظمان خلق الجنين. وأطلق عليهما اسم: (المنظم الأولي PRIMARY ORGANIZER)، وقد بدأ سبيمان ومانغولد أبحاثهم على البرمائيات حيث قاما بقطع هذا الجزء [الخيط الأولي والعقدة الأولية]، وهي (الشفة الظهرية لفتحة المعي الخلفي في البرمائيات DORSAL LIP: BLASTOPORE)، وزرعه في جنين آخر في نفس العمر، في المراحل الجنينية المبكرة: في الأسبوع الثالث والرابع، تحت طبقة=

الإبيبلاست، فأدى ذلك إلى نمو جنين ثانوي من هذه القطعة المزروعة في الجنين المضيف، حيث قامت هذه القطعة المزروعة بالتأثير على البيئة التي حولها، والمكونة من خلايا الجنين المضيف، فنظمتها، وتخلق بذلك منها جنين ثانوي حال كونه مغروساً في جسد الجنين المضيف (وللمزيد من المعلومات مراجعة كتاب (علم الأجنة الإنساني HUMAN EMBRIOLOGY)، ص 196).

جاء في كتاب «علم الأجنة الإنساني»، ص 196: «في بعض التجارب زراعة الشفة الظهرية لفتحة المعي الحلقي في مكان آخر غريب في الجنين المضيف يمكن أن ينتج عنه نمو جنين ثانوي كامل. يطلق على هذا الجزء المزروع اسم: «المنظم الأولي»

هذا عند البرمائيات.

أما عند الطيور، فالأمر مماثل، حيث إن زراعة (العقدة الأولية HENSON'S NODE) التي تنشأ من المنطقة الخلفية الطرفية في مكان آخر من الجنين تؤدي إلى نشأة محور جنيني ثانٍ (مثل اختبار سبيمان ومانغولد [للبرمائيات]). انظر.

http: instruct1.cit.cornell.edu Courses biogd385 synopsis Synopsis2_23.html. DATE: 19 4 2004.

وظاهرة تنظيم الخلايا تتماثل كثيراً عند الطيور والثدييات. انظر:

http: www.colorado.edu MCDB MCDB.4620 04.pdf. DATE: 19 4 2004.

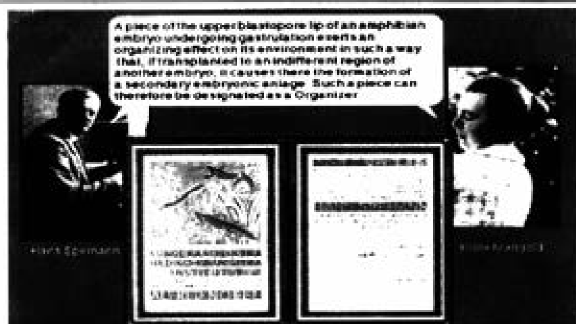
وكما نعلم فإن الإنسان من فصيلة الثدييات، وبالتالي فإن هذه الاختبارات تنطبق عليه.

ومن هذا الكلام نفهم أن الشريط الأولي هو السبب في تخلّق خلايا القرص الجنيني كما أشارت إليه الأحاديث الشريفة السالفة الذكر.

وفي عام 1935م نال العالم الألماني سبيمان جائزة نوبل على اكتشافه المنظم الأولي وزراعته له، بينما أخبر عنه وعن وظائفه رسول الله محمد ﷺ بمصطلحات مختلفة: «عجب الذنب»، «منه خلق» قبل أربعة عشر قرناً من الزمن. (انظر [illegible])

ومن الجدير بالذكر أن مصطلح «عجب الذنب» الذي ذكره رسول الله ﷺ أفضل من مصطلح «الشريط الأولي»، أو من مصطلح «المنظم الأولي» الذي ذكره العلماء الكونيون، لأن مصطلح «عجب الذنب» يشير إلى وجود ذنب عند الإنسان في مرحلة الخلق (من خلال لفظ «الذنب» الذي ورد في المصطلح)، ويشير تحديداً إلى الموقع الذي يتخلق منه الإنسان (من خلال معنى كلمة «العجب»: مؤخرة الذنب)، ويشير إلى حجم الشيء الذي يخلق منه الإنسان (من خلال معنى كلمة «عجب»: ما استدق من مؤخرته)، وإلى المرحلة التي يكون فيها: المرحلة البدائية (وذلك لأنه بداية الذنب)، بينما يشير مصطلح «الشريط الأولي» إلى الشكل الذي يكون عليه عجب الذنب (كشريط)، وإلى المرحلة التي يكون فيها (من خلال اسم «الأولي» الذي ورد في مصطلح «الشريط الأولي»). أما مصطلح «المنظم الأولي»، فهو يشير إلى الدور الذي يلعبه عجب الذنب من تنظيم لخلايا الجنين، إضافة إلى المرحلة التي يكون فيها (من خلال اسم «الأولي» الذي ورد في مصطلح «المنظم الأولي»). وهذا التفوق في التعبير هو من الإعجاز البياني للرسول ﷺ.

ولمزيد من المعلومات فليراجع البحث الذي قدمه د. عثمان جيلان علي معجمي في المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، 22-24 مارس 2004، دبي الإمارات العربية المتحدة.



(71) - صورة للعالمين الألمانيين اللذين أجريا أبحاثا على «عجب الذنب»، واكتشفا أنه يؤدي إلى تخلق جنين كامل ثانوي إذا زُرع في جنين آخر.

وبما أن «الطبقات الثلاث لهذه الخلايا - طبقة الأكتودرم[1]، طبقة الميزودرم، وطبقة الأندودرم - تؤدي إلى تخلق جميع الأغشية وأعضاء الجنين»[2] فإن الشريط الأولي يكون بذلك السبب لتخلق الجنين، ولذلك اعتبرته لجنة (وارنك WARNOCK) في البرلمان البريطاني بداية الحياة الإنسانية، ومنعت بالتالي إجراء التجارب وتنمية الأجنة في المختبرات بعد اليوم الرابع عشر، أي: قبيل ظهوره.

يقول الدكتور كيث مور بهذا الصدد: «إن القسم الأكبر من نمو واستطالة الكرة الجرثومية هو من جراء هجرة الخلايا من خلال الشريط الأولي»[3]، وبما أن الشريط الأولي يقع في الجزء المؤخري من الكرة الجرثومية يكون بذلك هذا الجزء - أي الجزء المؤخري - أساسا لتخلق الإنسان.

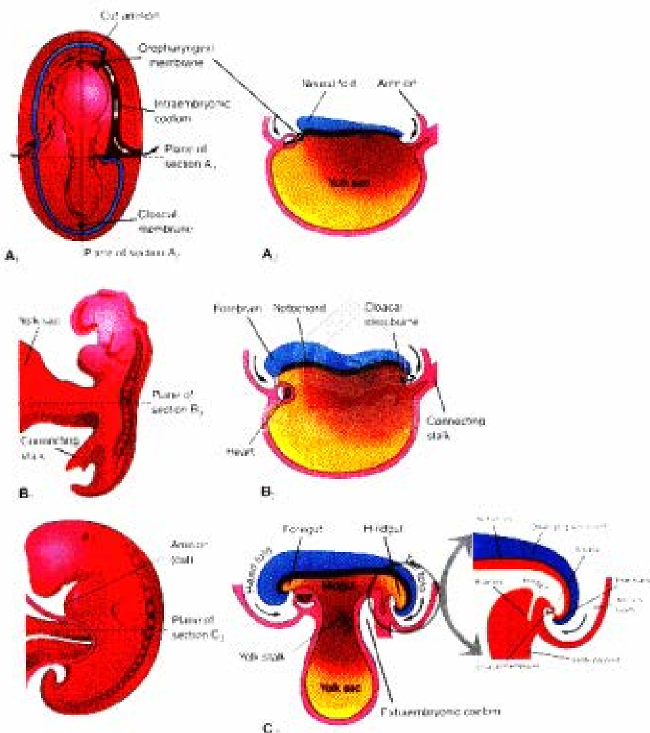
السؤال الذي نطرحه الآن هو: هل هذا الجزء المؤخري الذي تخلق منه الإنسان هو ذنب أم لا؟.

إن الصورة التي تلي (انظر الصورة رقم: 72) والتي تمثل تطور الجنين تجيب عن تساؤلاتنا، فهذه الأخيرة تظهر لنا كيف أن الجزء المؤخري ينطوي ليؤلف ذنباً.

(1) طبقة الأكتودرم: وقد بقيت من طبقة (الإيبلاست EPIBLAST) التي سبق أن تحدثنا عنها بعد أن هاجرت الخلايا منها.

(2) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص 75.

(3) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص 75.



(72 - B) - نرى تكبيراً للذنب حيث يظهر (الشريط الأولي PRIMITIVE STREAK) منزوياً في نهاية الذنب.

(72 - A) - نرى في مجموعة الرسوم كيف أن الجزء المؤخري ينطوي ليؤلف ذنباً لدى الجنين.

أما الصورة التي تليها فهي صورة طبيعية لهذا الذنب. (انظر الصورة رقم: 73).



(A - 73) - صورة حقيقية للذنب يظهر لدى الجنين في الأسبوع الرابع.



(B - 73) - نرى كيف أن الذنب قد اختفى في الأسبوع السابع.

أخيرا بقي علينا أن نحدد الموضع من هذا الذنب الذي تخلق منه الجنين: يقول لنا الدكتور كيث مور عن هذا الموضوع[1]: «إن الشريط الأولي سرعان ما يتقلص حجماً ويصبح عضواً لا يذكر في المنطقة العجزية (أي في مؤخرة الحبل الظهري)». وكثير من المراجع الطبية تقول إن الشريط الأولي يختفي. وبما أن الشريط الأولي - كما رأينا - هو السبب لتخلق الإنسان فإن مؤخرة الحبل الظهري تكون بذلك الجزء المؤخري من الذنب الذي كنا نبحث عنه والذي يتخلق منه الإنسان.

إضافة إلى تقلص عجب الذنب فإن الذنب نفسه يتقلص بدوره في الأسبوع السابع أو الثامن. وعن عملية التقلص هذه يقول لنا الدكتور لارس هامبرغر[2]: «ولكن يبقى لنا عدة فقرات ذنب مقلصة حتى بعد ولادتنا».

والمنطقة العجزية هي منطقة عظمية. وبما أن الشريط الأولي جزء من المنطقة العجزية فبالتالي هو عظم كما يشير إليه الحديث الشريف «ليس من الإنسان شيء إلا

(1) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص57.

(2) كتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص118.

يبلى **إلا عظماً واحدا وهو عجب الذنب**، ومنه يركب الخلق يوم القيامة» [أخرجه البخاري ح37].

أما بالنسبة إلى جزء الحديث: «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا... **عجب الذنب**...» [أخرجه البخاري ح37] فهو يشير إلى أن جميع جسم الإنسان يتحلل إلا عجب الذنب، أي باستثناء الشريط الأولي الذي تكلمنا عنه، فهو يقاوم جميع عوامل التحلل إلى يوم القيامة ليعاد تركيب الإنسان منه. ولا عجب: أليس الله تعالى أعلم بما تأكل الأرض منا؟، يقول الله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: 4]. جاء في تفسير ابن كثير: «أي ما تأكل من أجسادهم في البلى نعلم ذلك، ولا يخفى علينا أين تفرقت الأبدان وأين ذهبت وإلى أين صارت»، «وعندنا كتاب حفيظ» أي حافظ لذلك، فالعلم شامل والكتاب أيضا فيه كل الأشياء مضبوطة. قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾: أي ما تأكل من لحومهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم. كذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم...»[1].

فإذا كان الله سبحانه وتعالى يعلم ما تأكل الأرض منا، فهو يعلم أيضا ما لا تأكل الأرض منا.

ولقد قام العالم الألماني (سبيمان) عام 1931م بسحق (المنظم الأولي PRIMARY ORGANIZER: DORSAL LIP) وزرعه في جنين، فلم يؤثر السحق عليه، حيث نما الشريط الأولي مرة أخرى. وكوّن صفيحة عصبية رغم سحقه، ولم تتأثر خلاياه بالسحق.

وفي عام 1933م قام هذا العالم - وعلماء آخرون - بغلي المنظم الأولي، وزرعه بعد غليه، فشاهدوا أن عملية (الحث INDUCTION) لدى المنظم الأولي ما زالت تعمل بعد غليه، ولم تتأثر خلاياه بالغليان (ولمزيد من التفاصيل فليراجع كتاب علم الأجنة الإنساني، ص 197).

وأخيراً في رمضان 1424هـ قام د. عثمان جيلان علي معجمي من جامعة الإيمان في صنعاء - اليمن - بالتعاون مع الشيخ عبد المجيد الزنداني - رئيس جامعة الإيمان - بتجربة على العصعص في منزل الشيخ عبد المجيد الزنداني في صنعاء تحت تصوير تلفزيوني، حيث قام بأخذ إحدى فقرتين لخمسة عصاعص للأغنام.

---

(1) تفسير ابن كثير (ج4/ ص222).

وقام بإحراقها بمسدس غاز فوق أحجار ولمدة عشر دقائق، وتأكد من إحراقها التام بحيث أصبحت حمراء. وبعد ذلك سوداء متفحمة، فوضع القطع في علب معقمة وأعطاها لأشهر مختبر في صنعاء (مختبر العولقي)، وقام الدكتور صالح العولقي - أستاذ علم الأنسجة والأمراض في جامعة صنعاء - بفحصها نسيجياً، وكانت النتيجة مبهرة؛ حيث وجد خلايا عظمة العصعص لم تتأثر، وما زالت حيّة وكأنها لم تحرق (فقط احترقت العضلات والأنسجة الدهنية وخلايا نخاع العظم المصنعة للدم، أما خلايا عظمة العصعص فلم تتأثر)!!! فجزى الله هذا الأخ الكريم خير الجزاء على سعيه وراء الحقيقة، وإثباتها من مصادر مختلفة، ومن خلال إجراء تجربة علمية رصينة، غير أن رأي المؤلف في هذا الموضوع أن هذه المجموعة من الأدلة جيّدة ولا بأس بها، ولكنها ليست قاطعة لأنها محدودة في كميتها ونوعيّتها ونتائجها، ولا بد من مزيد من التدقيق والأبحاث والاختبارات المضبوطة لكي نجزم من الناحية العلمية بهذا الأمر، سواء أكتب الله تعالى لنا القطع في هذه المسألة أم لا. فهو يضرب لنا الأمثال لكي نستوعبها الأذهان البشرية كما في قوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: 25].

ولمزيد من المعلومات فليراجع البحث الذي قدّمه د. عثمان جيلان علي معجمي في المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، 22 - 24 مارس 2004، دبي الإمارات العربية المتحدة.

وتعليقاً على جزء الحديث: «عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة» [أخرجه البخاري ح4935] نقول: إن كثيرا من الناس يستبعدون إعادة تركيب جسم الإنسان بعدما يتحلّل ويتفكك يوم القيامة، لذلك أنزل الله تعالى الآية: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣﴾ [ق: 2-3] بيد أن الله تعالى أكد في محكم آياته أن إعادة الخلق أهون عليه من الخلق الأول حسبما جاء في الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: 27]. ورد في تفسير ابن كثير: «قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني أيسر عليه، وقال مجاهد: الإعادة أهون عليه من البداءة، والبداءة عليه هينة، وكذا قال عكرمة وغيره. وروى البخاري: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، أخبرنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني. وليس أول الخلق

بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» [أخرجه البخاري ح106]»[1].

ومع العلم أن الله تعالى على كل شيء قدير، فسوف نحاول أن نوضح للقارئ أن إعادة الخلق ممكنة علمياً، فالله تعالى يضرب لنا الأمثال في الحياة الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد:]. ولذلك نستطيع أن نقرب لذهن القارئ أن إعادة الخلق ممكنة علمياً على سبيل الاستئناس لا الجزم، وذلك أن معايير يوم القيامة تختلف عن معايير الحياة الدنيا، وبالتالي لا مجال للقطع في البراهين.

- أولاً: أثبت العلم الكوني في هذا العصر أن من الشريط الأولي - أي من عجب الذنب - تخرج (الخلايا الجذعية الأم STEM CELLS). والخلايا الأم هي خلايا (متعددة الفعالية PLURIPOTENT)، أي أنها تستطيع أن تكوّن جميع أنواع الخلايا الموجودة داخل الجسم ما عدا خلايا المشيمة والأنسجة الدعامية الأخرى، فمن هذه الخلايا تنشأ خلايا (الطبقات الرئيسية الثلاثة: الخارجية والوسطى والداخلية ECTODERM, MESODERM, ENDODERM) التي يتخلق منها الإنسان. وعندما يضمر الشريط الأولي ويصبح عضواً لا يذكر في (المنطقة العجزية SACROCOCCYGEAL REGION) يبقى على بقايا للخلايا الأم في هذه المنطقة.

والدليل على ذلك هو أنه في بعض الحالات يحدث للقليل من الأجنة ورم في المنطقة العجزية (العصعصية) يسمى: (الورم المتعدد الأنسجة TERATOMA) الذي يحتوي على أنسجة مختلفة (عضلات، جلد، غضروف، عظم، وأحياناً أسنان) بالرغم من أنه ينشأ في منطقة عظمية لدى الجنين (أسفل الحوض)، وهذا بخلاف الأورام التي تنشأ في أي نسيج آخر، فهذه تنشأ من خلايا هذا النسيج، وتحمل نفس الطابع. فعلى سبيل المثال: يتكون في العضلات ورم عضلي، وفي العظام ورم عظمي، وفي الغدد الليمفاوية ورم الغدد الليمفاوية.

وليس ذلك فقط، فإن الورم الذي ينشأ يوجد فيه خلايا منحدرة من الطبقات الثلاثة التي تؤلف الجنين[2]: الأكتودرم والميزودرم والأندودرم. وبالتالي فإن هذا الورم يشبه الجنين من حيث أنه يحتوي على الطبقات الخلوية الثلاثة.

وفي حالات كثيرة يشاهد عضو كامل يبرز من هذا الورم، مثل يد بأظافرها

---

(1) تفسير ابن كثير، سورة الروم، آية رقم 27.

(2) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسود، ص68.

وأصابعها، أو رجل بقدمها وأصابعها وأظافرها، وهذا الورم يكون جنيناً ممسوخاً، وذلك لأن الشريط الأولي أدى إلى تخلّق الطبقات الجنينية الثلاثة، التي أدت بدورها إلى بروز بعض الأعضاء كالقدم واليد، وبقيت الأعضاء الباقية قابعة داخل الورم بصور مختلفة، بحيث لو فتح جراح الورم بعد استئصاله فسيجد الأعضاء الباقية: مثل الأسنان والأمعاء والعظام والشعر والغدد. . . (انظر الصورة رقم: 74).



(A - 74) - صورة لطفل ظهر لديه (ورم Teratoma) في المنطقة العصعصية، فأدى إلى نشأة قدم مع أصابعها وأظافرها من جراء تطور الخلايا الجذعية الأم.



(B - 74) - صورة لطفل ظهر لديه (ورم Teratoma) في المنطقة العصعصية، فأدى إلى نشأة يد من جراء تطور الخلايا الجذعية الأم.

جاء في كتاب «ملخص ممارسة الجراحة»[1]: «من الأنواع غير المعتادة [من الأورام] الورم العجزي العصعصي، والذي من الممكن أن نعتبره جنيناً داخل جنين».

وبما أن عجب الذنب لا يبلى وأنه يحتوي على البعض من الخلايا الجذعية الأم، فبالتالي يُعتبر الحافظ للمادة التي لها القابلية - بإذن الله - أن تُكوِّن إنساناً.

(1) كتاب «ملخص ممارسة الجراحة» (Short Practise of Surgery)، ص102.

– ثانيا: أظهر علم الوراثة أن (الخلايا الجسدية SOMATIC CELLS) تحتوي على الخطة الجينية التي يتركب منها الإنسان[1]. وإذا علمنا أن عجب الذنب يحفظ هذه الخلايا من الزوال فهمنا أنه بمثابة الصندوق الأسود للطائرات الذي يحفظ الخطة الجينية للإنسان من الفناء.

ونفهم أن خلايا الذنب تقاوم الزوال إذا أدركنا أن: "منطقة العصعص هي مكان استقرار العقدة الأولية، وهي مجموعة من الخلايا ذات المقدرة الشاملة الكلية، والتي تحتفظ بمقدرتها الكلية أطول من أي خلايا في الجسم، وهي بذلك تحفظ البدأة البشرية أو الجنس البشري"[2].

– ثالثا: أثبت علم الوراثة في تجارب الاستنساخ أن البويضة التي تُنتزع منها نواتها، ويُبدل مكانها نواة خلية جسدية تستجيب للانقسام، فالتكاثر بواسطة تيار كهربائي. أي أنها تستجيب للانقسام تحت تأثير أسباب خارجية (بغض النظر عن طبيعتها)[3].

ومن هنا نفهم منطقيا وعلميا أنه من الممكن أن يتخلق الإنسان من عجب الذنب على سبيل الاستئناس للأسباب الثلاثة السالفة الذكر، وهي مرة أخرى:

1 – أن الخلايا التي في عجب الذنب محفوظة إلى يوم القيامة ولها القابلية على خلق جميع أنواع خلايا الجسم الإنساني، وبالتالي جسد إنساني كامل الذات.

2 – أن الخطة الجينية التي توجه الخلايا على التخلق نحو الجنس الإنساني والتي تعطي لكل إنسان صفاته الفردية محفوظة إلى يوم القيامة ومتوفرة الذات.

3 – أن الخلايا تستجيب للمحفزات الخارجية، بحيث لو حدث برق يوم القيامة على سبيل المثال (أو أي محفز آخر) يحتوي على تيار كهربائي محدد (أو أي شيء آخر ينشط الخلايا على التقاسم) لتكاثرت.

إن عجب الذنب يصبح كالبذرة في التراب بعد تحلل الجسد. وحتى لو كان في قاع البحر، أو تحت طبقة أرضية ضخمة، أو تحت أي ظرف ومكان يخرجه الله تعالى إلى الطبقة الخارجية من الأرض بعد زلزال يحدثه عز وجل وفقا للآية: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة: 1-2].

(1) راجع مبحث "معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة/ الفساد العلمي".

(2) ملخص ممارسة الجراحة، ص1138.

(3) راجع مبحث "معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة/ الفساد العلمي".

إن خلايا هذا العجب التي فيها الخريطة الهندسية الخاصة بكل إنسان، والتي لها القابلية بإذن الله تعالى لخلق جميع أنواع خلايا الجسد الإنساني تقاوم العوامل الخارجية، كالبذرة في التراب التي تحتفظ الخريطة الجينية للنبات من الاندثار والتي تؤدي إلى نشوء نبات جديد إذا أصابها الماء وفقاً للآية: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: 5]، لذا ينزل الله تعالى مطراً يوم القيامة يكون بمثابة محفز ومغذ للخلايا التي في عجب الذنب حتى تتكاثر[1] كما جاء في الحديث الشريف: "ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ" [أخرجه البخاري ح4814]، فتخرج جميع خلايا الإنسان الحية من عجب الذنب الميت[2] مصداقاً للآية: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: 19]، فينبت الإنسان وينمو نمواً نباتياً وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: 17]، فيتخلق الناس من الأرض بعد أن يكونوا قد مكثوا فيها إلى يوم البعث للنص القرآني: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: 55][3]. فإذا نبتت الأجساد أطلقت الأرواح، فجاءت وسكنت في هذه الأجساد وذلك كما قال الله - جل وعلا -: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: 7]. ويقول الكافر يوم ذاك: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: 52].

ولماذا يا ترى ذكر رسول الله ﷺ المطر لإحياء "عجب الذنب" ولم يذكر غيره؟ لا بد أن يكون من مسوّغ علمي لذكره - وإن جهلناه إلى الآن -، وسنحاول في النص التالي طرح نظرية علمية قد تكون أصوب من غيرها تلقي الضوء على هذا الجانب.

فالآية: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: 11] والحديث الشريف: "ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ" [أخرجه البخاري ح4814] يصرّحان أن عملية إعادة الحياة للإنسان يوم القيامة تتبع نفس الطريقة التي تتبع لإعادة الحياة لبذور النبات من خلال ذكر كلمة: ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ وكلمة: "فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ"، أي بمعنى آخر: إن العمليات

---

(1) وليس من الضروري أن يكون مطر يوم القيامة كمطرنا في الحياة الدنيا، بل قد يكون فيه من المواد ما ينشط الخلايا ويحفزها على التكاثر.

(2) والميت هو الذي ذهبت قواه العاملة، أي الذي توقف عن العمل. لمزيد من الإيضاح انظر مبحث "دور النطفة في التقدير/ خلق الموت".

(3) أو كما جاء في النص القرآني: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: 17-18].

الكيميائية والبيولوجية التي تتبع لإعادة الحياة "لعجب الذنب" هي نفسها التي تتبع لإعادة الحياة لبذور النبات. وبما أن (الحمض النووي الرئيسي D.N.A) بشكل أغلب المادة في تلك الأعضاء الصغيرة، وأهمها، وهو القاسم المشترك بين الصنفين، فهذا يعني أن التفاعلات التي تجري في تلك الأعضاء الصغيرة تخصه، وهي نفسها في الغالب أينما وجدت. أضف إلى ذلك أن كلاً من النصين الشرعيين ذكر "الماء"، مما يعني أن تلك العمليات تستمد أعضاء تفاعلها من الماء، فهل هناك من تفسير علمي للظروف التي اعتبرها الشرع ضرورية لنشأة الإنسان مرة أخرى، وهي توفر الماء "لعجب الذنب"؟.

من الكلام الذي سبق نفهم أن الموضوع يدور حول إعادة الفعالية "لعجب الذنب"، بحيث تعود الحركة لحمضه النووي الرئيسي الموجود في التربة، وذلك بأمر إلهي.

وباختصار شديد إن الحمض النووي الرئيسي يحتوي على ذرات عديدة، ومن بين هذه الذرات توجد ذرات معينة هي التي تساعد على تواصل الحياة وإدامتها، وهي ذرات (وصلة الهيدروجين HYDROGEN BONDS)، وذرات الهيدروجين هذه تشكل باستمرار ارتباطات واتحادات جديدة بين القواعد النايتروجينية الأربعة للصبغيات: (أدنين، غوانين، سايتوزين، وثايمين ADENINE , GUANINE, CYTOSINE, THYMINE)، فتساعد بذلك على نقل الحياة وإدامتها عند انقسام (حبلي الحمض النووي الرئيسي D.N.A DOUBLE STRANDS)، وإنتاجها لحبلين جديدين خلال عملية تكاثر الخلايا واتحاد الحبال الجديدة مع الحبال القديمة، وذرات الهيدروجين هذه لا يمكن أن تقوم بالتبادل إلا مع ذرات الهيدروجين التي تظهر عند تأين الماء وتحلله إلى ذرات الأوكسيجين والهيدروجين.

وجاء في موسوعة الإعجاز العلمي أن هذه القاعدة تسري على الأحياء جميعا بدون استثناء. فإذا بقي أي حي من الأحياء دون ماء فإنه يحتفظ بالحمض النووي الرئيسي وبشيفراته الرئيسية، ولكن هذه الجزيئات وهذه الشيفرات تكون بشكل متجرد ومتصلب، فلا تستطيع أن تنمو ولا تستطيع أن تتحرك.

فإذا توفر الماء، وأعطى الماء ذرات الهيدروجين عند تأينه، بدأت الشيفرة الحية بالحركة[1].

---

(1) موسوعة الإعجاز العلمي، يوسف الحاج أحمد، ص 267-268، عن «يزيخان محمد علي/ السبيل» بتصرف.

ويلاحظ سريان هذا القانون على الجراثيم خاصة بكل سهولة. أما في الأحياء النامية والمعقدة التركيب، فإن فقدان الماء لمدة طويلة يسبب ضموراً في الأنسجة وخراباً فيها. لذا فإن توفر الماء بعد ذلك لا يمكن عودة الحياة إلى تلك الأعضاء، فيستمر موتها. أما بالنسبة "لعجب الذنب" فالأمر مختلف، حيث إن "عجب الذنب" يحتفظ «بالخلايا الجذعية الأم» سليمة لوقت جد طويل. فإذا هطل عليه المطر عاد النشاط إليه بإحياء الروابط الهيدروجينية التي تمكنه من الانقسام، والتكاثر، وتركيب جسد الإنسان، وكل ذلك بقدرة وإذن الله، ويحتاج الموضوع إلى مزيد من التدقيق والبحث.

وإذا كان الإنسان يتحدث أنه بإمكانه أن يستنسخ إنسانا يوماً ما، أيعجز الله تعالى عن إعادة الخلق، وهو فوق الجميع؟، سبحانه وتعالى عما يصفون.

ومن الشرح السابق تتضح لنا هذه الحقائق العلمية الباهرة والتي لم يكن ليعرفها رجل أمي نشأ في بيئة أمية - صلوات الله وسلامه عليه - إلا بوحي من الذي وضع أسس تخلق الجنين من عجب ذنبه. فسبحان من أحاط علمه بكل شيء وإليه ترجع الأمور!!!.

وفي النهاية نشير إلى أنه من جراء انطمار النطفة داخل بطانة الرحم، واتحاد كتلتها الداخلية ببطانة الرحم، ونمو الكتلة الداخلية والحبل الظهري في اليوم الخامس عشر إلى السادس عشر، تخرج النطفة بشكلها وتركيبها عن كونها نطفة، وتصبح كتلتها الداخلية هي الجزء الرئيسي الذي سيتألف منه الجنين. هذه الكتلة تكتسب شكلاً مستطيلاً، وتلتصق بالمشيمة البدائية بواسطة ساق موصلة (تصبح فيما بعد الحبل السري)، مهيئة نفسها لأن تصبح علقة (أي شيء يعلق) كما تنص عليه الآية التي سنأتي على شرحها في النص المقبل - إن شاء الله -.

ورغم أن عملية تخلق وتقلص الذنب هذه تقع خارج نطاق مرحلة تشكل الذنب فقد وضعنا شرحها هنا لكي تتضح الأمور للقارئ.



مرحلة ازدياد الأرحام بالأجنة

● قال العليم الحكيم: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد ٨].

● قال رسول الله - عليه أزكى الصلوات وأطيب التحيات -: "كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب" [أخرجه مسلم ح35].

● عن مالك بن الحويرث أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى إذا أراد خلق النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عرق وعصب منها، فإذا كان يوم السابع جمعه الله تعالى ثم أحضر له كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾» [أخرجه الطبراني ح21].

لقد تحدثنا في مبحث "**ازدياد الأرحام وغيضها**" أن الغيض والازدياد قد يعود للأرحام أو للحمل، فإذا عادا للحمل انطبق المعنى الثاني لفعل "غاض": "دخل في"، وأصبح معنى الآية على هذا النحو: الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تبلع الأرحام من حمل وما تزداد منه.

وبعد: تتكلم الآية: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ [الرعد ٨] عن الحمل على وجه العموم؛ فالله سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ...﴾، ومن ثم تصف لنا الآية الصورة التي يمر بها الحمل وهو في الرحم، فهي صورة ديناميكية؛ يكون الحمل فيها في مرحلة غيض في بادئ أمره، حيث ينغرس الجنين في بطانة الرحم ويختفي كليا، ومن ثم يصبح في مرحلة ازدياد.

ومرحلة الازدياد هذه تتحقق عندما يزداد الجنين حجما، ووزنا، ومادة. وهذا الازدياد يبدأ عندما تنتهي مرحلة جمع خلايا الجنين، وعندما يبدأ تطبيق خطة البناء على الواقع، كما يحدثنا رسول الله ﷺ قائلا: (... ثم قرأ: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾). وكلمة «ركبك» لها دلالتها في هذا الوقت حيث إنها تشير إلى أن عملية تركيب جسد الجنين قد بدأ، وهذه زيادة مادية.

والحاصل أن (عجب الذنب PRIMITIVE STREAK) ينشط في هذه المرحلة. كما يشير إليه الحديث "كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، **منه خلق** وفيه

يركب» [أخرجه مسلم ح35] بحيث تهاجر الخلايا من الطبقة الخارجية للقرص الجنيني إلى داخله وتتكاثر، ويكون ذلك في مرحلة "العلقة" كما سنراه في المباحث الآتية بعد. فتنشأ (طبقة الخلايا الوسطى LATERAL MESODERM)، ويتطاول القرص الجنيني. ومن ثمّ تبدأ أعضاء الجنين بالتخلق والظهور ولو على صورة براعم، ولذلك أورد الرسول ﷺ في الحديث الشريف: « كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب» لفظ "خلق"، ولذلك جاء في الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: 12-14] فعل "خلقنا" في مرحلة العلقة، بعد فعل "جعلنا" في مرحلة النطفة. فهذه المرحلة - مع مرحلة "المضغة" - معروفة في طب الأجنة بأنها مرحلة (تخلق الأعضاء ORGANOGENESIS)، ومن ثمّ يليهما مرحلة النشأة حيث يزداد الجنين وزناً زيادة ملحوظة وتتراكم فيه المواد الدهنية بكثرة إلى أن يخرج من رحم أمه. وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14]. ووجه الإعجاز لا يتمثل بالإشارة إلى أن هنالك مرحلة ازدياد، فكلنا يعلم أن رحم المرأة الحامل يزداد يوماً بعد يوم وذلك ظاهر للعيان، ولكن الإعجاز يتمثل بتحديد أن مرحلة الازدياد تأتي مباشرة بعد مرحلة غيض النطفة في الرحم، وهذا من أنباء الغيب في عهد رسول الله ﷺ، لأن الجنين يكون داخل بطانة الرحم ولا يزيد حجمه عند انتهاء مرحلة الغيض عن 0,8 ملم، فاعتبروا يا أولي الأبصار!!!.

العلقة

● قال العليم الحكيم: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً. . .﴾ [المؤمنون: 14].

تمتد هذه المرحلة من اليوم الرابع عشر إلى اليوم الرابع والعشرين[1].

ليس هناك لفظ أنسب من لفظ العلقة لوصف هذه المرحلة وهذا يعدّ إعجازاً من إعجازات القرآن الكريم، فالمعاني التي تحويها كلمة علقة تنطبق كلها بإعجاز على مظهر الجنين ووظيفته وما يطرأ عليه من تغييرات خلال هذه المرحلة.

هل هذا الذي نتكلم عنه صحيح؟

لنتابع معاً معاني كلمة «علقة» ونرى مدى صحة هذا الادعاء من خلال استعراض الحقائق العلمية وملاحظة مطابقتها على تلك المعاني.

وقد ورد عدة معان لكلمة «علقة» في اللغة العربية منها:

1 - لفظ «علقة» مشتق من علق وهو الالتصاق والتعلق بشيء.

2 - العلقة هي دودة تعيش في البرك وتتغذى على دماء الحيوانات التي تلتصق بها.

---

(1) لقد أخطأ - والله أعلم - بعض الباحثين الأفاضل في مجال خلق الجنين في تحديد بداية فترة العلقة، فاعتبروا أن فترة العلقة تبدأ من اليوم الذي تعلق فيه النطفة في الرحم، وهذا الحدث يتم في حوالي اليوم السابع، فتبدأ فترة العلقة - بحسب اعتقادهم - من اليوم السابع وصاعداً. ولكن ما نشير إليه هنا، هو أن الله تعالى يخلق النطفة علقة، أي أن الله تعالى يحوّل طبيعة النطفة إلى علقة ويصورها على هذا الشكل بعد أن لم تكن (انظر إلى معنى كلمة «الخلق» في مبحث «**المضغة**» الذي يلي)، ولهذا فعلى النطفة أن تخرج عن كونها نطفة لتصبح شيئاً جديداً، ألا وهو العلقة. أما إذا اعتبرنا أن العلقة هي النطفة التي تعلق في جدار الرحم، فإن النطفة في هذه الحالة لا تخرج عن كونها نطفة، وليس في الأمر إلا أن التعلق زيادة في صفة النطفة وليس خلق طبيعة جديدة، كما يقول تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: 14]. وقد أشار إلى هذا المفهوم - أن على طبيعة النطفة أن تتغير - العلامة الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري، كتاب القدر - رقم الحديث 6594 - (ج11/ص489) عندما قال في حديثه عن السقط: «وتوسع المالكية في ذلك فأداروا الحكم في ذلك على كل سقط ومنهم من قيده بالتخطيط ولو كان خفيا وفي ذلك رواية عن أحمد وحجتهم ما تقدم في بعض طرقه أن النطفة إذا لم يقدر تخليقها لا تصير علقة، وإذا قدر أنها تتخلق تصير علقة ثم مضغة إلخ، **فمتى وضعت علقة عرف أن النطفة خرجت عن كونها نطفة** واستحالت إلى أول أحوال الولد».

3 - العلق: هو الدم الغليظ الجامد[1].

4 - كلمة العلقة: تستعمل أيضاً للإشارة إلى الدم الرطب[2].

5 - كلمة علقة تشير إلى الحمرة الشديدة[3].

جاء في لسان العرب[4]: «علق: علق بالشيء علقا وعلقه: **نشب فيه**. قيل هو الدم الجامد الغليظ، وقيل الجامد **قبل أن ييبس**، وقيل هو **ما اشتدت حمرته**... والعلقة **دودة تعيش في الماء تمتص الدم**».

المعنى الأول وهو معنى الالتصاق والتعلق بشيء: تحدثنا في مبحث «**جمع خلايا الجنين**» عن أن كتلة الخلايا التي تتولد من انقسامات النطفة تتمايز إلى كتلتين: (كتلة خلايا داخلية INNER CELL MASS) ستؤلف الجنين، و(كتلة خلايا خارجية TROPHOBLAST) ستؤلف المشيمة. تلك الكتل تكون متصلة بعضها ببعض عند قطب من الأقطاب يسمى: (القطب الجنيني EMBRYONIC POLE) بينما يفصل بينها من سائر الجهات ما عدا القطب الجنيني فراغ ممتلئ بسائل يدعى: (كيس المح الأولي EXOCOELOMIC CAVITY OR PRIMITIVE YOLK SAC).

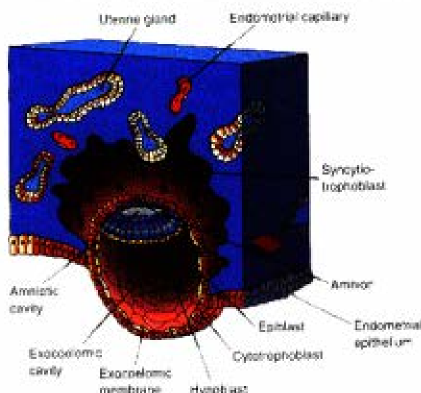
ولكن تلك الكتل ما تلبث أن تتمايز، فتنفصل كتلة الخلايا الداخلية عن كتلة الخلايا الخارجية في الجزء الوسط منها عند القطب الجنيني لتؤلف قرصاً مسطحاً ذاتياً يسمى: (القرص الجنيني EMBRIONIC DISC)، وينشأ بين هذا القرص وكتلة الخلايا الخارجية من جراء هذا الانفصال فراغ يسمى: (الفراغ الأمنيوني AMNIOTIC CAVITY). فينفصل عندئذ الفراغ الأمنيوني القرص الجنيني عن كتلة الخلايا الخارجية من جهة القطب الجنيني، بينما يفصل كيس المح الأولي القرص الجنيني عن كتلة الخلايا الخارجية من الجهة المعاكسة، ويظل القرص الجنيني متصلاً بكتلة الخلايا الخارجية عند أطرافه (انظر الصورة رقم: 75)، ويتولد في نفس الوقت (طبقة رخوة من النسيج من خلايا كيس المح EXTRAEMBRIONIC SOMATIC

(1) الصحاح للجوهري (ج4/ ص1529). مقاييس اللغة لابن فارس (ج4/ ص125). المعجم الوسيط (ج2/ ص622). القاموس المحيط لمجد الدين محمد ص 1175. المفردات للأصفهاني ص 579. نظم الدرر للبقاعي (ج13/ ص115).

(2) زاد المسير لابن الجوزي - (ج5/ ص406). صفوة التفاسير (ج9/ ص53). روح المعاني للآلوسي (ج30/ ص180). فتح القدير للشوكاني (ج3/ ص436). الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج12/ ص6).

(3) نظم الدرر للبقاعي (ج13/ ص115).

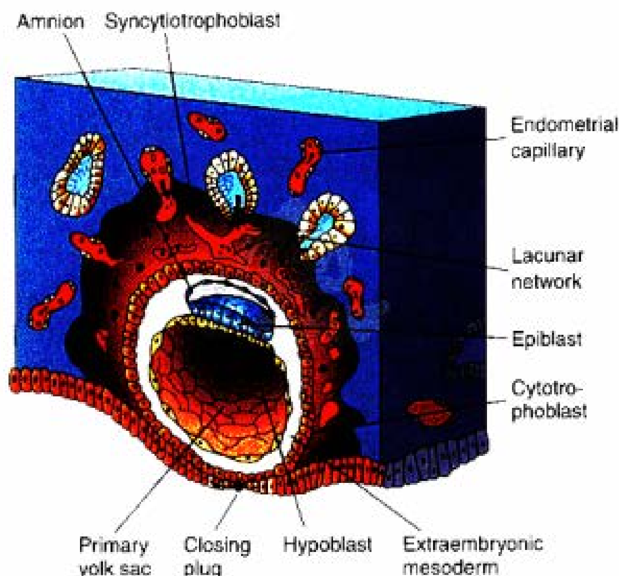
(4) لسان العرب لابن منظور مادة «علق» ج9/ ص 356 - 361.



(75) - مقطع لقرص جنيني في حوالي اليوم الثامن يظهر كيف أن القرص الجنيني ينفصل عن كتلة الخلايا الخارجية في قطب من أقطابه، حيث ينشأ فراغ يسمى (بالفراغ الأمنيوني Amniotic cavity). وفي هذا الحين ينشأ غشاء يسمى: (غشاء كيس المح Exocoelomic membrane) يفصل أطراف القرص الجنيني عن الكتلة الخارجية فيما بعد.

MESODERM)، سرعان ما تحيط بالفراغ الأمنيوني وبكيس المح وبالقرص الجنيني عند أطرافه (انظر الصورة رقم: 76)، ومن ثمّ ينشأ في هذا النسيج عدة فراغات تتحد فيما بينها فتؤلف (فراغاً كبيراً ممتلئاً بسائل EXTRAEMBRIONIC COELOM) يحيط بكيس المح والقرص والفراغ الامنيوني (انظر الصورة رقم: 77)، فينفصل الفراغ عندئذ القرص الجنيني من كل الجهات عن الكتلة الخارجية إلا في موضع واحد حيث يظل القرص متصلاً بالطبقة الخارجية التي تصبح جزءاً من الرحم بواسطة (الطبقة الرخوة من النسيج EXTRAEMBRIONIC SOMATIC MESODERM)[1] (انظر الصورة رقم: 78). هذه الطبقة تكون بمثابة ساق للقرص الجنيني تسمى: (المعلاق CONNECTING STALK) وتصبح فيما بعد الحبل السري للجنين (انظر الصور رقم: 79 - 80 - 81). وهكذا نرى كيف أن الجنين يتعلق بالرحم بواسطة ساق ليصبح كما تشير إليه الآية «علقة».

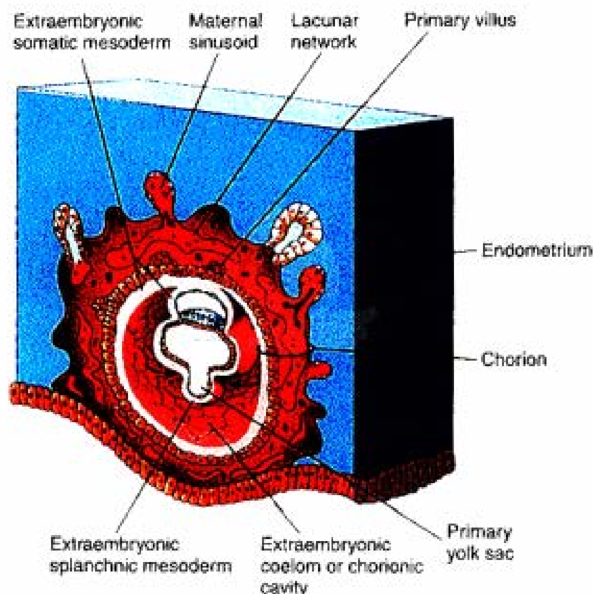
(1) للمراجعة كتاب علم الأجنة الطبي، مصدر، ص 44 - 47.



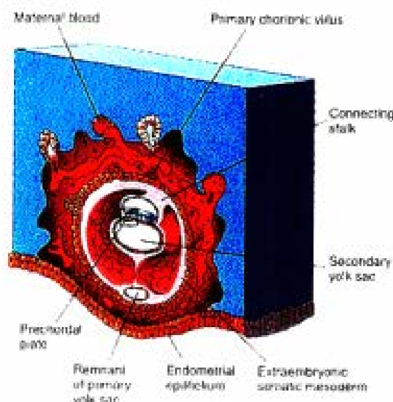
(76) - مقطع يظهر انفصال كتلة الخلايا الداخلية عن كتلة الخلايا الخارجية في حوالي اليوم التاسع لتؤلف قرصا جنينيا يتصل من جهتين (بكيس المح الأولي Primary yolk sac) و(بالفراغ الأمنيوني Amniotic Cavity)، يفصل بينهما وبين الكتلة الخارجية (طبقة رخوة من النسيج Extraembryonic mesoderm).

Trophoblast lacunae filled with blood cells
Uterine endometrium
Epiblast
Hypoblast
Exocoelomic membrane
Exocoelomic cavity
Extraembryonic coelom

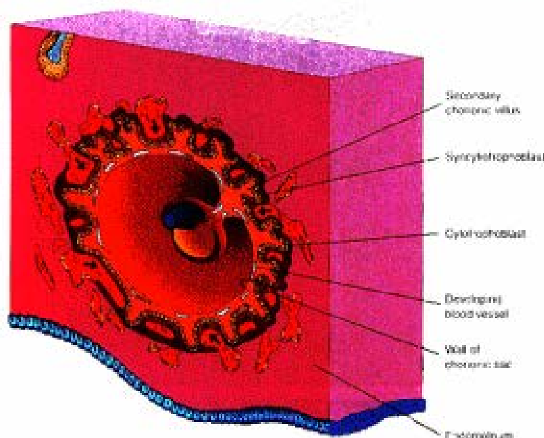
(77) - أعلاه رسم طبق صورة يظهر كيف أن (فراغات كيس المح Extraembryonic Coelom) تنشأ في (الطبقة الرخوة من النسيج Extraembryonic mesoderm) التي تحيط بالقرص الجنيني وبالفراغ الأمنيوني وبكيس المح الأولي، وأدناه مقطع لجنين في يومه الثاني عشر.



(78) - رسم يظهر مقطعاً لجنين في يومه الثالث عشر، ويظهر كيف أن الفراغات المحدثة فيما بينها لتطبق على كيس المح والفراغ الأمنيوني، فتفصلهما مع القرص الجنيني عن كتلة الخلايا الخارجية، بينما يظل الفراغ الأمنيوني متصلا بالكتلة الخارجية في قطب من أقطابه.



(79) - رسم لجنين في يومه الرابع عشر يظهر كيف أن (ساقا Connecting stalk) تولدت بين الجنين وبين الكتلة الخارجية عند قطب الفراغ الأمنيوي الذي لم ينفصل عن الكتلة الخارجية في اليوم الثالث عشر.



(80) - وفي النهاية تظهر (الساق Connecting stalk) التي تصل الكتلة الداخلية بالكتلة الخارجية بوضوح، وذلك ليتحقق معنى كلمة علقة التي وردت في الآية: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: ١٤].

(81) - أعلاه رسم بجهاز الرسم الألكتروني جنين في يومه الرابع عشر
يليها تكبير له (×18) يظهران «الساق»

المعنى الثاني وهو معنى الدودة التي تعيش في البرك:

بعد أن تتمايز النطفة إلى كتلتين، كتلة داخلية وكتلة خارجية، تتحد الكتلة الخارجية ببطانة الرّحم وتخرج النطفة عن شكلها وطبيعتها، وتتهيأ لأخذ شكل جديد: هو شكل القرص الجنيني. هذا القرص يتخذ تدريجياً شكل علقة.

والحاصل أن (الحبل الظهري NOTHOCORD) ينمو في الأسبوع الثالث فيستطيل الجنين ويتخذ نسبياً شكلاً كمثرياً، وفي نفس الوقت تنمو (الطبقة المتوسطة MESODERM) فيتصلب الجنين، ويتضخم جزء (الطبقة الخارجية للجنين الممتد على جانبي محور الجنين NEURAL PLATE) بينما ينخفض الجزء المحوري ابتداء من اليوم الثامن عشر، فيظهر خط طولي في وسط الجنين، ومن ثمّ تلتحم أطراف الطبقة الخارجية الواقعة على جانبي المحور في اليومين الثاني والثالث والعشرين مكونة (ميزاباً عصبياً NEURAL GROOVE)[1]، وتتمايز (الطبقة المتوسطة التي تلامس هذا الميزاب PARAXIAL MESODERM) ابتداء من اليوم الواحد والعشرين، أي في حوالي نهاية مرحلة العلقة، فتظهر بعض الشقوق فيها على أثر ذلك، وتنقسم إلى قطاعات مكوّنة على جانبي الميزاب العصبي بعض ما يسمى (بالغلقات البدنية SOMITES)، فنجد في نهاية الأمر أن الجنين قد اتخذ شكلاً مستطيلاً نسبياً وأن رأسه قد تضخم، ووسطه قد نحف، وظهر خط طولي في وسطه. وبدأ شكله يتثلم قليلاً مع اعوجاج صغير في شكله الكلي حتى إن مظهره الخارجي أصبح يشبه مظهر العلقة أي الدودة. (انظر الصورة رقم: 82).

جاء في تفسير ابن كثير[2] في تفسير الآية: «فصارت علقة حمراء على **شكل العلقة مستطيلة**».

في هذه المرحلة يبدأ الجنين بالتغذي من دماء الأم مثلما تفعل الدودة العالقة إذ تتغذى من دماء الكائنات الأخرى ويحاط الجنين بمائع مخاطي (السائل الأمنيوسي) تماماً مثلما تحاط الدودة بالماء. (انظر الصورة رقم: 83).

وهكذا يتشابه الجنين مع دودة العلقة من حيث المحيط والوظيفة.

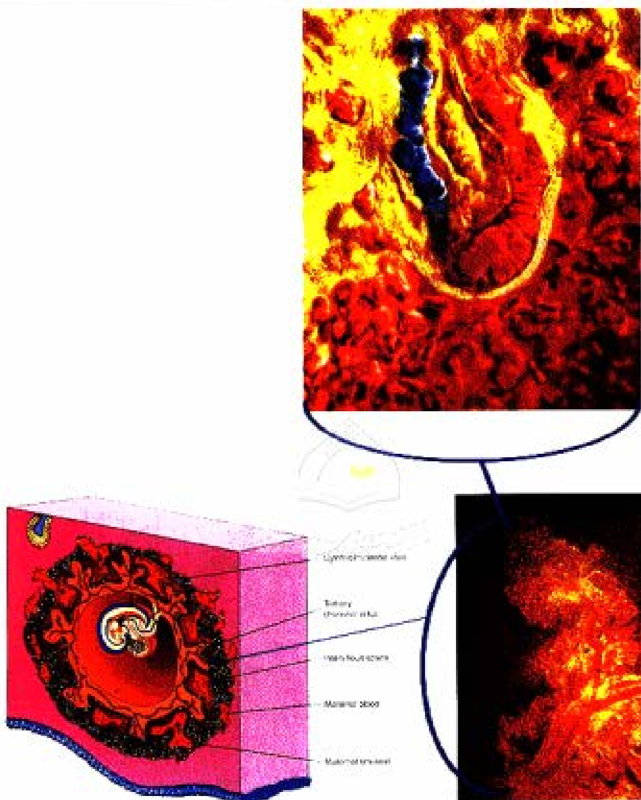
(1) للمراجعة كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 72 - 73 - 92.
(2) تفسير ابن كثير (ج3/ ص240).

جنين في اليوم الرابع والعشرين (D, E). الصورة على أقصى اليمين حقيقية (E) جانبية إلى حد ما، ويليها من جهة الشمال رسم لنفس الصورة (D) يوضح معالم الجنين.

رسم لحيوان العلقة

جنين في اليوم الثاني والعشرين من عمره. الصورة (A, B) على أقصى الشمال (A) حقيقية جداً يليها من جهة اليمين رسم لنفس الصورة (B) يوضح معالم الجنين.

(82) - من خلال الصور نرى كيف أن الجنين يشبه حيوان العلقة (دودة) كما تشير إليه الآية ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: 14] وذلك أن رأسه ضخم مثل العلقة، وجسمه متثلم، وذيله نحيف، مع انحناء بسيط.



(83) - ترى في الرسم على اليسار كيف أن الجنين يتغذى من دماء الأم بواسطة (خملات المشيمة horionic villis). فانتقال الغذاء والأوكسيجين يتم من دماء الأم إلى الجنين عبر هذه الخملات.

وفي أدنى اليمين ترى صورة حقيقية لخملات المشيمة. وإلى أعلى اليمين ترى صورة حقيقية لرأس متقدم للمشيمة (Placenta) حيث يتم انتقال الغذاء. وترى فيها دماء للجنين باللون الأزرق وبعد أن يتم انتقال مادة الأوكسيجين إلى هذه الدماء يتنقل لونها إلى الأحمر.

والفرق بين حيوان العلقة والجنين العلقة أن حيوان العلقة يمتص الدماء مباشرة، والجنين العلقة يمتص الغذاء من دماء الأم وبينه وبين أوعيته الدموية غشاء رقيق.

المعنى الثالث وهو الدم الجامد:

تفيد في هذا المضمار أنه يتخلق في هذه الفترة لدى الجنين قلب بدائي مملوء بالدماء ومجموعة أوردة دموية ضيقة على شكل جزر مغلقة تجعل الدم جامداً غير متحرك. (انظر الصورة رقم: 84).

المعنى الرابع وهو معنى الدم الرطب:

قد تكلمنا آنفاً أن الدم يكون جامدا غير متحرك وهذا من حيث المظهر الخارجي، أما في الحقيقة فهو ذو سائل (أي رطب) ولا يبدأ هذا الدم بالدوران حتى اليوم الثاني والعشرين (أي حين يصبح القلب البدائي قادرا على الضخ). (انظر الصورة رقم: 84).

المعنى الخامس وهو شديد الحمرة:

من جراء كثرة الأوردة يظهر الجنين شديد الحمرة. (انظر الصورة رقم: 84).

وهكذا نرى أن المعاني الخمسة تنطبق بشكل رائع على وصف الجنين في هذه المرحلة مظهرة روائع الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

وفي مجمل القول فإن اسم «العلقة» يعتبر وصفا دقيقا متكاملاً لهذا الطور، فهذا الاسم يشتمل على وصف الهيئة العامة للجنين كدودة عالقة: لونها، شكلها، وظيفتها، محيطها، كما يشتمل على الأحداث الداخلية كتكون الدماء والأوعية مقفلة، وهذا من إعجاز القرآن الكريم.

ومن الجدير بالذكر في هذ المقام أنه لا يلزم أن يكون معنى الدم الجامد أو الرطب ينطبق بدقائقه على الجنين حتى يسمى هذا الأخير بالعلقة، فيكفي أن يغلب على الجنين الدم، وتظهر عليه أعراض الدم حتى يسمى: علقة، وهذا ما أشار إليه الألوسي[1] في قوله: «﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ أي دما جامدا وذلك **بإفاضة أعراض الدم عليها فتصيرها دماً بحسب الوصف**»، والطبري في كتابه جامع البيان في تفسير القرآن عند قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: 14][2]: «حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وقد خلقكم أطوارا قال: ... **ثم يغلب الدم على النطفة، فتكون علقة**».

---

(1) تفسير الألوسي - (ج18/ص13).

(2) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري - (ج29/ص60)

(A – 84) – في حوالي اليوم الرابع عشر يمتلىء حائط كيس المح (بجزر من الدماء Blood Islands) (كذلك في الساق الموصلة وفي حائط الكتلة الخارجية – الكوريون –)، وبعد حوالي يومين يتخلق تدريجياً إلى نهاية الأسبوع الثاني أوعية دموية وقلب بدائي لدى الجنين. في هذا الوقت يكون الدم جامداً ورطباً في جدار كيس المح وفي القرص الجنيني (كما تعنيه كلمة علقة)، ويتشرب الجنين الغذاء من دماء الأم عبر (الفراغ الكبير الذي يحيط به Extraembryonic coelom)، و(بكيس المح، Yolk sac).

(B – 84) – في اليوم الواحد والعشرين – أي قبل نهاية فترة العلقة بثلاثة أيام – يكون الجهاز الدموي قد تخلق، ويبدأ القلب البدائي بالضخ. في اليوم الثاني والعشرين يمتص الجنين الغذاء من دماء الأم بواسطة خلايا المشيمة. ونرى على اليمين رسماً يظهر لنا (جزر الدماء Blood Islands) في جدار كيس المح لجنين في اليوم الثامن عشر. وإلى اليسار نرى رسماً لجنين وقد تخلق فيه أوعية دموية كثيرة في اليوم الواحد والعشرين، فيظهر من جراء ذلك شديد الحمرة كما تعنيه الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: 14]

الظلمات الثلاث

● قال عز وجل: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: 6].

تتحدث الآية أعلاه عن موضوعين أساسيين هنا: الظلمات والتخلقات المتتالية.

الآية ﴿خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ تشير إلى أن الجنين يمر في أطوار كما تحدثنا في مبحث «**تعريف الأطوار**»، ولكن ما يضاف إلى هذا التفسير الآن هو أن هذه الأطوار يجب أن يكون لها طابع خاص ألا وهو: التخلق. فالطور هو الهيئة التي تظهر على الجنين والتي تتميز ببعض التغيرات التي تحصل فيها. وهذه التغيرات قد تكون تخلقات وقد تكون أشياء أخرى: كزيادة وزن الجنين أو عملية تميز للخلايا... إلخ. ولكن ذكر الأطوار في هذه الآية بصيغة التخلق (بقول الله تعالى: ﴿خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ بدلاً من طور بعد طور) يشير إلى أن الظلمات المذكورة هي ضرورية لهذه التخلقات.

ترى ما هذه الظلمات؟ وما خصائصها؟ ولماذا ذكرت هنا؟.

لا بد أن نستأنس بآيات أخرى وردت في القرآن الكريم تتحدث عن الظلمات لكي تتضح لنا الصورة كلياً.

قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40].

إذا تأملنا الآية أعلاه نستنتج أن هذه الظلمات يجب أن تكون واحدة فوق الأخرى (كما في لفظ ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾). بالإضافة إلى ذلك فإن هذه الظلمات لا تنفي إمكانية وجود ضوء، وذلك لأن الله تعالى قال: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ ولم يقل إذا أخرج يده لم يرها.

إلى ذلك فإن آية سورة الزمر تحدد عدد الظلمات بثلاث ظلمات.

هذه الظلمات ما هي إلا أغطية تحيط بالجنين في أطواره التكوينية. فالغطاء بمثابة حجاب والحجاب يؤدي إلى ظلمة، وثلاثة أغطية تؤدي إلى ثلاث ظلمات.

تفصيلاً: يبدأ الخلق عندما تدخل النطفة الذكرية (الحيوان المنوي) النطفة الأنثوية (البويضة)، وكما رأينا، فإن خلايا تلك النطفة - نطفة الأمشاج - تنشطر إلى العديد من الخلايا، هذه الخلايا موجودة داخل غشاء يحيطها من كل الجهات (ألا وهو غشاء البويضة)، وهذه البويضة موجودة داخل قناة ترتبط بالرحم - قناة فالوب -، وهذه القناة موجودة داخل البطن. (انظر الصورة رقم: 85). وهكذا نرى أن هناك ثلاث ظلمات تحيط بالخلق: ظلمة البطن، وظلمة القناة (قناة فالوب)، وظلمة غشاء البويضة.

ومن ثم تقع البويضة في الرحم، وأثناء وقوعها تتخلى البويضة عن هذا الغشاء وتدخل بطانة الرحم لتستبدل به فيما بعد الغشاء المشيمي. وهنا تتطابق المعطيات العلمية مرة أخرى مع المعطيات القرآنية وتصبح الظلمات الثلاث: ظلمة البطن، وظلمة غشاء الرحم، وظلمة الغشاء المشيمي. وتلك الظلمات كلها بعضها فوق بعض. (انظر الصورة رقم: 86).

هذا على نطاق واسع، أما إذا أردنا أن ننظر بدقة أكثر، فسنرى أن الغشاء المشيمي مؤلف من ثلاث طبقات بعضها فوق بعض هي من الخارج إلى الداخل:

أ (الغشاء الساقط DECIDUA).

ب (الغشاء الكوريوني CHORION).

جـ (الغشاء الأمنيوسي AMNION).

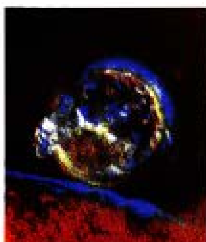
كما أن الرحم وقناته مؤلفان من ثلاث طبقات هي من الخارج إلى الداخل: أولاها طبقة البريتون التي تغطي جسم الرحم، وثانيها الطبقة العضلية للرحم، وثالثها الطبقة المخاطية؛ وهي الغشاء المبطن للرحم. (انظر الصورة رقم: 86).

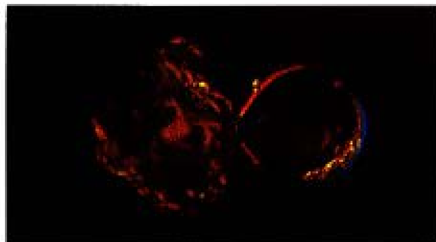
نشير هنا إلى أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾، ولم يقل يخلقكم في أرحام أمهاتكم، دلالة على أن الظلمات غير محصورة في الرحم فقط، ولكن هي في الرحم وخارجه.

أما عن أهمية الظلمة للجنين: فإن الظلمة ضرورية لتخلق الجنين وذلك لأن الضوء عادة يؤذيه.

فقد يتسبب الضوء في إتلاف شبكية العين قبل اكتمال نموها. كما أن الضوء قد يؤذي خلايا الجنين وقد يكون فتاكا بالنسبة إلى البويضة.







(85) - نرى في الرسم في أعلى الصفحة كيف أن الخلايا الجنينية يحيطها غشاء البويضة التي تكون بدورها في قناة فالوب الموجود في البطن. ومن ثم تخرج البويضة من قناة فالوب وتنزع عنها غشاءها ليحل بعده غشاء المشيمة. وبالتالي فإن الظلمات الثلاث (أي الحجابات الثلاث) ترافق الجنين منذ بداية تخلقه كما أكدته الآية: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: 6]. وفي الصورة التي تلي الرسم صورة حقيقية للبويضة وهي تتخلى عن غشاءها.

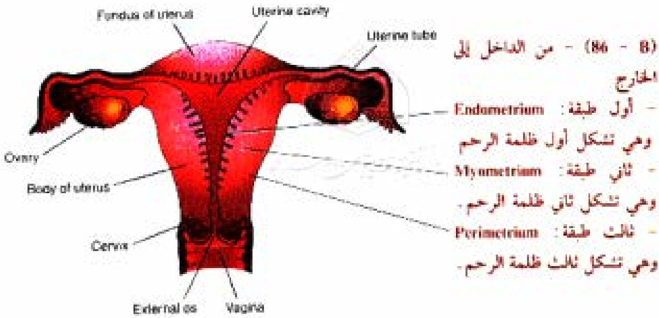


(A - 86) - ثلاث رسوم تبين لنا أن هناك ثلاث ظلمات تحيط بالجنين سواء نظرنا إلى الأمور من نطاق واسع أو من نطاق ضيق مصداقا للآية: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦]

أول ظلمة: المشيمة المحيطة بالجنين

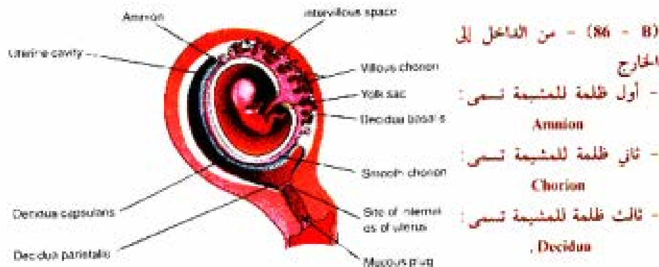
ثاني ظلمة: الرحم المحيط بالجنين

ثالث ظلمة: بطن المرأة



(B - 86) - من الداخل إلى الخارج

- أول طبقة: **Endometrium** وهي تشكل أول ظلمة الرحم
- ثاني طبقة: **Myometrium** وهي تشكل ثاني ظلمة الرحم.
- ثالث طبقة: **Perimetrium** وهي تشكل ثالث ظلمة الرحم.



(B - 86) - من الداخل إلى الخارج

- أول ظلمة للمشيمة تسمى: **Amnion**
- ثاني ظلمة للمشيمة تسمى: **Chorion**
- ثالث ظلمة للمشيمة تسمى: **Decidua**.

فقد أظهرت الأبحاث[1] أن الضوء الفوق البنفسجي (32 إلى 400 نم) وأن الأشعة الكثيفة والقريبة من (الطول الموجي WAVELENGTH) القريب إلى الأحمر (أكبر من 750 نم) تؤذي الجنين.

كما أن الضوء الهالوجيني (المستعمل عادة) أيضا يؤذي البويضة[2].

---

(1) (المؤتمر العالمي السادس عشر للعقم والخصوبة THE 16th WORLD CONGRESS ON FERTILITY AND STERILITY) الخامس من أكتوبر 1998م. رسالة أورمون، سيسنيث، بابوكو وجانا (كلية الطب - أنقرة - تركيا)، ص16 S.

(2) نذر على سبيل المثال تأثير الضوء فوق البنفسجي عامة على (الحمض النووي الرنسي DNA) والمضاعفات الناتجة عن هذا التأثير

حلزون الدي أن اي مؤلف من سلسلتين من الذرات.

كل من هاتين السلسلتين مؤلفة من سلسلة من (النكليوتيدات NUCLEOTIDES) مصفوفة واحدة تلو الأخرى.

النوكليوتيدات مجموعة من ذرات (الفوسفات PHOSPHATE) و(السكر المنزوع الأوكسيجين DEOXYRIBOSE) و(النيتروجين NITROGEN).

ترتبط هاتان السلسلتان بقواعد مؤلفة من ذرات النيتروجين بروابط هيدروجينية.

«تؤدي طاقة الضوء فوق البنفسجي الذي يمتصها الدي أن اي إلى إنشاء روابط كيميائية جديدة بين القواعد المتجاورة على نفس السلسلة. تحدث هذه الحالة تغييرات في تزاوج القواعد خلال الاستنساخ (استنساخ الدي أن اي وبالتالي استنساخ الخلايا) وتؤدي إلى إنشاء طفرات».

«الطفرات هي تغييرات في تسلسل القواعد في الدي أن اي».

«هذه الطفرات تؤدي إلى تغييرات متوارثة (من قبل الخلايا) في تصنيع البروتين» (GROLLIER: MULTIMEDIA ENCYCLOPEDIA: NATURE HUMAN BODY NUCLEIC ACID).

وذلك أن التغييرات في تسلسل قواعد الحمض النووي الرنيسي (الدي أن اي) تجعل (أنزيم بلمرة الآر أن أي R.N.A POLYMERASE) يقرأ الشفرة الجينية لحلزون الدي أن اي قراءة مختلفة ويصنع وفق تلك القراءة مركباً آخر يسمى: (الآر أن أي الرسول m R.N.A). هذا المركب يخرج من نواة الخلية وينقل الأوامر من الدي أن اي كشفرة إلى مصنع البروتينات بالخلية: الريبوزوم، وهذا الأخير يتكون من البروتين و(الآر أن أي الريبوزي r R.N.A). وهناك تترجم مجموعة أخرى من هذه المركبات الحيوية تسمى: أحماض (الآر أن أي الناقلة t R.N.A) هذه الشفرة المنقولة ويبدأ تجميع سلسلة الببتيد حسب هذه المعلومات... وبما أن الشفرة مختلفة فتصنع بروتينات مختلفة.

«هذه التغييرات تؤدي إلى إنشاء تشوهات أو تغييرات في (نظام الأيض METABOLISM)».

ولكن تجدر الإشارة إلى أن هنالك أنزيمات تصلح تلك العيوب تسمى: (الأنزيمات الدي أن اي الإصلاحية D.N.A REPAIR ENZYME). وسوف نتكلم عنها أكثر في مبحث **«معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة»**.

إن الضوء الوحيد الذي لا يؤذي الجنين هو الضوء الأخضر (ذات الطول الموجي ما بين 575 - 525 نم).

وكما نعلم فإن تخلق الجنين يعتمد على استنساخ الخلايا، فإذا تأذت الخلايا الأولى تولدت الخلايا المنسوخة مع الأذى الذي لحق بالأولى.

نود الإشارة إلى أنه بما أن الضوء يؤذي الخلايا، فإذا خف استنساخ الخلايا المعطوبة من جراء الضوء (والتي ستؤلف الجنين) خف الضرر الذي يتولد من تأثير الضوء والله تعالى أعلم. وهذا يعني أنه كلما تقدم الجنين في السن وتخطى مرحلة (تخلق الأعضاء ORGANOGENESIS) خفّ تأثير الضوء على الجنين. أضف إلى ذلك أن نشوء الجلد وتغطيته للجسم والحجاب الذي يفرضه يخفف من أذى الضوء للجنين وهكذا يتجلى لنا لماذا ربط الله تعالى الأطوار ذات الطابع التخلقي بالظلمة.

وكما أشرنا إليه في مبحث "**ثقافة العالم القديم والحديث في علم الأجنة**" فإن أول من نشر رسومات دقيقة عن الأغشية المحيطة بالجنين هو العالم (ليوناردو دا فانشي LEONARDO DA VINCI) في القرن الخامس عشر الميلادي، أي بعد حوالي 1000 سنة من نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ!!!. فمن أوحى إلى رسول الله - عليه الصلاة والسلام - هذا الوصف الدقيق للأغشية التي تحيط بالجنين؟!، ومن أوحى إليه أن الظلمة مهمة جداً لتخلّق الجنين؟! الجواب: الله رب العالمين.

المضغة

● قال العليم الحكيم: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً...﴾ [المؤمنون 14].

● قال العليم الحكيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ...﴾ [الحج 5].

● عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً...» [أخرجه مسلم ح43].

● من دعاء الرسول الكريم - عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم - في سجوده: «سجد وجهي للذي فطره وصوّره وشقّ سمعه وبصره» [أخرجه مسلم ح38].

تمتد مرحلة المضغة من اليوم الخامس والعشرين إلى اليوم الأربعين.

أ - الشكل الخارجي للمضغة:

لقد وردت عدة معانٍ لكلمة «مضغة» في اللغة العربية منها:

1 - المادة التي لاكتها الأسنان ومضغتها[1].

2 - صغار الأمور[2].

جاء في لسان العرب[3]: «مضغ: مضغ يمضغ ويمضغ مضغاً: **لاك**... والمضغ من الجراح: صغارها... والمضغ جمع مضغة: وهي القطعة من اللحم قدر ما يمضغ **ومضغ الأمور: صغارها**».

(1) تاج العروس لمحمد مرتضى - (ج12/ص160). لسان العرب لابن منظور - مادة «مضغ» - (ج13/ص129).

(2) نظم الدرر للبقاعي - (ج13/ص116). لسان العرب لابن منظور - مادة «مضغ» - (ج13/ص130).

(3) لسان العرب لابن منظور - مادة «مضغ» - (ج13/ص129 - 130).

ومعنى الشيء الصغير نستطيع أن نستنبطه من وزن الكلمة. جاء في تفسير زاد المسير[1]: «والمضغة: لحمة صغيرة، قال ابن قتيبة: وسميت بذلك، لأنه بقدر ما يمضغ، كما قيل: غرفة لقدر ما يغرف».

المعنى الأول وهو المادة التي لاكتها الأسنان:

رأينا في مرحلة العلقة بأن الجنين أصبح يشبه العلقة في مظهره من جراء تطاوله، وتثلمه، وظهور بعض الفلقات فيه، وخط طولي في وسطه، ولكن سرعان ما يفقد هذا المظهر بعد أن ينحني رأسه وذيله اتجاه بطنه في اليومين الرابع والخامس والعشرين، وبعد أن ينطوي جانبا الجنين على نفسيهما، فيفقد الجنين مظهر العلقة.

ومما يساهم في ذلك أيضاً، هو أن (الساق الموصلة CONNECTING STALK) التي كانت تميز الجنين على أنه علقة تتحول إلى حبل سري[2]؛ فهذه الساق التي كانت تلتصق بالجنين وكيس المح عند ذيل الجنين، ما تلبث أن تهاجر وتلتحق بالمعي الأوسط الذي تخلق من جهة بطن الجنين، فتنتفي صورة الساق الموصلة، ويفقد الجنين بذلك آخر عامل يربطه بصورة "العلقة". **وتفصيلاً**: من جراء انطواء جانبيْ الجنين على نفسيهما ما بين اليوم الثاني والعشرين إلى السادس والعشرين، ينزوي جزء من (كيس المح YOLK SAC) إلى داخل الجنين مؤلفاً (المعي الأوسط MIDGUT)، وفي نفس الوقت تلتحق الساق الموصلة بالمعي الأوسط عند انحناء ذيل الجنين، وما يلبث ما تبقى من كيس المح أن يلتحم بالساق الموصلة، ويلتف حولهما (غشاء السلي AMNION) مكوناً ما يعرف بالحبل السري.

وبعد: تتكاثر الفلقات التي ذكرناها في مرحلة العلقة حتى يبلغ عددها في نهاية الأمر اثنتين إلى أربع وأربعين فلقة، يظهر بينها فراغات وأخاديد، وتكون بذلك أبرز علامات هذه الفترة. وتظهر أولى هذه الكتل من جهة الرأس، ثم يتوالى ظهورها تباعاً من الرأس إلى مؤخرة الجنين وفق جدول زمني دقيق للغاية، حتى إنه يمكن معرفة عمر الجنين بمعرفة عدد الكتل البدنية كالتالي:

---

(1) زاد المسير لابن الجوزي - (ج5/ ص406).

(2) كتاب الإنسان، د. تاج الدين محمود الجاعوني، ص 132.

العمر بالأيام	عدد الكتل البدنية
21 - 20	3 - 1
23 - 22	12 - 4
25 - 24	20 - 13
27 - 26	29 - 21
30 - 28	35 - 30
35 - 31	42 - 36 (أو 44)

أضف إلى ذلك، يظهر في الوقت نفسه، تحت قمة الرأس مباشرة، شقوق وميازيب في طبقة الأكتودرم الخارجية، يقابلها نتوءات مماثلة من طبقة الأندودرم الداخلية، هذه الشقوق تؤلف (الأقواس البلعومية PHARYNGEAL ARCHES) لدى الإنسان، وتظهر للعيان وكأنها خمس فلقات بينها أخاديد[1].

ومن جراء انحناءات الذيل والرأس اتجاه البطن، وبروز مقدمة الرأس، وتكاثر الانتفاخات والانحناءات التي تصاحب ظهور الكتل البدنية (انظر الصورة رقم: 87)، ووجود الأقواس البلعومية (انظر الصورة رقم: 88) يكسب الجنين مظهر قطعة ممزقة لا شكل لها شبيهة بالمادة التي لاكتها الأسنان. جاء في تفسير ابن كثير[2] بصدد هذه الآية: «وهي قطعة كالبضعة من اللحم لا شكل فيها ولا تخطيط»، أي لا شكل لها ولا تخطيط يدل على أنه جنين إنساني.



(87) - نرى في الصورة جنيناً في أسبوعه الرابع والنصف، وقد بدت عليه (الفلقات Somites) وهي تبدو وكأنها «وجبة أسنان» مضيفة على الجنين مظهر المضغة كما تشير إليه الآية: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [المؤمنون: 14].

(1) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص 363/ كتاب التارات السبع، د. محمد علي البار، ص 33.

(2) تفسير ابن كثير - (ج3/ ص240).

وقال الألوسي[1]: «قطعة لحم بقدر ما يمضغ، لا استبانة ولا تمايز فيها»، أي لا تمايز للملامح الإنسانية، ولا استبانة فيها لأي عضو من أعضاء الجسم الإنساني.

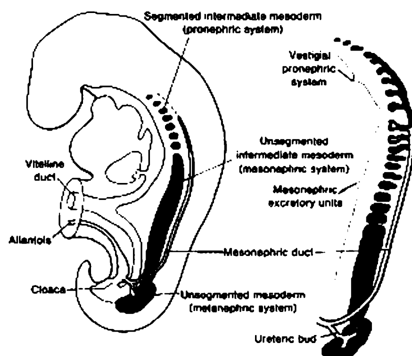


(88) - ترى في الصورة كيف أن الأقواس البلعومية ظهرت في جنين عمره 28 يوماً مؤكدة مظهر المضغة.



وليست (الكتل البدنية SOMITES) وحدها السبب في تسمية هذه المرحلة بالمضغة، فهناك تفاصيل أخرى، وإن كانت دقيقة، تجعل تسمية المضغة ملائمة للجنين. فبالإضافة إلى الكتل الخارجية الظاهرة للعين، هناك أيضا كتلٌ داخلية تُعرف باسم: (القطع البدنية METAMERES)، يتكون بداخلها (أنابيب بدائية للكلى PRONEPHROS)، تظهر مع ظهور الكتل البدنية في جهة الرأس والعنق، وتمتد إلى (مؤخرة الجنين CAUDAL PORTION)، في خط موازٍ للكتل الخارجية (انظر الصورة رقم: 89)، وكأن هذه الكتل تولدت تحت وطأة مضغ الأسنان للجهة الخارجية. فأصبح لدينا إلى جانب آثار الطبع الخارجية آثار طبع داخلية مرادفة لها، هذه الكتل، إلى جانب التفاصيل الأخرى التي ذكرناها سابقاً، تجعل وصف المضغة دقيقاً كل الدقة، بارعاً كل البراعة في وصف تلك المرحلة[2].

(1) تفسير الألوسي - (ج18/ ص14).
(2) كتاب التارات السبع، د. محمد علي البار، ص 33.



(89) - نرى في الرسم على اليسار كيف أن (أنابيب الكلى البدائية Pronephric system) ظهرت في الجنين على شكل كتل. والرسم على يمينه يظهر كيف أن المزيد من الكتل ظهرت في جنين عمره خمسة أسابيع متفقة مع تسمية «المضغة» التي وردت في النصوص القرآنية.

ومن الجدير بالذكر أن وصف الله - سبحانه وتعالى - للجنين بأنه مضغة في هذه الفترة يشير إلى أن الجنين في بالغ الطراوة. فالقطعة التي يلوكها الفم طريّة، وخصوصاً بعد مضغها. وإذا ألقينا نظرة إلى المادة التي يتألف منها الجنين في فترة المضغة، نرى أنها مؤلفة من أنسجة تسمى: (أنسجة ميزانكيمية MESENCHYMAL TISSUES)، وهي كما يصفها لنا العلماء «أنسجة منتظمة برخاوة»[1]، وهذه الطراوة مهمة حتى ينطوي الجنين على نفسه في مختلف النواحي، كما رأينا سابقاً في هذا المبحث، وهذا يشير إلى معرفة الرسول ﷺ إلى أن هذه الفترة تتطلب رخاوة لدى أنسجة الجنين حتى يستطيع أن يتشكل، وخصوصاً أن النصين القرآنيين: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [القيامة: 37، 38] و ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 13، 14] يشيران إلى أن الجنين يستقيم في المرحلة التي تلي مرحلة المضغة من جراء تصلبه (مما يدل على أنه كان رخواً قبل ذلك)[2].

(1) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص344.

(2) لمزيد من التفسير حول تصلب الجنين واستقامة جسده انظر مبحث «التسوية».

المعنى الثاني وهو معنى الشيء الصغير:

يكون طول الجنين حوالي ١ سم في نهاية هذه المرحلة، وهو حجم صغير جداً كما يشير إليه معنى كلمة «مضغة». (انظر الصورة رقم: 90).

 Actual size 11.0 mm

(90) - نرى في الرسم القياس الحقيقي للجنين في حوالي اليوم الثاني والأربعين أي في نهاية فترة المضغة (11ملم). كما يبدو لنا جليًا فهو صغير كما تعنيه كلمة مضغة التي جاءت في الآية ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [المؤمنون: 14].

ومن الجدير بالذكر أن وزن كلمة «مضغة» يشير إلى شيء صغير كما يشير إليه وزن كلمة «سلالة» (التي تحدثنا عنها في مبحث «**النطفة**»)، غير أن وزن كلمة «مضغة» يقصد شيئاً أكبر في حجمه مما يقصده وزن كلمة «سلالة». «الغرفة» من المياه التي هي على وزن كلمة «مضغة» أكبر من «النخالة و«النشارة» التي هي على وزن «سلالة»، وبالفعل فإن حجم السلالة - سواء أكانت السلالة الأنثوية أم السلالة الذكرية[1] - أصغر بكثير من المضغة.

ومن العوارض التي تظهر عند الجنين في هذه الفترة والتي تجعل تسمية «المضغة» تنطبق عليه:

1 - تبدو فلقات الجنين وكأنها تتغير باستمرار مثلما تتغير آثار طبع الأسنان في شكل مادة تمضغ حين لوكها - وذلك للتغير السريع في شكل الجنين - ولكن آثار الطبع أو المضغ تستمر ملازمة. فالجنين يتغير شكله الكلي، ولكن التركيبات المتكونة من الفلقات تبقى...

وكما أن المادة التي تلوكها الأسنان يحدث فيها تغضن وانتفاخات وتثنيات فإن ذلك يحدث للجنين تماماً.

2 - تتغير أوضاع الجنين نتيجة تحولات في مركز ثقله مع تكون أنسجة جديدة، ويشبه ذلك تغير وضع وشكل المادة حينما تلوكها الأسنان، فيدور الجنين ويتقلب في جوف الرحم كما تدور القطعة الممضوغة في جوف الفم.

(1) راجع مبحث «النطفة».

ونشير هنا إلى أن معنى كلمة المضغة: صغار الأمور، بالإضافة إلى معنى كلمة النطفة: القطرة، وما ورد عن النبي ﷺ أن عجب الذنب هو مثل «حبة الخردل»، يدل قطعاً على أن الرسول ﷺ يعلم تمام العلم أن مجريات الأمور من تخلق الجنين وما لحقه من انتشار العروق وانفلاق النطفة، وجمع الخلايا، وتخلق العلقة، وتخلق المضغة تتخذ حيزاً من المكان لا يزيد حجمه عن واحد سنتيمتر **في نهاية** الأسبوع السادس من وقت التخصيب (أي في الأيام الأربعين الأولى من تخلق الجنين كما يشير إليه الحديث الشريف: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك. . .» [أخرجه مسلم ح43])، وأنه ﷺ يعلم تمام العلم أن الجنين يكبر حجمه قليلاً وإن ظل صغيراً كما يشير إليه اختلاف وزن كلمة «سلالة» ووزن كلمة «مضغة»، وهذا مما يزيد الإعجاز دقة!!!.

كما أشرنا إليه في مبحث «**ثقافة العالم القديم والحديث في علم الأجنة**»، فإن أول من تخيل أن جسم الجنين له مظهر الفلقات هو العالم مارسيللو مالبيجي عام 1672م عندما نشر رسومات لجنين دجاجة تظهر الفلقات بوضوح تام، بيد أن القرآن الكريم أشار إلى ذلك قبل حوالي 1000 سنة. فمن أوحى إلى رسول الله - عليه الصلاة والسلام - هذا الوصف الدقيق الذي يشير إلى شكل المضغة؟!، ومن أوحى إليه أيضاً أن مظهر الجنين يتغير باستمرار كما يتغير مظهر المادة التي تلوكها الأسنان علماً بأن هذه الظاهرة لم تكتشف ولم تصور إلا في القرن العشرين؟!. الجواب: الله رب العالمين.

ب - الشكل الداخلي:

هذا على صعيد الشكل الخارجي للجنين، فماذا على الصعيد الداخلي؟.

إن الآيات التاليات: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [القيامة: 37-38] و﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [المؤمنون: 13-14] تلقي الأضواء على هذا الأمر. فإذا قابلنا بين هذه الآيات لاحظنا النتائج التالية:

سورة القيامة :	سورة المؤمنون :	النتائج :
ألم يك نطفة من مني يمنى	ثم جعلناه نطفة في قرار مكين	تدل الآيات على مرحلة النطفة
ثم كان علقة	ثم خلقنا النطفة علقة	تدل الآيات على مرحلة العلقة
فخلق	فخلقنا العلقة مضغة	تدل الآيات على أن مرحلة المضغة هي مرحلة تخلّق

فمرحلة المضغة هي مرحلة تخلّق. قال ابن عاشور: "...و إذ قد جعلت **المضغة** من مبادئ الخلق...»[1].

والخلق في اللغة العربية يعني أن يُحدث الله شيئاً لم يكن موجوداً من قبل، جاء في لسان العرب[2]: «خلق: ... (قال) ابن سيده: خلق الله الشيء يخلقه **خلقاً أحدثه بعد أن لم يكن**...»، وتبعاً لما سقناه فإن مرحلة المضغة تشهد ظهور أعضاء جديدة لم تكن موجودة من قبل، والآية: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ...﴾ [الحج: 5] تصف تلك الأعضاء. ففي هذه الآية صفتان لازمتان للمضغة: التخلق وعدم التخلق[3]،

(1) التحرير والتنوير - للطاهر بن عاشور - (ج8/ ص198).

(2) لسان العرب لابن منظور - مادة «خلق» - ج4/ ص: 193.

(3) لقد أخطأ بعض علماء تفسير القرآن، وبعض الباحثين في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، في تفسير ظاهرة التخلّق وعدم التخلّق للمضغة التي جاء ذكرها في الآية: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: 5]. فذهب البعض منهم إلى أن المضغة المخلّقة وغير المخلّقة تشير إلى أن الحمل يولد تام الخلق أو ناقص الخلق، أو أنه يولد قبل تشكيله، أو بعده.
جاء في تفسير ابن كثير للآية رقم 5 من سورة الحج: «...فتارة تسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط، وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل وتخطيط، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾... وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله قال: النطفة إذا استقرت في الرحم جاءها ملك بكفه فقال: يا رب مخلّقة أو غير مخلّقة؟ فإن قيل غير مخلّقة، لم تكن نسمة، وقذفتها الأرحام دماً. وإن قيل مخلّقة، قال: أي رب ذكراً أو أنثى؟ شقي أو سعيد؟ ما الأجل؟ وما الأثر؟ وبأي أرض يموت؟... ثم تلا عامر الشعبي: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: 5]. فإذا بلغت مضغة نكست في الخلق الرابع فكانت نسمة، وإن كانت غير مخلّقة، قذفتها الأرحام دماً، وإن كانت مخلّقة نكست نسمة». =

= وجاء في تفسير القرطبي في تفسير الآية السالفة الذكر: «... قال الفراء: «مخلقة» تامة الخلق، «وغير مخلقة» السقط... (قال) ابن زيد: المخلقة التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين، وغير مخلقة التي لم يخلق فيها شيئاً... وقد قيل: إن قوله: ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ يرجع إلى الولد بعينه لا إلى السقط أي منهم من يتم الرب سبحانه مضغته فيخلق له الأعضاء أجمع، ومنهم من يكون خديجاً ناقصاً غير تمام... (قال) ابن عباس: المخلقة ما كان حياً، وغير المخلقة السقط».

والتفسير السابق مجانب للصواب لعدة أسباب:

أولاً: لم يركز هؤلاء العلماء على وظيفة حرف العطف «الواو» الذي ورد في الآية ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾. فوظيفته العطف، وتقتضي بأن صفتي التخلق وعدم التخلق تنطبقان كلاهما على المضغة في آن واحد، فالمضغة مخلقة وغير مخلقة، وليست مخلقة أو غير مخلقة، وبالتالي فإن المضغة تتصف بالصفتين، وليس بإحداهما.

ثانياً: لقد اعتمد هؤلاء العلماء على الحديث: «إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكاً فقال: يا رب: مخلقة أم غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلقة مجّتها الأرحام دماً، وإن قال: مخلقة قال: يا رب: فما صفة هذه النطفة؟» [رواه الطبري ح32] أو الذي أخرجه ابن أبي حاتم بلفظ: «النطفة إذا استقرت في الرحم...» [ح33] لفهم الآية السالفة الذكر، كما قرأنا من قول عامر الشعبي ﷺ.

وفي الحقيقة يتحدث كلّ من الحديثين - رقم 32 و33 - عن ظاهرة مختلفة عن تلك التي تتكلم عنها الآية السالفة الذكر، لعدة أسباب:

أولاً: تتكلم الآية عن المضغة، ويتكلم كلّ من الحديثين عن النطفة.

ثانياً: تتكلم الآية عن ذكر استقرار الجنين بنسبة كبيرة كما جاء في: ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ﴾ [الحج: 5]، بينما يتكلم كلّ من الحديثين عن سقط الجنين بنسبة كبيرة، كما في «فإن قال: غير مخلقة مجّتها الأرحام دماً» [رواه الطبري ح32].

ثالثاً: لقد جاءت صيغة الاستفهام في الحديثين، بينما لم ترد هذه الصيغة في الآية السالفة الذكر، وهذا له دلالته؛ فالتخلق وعدم التخلق ليسا صفتين لازمتين في الحال للنطفة التي تقع أو التي استقرت في الرحم، وإنما صفتان ستؤول إلى إحداهما النطفة كما تقرّره هذه الصيغة؛ فالملك يسأل الله ﷻ هل يريد أن يخلق النطفة أم لا؟ وهذا يعني أن النطفة ليست مخلقة بعد، وإنما ستتخلق فيما بعد، على خلاف صيغة التقرير التي جاءت في الآية السالفة الذكر، والتي تنص على أن التخليق وعدم التخليق صفتان لازمتان في الحال للمضغة من خلال وظيفة العطف التي وردت في آية سورة الحج.

رابعاً: إن المراد من الحديثين رقم 32 و33 هو أن النطفة فور استقرارها تبدأ بالتخلق لتصبح فيما بعد مخلقة، فتنبثق منها العلقة، فالمضغة... أو يتوقف تخلّقها في هذه الفترة، لتقذف عندئذ من الرحم، وبالتالي فلا يجب أن نستشهد بالحديث رقم 33 على أنه يفسّر الآية رقم 5 من سورة الحج، لأنه يشير إلى طور يقع قبل وقوع طور تخلّق المضغة، ويؤدي إليها، وبالتالي فإن ظاهرة التخلّق أو عدم التخلّق التي جاء ذكرها في كل من المرحلتين ليست بالضرورة نفسها.

قال ابن عاشور: «قوله تعالى: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ صفة ﴿مُّضْغَةٍ﴾، وذلك تطور من تطورات المضغة... وإذ قد جعلت المضغة من مبادئ الخلق، تعيّن أن كلا **الوصفين لأزمان للمضغة**»[1]، وهذه الصفات صفات خلق، وإذا أردنا أن نفهم معنى هذه الآية فلا بدّ لنا أن نشير إلى المعنى الثاني لكلمة «مخلّقة». جاء في لسان العرب[2]: «خلق:... ورجل خليق بيّن الخلق **تامّ الخلق معتدل**»، وورد في تفسير القرطبي: «قال ابن الأعرابي: مخلّقة قد بدأ خلقها وغير مخلّقة التي لم **تصوّر بعد**».

إذاً كلمة «خلق» تأتي بمعنيين: الأول بمعنى إحداث الشيء من العدم، والثاني بمعنى إتمام خلق الشيء (وبالتالي بإتمام صورة الشيء).

وهذا يعني أن المضغة المخلّقة وغير المخلّقة تعني مضغة تخلقت جزئياً، ولكن لم يكتمل تخلقها أو صورتها بعد.

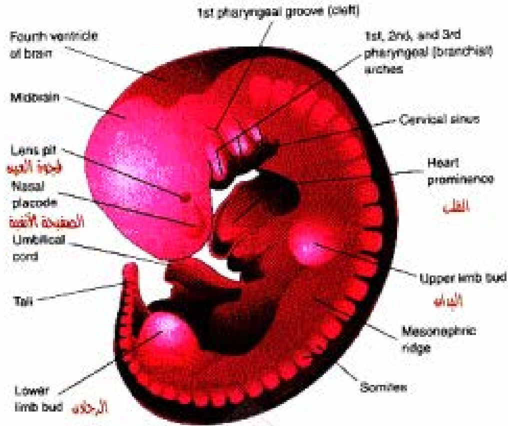
فالمضغة تظهر للعيان كما قلنا على شكل فلقات، ولا تتمايز الفلقات في البداية، ولكنها سرعان ما تتمايز إلى خلايا تتطور إلى أعضاء مختلفة، وبعض هذه الأعضاء تتكون في مرحلة المضغة، والبعض الآخر في مراحل لاحقة.

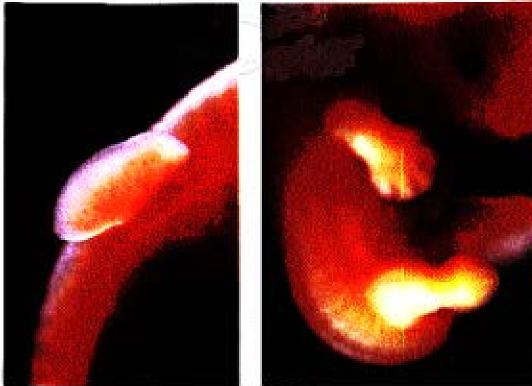
أما الأعضاء التي تتكون في هذه المرحلة فهي تظهر على شكل براعم وهي غير مكتملة بعد: فعلى سبيل المثال: يوجد القلب والدماغ البدائي والكبد، ولكن لا يكتمل نموها أثناء هذه الفترة، كما تظهر بداية الأيدي والأرجل في الأسبوع الثالث أو الرابع، وتتطور تلك إلى أن تظهر وكأنها مبتورة، ومن ثمّ تظهر الأصابع على شكل إشعاعات في الكف في نهاية مرحلة المضغة، إلى ذلك فإن الهيكل البدائي للعينين (الكأس البصري الناشيء من الحويصلة العينية) والأذنين (الأذن الداخلية الناشئة من الحويصلة الأذنية) يتكوّن قبل نهاية الأسبوع السادس، ولكنّ كلاً من العينين والأذنين لا يتشكّل إلاّ لاحقاً، فتلك الأعضاء تكون في صورة أولية من مراحل تخلقها وهي لا تعمل ولا تشبه أعضاء الإنسان في مرحلة المضغة. (انظر الصورة رقم: 19).

ومما يدعم موقفنا هو الحقائق العلمية التي تتلاءم مع المعاني التي رجحناها، وهي أن النطفة قد تتعرض للسقط عند سقوطها أو فور استقرارها في الرّحم، أي أنها ستتوقف عن التخلق في حال تعرّضت للسقط، أو ستتشكل في حال استمرار الحمل، وأن أعضاء المضغة ستتخلّق جزئياً في طور المضغة، ولكن لن يكتمل نموها فيه.

(1) التحرير والتنوير - للطاهر بن عاشور (ج8/ ص198).

(2) لسان العرب لابن منظور مادة «خلق» - (ج4/ ص193).





(91) - نرى في الرسم في أعلى الصفحة جنيناً في يومه الثاني والثلاثين، ونلاحظ أن كثيراً من أعضائه ظهرت وإن لم تكتمل بعد، مثل: القلب واليدين والرجلين وفجوة العين والصفيحة الأنفية...

ويلي الرسم صوراً حقيقية لجنين في مرحلة المضغة وقد ظهرت يداه ورجلاه كأنها مبتورة لأنها لم تكتمل بعد، وبالتالي فإن الجنين مخلق ولكن لم يكتمل تخلقه بعد كما أشارت إليه الآية: ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥].

أما بالنسبة إلى الأعضاء التناسلية، فإن الجزء الأولي لها يتخلق، بيد أن الأعضاء نفسها في صورة أولية من مراحل تطورها.

هذا بالنسبة للأعضاء التي تكونت، أما بالنسبة للأعضاء التي لم تتكون فتتمايز خلاياها وإن لم تتشكل بعد.

يقول الدكتور كيث مور في هذا المجال واصفاً حال العضلات[1]: (إن طلائع العضلات كانت موجودة مع مكونات العظام والأنسجة الأخرى في هيكل جماعي بدائي. كل هذا يتخلق خلال الأيام الأربعين الأولى وهي موجودة في فترة المضغة. ولكن مكونات العضلات البدائية في هذه الفترة لا تكون قد تميزت إلى عضلات "نهائية").

وقد فهم علماؤنا هذه الحقائق العلمية من خلال دلالات الألفاظ التي جاءت في الآيات القرآنية. قال ابن كثير[2]: "قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط، ثم يشرع في التشكيل والتخطيط؛ فيصور منها رأس ويدان وصدر وبطن وفخذان ورجلان وسائر الأعضاء...".

وقال الألوسي[3]: "والمشهور المتبادر أن المخلَّقة المستبينة الخلق، أي: مضغة مستبينة الخلق مصورة، ومضغة لم يستبن خلقها وصورتها بعد، والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أوّلاً قطعة **لم يظهر فيها شيء من الأعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً**".

ونود الإشارة إلى أن كل الأعضاء التي ذكرناها سابقاً تبقى إلى نهاية مرحلة "المضغة" على صورة براعم، فيحتفظ الجنين عندئذ بالشكل الخارجي المشابه لمادة ممضوغة، وإن ظهرت فيه أعضاء جديدة، وذلك لعدم وجود تخطيط واضح له، فيصدق عندئذ وصفه بأنه مخلّق وغير مخلّق.

وهكذا نفهم كيف أن الصفتين "مخلّقة" و"غير المخلّقة" لازمتان للمضغة، وكيف أنها تصف حالة أعضاء الجنين.

ومن الجدير بالذكر أن تسمية هذه المرحلة بالمضغة المخلّقة وغير المخلّقة هي إعجاز علمي رائع. فإلى جانب أنها تشير إلى أن المضغة تخلقت جزئياً بصورة غير تامة، فإنها توحي إلينا أن المضغة تتطور تدريجياً، فالأعضاء تتخلق ولكن تحتاج إلى وقت أكثر ليكتمل تخلقها، فهي على مرحلة من التدرج في النمو.

---

(1) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص 364.

(2) تفسير ابن كثير - تفسير سورة الحج، آية رقم5 (ج3/ ص206).

(3) تفسير الألوسي - (ج17/ ص116).

أضف إلى ذلك، فإن ذكر كلمة «مضغة» إلى جانب كلمة «مخلّقة» في الآية ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ...﴾ [الحج: ٥]، يشير إلى حدوث أشياء في النمو كانت هي السبب في تغير الشكل الخارجي للجنين، فنمو الكتل البدنية سبّب تغيرات في شكل الجنين.

وقبل أن نختتم حديثنا عن المضغة، نسوق دليلاً آخر على أن المراد من النصوص الشرعية التي ذكرناها آنفاً، هو تخلق جميع أعضاء الجنين قبل نهاية فترة المضغة، أي: في الأيام الأربعين الأولى من تخصيب البويضة.

إن الحديث: «إن أحدكم يجمع خلْقه في بطن أمه أربعين يوماً ...» [أخرجه مسلم ح43] يشير إلى حادثة "جمع الخلق".

والجمع كما مرّ معنا في مبحث **«جمع خلايا الجنين»**، يشير إلى تضام الشيء بعضه إلى بعض. جاء في مقاييس اللغة: "جمع: الجيم والميم والعين أصلٌ واحد، يدلُّ على **تضامّ** الشيء»(1).

وحرف الهاء لفعل "جمعه"، الذي ورد في الحديث: "إن الله تعالى إذا أراد خلق النسمة، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه في كل عرق وعصب منها، فإذا كان يوم السابع، **جمعه** الله تعالى، ثم أحضر له كل عرق بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾" [**أخرجه الطبراني** ح21]، يعود للماء. والجنين في هذه المرحلة ما يزال يُشار إليه بالماء لأنه لم يتخلّق بعد، وهذا يعني أن الجنين يُجمع بعد اليوم السابع.

وكما نعلم، فإن خلايا الجنين وخلايا المشيمة تؤلّف قبل هذا الوقت مجموعة واحدة، ومن ثمّ ما تلبث أن تنفصل مجموعة الخلايا التي ستؤلف الجنين، عن مجموعة الخلايا التي ستؤلف المشيمة، وتجتمع ضمن قرص جنيني، **فتنضم** بعضها إلى بعض، وهذا هو "جمع الجنين".

وأما هنا فالذي يُجمع هو "خلق أحدكم"، أي "خلق الجنين"، وليس الجنين نفسه، و"خلق الجنين" هو سائر أعضاء الجنين التي ستتخلق كما تشير إليه الآيات: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [القيامة: ٣٧، ٣٨]، و﴿... فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ...﴾ [الحج: ٥].

(1) مقاييس اللغة، لابن فارس - (ج1/ص 479).

ومن الجدير بالذكر أن لفظ «خلْق» هو لفظ عام وضع وضعاً واحداً، وهو دالٌ على كثيرين، يستغرق كل ما خلق الله[1]، والدليل على ذلك ما ورد في كتاب الله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: 10-11]، فلفظ «خلْق» شمل كل المخلوقات التي خلقها الله ﷻ من سموات وأرض ودواب ونباتات، غير أن كلمة «هذا» قصرت العام إلى ما ذكرته الآية. قال ابن كثير[2] في تفسيره للآية: «**أي هذا الذي ذكره** تعالى من خلق السموات والأرض وما بينهما صادر عن فعل الله وخلقه وتقديره...». وقياساً على الآية، فإن كلمة «خلْق» التي جاءت في الحديث «إن أحدكم **يجمع خلقه** في بطن أمه **أربعين يوماً**...» [أخرجه مسلم ح143]، تشمل كل ما خلقه الله تعالى مقروناً بالجنين، فهي تدل على جميع الأعضاء التي سوف تتخلق لدى الجنين.

وفعل «جمع» يعني: جمع الشيء عن **تفرقة**[3]، جاء في مختار الصحاح: باب الجيم: «ج م ع: جمع الشيء **المتفرق** فاجْتمع»[4]. وقال ابن حجر[5]: «والمراد بالجمع ضم [الشيء] بعضه إلى بعض بعد **الانتشار**».

ومن الحديث الذي سبق ومن معنى كلمة «جمع» نفهم أن «جمع خلق الجنين» يشير إلى أن أعضاء الجنين في مراحلها الأولى كانت مفرّقة، وبالفعل، فبعد مرحلة **«جمع خلايا الجنين»** تشهد خلايا القرص الجنيني تكاثراً هائلاً وسريعاً في اتجاهات متفرقة كما رأينا في مبحث **«الذنب»**، ومن ثَمّ تجتمع وتتمايز تلك الخلايا خلال فترة «العلقة»، ومن ثَمّ تهاجر وتجتمع ضمن أعضاء مختلفة في فترة «المضغة» وما بعدها[6].

فكما أن الحديث: «... فإذا كان يوم **السابع**، **جمعه** الله تعالى...» يشير إلى

(1) د. إبراهيم السلقيني، أصول الفقه الإسلامي. الفصل الخامس: التقسيم الرابع باعتبار وضع اللفظ للمعنى، المبحث الثاني: العام، ص 279 - 280. (انظر مبحث «الماء والمني»).
(2) تفسير ابن كثير - (ج3/ ص443).
(3) لسان العرب لابن منظور مادة «جمع» - (ج2/ ص355).
(4) مختار الصحاح، باب الجيم، ص 110.
(5) فتح الباري شرح صحيح البخاري - كتاب القدر - رقم الحديث 6594 - (ج11/ ص479).
(6) انظر مبحث «**التسوية**» قسم «خلق العظام والكساء باللحم».

زمن «جمع الجنين» - سبعة أيام وما فوقها -، فإن الحديث: «إن أحدكم **يجمع خلقه** في بطن أمه أربعين يوماً. . .» يشير إلى زمن "جمع أعضاء الجنين" - أربعين يوماً وما قبلها - .

ومن الجدير بالذكر أن لفظ «يجمع» دليل آخر، يضاف إلى الدليل الأول - لفظ "جمعه» -، على أن خلايا الجنين تنفلق، وليس هذا فحسب، بل هو دليل على أن الانفلاق الذي ابتدأ قبل فترة «جمع الجنين»، يستمر بعدها، لتعود خلايا الجنين لتنتظم وفق أعضاء محددة.

وكما رأينا سابقاً فإن قالب الجنين يصب في مرحلة المضغة: فالأعضاء توجد وتتركب في هذه الفترة وإن لم يكتمل نموها بعد، مما حمل العلماء الكونيين أن يسمُّوا تلك المرحلة بمرحلة (تكوين - أو خلْق - الأعضاء ORGANOGENESIS) وهذا موافق لما أعلنه رسولنا الكريم ﷺ: "إن أحدكم يجمع خلقه. . ." منذ أربعة عشر قرناً، فاعتبروا يا أولي الأبصار!!!.

وتؤكد الأحاديث النبوية الشريفة مرّة أخرى على أن الرسول ﷺ أوتي جوامع الكلم [أخرجه البخاري ح13]؛ ذلك أن تسمية هذه الفترة "بمرحلة جمع الخلق" أفضل من تسمية هذه الفترة "بمرحلة تكوين الأعضاء"؛ حيث إن كلام الرسول ﷺ في هذا المقام يشير ليس فقط إلى تكوين الأعضاء، بل إلى العملية التي يتم فيها تكوين الأعضاء من خلال جمع الخلايا.

إذا ما قارنا بين التسميتين: «مضغة مخلّقة وغير مخلّقة» و«تكوين الأعضاء»، نجد أيضاً أن التسمية القرآنية تتفوق على تسمية العلماء لهذه المرحلة تفوقاً كبيراً: فالتسمية العلمية لا تشير سوى إلى العمليات الداخلية والخارجية للجنين، حيث إن "تكوين الأعضاء" يشير إلى تخلّق أعضاء للجنين مع ما يصحبه من تشكل خارجي، أما التسمية القرآنية فهي تشير إلى حجم الجنين (صغير)، ومادته (أنسجة طرية)، ومظهره الخارجي (شكل قطعة لحم ممضوغة)، كما أنها تشير إلى تخلّق الأعضاء على صورة براعم أولية (مخلّقة وغير مخلّقة) على شيء من التدرج (حيث إن التخلّق يلي عدم التخلّق).

فسبحان من يبين لنا الآيات على ألسنة الناس ولو بعد حين! أليس هو القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ...﴾ [الحج 5]

ج - شق السمع والبصر:

من المشاهد التي تبهر العقول: تخلّق السمع والبصر، فهما ينشآن بطريقة غير مألوفة للبشر، ولا يمكن لأحد أن يتصور نشأتهما إلا إذا شاهدهما.

ولذلك كان رسول الله ﷺ يدعو ويقول في سجوده: «سجد وجهي للذي فطره وصوّره وشقّ سمعه وبصره» [أخرجه مسلم ح38] فكان ذلك بمثابة إعجاز إخباري.

فهناك ثلاث عمليات أساسية في تاريخ تخلّق الأعين والآذان:

- عملية تخلّق من خلال انفصال عضو عن عضو آخر واستخراجه منه.
- عملية تخلّق من خلال ظهور أخدود.
- عملية انفطار وانشقاق أغشية.

الفعل الجامع لتلك الأنواع المختلفة من التخلّق هو فعل «شقّ».

والمعنى الأول هو: أخذ الشيء من الشيء الآخر.

ورد في لسان العرب[1]: «واشتقاق الشيء بنيانه من المرتجل، واشتقاق الكلام الأخذ فيه يميناً وشمالاً، واشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه».

ويؤيد هذا المعنى الحديث التالي: «قال رسول الله ﷺ: قال الله - تبارك وتعالى -: أنا الله وأنا الرحمن، خلقتُ الرّحِم **وشققت لها من اسمي** فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» [أخرجه الترمذي ح39]. جاء في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي[2]: «(وشققت): أي **أخرجت** وأخذت اسماً، (لها): أي للرحم، (من اسمي): أي الرحمن».

وجاء أيضاً في تفسير القرطبي[3] للآية: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: 1] «أن سيدنا علياً - كرم الله وجهه - قال: تشق عن المجرة»، أي تنفصل عنها بعد أن كانتا جزءاً واحداً.

وهذا المعنى الأول لفعل «شق».

أما المعنى الثاني فهو: الصدع.

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «شقق» (ج7/ ص167).

(2) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري - كتاب البر والصلة - باب ما جاء في قطيعة الرحم رقم الحديث 1907 - (ج6/ ص14).

(3) تفسير القرطبي - (ج19/ ص269).

قال ابن فارس: «شق: الشين والقاف أصل واحد صحيح، يدل على انصداع في الشيء»[1].

جاء في لسان العرب[2]: «الشق مصدر قولك شققت العود شقاً، والشَّقُّ الصدع البائن، وقيل: غير البائن، وقيل: هو الصدع عامة».

وورد أيضاً في تفسير القرطبي[3] للآية: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ [البروج: 4] الأخدود هو: «**الشق** العظيم المستطيل في الأرض كالخندق».

أما المعنى الثالث فهو: تمزيق الأغشية.

قال ابن فارس: «وقد انشق عصا القوم بعد التئامها: إذا تفرق أمرهم، ثم يقال لنصف الشيء: الشيء»[4].

جاء في لسان العرب: «مزق: شق الثياب ونحوها. مزقهُ يمْزقه مزْقاً ومزّقه فانْمزق تمزيقاً وتمزق: خرقه»[5].

ويؤيد هذا المعنى الحديث التالي: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من شق الجيوب وضرب الخدود ودعا بدعوة الجاهلية» [أخرجه الترمذي ح40]. جاء في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي[6]: «الجيوب جمع جيب بالجيم الموحدة وهو ما يفتح من الثوب ليدخل فيه الرأس، والمراد بشقه إكمال فتحه إلى آخره» أي تمزيق القماش.

والذي يحدث في مجال تخلق الأذنين والعينين وينطبق على تلك المعاني فهو كالتالي:

في مجال تخلق العينين:

يظهر **أخدود** صغير في بادئ الأمر يسمى: (الفجوة البصرية OPTIC SULCUS) في الجزء الأمامي لكل من (طرفي الأنبوب العصبي NEURAL FOLDS) في اليوم الثاني والعشرين (أي في حوالي نهاية مرحلة العلقة وبداية مرحلة المضغة).

---

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (ج3/ ص170).

(2) لسان العرب لابن منظور - مادة «شقق» - (ج7/ ص164).

(3) تفسير القرطبي - (ج19/ ص286).

(4) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (ج3/ ص171).

(5) لسان العرب لابن منظور - مادة «مزق» - (ج13/ ص15).

(6) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري - كتاب الجنائز - باب ما جاء في النهي عن ضرب الخدود وشق الجيوب عند المصيبة - رقم الحديث 999 - (ج4/ ص40).

ومن ثمّ يتّحد طرفا الأنبوب العصبي ويؤلفان (المخ الأمامي FOREBRAIN) للجنين. في هذه الأثناء يتضخم الأخدودان الموجودان داخل هذين الطرفين ويؤلف كل منهما (ساقاً بصرية مجوفة OPTIC STALK) تقترب كل منهما من سطح الجلد على جانبي مخ الجنين ومن ثمّ تأخذ شكل حويصلة الإبصار على سطح الجلد، وحينئذ يتحدّب طرف هذه الساق المجوفة إلى الداخل فيتحول شكلها الحويصلي إلى تجويف يشبه تجويف الكوب يسمى: (الكأس البصرية OPTIC CUP)[1].

في الوقت نفسه يتْبع تحدُّب طرف الساق إلى الداخل انطواءُ الجلد على نفسه ليؤلف (عدسة العين LENS VESICLE) التي تظل ملتصقة (بالجلد SURFACE ECTODERM) ومن ثمّ تنفصل **وتنْشق** تلك الفقاعة (العدسة) الناشئة من الجلد عنه وتغور داخل تجويف الكأس البصري. (انظر الصورة رقم: 92).

بالإضافة إلى ذلك فإن طبقة من الميزودرم تغطي هذه العدسة وتسمى: (المحفظة العدسية الوعائية PUPILLARY MENBRANE). هذه المحفظة **تنفطر وتُشق** مكونة فرجة تعرف باسم حدقة العين أو «البؤبؤ»[2]. (انظر الصورة رقم: 93).

كما أن الجفون التي تلتصق في الأسبوع العاشر **تنفتق وتتشقق في** الأسبوع السادس والعشرين.

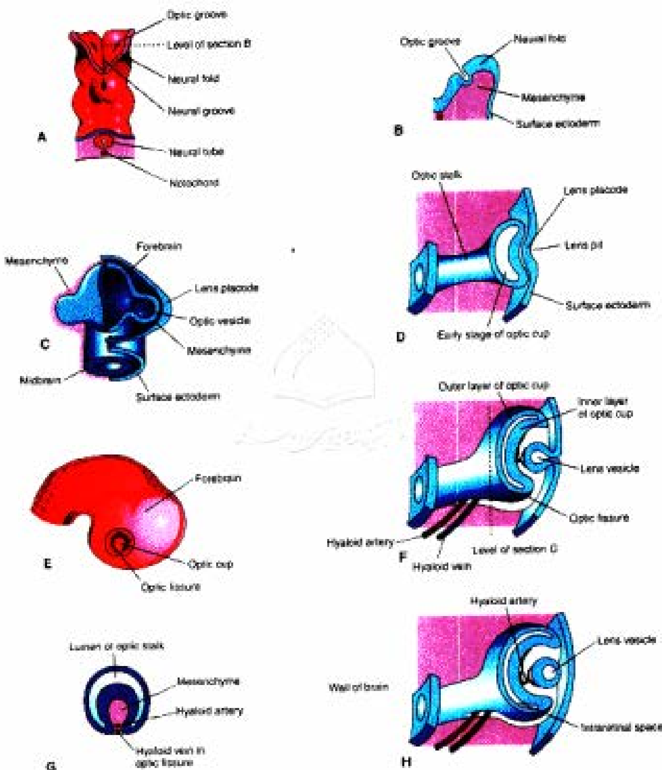
في مجال تخلُّق الأذنين:

الأذن مؤلفة من ثلاثة أجزاء:

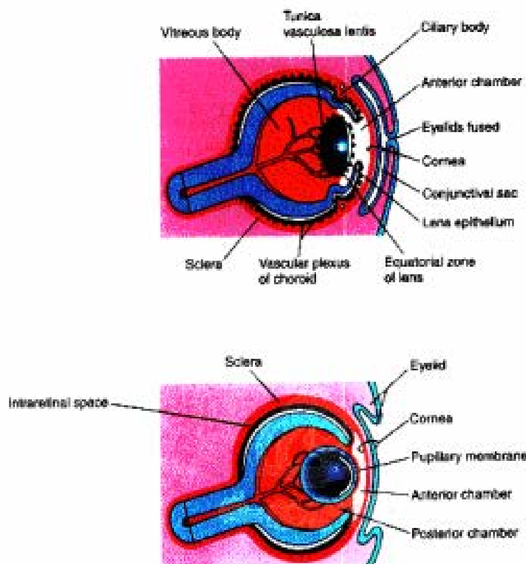
- الأذن الداخلية.
- الأذن الوسطى.
- الأذن الخارجية.

(1) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص 413 - 414.

(2) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص330، وكتاب علم الأجنة الطبي، سادلر، ص362.

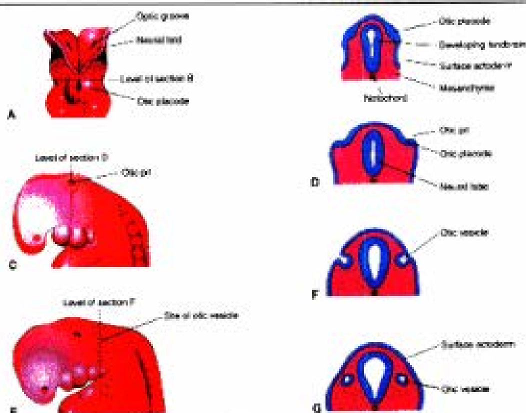


(92) - نرى في هذه الرسومات كيف أن (الحويصلة البصرية Lens vesicle) تشق من طبقة الجلد الخارجية وتغور داخل (التجويف البصري Optic cup) كما نطق به الحديث «شق سمعه وبصره» [أخرجه مسلم ح38].



(93) - نرى في هذه الرسومات كيف أن (المحفظة العدسية الوعائية Pupillary membrane) التي تغطي البؤبؤ تنشق وتختفي في الأسبوع العشرين.

الأذن الداخلية تتخلق بنفس الطريقة التي تتكون فيها عدسة العين، ولكن من (الجهة الخلفية للمخ HINDBRAIN)، فيظهر أخدود صغير يسمى: (الفجوة السمعية OTIC PIT) في (الطبقة الخارجية الأكتودرم ECTODERM)، ومن ثم تنثني هذه الطبقة على نفسها وتُشتق فقاعة من الجلد عنها وتهاجر إلى الداخل مؤلفة (الحويصلة السمعية OTIC VESICLE). هذه الحويصلة تتطور لتؤلف فيما بعد ما يُعرف (بالدهليز الغشائي MEMBRANOUS LABYRINTH) و(الدهليز العظمي BONY LABYRINTH). (انظر الصورة رقم: 94).



(94) - المراحل الأولى لتخلق الأذن الداخلية: تنشق من الجلد فقاعة تسمى: (الحويصلة السمعية Otic vesicle) وفقاً للحديث «سجد وجهي للذي فطره وصوره وشق سمعه وبصره» [أخرجه مسلم ح38].

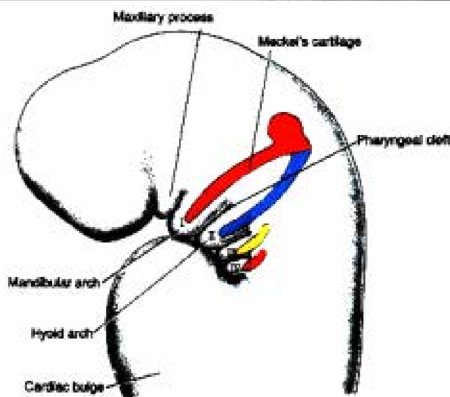
أما عظام الأذن الوسطى فهي **تنشق وتنبثق** من (غضروف القوس الأول FIRST ARCH CARTILAGE)[1] (الذي يؤلف فيما بعد عظام الحنك) و(غضروف القوس الثاني SECOND ARCH CARTILAGE)، وتتكوّن بطريقة معقّدة. (انظر الصورة رقم: 95).

أما الأذن الخارجية فتنشأ من جراء تكاثر خلايا طبقة الأكتودرم إلى الجهة الداخلية. فهذه الكتلة تؤلف طبقة صلبة تسمى: سدادة الصماخ، ومن ثم تتفتّت هذه السدّادة لتؤلف **تجويفاً** شبيهاً **بالشق** يسمى: (قناة السمع الخارجية EXTERNAL ACCOUSTIC MEATUS)[2]. (انظر الصورة رقم: 96).

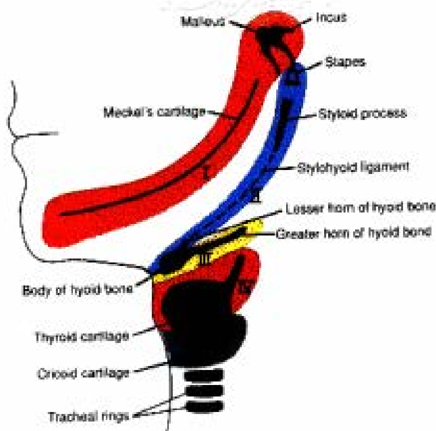
وهكذا نرى كيف تنطبق معاني فعل شقّ على عمليات تخلق العين والأذن: فتارة تنطبق من خلال ظهور أخدود، وتارة من خلال شق عضو عن عضو آخر، وتارة من خلال تمزّق أغشية وفتقها ليتحقق في النهاية الإعجاز الغيبي للرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه -.

---

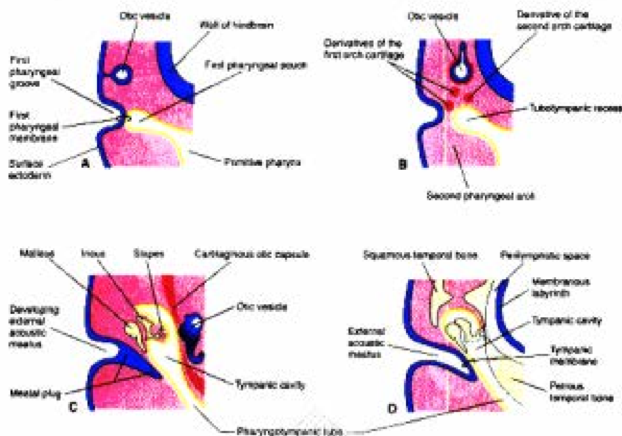
(1) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص 183 و423 - 424 - 427.
(2) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص 426.



(A - 95) - تنبثق وتشتق عظام الأذن الوسطى من (غضروف القوسين الأول والثاني
(First arch cartilage - Meckel's cartilage - Second arch cartilage).



(B - 95) - (عظام الأذن الوسطى Malleus, Incus, Stapes) التي تتطور من اشتقاقات غضروف القوسين الأول والثاني كما تشير إليه المنطقتان الحمراء والزرقاء.



(96) - تتفتت (سدادة الصماخ External acoustic meatus) لتؤلف تجويفاً شبيهاً بالشق كما نطق به الحديث «سجد وجهي للذي فطره وصوره وشق سمعه وبصره» [أخرجه مسلم ح38].



الإقرار

● قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: 5].

جاء في مختار الصحاح: «والقرارُ في المكان الاستقرارُ فيه تقول: قررْتُ بالمكان بالكسر، أقِرّ قراراً، وقررْتُ أيضاً بالفتح، أقرّ قراراً. . . وأقرّهُ في مكانه فاستقرّ»[1].

وورد في لسان العرب: «قرر. . . وصار الأمر إلى قراره ومُستقرّه: تناهى وثبت وأقرّت الناقةُ: ثبت حملها»[2].

إذن فمعنى ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ هو: ونثبت في الأرحام ما نشاء.

ونجد في قوله تعالى ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ. . .﴾ إعجازاً علمياً واضحاً وهو أن الله سبحانه وتعالى ذكر مرحلة الإقرار بعد ذكر طور المضغة. مما يعني أن الإقرار يبدأ من نهاية فترة المضغة.

وقد يعترض بعض القرّاء على أن وظيفة الحرف "و" التي جاءت مع فعل «نقرّ» هي للعطف وليست للترتيب[3]، وبالتالي فذكر الإقرار هنا لا يعني بالضرورة أن الإقرار يأتي بعد طور المضغة، ولكن ما يلاحظ هنا أن الله تعالى ذكر الإقرار بعد ذكر أطوار النطفة والعلقة والمضغة، وقبل ذكر مراحل الطفولة والشيخوخة. وبالتالي وضع الإقرار في هذا المكان من الآية وليس في سواه يدل على أن الإقرار يبدأ من ها هنا.

(1) مختار الصحاح. باب القاف، ص528 - 529.

(2) لسان العرب لابن منظور - مادة «قرر» - (ج11/ ص100 - 102).

(3) جاء في كتاب «قطر الندى وبل الصدى»، ص282: «أجمع النحويون واللغويون من البصريين والكوفيين على أن الواو للجمع من غير ترتيب».

كذلك عدم ذكر ما تبقى من الأطوار الجنينية بعد طور المضغة (على عكس ما جاء في الآية: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14]) هو دليل آخر على أن المقصود هو إظهار أن نهاية مآل الأطوار الجنينية السابقة هو الإقرار (بدءاً من هذه النقطة فصاعداً) لأن تعديد الأطوار الجنينية انتهى عنده.

ومما يؤكد هذا الكلام هو أن الله تعالى ذكر في الآية رقم 5 من سورة الحج أنه يُقرّ الحمل إلى أجل مسمى، والأجل المسمى هو: القدر المعلوم الذي جاء في النص القرآني: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾﴾ [المرسلات: 20-22]، وهو الوقت الذي قدّره الله تعالى لنهاية الحمل - تسعة أشهر -، وبالتالي فهو يشمل ما تبقى من المراحل الجنينية.

وقد علّق الله سبحانه وتعالى الإقرار بمشيئته فمن شاء أن يثبّته في الرحم ثبته وأقرّه، ومن لم يشأ أن يُثبته لم يثبت.

ومن المعلوم أن فترة المضغة تبدأ في الأسبوع الرابع من الحمل وتنتهي في الأسبوع السادس، أي بعد حوالي أربعين يوماً من وقت إخصاب البويضة.

وهكذا نستنتج أن فترة تثبيت الحمل تبدأ من الأسبوع السادس فصاعداً.

وقد تبيّن أن العلم الحديث في هذا المجال قد وافق الآية الكريمة، وقد أوضح الدكتور ت - ف - ن - برسو أن النطفة خلال تخلّقها تمر بفترة تسمى: فترة (تخلّق الأعضاء ORGANOGENESIS)، وفي هذه الفترة يكون الجنين حساساً للغاية لأن أي شيء يطرأ على الجنين قد يؤدي إلى تشوهات خلقية قد تكون مميتة للجنين، ونسبة الخطر هذه تكون في أعلى درجاتها خلال فترة تخلق العلقة إلى مضغة. فالعضو - كما قال - أكثر عرضة للتلف في وقت خروجه في فترة تخلق الأعضاء[1]. فإذا مرت هذه الفترة - فترة جمع الخلق وهي أربعون يوماً - فهناك استقرار بالغالب، والنسبة العالية للسقط يكون قد تم تجاوزها وقد قدرت هذه النسبة بـ3,2٪ في نهاية فترة المضغة، أي بعد حوالي أربعين يوماً من الحمل[2].

---

(1) المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي، الإعجاز الطبي في القرآن، 25/9/85م.

(2) كتاب (علم التوليد، من وليام WILLIAM'S OBSTETRICS)، ص489.

وتفصيل ما قلناه:

علم (التيراتولوجي TERATOLOGY) يهتم بدراسة التشوهات والأسباب التي تؤدي إلى هذه التشوهات، وهو بالتالي يرصد الفترات الخطيرة التي يمر بها الجنين.

و(التيراتوجن TERATOGEN) هو العامل الذي يسبب التشوهات الجنينية أو يزيد احتمال حدوث التشوهات في الخلقة على العموم.

والخطر يكمن هنا من حساسية الجنين لهذه العوامل المؤذية التي قد تتلفه أو قد تؤدي إلى إسقاطه.

نود الإشارة إلى أن العوامل التيراتوجينية تنقسم إلى فئتين:

أ - فئة العوامل المؤذية الناشئة من البيئة.

ب - فئة العوامل المؤذية الناشئة من الاختلال الجيني.

وبحثنا يتعلق بالفئة الثانية، لأن الأولى قد تأتي في أي وقت من الأوقات ولا يملك الجنين المقْدرة على ردّها.

إن حساسية الجنين لهذه العوامل تكون قليلة جداً في أول أسبوعين من التخلق (أي في فترة النطفة)، ولكن إذا تأثرت النطفة بهذه العوامل فهي تؤدي إلى إسقاطها في معظم الأوقات ونادراً ما تؤدي إلى تشوهات.

أما في فترة المضغة، فالحساسية تكون بأوجها وتأثير العوامل التيراتوجينية عالية جداً. فهذه الحساسية مرتبطة بمعدل انقسامات خلايا الأعضاء التي تتكوّن. ولهذا فإن فترة المضغة - وهي فترة تخلق الأعضاء - فترة حرجة جداً، وقد يتعرض الجنين فيها لتشوهات خطيرة في كثير من الأوقات أو للإسقاط.

وأما في فترة التسوية(1) (وهي الفترة التي تلي فترة تخلق المضغة)، فحساسيته تظل عالية وغالباً ما تؤدي العوامل التيراتوجينية إلى تشوهات خطيرة لدى الجنين وفي قليل من الأحوال إلى إسقاطه.

من الملاحظ أن السقط مرتبط في الغالب بكثرة بالاختلال الجيني، وقد قدّر (بوي BOUET 1975) نسبة السقط من جراء الاختلال الجيني بـ61% بينما قدّرها (كار وجدعون CARR& GEDEON 1977) بـ50%.

فالاختلال الجيني الشديد لا يسمح للجنين أن يتخلق ويعيق نموه، لذلك يحدث السقط في مرحلة المضغة وليس في سواها.

---

(1) انظر مبحث «التسوية».

ومن اللافت للنظر أن الاختلال الجيني كان معروفاً لدى رسول الله ﷺ، فقد ذُكِر في دعاء له وهو يستعيذ بالله من الأمراض والأوجاع.

وهذا الدعاء هو: «بسم الله الكبير، أعوذ بالله العظيم، من شر كل عرق نعّار، ومن شرّ حر النار» [أخرجه الترمذي ح70].

و«العرق» في المصطلح النبوي الشريف هو: الصبغي في المصطلح العلمي الجديد.

وكلمة «نعر» لها عدّة معانٍ في اللغة العربية منها:

- الأذى. جاء في لسان العرب[1]: «ونعر الفرس والحمار ينعر نعراً، فهو نعر دخلت النعرة في أنفه». «وقال الأحمر: النعرة ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها».

- المخالفة. جاء في لسان العرب[2]: «والنعار أيضاً: العاصي». «نعر الرجل: خالف وأبى».

وهذا يعني أن الرسول الكريم ﷺ كان يستعيذ بالله من الأمراض التي سببها الاختلال الجيني[3].

وبالرغم أن موضوع الحديث لا يتناول الاختلال الجيني لدى الجنين، إلاّ أنه يشير إلى أن هذه الظاهرة لم تكن غريبة عن رسول الله ﷺ؛ فإذا كان الاختلال الجيني معلوماً لدى النبي ﷺ، فهذا يشير إلى معرفته ﷺ عن النشاط الخليوي والصبغوي العام سواء أكان للجنين أم للبالغ.

ومن الشرح السابق نفهم ما ترمي إليه الآية: فلفظ ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ...﴾ يشير إلى إرادة الخالق سبحانه وتعالى في التمكين والاستقرار للمضغة كما أنه يلمح إلى أن الفترة التي سبقت هي فترة هشّة، غير متينة بالنسبة لتخلق الأعضاء، وإلا فما فائدة الإقرار؟.



(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «نعر» - (ج14/ ص200).
(2) لسان العرب لابن منظور - مادة «نعر» - (ج14/ ص201).
(3) انظر مبحث «معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة».

التسوية

● قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨)﴾ [القيامة: 37-38].

● قال ﷻ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 13-14].

● قال العليم الحكيم: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢)﴾ [الأعلى: 1-2].

● قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً...» [أخرجه مسلم ح43].

● قال رسول الله ﷺ: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً، **فصورها وخلق سمعها وبصرها** وجلدها **ولحمها وعظامها**، ثم قال: يا رب: أذكر أم أنثى؟» [أخرجه مسلم ح45].

هذه المرحلة تضم تصوير الأذنين والعينين، وخلق العظام، وكسو العظام باللحم، ونفخ الروح.

أ - التسوية والتصوير:

جذر سوى[1]: السين والواو والياء أصل يدل على استقامة واعتدال بين شيئين.

وله عدة معانٍ في اللغة العربية منها:

1 - هو أن يكون الشيء مستقيماً (والدليل على ذلك الآية القرآنية التالية: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: 22] - سوياً: أي مستقيماً -).

(1) مقاييس اللغة العربية لابن فارس - (ج3/ ص113).

2 - هو أن يكون الشيء مستوياً بدون ارتفاع وانخفاض (كما نستخلصه من الحديث التالي: "في الرجل يسوّي التراب حيث يسجد، قال ﷺ: إن كنت فاعلاً فواحدة" [أخرجه البخاري ح41]).

3 - هو أن يجعل الشيء سوياً، أي على ما اقتضته الحكمة[1]، بمعنى جعله على تمام وكمال الصورة الإنسانية[2] (و الدليل على ذلك الآيتان التاليتان: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17] و﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: 37] - سوّاك رجلاً: أي جعلك رجلاً -).

وقد حدد النص الشريف "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً . . ." [أخرجه مسلم ح43] بأن مرحلة التخلق تنتهي في أربعين يوماً، ومن ثم تبدأ مرحلة جديدة وهي مرحلة التسوية لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [القيامة: 38].

كيف يمكن لنا أن نستنتج أن مرحلة التسوية بدأت بعد أربعين يوماً؟.

الجواب: كل النصوص القرآنية والحديثية والأدلة العلمية تتفق بعضها مع بعض، وهي تدل على أن مرحلة التخلّق انتهت وبدأت مرحلة التسوية. فالحديث المذكور آنفاً ينص على أن مرحلة التخلّق تنتهي بعد أربعين يوماً، والمعطيات العلمية تدل على أن مرحلة المضغة التي تتخلّق فيها معظم أجهزة الجنين تنتهي في الأسبوع السادس، أي بعد فترة اثنتين وأربعين ليلة، كما أننا إذا قابلنا بين النصين القرآنيين: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [القيامة: 37-38] و﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 13-14] نلاحظ النتائج التالية:

(1) تاج العروس لمحمد مرتضى - مادة «سوى» - (ج19/ص551).

(2) جاء في تفسير ابن كثير (ج3/ص115): ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17]؛ أي على صورة إنسان تام كامل.

سورة القيامة :	سورة المؤمنون :	النتائج :
ألم يك نطفة من مني يمنى	ثم جعلناه نطفة في قرار مكين	تدل الآيات على مرحلة النطفة
ثم كان علقة	ثم خلقنا النطفة علقة	تدل الآيات على مرحلة العلقة
فخلق	فخلقنا العلقة مضغة	تدل الآيات على أن مرحلة المضغة هي مرحلة تخلّق الأعضاء
فسوى	فخلقنا المضغة عظاماً	تدل الآيات على أن مرحلة التسوية تتضمن طوري خلق المضغة عظاماً وكسو العظام لحماً
	فكسونا العظام لحماً	

فمرحلة الخلق هي مرحلة المضغة لأن جميع الأعضاء تتخلق فيها، وهذا ما أشار إليه مُفسِّر القرآن الكريم العلامة أبو السعود[1] قائلاً: « ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ أي: بقدرة الله تعالى لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾، ﴿فَخَلَقَ﴾ أي: فقدر بأن جعلها مضغة مخلّقة».

ومرحلة التسوية تتضمن مرحلتي خلق المضغة عظاماً وكسو العظام لحماً، لأن تلك الظواهر هي من باب تصوير الخلق، أو بمعنى آخر تقويم الأعضاء، وهي لا تخلو من تَخلُّق، ولكن هذا التخلُّق ليس تخلّق أعضاء من بدايتها بقدر ما هو تكميل خلق، فهو نوع من الخلق المحدّد (انظر الحاشية رقم (2، ص325 - 329) في مبحث «**التسوية/ خلق العظام**»)، فالأذنان والعينان يُبدأ تخلقها في الأسبوع الرابع[2]، في فترة تكوين الأعضاء، ولكن لا تتصور إلاّ في الأسبوع الثامن (أي في نهاية فترة التسوية).

(1) تفسير أبي السعود - (ج9/ ص69).

(2) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص492 و505.

والدليل على ذلك هو قول رسول الله ﷺ: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها» [أخرجه مسلم ح2645]، فهذه المرحلة هي مرحلة تصوير الجنين، فنرى تصور العين والأذن في الأسبوع الثامن وقد ابتدأ تخلقها في اليوم الثاني والعشرين[1]. يقول عالم الأجنة لارس هامبرغر: «تتخذ الأذن الخارجية شكلاً لها مع بداية الأسبوع الثامن...»[2].

وتنتهي مرحلة التسوية عند بداية مرحلة التعديل وفق الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: 6-8]. ويكون ذلك في نهاية الأسبوع الثامن تقريباً[3].

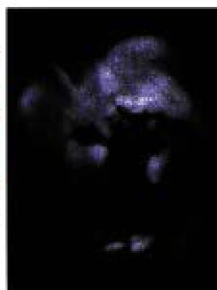
أما تفاصيل معاني فعل «سوّى» فهي كالتالي:

- المعنى الأول: وهو أن يكون الشيء مستقيماً: استعمال فعل «سوّى» في الآية الكريمة له دلالة خاصة هنا؛ لأنه كان يدل على أن الجنين كان غير مستقيم أي مقوساً في المرحلة السابقة ومن ثم استقام في هذه المرحلة وهذا إعجاز إخباري.

وهذه المرحلة تحتوي ظاهرتي تخلق العظام والكساء باللحم. ومع تخلق العظام يشتد الجسم ليستقيم ويتخلى عن شكله المنحني (على شكل حرف C بالإنكليزية الذي كان اتخذه خلال فترة المضغة). (انظر الصورة رقم: 97).

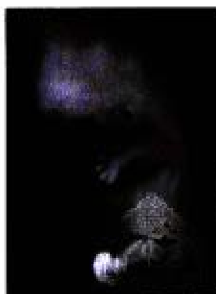
قال أبو السعود[4]: «﴿عِظَٰمًا﴾ [المؤمنون: 14] **بأن صلبناها وجعلناها عموداً للبدن...**»، وقال الألوسي[5]: «وذلك **التصيير بالتصليب لما يراد جعله عظاماً من المضغة**؛ وكذا المضغة والعظام متحدان في الحقيقة، وإنما **الاختلاف بنحو الرخاوة والصلابة**».

(1) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص493 و504.
(2) كتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص 114.
(3) انظر مرحلة «النشأة».
(4) تفسير أبي السعود - (ج6/ ص126).
(5) تفسير الألوسي - (ج18/ ص14).



(97) يبدو الجنين في نهاية مرحلة المضغة، أي في اليوم الثاني والأربعين مقوساً، ومن ثم ترى جذعه يستقيم في مرحلة التسوية كما في اليوم الثامن والأربعين والثاني والخمسين، فيتوافق معنى فعل «سوّى» الذي جاء في الآية: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [القيامة: 38] مع العمليات التخلّقية الجنينية.

جنين في يومه الثاني والأربعين



جنين في يومه الثامن والأربعين



جنين في يومه الثاني والخمسين

- المعنى الثاني: وهو أن يكون الشيء مستوياً دون ارتفاع وانخفاض: في هذه المرحلة تختفي الانخفاضات والانتفاخات بتصلب الأعضاء وبالكساء باللحم، فيصبح سطح الجنين أكثر استواء.

- المعنى الثالث: وهو أن يُجعل الشيء سويًا أي على ما اقتضته الحكمة: في نهاية مرحلة التسوية (أي في نهاية الأسبوع الثامن) يصبح الجنين كتلة بشرية متكاملة. يقول الدكتور لارس هامبرغر: «بعد ثمانية أسابيع يكون حجم الجنين أربعة سنتيميترات ولكن داخل جسمه الصغير كل الأعضاء في مكانها، وكل شيء واجب وجوده في إنسان مكتمل النمو قد تخلّق»[1].

(1) كتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص 91.

في هذه المرحلة يختفي ذنب الجنين وترتسم الأذن الخارجية من جراء تكامل لفات قوقعة الأذن، وتتكون الأذن الداخلية، وترتسم العينان بظهور الجفون في الوجه (انظر الصورة رقم: 98) وتظهر أصابع اليدين والرجلين بشكل واضح ويرتسم الأنف[1]. فتقترب صورة الجنين من الصورة الإنسانية وتسوى (أو تجعل) في هيئتها النهائية من جراء تميز أعضائه، ويكتمل بذلك المعنى الثالث لفعل سوى الذي ورد في الآية القرآنية التي أشرنا إليها، ولفعل صور الذي أشار إليه الرسول ﷺ في حديثه الشريف. (انظر الصورة رقم: 99).

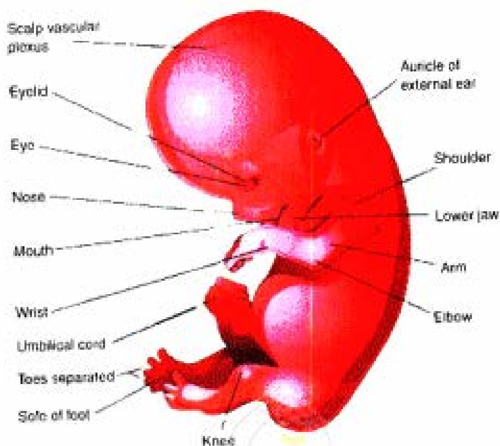
وهكذا فإن مرحلة التسوية تتسم بسمة خاصة ألا وهي إعطاء الجنين صورة إنسانية.

والجدير بالذكر أن التسوية هي حالة لعوارض خارجية تظهر للجسم (استقامة، تهيئة أعضاء، ...)، أما تخلّق العظام والكساء باللحم فهي عمليات داخلية تجري في الجسم تؤدي إلى بروز الظواهر الخارجية للتسوية.

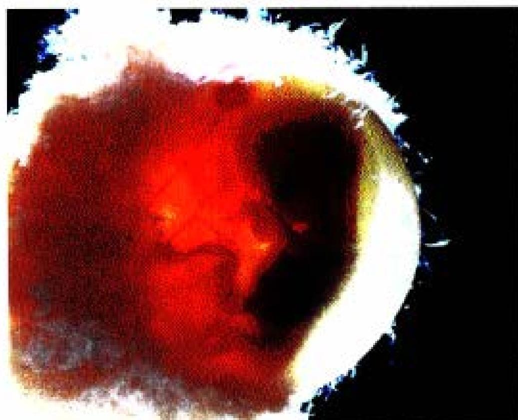


(98) - نرى في مجموعة الصورة المتخللة لجنين كيف أن عينيه ترتسمان ابتداء من الأسبوع الخامس لتتخذا شكلهما المعهود في الأسبوع الثامن وفقاً للحديث: «إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها...» [أخرجه مسلم ح45].

(1) كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص 163 و167/ كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص 78 و199/ كتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص 112، 114، 118، بتصرف.



(A - 99) - رسم لجنين في أسبوعه الثامن يبين أن سائر أعضائه قد تخلقت، وأن هيئته صارت هيئة إنسان.



(B - 99) - صورة حقيقة لجنين في أسبوعه الثامن.

ب - خلق العظام والكساء باللحم:

وقد تقسم مرحلة التسوية إلى قسمين رئيسيين متواليين:

1 - طور خلق العظام

2 - طور الكساء باللحم.

1 - خلق العظام:

أ - خلق المضغة عظاماً:

● قال تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا...﴾ [المؤمنون 14].

● عن السيدة عائشة رضي الله عنها: «إنه خُلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفْصل، فمن كبّر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبّح الله، واستغفر وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكةً أو عظماً عن طريق الناس، وأمر بمعروف أو نهى عن منكر، عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى، يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار» [أخرجه مسلم ح42].

يكون طور «خلق العظام» في الأسبوع السابع، أي في المرحلة الأولى من مرحلة التسوية.

من الأمور المهمة التي يجب ذكرها: هو أن العظام لا تتطور في آن واحد، وأن العظام لا تتكون على نحو موحد في الجسم كله. فالأنسجة العظمية تظهر بالتعاقب، وتنتقل في أطوار، ولا ينتهي نموها إلاّ في مرحلة متأخرة جداً، ولذلك لا يمكننا الجزم بأن العظام - حسب مفهومنا العامي - تظهر كاملة وهي في هيئتها النهائية في الأسبوع السابع، ولكن ما يحصل هو أن أنموذجاً غضروفياً لهذه العظام يتخلّق تدريجياً في الجسم كله ابتداء من الأسبوع السادس، وينتشر على هيئة هيكل عظمي في الجنين في الأسبوع السابع، ويكوّن بذلك العظم الأولي للجنين.

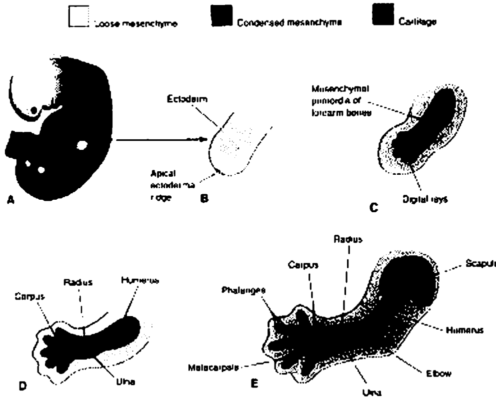
وبهذا ينتقل شكل الجنين من مرحلة **المضغة التي لا تحمل في أنسجتها عظاماً** إلى مرحلة يغلب عليها شكل الهيكل العظمي المميز للإنسان في الأسبوع السابع. أي في المرحلة المشار إليها في القرآن الكريم والحديث الشريف.

وتفصيلاً:

لقد رأينا في مرحلة المضغة أن (الطبقة النسيجية الوسطى التي تلامس الميزاب العصبي PARAXIAL MESODERM) تتمايز، وتجتمع تباعاً ضمن (كتل بدنية SOMITES) ابتداء من اليوم العشرين. تلك الكتل هي عبارة عن نسيج رخو يسمى:

(النسيج الميزانكيمي MESENCHYME)[1]. ومن ثَمّ يتفكك تدريجياً (القسمان البطني والأوسط لتلك الكتل VENTRAL & MEDIAL WALLS)، وتصبح خلاياهما (متعددة الأشكال POLYMORPHOUS)، ويغيّران أمكنتهما في بداية الأسبوع الخامس[2]، ويطوقان (الحبل الظهري NOTOCHORD) و(الميزاب العصبي NEURAL GROOVE)، ويشار عندئذ إلى تلك الأقسام بما يسمى: (القسم الهيكلي الصلب SCLEROTOME).

ويتكثف النسيج الميزانكيمي خلال الأسبوع الخامس مسجلاً مواقع العظم الأولي، وتصبح خلاياه مدورة، وتنشأ فيه (مراكز تغضرف CHONDRIFICATION CENTERS)، ومن ثَمّ تفرز تلك المراكز حولها منبتاً عضوياً[3] في الأسبوع السادس، فيتخلق تدريجياً أنموذج غضروفي لعظم العامود الفقري. (انظر الصورة رقم: 100).



(100) - نرى في مجموعة الرسومات كيف أن الجنين يتخلق وله أعضاء ليس فيها عظام أو أي شيء يرمز إليها (A، B)، ومن ثم تتكثف في هذه الأعضاء الخلايا الميزانكيمية فيظهر هالة للعظام (C)، ويتبع ذلك تغضرف هذا النسيج المتكثف فيظهر تدريجياً نموذج غضروفي للعظام التي ستتخلق فيما بعد (D)، وفي نهاية الأسبوع السادس وبداية الأسبوع السابع يبدأ نموذج غضروفي بالانتشار في جميع أعضاء الجنين.

(1) لمزيد من التفاصيل انظر كتاب علم الأجنة الطبي، سادلر، ص 76.

(2) وتحديداً في اليوم الثامن والعشرين: للمراجعة كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص 345.

(3) لمزيد من التفاصيل انظر كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 408.

والعظام مشتقة من عظم، وكلمة «عظم» تشير في اللغة العربية إلى ما هو قوي وشديد. قال ابن فارس: «العين والظاء والميم أصل واحد يدل على كبر وقوة، فالعظم مصدر الشيء العظيم، **وعَظْمة الذراع مستغلظها... ومن الباب: العظم معروف، وسمي بذلك لقوته وشدته**»[1].

والشدّة نسبية، فإذا قارنا نسيج المضغة الميزانكيمي مع الغضروف، استنتجنا أن الغضروف أشد من النسيج الميزانكيمي، وذلك لأنه في نهاية المطاف نسيج متكثّف، والتكثّف أشد وأغلظ وأثقل من النسيج الميزانكيمي الليّن، وهو أصلب منه، وبالتالي فالغضروف من الناحية اللغوية نوع من العظام. وهكذا فإن الحقائق العلمية تتفق مع معاني ودلالات النص القرآني: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ [المؤمنون: 14] بأن هيكلاً صلباً يتولّد في المرحلة التي تقع بعد مرحلة المضغة داخل النسيج الليّن الذي يتألف منه الجنين.

وقد يتساءل البعض أن العظام لم يكتمل تطوّرها بعد، ولم تظهر في صورتها النهائية، فهل لنا أن نقول إن العظام ظهرت قبل اللحم كما تشير إليه الآية: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 14]، والحال أن تمامها يتأخّر إلى ما بعد طور العظام؟ وذلك أن نموذجاً غضروفياً يتكوّن، ومن ثمّ يتخلّق اللحم، وأثناء كسو اللحم، وبعده، يتعظّم النموذج الغضروفي تدريجيّاً، نقول - وبالله التوفيق -: إن ذكر خلق المضغة عظاماً جاء مقروناً بفاء «الترتيب والتعقيب»، وهذه الفاء توجّه الأنظار إلى ابتداء الخلق وليس إلى صيرورته، فهي تقارن بين الطور الذي تتكلم عنه بالنسبة للطور الذي قبله، وبالتالي فإن خلق الغضروف هو بمثابة خلق عظام بالنسبة لطور المضغة، لا بالنسبة إلى الأطوار المتأخرة، حيث يكتمل تخلّق العظام. انظر تعليقنا في الحاشية عن تأخّر تمام خلق العظام.

يقول الرضي عن وظيفة الفاء التي جاءت في الآية رقم 14 من سورة المؤمنون: «﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 14]، نظراً إلى ابتداء كل طور»[2].

---

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس. (ج4/ ص355).

(2) لقد رأينا أعلاه كيف أن الآية رقم 14 من سورة المؤمنون تشير إلى أن هيكلاً صلباً في الجنين يتخلّق، ويكون عظماً بالنسبة للطور الذي سبقه، ولكن ما الدليل على أن الآية تشير إلى أن تخلّق العظام يستمر إلى أن يكتمل تخلقه في مرحلة متأخرة؟ وبذلك نؤكد أن الذي أنزل القرآن يعلم تمام العلم أن العظام تتطور على النحو المذكور؛ أي أنها تتخلّق بصورة بدائية، ومن ثم يكتمل تخلقها بعد حين. فيتبيّن لنا بذلك أن الآية

=المذكورة أنزلت أساساً على هذا النحو لتبين أن تخلق العظام تدريجي. وبأنها تحيط بجميع جوانب تطورها، فيزداد الإعجاز إعجازاً.

والأدلة هي كالتالي:

أولاً: إن الآية لا تنفي من الناحية البلاغية، أن العظام تتطور أثناء وبعد الكسوة باللحم، للسبب التالي:

إن حرف «الفاء» جاء «للتفصيل بعد الإجمال» (انظر شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ق2، م2، ص 1309، للتعريف عن وظيفة «التفصيل بعد الإجمال» لحرف «الفاء») في قوله تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 14]، وهذه الوظيفة لا تنفي أن تمام العظام يكون بعد زمان طويل، إن لم تشر ضمناً إلى استمرارية تخلقها، وتأخر تمامها إلى ما بعد مرحلة كسو اللحم العظام.

والتفصيل كالآتي:

قبل الاسترسال في الكلام يتعين علينا أن نعلم أن «الفاء» تكون للترتيب، سواء أكانت حرف عطف أم لا، كما قرر الرضي في شرح الكافية (ق2، م2، ص1308)، وكما سنشير إليه في مبحث «**الأسلوب القرآني في استخدام حرفي «ثم» و«الفاء» في آيات علم الأجنة**».

وكما لا يخفى علينا، فإن وظيفة حرف «الفاء» في قوله تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 14] هي للعطف. وكأن الآية تفيد: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾، وكسونا العظام لحماً، وهكذا نفهم أن هناك مرحلتين تحدثان للجنين:

1 - خلق المضغة عظاماً.

2 - كسو العظام لحماً.

كذلك فهي تفيد الترتيب والتعقيب (انظر مبحث «**الأسلوب القرآني في استخدام حرفي «ثم» و«الفاء» في آيات علم الأجنة**»)، وبالتالي فهي تفيد أن مرحلة كسو العظام لحماً تأتي مباشرة بعد مرحلة المضغة عظاماً. وكأن الآية تفيد: فخلقنا المضغة عظاماً. ومن ثم كسونا العظام لحماً.

أضف إلى ذلك أن وظيفة «الفاء» المشار إليها في قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 14] تفيد «التفصيل بعد الإجمال»؛ أي: أن الله تعالى أعلمنا إجمالاً أن العظام تتخلق من المضغة، ومن ثم فصل لنا ماذا يحدث للعظام التي تخلقت.

وللعلم فإننا نرى أن هناك نوعين للتفصيل بعد الإجمال في مجال «الإعجاز العلمي في تخلق الجنين في القرآن والسنة»:

1 - تفصيل لمرحلة ذكرت بالإجمال، من خلال سرد أحداثها فيما بعد، عبر كلام يدخل عليه حرف «الفاء».

2 - تفصيل لمرحلة ثانية تلي مرحلة أولى ذكرت بالإجمال، وتعتبر امتداداً للمرحلة الأولى، عبر إدخال حرف «الفاء» على الكلام الذي يفصل المرحلة الثانية.

ومثال النوع الأول الآية: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود: 45] وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: 4].

. . . .

= فقول نوح عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود: 45] هو تفصيل لندائه المجمل لربه ﷻ، وتبيين البأس هو تفصيل للإهلاك المجمل (شرح الكافية، ق2، م2، ص1309، بتصرف).

ومثال النوع الثاني الآية التي نحن بصدد تفسيرها، أي الآية رقم 14 من سورة المؤمنون، وذلك أن الكسوة التي وردت في الآية: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 14] أخص من الخلق في المعنى، حيث إنه خلق مقيد بتغطية شيء فوق شيء، وبالتالي هو خلق منفصل ومشروح بالنسبة للخلق المجمل الذي سبقه، فاختلاف فعل «كسا» في ﴿فَكَسَوْنَا﴾، عن فعل «خلق» في ﴿فَخَلَقْنَا﴾، المتكرر مرتين قبل فعل «كسا»، يفيد التفصيل في هذه المرحلة خاصة.

ومن الأمثال أيضاً النص القرآني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝﴾ [الانفطار: 6-7]؛ فالتسوية هي تفصيل للمرحلة التي تلي مرحلة الخلق المجمل، حيث أن فعل «سوّى» هو نوع محدد من الخلق، وبالتالي فهو يشير إلى أن أغلب عمليات التخلق في مرحلة التسوية مقيدة بما يرمي إليه معنى فعل «سوّى»، والتعديل هو تفصيل للمرحلة التي تلي مرحلة التسوية، المجملة نسبياً لما بعدها، حيث أن فعل «عدل» هو نوع محدد من التسوية، وبالتالي فهو يشير إلى أن أغلب عمليات التخلق في مرحلة التعديل مقيدة بما يرمي إليه معنى فعل «عدل». ولعل التخصيص، والتدرج من العام إلى الأخص، دليل قوي من الأدلة، على أن المراد من الآية الثانية التي تلي آية أولى، والتي يدخل عليها حرف «الفاء»، هو: «التفصيل بعد الإجمال»، وذلك لأن التخصيص هو نوع من التفصيل في نهاية الأمر.

ومن الكلام السابق نفهم أن معنى التعقيب، إذا دخل على فاء «التفصيل بعد الإجمال»، يشير إلى أن التفصيل هو للمرحلة التي تلي مرحلة أولى ذكرت بالإجمال.

كذلك نفهم من هذا الكلام أن النوع الثاني من «التفصيل بعد الإجمال» لا ينفي عمليات المرحلة الأولى، بل يؤكد استمراريتها ولكن في مجال أضيق من المجال الأول. ومن هذا المنطلق فإن فاء «التفصيل بعد الإجمال» التي أتت في الآية ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 14] لا تنفي استمرارية تخلق العظام الذي جاء ذكره في الطور الأول، بل ترمي إليه، وذلك أنها تشير إلى استمرارية تطور العظام من خلال ذكر ما يحصل له على وجه الخصوص - أي على الصعيد الخارجي - ككسو العظام باللحم، لغلبة هذه السمة على هذا الطور. وهذا التوجه تدعمه القرينة الخارجية التي تتلخص بآيات سورة الانفطار السالفة الذكر، حيث إن فعل «سوّى» وفعل «عدل» يؤكدان أن هناك عمليات واسعة النطاق، محدودة في فعلها، تحصل للجنين، وتشمل كل أعضائه، بما فيها العظام، كظهور مراكز التعظّم فيه.

وبالتالي فإن الحكمة في إضفاء وظيفة «التفصيل بعد الإجمال» على حرف «الفاء» في الآية ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 14] هي أنها توحي في لغة العرب إلى استمرارية تخلق العظام، وتأخر تمامه إلى زمن يتبع - أو يتأخر - عن مرحلة طور الكساء باللحم، وذلك إلى أجل غير محدد.

ولعلّ وظيفة حرف «الفاء» «الترتيب والتعقيب» - إذا اقترنت بوظيفة «التفصيل بعد الإجمال» -، هي=

...نفسها تلقي التفصيل على ما يحصل للعظام. فالتعقيب يشير ضمنياً إلى أن مرحلة ثانية لتطور العظام ابتدأت عند كسو اللحم العظام، وأعقبت خلق العظام البدائية. أي أن مرحلة أخرى لها مميّزات خاصة تنفرد بها، سواء أكانت رئيسية ككسو العظام لحماً أم ثانوية كظهور مراكز (تعظّم OSSIFICATION) في الجنين. أعقبت المرحلة الأولى لتخلق العظام على صورة غضروف. وبالفعل فإن مراكز التعظّم في الجنين تبدأ بالظهور في الأسبوع الثامن - أي في مرحلة كسو اللحم العظام (انظر مبحث «**التسوية/ كسو العظام لحماً**») يقول الدكتور مور: «يبدأ التعظّم في العظام الطويلة في الأسبوع الثامن من التخلق الجنيني، ويبدأ في (المراكز الوسطى من العظام DIAPHYSES OF THE BONES) كمراكز أولية للتعظم» (كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 420).

ومن المهم أن ننوه أن وظيفة «التفصيل بعد الإجمال» لا تتعارض مع السياق القرآني، من أن تمام خلق العظام يتأخر إلى ما بعد طور الكساء باللحم، لأن السياق يتكلّم عن خلق متعاقب، وتكملة خلق للوصول به إلى درجة الكمال.

كذلك فإن هذه الوظيفة تكلّم عنها علماء اللغة حيث أشار إليها الرضي في شرح الكافية (ق2، م2، ص 1309).

وهذه الوظيفة - أي وظيفة التفصيل بعد الإجمال - تتفق مع المعنى الظاهر للآية من خلال التخصيص الذي يشير إليه فعل «كسا»، والذي أشرنا إليه في شرحنا السابق.

وهي تنسجم أيضاً مع العلم الكوني، كما فصلناه في مبحث «**التسوية**»، من أن العظام تتأخر في تمام تخلّقها.

ثانياً: إن الآية لا تنفي من الناحية المعنوية أن تخلق العظام يتم بعد زمان طويل، بعد أن ابتدأ تخلقه قبل الكساء باللحم، إن لم تشر إلى استمراريته، للأسباب التالية:

1 - إن الله تعالى لم يحدد نهاية تخلق العظام بعد ذكر تخلّقها، كما فعل عند ذكر تخلق العلقة، وتخلق المضغة، حيث أشار في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ [المؤمنون: 14] إلى انتفاء صورة العلقة بابتداء صورة المضغة، وانتفاء صورة المضغة بابتداء صورة العظام، كما يشير إليه معنى فعل «خلق» في اللغة العربية: «أحدثه بعد أن لم يكن» (انظر مبحث «**المضغة/الشكل الداخلي**»). وذلك أن الآية تفيد أن صورة جديدة حلّت محلّ صورة قديمة في حال العلقة والمضغة، وكأن النص القرآني يقول: ثم حوّلنا طبيعة (أو صورة) العلقة إلى مضغة، ومن ثمّ حوّلنا طبيعة (أو صورة) المضغة إلى عظام - باقية في التطور -، يكسوها اللحم - أثناء تطورها

2 - إن الأنموذج الغضروفي يعتبر هيكلاً عظمياً لصلابته بالنسبة للمضغة اللينة التي سبقت ظهوره، كما يشير إليه معنى كلمة «عظم» الذي أشرنا إليه سابقاً في المبحث، فهذه حقيقة لغوية، أما بالنسبة لاكتمال تخلّقه في المراحل المتأخرة، أي بالنسبة لتعظّمه فيما بعد فهو بيّن، وبالتالي فلا يشير معنى الآية من هذا المنظار إلى حقيقة علمية. غير أنه من المهم أن ننوه أنه من الأولى أن ننظر إلى تخلّق العظام بالنسبة للطور الذي سبقه، لا إلى الذي سيصير إليه، نظراً لوظيفة حرف «الفاء»: «الترتيب والتعقيب» كما أشرنا إليه سابقاً في المبحث. ومع ذلك فإن معنى الآية لا يتعارض مع الحقائق العلمية إذا نظرنا

=إليه بالنسبة إلى ما سيصير إليه من صلابة من جراء تعظّمه. فالأنموذج الغضروفي في هذه الحالة يعتبر مشروع هيكل صلب، وهو بالتالي سيصبح في المستقبل هيكلاً عظمياً. فنستطيع أن نُطلق على الغضروف اسم «العظام» باعتبار ما يؤول إليه من تكامله حيث بدأ أوله ولم ينته آخره بعد (انظر مبحث: «**التسوية/كسو العظام لحماً**»). وهذا الأسلوب من الكلام هو نوع من المجاز باعتبار ما سيكون، وتعرفه العرب تماماً (للمزيد من التفصيل الرجاء مراجعة حاشية مبحث «**المستودع**» حيث أوضحنا هذا الضرب من الكلام).

وفي الختام نشير إلى أن دلالات آية رقم 14 من سورة المؤمنون تتفق مع ضوابط مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وهي:

1 - أن تلتزم تلك الدلالات بسياق النص القرآني.

2 - أن تراعي القواعد البلاغية.

3 - أن تتفق مع المعنى اللغوي.

4 - أن تنسجم مع العلم الكوني.

وبالتالي يحق لنا أن نستشهد بها، وذلك:

- أن هذه الدلالات تنسجم مع العلم الكوني من أن العظام تتأخر في تطورها.

- وأنها لا تعارض القواعد البلاغية من نحو، وبلاغة، لأنها تنطوي تحت «المجاز باعتبار ما سيكون»، وتحت «الترتيب والتعقيب»، وتحت «التفصيل بعد الإجمال».

- وأنها لا تعارض المعاني اللغوية لكلمة «عظم».

- وأنها تتفق مع سياق النص القرآني من أن الله تعالى لم يحدد نهاية لتطور العظام، ومع الآيات الأخرى التي تتكلم عن خلق الجنين، حيث إن التسوية والتعديل يشيران إلى أن الخلق لم ينته، وأن هناك عمليات خلق محدودة تجري لسائر أعضاء الجنين، بما فيها العظام، من تعظّم وغيره.

وخلاصة القول: أن استعمال حرف «الفاء» في هذا الموضع للدلالة على «الترتيب والتعقيب»، الذي يسوقنا إلى أن ننظر إلى تخلّق العظام بالنسبة للطور الذي سبقه، وتغيير الفعل من العام - خلق - إلى الخاص - كسا - للدلالة على «التفصيل بعد الإجمال»، واستعمال «الترتيب والتعقيب» مع «التفصيل بعد الإجمال» لعدم نفي تطوّر العظام، والإشارة إلى أن طوراً ثانياً للعظام له مميزات خاصة يعقب طور تخلّق العظام البدائي، وعدم ذكر نهاية تخلق العظام على خلاف الأطوار التي سبقته، ووضع كلمة «عظام» في الآية في مكان يؤكد ابتداء تخلقها ولا ينفي مآلها من خلال «المجاز باعتبار ما سيكون»، يدل على براعة مطلقة تبلغ الغاية في البلاغة، حيث جاء الكلام مطابقاً للحقائق العلمية الغيبية في الخلق، والتكلم عنها بهذا الشكل يحتاج إلى مشاهدة، وفطنة عالية، وحضور ثاقب، وتمكن باللغة العربية إلى أقصى درجاته. ولا شك أنه، إذا أردنا الاختصار في الكلام، وعدم التفريط في دلالات لغوية تحيط بأغلب الحقائق العلمية الغيبية التي تتكلم عن ظاهرة تخلق العظام واللحم، أن نتكلم عن العظام على نحو ما أتت به الآية.

ونرى من التفسير السابق أن العامود الفقري ينشأ من الفلقات التي تضفي على الجنين مظهر المضغة، وتحديداً من قسم معين من تلك الفلقات وليس من كل المضغة. ولذا نرى أن الآلوسي رحمه الله قال موضحاً أبعاد النص القرآني[1]: «﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ﴾: أي **غالبها ومعظمها** أو كلها، ﴿عِظَـٰمًا﴾ [المؤمنون: 14]: صغاراً وعظاماً حسبما تقتضيه الحكمة وذلك **التصيير بالتصليب لما يراد جعله عظاماً من المضغة**»[2].

وبما أن الجنين يخلق من عجب الذنب، أي: من الجزء المؤخري للعامود الفقري فمن الطبيعي أن نفهم أن العظم الذي يتخلق هو عظم العامود الفقري حسبما تمليه حقائق النصوص الشرعية. وقد فهم ابن عباس رضي الله عنهما هذه الحقيقة بنظرته الثاقبة بأن العظم الذي يتخلق هو عظم الصلب أي عظم العامود الفقري. جاء في تفسير القرآن العظيم[3]: (﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا﴾ [المؤمنون: 14] قال ابن عباس: **وهو عظم**

---

(1) تفسير الآلوسي - (ج18/ ص 14).

(2) لقد ذكر بعض الباحثين في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة أن الآية: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 259] تشير إلى إعجاز علمي في مجال تخلق الجنين في رحم الأم. واستعانوا بها لتفسير آلية خلق عظام الأجنة الموجودة في الأرحام. وفي رأينا هذا كلام غير دقيق لعدة أسباب:

أولاً: إن الآية الكريمة تشير إلى خلق عظام حمار قد بليت منذ مائة سنة، وخلق عظام هذا الحمار يتم أمام أعين سيدنا عزير عليه السلام في بيت المقدس، وبالتالي فإن خلق عظام الحمار لا يتم ابتداءً من نطفة فعلقة فمضغة فعظام، ولكن يتم بسرعة كبيرة ابتداءً من عظام قد بليت وتناثرت في الأرض يميناً وشمالاً، فأعاد الله تعالى جمعها من أماكنها من الأرض في هذا الوقت القصير كما ذكره أغلب المفسرين. وبالتالي فإن آلية الخلق تختلف، ولا يجب أن نعتبر هذه القصة أنموذجاً لخلق عظام الجنين.

ثانياً: إن خلق العظام يتم في الهواء الطلق، وليس في بيئة محددة شبيهة ببيئة رحم الأم، مما يعني أن المصادر المادية التي تستقى منها المواد الأساسية لخلق عظام الجنين ابتداءً غير متوفرة، كذلك هو الحال لسائر العوامل اللازمة لإتمام عملية خلق عظام الجنين. وللأسباب التي ذكرناها سابقاً لا يجوز لنا أن نستشهد بهذه الآية في مجال الإعجاز العلمي في خلق الجنين لأن السياق لا يسمح لذلك. غير أننا نستطيع أن نستأنس بها فقط لا غير في حال وافقت دلالاتها المعطيات العلمية، مع الإشارة إلى الفارق في البيئة وفي العوامل الفيزيائية والبيولوجية بين حالة خلق عظام الجنين في الرحم، وحالة خلق عظام حمار في الهواء الطلق بسرعة كبيرة ابتداءً من عظام قد بليت.

(3) تفسير ابن كثير - (ج3/ ص 240).

الصلب. وفي الصحيح من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل جسد ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب** منه خلق ومنه يركب» [أخرجه مسلم ح35]).

ومن الجدير بالذكر أن الله تعالى قال: ﴿**فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا**﴾ ولم يقل: وخلقنا في المضغة عظاماً، مما يشير إلى دقة الإعجاز العلمي في الإخبار أن الفلقات البدنية التي تظهر على شكل مادة ممضوغة تتحول إلى عظام.

وفي الوقت الذي تتكثف فيه الخلايا الميزانكيمية حول العامود الفقري، تنشأ الأضلاع الصدرية منها فتكون القفص الصدري[1]. أما عظام الرجلين واليدين فتنشأ من النسيج الأوسط الوحشي (أي البعيد عن المحور)[2]، ويكتمل تغضرفها في نهاية الأسبوع السادس[3].

وهكذا يتخلق شيئاً فشيئاً أنموذج غضروفي للهيكل العظمي، وتكتمل صورته في نهاية الأسبوع السادس وبداية الأسبوع السابع، بينما تضمحل في نفس الوقت صورة الكتل البدنية، فتطغى سمة العظام على سمة المادة الممضوغة في تمام أربعين يوماً، ويحق عندئذ أن نسمي ما كان مضغة عظاماً، ويتحقق بذلك قول الله تعالى: ﴿**فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا**...﴾. وهذا مطابق لما يرويه الرسول ﷺ عن أن نهاية فترة المضغة تكون في أربعين يوماً كما جاء في حديثه الشريف: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه **أربعين يوماً**، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك **مضغة** مثل...» [أخرجه مسلم ح43]، وعن أن صورة العظام تظهر وتتضح بعد اثنين وأربعين يوماً لحديثه الشريف ﷺ: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكاً، **فصورها وخلق** سمعها وبصرها وجلدها ولحمها **وعظامها**، ثم قال: يا رب: أذكر أم أنثى؟» [أخرجه مسلم ح45]. وتبقى هذه صورة العظام ملازمة للجنين إلى أن تطغى صورة اللحم عليه بعد حوالي أسبوع.

هذا وقد فهم العلامة الألوسي[4] حقيقة أن تصيير المضغة عظاماً يحصل تدريجياً بما أوتي من علم في اللغة العربية، وبما يتوافق مع مضمون النص القرآني قائلاً: «وهذا التصيير على ما قيل بحسب الذات كتصيير الماء حجراً وبالعكس،

(1) للمراجعة كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسود، ص 414.

(2) للمراجعة كتاب علم الأجنة الطبي، سادلر، ص 154.

(3) للمراجعة كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسود، ص 420.

(4) تفسير الألوسي - (ج18/ ص14).

وحقيقته إزالة الصورة الأولى عن المادة وإفاضة صورة أخرى عليها، وهو من باب الكون والفساد، ولا يخلو ذلك من الحركة في الكيفية الاستعدادية فإن **استعداد الماء مثلاً للصورة الأولى الفاسدة يأخذ في الانتقاص، واستعداده للصورة الثانية الكائنة يأخذ في الاشتداد، ولا يزال الأول ينقص والثاني يشتد إلى أن تنتهي المادة إلى حيث تزول عنها الصورة الأولى فتحدث فيها الثانية دفعة**».

غير أن حجم خلايا الأنموذج الغضروفي يكبر[1]، وتتكلس مادة الأنموذج، وتموت خلاياه، وفي الوقت نفسه تتمركز طبقة رقيقة من العظام تحت النسيج الذي يحيط بالغضروف، وتشكل قلادة عظمية حول ساق الأنموذج الغضروفي.

ويعقب ذلك انتشار (العناصر الوعائية VASCULAR CONNECTIVE TISSUE) من النسيج المجاور في الغضروف، وتجتمع بعض هذه الخلايا المنتشرة على شكل (جذعة عظمية OSTEOBLAST)، وتحيط نفسها بمنبت عضوي عظمي حديث الإفراز، وبذلك تتكوّن في مرحلة متأخرة الخلايا العظمية للعظم النهائي بعد أن كان من الغضروف[2]. (انظر الصورة رقم: 101).

II - عدد العظام:

وبعد أن تحدثنا عن ظهور العظام، نتناول هنا قضية أخرى هي في الإعجاز أقوى من التي تحدثنا عنها من قبل وذلك لأنها تتضمن دقة أكثر من الإعجاز الإخباري السابق ذكره.

ترى ما عدد العظام التي ستتخلق عند الجنين؟.

---

(1) نشير هنا إلى أن تعظم الجنين لا يتبع أسلوباً واحداً فقط، فهناك طريقتان لتعظم الجنين: **الأولى**: هي التي ينتشر فيها أنموذج غضروفي ومن ثم يحل محل هذا الأنموذج العظام، وتسمى هذه الطريقة: (التعظم في باطن الغضروف ENDOCHONDRAL OSSIFICATION). والثانية: هي التي تتكون فيها الجذعات العظمية مباشرة بين الأغشية وتفرز حولها مستاً عضوياً سرعان ما يتعظم بترسب الكالسيوم، بدون أن يمر النسيج بمرحلة الغضروف، وتسمى هذه الطريقة: (التعظم ما بين الأغشية INTRAMENBRANOUS OSSIFICATION). غير أن ما ذكرناه في النص أعلاه ينطبق عليه الطريقة الأولى لأنه من خلالها يتألف غالبية عظام الجسم. وأما الطريقة الثانية فمحصورة في (النكين السفلي والعلوي MAXILLARY PROMINENCE) وعلى (جانبي المخ وأعلاه CRANIAL VAULT). (كتاب الإنسان النامي. د. مور وبارسو، ص 409، 415 و417).

(2) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 409/ كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص 90 و92.



(101) - مسح بجهاز الرسم الألكتروني (للتعظم ما بين الأغشية Intramenbranous ossification) حيث إن رؤوس الأسهم تشير إلى (الجذعات العظمية Osteoblast) أما الأسهم فهي تشير إلى قطع من العظام قد تخلقت.

إن رسول الله ﷺ يجيبنا عن هذا السؤال في حديثه التالي: «إنه خُلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل...» [أخرجه مسلم ج42].

في الحديث المذكور إشارة إلى أن لدى الجنين 360 مفصلاً أو عظماً، ولكن إذا نظرنا إلى العظام لدى الإنسان البالغ رأينا أن لديه 206 عظمات، باستثناء العظمات الوترية في كل إبهام وفي كل إصبع من الأصابع الكبيرة (ومع إضافة هذه العظام يصبح العدد 216 عظمة).

فلماذا هذا الاختلاف؟. نلحظ أن الرسول ﷺ تكلم عن عدد العظام بصيغة الماضي بقوله «خُلق الإنسان»، وهذا يدل على أنه في بادئ الأمر، عندما خُلق الإنسان (أي عندما كان جنيناً)، تكوّن لديه 360 مفصلاً. فماذا يقول العلم؟ لنر هذا عن كثب من الناحية العلمية:

«إن لكل عظم من عظام الأطراف بما فيها السُلاميات الطرفية منطقة مركزية يتم تعظمها بعد تحوُل النسيج الغضروفي بها إلى عظم أثناء تطور الجنين...، وأيضاً تنتهي أطراف كل عظمة بنسيج غضروفي قابل للتعظم فيما بعد، أي بعد أن يولد الجنين ولديه توقعات بالنمو الطولي..!

وسوف نسمي هذه الأنسجة الغضروفية على أطراف العظام مراكز التعظم الثانوية، ويبلغ عددها عند ظهور العظام 144 مركزاً. ويتم تعظم هذه المراكز وفق نظام صارم محدد يتمشى زمنياً مع متطلبات النمو حتى سن العشرين، وعندما تتعظم هذه المراكز العظمية تتحول إلى نسيج عظمي وتلتحم مع بقية العظم المتاخم لها لتصبح عظماً واحداً حتى تتحول كل عظام الجسم التي يخلق عليها الجنين والتي تبلغ 360 عظمةً إلى 206 عظماتٍ (بعد تعظم كل ما فيها من مراكز التعظم الثانوية) عند اكتمال النمو في سن العشرين. . .

يمكننا حصر عظام الجسم بعد تمام النمو في (206) عظمات هي كما يلي:

28 الرأس، 7 فقرات عنقية، 12 فقرة ظهرية، 5 فقرات قطنية، 5 فقرات عجُزية، 4 عصعص، 24 ضلعاً، 3 قص، 2 لوحي الكتف، 2 ترقوة، 2 عضد، 4 زند وكعبرة، 16 رسغاً، 10 كف اليدين، 28 السلاميات، 6 الحوض، 2 الفخذ، 4 قصبة وشظية بالساق، 14 عظاماً صغيرة بالقدم، 28 السلاميات. ومع إضافة العظمات الوترية بكل إبهام 2 (×2) وإصبع كبير 3 (×2). يكون لدينا مجموع 10 (2×3+2×2 = 10) عظماتٍ وترية، فإذا أضفنا عدد عظام الجسم مع العظام الوترية مع المراكز التعظمية الأولية التي خلق عليها الجنين يكون مجموع عظام الجسم:

206 + 10 + 144 = 360 عظمة.

أما عن مفاصل الجسم فنحددها كما يلي:

147 العمود الفقري (25 غضاريف بين الفقرات + 72 بين الضلوع والفقرات + 50 بين الفقرات عن طريق اللقيمات الجانبية).

24 الصدر (2 عظمة القص + 18 بين القص والضلوع + 2 بين الترقوة ولوحي الكتف + 2 بين لوحي الكتف والصدر).

43 الطرف العلوي (×2) (منصل كتف + 3 كوع + 4 رسغ + 35 عظام اليد).

44 الطرف السفلي (×2) (مفصل فخذ + 3 ركبة + 3 كاحل + 37 عظام القدم).

13 الحوض (2 عظام الورك + 4 فقرات العصعص + 6 عظميات الحق + الارتفاق العاني).

2 الفك.

فيكون المجموع الكلي = 146 + 24 + 43 × 2 + 44 × 2 + 13 + 2 = 360 مفصلاً»[1].

إن تحديد عدد العظام هو إعجاز بحد ذاته، وذلك لأنه لو أطلقنا العنان لخيالنا لكان هناك احتمال صغير جداً لذكر العدد الصحيح للمفاصل. فهنالك مئات بل الآلاف من الأرقام المحتملة.

إضافة إلى ذلك، فإن معرفة عدد العظام لدى الجنين أصعب من معرفة عدد العظام لدى الإنسان البالغ، وذلك لأن تعداد عظام صغيرة في جسم صغير أصعب من تعداد عظام كبيرة في جسم كبير. كما أن عملية التعداد تستلزم الحصول على عدد من الأجنة، وتشريحها، واستعمال آلات خاصة لفصل اللحم عن العظم، وهذا لم يكن متوفراً في زمن النبي ﷺ. فالجزيرة العربية كانت ترزح تحت وطأة الجهل العلمي وخاصة في مجال تخلق الجنين في الرحم.

والإعجاز الأبلغ هو تحديد النبي ﷺ للفترة الزمنية، وهي الفترة الجنينية التي فيها عدد المفاصل. ولو تغير الرقم إلى أكثر أو أقل من العدد الذي ذكره النبي ﷺ لتبين عدم إعجازه والعكس هو الثابت.

2 - كسو العظام لحما:

قال تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا...﴾ [المؤمنون: 14].

يتحقق طور «الكساء باللحم» في الأسبوع الثامن، أي في المرحلة الثانية من مرحلة التسوية.

نفهم من الآية الكريمة أن اللحم يكسو العظام، وهذا يعني:

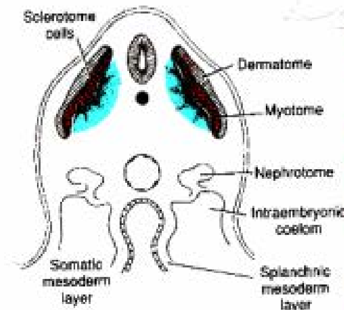
- أن اللحم يعلو العظام.
- أن اللحم يتخلق بعد تخلق العظام[2].

(1) كتاب رحلة الإيمان في جسم الإنسان، د. حامد أحمد حامد، ص 489، بتصرف، وانظر أيضاً كتاب ANATOMIE TOPOGRAPHIQUE. J.P ROUVIERE، ص17، حيث هناك تفصيل لأعداد عظام جسم الإنسان.

(2) وهذا إذا فهمت قوله تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 14] على ضوء قوله ﷻ: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ [المؤمنون: 14].

وهل تشير المعطيات العلمية إلى تلك الحقائق؟، لنر ذلك عن كثب:

فور تفكك القسمين البطني والأوسط للكتل البدنية ينشأ من القسم المتبقي للكتل البدنية، أي من القسم (الظهري الجانبي DORSOLATERAL) للخلايا الميزانكيمية، طبقة جديدة من الخلايا تتميز بنوى سوداء وبلون شاحب، تلك الخلايا تؤلف ما يسمى (بالقسم الهيكلي العضلي MYOTOME)[1] فمن هذه الخلايا ستنشأ غالبية عضلات الجسم، مثل: عضلات العامود الفقري وعضلات البطن وعضلات الرجلين واليدين وعضلات الرأس ما عدا عضلات (قزحية العين IRIS)[2]. وهكذا يتوافق القرآن والمعطيات العلمية في أن اللحم ينشأ من القسم الأعلى للكتل البدنية، بينما ينشأ العظم من القسمين البطني والأوسط - أي من القسم الأسفل - للكتل البدنية، ويتحقق مبدئياً البند الأول للإعجاز العلمي الذي تشير إليه الآية الكريمة ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا...﴾ [المؤمنون 14]. (انظر الصورة رقم: 102 - 103).



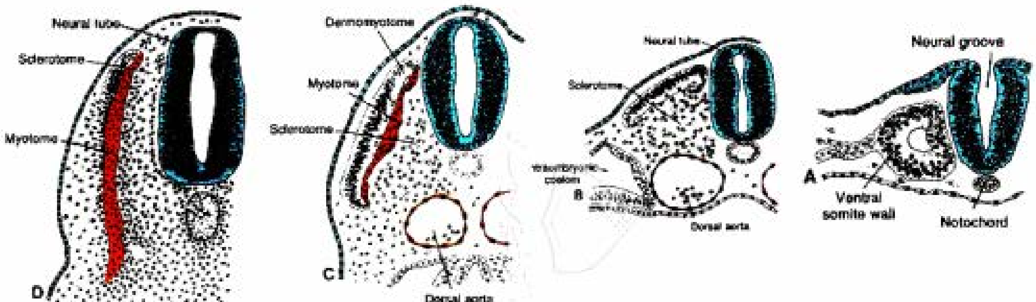
(102) - ترى من خلال الرسم على الشمال مقطعاً لجنين ظهر فيه موقع (الفلقات Somites) على جانبي المكان الذي سيتخلق فيه العامود الفقري. وهذا الرسم يبين أن (الخلايا التي ستتخلق منها العظام Sclerotome cells) تقع تحت (الخلايا التي سيتخلق منها العضل Myotome cells)، وتلك الأخيرة تقع تحت (الخلايا التي سوف يتخلق منها الجلد Dermatom cells).

وبالتالي فإن الجلد بادىء ذي بدء يعلو اللحم الذي يعلو بدوره العظام كما تشير إليه المعطيات الشرعية.

(1) للمراجعة كتاب علم الأجنة الطبي، سادلر، ص76 - 77.

(2) للمراجعة كتاب علم الأجنة الطبي، سادلر، ص 166.

(103) - مراحل تفكك الفلقات إلى خلايا عظمية ولحمية وجلدية، ومراحل هجرة تلك الخلايا.



ترى في هذه الرسومات مقاطع للجنين في مراحل متعاقبة. وترى في الرسم أعلاه موقع (الفلقات Somites) على جانب (الميزاب العصبي Neural groove) وهو مؤلف من الكثير من الخلايا.

ترى في الرسم أعلاه كيف أن (خلايا الجدار البطني الأوسط للفلقات التي تتألف منها العظام Sclerotome) تتفكك وتهاجر قبل خلايا الجدار الظهري الجانبي التي سيتألف منها اللحم والجلد، وبالتالي فإن تخلق العظام يسبق تخلق اللحم.

ترى في الرسم أعلاه كيف أن الخلايا التي تعلو خلايا العظام تتميز بعد هجرة خلايا العظام لتؤلف (كتلة الخلايا التي ستؤلف اللحم Myotome)، ومن ثم تتمدد وتهاجر فيتبع تخلق العظام تخلق اللحم.

ترى من خلال الرسم أعلاه كيف أن (الخلايا التي تعلو اللحم والتي ستؤلف الجلد Dermomyotome) تتفكك بعد أن تهاجر خلايا اللحم لتنتشر في الطبقة الخارجية للجنين، وبالتالي فإن تخلق العظام يسبق تخلق اللحم، الذي يسبق بدوره تخلق الجلد كما تشير إليه المعطيات الشرعية.

فإذا اعتبرنا وظيفة حرف «الفاء» في قوله تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا...﴾ «التفصيل بعد الإجمال» فهمنا أن مرحلة الكساء باللحم هي تفصيل لمرحلة خلق العظام التي سبقتها. و«التفصيل بعد الإجمال» يقتضي أن هناك خلقاً مجملاً حصل، أي أن خلقاً عاماً لمختلف أعضاء الجنين حصل بما فيها العظام واللحم، غير أنه غلب على صورة المرحلة المجملة صورة العظام فأطلق عليها هذه التسمية، ومن ثمّ تلاها خلق آخر لا ينفي استمرار الخلق الأول بكل أعضائه كما أشرنا إليه في الحاشية رقم (2، ص325 - 329) من مبحث «**التسوية/خلق العظام**» ولكن يُبرِز خلقاً أدق في نطاقه، ومُخصّصاً في فعله، مفصّلاً للطور الذي سبقه، تأخر في ظهوره وغلبة سمته عن الخلق الذي غلب في المرحلة المجملة، وفق وظيفة «الترتيب والتعقيب» التي يتّسم بها حرف «الفاء» أيضاً في هذا الموضع، وهذا الخلق هو ظهور اللحم وكسوته العظام. فإذا اتضح لنا هذا، فهمنا أن ذرات العظام واللحم تخلّقت في وقت واحد في مرحلة المضغة، ولكن سبق ظهور العظم ظهور اللحم، وبالتالي فإن اللحم والعظم كانا يؤلفان المضغة. وهذا ما فهمه مفسّرا القرآن الكريم العلامة أبو السعود والعلامة الألوسي، حيث إنهما أشارا إلى أن اللحم نشأ من قسم معين من الفلقات التي تضفي مظهر المضغة على الجنين، بينما نشأت العظام من القسم الآخر، عندما قالا: «﴿لَحْمًا﴾ **من بقية المضغة** أو ممّا أنبتنا عليها بقدرتنا»[1]، و«**ذلك اللحم يحتمل أن يكون من لحم المضغة بأن لم تجعل كلها عظاماً بل بعضها، ويبقى البعض فيمد على العظام حتى يسترها**»[2]. (انظر الصورة رقم 102 المسلسل).

وتنفصل خلايا القسم الهيكلي العضلي بعضها عن بعض، وتهاجر إلى أمكنتها النهائية، وتنقسم إلى جزأين: (ظهري EPIMERE)، و(بطني HYPOMERE)، وهكذا يتحقق مبدئياً من خلال هذه الحادثة البند الثاني أن اللحم يتخلق بعد تخلق العظام، وذلك أنه بالرغم من وجود طلائع جذوع العضلات بالقرب من طلائع العظام ضمن الكتل البدنية، فإن هجرة طلائع اللحم تبدأ بعد هجرة طلائع العظام، وهذا يعني أن طور اللحم يأتي زمنياً بعد طور العظام.

(1) تفسير أبي السعود - (ج6/ ص126).
(2) تفسير الألوسي - (ج18/ ص14).

وتتطاول أجسام تلك الخلايا ونواتها، وتدعى آنذاك: (الخلايا العضلية MYOBLAST)، وتندمج تلك الخلايا بعضها ببعض، وتكوّن مركبات متعددة النويات تتخذ شكل (أنابيب عضلية MYOTUBES)، ويستمر النمو باندماج كل من الخلايا العضلية والأنابيب العضلية[1]، وفي الأسبوع السابع تبدأ كتل اللحم والعضلات بالظهور[2].

ويظهر ترتيب الألياف العضلية غير منتظم في البداية ولكنها تنتظم تدريجياً في حزم من الألياف العضلية التي يتصف بها التنظيم النسيجي لعضلات الهيكل العظمي.

هذه الألياف تتصل بدورها في وقت آخر بغشاء العظام التي تكونت في هذا الموضع، مؤلفة حول هذه العظام النسيج العضلي الذي يكسو تلك العظام[3].

وهكذا يتحقق البند الأول بكامله أن اللحم يكسو - أي يعلو ويغطي - العضلات، ويتحقق البند الثاني بكامله أن اللحم يتخلق بعد تخلق العظام وذلك أن التميز على شكل روابط عضلية هيكلية تكسو العظام يحدث بعد عملية التغضرف في نهايات العظام والسيقان. (انظر صورة رقم: 104).





(104) - صورة لأصابع اليدين والرجلين وقد ظهرت جليًا العظام وقد بدأ اللحم يكسوها وفقًا للآية: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا﴾ المؤمنون: 14 في الأسبوع الثامن من الحمل، أي في نهاية مرحلة التسوية.

(1) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص427.

(2) لمزيد من التفاصيل: كتاب علم الأجنة الطبي، صادلر، ص169/ كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص426.

(3) كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص100 - 102.

وفي نهاية الأسبوع الثامن، أي في المرحلة التي تأتي بعد مرحلة العظام، يمكن ملاحظة تميز واضح لعضلات الجذع والأطراف والرأس، ويغلب على الجنين وقتئذٍ مظهر العضلات، بعد أن كان يغلب عليه مظهر العظام، وصدق رسول الله ﷺ حيث يشير - في الحديث الشريف: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً، **فصورها، وخلق** سمعها وبصرها وجلدها **ولحمها** وعظامها، ثم قال: يا رب: أذكر أم أنثى؟» [أخرجه مسلم ح45] - إلى أن صورة اللحم تظهر بعد أربعين يوماً، ولا سيما بعد فترة العظام وفقاً لقوله ﷻ: ﴿... فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا...﴾.

وفي هذا يقول الألوسي[1]: «﴿... فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ...﴾ المعهودة ﴿لَحْمًا﴾ أي جعلناه ساتراً لكل منها كاللباس».

وبعد تمام تكوين العضلات يمكن للجنين أن يبدأ بالتحرك.

هذه الحقيقة (حقيقة كسو اللحم للعظام) لم تكن لتُعرف لولا تطور الآلات الحديثة التي أتاحت للاختصاصيين مراقبة هذه الأحداث (في النصف الثاني من القرن العشرين)، بيد أنها أعلنت منذ حوالي 1400 سنة على لسان نبيٍ أميٍ - صلوات الله وسلامه عليه -.

فأنى جاء بهذه المعلومات الدقيقة!!!؟.

وفي الختام نشير إلى الحقيقة التي أشار إليها الألوسي[2] والتي يتضمنها النص القرآني الذي يصف تخلق الجنين، وهي أن الصور المختلفة - المضغة والعلقة واللحم والعظام - تنبع كلها من جسم واحد، حسبما تمليه التغيرات الداخلية في جسم الجنين، وليست مجرد إضافات خارجية تنصب على جسم الجنين فتضفي عليه تلك المظاهر المختلفة: «**وكذا المضغة والعظام متحدان في الحقيقة**. وإنما الاختلاف بنحو الرخاوة والصلابة، وأن العلقة والمضغة مختلفان في الحقيقة كما أنهما مختلفان بالأعراض. **والظاهر أنه تتعاقب في جميع هذه الأطوار على مادة واحدة صور حسب تعاقب الاستعدادات إلى أن تنتهي إلى الصورة الإنسانية**».

---

(1) تفسير الألوسي - (ج18/ ص14).
(2) تفسير الألوسي (ج18/ ص14).

ج - نفخ الروح:

● قال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة 9].

● قال ﷻ: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: 37-39].

● قال ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه **أربعين يوماً**، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك. ثم يُرسل إليه الملك، **فينفخ فيه الروح**، ويؤمر بأربع كلمات...» [أخرجه مسلم ح43].

● قال ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، **ثم ينفخ فيه الروح**» أخرجه البخاري ح46].

البحث عن حقيقة الروح أمر في غاية الغموض، والنظر العلمي يُحتّم عدم الدخول في تفاصيل ماهية الروح لأن المفردات الأولية والمعطيات الأساسية غير متوفرة للباحث.

لذا يقول الله عز وجلّ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء 85].

أما معرفة وقت نفخ الروح في الجنين فمن الممكن معرفته من خلال النصوص الشرعية.

فنجد أن نفخ الروح يكون في مرحلة التسوية، أما قبلها فلا يكون هناك نفخ وذلك لأن الله تعالى عطف نفخ الروح على التسوية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة 9]. وأما الإذكار أو الإيناث فإنه يكون بعد التسوية، أي بعد نفخ الروح وذلك أن الله تعالى ذكر إذكار أو إيناث الجنين بعد ذكر التسوية وقرنه بحرف «ف» الذي يفيد الترتيب والتعقيب[1] في الآية: ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾... [القيامة 39].

---

(1) انظر مبحث «الأسلوب القرآني في استخدام حرفي العطف «ثم» و«الفاء» في آيات علم الأجنة».

ونستطيع أن نجمع الآيتين السابقتين ونفهم من خلال الجمع أن نفخ الروح يحصل قبل الإذكار أو الإيناث فيكون معنى الآية: خلقه فسواه ونفخ فيه من روحه فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى.

فيتبيّن أن توقيت نفخ الروح ممتد من بداية التسوية إلى بداية مرحلة الإذكار أو الإيناث.

وإذا أخذنا بالاعتبار وظيفة حرف العطف «ثم» - الترتيب والتراخي -، وحرف العطف «ف» - الترتيب والتعقيب -، نفهم أنه قد يكون هناك تراخٍ في إرسال الملك وفي نفخ الروح بعد انتهاء طور المضغة دون تحديد يوم معين، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقيٌ أو سعيد، **ثم ينفخ فيه الروح**» [أخرجه البخاري ح46]، وقد يكون هناك تراخٍ في إرسال الملك دون أن يكون هناك تراخٍ في نفخ الروح كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه **أربعين يوماً** ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك **فينفخ فيه الروح** ويؤمر بأربع كلمات...» [أخرجه مسلم ح43].

وهذا يعني أن الحد الأدنى الممكن لنفخ الروح أربعون يوماً، لقول رسول الله ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه **أربعين يوماً**... **ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح**...»، وقد يكون في أي يوم بعده.

أما الحد الأقصى الممكن فهو نهاية الأسبوع الثامن(1)، وذلك لانتهاء مرحلة التسوية في نهاية الأسبوع الثامن.

أما حكم إسقاط الجنين فيُؤخذ بالأدنى عند الضرورة (انظر مبحث «**اجتهاد غير مصيب**»).



(1) وهذا بالغالب وقد تزيد المدة أسبوعاً وذلك لاختلاف الأجنة. انظر مبحث «**اجتهاد غير مصيب**».

إتمام الخلق

● عن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «وكل الله بالرحم ملكاً فيقول: أي رب: نطفة؟ أي رب: علقة؟ أي رب: مضغة؟ فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: أي رب: أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه». [أخرجه البخاري ح98].

لقد تحدثنا فيما قبل عن فترة (الإجهاض المبكر SPONTANEOUS ABORPTION)، وبينا أن الرحم في هذه الفترة قد يرفض النطفة عند وقوعها في الرحم، ومن ثمّ تحدثنا عن فترة «الإقرار» وبينا أن الفترة التي تلي فترة المضغة هي فترة يثبت فيها الحمل في الغالب. وأما الآن فسنتحدث عن فترة «إتمام الخلق» التي تشير إلى أن الفترة الحرجة لتخلق الجنين قد انتهت، وابتدأت مرحلة لإنهاء وإتمام وإحكام الخلق، بمعنى آخر؛ فإن المرحلة التالية لا يحدث فيها ما يعيق النمو والتخلق بإذن الله.

فتخلُّق النطفة لتصبح جنيناً مقرون بوقوعها في الرحم كما يشير إليه الحديث الشريف: «**إذا وقعت النطفة** في الرحم بعث الله ملكاً، فقال: **يا رب: مخلقة أو غير مخلقة؟**». [أخرجه الطبري ح32]، وإقرار الجنين في الرحم مقرون بانتهاء تخلّق المضغة كما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج 5]، وقضاء الخلق - أي إتمامه - مقرون بتميز الشكل الخارجي للأعضاء الجنسية للجنين[1] كما يشير إليه الحديث الشريف: «فإذا أراد الله أن **يقضي خلقها**، قال: أي رب: أذكر أم أنثى؟...» [أخرجه البخاري ح98].

وكلمة «يقضي» التي وردت في الجملة «... فإذا أراد الله أن يقضي خلقه...» تعني «يتمّ»، وهي بالتالي لا تشير إلى ابتداء الخلق بل إلى إتمامه للوصول

(1) انظر مبحث «النشأة».

به إلى درجة الكمال بالنسبة لما قبله[1]، وذلك لأن التخلق قد بدأ فيما قبل وخصوصاً في فترة المضغة كما تحدثنا الآية: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم . . . مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: 5][2].

جاء في لسان العرب[3]: «قضي: القضاء: . . . وقال الأزهري: القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه. وكل من أحكم عمله أو أتمّ أو ختم. . . الليث في قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ [سبأ: 14]: أي أتممنا عليه الموت. وقضى فلان صلاته أي فرغ منها. وقضى عبرته أي أخرج كل ما في رأسه. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام: 8]، قال أبو إسحاق: فمعنى قُضِيَ الأمر أتم إهلاكهم. قال: وقضى في اللغة على ضروب كلها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه. . .».

ويشهد لهذا المعنى ما جاء في عمدة القاري[4]: (قوله: **«فإذا أراد أن يقضي»**

---

(1) ويشهد لمعنى الإتمام لفعل «قضى» عدة آيات منها:

● قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: 200].

جاء في تفسير القرطبي للآية: «وقضيتم هنا بمعنى: أديتم وفرغتم».

● قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: 103].

ورد في تفسير القرطبي للآية المذكورة آنفاً: («قضيتم» معناه: فرغتم من صلاة الخوف).

● قال عزّ من قائل: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: 12].

قال ابن كثير في تفسير الآية رقم 12 من سورة فصّلت: «﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ أي: فرغ من تسويتهن سبع سموات في يومين».

وقال القرطبي في تفسير آية سورة فصّلت: «أي أكملهن وفرغ منهن».

● قال جلّ وعلا: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10].

جاء في تفسير القرطبي للآية السابقة: «يقول: إذا فرغتم من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم».

(2) راجع مبحث «**المضغة**».

(3) لسان العرب لابن منظور - مادة «قضي» - (ج11/ ص209 - 210).

(4) عمدة القاري للعيني - كتاب الحيض - باب مخلّقة وغير مخلّقة - رقم الحديث 23 - (ج3/ ص294).

أي: فإذا أراد الله أن **يقضي**، أي: أن **يتم خلقه**). والرواية التي نقلها الطيالسي في مسنده[1]: «إن الله ﷻ يوكل بالرحم ملكاً فيقول: يا رب: نطفة، يا رب: علقة، يا رب: مضغة، فإذا أراد الله ﷻ أن يتم خلقها قال: يا رب: ذكراً أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ فيكتب ذلك في بطن أمه».

و«إذا، **اسم يدل على زمان مستقبل**»[2]، فإذا أخذنا بعين الاعتبار معنى كلمة «يقضي» ووظيفة «إذا» أصبح معنى الحديث الشريف: فعندما يحين وقت إتمام خلق الجنين يبدأ تميز الشكل الجنسي الخارجي للجنين بإذن الله.

ومن الجدير بالذكر أن «قضاء الخلق» ذُكر بعد ذكر طور المضغة في الحديث السابق، وقد يحمل ذلك البعض إلى الاعتقاد إلى أن قضاء الخلق عليه أن يحدث مباشرة بعد طور المضغة، وهذا ينافي الترتيب الذي نشير إليه: «المضغة، الإقرار، التسوية، قضاء الخلق». ولكن ما نشير إليه هو أنه لا يلزم من مرحلة «قضاء الخلق» أن تأتي بعد طور «المضغة» مباشرة إذا ذكرت بعدها بدون أن تفصل بينهما بمرحلة. وهذا الأسلوب أسلوب إيجاز رائع متبع في أكثر من حديث من الأحاديث الشريفة يوجه فيه الرسول ﷺ انتباه القارئ إلى الحدث البارز، وحسبك أن نشير إلى الحديث التالي: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب: أذكر أم أنثى؟» [أخرجه مسلم ح45]. فالنطفة في الحقيقة لا تبقى نطفة اثنتين وأربعين ليلة، وحدث التصوير لا يقع بعد مرحلة النطفة، غير أن الرسول الكريم ﷺ امتنع عن ذكر أحداث ما بعد مرحلة النطفة واستعاض عن ذلك بذكر مرحلة الأصل - مرحلة النطفة - حتى يوجّه انتباه السامع إلى حدث التصوير الذي يحصل للأذن والعين[3]... إلخ. وكذلك الحدث

(1) رقم 2073، والسند هو: حدثنا يونس قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا حماد بن زيد، عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس، عن أنس.

(2) لسان العرب لابن منظور - مادة «إذا» - (ج1/ ص103).

(3) وهذا الأسلوب في الإيجاز له فوائد أخرى - غير توجيه السامع إلى الحدث المراد توضيحه -، منها:
أ - الامتناع عن ذكر المراحل التي بين المرحلة الأولى والمراحل المذكورة، تلفت أنظار المخاطبين، وإيقاظ حسّ المبادرة لدى الباحثين على ملء الفراغ المتعمّد في الأحاديث، وربط جميع مراحل التخلق فيما بينها، ودراسة الأحاديث بشكل معمّق، حتى نعطي كل حدث حقّه الكامل في الدراسة، فتتوضح لنا معانٍ نحن غافلون عنها (لمزيد من التفاصيل الرجاء مطالعة مبحث **«توقيت أحاديث التخلّقات في القرآن والسنّة»**).

البارز في الحديث «. . . **إذا أراد الله أن يقضي خلقها** . . .» [أخرجه البخاري ج8/ص198] هو قضاء الخلق والغاية هي التركيز عليه، والله تعالى أعلم.

وما جاء في عمدة القاري[1]، يوضح ذلك: «وقوله في حديث أنس: «**وإذا أراد الله أن يقضي خلقاً، قال: يا رب: أذكر أم أنثى؟**» لا يخالف ما قدمناه، **ولا يلزم منه أن يقول ذلك بعد المضغة، بل هو ابتداء كلام وإخبار عن حالة أخرى**».

وهكذا فإن عملية إتمام الخلق تتحقق مع تحقق مرحلة تميز الشكل الخارجي للأعضاء الجنسية للجنين.

ولقد رأينا في مبحث «**الإقرار**» أن حساسية الجنين للعوامل التيراتوجينية أو المؤذية تكون عالية جداً في فترة المضغة مما يؤدي إلى إحداث تشوهات خطيرة لدى الجنين في كثير من الأوقات أو لإسقاطه.

---

2 - بيان معجزة الخلق بشكل أوضح؛ حيث أن ذكر النطفة وجهاً لوجه مع مراحل خلق السمع والبصر والعظام واللحم والجلد. . . يبرز التفاوت الكبير بين تركيبة ومادة وحجم نطفة - بسيطة في مظهرها - وأعضاء معقدة التركيب، مثل السمع والبصر والعظام واللحم، وهذا الأسلوب في الإيجاز له وقع على السامع - أو القارئ - أكثر مما لو فصل ﷺ الأمر، وواصل بين مراحل الخلق متعاقبة لها أوجه شبه فيما بينها، كما فعله - عليه الصلاة والسلام - في أحاديث أخرى.

3 - الاختصار لغرض تسهيل وتبسيط رواية خلق الإنسان للسامع، وتسهيل فهمها لجميع المجتمعات وفئاتها، سواء أكانت أمية أم متعلمة، متقدمة في السن أم شابة. فمن مميزات هذا الدين العظيم أنه «عالمي»، أي أنه يتوجه إلى كل الناس على مختلف طبقاتهم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [...]. وهذا الأسلوب يتكل على تسديد المعنى من قبل السامع، ثقة به، وهو دال على منتهى البلاغة، حيث إنه ﷺ حذف مراحل ما بعد النطفة، التي بينها وبين مرحلة خلق العظام؛ كمرحلة جمع خلايا الجنين، ومرحلة العلقة، ومرحلة المضغة، وأخرج - عليه الصلاة والسلام - ذلك في صورة المجاز المرسل، فعبّر عن الشيء باعتبار ما كان (وهو أسلوب معتمد لدى الرسول ﷺ، وقد مرّ معنا في مبحث «**التسوية/خلق العظام**» بصورة المجاز، باعتبار ما سيكون، فانظر تعريفه هناك)، وذلك لسببين:

أ - أن النطفة يمكن تصوّرها أكثر من أي مرحلة أخرى، لأنها تنبئ من شيء مشاهد للعيان، مألوف لديهم؛ ألا وهو المني.

ب - إن مرحلة النطفة هي ألصق بالأذهان من غيرها، لأنها أول مرحلة تُذكر، ولأنها مرحلة أصل الإنسان، التي تُذكر أكثر من غيرها، والإنسان في عادته يتذكر دائماً أول الشيء وآخره، وينسى التفاصيل التي تقع بينهما، وهكذا فإن الرسول ﷺ يسوق السامعين بأسلوب سهل، سائغ لديهم، ليس بغريب إلى الحدث البارز المراد تفصيله. والله تعالى أعلم.

(1) عمدة القاري للعيني - كتاب الحيض - باب مخلقة وغير مخلقة - رقم الحديث 22 - (ج3/ ص294).

أما في فترة التسوية[1] (وهي الفترة التي تلي فترة تخلق المضغة)، فحساسيته تظل عالية وغالباً ما تؤدي العوامل التيراتوجينية إلى تشوهات خطيرة لدى الجنين وفي قليل من الأحوال إلى إسقاطه.

أما فيما بعد، أي في فترة النشأة[2] - وهي الفترة التي تلي مرحلة التسوية، والتي فيها يُمَيَّز جنس الجنين الخارجي أذكر أم أنثى - فحساسيته تخف وتأثير العوامل أيضاً، وعند ابتداء تميز الشكل الخارجي للأعضاء الجنسية للجنين[3]، لا يبقى عضو يذكر حساس للعوامل المؤذية إلا الجهاز العصبي، وبالتالي فليس هناك **في الغالب** ما يعيق نمو الجنين ويؤدي إلى إحداث تشوهات خطيرة لديه أو لإسقاطه.

وكما نرى من الجدول التالي (انظر الصورة رقم: 105) فإن فترة التشوهات الرئيسية تنتهي في حوالي بداية الأسبوع التاسع، أي بعد نهاية مرحلة التسوية بأيام قليلة وبداية مرحلة النشأة. وكما نعلم فإن تميز الشكل الخارجي للأعضاء التناسلية الخارجية للجنين يبدأ بعد انتهاء مرحلة التسوية بأيام قليلة[4] وفقاً لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: ٣٧-٣٩]، وهذا يعني أنه مع ابتداء مرحلة الإذكار أو الإيناث الخارجية للجنين هناك احتمال ضئيل لحدوث تشوهات خطيرة. وإذا ما حلّت العوامل المؤذية فإنها تؤدي إلى خلل وظيفي أو إلى تشوهات خلقية ضعيفة، غير أن هذه الأخيرة لا تعيق النمو ولا تحول دون إتمام تخلق الجنين كما يشير إليه الحديث الشريف: «... **فإذا أراد الله أن يقضي خلقها، قال: أي رب: أذكر أم أنثى؟**» [أخرجه البخاري ح٩٨].

فسبحان من يعلم خفايا التخلق ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]!.



(1) انظر مبحث «التسوية».

(2) انظر مبحث «النشأة».

(3) انظر مبحث «النشأة».

(4) للمزيد من التفصيل حول موضوع الإذكار أو الإيناث الرجاء مطالعة مبحث «**النشأة/ مرحلة القابلية للحياة/ التعديل/ التميز الجنسي**».

Main Embryonic Period (in weeks)
Fetal Period (in weeks)
1
2
3
4
5
6
7
8
9
16
32
38
Period of dividing zygote, implantation and bilaminar embryo
Morula
Blastocyst
Embryonic disc
Amnion
Embryonic disc
Not susceptible to teratogenesis
Death of embryo and spontaneous abortion common
Neural tube defects (NTDs)
Mental retardation
CNS
TA, ASD, and VSD
Heart
Amelia/Meromelia
Upper limb
Amelia/Meromelia
Lower limb
Cleft lip
Upper lip
Low-set malformed ears and deafness
Ears
Microphthalmia, cataracts, glaucoma
Eyes
Enamel hypoplasia and staining
Teeth
Cleft palate
Palate
Masculinization of female genitalia
External genitalia
• Common site(s) of action of teratogens
Less sensitive period
Highly sensitive period
TA — Truncus arteriosus; ASD — Atrial septal defect; VSD — Ventricular septal defect
Major congenital anomalies
Functional defects and minor anomalies

(105) - إن الجدول يلخص لنا حساسية الجنين للعوامل الخارجية (**Teratogens**) خلال مختلف مراحل نموه، ونرى في الجدول أن النطفة تتعرض للإسقاط خلال الأسبوعين الأولين من التخلق وقت التحديث [illegible] إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكا فقال: يا رب مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلقة قذفتها الأرحام دما (الطبري ج[illegible])، وتعقبها مرحلة يمكن أن تتعرض خلالها لتشوهات خطيرة إلى الأسبوع السادس تؤدي في الغالب إلى إسقاطه وقت [illegible] (ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى) (الحج 5)، وتعقبها مرحلة يمكن أن يتعرض فيها الجنين لتشوهات خطيرة لا تؤدي إلى إسقاطه في الغالب، وتعتبر الفترة ما بعد الأسبوع التاسع فترة آمنة لا يتعرض فيها الجنين إلى تشوهات خطيرة في الغالب وقت التحديث. [illegible] أراد الله أن يقضي خلقه (القرطبي [illegible])

النشأة

● قال الحليم الكريم: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14].

● قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [القيامة: 37، 38].

● قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: 6 - 8].

● قال العليم الحكيم: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15].

● قال العليم الحكيم: ﴿وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ. . .﴾ [لقمان: 14].

● قال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: "إذا أراد الله أن يخلق نسمة قال ملك الأرحام معرضاً: أي ربّ: أذكر أم أنثى؟، فيقضي الله، فيقول: أي ربّ: أشقي أم سعيد؟ فيقضي الله أمره، ثم يكتب بين عينيه، حتى النكبة ينكبها" [أخرجه أبو يعلى ح44].

● قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب: أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول: يا ربّ: أجله؟ فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول: يا ربّ: رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد ولا ينقص" [أخرجه مسلم ح45].

هذه المرحلة تأتي بعد مرحلة التسوية لأنها تأتي بعد مرحلة كساء العظم باللحم وقد سميناها مرحلة النشأة لأن الله تبارك وتعالى قال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ. . .﴾ [المؤمنون: 14].

أ - تعريف النشأة:

كلمة "نشأة" مشتقة من فعل "نشأ" ولها عدة معانٍ منها:

1 - بدأ، مثل أنشأ الله الخلق أي ابتدأ خلقهم[1].

2 - نما، مثل نشأ الصبي: أي شبّ ونما[2].

3 - ارتفع وربا، مثل نشأ السحاب: ارتفع[3].

هذه المعاني تعبر عن حقيقة واقع الجنين في هذه المرحلة وتصف بشكل مكثف التطورات والتغييرات الخارجية والداخلية والعمليات الهامة التي تطرأ على الجنين ألا وهي - باختصار شديد - : بداية عمل الأعضاء، نمو الجنين وارتفاع قامته.

1 - المعنى الأول (بدأ):

فالمعنى الأول لكلمة نشأ: "بدأ" يصف لنا بداية عمل الأعضاء والأجهزة المختلفة وبداية حركة الجنين (فالجنين يبدأ بالتحرك في نهاية الأسبوع الثامن أو بداية الأسبوع التاسع)[4] وحيث نجد أن الكلية قد بدأت في تكوين البول، وبدأ الكبد في تكوين خلايا الدم الحمراء (في بداية مرحلة النشأة) ومن ثمّ تبدأ الطحال في الأسبوع الثاني عشر في تكوينها[5]، وما إلى ذلك...

2 - المعنى الثاني (نما):

وأما معنى "نما" فإنه يُبيّن النمو السريع للجنين على وجه العموم، والتطور الشامل لأعضاء وأجهزة جسمه التي تحصل خلال هذه الفترة على وجه الخصوص. فعلى سبيل المثال: يصبح وزن الجنين 3400 غرام في نهاية الحمل بعد أن كان 8 غرامات في الأسبوع التاسع من الحمل (أي بازدياد مدهش مقداره 400 ضعف)، كذلك فإن سائر أعضاء الجنين تنمو؛ فنرى أن الجهاز التناسلي للجنين يتميّز ذكراً أو أنثى، وتبرز الأذنان الخارجيتان من الرأس، وتتضح الرقبة، ويتطوّر الطرفان السفليان بصورة جيّدة... إلخ (انظر الصورة رقم 106).

---

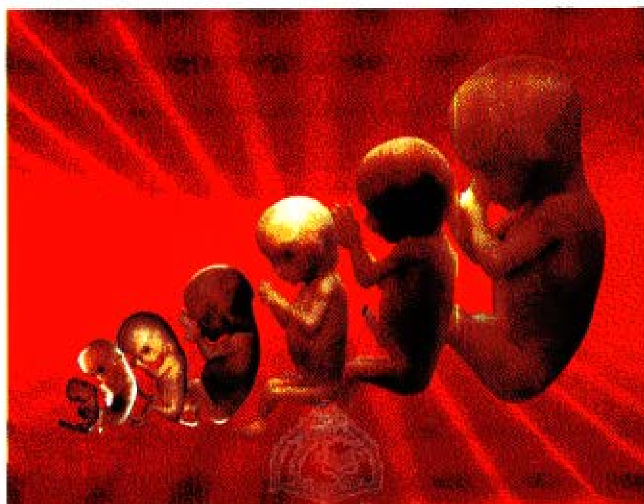
(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «نشأ» - (ج14/ ص134).

(2) المعجم الوسيط - (ج2/ ص920).

(3) لسان العرب لابن منظور - مادة «نشأ» - (ج14/ ص134 - 135). تاج العروس لمحمد مرتضى - (ج1/ ص265).

(4) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص112.

(5) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص112.



(106) - هذه الصور اتخذت لعدة أجنة في مراحل مختلفة من عمرها تمثل لنا كيف أن الجنين ينمو ويتطور بسرعة وفق المعنى الثاني لكلمة «نشأ» التي وردت في الآية: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: 14].

3 - المعنى الثالث (ارتفع وربا):

وأما معنى «ارتفع، ربا»، فإنه يصف تلك الزيادة الواضحة والسريعة جداً في طول الجنين والتي تبدأ من الأسبوع التاسع فصاعداً.

فبالأمس كان حملاً صغيراً - أي في مرحلة النطفة والعلقة والمضغة ومرحلة خلق العظام ومرحلة كسو العظام لحماً -، والآن أصبح هذا الحمل ينمو ويرتفع ويربو، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 189]، وهذا ما أوضحه العلامة ابن كثير في كتابه تفسير القرآن العظيم[1]: «﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ **وذلك أول الحمل لا تجد**

(1) تفسير ابن كثير - (ج2/ص274). تفسير الألوسي - (ج9/ص138).

المرأة له ألماً، **إنما هي النطفة ثم العلقة ثم المضغة**». غير أنه من الصواب أن نضيف إلى المراحل المذكورة سابقاً مرحلتي «خلق المضغة عظاماً»، وكسو العظام لحماً لأنها تأتي أيضاً قبل مرحلة «النشأة» التي بتحققها ينتقل الحمل من الحمل الخفيف إلى الحمل الثقيل[1].

وبالفعل فإن (طول الجنين CR) يكون في الأسبوع التاسع 50 ملم، ومن ثَمّ يزداد إلى أكثر من سبعة أضعافه ليصل في نهاية الحمل إلى 360 ملم[2]. (انظر الصورة رقم: 107).

لقد وضع القرآن الكريم حداً فاصلاً بين مرحلة التخلق التي سبقت وهي في قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 14] والمرحلة المقبلة - مرحلة النشأة - بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ...﴾ [المؤمنون: 14].

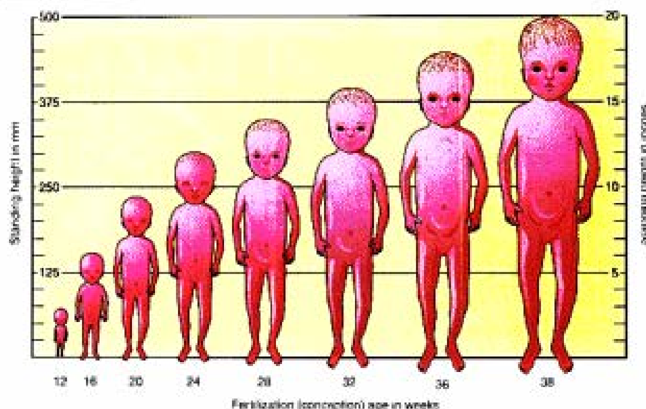
ونتساءل لماذا قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: 14]؟.

الجواب: إن الآية الكريمة عندما ذكرت: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: 14] دلَّت على وجود مرحلة جديدة للجنين بصفات مميزة ومختلفة عن المراحل السابقة.

---

(1) إن الضمير «الهاء» لكلمة «به» التي جاءت في الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 189] يعود للحمل الخفيف، فالمرأة تمر بالحمل الخفيف. وفعل مرّ يعني استمر. جاء في ابن كثير - (ج2/ ص274): «قال مجاهد: استمرت بحمله. وروي عن الحسن وإبراهيم النخعي والسدي نحوه». وهذا يعني أن المرأة تمكث فترة من الزمن بالحمل الخفيف. وهذا الأمر كان غير واضح للناس من قبل، وذلك أن معرفة حدوث الحمل في الأسابيع الأولى لم تكن متحققة علمياً حتى عهد قريب. فالناس كانوا في الغالب يعتقدون أن المرأة ما تلبث أن تحمل حتى ينتفخ بطنها ويثقل، ولذلك لا يتضرعون لربهم إلا بعد أن تثقل المرأة ويستبين حملها كما جاء في الآية: ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 189]. والشاهد على هذا النمط من التفكير نظرية «الخلق الجاهز» التي تنص على أن الإنسان موجود بصورة مصغرة في رأس الحيوان المنوي والتي كانت رائجة في القرن الثامن عشر بعد الميلاد (للمراجعة انظر مبحث «**الوحي يمحو الأمية**»). فهذه النظرية لا تقتضي مرور فترة زمنية - لا يستهان بها - ضرورية لكي تتخلق فيها أعضاء الجنين قبل أن يبدأ بالنمو، فما تلبث أن تحمل المرأة حتى يستطيع الإنسان الموجود بصورة مصغرة في رأس الحيوان المنوي من الانتفاخ. وبالتالي فإن الآية تؤكد ظاهرة الحمل الخفيف في الأسابيع الأولى، في حين لم يكن الناس على بصيرة منها.

(2) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص109.



(107) - هذا الرسم يمثل الزيادة السريعة في طول الجنين حسب عمره بالأسابيع وفق المعنى الثالث لكلمة «نشأ» - ارتفع - التي جاءت في الآية ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: 14].

وذلك لعدة أسباب:

أولاً: يصعب تمييز الجنين عن أجنة كثير من الحيوانات الأخرى في المراحل التي سبقت، مع كونه مميزاً بوضوح في مظهره، ومن جراء عملية التصوير التي يجريها له الملك يتميز الجنين عن أجنة الحيوانات ويتضح مظهره الآدمي. (انظر صورة رقم: 108).

ثانياً: إن الجنين في هذه الفترة يصبح حيوياً بعدما كان كتلة جامدة فيما قبل.

ففي هذه المرحلة تبدأ أعضاء الجنين الداخلية بالعمل (كما أسلفنا ذكره في تعليقنا على المعنى الأول لكلمة نشأ - بدأ -) ويبدأ هو بالحركة الذاتية.

ثالثاً: إن هذه المرحلة تتميز بظاهرة جديدة، ألا وهي: ظاهرة نمو الأعضاء وتهيئتها للقيام بوظائفها، بعد أن كانت قد تخلقت في المرحلة السابقة. (راجع المعنى الثاني لكلمة نشأ - نما -). فالمرحلة المقبلة هي مرحلة نمو، بينما كانت المرحلة السابقة مرحلة تخليق، وهي بذلك تختلف عن بعضها.



(108) - نرى كيف أن أجنة الحيوانات تتماثل في بعض أطوارها ثم تختلف وفقاً للآية ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14].

كل هذه التغييرات تجعل من (الحميل EMBRYO) (جنيناً FETUS) كما يشير إليه العلماء اليوم (وإن أشرنا إلى الحميل بالجنين في الفترات السابقة، وذلك لشيوع كلمة الجنين).

هذا الانتقال في انتقاء المصطلحات ما هو إلا نهج تابع للتعبير عن الخلق الآخر الذي أشار إليه العليم الخبير بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: 14].

تأتي مرحلة النشأة بعد طوري خلق المضغة عظاماً وكسو العظام لحماً لقوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ...﴾ [المؤمنون: 14]. وكما أسلفنا القول فإن مرحلة التسوية تشمل طوري خلق المضغة عظاماً وكسو العظام لحماً، لذا فإن مرحلة النشأة تأتي بعد مرحلة التسوية.

والقرآن الكريم يعقب بعد مرحلة التسوية بمرحلة التعديل (تعديل الجنين)، لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: 7-8]، وبالتالي فإن مرحلة التعديل تأتي ضمن مرحلة النشأة.

ومن جهة أخرى تأتي عملية الإذكار أو الإيناث بعد عملية التسوية لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: 37-39]. وكما أشرنا إليه سابقاً فإن مرحلة التعديل تأتي بعد مرحلة التسوية، لذا فإن مرحلة التعديل وبالتالي مرحلة النشأة تتضمن عملية الإذكار أو الإيناث.

والهاء التي وردت في كلمة «منه» قد ترجع إلى الإنسان، فكأن الآية تعني: فخلق فسوى فجعل من الإنسان الذكر والأنثى.

جاء في الجامع لأحكام القرآن[1]: «ثم قال: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ أي من الإنسان».

وفعل «جعل» الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣٩)﴾ [illegible]، يأتي بمعنى «خلق»، جاء في لسان العرب[2]: «جعل: وجعل خلق... وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [illegible] أي خلقنا». فإذا أبدلنا فعل «جعل» بفعل «خلق» في الآية: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [illegible] أصبح معنى الآية: فخلق منه الزوجين الذكر والأنثى، وبالتالي فإن الآية السابقة تشير إلى أن الأعضاء التناسلية للجنين تتخلق بعد مرحلة التسوية، وسوف نوضح كيف يتم تخلق الأعضاء التناسلية للجنين.

كذلك فإن فعل «جعل» يأتي بمعنى «صيّر»، أي أصبح في المستقبل، وهذا يعني أن نتائج عملية إذكار أو إيناث الجنين تأتي بعد مضي حين من الزمان على مرحلة التسوية، فيصبح الجنين بعدها ذكراً أو أنثى. وبالفعل فإن عملية التميز الجنسي الخارجية للجنين تحتاج لوقت يقدر بثلاثة أسابيع بعد انتهاء مرحلة التسوية، أي منذ ابتداء مرحلة النشأة، حتى تثمر وتتضح عن نتائج جلية.

جاء في لسان العرب[3] في شرح كلمة «جعل»: «جعل:... وجعله صيّره... وجعل الطين خزفاً والقبيح حسناً: صيره إياه... ويقال جعلته أحذق الناس بعمله، أي صيرته...».

وورد في لسان العرب[4] في شرح كلمة «صير»: «صير: صار الأمر إلى كذا... وفي كلام عُمَيْلة الفزاري لعمه وهو ابن عنقاء الفزاري: ما الذي أصارك إلى ما أرى يا عمّ؟ قال: بخلك بمالك... وصيرته أنا كذا أي جعلته. والمصير الموضع الذي تصير إليه المياه، وصير الأمر: منتهاه ومصيره وعاقبته وما يصير إليه، وصيُّور الشيء: آخره ومنتهاه، وما يؤول إليه كصيره ومنتهاه».

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - (ج19/ ص117). تفسير أبي السعود - (ج9/ ص69).

(2) لسان العرب لابن منظور - مادة «جعل» - (ج2/ ص301).

(3) لسان العرب لابن منظور - مادة «جعل» - (ج2/ ص300 - 301).

(4) لسان العرب لابن منظور - مادة «صير» - (ج7/ ص452 - 453).

ومن المهم أن ننوه إلى أن اختيار فعل «جعل» له دلالته: فلو صغنا الآية بفعل «صار» أو فعل «خلق» لما استطعنا أن نجمع بين المعاني المختلفة، وأن نوصل إلى القارئ المعنى المزدوج، وهذا من الإعجاز البياني للرسول ﷺ حيث قال: «**بعثت بجوامع الكلم**» [أخرجه البخاري ح13].

وتشمل مرحلة النشأة مرحلة تخلق الجلد. وذلك لأن القرآن الكريم سكت عن ذكر تخلق الجلد بعد ذكر كسو العظام باللحم في الآية: ﴿**فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ**﴾ [المؤمنون 14]، مع أن الحديث الشريف: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب: أذكر أم أنثى؟» [أخرجه مسلم ح45] ذكر تخلق الجلد، وهذا دليل على أن تخلق الجلد يتأخر عن تخلق اللحم، ذلك لأنه لو كان تخلق الجلد يقع زمنيًا بين المراحل السابقة التي ذكرت في الآية السالفة الذكر لذُكر، والله أعلم.

وورود كلمة «ثم» في سؤال الملك عن الإذكار أو الإيناث بعد ذكر تخلّق الجلد وسائر الأعضاء هي للإشارة إلى أنّ تميز الشكل الخارجي للأعضاء الجنسية للجنين يأتي بعد ابتداء تخلّق الجلد، وبالفعل يبدأ تميز الجلد في الأسبوع السابع وإن لم يظهر جليًا، ومن ثَمّ يبدأ تميز الشكل الخارجي للأعضاء الجنسية في نهاية الأسبوع التاسع، أي في مرحلة متقدمة لتخلّق الجلد.

وبينما يتم إجراء العمليات اللازمة لإذكار أو إيناث الجنين يتم تخلق الهيكل الرئيسي للجلد، فيسبق تميز الجلد التميز الجنسي كما جاء في الحديث الشريف: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً **فصورها وخلق** سمعها وبصرها **وجلدها** ولحمها وعظامها **ثم قال**: **يا رب**: **أذكر أم أنثى؟**» [أخرجه مسلم ح45].

وهكذا فإن ترتيب تخلق الأعضاء في مرحلة التسوية ومرحلة النشأة يصبح وفق ما جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة: تخلق العظام - تخلق اللحم - تخلق الجلد - التميز الجنسي، وعليه فإن ترتيب عمليات مرحلة التسوية ومرحلة التعديل تظهر كما في الجدول التالي:

الآية الأولى: (7) سورة الانفطار	**الآية الثانية:** (14) سورة المؤمنون	**الحديث الشريف:** رقم 45 رواه مسلم	**الآية الثالثة:** (38) سورة القيامة
	ثم خلقنا النطفة علقة	إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة	ثم كان علقة
الذي خلقك	فخلقنا العلقة مضغة		فخلق
فسواك	فخلقنا المضغة عظاماً	فصورها وخلق سمعها وبصرها ولحمها وعظامها	فسوى
	فكسونا العظام لحماً		
فعدلك	ثم أنشأناه خلقاً آخر	وخلق جلدها	فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى
		ثم قال: يا رب: أذكر أم أنثى؟	

هذا وتنقسم مرحلة النشأة إلى مرحلتين: مرحلة القابلية للحياة، ومرحلة الحضانة الرحمية.

وتتضمن مرحلة القابلية للحياة عدة أمور منها: مرحلة التعديل (وهي مرحلة التقوّم والتوازن والتميز الجنسي) ونمو الحجم، وهي أقل مدة الحمل.

أما مرحلة الحضانة فتتميز بنمو حجم الجنين وإعداده للحياة خارج بطن الأم.

ب - مرحلة القابلية للحياة:

هي الجزء الأول من مرحلة النشأة وتمتد من الأسبوع التاسع إلى الأسبوع الرابع والعشرين.

1 - التعديل.

تبدأ هذه المرحلة في الأسبوع التاسع وتنتهي بانتهاء مرحلة النشأة.

1 - الصورة الشخصية:

التسوية هي عملية أقوى بفعلها من التعديل، لذا سبقت التسوية التعديل، ومن الطبيعي أنه بعد أن تتخلق الأعضاء الأساسية للجنين، تجرى عليه تعديلات لإتمام

صورته النهائية. فالتسوية هي إعطاء الجنين صورة إنسانية[1]. وأما التعديل فهو إعطاء الجنين صورته الشخصية.

لذلك نجد أن الآية الكريمة ذكرت بعد التعديل تركيب الإنسان في صورته النهائية ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: 7، 8].

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 8] جاءت لبيان التعديل المذكور في القرآن.

وفي اللغة العربية إذا جاءت جملة بعد جملة أخرى ولم يفصل بينهما بحرف عطف، فالأخيرة قد تعني البيان على سبيل التفسير أو الوصف أو التأكيد أو غير ذلك[2].

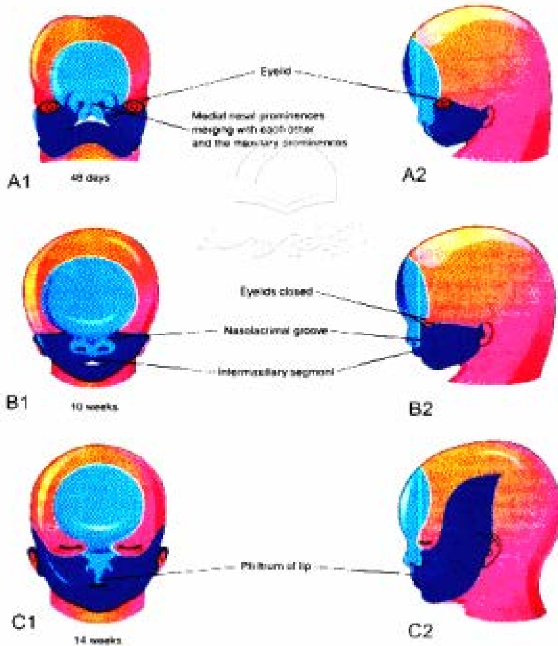
وهذا مندرج في علوم البلاغة؛ ضمن علم المعاني، في مبحث "الوصل والفصل"، وسقوط "الواو" هو الفصل، ومحله في هذه الآية أن جملة ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 8] فصلت عن جملة ﴿فَعَدَلَكَ﴾، وسقطت الواو، لأن الثانية ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 8] واقعة من الأولى موقع البدل أو عطف البيان، إذ هي بيان للأولى ﴿فَعَدَلَكَ﴾، فبينهما كمال اتصال، لأن الثانية بينت الأولى، وأفادت في إيضاحها، ومن هنا سقطت الواو[3].

وبما أن كلمة "صورة" تعني: هيئة أو شكل[4]، وفعل "صوّر": كوّن له صورة وشكلا[5]، وقد ورد هذا المعنى كبيان لفعل "عدلك"، فذلك يعني أن فعل عدّل يعني: أعطاه الشكل والهيئة.

وهكذا فإن تعديل الجنين يكون بإجراء تعديلات أو تغييرات طفيفة عليه تعطيه اللمسة الأخيرة؛ لتقويم أعضائه التي كانت قد تخلفت من قبل.

(1) راجع لهذا الغرض مبحث "التسوية".
(2) انظر تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور - (ج30/ ص177).
(3) انظر "بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة"، لعبد المتعال الصعيدي، (ج2/ ص71 - 77).
(4) جاء في لسان العرب لابن منظور - مادة "صور" - (ج7/ ص438): "قال ابن الأثير... يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته".
(5) جاء في المعجم الوسيط - مادة "صور" - (ج1/ ص528): "صوّره جعل له صورة مجسمة... وتصوّر: تكونت له صورة وشكل".

ونجد في مرحلة التعديل أن الأذنين ترتفعان من أسفل الرأس على الجانبين إلى المكان الطبيعي، ويهبط الأنف من مستوى العينين إلى مكانه الطبيعي، وينفصل الأنف عن الفم، فتظهر الشفة العليا للفم واضحة، وتتحرك العينان إلى مقدمة الوجه، كما أن الأمعاء تدخل إلى تجويف البطن بعد أن كانت في الحبل السري، وتظهر أظافر اليدين البدائية، وتظهر مراكز التعظم في غالب العظام. . . إلخ. وهكذا ينطبق المعنى الثاني لكلمة «عدل» على هذه المرحلة ألا وهو ترسيم الشكل من خلال إجراء تعديلات بسيطة على الجنين. (انظر الصورة رقم: 109).



(109) - ترى في سلسلة الرسومات كيف أن الأنف في مرحلة التعديل (من اليوم السادس والخمسين - تقريباً - فصاعداً) ينخفض نسبياً بينما تتقدم العينان إلى وسط الوجه وترتفع الأذنان على الجانبين.

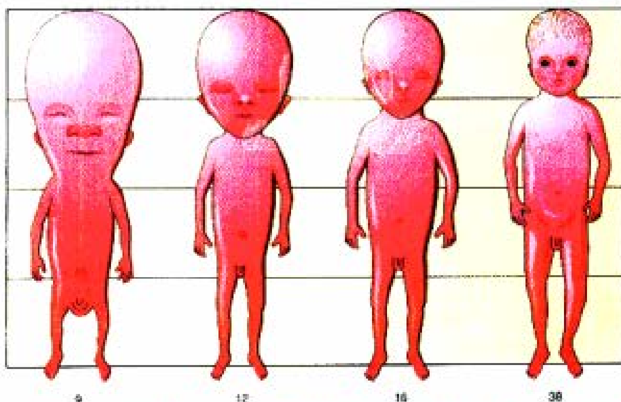
II - التوازن:

وكلمة العدل تعني التقوّم والتناسب والتوازن بين الأشياء[1].

وهكذا فإن مرحلة التعديل هي حالة تقويمية وتوازنية للأعضاء بحيث يكون كل عضو متناسقاً مع بقيّة الأعضاء.

وتغدو عملية التعديل مشاهدة بدقة بعد مرحلة التسوية التي تكون الأعضاء فيها غير متناسقة، فيكون حجم الرأس كبيراً بالنسبة إلى حجم الجسد.

ففي مرحلة التعديل تتغير مقاييس الجسم بحيث يصبح الطرفان السفليان أكثر طولاً مقارنة بالجسم، ويتباطأ نمو الرأس[2]، فتتوازن أحجام الرأس والأطراف (انظر الصورة رقم: 110)، وتصبح مقاييسه متناسقة بحسب الصورة الآدمية[3]، وبذلك يتحقق معنى التوازن والتناسب الذي تشير إليه كلمة «عدل».



(110) - نرى في الرسم على اليمين كيف أن الرأس الكبير في مرحلة التعديل يصغر بينما تصبح الرجلان الصغيرتان أكثر طولاً كما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿فَعَدَلَكَ﴾

---

(1) جاء في لسان العرب لابن منظور - مادة «عدل» - (ج9/ص84 - 85): «وعدل الشيء يعدله عدلاً: وازنه... وكل ما تناسب فقد اعتدل». وورد في تفسير النسفي (ج4/ص338): («فعدلك» فصيّرك معتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوت فيه، فلم يجعل إحدى اليدين أطول، ولا إحدى العينين أوسع).

(2) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص 98.

(3) كتاب وثّد عقل، د. لارس هامبرغر، ص 110.

III - تخلّق الجلد:

ونجد في مرحلة التعديل أن الجلد يتخلق، وتفصيله: أننا رأينا في مبحث اللحم السابق أن (طبقة العضلات MYOTOME) تنفصل عن القسم (الظهري الجانبي DORSOLATERAL) للكتل البدنية المسمى (بالقسم الجلدي اللحمي DERMOMYOTOME)، وبعد أن تنفصل طبقة العضلات عن القسم الظهري الجانبي يتفكك القسم المتبقي المعروف (بالقسم الجلدي DERMATOME) وينتشر تحت (طبقة الخلايا الخارجية التي تغطي الجنين SURFACE ECTODERM) ويؤلف مع (الطبقة النسيجية الوسطى LATERAL MESODERM) الطبقة الميزانكيمية الباطنية للجلد، وهكذا تتأسس (طلائع الجلد الخارجية والباطنية SURFACE ECTODERM AND MESODERM) بعد أن تتألف طبقة اللحم كما تحدثنا آنفاً في هذا المبحث، وكما تشير إليه النصوص القرآنية والحديثية.

وخلال الأسبوع السابع، أي بعد الأيام الاثنين والأربعين الأولى التي ذكرها الحديث الشريف: «**إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكاً، فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب: أذكر أم أنثى؟**» [أخرجه مسلم ح145]، تفرز (الطبقة الخارجية SURFACE ECTODERM) (طبقة مسطحة من الخلايا PERIDERM) وتبدأ حينئذ عملية تخلق وتصور الجلد، ويتوالى إفراز خلايا الطبقة الخارجية، وتظهر ما بين اليوم الأربعين واليوم الخمسين[1]، أي في الأسبوع السابع إلى الثامن، (الخلايا الملونة MELANOCYTES) في الطبقة الخارجية. وفي الأسبوع العاشر تتشكل (أقواس في الطبقة الخارجية للجلد EPIDERMAL RIDGES)[2]. وفي الأسبوع الحادي عشر - أي قبل أسبوع من انتهاء تميز الجنين تميزاً جنسياً واضحاً - تتخلق طبقة كثة من الخلايا الخارجية[3] تسمى: (طبقة الخلايا المتوسطة INTERMEDIATE LAYER) بينما تفرز في نفس الوقت (الخلايا الميزانكيمية MESENCHYMAL CELLS) للطبقة الباطنية (نسيج مطاطي COLLAGENOUS AND ELASTIC CONNECTIVE TISSUE FIBERS)[4]. (صورة رقم: 111).

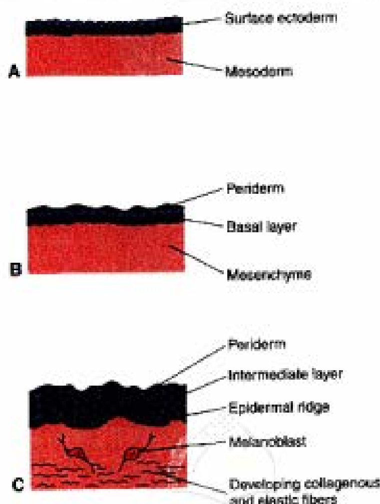
---

(1) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 515.

(2) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 514.

(3) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 514.

(4) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 514.



(111) - رسومات تبين تطور الجلد في الأسبوع الرابع (A) والسابع (B) والحادي عشر (C). وترى من خلالها في الأسبوع الحادي عشر كيف أن معظم ما يميز الجلد من (خلايا ملونة Melanoblast) و(أقواس في الطبقة الخارجية من الجلد Epidermal ridges) وطبقة كثة من (خلايا الطبقة المتوسطة Intermediate Layer) و(نسيج مطاطي Collagenous and elastic Fibers) قد تخلق، وذلك بعد تخلق العظم واللحم، وقبل بقليل من الإذكار أو الإيناث وفقاً للنصوص الشرعية.

ومع تخلق الطبقة الكثة للجلد الخارجي التي تجعل للجلد هيكلاً خارجياً، ومع ظهور الخلايا الملونة والأقواس الجلدية للطبقة الخارجية التي تعطي للجنين خواصّ شخصية مميزة[1]، ومع تخلق الخلايا المطاطية التي تضفي على الطبقة الداخلية للنسيج الميزانكيمي هيئة الجلد؛ نستطيع أن نجزم أن الهيكل الرئيسي للجلد قد تخلق، مع أن تخلقه وتصوره لا ينتهي بصورة تامة إلا في حوالي الأسبوع العشرين.

(1) فهذه الأقواس الجلدية تعتبر المادة الأساسية لمعرفة بصمات الشخص المعني.

IV - التميز الجنسي:

ونجد أن التميز الجنسي الظاهري يدخل في مرحلة التعديل، فالأعضاء التناسلية الخارجية تكون متماثلة إلى نهاية الأسبوع التاسع مع أن الغدتين التناسليتين للجنين قد بدأتا في التميز داخل بطن الجنين ابتداء من الأسبوع السابع تحت تأثير الصبغي (ص Y)، ومن ثمّ يبدأ التميز البطيء التدريجي للذكورة أو الأنوثة الخارجية إلى أن يتحقق نهائياً في الأسبوع الثاني عشر، وذلك بعد أن تكتمل الصورة الآدمية للجنين ويتخلق العظم واللحم، ويتكون الجلد. (انظر الصورة رقم: 112).

وتفصيل ذلك أن البدايات الأولية للأعضاء التناسلية الخارجية تكون متشابهة في بادئ الأمر بين الذكور والإناث، وتبدأ بالتطور قبل اليوم الثاني والأربعين في الأسبوع الرابع، إلا أن الحديبة التناسلية والانتفاخ الشفري العجزي، والطيات البولية التناسلية المنشئة للخواص الجنسية المميزة، لا تظهر إلا في الأسبوع التاسع ومن ثمّ يبدأ التميز البطيء. (انظر الصورة رقم: 113).

والدليل الإضافي على أن تميز الشكل الخارجي للأعضاء التناسلية للجنين يأتي زمنياً بعد تميز الجلد هو: أن الأعضاء التناسلية الخارجية تتكون من نتوءات في الجلد.

وبذلك تتحقق المعجزة العلمية التي قالها الرسول ﷺ في حديثه حيث يستأذن الملَكُ ربَّهُ سبحانه وتعالى في جعل الجنين ذكراً أو أنثى: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها **وجلدها** ولحمها وعظامها **ثم قال: يا رب: أذكر أم أنثى؟** فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك» [أخرجه مسلم ح45].

وهكذا تثبت نبوة سيدنا محمد ﷺ من خلال النص القرآني: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: 39] لأن عملية التميز الجنسي تحصل بعد عملية التسوية.

والجدير بالذكر أن مرحلة التعديل تغدو ظاهرة بوضوح في بداية المرحلة لهيمنة عمليات توازن الأعضاء وعملية الإذكار أو الإيناث ومن ثمّ تخف تدريجياً ولا سيما بعد الأسبوع الثاني عشر، ولكن عمليات التعديل تظل تتلاحق بوتيرة أخف من السابق.



الأعضاء التناسلية الخارجية للذكر خلال الأسبوع التاسع :
(1) فتحة الشرج . (2) انتفاخ صفني شفري .
(3) الساق . (4) حشفة الذكر . (5) البروز الصفني .
(6) الصفن . (7) الحز الإحليلي (المبالي) .
(8) ثنية بولية تناسلية .



الأعضاء التناسلية الخارجية للأنثى :
(1) فتحة الشرج . (3) البظر . (4) انتفاخ صفني شفري (الشفر الكبير) . (5) الساق .
(6) ثنية بولية تناسلية .

(112) - لاحظ التشابه الكبير بين الذكر والأنثى .

(113) نرى في هذه الرسومات تطور الأعضاء التناسلية للذكر والأنثى. ونرى في الرسمين (A,B) كيف أن عضو الجنين - ذكرا كان أو أنثى - يتبع نفس خط التطور، ويكون متماثلا من الأسبوع الرابع إلى الأسبوع السابع على النحو الذي جاء في الرسمين (A,B) وتبدأ الأعضاء تتمايز ابتداء من الأسبوع التاسع. والرسومات (D,F,H) تمثل تطور الجهاز التناسلي الأنثوي في الأسابيع (9 - 11 - 12) على التوالي والرسومات (C,E,G) تمثل تطور الجهاز التناسلي الذكري في الأسابيع (9 - 11 - 12) على التوالي. فنرى باختصار كيف أن قضيب الرجل يحافظ على طوله ويكبر (حشفته Glans of penis) بينما ترتفع قاعدته عن (كيس الصفن Scrotum). كذلك فإن (الفتحة البولية Urethral groove) تلتحم وتصعد. أما عند الأنثى فإن (الحشفة Gland of clitoris) تنحجم لتصبح فيما بعد (البظر Clitoris). كذلك فإن طول القضيب يقصر ويحافظ على مكان قاعدته (ملتقى الشفرين الخلفيين Posterior labial commissure). وأما (الفتحة البولية Urethral groove) فتنزل إلى الأسفل وتتألف منها الفتحة البولية للأنثى وغشاء البكارة (Hymen).

قد يتساءل القارئ: لماذا يأتي الملك ليُميّز جنس الجنين وقد تقدر جنسه في فترة إخصاب البويضة وفقاً للآية: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ [عبس: 19]؟: فالجواب أن هناك احتمالاً أن تتطور الأعضاء التناسلية الخارجية للجنين في وضع مغاير لوضع جنس الجنين الوراثي الذي قُدِّرَ في مرحلة النطفة، فقد يتحدد جنس الجنين الوراثي أنه ذكر، وتتطور أعضاؤه التناسلية الخارجية كأنثى، وقد يتحدد جنس الجنين الوراثي أنه أنثى، وتتطور أعضاؤه التناسلية الخارجية كذكر، وهذا الحديث يلقي الضوء على هذه الظاهرة، وهي أن (جنس الجنين الوراثي GENETIC SEX) قد يختلف عن (جنس الجنين التشريحي PHENOTYPIC SEX).

وهناك عدة أسباب علمية لهذا الانحراف، وسنورد أهمها للقارئ الكريم، حتى يتبين له مدى الإعجاز العلمي الذي يشير إليه الحديث الشريف.

والحاصل أن التاريخ الجنسي للإنسان يتبع ثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى: هي المرحلة الخلوية، حيث تحدد صفات الخلايا الجنسية؛ هل هي ذكرية أم أنثوية؟ تبعاً لطبيعة الحيوان المنوي الذي سيخصّب البويضة؛ هل هو حامل لشارة الذكورة Y، أم حامل لشارة الأنوثة X؟ فإذا كان حاملاً لإشارة الذكورة Y أصبحت الخلايا الجنسية خلايا جنسية ذكرية، وإذا كان حاملاً لإشارة الأنوثة X أصبحت الخلايا الجنسية خلايا جنسية أنثوية[1].

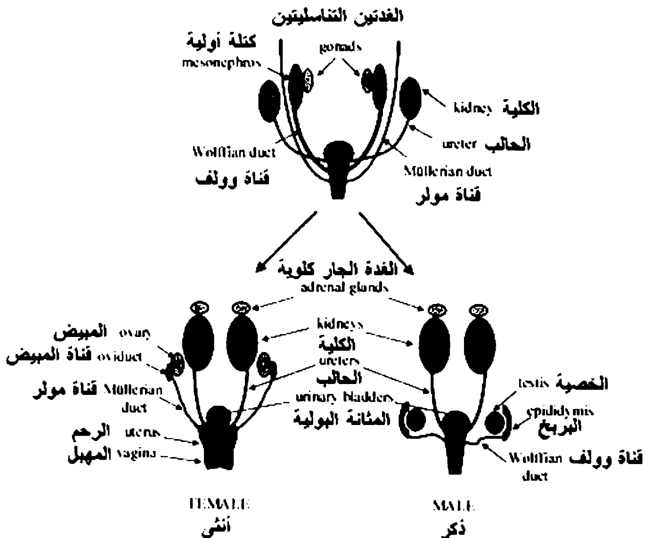
- المرحلة الثانية: وتتبع المرحلة الأولى مرحلة التمايز الجنسي للأعضاء الداخلية.

ففي البداية تتماثل أجنة الجنسين، ويكون الجنين واحد الهيئة في الجنسين بمرحلة تُعرف (بمرحلة عدم التمايز INDIFFERENT STAGE)، وتوجد في الجنين أعضاء أوّلية، بهيئة قناتين في كل جانب من تجويف البطن في مقدمة كتلة الظهر، ينشأ منها الأعضاء الجنسية للنوعين. ففي حال كان الجنين يحمل خلايا جنسية ذكرية تتطور أعضاء جنسية داخلية ذكرية تحت تأثير (مورِّث GENE) (ذات صفات سائدة DOMINANT) يقبع على طرف الذراع القصير للصبغية الجنسية المميزة للذكورة Y في منطقة تسمى: (منطقة تحديد الجنس SEX DETERMINING REGION OF Y CHROMOSONE : SRY)، ويحتوي على توجيهات وراثية تحدد ذكورة الأعضاء

(1) لمزيد من التفاصيل انظر مبحث «معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة/النطفة في الإسلام/دور النطفة في تحديد جنس الجنين».

التناسلية الداخلية؛ فتتكون عندئذ من (قناة ولف WOLFFIAN DUCT) الأعضاء الجنسية الداخلية في الذكور، وتشمل: (الحويصلات المنوية SEMINAL VESICLES) و(البربخ EPIDIDYMIS) و(الوعاء الناقل VAS DEFERENCE)، و(الخصية TESTIS)، وإذا كانت الخلايا الجنسية أنثوية تتكون من (قناة مولر MULLERIAN DUCT) الأعضاء الجنسية الداخلية في الإناث، وتشمل: الرحم وقناتيه وعنقه ومنطقة أعلى المهبل. (انظر الصورة رقم 114).

ولا تتمايز الأعضاء الجنسية الداخلية إلا في الأسبوع السابع.



(114) - تطور الأعضاء التناسلية الداخلية للجنين، حيث تكون متشابهة في بادئ الأمر، ومن ثم تصبح أعضاء تناسلية داخلية أنثوية، أو أعضاء ثانوية داخلية ذكرية.

- المرحلة الثالثة: وهي مرحلة تمايز الأعضاء التناسلية الخارجية إلى أعضاء تناسلية أنثوية أو أعضاء تناسلية ذكرية (كما أسلفنا تفصيله).

ويبدأ هذا التمايز في نهاية الأسبوع التاسع وينتهي في الأسبوع الثاني عشر.

والحديث رقم 45 يتناول هذه المرحلة.

ولعلّ ورود حرف العطف «ف» في النص القرآني: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: 38، 39] الذي يشير إلى الترتيب مع التعقيب، والتفصيل بعد الإجمال، يشير إلى أن تمايز الأعضاء التناسلية قد ابتدأ قبل هذه المرحلة، وهو الآن في طور التفصيل[1]، أي أن التمايز الجنسي قد ابتدأ في المرحلة الثانية كتطور تحضيري خفي، لم تظهر تفصيلاته للناظر، وها هو الآن يظهر بالتفصيل، وبهذا الأسلوب جمع الحديث رقم 45 الكلام عن المرحلتين: الثانية والثالثة، ولكنه أعطى كثيراً من التفاصيل عن المرحلة الثالثة.

وفي الثدييات على وجه العموم، وعند الإنسان على وجه الخصوص إذا لم تنشأ خصية وتفرز هرمونات الذكورة (كهرمون التستسترون TESTOSTERONE) و(هرمون أندروستينديون ANDROSTENEDIONE) و(الهورمون المثبط لقناة مولر ANTI - MULLERIAN HORMONE: AMH)، تتكون أعضاء تناسلية خارجية أنثوية (تلقائياً DEFAULT PATHWAY)، وتضمر قناة ولف، وينتج المبيض (هورمون الأنوثة: الأستروجين ESTROGEN)، مهمته تكميل تطور قناة مولر، والخصائص الأنثوية الثانوية؛ كنضوج الثدي عند البلوغ.

وليس ذلك السبب الوحيد لكي تتطور أعضاء تناسلية خارجية أنثوية، بل هناك أسباب أخرى تحول دون تمايز الأعضاء التناسلية الخارجية إلى أعضاء تناسلية ذكرية، مثل عدم تفاعل هرمون الذكورة (التستسترون TESTOSTERONE) جيّداً في الجسم، فيتخلّق لدى الجنين الذكر وراثياً أعضاء تناسلية أنثوية.

ومن تلك الأسباب: عدم تأثر الأعضاء التناسلية للجنين لوجود هرمون الذكورة ولديها مناعة لمفعوله؛ وقد يكون ذلك لعيب في (نظام الجنين الاستقبالي للهرمون

(1) انظر الحاشية (رقم 2، ص325 - 329) في مبحث «التسوية/ الكساء باللحم».

(ANDROGEN RECEPTOR MECHANISM)[1] الذي لايسمح بالتعرف على الهرمون الذكري والتفاعل معه حتى تسير الأعضاء التناسلية إلى شكل الذكورة، وقد يكون ذلك عائداً لنقص في إنزيم (ريدوكتاز 5 REDUCTASE 5) اللازم لتحويل هرمون (التستُسترون TESTOSTERONE) إلى مادة (دي هايدرو تستسترون - DY - HYDRO - TESTOSTERONE)، المادة الأساسية لتحويل الأعضاء التناسلية الخارجية من الأنوثة إلى الذكورة.

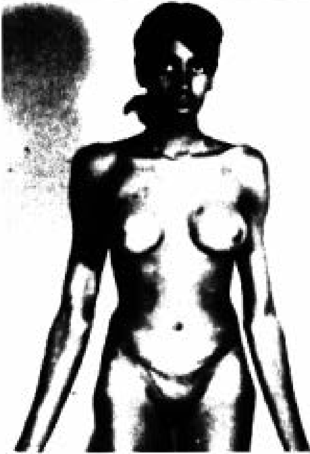
ومن تلك الأسباب أيضاً نقص هرمون التستُسترون لدى الجنين الذكر وراثياً، وذلك لأن الأعضاء التناسلية للجنين غير قادرة على إنتاج هرمون التستُسترون، لعدم تجاوب الخصية لدى الجنين مع هرمون (أل أتش LH) اللازم لوظيفة الخصية الحيوي لتمكينها من إنتاج هرمون التستُسترون الذكري، فتسير الأعضاء التناسلية في خطها المرسوم عند عدم وجود التستُسترون، ولذا تتجه إلى تكوين أعضاء تناسلية أنثوية خارجية كالمهبل، رغم وجود الخصية مختبئة في الشفرين أو في (القناة الإربية INGUINAL CANAL).

وقد ينقص الجنين الذكر وراثياً هرمون[2] (الأم آي أس MULLERIAN INHIBITING SUBSTANCE: MIS) الذي يقمع تطور (الأنابيب التي سينشأ منها الرحم PARAMESONEPHRIC DUCTS) مما يؤدي إلى جنين يحمل علامات الذكورة خارجياً بالإضافة إلى رحم وقنوات فالوب.

كما أن هناك احتمالاً أن يحصل العكس، أي أن يكون الجنين أنثى وراثياً، حاملاً صبغيات (س س XX)، ولكن تتخلق لديه أعضاء ذكرية، وذلك لأن (الغدة الكظرية SUPRARENAL GLAND) (فوق الكلية) تفرز في بعض الحالات هرمون الذكورة، فتتراكم لديه، ويتجه خط سير الأعضاء نحو الذكورة، وينمو البظر نمواً كبيراً لدرجة أنه يصبح يشبه القضيب، ويلتحم الشفران الكبيران مما يجعلهما يشبهان كيس الصفن - أي الكيس الذي يحتوي الخصيتين[3] -، ويحتفظ الجنين مع هذا بالرحم والمبيض. (انظر الصورة رقم: 115).

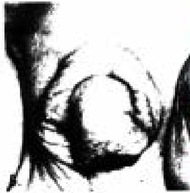
---

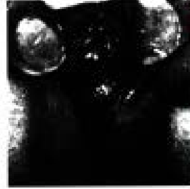
(1) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 336.
(2) كتاب علم الأجنة الطبي، سادلر، ص 304.
(3) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص 495، 497، 499، بتصرف.



(A - 115) - حالة لرجل يحمل صبغيات XY لا تستجيب أعضاؤه التناسلية لهرمون الذكورة فيتخلق لديه جهاز تناسلي خارجي مؤنث بالرغم من عدم وجود رحم.








(B - 115) - أربع صور لأربع حالات التبس الأمر فيها على الأهل وظنوا أن هؤلاء الأطفال ذكور، وهم في الواقع إناث. وذلك نتيجة نمو البظر نمواً كبيراً حتى ليشبه القضيب، والتحام الشفرين الكبيرين مما يجعلهما أشبه بكيس الصفن. والسبب في هذا هو زيادة هرمون الذكورة أثناء فترة الحمل، إما من الغدة الكظرية للجنين، أو نتيجة تناول الأم لبعض الهرمونات مثل البروجسترون أو الديورابولين أو غيرها من الهرمونات التي لها دور في زيادة هرمونات الذكورة.



(C – 115) – حالة أخرى لامرأة تحمل صبغيات XX وتحمل مبيضين، غير أن كثرة افراز (هرمون الذكورة Androgen) أدى إلى خلق جهاز تناسلي أشبه بالجهاز التناسلي للرجل. إن حالات الإذكار تتفاوت في درجاتها حيث قد تتراوح من مجرد انتفاخ للبظر إلى خلق جهاز تناسلي يكاد يكون مذكراً.

سؤال الملك في ذلك الوقت بالذات عن الإذكار والإيناث مع العلم بأن تقدير جنس الجنين قد حصل في وقت الإخصاب، يدل على معرفة الرسول ﷺ بما يجري في جسم الجنين من تأثير الهرمون على التخلق الخارجي للأعضاء. وهذا بحد ذاته معجزة لرسول الله ﷺ، لأن مفهوم ظاهرة التوازن الهرموني لم يكن ليُعرف إلا بعد اكتشاف التأثير الهرموني المخالف عما يجري لما قدرته الصبغيات – بإذن الله –. وهذا لم يُعرف أبداً في العصور الغابرة إلا في الأزمنة الأخيرة (في القرن العشرين)، وذلك بعد اكتشاف تقدير جنس الجنين من قبل الصبغيات وبعد اكتشاف دور الهرمونات في تكوين الأعضاء التناسلية الخارجية.

2 العدة:

والموضوع المهم الذي يجب أن يُؤخذ بنظرة جدية وله علاقة جد وثيقة بتخلق الجنين في رحم الأم، هو موضوع «العدّة» لأن تاريخه الزمني يقع ضمن فترة القابلية للحياة.

وقد ذكر القرآن الكريم عدّة المرأة في موضوعات متعددة، نتناول ثلاث آيات لهذا الغرض.

أما الآيات القرآنية الثلاث فهي:

- ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا...﴾ [البقرة: 228].
- ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا...﴾ [البقرة: 234].
- ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ...﴾ [الطلاق: 4].

جاء في لسان العرب[1]: «القرء: الوقت،... والأصل في القرء الوقت المعلوم ولذلك وقع على الضدّين /أي على الحيض وعلى الطهر/».

نفهم من التفسير الذي ذكرناه آنفاً أن «القرء» كلمة تشير إلى وقت محدد؛ ولذلك فقد تُطلق على الحيض، وقد تُطلق على الطهر.

«قال الشافعي رحمه الله: القرء اسم للوقت، فلما كان الحيض يجيء لوقت، والطهر يجيء لوقت جاز أن يكون الأقراء حيضاً أو أطهاراً»[2].

والفاصل في هذا الأمر هو في رأينا، سياق النص الشرعي؛ فهو خير دليل على المعنى المشار إليه.

والغرض من فرض العدّة على المرأة هو براءة الرحم، والله أعلم... لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ [البقرة: 228].

والذي يدّل على براءة الرحم هو الحيض لا الطهر.

---

(1) لسان العرب لابن منظور – مادة «قرأ» – (ج11/ص80 81).

(2) لسان العرب لابن منظور – مادة «قرأ» – (ج11/ص80).

فالمرأة إذا مرّ عليها ثلاثة أطهار لم يدل ذلك على أنها حامل أو لا، لأن الطهر يأتي على المرأة الحامل وغير الحامل. أما إذا جاءتها ثلاث حيضات فذلك يدلّ قطعاً على أنها غير حامل، لأن الحيض لا يحصل خلال الحمل.

وهكذا فإن الحيض هو الأساس في الحكم على براءة الرحم.

ومما يُدعّم مقولتنا هو الآية: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ [الطلاق: 4].

فهذه الآية جعلت مناط الاعتداد بالأشهر عدم الحيض، فدلّ ذلك مرّة أخرى على أن الأصل هو الاعتداد بالحيض.

ولكن اللافت للنظر هنا هو تحديد عدد القروء على أنّه ثلاث من أجل تبْرئة الرحم.

فما الإعجاز في ذلك التشريع؟.

حاصل الكلام هو أنه من الممكن أن تحمل المرأة وأن تحيض مرة أولى (أي أن يسيل من رحمها دم لا أن تحيض بمعنى أن يسقط غشاء الرّحم بأكمله) ثم تحيض مرة ثانية، ولكن لا تستطيع أن تحيض مرة ثالثة، وبعدم وجود الحيض في المرة الثالثة يثبت الحمل بيقين. فالحيضتان (الأولى والثانية) ليستا بدليل قاطع على أن المرأة غير حامل .

قبل أن نورد تفسيرالدكتور جولي سمبسون لهذه الظاهرة نفيد أن الرحم في الأسبوع الثاني تزداد دمويته بشكل ملحوظ، وبالتالي فإن الرحم عرضة لأن ينزف نتيجة لزيادة الدورة الدموية عند أي مداخلات خارجية. أما ما يحصل عند المرأة مما يسبب حيضتها الأولى والثانية، فيفسره لنا الدكتور جولي سمبسون[1] قائلاً:

1 - عن فترة الجنين في فترة العلقة: «لكي يحاط الجنين (بالأغشية) فمن البديهي أنه يجب على الجنين أن يحفر لنفسه مكاناً في رحم الأم . . . وهذه الظاهرة تحدث في الحالة المثالية . . . بعد ستة أو سبعة أيام من يوم (الجماع) . . . وهذا (الحدث) قد يكون واحداً من التفاسير للنزيف في الفترة المبكرة للحمل». فالحاصل أن العروق الدموية تنقطع عند «قضمها» من الخلايا الآكلة للكرة الجرثومية ويحدث نزيف حاد حول مكان الحفر.

(1) المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي، الإعجاز الطبي في القرآن، 25/ 9/ 85م.

2 - عن الجنين في الأسبوع الثامن: «يُفرِزُ هرمون (البروجسترون PROGESTERONE) (الذي يحافظ على الحمل) من المبيض خلال فترة الحمل إلى الأسبوع السابع (أو الأسبوع الثامن) . . . ومن ثم يُفرزُ من الغشاء المشيمي.

وفي الوقت الذي ينتقل هذا الإفراز الهرموني من المبيض إلى الغشاء المشيمي من الممكن أن يحصل انخفاض في معدلات هرمون البروجسترون، بالتالي فإن تفسيراً ثانياً. . . لهذا النزيف خلال فترة الحمل . . . هو انتقال الإفراز الهرموني من (المبيض) إلى الغشاء المشيمي الذي يحصل خلال فترة الأشهر الثلاث».

ومما ذكرناه يتبين لنا أن هناك أسباباً علمية لكي تتربص المطلقة مدة ثلاث حيضات، ذلك أن خروج الدم من رحم المُعْتَدّة في هذه الفترة لا يعني أبداً أنها غير حامل، بيد أن توقفه في نهايتها يدل على العكس (أي أنها حامل). وهكذا عندما يتيقن زوج هذه المرأة من حملها فمن الممكن أن يراجع نفسه ويسترجعها بُغية عدم تدمير عائلة ناشئة، أو لكي ينعم الطفل الآتي برعاية الأمومة والأبوة في آن واحد، وإلى ذلك تشير الآية: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾ [البقرة: 228].

أما الآية الثانية فتحدد عدة المرأة التي توفي عنها زوجها أنها أربعة أشهر وعشرة أيام وذلك للتأكد من براءة الرحم.

فالحكمة في عِدّة المتوفّى عنها زوجها هو أن الأم الحامل في نهاية الأسبوع التاسع عشر تحس بحركات الجنين الإرادية، وأما قبل ذلك فحركات الجنين محدودة لا تشعر الأم بها ولا تحس بأن الجنين حي[1].

(1) والدليل على أن المراد من الآية أن تعتد المرأة أربعة أشهر وعشراً للتيقن من أن الجنين حي هو: أن عدة المرأة كانت حولاً - أي سنة - لحكمة الوصاية والنفقة عليها كما نصت عليه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 240]. غير أن آية الميراث: ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ. . .﴾ [النساء: 12] أنزلت، وأصبح البديل عن نفقة أهل الزوج لها موجوداً، فكان لا بد من تخفيف الحمل على المرأة من مكوثها سنة في بيت زوجها لرفع المشقة عنها، وقصر مدة العدة على أقل ما أمكن وهي أربعة أشهر وعشر لغرض براءة الرحم والتأكد من سلامة الحمل، وإلا لو لم يكن هناك حكمة أخرى - أي إن لم يكن هناك حكمة من التأكد من سلامة الحمل - فلماذا لم تلغ العدة كلياً؟، وإن كانت هناك حكمة أخرى - أي حكمة غير حكمة التأكد من سلامة الحمل - فلماذا لم تبق العدة كما هي؟ وقد جاء في هذا الصدد في تفسير ابن كثير - (ج1/ ص296) ما يقوي ما ذهبنا إليه من تفسير، فقد ورد: «قال:

وإذا مرّت الأشهر الأربعة وعشرة الأيام، ولم تشعر المرأة بحركة الجنين، تتيقّن ساعتئذ بأن الجنين مات في أحشائها[1]، فتباشر في إزالته بالطرق الطبية.

وإذا شعرت الأم بالحركة، فعدّتها وضع حملها لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ [الطلاق: 4].

وفي بعض الحالات قد يطرأ على المرأة حمل كاذب لسبب ما، وهذا معروف في مجال الطب[2]، فإن لم تشعر المرأة بحركة الجنين عند انتهاء العدّة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام تتيقّن أن حالتها غير طبيعية، فتسارع إلى الطبيب للكشف عن وضعها، فيظهر من خلال الوسائل الطبية بأنها غير حامل، فيثبت بذلك براءة رحمها بانتهاء عدة الوفاة.

وإن لم تذهب إلى الطبيب بزعمها أنها حامل فتَعْتَدّ المدة العادية وقدرها تسعة أشهر، وهنا يَتبيَّنُ لها أنها غير حامل بيقين[3].

= الأكثرون: هذه الآية [أي آية الاعتداد حولاً] منسوخة بالتي قبلها وهي قوله: ﴿يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾ [البقرة: 234]. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان الرجل إذا مات وترك امرأة اعتدت سنة في بيته ينفق عليها من ماله ثم أنزل الله بعد: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾ [البقرة: 234]. فهذه عدة المتوفى عنها زوجها، إلا أن تكون حاملاً فعدتها أن تضع ما في بطنها، وقال: ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ...﴾ [النساء: 12] فبين ميراث المرأة وترك الوصية والنفقة».

(1) يقول د. محمد علي البار في كتابه هل هناك طب نبوي، ص225: «وقد يموت الجنين في بطن المرأة فيتكلس (أي تترسب فيه أملاح الكلسيوم) ويبقى بعد ذلك سنين وهو أمر معروف في الطب، ويسمى بالإجهاض المتخفي».

(2) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص 447.

(3) وإن أحبّت أن تعتدّ المرأة المدّة القصوى للحمل، فتنتظر حوالي اثنين وأربعين أسبوعاً من تاريخ الإخصاب، أو أربعة وأربعين أسبوعاً من تاريخ (آخر حيضة عادية LAST NORMAL MENSTRUAL PHASE: LNMP).

ومن المهم أن نشير إلى أنه لم يأت أيّ نص من قرآن أو سنة يشير إلى مدّة أكثر الحمل، ولا سبيل لنا أيضاً أن نستخرج هذا الأمر بطريقة واضحة وصريحة من النصوص الشرعية بواسطة دلالات النصوص على خلاف مدّة أقلّ الحمل (انظر مبحث «**النشأة/ أقل مدّة الحمل**»). فالكلام الذي ورد على ألسنة السلف والخلف هو مجرّد رأي، ولا يرتكز على نصوص شرعية، وقد يخالف العلم الكوني في كثير من الأحيان، وبالتالي لا نستطيع أن ننسب كلامهم إلى الدين الإسلامي (انظر مبحث «**حكم التعارض بين التفسير العلمي وتفسير السلف**»).

ومختصر كلامهم هو كما أورده القرطبي (تفسير الآية رقم 8 من سورة الرعد): «واختلف العلماء في أكثر الحمل؛ فروى ابن جريج عن جميلة بنت سعد عن عائشة قالت: يكون الحمل أكثر من سنتين=

= قدر ما يتحول ظل المغزل» ذكره الدارقطني. وقالت جميلة بنت سعد – أخت عبيد بن سعد وعن الليث بن سعد –: إن أكثره ثلاث سنين. وعن الشافعي: أربع سنين. وروي عن مالك في إحدى روايتيه: والمشهور عنه: خمس سنين. وروي عنه: لا حدّ له، ولو زاد على العشرة الأعوام؛ وهي الرواية الثالثة عنه. وعن الزهري: ست وسبع. قال أبو عمر: ومن الصحابة من يجعله إلى سبع. والشافعي: مدة الغاية منها أربع سنين. والكوفيون يقولون: سنتان لا غير. ومحمد بن عبد الحكم يقول: سنة لا أكثر. وداود يقول: تسعة أشهر، لا يكون عنده حمل أكثر منها».

والحق هو ما أشار إليه أبو عمر رحمه الله (انظر المرجع السابق): «وهذه مسألة لا أصل لها إلا الاجتهاد، والردّ إلى ما عرف من أمر النساء، وبالله التوفيق».

ويتلخص موقف علم الأجنة في هذا الأمر على نحو ما جاء في كتاب النمو الإنساني، للدكتور كيث مور وبرسو، ص 118 – 119: «يولد حوالي اثني عشر بالمئة من الأطفال بعد (تاريخ الوضع المحتمل EXPECTED DELIVERY DATE) (أي بعد 38 أسبوعاً من تاريخ الإخصاب)، «إن زيادة الحمل لأكثر من ثلاثة أسابيع من تاريخ الوضع المحتمل [أي ما يوازي 38 + 3 = 41 أسبوعاً] تحدث في نسبة 5 إلى 6 بالمئة من الحوامل». والحاصل هو أنه: «عندما تتأخر الولادة لثلاثة أسابيع أو أكثر من التاريخ المحتمل، هناك زيادة كبيرة في نسبة الوفيات [لدى الأطفال]» (Berham et al, 1996). وإذا علمنا أن تاريخ الوضع المحتمل من فترة التخصيب هو 266 يوماً (كتاب النمو الإنساني، للدكتور كيث مور وبرسو، ص 118)، وأضفنا إليه أربعة أسابيع على أبعد تقدير، يصبح مقدار مدة أكثر الحمل (266 + 4 × 7 = 294) يوماً. والله تعالى أعلم.

ومن هذا الكلام نفهم أن زعم بعض المتقدمين أنهم رأوا بعض الحمل يزيد عن الحد المذكور هو من قبل التوهم.

ولكن من المنصف أن لا نجزم أن كل المتقدمين وهموا، حيث يُعدّ هذا تعريطاً في حقهم في حال كان في أسانيد الروايات التي رويت عنهم ضعف، ولقد بيّن ابن حزم – رحمه الله تعالى – في كتابه «المحلى بالآثار» (تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري/ ج10 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – 1988م) في سياقه لتلك الأخبار المحكيّة عن بعض السلف – رحمهم الله – أنها مكذوبة، سائقاً أسانيدها، مبيّناً مواضع عدم القبول لها. وقد علّق المحقّق الدكتور عبد الغفار البنداري على ذلك (ص133، المرجع السابق) قائلاً: «لم أكد أصدّق وأنا أستعرض هذه الآراء في مدّة الحمل أن يكون ذلك قد قيل بالفعل، غير أن المخرج من دهشتي هذه أنني واثق بأن هؤلاء الأئمة لم يقولوا شيئاً مثل هذا قط في مدد الحمل، وإنما هي أخبار مكذوبة فعلاً نسبت زوراً إليهم».

ولهذا فلقد كان موقف الإمام الجليل ابن حزم – رحمه الله تعالى – هو الموقف الذي بان في العلم الحديث، وكما تحتمله النصوص الشرعية ضمناً، وهو: أن مدّة الحمل هي تسعة أشهر ولا أقل من ستة أشهر، فلقد فهم هذا الإمام المتمكّن في التفسير وفي سائر العلوم الشرعية أن مدّة الحمل قد تكون تسعة أشهر من خلال الدلالات اللغوية، وإن لم يصرّح بهذا، إذ إن عبارته ملبسة في ذلك، وليست مفصّلة، مع أنه يريد ما ذكرته، حيث قال: «ولا يجوز حمل أكثر من تسعة أشهر ولا أقل من ستة=

=أشهر لقول الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15]. وقال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233]. فمن ادعى حملاً وفصالاً يكون في أكثر من ثلاثين شهراً فقد قال الباطل والمحال، وردّ كلام الله عزّ وجلّ جهاراً» (ص 131 - 132، المرجع السابق). فلو أنه - رحمه الله - لم ير أن آية سورة الأحقاف تحتمل مدّة التسعة أشهر لم يكن ليصرّح قبل التفوه بالآية - التي تشير إلى مدّة الثلاثين شهراً - أنه لا يجوز أن تكون مدّة الحمل أكثر من تسعة أشهر، ولم يكن ليقول - بعد الإشارة إلى مدّة تسعة الأشهر -: «فمن ادعى حملاً وفصالاً يكون في أكثر من ثلاثين شهراً فقد قال الباطل والمحال» مع أنه يعتمد في تحليله لهذا الموضوع على طرح مدّة السنتين - أي مدّة الأربع والعشرين شهراً - من مدّة الثلاثين شهراً. وهذه العملية الحسابية تشير حتماً إلى مدّة ستة الأشهر. فالنصوص القرآنية، وإن لم تصرّح بأن مدّة الحمل قد تكون تسعة أشهر، غير أنها لم تنف هذه المدّة قطعاً، وإن تراءى للقارئ في الظاهر أنها قد قطعت بمدّة ستة الأشهر (انظر مبحث «**النشأة/ أقل مدة حمل**»). فالذي ترجح عندي - بعد أن اطلعت على مخطوطة «العد عند العرب» للشيخ عبد الرحمن محمد أسعد الحكمي الفيفي - يتلخص في نقطتين:

1 - أن دلالة الآية ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15] على مدة الحمل - ستة أشهر - هي دلالة صريحة كما فهمها الصحابة ﷺ (انظر مبحث «**النشأة/ أقل مدة حمل**»).

2 - أن ما تجاوز ستة أشهر من الحمل إلى تسعة أشهر موجود في النص، ولكن عن طريق الدلالة الضمنية، وذلك بأن العرب لا تعتبر في العدّ ما يكون فوق العقد ودون نصفه، بل تلحقه بالعقد الأدنى، مسقطة في العدّ تلك الآحاد (فإذا عدّت 31 و32، و33 و34 فإنها تعدّ كل ذلك 30)، فلو كان الحمل سبعة أشهر، وجمعنا عليه مدّة الفصال 24 شهراً لأصبح لدينا مدّة الحمل والفصال 31 شهراً. وكذلك إذا اعتبرنا مدّتي الحمل - ثمانية أشهر وتسعة أشهر لأصبح لدينا 32 و33 شهراً، وكلها دون النصف، فوق العقد، ولذلك فإن تلك المدد تدخل في المدّة المذكورة: «ثلاثون شهراً». وحتى وإن تأخر الحمل عن حدّه المعتاد، فيدخل في المدّة المذكورة، فالحاصل أن المدّة القصوى لتأخر الحمل هي شهر، وإن أضفنا المدّة القصوى للحمل - عشرة أشهر - لأصبح لدينا أربعة وثلاثون شهراً، وهي أيضاً ما دون النصف فوق العقد، مما يشير إلى أن الكلام عن مدة قدرها ثلاثون شهراً قد اختير بعناية فائقة لكي يشمل مدّة الحمل من المدّة الدنيا إلى المدّة القصوى.

وللعلم فهذا التفسير لا يعدّ تكلفاً، وذلك لأن الشارع قد اعتبر طريقة العرب هذه في عدّهم، فعمل به في فريضة الزكاة، وسمّي ذلك وقصاً أو شنقاً (وهو ما زاد على خمس من الإبل إلى تسع، وما زاد على عشر إلى أربع عشرة، وكذلك ما فوق ذلك) (تهذيب اللغة للأزهري، ج9/ ص221، تحقيق عبد السلام هارون).

ومثال آخر على هذا: هو ما جاء في عمر رسول الله ﷺ، فقد جاء في بعض الروايات في صحيح البخاري وصحيح مسلم أنه ﷺ عاش ستين سنة مع أن عمره ﷺ ثلاث وستون سنة، غير أن العلماء حملوا تلك الروايات على إلغاء الكسر - أي إلغاء السنين فوق عقد الستين -.

جاء في كتاب «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير (المجلد 5 - 6، ج5/ ص 226، تحت فصل «في ذكر الوقت الذي توفي فيه رسول الله ﷺ»): «وهذا لا ينافي ما تقدّم عن أنس لأن العرب كثيراً ما تحذف

ومدّة عدّة الوفاة قدرها أربعة أشهر وعشرة أيام كما تُعلِمُنا الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ...﴾ [البقرة: 234].

والمدة التي ذكرها القرآن تُنبئ عن إعجاز معرفي لمراحل تخلق الجنين، فهي تحدد أقل مدة تحس فيها المرأة **بالغالب** بحركات جنينها، فكيف لرسول الله ﷺ أن يذكر هذه المدة الدقيقة ولا يستطيع أحد في زمانه أن يأتي بمدة كلية عامة لكل نساء العالمين؟!.

وبهذا يكون الرسول ﷺ قد سبق أهل زمانه وأهل الاختصاص في عصرنا، وهذا يدل دلالة واضحة على أن الذي أعطاه هذا العلم ليس فكراً بشرياً وإنما هو وحي إلهي.

والأدلّ من ذلك على نبوّته ورسالته: هو تحديد المدة برقم مُعيّن وهو أربعة أشهر وعشرة أيام، لأننا نستطيع أن ننقض نبوته ورسالته من خلال هذه المُدّة إن كانت خطأ.

=الكسر». وهذا ما رجّحه الحافظ ابن حجر في فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج7/ ص757، طبعة دار ريان للتراث، باب وفاة النبي ﷺ: «قوله (لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشراً) هذا يخالف المروي عن عائشة عقبه أنه عاش ثلاثاً وستين، إلا أن يحمل على إلغاء الكسر كما قيل في حديث أنس المتقدّم في باب «صفة النبي ﷺ»، وانظر فتح الباري، باب تفسير الحديث رقم 3568، قوله: (وهو ابن أربعين).

ومختصر الكلام من هذا كلّه أن العرب تستعمل مثل هذا الأسلوب في أغلب الأحيان، ولذلك يُعمل به في تفسير القرآن.

وبالتالي فإن تفسير كون فترة الحمل والفصال - ثلاثون شهراً - تحتمل المدّة القصوى للحمل منضبط بقواعد اللغة العربية، وينسجم مع العلم الكوني، وهو أفضل ما قيل في هذا المجال. أما الكلام حول الفائدة من النص على أدنى مدّة الحمل فسيأتي تفصيله في مبحث «**النشأة/ أقل مدة حمل**».

ولا يسعنا إلا أن نُذكِّر القراء الكرام إلى أن فترة الوضع المحتمل قدرها الله تعالى على أحسن ما يجب أن تكون؛ فلو زاد وقت الوضع عن حدّه المعتاد لمات الحميل في الغالب، ولو نقص عن حدّه المعتاد - ولو بقليل - لوضعت المرأة طفلاً غير كامل التخلّق (فعلى سبيل المثال: لا يكتمل الجهاز التنفسي للحميل بحيث يستطيع الحياة بدون صعوبة إلا بعد مضي 266 يوماً. راجع مبحث «**النشأة/ أقل مدة حمل**»)، لذلك أثنى الله تعالى على نفسه في تقدير وقت الولادة قائلاً: «﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾» [المرسلات: 20-23]. جاء في تفسير القرطبي في تفسير الآية: «قلت: ... فأفادت الكلمتان معنيين متغايرين؛ أي قدرنا وقت الولادة وأحوال النطفة في التنقيل من حالة إلى حالة ...».

وإمكان النقض ليس في هذه المسألة فقط، بل هنالك مسائل أخرى أدق منها. مثل مسألة تخلق أعضاء الجنين في أربعين يوماً[1].

وانظر أيها القارئ الكريم إلى ما توصل إليه العلم اليوم من خلال الأبحاث الدقيقة التي تعتمد على الاستقراء والتتبع وكشف الحقائق:

فالعلماء حددوا مدة الحمل بـ 38 أسبوعاً من بداية وقت تخصيب البويضة إلى الولادة، أي 266 يوماً[2].

وعيّنوا (متوسّط MEAN) مدة مرحلة إحساس الأم بحركة جنينها إلى وقت الولادة ب147 يوماً مع احتمال (انحراف قياسي STANDARD DEVIATION) 15 يوماً[3].

فمتوسط مدة المرحلة التي بين تخصيب البويضة وإحساس الأم بحركة الجنين تُحسب باختزال متوسّط مدة مرحلة إحساس الأم بحركة الجنين إلى وقت الولادة (وهي 147 يوماً) من مدة الحمل (وهي 266 يوماً)، فيصبح متوسّط المدة التي بين التخصيب وإحساس الأم بحركة الجنين 119 يوماً. وبما أن النساء يتفاوتن من ناحية الإحساس بحركة الجنين لعدة أسباب فهناك احتمالات بأن تحس المرأة بحركة الجنين قبل أو بعد هذه المدة، وكُلّما تباعدت الفترة عن الوقت المتوسط قلّت الاحتمالات بإحساس المرأة بجنينها، وكلّما اقتربت الفترة من الوقت المتوسط زاد هذا الاحتمال.

وهكذا فإنّ احتمال إحساس المرأة بحركات الجنين يتبع (نظاماً حسابياً للتوزيع NORMAL DISTRIBUTION)، مع (متوسط MEAN) مقداره 119 يوماً من بداية تخصيب البويضة، و(انحراف قياسي STANDARD DEVIATION) مقداره 15 يوماً.

أما القرآن فيحدّد عدة الوفاة بأربعة أشهر وعشرة أيام، وأربعة أشهر توازي 118 يوماً ونصف يوم ($29{,}6 \times 4 = 118{,}4$)[4]، وهي نفس المدة تقريباً لمتوسط الوقت لإحساس المرأة بجنينها من وقت إخصاب البويضة وهو 119 يوماً !!!.

---

(1) انظر مبحث «**المضغة**».

(2) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص118.

(3) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص113.

(4) ومن الجدير بالذكر أن التعداد بالأيام يجب أن يكون حسب التوقيت القمري، وليس حسب التوقيت الشمسي الذي اعتدنا عليه عملاً بالآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ...﴾ [البقرة: 189]، وبذلك فإن الشهر القمري يوازي 29,6 من الشهر الشمسي تقريباً.

وهذا التحديد لعدة المرأة (4 أشهر و10 أيام) قد أطلقه القرآن الكريم احتياطاً، تمديداً لمدة براءة الرحم وللتيقن من الحمل على وجه التأكيد، وبذلك فهو يعتبر أقل عدد لأغلب الحالات التي تحس بها المرأة بجنينها.

وهذه الحقيقة أشير إليها في البحر المحيط[1]: "... وزاد الله العشر لأنها مظنة لظهور حركة الجنين، أو مراعاة لنقص الشهور وكمالها، أو استظهاراً لسرعة ظهور الحركة أو بطئها في الجنين". وجاء في تفسير الألوسي[2]: "وزيد عليه العشرة استظهاراً إذ ربما تضعف حركته في المبادىء فلا يحس بها".

وأقل عدد نستطيع أن نعتمده للإشارة إلى أغلب الحالات التي تشعر المرأة بجنينها هو 75٪، فهذا العدد يمثل ثلاثة أرباع الحالات التي يمكن أن تحدث، وهو ليس بقريب من العدد المتوسط لإحساس المرأة بجنينها - 50٪ - بحيث لا نعتبره العدد الغالب.

فإذا اعتبرنا أن الأيام العشرة هي انحراف عن المتوسط وهو 119 يوماً، أصبح احتمال إحساس المرأة بجنينها 75٪ !!! حسب النظام الذي ذكرناه آنفاً (أي حسب النظام التوزيعي ذي متوسط مقداره 119 يوماً، وانحراف قياسي مقداره 15 يوماً)[3]

(1) البحر المحيط - (ج2/ ص225).

(2) تفسير الألوسي - (ج2/ ص149).

(3) إن من تتبع كلمات القرآن الكريم أيقن أن صياغتها كانت بقدر، وأن كلّ حرف جاء فيها كان بحسبان. فلا زيادة ولانقصان، ولا اختلاف ولا اعوجاج، مما يدل على أن القرآن الكريم منزل من عند العليم الحكيم، فلو كان فيه مقدار أنملة من الخطأ لتبدد الإعجاز، ولانتزعت الصبغة الإلهية من هذا الكتاب العزيز مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].
ومن الأمثلة التي تدلّ على أن القرآن الكريم محبوك بميزان: أن بعض المُدد الزمنية (أو الأرقام العددية) في القرآن الكريم جاءت بصيغة معيّنة تشير إلى قارئها أن الذي ذكر الوقت الزمني (أو الرقم العددي) للمدّة المعتبرة مدرك تمام الإدراك ليس فقط أن هذه الصيغة تفصح عن الرقم العددي الدقيق للمدّة المعتبرة، ولكن تبرز أيضاً تفاصيل أخرى بغاية الأهمية لهذه المدّة. فتعلمنا أنها تحمل في طيّاتها عدّة معانٍ محيطة بجوانب الموضوع المراد تفصيله، مما يجعل احتمال أن تكون هذه الصيغة أتت صدفة ضعيف جداً، لأن إدخال التفاصيل على شيء محدّد يتناسب عكسياً مع احتمال مجيئها صدفة، فيتيقن القارئ عندئذ أن الذي وضعها لا بد أن يكون الذي يعلم بجوانبها الغيبية.
ومن الأمثلة لهذه الصيغة: الآية التي نحن بصدد تفسيرها، وهي: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: 234].
هذه الآية ذكرت عددين متلاصقين (أربعة، عشر) ينطويان تحت عدد مجمل (مقداره أربعة أشهر وعشر)، ليس عبثاً، ولكن لغرض إبراز تفاصيل دقيقة يتعذر التكلم عنها بطريقة موجزة فصيحة إلا بهذه الصيغة.

وإذا لم يكن الحال كذلك، فلماذا جاء إذاً في القرآن الكريم أو السنة الشريفة أرقام معيّنة بالصيغة العادية المعهودة؟ - أي بذكر الرقم العددي ذاته - تتكلم عن أوقات زمنية (أو أعداد) معيّنة، مثل ما جاء في كثير من النصوص الشرعية، كالذي أدناه:

1 - ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا...﴾ [illegible]

2 - ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا...﴾ [illegible]

3 - قال رسول الله ﷺ: «إنه خُلق كل إنسان من بني آدم على ستين **وثلاثمائة** مفصل...» (أخرجه مسلم ج4 [illegible])

4 - قال رسول الله ﷺ: «صدقت، إن لك **تسعة وتسعين** عرقاً، وله مثل ذلك، إذا كان حين الولد اضطربت العروق كلها، ليس منها عرق إلا يسأل الله أن يجعل الشبه له» (أخرجه الحكيم الترمذي ج2)

5 - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [illegible]

6 - قال رسول الله ﷺ: «إنّ أحدكم يُجمعُ خلقُهُ في بطنِ أمّه أربعين يوماً، ثم يكونُ في ذلك علقةً مثل ذلك، ثم يكونُ في ذلك مضغةً مثل ذلك، ثم يُرسلُ الملكُ فينفخُ فيه الرّوح ويؤمرُ بأربع كلمات» (أخرجه مسلم ج4)

فكان من الممكن أن تأتي الآيات أو النصوص الشريفة - على سبيل المثال - على هذا النحو: حمله وفصاله حولان وستة أشهر، عوضاً عن ثلاثين شهراً، و: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه ستة أسابيع إلا يومين، و: صدقت، إن لك مائة عرقاً إلا واحداً، وله مثل ذلك... إلخ.

ومما يعضد كلامنا أن هذا الأسلوب اتبعه العرب، فمن عادة العرب في العدّ أنها حين تخبر بمجموعة عددية تريد إعطاءها أحكاماً ما، فإنها لا تخبر بجميعها عدداً معدوداً، أو تلقي بالعدد الكامل فجأة، ثم توزّع عليه الأحكام، ولكنها تقسّمه إلى مجموعات، ثم تخبر عنه.

ونحن نضرب لهذا الغرض ثلاثة أمثال:

● المثال الأول: عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه قال: «ضرب لنا رسول الله ﷺ أمثالاً، واحداً، وثلاثة، وخمسة، وسبعة، وتسعة، وأحد عشر، وفسّر لنا منها واحداً، وسكت عن سائرها، فقال: إن قوماً كانوا أهل ضعف ومسكنة، فقاتلوا قوماً أهل حيلة وعداء، فظهروا عليهم، واستعلوهم، وتسلّطوهم، فأسخطوا ربهم عليهم» (ذكره الهيثمي ج7)

هذا الحديث يتكلّم عن فتن آخر الزمان، وجاء فيه ما مجموعه ستة وثلاثون مثلاً من الفتن، غير أن النبي ﷺ أضرب عن ذكر العدد النهائي للفتن، وقسّمها ضمن مجموعات، لاختلاف كل مجموعة عن الأخرى حكماً، وحقيقة، ووقوعاً، وزماناً، ومكاناً، وهذا شاهد للتقسيم المعهود عند العرب. -

= ● المثال الثاني: قال المستورد القرشي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقوم الساعة والروم أكثر الناس»، فقال له عمرو: أبصر ما تقول!، قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: لئن قلت ذلك إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك. [أخرجه مسلم 112].

في هذا الحديث لم يقل عمرو بن العاص من أول الأمر: إن فيهم لخصالاً خمساً، بل جعل العدد مجموعتين، لاختلاف نوعيهما، فالمجموعة الأولى منسجم مع بعضها، إذ هي في الصفات الإيجابية الوادعة، التي ينبغي أن تصنف تحت بند واحد، بخلاف الخامسة التي هي ثورية، ومخالفة للصفات الأربع في الوداعة والسكون، فبهذا الاعتبار فرق عمرو بين الخمس، فجعلها أربعاً وواحدة كما اعتاد العرب أن يفعلوا.

● المثال الثالث: عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب استعمل أبا هريرة على البحرين... (فقال عمر بن الخطاب لأبي هريرة ﷺ): ألا تعمل؟ وقد طلب العمل من كان خيراً منك، يوسف؟، قال: إن يوسف نبي ابن نبي ابن نبي، وأنا أبو هريرة بن أميمة، أخشى ثلاثاً، واثنتين، قال عمر: أفلا قلت خمساً؟، قال: لا، أخشى أن أقول بغير علم، وأقضي بغير حكم، ويضرب ظهري، وينتزع مالي، ويشتم عرضي. [أخرجه عبد الرزاق ج٢٠]

نجد هنا أن الثنتين اللتين يخشاهما أبو هريرة ﷺ هما: القول بغير علم، والقضاء بغير حكم، وهما متعلقتان به هو، وبمنصب القضاء، وما يلزم له من العلم والحكم، وأما الثلاث التي يخشاها، وعبر عنها بالشتم والضرب وانتزاع المال، فتتعلق بشدة عمر ﷺ في محاسبة الولاة، وما يؤول إليه القاضي حين يحيد عن الحق ويستحق العقوبة.

وهذا الحديث يختلف عن الأحاديث الأخرى في أن الدلالة فيه على تقسيم العدد العام إلى عددين اثنين قطعية، دون شك، من خلال رفض أبي هريرة لطلب عمر ﷺ في الالتزام بتعداد العدد، وتقسيمه المجموعة ككل إلى مجموعتين منفردتين للاعتبارين المختلفين، ولهذا سكت عمر ﷺ، وفي السكوت إقرار من صحابي عربي جليل، لصحابي عربي جليل آخر، بهذا الإنكار، وبهذا الأسلوب المتبع عند العرب.

وبما أن القرآن الكريم أنزل بلغة العرب، فكان من الطبيعي أن ينهج القرآن أسلوبهم في إبراز الأحكام والصور المختلفة، حتى يتمكنوا من استيعابها جيداً، فما كان إلا أن جاء في القرآن الكريم عدة أمثال لهذه الصيغة، كما في الآية: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: 25]، والآية: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 14]، وغيرهما، إلى جانب الآية المعتبرة في هذا المقام.

وتفصيل موضوع الحمل هو أن الآية رقم 234 من سورة البقرة ذكرت مدتين: أولاهما متوسط مدة إحساس الأم بحركة جنينها بدءاً من وقت تخصيب البويضة، وهي أربعة أشهر (التي يشعر، عند وفاتها، خمسون بالمائة من النساء الحوامل بحركة جنينهن)، وثانيها المدة الزمنية التي يجب أن تضاف - عشرة أيام - على متوسط المدة المذكورة آنفاً لكي نحصل على المدة الغالبة لإحساس الأم بحركة

جنينها يبدأ من وقت تخصيب البويضة (والتي يشعر، عند وفاتها، خمس وسبعون بالمائة من النساء الحوامل بحركة جنينهن)، وقدرها أربعة أشهر وعشر.

فأربعة أشهر تعطي 118,5 يوماً، وإضافة عشرة عليها تعطي 128,5 يوماً.

وتقسيم هذا العدد إلى عددين مختلفين، أحدهما أساسي يتفق مع متوسط مدة إحساس المرأة الحامل بحركة جنينها، والآخر فرعي يتفق مع المدة الغالبة لإحساس المرأة الحامل بحركة جنينها، هو الدليل الساطع، على أن القائل لهذه الآية يعلم بما العلم أن احتمال احساس المرأة بحركات الجنين يتبع نظاماً حسابياً للتوزيع مع متوسط مقداره 119 يوماً وانحراف قياسي مقداره 15 يوماً.

ويغيب هذا الأسلوب البديع في الآية الكريمة – المعهود عند العرب عهد الاحتجاج – استطاع علماء تفسير القرآن الكريم فهم أن الغرض من تقسيم العدد 120 إلى عددين متلاصقين يتبع أحدهما (العشرة أيام) الآخر (الأشهر الأربعة) هو (احتياط المرأة في احساس حركة جنينها كما جاء في البحر المحيط، ج2/ ص225). وزاد الله العشر لأنها مظنة لظهور حركة الجنين، أو مراعاة لنقص الشهور وكمالها، أو لسرعة ظهور الحركة أو بطئها في الجنين، وكما جاء في تفسير الألوسي، ج2/ ص149: (وزيد عليه العشرة استظهاراً إذ ربما تضعف حركته في المبادئ فلا يحس بها).

ومما ساعد العلماء على فهم الآية على هذا النحو، هو أن عليهم أن يرتكزوا – إضافة إلى التقسيم المعهود لدى العرب – على قاعدة مراعاة النظير، أو ما يعرف بالتناسب، أو الائتلاف والتوفيق، وتعريفه: أن تجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه، لا بالتضاد (بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، لعبد المتعال الصعيدي، ج4/ ص16، وانظر عروس الأفراح، للسبكي، ج4/ ص337).

والعرب حريصون على أن يلتزموا بهذه القاعدة، فعلى سبيل المثال: اجتمع الكميت مع بعض الشعراء، وأنشدهم قصيدة منها:

أم هل ظعائن بالعلياء نافعة وإن تكامل فيها الأنس والشنب

(والشنب هو: عذوبة في الأسنان، وتخطيط بياض فيها).

فعقد نصيب واحدة (أي أحصى خطأ)، فقال له الكميت: ماذا تحصي؟ قال خطؤك، باعدت في القول، ما الأنس من الشنب؟.

فنصيب ينقد معنى في بيت الكميت، لأنه قد جمع بين أمرين لا يجتمعان في الخارج، ولا في الذهن، أو لم يأت بما سماه المحدثون فيما بعد: مراعاة النظير. (تاريخ الأدب العربي عند العرب، للأستاذ طه أحمد إبراهيم، ص 41).

وقد حرص علماء تفسير القرآن الكريم أيضاً على أن يلتزموا بهذه القاعدة، فترى الزمخشري – رحمه الله – على سبيل المثال يحدثنا في تفسيره للنص القرآني ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝﴾ [الرحمن: 5-6] عن هذه القاعدة (ج4/ ص43 – 44)، فيقول: (النجم النبات الذي ينجم من الأرض، لا ساق له كالبقول، والشجر الذي له ساق...)، ثم قال: (فإن قلت: أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف؟ قلت: إن الشمس والقمر سماويان، والنجم والشجر أرضيان، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل).

فهذه القاعدة تملي عليهم أن يفسروا العشرة أيام على ضوء الأشهر الأربعة المذكورة قبلها، وبالتالي –

. . . .

=عليهم أن يحافظوا على إطار الأحكام وتسلسلها في الآية رقم 234 من سورة البقرة، فإذا كانت الآية تتحدث عن العدة وقد ذكر فيها عددين، أحدهما رئيسي، والآخر فرعي، فعلى الرقم الرئيسي أن يستحوذ على الفقرة الرئيسية للعدة، وبالتالي أن يشير إلى متوسط مدة إحساس المرأة الحامل بحركة جنينها، وعلى الرقم الفرعي أن يراعي الانحيار الثانوي عن الفقرة الرئيسية للعدة، وبالتالي أن يشير إلى المدة الغالبة لإحساس المرأة الحامل بحركة جنينها.
وهكذا فإن انطباق مدد النظام الحسابي لاحتمال إحساس المرأة الحامل بحركة جنينها على المدد المذكورة في آية سورة البقرة ليس من قبيل المصادفة، لا في القرآن الكريم، ولا في لغة العرب في عصر الاحتجاج، حيث إنه منضبط بأساليب البيان البلاغي المعتمدة.
ولقد جاء أسلوب تقسيم العدد العام إلى عددين منفصلين في موضعين آخرين في القرآن الكريم، أحدهما في سورة الكهف، والآخر في سورة العنكبوت.
وتفصيل المثال الذي جاء في سورة الكهف كالآتي:
الآية المعتبرة هي: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [...].
هذه الآية عبّرت عن الحقبة الزمنية التي لبث فيها أصحاب الكهف في كهفهم بحقبتين اثنتين، إحداهما أساسية، وهي ثلاثمائة سنين، والثانية فرعية وهي تسع سنين (تضاف إلى الحقبة الأساسية)، وهذا للدلالة على أن الاختلاف بين التعداد الزمني الشمسي والتعداد الزمني القمري هو الذي ظهر في الرقم الفرعي في الآية المعتبرة. فيسهل على القارئ عندئذ أن يحفظ المدة التي لبث فيها أصحاب الكهف في كهفهم لأنها وضعت في وعاء سهل التركيب (300 سنة)، ويتذكر القارئ أيضاً أن الاختلاف بين التعداد السنوي الشمسي والتعداد القمري هو تسع سنين، ويتيقن القارئ أن القرآن الكريم محبوك بميزان، ومليء بالآيات الباهرات، والبراهين التي تذكّرنا بأن مشرّع دين الاسلام هو الله جلّ وعلا.
فالحاصل أن السنة الشمسية مؤلفة من 365,2422 يوماً والسنة القمرية من 354,36 يوماً.
(GROLLIER MULTYMEDIA ENCYCLOPEDIA CALENDAR).
وثلاثمائة سنة تعادل 109572,7 يوماً في التعداد الشمسي (300 × 365,2422 = 109572,7)، وهذه تعادل ثلاثمائة وتسع سنين بالتعداد القمري، مع زيادة ضئيلة مقدارها 0,21 سنة (109572,7/354,36 = 300.21)، ولعلّ قوله تعالى: ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ هو إشارة أيضاً إلى أن هناك زيادة بسيطة في المدة القمرية على المدة الشمسية، حيث إن التعداد القمري في هذه الحالة يزيد 74,4 يوماً (أو 0,21 سنة) عن التعداد الشمسي.
ولقد فهم مفسّر القرآن الكريم البارز ابن كثير هذا المراد، من خلال معرفته باللغة العربية، فقال في تفسيره للآية رقم 25 من سورة الكهف: «هذا خبر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم، منذ أرقدهم إلى أن بعثهم، وأعثر عليهم أهل الزمان، وأنه كان مقدار ثلاثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية، وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية... فلهذا قال بعد الثلاثمائة: ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾».
ونحن نعلم أن النظام القمري هو الأسلوب المعتمد في الشرع للعدّ السنوي لدلالة الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ [...] عليه، فلماذا أدخلت الآية رقم 25 من سورة الكهف العدّ الشمسي في هذا المقام؟ نقول، وبالله التوفيق: إن السياق للنص القرآني كان يتكلم عن الشمس كما=

=جاء في الآية: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ...﴾ [الكهف 17]. ولغرض الانسجام، راعى الشرع المقام، وضرب آخر الكلام بأوله، وعطفه عليه، وهو أسلوب متبع في غير موضع من القرآن الكريم (انظر الحاشية (رقم 1، ص106 - 109) من مبحث «النطفة»).

وأما الموضع الثاني الذي جاء فيه أسلوب التقسيم المعهود فتفصيله كالآتي:

الآية المعتبرة هي: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت 14].

نلاحظ في هذه الآية أن الله تعالى لم يقل تسعمائة وخمسين سنة، كما نعتاد أن نعد، ولكن قال: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾، فأظهر بهذه الكلمات فترتين: إحداهما أساسية (ألف سنة)، والأخرى فرعية: وهي خمسون عاماً، ودعم هذا التمييز بذكر كلمتين مختلفتين (سنة، عام) لهما دلالات مختلفة، تشير إلى حقبتين مختلفتين في محتواهما.

فكلتا الكلمتين تشير إلى الحول في اللغة العربية (أي إلى السنة في المفهوم العامي)، ولكن لهما دلالات إضافية غير دلالة الحول، فكلمة (سنة) تشير في اللغة العربية في كثير من الأحيان إلى فترة صعبة تمرّ على الإنسان، وكلمة (عام) تشير إلى فترة رخاء تمرّ على الإنسان.

جاء في لسان العرب (باب سنت): «أسنتوا، فهم مسنتون: أصابتهم سنةٌ وقحط وأجدبوا... وفي الحديث: وكان القوم مسنتين، أي مجدبين، أصابتهم السنة، وهي القحط والجدب. أسنت فهو مسنت، إذا أجدب».

أما عن الدليل القرآني أن المراد من الكلمتين (سنة وعام) هو (الشدة والرخاء)، فلقد قال الله تعالى في سورة يوسف، على لسان يوسف عليه السلام، عن الحقبة الزمنية العصيبة التي أتت على أهل مصر بما فيها من قلة المؤنة: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿47﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿48﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿49﴾﴾ [يوسف: 47-49]. فأسند الشدة للسنين الآتية لما سيأتي على القوم من قلة المؤنة، وأسند الرخاء للعام الآتي لما سيكثر فيه من الخصب.

كذلك تكررت هذه الدلالات في سورة الأعراف، وهي: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف 130]، حيث قرن فيها الله تعالى السنين بنقص الثمرات.

أما عن دليل السنة، فقد جاء حديث جليّ الدلالة على أن السنة في المفهوم النبوي هي الحول الذي قلّت خيراته، وهو: أنّ رسول الله ﷺ قال: «ليست السَّنةُ بأنْ لا تُمطَروا، ولكنّ السَّنةَ أنْ تُمطَرُوا وتُمطَرُوا، ولا تُنبتُ الأرضُ شيئاً» [أخرجه مسلم ح114].

وعودة إلى آية رقم 14 من سورة العنكبوت، استنتج بعض العلماء من الألفاظ المذكورة، ومن الصيغة التي نحن بصدد تفصيلها الآن أن هناك فترتين عاشهما نوح عليه السلام: إحداهما تسعمائة وخمسون سنة، وهي فترة إيذاء، وتحدّي للنبي نوح عليه السلام لبعثته فيها، وأخرى عاشها برخاء وطمأنينة بعد البعثة، وقد اختلفوا في مقدارها.

جاء في تفسير روح البيان للبروسوي في صدد تفسير الآية المعتبرة: «[إلا خمسين عاماً]، العام=

وحسب الجداول الحسابية التي وضعها العلماء[1]، وهو نفس العدد الذي اعتمدناه والذي يمثل أقل عدد لحدوث أغلب حالات إحساس المرأة بجنينها، وهو بذلك يطابق المعطيات الحسابية العلمية بدقة بالغة.

ومن هنا نجد أن القرآن الكريم قد سبق علماء الأجنة في اكتشاف هذه المدة قبل 14 قرناً.

وللعلم أن القرآن ليس كتاباً طبياً ولكن دستوراً للعقيدة والعبادة وتعامل بني الإنسان وعلاقاتهم مع بعضهم، وهو إذ يسوق بعض الأمور العلمية فإنما يسوقها لإبراز التوافق والتوأمة بين القانون الطبي والنظام التشريعي، وللاعتبار وازدياد اليقين والإيمان، وليُظهر بأن واضع هذا القانون وذاك النظام هو الإله الواحد الخالق البارئ الذي يعلم الظاهر والباطن.

وهنا نصل إلى تحقيق مهم هو: أن العلم التجريبي بما وصل إليه من تطور هو الكفيل بإثبات حقية القرآن وصحة دين الإسلام، وهذه دعوة مفتوحة إلى كل غافل وشارد وكل متعلم ومثقف ليقف على هذا الأمر، ويتحقق بموضوعية حتى يصل إلى الحقيقة.

3 - أقل مدة للحمل:

إلى هنا تنتهي الفترة الأولى من النشأة بعد مضي ستة أشهر على الحمل وتسمى بفترة القابلية للحياة، لماذا ؟ لأن أقل مدة للحمل هي ستة أشهر وتفصيلها ما يلي:

- قال جلّ وعلا: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَـٰلُهُ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15]
- قال الله تعالى: ﴿وَفِصَـٰلُهُ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: 14]

-كالسنة، لكن كثيراً ما تستعمل السنة في الحول الذي فيه الشدة والجدب، ولهذا يعبّر عن الجدب بالسنة، والعام فيما فيه رخاء، وهي كون المستثنى منه بالسنة، والمستثنى بالعام لطيفة، وهي أن نوحاً عاش بعد إغراق قومه ستين سنة في خصب زمان وصفاء وراحة بال».

ولكن ما نذهب إليه هنا أن فترة الرخاء كانت خمسين عاماً وليست ستين أوغيرها، لدلالة الآية عليها.

وهكذا فإن النهج القرآني، وأسلوب البيان البلاغي، والصيغة النبوية الشريفة، إضافة إلى المعاني اللغوية، كلها تشير بوضوح إلى الإعجاز العلمي في الآية رقم 234 من سورة البقرة.

(1) انظر لهذا الغرض كتاب LAWRENCE L. LAPIN, STATISTICS FOR MODERN BUSINESS DECISIONS. ص 275 و1177.

نستنتج من خلال الآيتين أن أقل مدة الحمل هو ستة أشهر، وذلك أن الآية الأولى تنص على أن الحمل والفصال (أي الفطام) يستغرقان ثلاثين شهراً، والآية الثانية تنص على أن الفصال في عامين، أي أربع وعشرون شهراً، فإذا اختزلنا فترة الفصال من فترة الحمل والفصال، تكون فترة الحمل ستة أشهر وهي أقلّها، لأن الحمل عادة يستغرق تسعة أشهر. وهذا ما استنبطه علي وابن عباس ﷺ وروي: «أن عثمان قد أتي بامرأة قد ولدت لستة أشهر فأراد أن يقضي عليها بالحدّ، فقال له علي ﷺ: ليس ذلك عليها، قال الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: 233]، فالرضاع أربعة وعشرون شهراً والحمل ستة أشهر، فرجع عثمان عن قوله ولم يحدّها»[1].

والعلم الحديث يثبت هذا الاستنباط الدقيق عن علي وابن عباس - رضوان الله عليهما - فالأطفال الذين يولدون بعد ستة أشهر وقبل استكمال تسعة أشهر، يوضعون في (الحاضنات الاصطناعية COUVEUSE) تحت العناية المشدّدة حتى يتمكنوا من العيش، إذ قبل مدة ستة أشهر لا يمكنهم الحياة.

ويفسر لنا الدكتور شارل رو[2] هذه الحقيقة قائلاً: «إنّ الجنين في بطن أمه يعيش في محيط مائي ويستخرج الأوكسيجين من هذا المحيط[3]، ولكي يستطيع الحياة خارج بطن أمه يلزم عليه أن يتنفس الهواء بدلاً من استخراجه من محيطه المائي، وذلك يعتمد على نضج رئتيه، ونضج المراكز العصبية الموجودة في النخاع الشوكي التي تتحكم بها. أما نضج الرئتين فلا يتم إلا بعد مضي ثمانية أشهر ولكنها تستطيع أن تبدأ التنفس قبل ذلك بكثير، ذلك أن نضجها يعتمد على عنصرين أساسيين، وهما:

أ - (النخاريب ALVEOLA) (وهي أكياس صغيرة موجودة في الرئتين يتم عبرها التبادل الغازي)

ب - (الأوعية الشعرية VASCULAR CAPILLARIES) (وهي تحمل الدم الذي ينقل الغازات).

---

(1) تفسير القرطبي للآية 15 من سورة الأحقاف - (ج16/ص193).

(2) المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي، الإعجاز الطبي في القرآن، 25/9/85م.

(3) إن الجنين يستخرج الأوكسيجين على وجه التحديد من الأم من خلال الحبل السري، ولكن المهم هو أن المحيط مائي.

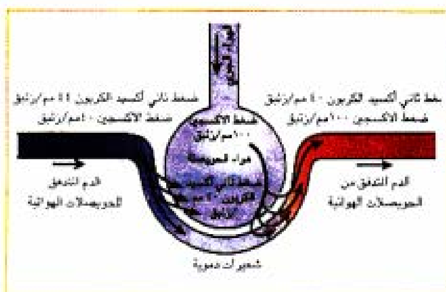
إن خلق النخاريب يبدأ في الشهر السادس من الحمل وينتهي في نهاية الحمل، ومن الممكن أن يمتد بعد هذه الفترة إلى السنة الأولى (أي بعد ولادته).

أما الأوعية الشعرية فترتبط بالنخاريب ارتباطاً حميماً خلال الشهر السادس.

وبهذا يكون الجنين قادراً نظرياً على الحياة خارج الرحم (إذ أنه يستطيع التنفس وذلك لأن العناصر الأساسية للتنفس قد تخلقت). لذا يجب اعتبار الشهر السادس أقل مدة الحمل التي تتوقع من بعدها أن يعيش المولود الجديد.

إن العنصر الأساسي للتنفس هو إفراز مادة (السورفاكتنت SURFACTANT) من قبل النخاريب. هذه المادة الدهنية تمكن النخاريب من التمدد بشكل ثابت وتمنعها من التحطم خلال الزفير». (انظر الصورة رقم: 116).

و«إفراز مادة السورفاكتنت يبدأ [تحديداً] من الأسبوع العشرين ولكن كمياتها قليلة جداً في الأطفال الذين يولدون قبل الموعد المحدد، ولا تبلغ معدلاً مقبولاً إلا في الفترة المتأخرة من المرحلة الجنينية... فالعنصر الأهم الذي يخوّل الأطفال الذين يولدون في فترة مبكرة من الحمل ليس هو وجود (أكياس طرفية رقيقة في النهايات الرئوية THIN TERMINAL SACS) أو (أغشية النخاريب البدائية PRIMORDIAL ALVEOLAR EPITHELIUM) بقدر ما هو تطور مقبول للأوعية



(116) - ترى في الرسم كيف أن التنفس يعتمد على النخاريب (الحويصلات الهوائية) والأوعية الشعرية وعلى التبادل الغازي بينهم، كما ترى أن هناك ضغوطات متفارقة قد تؤدي إلى تحطم النخاريب لولا مادة (السورفاكتنت Surfactant).

الرئوية ووجود كمية كافية من مادة السورفاكتنت"[1]، وبالتالي "فإن الأجنة التي تولد فيما بين أربعة وعشرين وستة وعشرين أسبوعاً من عملية التخصيب [وقبل الموعد المحدد] تستطيع أن تعيش إذا اختُضنت برعاية فائقة"[2].

غير أن هناك احتمالاً أن تموت الأجنة التي تولد ما بين 22 إلى 25 أسبوعاً في الطفولة المبكرة، لأن جهازهم التنفسي غير ناضج[3]، أما الأجنة التي تولد بعد هذه الفترة فكثيراً ما تعيش لأن جهازها التنفسي يستطيع أن يتنفس الهواء.

وكما نعلم فإن الشهر القمري يتألف من 29,6 يوماً، وستة أشهر قمرية تعادل (6 × 29,6 =) 177,6 يوماً، أو (177,6/7 =) 25 أسبوعاً ويومين (إلى ثلاثة).

وهكذا فإن الفترة التي حددها القرآن الكريم هي الفترة العملية العِلْمية الدنيا (25 أسبوعاً زائد ، 25 WEEKS) التي يعيش من خلالها الأطفال الذين يولدون قبل الموعد المحدد[4].

---

(1) كتاب "الإنسان النامي"، د. مور وبارسو، ص 266

(2) كتاب "الإنسان النامي"، د. مور وبارسو، ص 264.

(3) كتاب "الإنسان النامي"، د. مور وبارسو، ص 114.

(4) ومن المهم بمكان هنا أن نشير إلى أن النصوص القرآنية: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15]، و﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: 14] لم تنف أن يعيش المولود الذي يولد قبل ستة أشهر قمرية في بعض الحالات. وذلك لأن الآيات لم تذكر أصالة دلالة أقل فترة حمل، وبالتالي لم تصرح مباشرة أن أقل مدة حمل على الإطلاق هي ستة أشهر. فهذه دلالة تبعية تستنبط عن طريق مقابلة نصين شرعيين، وعن طريق اختزال المدد التي وردت في تلك النصوص.

أضف إلى ذلك أنه إذا اعتبرنا ألفاظ الآيتين القرآنيتين السالفتي الذكر فهمنا أن لفظ "وحمله" فقط ورد في النصوص الشرعية في إشارة إلى فترة الحمل لستة أشهر قمرية، وليس لفظ "أقل مدة حمل" - كما سمّاها معظم المفسّرين والباحثين في هذا المجال - ، وبالتالي فمن الأفضل أن نشير إلى تلك الفترة المستنبطة على أنها الفترة العملية العِلْمية الدنيا التي يعيش من خلالها الحمل الذي يولد قبل الوقت المعتاد، أي أنها الفترة التي يعيش فيها المولود بالغالب بدون أمراض خطيرة تذكر.

يعضد هذا المذهب الأسباب التالية:

1 - لقد قدّرت بعض المصادر الطبية نسبة حياة الأطفال الذين يولدون قبل فترة ستة الأشهر القمرية، أو سبعة وعشرين أسبوعاً من (أول يوم للدورة LAST NORMAL MENSTRUAL PERIOD, LNMP) بحوالي 72٪ بين عامي 1970 - 1988* بناء على دراسة ارتكزت على عمر الجنين، وبـ 90٪ بين عامي 1995 - 1996** بناء على دراسة ارتكزت على وزن الجنين (حيث إن وزن الجنين الذي يقابل فترة السبعة والعشرين أسبوعاً هو 1000 غرام حسب دراسة مصدر صدر عام 1996***)، وبـ 90٪ حسب دراسة أجريت عام 2001**** ارتكزت على عمر الجنين، وبالتالي فإن الفترة المذكورة - كما تشير إليه الإحصائيات - هي الفترة التي يعيش الجنين بها بالغالب. =

. . . .

=وللعلم فإن فترة السبعة والعشرين أسبوعاً من أول يوم للدورة هي الفترة التي أشارت إليها النصوص القرآنية (ستة أشهر قمرية أو حوالي خمسة وعشرين أسبوعاً)، وهي مؤلفة من فترة أسبوعين، تحتسب من أول يوم للدورة إلى أن يحين موعد الإباضة، زائد فترة 25 أسبوعاً، تحتسب من بداية تلقيح البويضة إلى ولادة الطفل، وذلك أن القرآن الكريم يعتمد أول يوم من الحمل بداية عمر الجنين لأن الآية القرآنية ذكرت كلمة حمل في الآية: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15] ولم تذكر كلمة «دورة» أو كلمة «حيض» أو ما شابه ذلك. وإذا اعتمدنا المنطق فإن احتساب عمر الجنين من بداية تلقيح البويضة - كما أشار إليه القرآن - منطقي أكثر لأن الجنين لم يخلق في أول أسبوعين.

2 - إن النصوص القرآنية لا تشمل التدخلات الطبية مثل إعطاء عقاري الكورتيزون والسورفكتنت للطفل الذي يولد قبل فترة ستة الأشهر قمرية، والتي تساهم في تحسين معدل البقاء على الحياة، الذي قدر بحوالي 20% للأطفال ذوي الوزن أقل من 1000 غرام(****). لأن النصوص القرآنية عالمية(******)، أي أنها لكل الشعوب ولكل الأزمنة. فليس كل المجتمعات في الكرة الأرضية لها العلم الكافي والوسائل التقنية المتقدمة لكي تتدخل طبياً، وبالتالي تحسن من فرص بقاء المولود على الحياة. كذلك ليس لكل المجتمعات عبر التاريخ الإمكانية الطبية المذكورة، والتقدم العلمي يعود لقرون، بل لسنوات قليلة مضت.

3 - لأن الأطفال الذين يولدون قبل 25 أسبوعاً من الحمل، أي ما دون 1000 غرام، تكثر لديهم أمراض شتى، مثل: أمراض الرئة المزمنة (كمتلازمة الضائقة التنفسية RESPIRATORY DISTRESS SYNDROME: RDS)، و(الالتهاب المعوي القولوني النخر NECROTIZING ENTEROCOLITIS)، و(نزيف داخل المخ INTRAVENTRICULAR HEMORRAGE) من الدرجة الثالثة والرابعة. ويعاني بعضهم - كما تشير إليه دراسات شتى - من شلل مخي أو ضعف حركي، أو من مشاكل في الجهاز السمعي أو البصري، وتأخر في التطور والنمو، وتأخر في النطق، وانخفاض معدل الذكاء...

إن معدل المرضية (الإعاقات والتخلف) للخدج (ذوي الوزن البالغ الانخفاض عند الولادة EXTREMELY LOW BIRTH WEIGHT) (دون 1000 غرام، المرادف لستة أشهر قمرية) تزيد عن النصف وهي أقرب إلى الثلثين...

4 - إن الآية غير معنية بالحالات الخاصة، والشاذة، أو النادرة التي تقع بين حين وآخر، حيث يولد أطفال ما بين 20 - 25 أسبوعاً من العمر (من أول يوم للدورة)، ولديهم نضوج شبه كامل للرئتين، فهذا يعود سببه - حسب اعتقاد العلماء - لتعرض الأم الحامل، أو المشيمة، أو الجنين لضيق أو شدة.

ولمزيد من التفاصيل حول موضوع بقاء الخدج على الحياة، أو نسب المرضية التي تحصل لهم الرجاء مراجعة البحث الذي قدمه د. فواز صدق المزيني في المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، 22 - 24 مارس 2004م، دبي الإمارات العربية المتحدة.

وبناء على ذلك فإن الفترة المنصوصة هي الفترة التي يعيش بها المولود بالغالب، وبدون أمراض تذكر.

وفي النهاية نود أن نشير إلى أن جل الدراسات العلمية للأطفال الخدج تعتمد على الوزن أكثر من اعتمادها على العمر الجنيني بالأسابيع، واحتساب معدل البقاء على الحياة بحسب العمر الجنيني أدق من احتسابه بحسب وزن الجنين، لأن وزن الجنين غالباً ما ينقص (أو يزيد). =

ومن المهم أن ننوّه إلى الفائدة التي تقف وراء تنصيص الآيات القرآنية على فترة ستة الأشهر دون تسعة الأشهر. فالحاصل أن فترة تسعة الأشهر معروفة لدى الجميع على عكس فترة ستة الأشهر التي هي أخفى مدد الحمل (6، 7، 8، 9 أشهر) والتي لم يعرفها العرب آنذاك. والدليل على ذلك أن الصحابة تحيّروا في أمر المرأة المتهمة بالزنى، واستلزم الأمر استشارة بعضهم البعض، ولم يتبيّن الأمر إلا بعد الاعتماد على نصوص الوحي كي يعرفوا أدنى مدة حمل. فالآيات القرآنية نصّت صراحة على الخفي من مدة الحمل، وضمناً على الجلي منها لوضوحه[1]، ومن خلال تلك الحوادث التي يحدثها البارىء عز وجلّ يظهر أمية مجتمع شبه الجزيرة العربية، وعلو أحكام القرآن الكريم على الأفكار السائدة في مجتمعهم، فيظهر الإعجاز العلمي الكامن من الآيات القرآنية وفقاً للآية: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: 53].

كما أن هناك فائدة أخرى تستلزم تنصيص مدة ستة الأشهر وهي: أن الآية القرآنية التي تكلمت عن الحمل والفصال جاءت في معرض المنّة، وبيان مدى تعب الأم في حملها وإرضاعها لولدها، حيث يستلزم ذلك البر بها، والإحسان إليها، والشكر لها، كما نراه في الآية: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: 15]، لهذا أثنى الله تعالى على من يعرف فضل الوالدين عليه، ويدعو لهما قائلاً: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: 15]. فترك مدة الحمل الأخرى مطوية ضمن العقد هو لظهور المنّة فيها من باب

* Hack M. Schluchter M. Cartar L. Rahman M. Cuttler L. Borawski E. Pediatrics. 112 (1 Pt 1): E30-8. July 2003

**Modified data from Lemon. et al. Very low birth weight outcome of the National Institute of Child Health and Human Development Neonatal Research Network. January 1995 through December 1996. NCHD Neonatal Research Network Pediatrics 2001.

***Alexander GR. et al. A United States national reference for fetal growth. Obstet Gynecol 87:163. 1996.

****Same reference as **

***** The NICHD neonatal research network. changes in practice and outcomes during the first 15 years. Modified from Fanaroff AA. Hack M. Walsh MC. Semin Perinatol. 2003 Aug;27 (4):281?

****** عقيدة التوحيد من الكتاب والسنة، سعاد ميبر، طبعة أولى، 1987 - 1988م، ص79، بدون ذكر دار نشر.

(1) راجع مبحث «النشأة/ مرحلة القابلية للحياة/ العدّة» الحاشية (رقم 3، ص375 - 378).

أولى. فإذا كان الشكر واجباً على فترة الحمل الدنيا للكره الذي يرافقها، فذلك يشير إلى وجوب تأدية المزيد من الشكر للمرأة الحامل التي اعتادت مدة الحمل الطبيعية والتي يلحقها كره أكبر، وهذا يتناغم مع النهي عن أدنى العقوق في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: 23]، إذ يستلزم ذلك النهي عن ما هو أكبر من ذلك في العقوق.

ولا يجب أن ننسى أن الله تعالى ذكر مدّة ستة الأشهر لغرض التعميم، أي تعميم أحكام الآية على كل النساء الحوامل، فذكر المدّة الدنيا هو بمثابة ذكر القاسم المشترك الأصغر بين جميع مدد الحمل، فالمدد الأخرى كمدّة سبعة الأشهر، ومدّة ثمانية الأشهر، ومدّة تسعة الأشهر، تتألف كلّها من مدّة ستة الأشهر مع زيادة المتبقي من الأشهر على المدّة المعتبرة، ولو ذكرت الآية مدّة الحمل القصوى لأسقطت باقي المدد، ولاقتصر واجب الشكر على المرأة التي تلد في المدّة الطبيعية.

وبهذا الأسلوب كانت الآية عامة، شاملة، تتضمن إعجازاً علمياً فريداً، يمتزج بحكمة الشكر بأبلغ تعبير.

ومن الكلام السابق نرى أن أقل مدة حمل هي ستة أشهر، وبذلك تنتهي فترة القابلية للحياة لتبدأ فترة الحضانة الرحمية.

ج - مرحلة الحضانة الرحمية:

مصطلح الحضانة الرحمية وضع من قبل العلماء لأن الرحم يكون بمثابة حاضن للطفل وهو ليس عنصراً أساسياً للتخلق.

تمتد هذه الفترة من الأسبوع الرابع والعشرين (أي من نهاية ستة أشهر من الحمل) إلى نهاية الحمل، أي إلى نهاية الأسبوع الثامن والثلاثين من بعد إخصاب البويضة.

يقول الدكتور كيث مور[1]: «هذه المرحلة تدل على المرحلة الأخيرة من الحمل، في الوقت الذي يستطيع الجنين أن يعيش إذا وُلِدَ قبل أوانه، ولكنه يبقى في الرّحم حيث تدعمه الأم وتغذيه.

(1) المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي، الإعجاز الطبي في القرآن، 25/ 9/ 85م.

في أكثر الأحوال، إذاً، يلعب الرحم دور حاضن للمولود قبل أوانه.

إن الوزن الذي يكتسبه الجنين في الأسابيع الأخيرة مدهش، إذ إن الجنين يكتسب مواذ دهنية ويهيأ تدريجياً للولادة».

ومن كلام الدكتور كيث مور نفهم أن دور الرحم في هذه الفترة هو دور الحاضن.

في هذه الفترة ينمو الجنين بشكل ملحوظ من جراء التغذية التي يتلقاها محققاً المعنى الثاني لكلمة نشأة «نما»، ويتحقق المعنى الثالث من كلمة نشأة «ارتفع وربا» حيث يزداد معدل طول الجنين بشكل ملحوظ وإن كان بطيئاً.



تيسير سبل الولادة

● قال العليم: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢﴾ [عبس: 17-22].

قال ابن عباس رضي الله عنه، في تفسير الآية ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾: ثم يسّر عليه خروجه من بطن أمه، وكذا قال عكرمة والضحاك وأبو صالح وقتادة والسدي واختاره ابن جرير[1].

إذا أمعنا النظر إلى الآيات الكريمات لوجدنا أننا في مرحلة زمنية يمرّ بها الإنسان ابتداءً من خلقه كنطفة إلى أن يخرج من بطن أمه حتى يدركه الموت[2].

إذا تتبعنا تاريخ الجنين بدءً من وقت تلقيح الحيوان المنوي للنطفة إلى كماله وخروجه من رحم أمه لوجدنا أنه لولا رحمة الله - سبحانه وتعالى - لم يكن ليخرج من هذا الرحم وذلك لعدة أسباب:

أولاً: إن كمية من المخاط تسد مدخل الرحم لكي تحفظه من البكتيريا الهاجمة من الخارج، إلا أنها تسقط عندما يحين وقت خروج الطفل.

ثانياً: إن هرمون (الرولاكسين RELAXIN) الذي يفرزه المبيض والمشيمة يرخي مفاصل الحوض، كما أنه يرخي عنق الرحم.

---

(1) تفسير ابن كثير للآية 20 من سورة عبس - (ج4/ ص472).

(2) ومن المفسرين للقرآن الكريم من فسّر الآية: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠﴾ [عبس: 20] على أنها تعني: ثم يسّر له سبيل الهدى. ولكن نقول: أنه من الأولى أن تفسر الآية على أنها تشير إلى تيسير ولادة الطفل، وذلك لأن النص القرآني من سورة عبس يروي لنا مشهداً حسّياً لما يحصل لجسد الإنسان من تخلّق، وتحلل، وإعادة تركيب، ولا يعنني في هذا المقام بالناحية التكليفية المتعلقة بالاختيار للإنسان وبالتالي - التزاماً بالسياق القرآني - تفسير تيسير السبل على أنه يشير إلى تيسير سبل ولادة الطفل أصوب والله تعالى أعلم.

كذلك فإن السياق يتكلم عن الخروجات الأربعة التي يمرّ بها الإنسان في حياته، وهي أربعة لا غير:

1 - خروجه من نطفة لقوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: 19] عن طريق الولادة.

2 - خروجه جنيناً مكتمل الخلق، وذلك في قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ [عبس: 20] (وهذا التفسير لا ينفي القول الثاني).

3 - خروجه من الدنيا ودار التكليف ومن الحياة، وذلك في قوله: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس: 21].

4 - خروجه إلى دار البقاء والحياة الآخرة الأبدية للجزاء والحساب، وذلك في قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: 22].

ثالثاً: إن الهرمونات التي تحفظ استقرار الجنين داخل الرحم تنقطع فتزعزع وجود الجنين وتهيئه للخروج.

رابعاً: إن تقلصات الرحم تبدأ في منطقة الرحم العليا المؤلفة من عضلات التقلص كما أن التقلصات تكون منتظمة بحيث تكون خفيفة في البدء ثم تشتد متقاربة، وهكذا تدفع بالجنين إلى خارج الرحم بسهولة وبطريقة آمنة. فلو أن الرحم انقبض دفعة واحدة لكان معناه الموت المحتم لعدم إمكانية خروج المولود بالحال، ولنقص ورود الدم إليه عبر المشيمة.

خامساً: «إن غشاء المشيمة يتمدد في وقت الحمل ويتسرب في عنق الرحم مما يؤدي إلى توسع عنق الرحم. وبعد هذا ينفجر الغشاء المشيمي ويخرج ماؤه الذي يؤهل طريقاً يساعد الجنين على الانزلاق من عنق الرحم»[1]. ومن المعلوم أن عنق الرحم عادة لا يتسع دخولاً لأكثر من أصبع صغير وأما فتحة المهبل فلا تتسع دخولاً لأكثر من ثلاثة أصابع.

سادساً: إن سلسلة من التغيرات تطرأ على وضع المولود تسهل خروجه عبر تجويف الحوض؛ لأن قناة الولادة تشكل ممراً يصعب على الجنين المرور فيه.

تلك التغييرات هي: دوران داخلي، تمدد، إعادة ودوران خارجي، نزول، التواء[2]. (انظر الصورة رقم: 117).

سابعاً: إن زوايا الحوض تنفرج لتجعل ما بين الرحم وقناة المهبل سبيلاً واحداً ليس فيه اعوجاج مما يسهل على الجنين المرور فيه، ويكون الرحم عادة مائلاً إلى الأمام بزاوية قدرها تسعون درجة تقريباً بالنسبة إلى قناة المهبل.

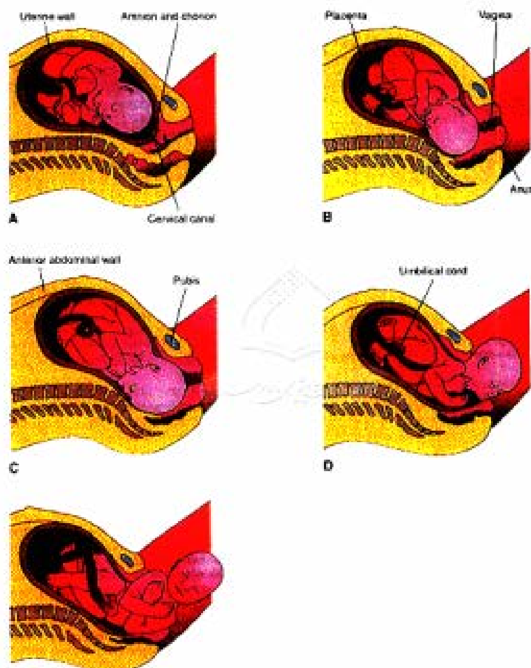
ثامناً: إن حجم الجنين أكبر بكثير من حجم مخرج الرحم، وهذا يعني أن عملية خروج الطفل من الرحم صعبة للغاية. وما يسهل عليه عملية الخروج هو ارتفاع معدل بعض الهرمونات في دم الجنين، ولولاها لما تحمل الجنين الضغط الهائل الناجم عن عملية الخروج، وعبارة الدكتور لارس هامبرغر[3] تصور لنا هذه الحالة جيداً: «لن تفرز أبداً فيما بعد، في حياة الطفل، هذه الكمية من الهرمونات المضادة للألم، وهذا يفيدنا عن مدى ألم الولادة، وعن مدى تهيئة الطفل للألم».

---

(1) المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي، الإعجاز العلمي في القرآن، 25/9/85 م: د. كيث مور.

(2) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص120.

(3) كتاب ولد طفل، لارس هامبرغر، ص 151



(117) - إن عنق الرحم يتسع خلال الولادة، كما أن الجنين يخرج من الرحم عبر سلسلة من الحركات الجسدية. أضف إلى ذلك أن الرحم يكون في بادىء الأمر مائلاً تسعين درجة بالنسبة للمهبل، ومن ثم يخف هذا الاعوجاج ليتحقق معنى الآية ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس: ٢٠].

توقيت أحداث التخلُّقات في القرآن والسنة

إذا جمعنا نصوص الكتاب والسنة وجدنا أن بعضها يكمّل الآخر، مع أن هذه النصوص قد نزلت مفرقة في الزمن وفي مواضعها من الكتاب الكريم، والحكمة التي تقف وراء تفريق الآيات التي تتكلم عن تخلّق الجنين وبالتالي عن الآيات الكونية في مواضع مختلفة هي:

1 - إن الآيات الكونية ذكرت في مواضع مختلفة ومحدّدة من القرآن الكريم لوجود مناسبة لذلك، فذكرت الآيات التي تتكلم عن الزلازل - على سبيل المثال - في المواضع التي تتكلم عن البعث.

2 - إن العلم التفصيلي للظواهر الكونية ليس من مقاصد الوحي، فالآيات الكونية هي سبيل للوصول إلى الهداية، والقرآن الكريم إنما يتكلم عن الكائنات استطراداً للاستدلال على صفات الله، وأسمائه الحسنى، وبالتالي ليس القصد هو البحث التفصيلي عن صفات الكائنات، وتبويب وترتيب الآيات القرآنية وفق هذا المنهج، وذلك لأن ذلك البحث متروك للإنسان نظراً لاطراد السنن الكونية، والطبيعة التراكمية للمعرفة العلمية، وإنما تُذكر الآية الكونية، ويُذكر فيها دقيق صنع الظاهرة الكونية، والحكمة من وراء وجودها للتدبُّر، وللوصول إلى الحقيقة المطلقة، وهي معرفة صفات الله ﷻ.

3 - إن الآيات الكونية لو جمعت في موضع واحد لتعذّر فهمها قبل تحصيل جميع مستلزمات البحث العلمي.

ولعل هذا التفريق هو سبب من الأسباب التي لا بد منها لكشف حقيقة تخلّق الجنين في المستقبل، كما أنبأنا سبحانه وتعالى في محكم آياته: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝٣٧﴾ [الأنبياء: 37]، فلا بد من تفريق الآيات الكونية حتى نعطي كل واحدة حقّها في البحث، ولا نستعجل في فهمها على ظاهرها، بل نتعمق في دلالاتها، ولا نفرط فيها. فقد قال الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ [الإسراء: 106]، ولا بد من مرور حقبة من الزمن، إضافة إلى تقدم العلوم الكونية حتى نجمع الآيات والأحاديث بالتدريج كما أشار إليه

المولى ﷻ : ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنعام: 67]، ضمن سلسلة متناسقة، تصبح واضحة للقارئ.

ووصف مراحل تخلق الجنين بالتفصيل في القرآن الكريم والسنة المطهرة هو إعجاز بحد ذاته نظراً لدقة التطورات التي تطرأ على الجنين. ولكن تحديد الزمان لتلك التخلقات يزيد من قوة الإعجاز العلمي.

لو نظرنا إلى النصوص القرآنية والحديثية التي تتعلق بموضوع مراحل تخلق الجنين - وإن كان هذا الموضوع ليس ضمن سورة أو آية واحدة أو حديث واحد - لوجدنا أن بعض النصوص تحدد أزمنة أساسية لمراحل تخلق الجنين، مثل حديث اليوم السابع: "... فإذا كان يوم السابع، جمعه الله تعالى، ثم أحضر له كل عِرْق بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: 8]" [أخرجه الطبراني ح21]، وحديث اليوم الأربعين "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ..." [أخرجه مسلم ح43]، بحيث لو جمعنا هذه النصوص ضمن وحدة موضوعية لرأينا أن هذه المراحل تنتظم بطريقة مرتبة تلفت نظر الباحث.

ونبدأ بمراحل تخلق الجنين بالترتيب ابتداء من أول مرحلة إلى آخر المراحل ونقسمها فيما يلي:

- ثنتا عشرة مرحلة قبل اليوم السابع.
- ثلاث مراحل ما بين اليوم السابع واليوم الأربعين.
- أربع مراحل ما بين اليوم الأربعين وأربعة أشهر وعشرة أيام.
- ثلاث مراحل ما بين أربعة أشهر وعشرة أيام إلى الولادة.

1 - **المرحلة الأولى**: خروج مكونات الماء.

فالمرحلة الأولى نستنتجها من النص القرآني: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾ [الطارق: 6-7].

2 - **المرحلة الثانية**: تخلق النطف في وقت مبكر، وانتزاع عروقها لبعض الصفات المتنحية.

كما يظهر لنا في الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنعام: 98].

وكما جاء في الحديث الشريف: «أن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ، فقال: ولدت امرأتي غلاماً أسود، وإني أنكرته. فقال رسول الله ﷺ: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: حمر، قال: هل فيها من أورق؟، قال: نعم. قال: فأنّى هو؟ قال: لعله يا رسول الله يكون نزعه عِرق له. قال له النبي ﷺ: وهذا لعله يكون نزعه عرق له» [أخرجه مسلم ح65]. وفي رواية: ولم يرخص له في الانتفاء منه.

3 - **المرحلة الثالثة**: دفق الماء.

كما أشير إليها في النص القرآني: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: 6-7].

4 - **المرحلة الرابعة**: علوّ بعض النطف على الأخرى.

لما ورد في الحديث الشريف: «ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر؛ فإذا اجتمعا **فعلا** منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنثا بإذن الله» [أخرجه مسلم ح9].

5 - **المرحلة الخامسة**: التقاء النطفتين الناتج عنها الخلق، والإذكار أو الإيناث.

كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: 2].

وكما في حديث الرسول ﷺ: «ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر؛ فإذا اجتمعا فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنثا بإذن الله» [أخرجه مسلم ح9].

6 - **المرحلة السادسة**: هجرة النطفة المخصبة إلى الرحم.

لما ورد في النص القرآني: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: 6-7].

والحديث الشريف: قال رسول الله ﷺ: «**إذا وقعت النطفة في الرحم** بعث الله ملكاً فقال يا ربّ: مخلّقة أو غير مخلّقة؟ فإن قال: غير مخلّقة مجّتها الأرحام دماً، وإن قال: مخلّقة قال يا رب: فما صفة هذه النطفة؟» [رواه الطبري ح32].

7 - **المرحلة السابعة:** اضطراب عروق النطفة.

كما في الحديث الشريف: "**إذا كان حين الولد اضطربت** العروق كلها، ليس منها عرق إلا يسأل الله أن يجعل الشبه له" [أخرجه الحكيم الترمذي ح22].

8 **المرحلة الثامنة:** انصهار نواتي البويضة والحيوان المنوي.

لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: 54].

9 - **المرحلة التاسعة:** اختلاط عروق النطفة والتقدير.

كما في الآية الكريمة: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: 19].

وكما في الحديث الشريف: «**إن الله تعالى اذا أراد خلق النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه** في كل عرق وعصب منها" [أخرجه الطبراني ح21].

وكما في الحديث الشريف: «**إذا كان حين الولد، اضطربت العروق كلها، ليس منها عرق، إلا يسأل الله أن يجعل الشبه له**» [أخرجه الحكيم الترمذي ح22].

10 - **المرحلة العاشرة:** انفلاق النطفة.

كما في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: 95].

11 - **المرحلة الحادية عشرة:** وقوع النطفة في الرحم والإجهاض المبكر.

لقوله ﷺ: «**النطفة التي يخلق منها الولد ترعد لها . . . العروق كلها إذا خرجت وقعت في الرحم**» [أخرجه الديلمي ح23].

12 - **المرحلة الثانية عشرة:** مرحلة الحرث

كما في الآية الكريمة: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ. . .﴾ [البقرة: 223].

13 **المرحلة الثالثة عشرة (من اليوم السابع):** جمع خلايا الجنين واستقرار وغيض النطفة في الرحم.

كما في الحديث الشريف: «. . . فإذا كان يوم السابع، جمعه الله تعالى، ثم أحضر له كل عرق بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: 8]» **[أخرجه الطبراني ح21].**

وكما في الحديث الشريف: "النطفة إذا استقرت في الرحم جاءها ملك فأخذها بكفه فقال أي ربّ: مخلّقة أو غير مخلّقة ؟ فإن قيل غير مخلّقة، لم تكن نسمة، وقذفتها الأرحام دماً" [أخرجه ابن أبي حاتم ح33].

وكما في الآية الكريمة: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ . . . ﴾ [الرعد:8].

14 - **المرحلة الرابعة عشرة:** تركيب العلقة من خلال عجب الذنب، وازدياد الأرحام بالأجنة.

كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون:14].

وكما ورد في الحديث الشريف: "كل ابن آدم يأكله التراب، إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب" [أخرجه مسلم ح35].

وكما قال ﷺ: ". . . فإذا كان يوم السابع، جمعه الله تعالى، ثم أحضر له كل عرق بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:8]" [أخرجه الطبراني ح21].

وكما في الآية الكريمة: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد:8].

15 - **المرحلة الخامسة عشرة:** تخلقات المضغة.

كما نصت الآية الكريمة: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [المؤمنون:14].

والآية الكريمة: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [القيامة:38].

16 - **المرحلة السادسة عشرة (من اليوم الأربعين):** خلق العظام والتسوية والتصوير والإقرار.

لما ورد في الآية الكريمة: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ [المؤمنون: 14].

وكذا في الحديث الشريف: "إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكاً، فصوَّرها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب: أذكر أم أنثى؟" [أخرجه مسلم ح45].

وكذا في الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [القيامة:38].

وكذا في الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى. . . ﴾ [الحج:5].

17 - **المرحلة السابعة عشرة:** كسو العظام باللحم، والتسوية، والتصوير.

كما ورد في الآية الكريمة: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 14].

وفي الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨﴾ [القيامة: 38].

وفي الحديث الشريف: «إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكاً، فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب: أذكر أم أنثى؟ . . . » **[أخرجه مسلم ح45]**.

18 - **المرحلة الثامنة عشرة**: خلق الجلد (وتأتي ضمن مرحلة النشأة ومرحلة التعديل).

كما ثبت في الآية الكريمة: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14].

وفي الآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ [الانفطار: 7].

وفي الحديث الشريف: «**إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا ربّ: أذكر أم أنثى؟** . . . » [أخرجه مسلم ح45].

19 - **المرحلة التاسعة عشرة**: الإذكار أو الإيناث (نهاية التركيب)، وإضفاء الصورة الشخصية للجنين، وإتمام الخلق.

كما ثبت في النص القرآني: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: 7-8].

وفي الحديث الشريف: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكاً، فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب: أذكر أم أنثى؟ . . . » **[أخرجه مسلم ح45]**.

وكما ورد في النص القرآني: ﴿فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩﴾ [القيامة: 38، 39].

وكما جاء في الحديث الشريف: عن النبي ﷺ، قال: «وكل الله بالرحم ملكاً فيقول: أي ربّ: نطفة؟ أي ربّ: علقة؟ أي ربّ: مضغة؟ فإذا أراد الله أن يقضي خلقها، قال: أي ربّ: أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه» **[أخرجه البخاري ح98]**.

20 - **المرحلة العشرون (من أربعة أشهر وعشرة أيام):** إحساس المرأة بحركات الجنين.

كما في الآية الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا . . .﴾ [البقرة: 234].

21 - **المرحلة الحادية والعشرون:** أقل مُدّة الحمل: ستة أشهر.

لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا . . .﴾ [الأحقاف: 15].

ولقوله تعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ . . .﴾ [لقمان: 14].

22 - **المرحلة الثانية والعشرون:** تيسير سبل الولادة

لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ [عبس: 20-21].

في النهاية نضع المراحل التي تحدثنا عنها ضمن جدول ليكون للقارئ صورة مجملة واضحة عن مراحل تكوين الجنين.



المرحلة/ الزمان	مراحل التخلقات	مراحل مرادفة أولى	مراحل مرادفة ثانية	مراحل مرادفة ثالثة
1	خروج مكونات الماء من بين الصلب والترائب			
2	تخلق النطف في مرحلة مبكرة	جعل النطف في المستودع	نزع العروق للصفات المنتجة	
3	دفق الماء من المستودع			
4	علو بعض النطف على الأخرى			
5	اختلاط النطفتين	بداية الخلق	تحفيز سرعة البويضة	
6	هجرة البويضة الملقحة الى الرحم			
7	اضطراب عروق النطفة			
8	انصهار نواتي البويضة والحيوان المنوي			
9	اختلاط عروق النطفة	التقدير		
10	انفلاق النطفة			
11	وقوع النطفة في الرحم		الاختصاص المبكر	
12	مرحلة الحرث			
اليوم السابع				
13	جمع خلايا الجنين	استقرار وقبض النطفة		
14	العلقة	عجب الذنب		الازدياد
15	المضغة	تخلق الأعضاء	شق السمع والبصر	
اليوم الثامن والأربعين				
16	تخلق العظام	التسوية	تخصيص السمع والبصر	الإقرار والازدياد
17	كسو العظام باللحم			
18	تخلق الجلد	النشأة	التعديل	الإقرار والازدياد والسم الخفي
19 - ثلاثة قروء	الإناث والإذكار		تهيئة التركيب/ تغيير الحسن/التعديل	
20 - أربعة أشهر وعشرا	إحساس المرأة بحركات الجنين		التعديل	
21 ستة أشهر	أقل مدة حمل			
22	تيسير سبل الولادة			

المراحل، والأطوار، والأحداث الجنينية التي ذكرتها النصوص الشرعية

المرحلة لغة[1]: المسافة التي يقطعها المسافر بيوم أو نحوه، والمنزل بين المنزلين. . . وما بين كل منهلين يسمى: مرحلة.

وجاء في تهذيب اللغة[2]: ما بين المنزلين مرحلة.

وفي مصطلح الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (في علم الأجنة) المرحلة هي: الفترة الزمنية التي تفصل بين نقطتين: أي بين نقطة تحوّل ونقطة تحوّل أخرى. ونقطة التحول هذه تكون في اتخاذ آلية تخلّق جديدة بحيث تحدث تغييرات داخلية وخارجية للجنين، فينتقل من خلالها من طبيعة إلى طبيعة أخرى.

والطور لغةً: هو الحال أو الهيئة[3].

وفي مصطلحنا الطور هو: الهيئة (أو الصورة) التي تظهر على الجنين خلال مدّة زمنية معينة.

إذن لكل من التعريفين - «مرحلة» و«طور» - دلالة محددة، وإن خلطنا في استعمالها في هذا البحث فذلك لشيوع كلمة «مرحلة» على الألسنة، ولأنها تعني مسافة زمنية على وجه عام.

وأما الحدث - فكما هو معلوم -: عملية تقع للجنين في فترة زمنية معينة.

لذا نحن أمام ثلاث مراحل أساسية لتخلق الجنين يفصل بينها النص القرآني: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: 12-14] بحرف العطف «ثم»[4]، ويحددها على النحو التالي:

---

(1) معجم متن اللغة، لأحمد رضا، (ج2/ ص 564).

(2) تهذيب اللغة، للأزهري، (ج5/ ص 6).

(3) المعجم الوسيط - مادة «طار» - (ج2/ ص 569).

(4) لمزيد من التفصيل انظر بحث «الأسلوب القرآني في استخدام حرفي «ثم» و«الفاء» في آيات علم الأجنة».

1 - مرحلة النطفة المخصبة.

2 - مرحلة التخليق.

3 - مرحلة النشأة.

- **المرحلة الأولى**: وهي مرحلة النطفة المخصبة تبدأ من وقت تخصيب البويضة من قبل الحيوان المنوي وتنتهي عند نهاية فترة الحرث، وبداية فترة الغيض.

- **المرحلة الثانية**: وهي مرحلة التخليق تبدأ من بداية طور العلقة (حسبما جاء في النص القرآني السابق ذكره)، وتنتهي عند نهاية طور الكساء باللحم.

- **المرحلة الثالثة**: وهي مرحلة النشأة تبدأ من بداية مرحلة التعديل (أي عند انتهاء طور الكساء باللحم) وتنتهي عند بداية الطلق.

سبب تسمية المراحل الثلاثة السابقة:

١ - **مرحلة النطفة**: سميت بذلك لأن عمليات التخلق التي تحصل في هذه المرحلة - أي الانفلاقات - لا تؤدي إلى تخلّق أجهزة محددة لها شكل معين تضفي على النطفة شكلاً جديداً، لا من حيث المظهر الداخلي (فهي تظلّ كتلة نطف - أي كتلة قطرات صغيرة -)، ولا من حيث المظهر الخارجي (فهي قطرة كبيرة نسبياً)، بل ولا تُخرج النطفة عن طبيعة القطرة، وعمليات التخلق التي تحصل لها تدور كلها حول تخلّق نطف صغيرة داخل نطفة كبيرة.

٢ - **مرحلة التخليق**: سميت بمرحلة التخليق لأن عملية الخلق سمة خاصة لهذه المرحلة، فالمرحلة تشهد تكاثراً كبيراً للخلايا وينشط فيها تخلّق الأعضاء (اليدين، الرجلين، القلب، الكبد...)، كما أنه في هذه المرحلة تظهر العظام ويكسى الجنين باللحم. وسوف نسميها بمرحلة «خلق جسم الجنين» لأن هيكل الجنين وأعضاءه سوف تتخلّق في هذه المرحلة.

٣ - **مرحلة النشأة**: سميت بالنشأة لأن سمة النمو تطغى في هذه الفترة على الأعضاء.

وتنقسم مرحلة «خلق جسم الجنين» إلى ثلاث مراحل ثانوية، وهي:

1 - مرحلة جمع الجنين (وهي مرحلة سكت عنها النص القرآني السالف ذكره ولكن ذكرها الحديث: «إن الله تعالى إذا أراد خلق النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عرق وعصب منها، فإذا كان يوم السابع، **جمعه** الله تعالى، ثم أحضر له

كل عرق بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ [الانفطار: ٨]" [أخرجه الطبراني ح21].

2 - مرحلة جمع خلق الجنين.

3 - مرحلة الخلق التصويري.

- مرحلة جمع الجنين: سميت بذلك لأن هناك آلية واحدة تظهر في هذه الفترة، ألا وهي جمع خلايا الجنين لتؤلف الهيكل الأساسي لجسم الجنين.

- مرحلة جمع خلق الجنين: سميت بذلك لأن تجمع خلايا الجنين ضمن أعضاء هي السمة المسيطرة في هذه المرحلة.

- مرحلة الخلق التصويري: سميت بذلك لأن آلية التصوير هي البارزة فيها، فتخلق العظام واللحم - وإن كان تخلق عضوين جديدين - غير أنه عملية تصوير في نهاية الأمر، لأن الجنين ينتقل من خلال هذا التخلق من مظهر جنين عام إلى مظهر جنين إنساني. وأما بالنسبة للسمع والبصر فإن عمليات التخلق التي تحدث لهما تصويرية أكثر من أنها هيكلية.

ولعلّ من الحكمة أن نضيف إلى المراحل المذكورة آنفاً مرحلة ليست هي بمرحلة تخلق مادية، وإنما هي مرحلة تحضيرية لتخلق الجنين، ألا وهي: مرحلة السلالة (أي مرحلة الحيوان المنوي والبويضة الغير مخصبة) التي ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ﴾ [المؤمنون: 12-14]. والإشارة هنا إلى أنها "من طين" - يعني أنها طينية الأصل - (فتكون وظيفة "من" هنا للجنس، بحيث تعني: ولقد خلقنا الإنسان من سلالة مؤلفة من مواد طينية) لا ينفي بأنها تنسل من محيط آخر غير الطين (كما سنراه في التفسير اللاحق) - إن شاء الله -، وخصوصاً أن هناك آية أخرى تشير إلى المحيط الذي تنسل منه، وهي: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨﴾ [السجدة: ٨]. وبذلك يكون القرآن ذكر مرحلة البويضة غير المخصبة، ثم مرحلة البويضة المخصبة، ومن ثمّ المراحل الأخرى، وهذا تسلسل منطقي. وسمّيت هذه المرحلة بمرحلة السلالة لأن هذه المرحلة تُسهِّل وتمهِّد الطريق للتخصيب، أي: للخلق كما يشير إليه معنى كلمة "سلالة".

ورد في لسان العرب[1]: "سلل: السّل: انتزاع الشيء وإخراجه في رفق، سلّه يسلّه سلاً واستلّه فانسلّ وسللته أسلّه سلاً... والسلالة ما انسلّ من

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة "سلل" - (ج6/ ص338 - 340).

الشيء. . . والانسلال: المضي والخروج من مضيق أو زحام. . . قال ابن بري: قوله سال السليل بهم أي ساروا سيراً سريعاً. . . وسلّة الفرس: دفعته من بين الخيل، وفرس شديد السلة: وهي دُفْعتُه في سباقه". فلولا عمليات الانسلال برفق من وسط إلى وسط آخر (أي من منيّ الرجل إلى وسط المهبل والرّحم)، والانسلال من مضيق (مضيق عنق الرّحم)، ومن زحام (زحام الحيوانات المنوية عند عنق الرّحم)، والسير سريعاً لملاقاة البويضة المخصبة (إلى ما هنالك من عمليات تسهيل)، لما كان بالإمكان أن يُخصِّب الحيوان المنوي البويضة المخصبة[1]، وأن يبدأ الخلق بإذن الله. فكل هذه الأحداث لها سمة مشتركة (وهي سمة التسهيل والتدبير المُسْبَق لعملية الخلق) وبالتالي تلزم أن نجمعها تحت مرحلة واحدة - مرحلة السلالة - .

أما بالنسبة للأطوار: فنلاحظ أن لدينا سبعة أطوار تخلق ذكرها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وطور تمهيدي آخر.

والطور التمهيدي هو طور السلالة (أي طور: الحيوان المنوي والنطفة غير المخصبة) ويأتي ضمن مرحلة السلالة: وسُمّي بذلك لأن النطفة فيها لها هيئة السلالة من حيث المظهر والحركة والمحيط. جاء في تاج العروس عن السلالة[2]: "وأيضاً السمكة الطويلة"[3].

وأما بالنسبة لأطوار التخلق فهي كالتالي:

- طور النطفة المخصبة: سمّي بذلك لأن شكل وحركة القطرة من الماء يغلب على طابع البويضة. فشكل البويضة المخصبة شكل القطرة من الماء، وهذه البويضة لها خاصية الانسياب كما تنساب القطرة من الماء على السطح المائل. ومن الجدير بالذكر أن الأحداث التي تمر على البويضة من وقت تخصيبها إلى وقت انغراسها (أي الانفلاقات المتوالية والانغراس) لا تفقدها الشكل المستدير الذي تتميز به القطرة. فبالرغم من انقسام النطفة في داخلها إلى خلايا متعددة، فإن مظهرها لا يتغير عن مظهر القطرة، لأنها تملك غشاء سميكاً يحفظها ويحفظ مظهر النطفة فيها، وحتى بعد أن تتخلص النطفة من غشائها بفترة وجيزة، أي خلال الفترة الأولى من

(1) لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**النطفة/ السلالة**».

(2) القاموس المحيط لمجد الدين محمد - مادة «سلل» ص: 1312. تاج العروس لمحمد مرتضى مادة «سلل» - (ج14/ ص350).

(3) لمزيد من التفاصيل راجع مبحث «**النطفة/ السلالة**».

انغراسها، يظل مظهر القطرة غالباً عليها من جراء تماسك الخلايا بعضها ببعض: لذلك سمّي مظهر البويضة المخصبة في هذه الفترة بطور النطفة.

- طور العلقة: سُمّي بذلك لأن شكل العلقة - أي شكل الدودة التي تعلق على الدواب - يغلب على الجنين.

- طور المضغة: سُمّي بذلك لأن الجنين يشبه في هذه الفترة المادة التي لاكتها ومضغتها الأسنان.

- طور العظام: سُمّي بذلك لأن صورة العظام تظهر على الجنين.

- طور اللحم: سُمّي بذلك لأن اللحم يكسو الجنين.

- طور الجلد: سُمّي بذلك لأن الجلد يكسو اللحم.

- طور الإذكار أو الإيناث: لأن جنس الجنين يظهر في هذه الفترة: ذكراً أو أنثى.

أما بالنسبة للأحداث الجنينية، فهي العمليات التي تقع للجنين، والتي لا تؤدي إلى تغيير رئيسي لطبيعته ولا لشكله إذا اعتبرت منفصلة، غير أن مجموعها قد يؤدي إلى إضفاء مظهر جديد للجنين ومثالها: انتشار عروق البويضة المخصبة، انفلاق البويضة المخصبة، انغراسها... إلخ، ونحن نعددها في الرسم التوضيحي الذي نورده في الصفحة التالية (انظر صورة رقم: 118)، والذي يعطينا فكرة عن المراحل والأطوار والأحداث الجنينية التي جاء ذكرها في النصوص الشرعية:

(118)- المراحل، والأطوار، والأحداث الجنينية

الجنين

مرحلة السلالة (تحضيرية)

مرحلة الخلق (كبرى)

مرحلة النطفة المخصبة (أساسية)

مرحلة خلق جسم الجنين (أساسية)

مرحلة النشأة (أساسية)

مرحلة جمع الجنين (ثانوية)

مرحلة جمع خلق الجنين (ثانوية)

مرحلة خلق تصويري التسوية (ثانوية)

طور السلالة

طور النطفة المخصبة

طور العلقة

طور المضغة

طور العظام

طور اللحم

طور الجلد

طور الإذكار أو الإناث

دفق

تمييز الإذكار أو الإناث

تسهيل الخروج من زحام ومن مضيق

سعي حثيث

التقاء مشيج

تقدير

حركة انتقال

اضطراب

انطلاق

حرث

قبض

تثبيت دبغة

شق السمع والبصر

شق السمع وتصير

شق السمع والبصر

شق السمع وتصير

الأسلوب القرآني في استخدام حرفي «ثم» و«الفاء» في آيات علم الأجنة

في هذا المبحث سوف نتحدث عن مغزى استعمال حرفي العطف «ف» و«ثم».

فنتناول هنا بعض الآيات في مجال «تخلق الجنين» والتي ورد فيها استعمال حرفي العطف «ف» و«ثم» وهي:

● النص القرآني الأول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: 12-14].

● النص القرآني الثاني: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ [عبس: 17-21].

● النص القرآني الثالث: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: 6-8].

● النص القرآني الرابع: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: 37-39].

إن «ثم» حرف عطف، وهي للترتيب والتراخي[1].

وحرف العطف «الفاء» يدل على الترتيب والتعقيب[2].

النص القرآني الأول:

النص القرآني الأول يشير إلى ثلاث مراحل تخلق أساسية (تحدثنا عنها بإطناب في المبحث السابق «**المراحل، والأطوار، والأحداث الجنينية التي ذكرتها النصوص الشرعية**»):

(1) كتاب معجم القواعد النحوية، عبد الغني الدقر، ص 179.

(2) معجم القواعد النحوية، عبد الغني الدقر، ص336.

1 - مرحلة النطفة المخصبة.

2 - مرحلة التخليق.

3 - مرحلة النشأة.

ومرحلة تحضيرية هي مرحلة السلالة.

استعمل حرف العطف «ثم» في الآية الأولى ثلاث مرّات: مرة للفصل بين مرحلة السلالة والنطفة، ومرة للفصل بين مرحلة النطفة ومرحلة التخليق، ومرة للفصل بين مرحلة التخليق ومرحلة النشأة.

في المرّة الأولى: استعمل هذا الحرف للدلالة على أن هناك فترة غير وجيزة نسبياً للانتقال من مرحلة السلالة، إلى مرحلة النطفة الأمشاج في القرار المكين. فإذا اعتبرنا أن إنزال الرجل يحصل في الوقت نفسه من خروج البويضة غير المخصبة من المبيض فيكون بداية مرحلة السلالة هو يوم إباضة المرأة[1]. والتلقيح يحتاج عندئذ إلى حوالي يوم، ومن ثمّ فإن انتقال البويضة المخصبة من الثلث الوحشي لقناة فالوب إلى الرّحم فوقوعها فيه يستغرق ستة أيام. وبالتالي فإن مجموع الأيام التي تحتاجها السلالة لتصبح نطفة أمشاج - أي نطفة مخصبة - في الرّحم هو سبعة أيام، وهي مدّة زمنية طويلة نسبياً بالنسبة للفترات الزمنية التي يحتاجها الجنين للانتقال من طور إلى آخر - كما سنرى - تستوجب أن يُستعمل حرف العطف «ثم» في هذا الموضع من الآية.

في المرة الثانية: استعمل هذا الحرف للدلالة على انقضاء فترة زمنية معينة، وللدلالة على التحول البطيء من مرحلة النطفة الأمشاج إلى مرحلة العلقة.

وتفسير ذلك: أن الانتقال من النطفة إلى العلقة يستلزم المرور بمرحلة الجمع (أي جمع خلايا الجنين).

في هذه المرحلة تحتاج الكتلة الداخلية للكرة الجرثومية أسبوعاً على الأقل لكي تتميز وتتعلق بواسطة ساق موصلة (فينطبق عليها تسمية العلقة لظهور الساق الموصلة، وإن لم يظهر عليها صورة العلقة بعد)، ويومين لتبدأ (العمليات الظهرية NOTOCHORDAL PROCESSES) فتطاول الكتلة الداخلية، وتقرب صورتها من

(1) وقد يبدأ قبل ذلك بكثير إذا اعتبرنا أن مرحلة السلالة تبدأ بإنزال الرجل منيه في مهبل المرأة، لأن الحيوانات المنوية تستطيع أن تعيش خمسة أيام إلى ستة قبل أن تلقّح البويضة. غير أننا نفضل أن نعتبر خروج البويضة هو نقطة البداية، لأنه لولاها لما حصل التلقيح، فالخلق.

صورة العلقة (فيكون مجموع الأيام الذي يحتاجه الجنين لكي تظهر عليه صورة العلقة 10 أيام: من اليوم 7 إلى اليوم 16)، وهذه المدة طويلة غير مستهان بها في الإطار الزمني للانتقال من طور إلى آخر، لذلك استعمل حرف العطف «ثم»، وذلك للدلالة على التراخي.

كذلك من وظائف حرف العطف «ثم» - كما سنراه لاحقاً في هذا المبحث - هو أن هذا الحرف يصرف الأنظار إلى صيرورة الشيء، وهنا إلى صيرورة النطفة، أي أن النطفة لا تصبح تشبه العلقة إلا في نهاية المطاف.

يقول الرضي: «﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: 14] نظراً إلى تمام صيرورتها علقة»[1].

وبالفعل فإن الساق التي تصل الكتلة الداخلية للنطفة ببطانة الرحم لا تبدأ بالظهور إلا في حوالي اليوم الثالث والعشرين، أي بعد حوالي مرور أسبوع من تعلّق النطفة بظاهر بطانة الرحم. ولا تبدأ العمليات الظهرية التي تؤدي إلى تطاول الكتلة الداخلية إلا في اليوم السادس إلى السابع عشر لتظهر بعدها على شكل علقة في اليوم الثامن إلى التاسع عشر، أي في نهاية مدة التحويل[2].

في المرة الثالثة: استعمل حرف العطف «ثم» ليفيد أن مرحلة النشأة تأتي بعد طور الكساء باللحم على التراخي في الزمن في صورة تدريجية. فالنشأة تستغرق وقتاً طويلاً لكي ينمو الجنين (28 أسبوعاً) وهذا ينطبق على وظيفة حرف العطف «ثم».

إلى ذلك فإن معاني كلمة «نشأ» لا تبدأ في الوضوح إلا فيما بعد، كما أن نمو بعض الأعضاء يظهر بعد فترة، مثل نمو الشعر والأظافر، وتهاجر الأمعاء إلى داخل البطن في الأسبوع الحادي عشر[3]، وتبدأ الحركات الإرادية (مثل حركات العين) في الأسبوع الرابع عشر[4]. ولذلك فإن التحول إلى «الخلق الآخر» من خلال تنشئته، تدريجي، متفرّق، ولا يتحقق بأكمله إلا بعد مرور فترة من الوقت.

---

(1) شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ق2، م2، ص 1314.

(2) ومن هنا ننبه أيضاً أن إشارة بعض الباحثين الكرام أن طور العلقة يبدأ عند تعلّق النطفة بظاهر بطانة الرحم - أي عند وقوعها على سطح الرحم وعندما تبدأ عملية الحرث - غير مستحب، لأنه لا ينسجم مع وظيفة حرف العطف «ثم»، ذلك لأن بداية عملية الحرث تقع في بداية مدة التحويل وليس في آخرها.

(3) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 112.

(4) كشف (بيرنهولز BIRNHOLZ) عام 1981م بواسطة (التخطيط بالأشعة الطويلة ULTRASONOGRAPHY) تحركات بطيئة للعينين في الأسبوع الرابع عشر (كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 112).

نفيد في هذا الخصوص أن المنظار هنا منظار نسبي، فطور الكساء باللحم يحتاج لأسبوع حتى تظهر ملامحه جلية، بينما تحتاج النشأة لأسابيع (28 أسبوعاً)، وهكذا تكون فترة طور الكساء باللحم فترة وجيزة إذا ما قورنت بفترة النشأة، وتحتّم بذلك استعمال حرف العطف «ثم».

وأما في فترة التخليق فالغاية هي - والله أعلم -: التركيز على تلاحق العمليات. فهذه المرحلة تشهد تكاثراً سريعاً للخلايا، والعمليات التخليقية تتمّ بسرعة كبيرة في فترة ما يسمى بفترة (تخلق الأعضاء ORGANOGENESIS). ونظراً لسرعة العمليات التي تحصل في تلك المراحل، وتلاحقها خلال فترات متعاقبة وجيزة، فقد استُعْمِل حرف العطف «ف»؛ ففترات الانتقال بين تلك الأطوار المذكورة فترات وجيزة متعاقبة بعضها وراء بعض؛ إذا ما قورنت بفترة انتقال النطفة إلى العلقة، وبفترة النمو في مرحلة النشأة.

فالانتقال من العلقة إلى المضغة[1] يستغرق يومين (اليومان: 25 - 26)، ومظهر المضغة بدأت تظهر ملامحه في فترة العلقة لظهور التخطيط، غير أن مظهر المضغة لم يغلب عليه، ومن خلال ظهور الفلقات في نهاية مرحلة العلقة (أي في اليومين 23 - 24) يكتسب الجنين خصائص المضغة، وبالتالي فإن الطورين غير منفصلين تماماً. ونظراً لاتصال الطورين والتحول السريع من طور إلى طور آخر كان من الضروري استعمال حرف العطف «ف».

كذلك الانتقال من طور المضغة إلى طور العظام سريع، والطوران متداخلان. ففي فترة المضغة تبدأ الخلايا التي ستتمايز إلى خلايا غضروفية (بالتكثف CONDENSATION) في الأسبوع الخامس. وفي الأسبوع السادس (أي في طور المضغة) (تفرز حول نفسها المنبت العضوي للغضاريف[2] CHONDRIFICATION)، وفي نهاية الأسبوع السادس وبداية الأسبوع السابع (أي في بداية طور العظام) يكون الأنموذج الغضروفي قد ظهر[3]. وهكذا لا يكاد طور المضغة ينتهي حتى يغلب على الجنين مظهر العظام، ولذلك استعمل حرف العطف «ف».

كذلك يأتي طور الكساء باللحم عقب طور العظام مباشرة والتحوّل الزمني لا

---

(1) كتاب علم الأجنة في ضوء الكتاب والسنة، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص 76.

(2) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 420.

(3) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 420.

يُذكر، والطوران متداخلان، وذلك لأن الخلايا التي ستتمايز إلى خلايا العضلات تنشأ مع الخلايا التي ستتمايز إلى خلايا غضروفية. وفي بداية الأسبوع السادس، في فترة تمايز خلايا النسيج الأوسط إلى خلايا غضروفية (أي في طور المضغة)، تنتقل خلايا العضلات بعيداً عن الفلقات[1] لتنمو. وفي نهاية الأسبوع السابع (أي في نهاية طور العظام) يمكن ملاحظة تمايز واضح للعضلات[2]. وهكذا ما يلبث طور العظام أن ينتهي حتى يغلب على مظهر الجنين مظهر العضلات واللحم، ولذلك استعمل حرف العطف "ف".

نفهم من كلامنا السابق أن حرف العطف "ثم" جاء للدلالة على التراخي في الزمن للمرحلة حتى تكتمل المرحلة المعينة (أو للطور المعين حتى يكتمل) أو للدلالة على أن هناك فاصلاً بين المراحل (أو الأطوار) المتعاقبة، وأن حرف العطف "ف" جاء للدلالة على التواصل بين الأطوار (أو المراحل) وسرعة تعاقبها، وتصديقاً لكلامنا جاء في هذا الخصوص في فتح الباري النص التالي[3]: "وقد رتب الأطوار في الآية بالفاء لأن المراد أنه لا يتخلل بين الطورين طور آخر، ورتبها في الحديث بثم إشارة إلى المدة التي تتخلل بين الطورين ليتكامل فيها الطور".

وجاء في عمدة القاري[4]، باب غسل المني: "فإذا ثبت جواز التراخي في المعطوف يجوز أن يتخلل بين المعطوف والمعطوف عليه مدة...".

وقال ابن مالك في ألفية النحو[5]:

وَالْفَاءُ لِلتَّرْتِيبِ بِاتِّصَالِ ... وَثُمَّ لِلتَّرْتِيبِ بِانْفِصَالِ.

النص القرآني الثاني:

ومن المنطلق نفسه نلحظ في النص القرآني الثاني أنه استعمل حرف العطف "ثم" بين فترة التقدير والولادة للدلالة على أن هناك زمناً طويلاً بين عملية التقدير وعملية الولادة (وهو تسعة أشهر)، وكذلك يقال عن عملية الولادة ونهاية العمر.

---

(1) كتاب علم الأجنة في ضوء الكتاب والسنة، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص 100.

(2) كتاب علم الأجنة في ضوء الكتاب والسنة، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص 103.

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري - كتاب القدر - رقم الحديث 6594 (ج11/ ص484).

(4) عمدة القاري للعيني - كتاب الوضوء - باب غسل المني وفركه وغسل ما يصيب من المرأة - (ج3/ ص146).

(5) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - للهمذاني - باب عطف النسق - (ج2/ ص209).

وأما استعمال حرف العطف «الفاء» في هذا النص، الذي تختلف وظيفته عن حرف العطف «ثم»، فإنه استعمل لأن الفترة بين التخليق والتقدير فترة قصيرة متعاقبة (أقل من 30 ساعة)[1].

النص القرآني الثالث:

يدل هذا النص على ثلاث مراحل: مرحلة التخلق، ومرحلة التسوية، ومرحلة التعديل، وقد فصل بينها بحرف العطف «ف».

وقد استعمل حرف العطف «ف» بين المراحل هنا لوجود التعاقب السريع، لأنها تتوالى وتتعاقب بسرعة، بدون تراخ في الزمن، حتى إنها تتداخل فيما بينها عند أطرافها. فعلى سبيل المثال: يستقيم الجنين فور انتهاء مرحلة التخلق (أي في الأيام 43 - 47)[2] ليحقق معنى التسوية، وتبدأ مقاييس أعضاء الجنين (اليدان والأرجل والوجه) بالاعتدال في بداية الأسبوع التاسع[3]، أي فور انتهاء مرحلة التسوية، كما أن ترسيم الجنين الذي قد ابتدأ في مرحلة التسوية (مثل ظهور الجفون وإشعاعات الأصابع)[4] يتواصل ويكتمل ليحقق معنى كلمة «عدل».

النص القرآني الرابع:

يتحدث النص القرآني عن خمسة أطوار ومراحل: طور النطفة غير المخضبة، طور العلقة، طور التخلق (وهو طور المضغة وسمي بذلك لأن سمة تخلق الأعضاء فيه ظاهرة)، مرحلة التسوية، وطور الإذكار أو الإيناث.

الطور الأول هو: طور النطفة غير المخضبة وذلك لأن النص القرآني حدد أن النطفة هي: ﴿نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة: 37]، أي أن النطفة جزء من المني، وبالتالي لم تُخصّب بعد.

وبما أنها لم تخصب بعد، فعليها أن تُخصب، ومن ثَم أن تنفلق، ومن ثَم أن تمر بمرحلة جمع خلايا الجنين، قبل أن تصبح فيما بعد علقة، وهذا يستغرق وقتاً

(1) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 41.

(2) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 91.

(3) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص95: يتأخر نمو الرأس ويقصر طول اليدين ابتداء من ذلك الوقت.

(4) كتاب الإنسان النامي، د. مور وبارسو، ص 91.

طويلاً. وبما أن هناك تراخياً في الزمن للانتقال بين طوري النطفة غير المخصبة والعلقة، استعمل حرف العطف «ثم».

وقد استعمل حرف العطف «ف» للانتقال بين طور العلقة وطور التخلق (طور المضغة)، وللانتقال بين طور التخلق ومرحلة التسوية للأسباب التي ذكرناها في النص القرآني الثاني، والنص القرآني الثالث.

كذلك استعمل حرف العطف «ف» للانتقال بين مرحلة التسوية، وطور الإذكار أو الإيناث، وذلك للتداخل بين أحداث الطور، وأحداث المرحلة، ولتواصل عمليات التميز فيهما.

فطور الإذكار أو الإيناث قد ابتدأ في مرحلة التسوية، غير أن التميز الجنسي لم يظهر على الجنين بعد، وذلك لأن التميز كان داخلياً.

والتميز الداخلي يبدأ بتميز غُدّتَيْ التناسل على شكل خصيتين. فتحت وطأة الصبغي (ص Y) تتميز (الخيوط الأولية الجنسية PRIMARY SEX CORDS) (كقنيات منوية SEMINIFEROUS TUBULES) ويكون ذلك في الأسبوع السابع[1]، (أي في طور العظام)، غير أن الأعضاء التناسلية الخارجية تظل متشابهة تماماً إلى الأسبوع التاسع، أي إلى نهاية مرحلة التسوية، ومن ثم يبدأ التميز الخارجي التدريجي إلى أن يصبح واضحاً تماماً في الأسبوع الثاني عشر.

ولتواصل عمليات الإذكار أو الإيناث، ولتداخل أحداث مرحلة التسوية وطور التميز الجنسي، استعمل حرف العطف «ف». فالجنين أصبح داخلياً ذكراً أو أنثى قبل نهاية مرحلة التسوية، ولكن لم تظهر عليه علامات التميز الجنسي إلا بعد هذه المدة.

غير أنه من الجدير بالذكر أن التمايز الخارجي بطيء نسبياً، إذا ما قارناه بفترات الانتقال الأخرى (مثل الانتقال من طور العلقة إلى طور المضغة، والانتقال من طور المضغة إلى طور العظام... إلخ).

تنبيه:

قد يتساءل قارئ الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ﴾ [الحج: 5] لماذا ورد حرف العطف «ثم» بين مختلف الأطوار مع العلم أن النص

(1) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص 273 - 274.

القرآني الآخر قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: 12-14] فأورد بين الأطوار حرف العطف «الفاء»؟.

قبل أن نلقي الضوء على هذا الأمر نود الإشارة إلى أنه ليس هناك فرق كبير بين النصين، فالأطوار المذكورة في الآية رقم 5 من سورة الحج هي ثلاثة أطوار فقط، وهذه جاء ذكرها في سورة المؤمنون. والمتأمّل في كلا النصّين يرى الاختلاف في طور المضغة فقط، وذلك أن طور النطفة وطور العلقة عطفا على ما قبلهما في كلا النصّين بحرف «ثم». ولكن ما يميّز آية سورة الحج هو أن طور المضغة عطف فيها بحرف العطف «ثم» على خلاف ما جيء به في سورة المؤمنون، حيث عطف بحرف «الفاء».

وليس هناك أي تعارض بين الأمرين لا في الأسلوب السياقي ولا في المعنى المتضمن لكلا الحرفين «ثم» و«الفاء».

فالناظر المدقّق لسياق الكلام القرآني في الآية التي تركز على استخدام حرف العطف «ثم» في الأطوار - ولا سيّما طور المضغة - يفهم أنها تظهر موضوعاً معيناً، وهو موضوع النظر والتأمل في حالة وجود شك ليوم البعث والآخرة. لأن هذا النظر سيؤديه إلى الإيمان بذلك بشرط الموضوعية في البحث.

والمتأمّل لا يمكن له أن يتسرع في نظره، لأنه قد يخطئ في النتائج إن هو أسرع.

ومن منهجية التأمل: التأني في النظر والتمهّل في الاستنتاج.

فالمطلوب في الآية هو النظر المتأني الذي يوصل إلى الإيمان بالبعث، فناسب ذكر «ثم» التي تفيد التراخي حتى يأخذ الباحث مهلة في الفكر والنظر إلى أن يصل للنتيجة.

وهكذا نحن مدعوون لأن ننظر إلى شكل الجنين في حالة المضغة، وإلى ما يحدث له من عمليات دقيقة من تخليق وعدم إتمام التخليق، ونطابق المعطيات القرآنية مع المعطيات العلمية كما جاء في الآية: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾. ونستنتج أن القرآن حق من عند الله تعالى وهذا يستوجب وقتاً، لذلك استعمل حرف العطف «ثم»، والله تعالى أعلم.

أضف إلى ذلك أن من وظائف حرف العطف «ثم»: توجيه الأنظار إلى صيرورة الطور، على عكس حرف العطف «ف» التي ترمي إلى ابتداء الطور، وبالتالي فعلينا أن ننظر إلى طور المضغة المذكور في سورة الحج إلى نهايته حتى يتضح لنا معناه جليًا، على عكس ما جيء به في سورة المؤمنون، حيث علينا أن نتفكر في معنى طور المضغة اعتباراً من بدايته ليستقر المعنى على أتم صورته.

ويشرح لنا الرضي وظيفة حرفي العطف «ثم» و«الفاء» قائلاً: «ثم اعلم أن إفادة الفاء للترتيب، لا ينافيها كون الثاني المترتب يحصل بتمامه في زمان طويل، إذا كان أول أجزائه متعاقباً لما تقدم، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝٦٣﴾ [الحج: 63]، فإن اخضرار الأرض يبتدئ بعد نزول المطر، لكن يتم في مدة ومهلة، فجيء بالفاء، نظراً إلى أنه لا فصل بين نزول المطر وابتداء الاخضرار، **ولو قال: ثم تصبح، نظراً إلى تمام الاخضرار**، جاز، وكذا قوله تعالى الأول: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: 13-14] **نظراً إلى تمام صيرورتها علقة**، ثم قال: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 14] **نظراً إلى ابتداء كل طور**، ثم قال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: 14] **إما نظراً إلى تمام الطور الأخير**، وإما استبعاداً لمرتبة هذا الطور، الذي فيه كمال الإنسانية، من الأطوار المتقدمة»[(1)].

فإذا اعتبرنا طور المضغة في بداية أيامه نرى أن الكتل البدنية تظهر خجولة في نهاية طور العلقة (حوالي اليوم الرابع والعشرين) حيث يكون عددها ما بين 4 إلى 12، ولكن سرعان ما تتضخم ويزداد أعدادها بسرعة ابتداء من اليوم الخامس والعشرين إلى اليوم الثلاثين (بداية طور المضغة)، حيث يرتفع عددها إلى ما بين 30 إلى 35، ومن ثمّ تخف وتيرة ظهورها حيث يكتمل عددها في تمام اليوم الخامس والثلاثين، فيصبح عددها حوالي اثنين وأربعين. ومن هنا نفهم لماذا جاء طور المضغة معطوفاً بحرف «الفاء» في سورة المؤمنون، نظراً لأن الفلقات التي تُضفي على الجنين مظهر المضغة يتركز ظهورها في بداية طور المضغة.

أما في سورة الحج، فقد جاء ذكر المضغة مع وصف لها ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ كما ذكرناه في مبحث «**المضغة/ الوصف الداخلي**»، وهذا يعني أن كلا

(1) شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ق2، م2، ص 1314.

الصفتين «مخلَّقة» و«غير مخلَّقة» لازمتان للمضغة، وبالتالي فالمظهر المشار إليه مقيَّد بتلك الصِّفتين، ولا يجب علينا أن ننظر إليه إلا من هذه الزاوية. وكما أشرنا إليه في مبحث «**الوصف الداخلي**» المذكور آنفاً: أن كلمة ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ تعني أن أعضاء المضغة تخلَّقت، ولكن لم يكتمل تخلّقها أو صورتها بعد. فإذا أمعنا النظر في هذه المرحلة، تبيَّن لنا أن أعضاء هذه المضغة كاليدين والرجلين والعينين، والأذنين، لا يبرز خلقها، ولا يظهر للعيان جليًا إلا في نهاية طور المضغة، أي في الأيام الخمسة الأخيرة منها، حيث يظهر الكأس الحويصلي النظري، ويتخلَّق هيكل الأذن الخارجي، وتتكوّن سوق الرجلين واليدين جيّداً. أما إذا نظرنا إلى بداية طور المضغة فهذه غير واضحة وغير متميِّزة للناظر المتأمِّل. (انظر الصورة رقم 119).







(A) (B) (C)

(119) - نرى في الصورة (A) كيف أن أعضاء الجنين في بداية مرحلة المضغة (26 يوما) غير بينة فلا نستطيع أن نصف بوضوح المضغة عندئذ بأن أعضاءها قد تخلقت؛ لأن اليدين والرجلين لا تكاد تظهر. أما في الصورة (B) فنرى بوضوح كيف أن العينين والأذنين والرجلين واليدين قد تخلقت وإن لم يكتمل نموها بعد في نهاية مرحلة المضغة (42 يوما) فنستطيع أن نصف المضغة عندئذ بأنها ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾. أما في الصورة (C) فنرى كيف أن أعضاء الجنين في نهاية مرحلة التسوية (56 يوما)، التي تلي المضغة، قد ترسمت، مما يشير إلى أن المراد من كلمة «غير مخلقة» هو عدم اكتمال تصوير المضغة، لأن أعضاء الجنين يكتمل تصويرها بعد مرحلة المضغة.

والدليل على أن الآية تريد أن نصرف أنظارنا إلى نهاية طور المضغة هو: أن تمام التخلّق أو ترسيمه أو تصوّره عليه أن يتبع منطقياً التخلّق غير المكتمل. وبما أن تصوير وتسوية الجنين لا يكون إلا بعد اثنين وأربعين يوماً، أي بعد المرحلة التي تلي مرحلة المضغة وفق الحديث: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً، فصورها **وخلق** سمعها وبصرها وجلدها **ولحمها** وعظامها، ثم **قال**: **يا رب**: **أذكر أم أنثى**؟» [أخرجه مسلم ح45]، فبالتالي نفهم أن تخلّق الجنين يجب أن يكون وصل في نهاية طور المضغة إلى أقصى درجات التخلق التي تسبق ابتداء عملية التصوير، ومن هنا ساغ ذكر حرف العطف «ثم» في الآية رقم 5 من سورة الحج. ومن هنا توافق معنى الحديث المذكور آنفاً، ومعنى نص سورة الحج، ووظيفة حرف العطف «ثم»، مع العلم الكوني والمنطق ليدلّ ذلك كلّه على أن آية سورة الحج تفصح بدقّة متناهية عن حقائق علمية غيبية، من المستحيل أن يعلمها إنسان في بيئة أمّية إلا من خلال بحوث متتالية باستعانة أدق الوسائل العلمية، أو بوحي من الذي خلق الجسد الذي تصفه الآية.

كذلك كلما دقّقنا في صياغة آية سورة الحج تبيّن لنا الحكمة من وراء ذكر حرف العطف «ثم» في هذه الآية وعدم ذكره في آية سورة المؤمنون، فالآية ذكرت «إقرار الجنين» بعد ذكر المضغة، وكما نعلم من مبحث «**الإقرار**» فإن ثبات الجنين في الرحم لا يكون إلا بعد مرور الفترة الحرجة من تخلّق أعضاء الجنين، (أي في نهاية فترة المضغة)، ولو جاء ذكر إقرار الجنين في آية سورة المؤمنون بدلاً من آية سورة الحج مع وجود حرف العطف «ف» فيها لصرفت أنظار القارئين إلى بداية تخلّق المضغة، وخصوصاً أن وظيفة حرف العطف «الواو» الذي قرن بين طور المضغة وظاهرة الإقرار في قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ [الحج: 5] لا تدل على التعقيب، وبالتالي لما صح ذكر إقرار الجنين في هذا المقام لأن احتمال إجهاض الجنين عالٍ في بداية فترة المضغة.

ولو أبدلنا حرف العطف «الفاء» بحرف «ثم» لما استقام معنى آية سورة الحج بتمامه. ومن هنا نفهم أنه كان لا بد من ذكر حرف العطف «ثم» في هذا المقام، وإنه لمن الإعجاز أن يحدّد الرسول ﷺ بوحي من الله تعالى الوقت الزمني لبروز أعضاء المضغة في مرحلة ضيّقة نسبياً (أسبوعين ونصف)، ويحدّد وصفها بشكل دقيق (أي بالمخلّق وغير المخلّق)، فازداد الإعجاز إعجازاً، وازداد النور نوراً، وازدادت الدقّة دقّة. حتى إنه كان باستطاعتنا أن نقول: إن القرآن الكريم يمكن أن يكون دليلاً مفصّلاً لطلاب الجامعات المتخصّصين في مجال «علم تخلّق الإنسان» لولا أن الله

تعالى حدّد لنا أن القرآن أنزل للذكر كما جاء في الآية: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: 17]، وليس كمادة دراسة تدرّس في جامعات الطب، وما هنالك من أقسام للدراسة، فيا سبحان الله!!!.

فائدة:

نلاحظ في الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: 67] أن الله تعالى ذكر طوري النطفة والعلقة دون ذكر بقيّة أطوار الجنين، فما الحكمة من وراء ذلك؟ والحال - كما يظهر لنا - أن هذه الآية لا تضيف معلومات علمية جديدة إلى جانب المعلومات التي أشارت إليها النصوص القرآنية التي ذكرناها سابقاً في هذا البحث.

والجواب - وبالله التوفيق -: أن المقام يقتضي أن لا تذكر بقية الأطوار الجنينية، وذلك أن الآية تركّز على إبراز مختلف المراحل الأساسية التي يمر بها الإنسان - وليس المراحل التي يمر بها الجنين -، وبالتالي فلا حاجة لذكر الأطوار الجنينية، باستثناء طور العلقة الذي يمثّل بداية مرحلة تركيب جسد الجنين.

وهكذا فإن الأطوار الإنسانية تتلخص بذكر مرحلة التراب، ومرحلة النطفة، ومرحلة الجنين (من خلال ذكر مرحلة العلقة)، ومرحلة الطفولة، ومرحلة الشباب، ومرحلة الشيخوخة، والموت، كمراحل مميّزة يمر بها الإنسان، تشكّل كل منها منعطفاً أساسياً لحياته.

وبما أن موضوع الآية يركّز على ذكر الأطوار الإنسانية، وهذه المراحل متباعدة، فإن الأمر يقتضي ذكر حرف العطف «ثم»، الذي يفيد الترتيب والتراخي، بحيث تتلاءم صياغة الآية مع موضوعها.

فإذا تقرّر ذلك، فهمنا أن وظيفة هذا الحرف لا تنسجم مع ذكر بقيّة الأطوار الجنينية التي تتعاقب بشكل متسارع.

ولهذين السببين: التركيز على المراحل الإنسانية، واستعمال حرف العطف «ثم»، كان لا بد من الاكتفاء بذكر طور العلقة، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على حبك ودقة صياغة النصوص القرآنية.

اجتهاد غير مصيب

ذهب أكثر العلماء(1) إلى أن نفخ الروح في الجنين يتم بعد فترة مئة وعشرين يوماً، واستدلوا بظاهر حديث البخاري الذي ينص: عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ - وهو الصادق المصدوق - قال: «إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح» [أخرجه البخاري ح 146].

وفسروه بأن جمع الخلق يكون في أربعين يوماً، وأن مرحلة العلقة تكون في الأربعين الثانية، وأن مرحلة المضغة بعد العلقة تكون في الأربعين الثالثة، ثم ينفخ الروح بواسطة الملك بعد الأربعين الثالثة التي هي مئة وعشرون يوماً.

فجعل هؤلاء العلماء عبارة «مثل ذلك» في الحديث تعود إلى «أربعين يوماً» كأنه قيل: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة أربعين يوماً، ثم يكون مضغة أربعين يوماً، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح. . . ، فعندها تكون كل مرحلة من المراحل الثلاثة عند من قال بها (الجمع - والعلقة - والمضغة) أربعين يوماً.

والأمر نفسه في تفسير حديث مسلم: قال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه

(1) قال ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري - كتاب القدر - رقم الحديث 6594 - (ج11/ ص484): «اتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر». وكذا ذكر النووي في شرح مسلم - كتاب القدر - باب كيفية الخلق الآدمي - رقم الحديث1 - (ج8/ ص448). والحقيقة أنه لم يكن هناك إجماع في هذه القضية. فقد خالف ابن الزملكاني المتوفى عام 651هـ جمهور العلماء في ذلك. ففي كتابه «البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن»، ص275. يظهر أن اسم الإشارة (مثل ذلك) لا يصح إعادته إلى الأربعين يوماً ولا إلى بطن الأم فيتعين أن يعود اسم الإشارة على جمع الخلق لا على الأربعينات. انظر كتاب «علم الأجنة في ضوء الكتاب والسنة» لرابطة العالم الإسلامي ص 150.

الروح ويؤمر بأربع كلمات . . . » [أخرجه مسلم ح43]، حيث يعود اسم الإشارة «في ذلك» إلى بطن الأم، و«مثل ذلك» إلى مدة الأربعين يوماً، كأنه قيل: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك البطن علقة أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك البطن مضغة أربعين يوماً ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات . . .

ومما ساهم في فهم الحديث على النحو الذي أشرنا إليه سابقاً هو: وظيفة حرف العطف «ثم»؛ الترتيب والتراخي، فتبعاً لوظيفتها على «العلقة» أن تتبع زمنياً «جمع الخلق»، وعلى «المضغة» أن تتبع «العلقة».

وهنالك اجتهاد آخر يخالف اجتهاد العلماء السابقين، وهذا لاحتمالية تفسير الحديث بعدة أوجه، فيعد هذا الحديث ظني الدلالة من حيث المفهوم.

فتفسير النص يكون أن جمع الخلق في أربعين يوماً، والعلقة يجتمع خلقها في تلك الأربعين، والمضغة أيضاً يجتمع خلقها في تلك الأربعين، فيكون جمع الخلق في مرحلتين: الأولى العلقة، والثانية المضغة، وكلاهما في أربعين يوماً.

وليس جمع الخلق هو مرحلة من المراحل الثلاثة كما قالها العلماء السابقون - رحمهم الله -.

ولكن الذي يتتبع معنى «يجمع خلقه» في اللغة العربية يظهر له أنها بمعنى: يُحكم ويُتقن[1]، فالبيان لهذا المعنى يعطي صورة واضحة لمعنى الحديث، حيث يغير مجريات تفسير الجمهور، ولا يُفسّرُ الحديث إلا من أطر اللغة العربية التي تحدد المعاني لكل النصوص القرآنية والحديثية.

(1) قال كمال الدين بن عبد الكريم الزملكاني في كتابه «البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن»، ص 275: «معنى يجمع في بطن أمه، أي يُحكم ويُتقن خلقه ويتمم من قولهم رجل جميع أي مجتمع الخلق» ويشهد لذلك ما ذكره ابن الأثير في جامع الأصول (رقم الحديث 8015 - ج10/ص482): «رجل جميع، أي مجتمع الخلق، قوي، لم يهرم ولم يضعف»، «وهو مذكور في حديث الشفاعة عند قول الحسن البصري: لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة». انظر فتح الباري - كتاب التوحيد - باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم - رقم الحديث 7510 - (ج13/ص474).
ولقد رأينا في مبحث «**المضغة**» أن «جمع الخلق» يشير إلى جمع خلايا الجنين عن تفرقة في أعضاء مختلفة في الجنين، لتجعل منه إنساناً متكاملاً من حيث المحتوى (وإن لم يكن بيّن المظهر لعامة الناس)، وهذا يعني أن الجنين يُحكم ويتكامل من حيث المبنى، وبالتالي فإن معنى «يحكم ويتقن» يتفق مع المعنى الظاهر لجملة «يجمع خلقه».

فالحديث يذكر الإتقان والإحكام في ابتدائه، ثم بعد ذلك ما يلبث إلا ويشرحهما بأنهما العلقة والمضغة.

فمعنى الحديث أن الجنين يجمع خلقه، أي يُتقن ويحكم في مدة أربعين يوماً، ثم بعد ذلك شرح الحديث هذا الجمع: ثم يكون علقة، ثم يكون مضغة.

ونظير ذلك في كلام العرب:

إن الإنسان يتغير في الدنيا مُدة عمره، ثم تشرح تغيُّره فتقول: ثم يكون رضيعاً، ثم فطيماً، ثم يافعاً، ثم شاباً، ثم كهلاً، ثم شيخاً، ثم هرماً، ثم يتوفاه الله بعد ذلك.

وذلك من باب ترتيب الاخبار عن أطوار الإنسان التي ينتقل فيها مُدّة بقائه في الدنيا.

وهكذا فإن وظيفة "ثم" هي ترتيب الاخبار عن أطوار الجنين، وليس الترتيب والتراخي بين الخبر قبلها والخبر بعدها، وذلك لوجود قرائن عديدة - إضافة إلى ما ذكرناه سابقاً - تفيد أن كلمة "ثم" لا تدل على ترتيب المخبر عنه في الحديث السابق الذكر.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأنعام: 153-154]، فمن المعلوم أن وصية الله لنا في القرآن جاءت بعد كتاب موسى عليه السلام.

وعلى هذا يكون معنى حديث ابن مسعود: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة (أي ثم يكون جمع خلق - أو إتقان - العلقة في ذلك العدد من الأيام وهو أربعون يوماً) مثل ذلك (أي مثلما اجتمع خلقكم في الأربعين)، ثم يكون في ذلك مضغة (أي ثم يكون جمع خلق - أو إحكام - المضغة في ذات الأربعين يوماً) مثل ذلك (أي مثلما اجتمع خلقكم في الأربعين)، ثم يُرسل إليه الملك ويُؤمر بأربع كلمات...

وهذا يعني أن العلقة والمضغة متساويتان في مسمى الإتقان والإحكام، لا في خصوصه، فهما محكمتا الخلق مثلما أن الإنسان محكم بعد الأربعين يوماً.

وعلى هذا فكلمة اسم الإشارة "في ذلك" في الحديث ترجع إلى العدد، أي

إلى ذات العدد الذي هو أربعون يوماً، وكلمة «مثل ذلك» في الحديث ترجع إلى جمع الخلق، فنصب «مثل ذلك» على المصدر، لا على الظرف.

والذي يدعم حجتنا (وهي أن اسم الإشارة «في ذلك» في الحديث ترجع إلى العدد)، هو ما ورد في أحاديث أخرى عن رسول الله ﷺ تثبت إرسال الملك الذي يؤمر بأربع كلمات ثم ينفخ فيه الروح بعد الأربعين، والأحاديث هي التالية:

1 - عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه - يبلغ به النبي ﷺ - قال: "يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة، فيقول يا رب: أشقي أو سعيد؟ فيكتبان، فيقول أيّ رب: أذكر أو أنثى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص". [أخرجه مسلم ح47]

2 - عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا ربّ: أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا ربّ: أجله؟ فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا ربّ: رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص" [أخرجه مسلم ح45]. وقد جاء في نسخة لفظ "ثلاث وأربعون" عوضاً عن ثنتين وأربعين.

3 - عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ بأذنيّ هاتين يقول: "إن النطفة تقع في الرَّحم أربعين ليلة ثم يتصوّر. . . " [أخرجه مسلم ح48].

4 - عن حذيفة بن أسيد صاحب رسول الله ﷺ - رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ -: «أن ملكاً موكلاً بالرحم إذا أراد الله أن يخلق شيئاً بإذن الله لبضع وأربعين ليلة. . . » [أخرجه مسلم ح49].

5 - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استقرت النطفة في الرَّحم أربعين يوماً أو أربعين ليلة بعث الله إليها ملكاً، فيقول: يا ربّ: ما رزقه؟ فيقال له . . . » [أخرجه أحمد 50].

فمن قال من العلماء إن إرسال الملك الذي يختص بكتابة الأجل والرزق والشقاء والسعادة ثم نفخ الروح يكون بعد مئة وعشرين يوماً. فقوله يُنقض بالأحاديث الصحيحة الدّالة على أن الإرسال يكون بعد الأربعين.

والدليل الفاصل الذي يثبت ما ذهبنا إليه، أن النص المجمل يبقى على إجماله حتى يأتي نص آخر مُبيِّن، فيحمل عليه وهذا حسب القواعد الأصولية.

وكلمة «مثل ذلك» في الحديث لفظ مجمل يحتمل أن يرجع إلى جمع الخلق، أو بطن الأم، أو أربعين يوماً.

فما الشيء الذي يبين ذلك؟

والقضية واضحة مثل الشمس، فإن حديث حذيفة: «إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا ربّ: أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك . . .» [أخرجه مسلم ح45] قد قطع كل احتمال وجعله احتمالاً واحداً لا يتعدد من خلال بيان هذا المجمل، حيث منع إعادة «مثل ذلك» إلى أربعين يوماً لأن النطفة والعلقة والمضغة لا تتعدى اثنين وأربعين يوماً كما هو النص عن حذيفة.

ويمتنع أيضاً إعادتها إلى بطن الأم، لأن تكراره في الحديث لا يفيد معنى جديداً، والتكرار إذا لم يفد معنى جديداً يكون حشواً في الكلام كما عند علماء البلاغة، وحديث رسول الله ﷺ بعيد عن ذلك، بل هو أفصح من نطق بالضاد، ويغدو التركيب غريباً عن العربية.

وإذا كان اسم الإشارة في الحديث لا يصح إعادته إلى الأربعين يوماً ولا إلى بطن الأم فيتعين - بناء على ذلك أن يعود اسم الإشارة «مثل ذلك» على جمع الخلق، لا على الأربعينات، وهو ما توصل إليه العالم ابن الزملكاني[1] في القرن السابع الهجري.

وتقوى حجّتنا من خلال النص القرآني الواضح الذي يَدلُّ على أن خلق العظام يكون بعد طور المضغة، يقول الله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا. . .﴾ [المؤمنون: 14] وخلق العظام ثابت في الحديث الشريف بعد اثنين وأربعين يوماً لما في صحيح مسلم: «إذا مرّ **بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة**، بعث الله إليها ملكاً فصورها، **وخلق سمعها** وبصرها وجلدها ولحمها **وعظامها** ثم قال: يا ربّ: أذكر أم أنثى؟. . .» [أخرجه مسلم ح45] فيتبين لنا أن المضغة نشأتها في مدة الأربعين يوماً كما هو مدلول النص القرآني، والحديث النبوي الشريف.

فاتجاهات النصوص الشرعية التي جعلناها دليلاً لمسألتنا تفسر نص البخاري

---

(1) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، لابن الزملكاني، ص275 .

في جمع الخلق على النحو الذي فسرناه، وإلا حدث التعارض البيّن بين النصوص، وشريعتنا منزهة عن مثل هذا التخبط.

ونعطي صورة توضح هذا التعارض: فمن فسّر حديث البخاري بأن جمع الخلق في الأربعين الأولى، والعلقة في الأربعين الثانية، والمضغة في الأربعين الثالثة، يجعل المضغة بعد ثمانين يوماً لأنها في الأربعين الثالثة.

فيلزم أن خلق العظام يكون بعد مئة وعشرين يوماً، أي: بعد انتهاء مدة المضغة التي تنتهي في الأربعين الثالثة.

وهذه معارضة صريحة لما في حديث مسلم أن خلق العظام يكون بعد الأربعين يوماً: «**إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة**، بعث الله إليها ملكاً فصورها، **وخلق** سمعها وبصرها وجلدها ولحمها **وعظامها**...» [**أخرجه** مسلم ح45].

وآخر مطافنا في الأدلة على هذه القضية، أن المجمل لا بد له من مسائل إيضاحية تُبيِّن المراحل في الإجمال.

فالمجمل له وسيلتان:

الوسيلة الأولى: هي وجود نص بيّن يُظهر الإجمال.

الوسيلة الثانية: وجود وسيلة علمية يقينية توضح هذا المجمل.

فالوسيلة الأولى قد ذكرناها في بحثنا هذا آنفاً، أما الوسيلة الثانية: فإن المعطيات العلمية اليقينية تثبت ما قلناه وتكشف الآلات الحديثة كل شيء عن الجنين من طريق مُصوّر منذ دخول النطفة الرحم إلى ولادة الطفل.

فالعلم أقرّ بأن هناك ثلاث مراحل أساسية تحدث في الأربعين الأولى: فالجنين يكون **نطفة** مؤلفة من خلايا في بادئ الأمر (إلى يوم السابع)، ومن ثم تجمع خلايا الجنين ضمن قرص جنيني داخل النطفة (ما بين اليوم السابع إلى اليوم الثالث عشر)، ومن ثمّ يتحول القرص الجنيني إلى **علقة**، وتخرج النطفة عن مظهرها (ما بين اليوم الخامس عشر إلى الرابع والعشرين)، ومن ثمّ تتحول العلقة إلى مضغة (ما بين الخامس والعشرين إلى الاثنين وأربعين يوماً تقريباً).

والمفهوم الأول للحديث الشريف الذي ينص على أن كل مرحلة من مراحل الجنين تحصل خلال أربعين يوماً يتعارض مع تلك الحقائق. فالجنين في اليوم العشرين أو الثلاثين أو التاسع والثلاثين، لا يمكن وصفه علمياً كقطرة ماء، ويختلف في شكله وحجمه عنها على وجه القطع، والجنين في اليوم الستين أو السبعين أو التاسع والسبعين، لا يمكن وصفه علمياً أنه على شكل الدودة التي تعيش في البرك

وتمتص الدماء، أو أنه يظهر على شكل قطعة دم رطبة وجامدة، حيث يكون الجنين في هذه الفترة قد تشكل وتطور وتمّ خلق جميع أعضائه، والجنين بعد اليوم الثمانين، وإلى اليوم المائة والعشرين، لا يمكن وصفه بحال بأنه مضغة لا شكل فيها ولا تخطيط، أو أنه مخلق وغير مخلق، حيث تكون جميع أجهزة الجنين قد تخلقت، والجنين نفسه في منتهى الحيوية والنشاط ويمارس جميع حركاته وانفعالاته.

ويتبين لنا من هذا التعليق أن العلم الحديث، الذي قفز قفزات نوعية، يطابق القرآن وحديث رسول الله ﷺ بشكل يقيني، ولا يمكن أن يتعارض معه، وبالتالي لا يمكن تجاهل الوسائل العلمية اليقينية لتبيان المجمل من النصوص الشرعية، إن أشكل علينا التوفيق بينها.

وبعد: فيتضح لنا أن الأحاديث الواردة متفقة على ذكر الأربعين، ولكن مختلفة في القدر ما بعد الأربعين ببعض الأيام، فهناك روايات تنص على أربعين وأخرى تنص على اثنين وأربعين وأخرى على ثلاث وأربعين وأخرى على خمسة وأربعين وأخرى تجمل هذا وتزيد فتنص على بضع وأربعين يوماً، ومعنى البضع من ثلاثة إلى تسعة في اللغة العربية، وهذا لا ينافي الناحية العلمية، لأنه من الطبيعي أن تختلف الأجنة ويختلف نموها، والعدد المذكور في النص انما هو تقريبي وليس للتحديد.

وبعد هذا البحث كله نصل إلى أن الفتوى التي تجيز إسقاط الجنين قبل مئة وعشرين يوماً لأن الملك لم ينفخ الروح في الجنين كلام غير صحيح، وأن إسقاط الجنين قبل مئة وعشرين يوماً وبعد أربعين يوماً يُعدّ قتل نفس لأن الملك يكون قد نفخ في الجنين الروح، والشريعة الإسلامية تمنع منعاً جازماً هذا الفعل لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ...﴾ [الإسراء: 33].

ويجب أن يصدر حكم من كل المؤتمرات الإسلامية والمجامع الفقهية ومن كل فقيه مجتهد مستقل، وكل مفتٍ رسمي بتحريم الإسقاط بتاتاً بعد مدة الأربعين وقبل مدة المئة وعشرين يوماً وبعدها، وأي تفريط من هذا الجانب يعدّ تفريطاً شرعياً كبيراً وخرقاً لحق الإنسان، واعتداء على الإنسانية جمعاء[1].

(1) وليس هذا فحسب، بل هناك مسائل كثيرة يمكن أن تدخل فيها هذه المسألة، ويتكرر النداء مرة أخرى لكل فقيه أن يتأمل ملياً في معطيات هذا العلم المكتشف لتصح فتواه، فإذا كانت الروح قد نفخت بعد أربعين يوماً فالجنين بعدها إنسان، تنطبق عليه جميع أحكام الإنسان الحي، فإذا سقط بعد الأربعين صلّي عليه، وإذا أسقط لزمت ديته، ويستحب - كما عند الجمهور أو يجب كما عند ابن حزم - دفع صدقة الفطر عنه جنيناً، إذا مرّ على حمله أربعون يوماً كما مرّ. إلى غير هذا من مسائل.

وأما الإسقاط قبل الأربعين فإنه وإن لم ينفخ في الجنين روح إلا أنه يعيش حياة نباتية وله القابلية لأن يصبح إنساناً حياً فيما بعد، ولذلك يكره إسقاطه.

وفي النهاية، نود التعليق على سؤال قد يسأله كثير من الناس، أدى إلى إحداث خطأ في فهم الحديث الذي رواه ابن مسعود ﷺ، وهو: لماذا لم يذكر الرسول ﷺ طور النطفة في هذا الحديث؟؛ فها هو طور "العلقة" مذكور، وها هو طور "المضغة" مذكور أيضاً، وطور "النطفة" يأتي "زمنياً" قبلهما، فلم لم يذكر رسول الله ﷺ ذلك الطور؟.

وقبل الإجابة على هذا السؤال، نشير إلى أن هذا التساؤل قد حمل بعض العلماء إلى الاعتقاد أن الحديث يتكلم عن طور "النطفة" لزوماً، وعن طور "العلقة" وطور "المضغة" نصاً، وقد أدى ذلك الفهم إلى إدراج كلمة "نطفة" في بعض الأحاديث جمعاً بين الأحاديث المختلفة التي تتكلم عن هذا الموضوع.

ولقد رأينا في هذا المبحث أن هذا الحديث يُفسّر على النحو التالي: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة (أي ثم يكون جمع خلق العلقة في ذلك العدد من الأيام وهو أربعون يوماً) مثل ذلك (أي مثلما اجتمع خلقكم في الأربعين)، ثم يكون في ذلك مضغة (أي ثم يكون جمع خلق المضغة في ذات الأربعين يوماً) مثل ذلك (أي مثلما اجتمع خلقكم في الأربعين)، ثم يُرسل إليه الملك، ويؤمر بأربع كلمات...

وهذا يعني أن الكلام هنا يدور حول موضوع "جمع الخلق".

وكما شاهدناه في أكثر من مرّة - والله أعلم -[1]، لا يذكر الرسول ﷺ في الحديث إلا ما لزم من الأطوار، ويبتعد عن ذكر الأطوار التي ليس لها صلة مباشرة بالموضوع المتناول، أو التي لا ينطبق عليها الوصف المذكور في الحديث، وبالتالي نؤمن أن الرسول ﷺ امتنع عن ذكر طور النطفة لأن معنى الحديث يقتضي عدم ذكر طور "النطفة"، والحديث: "إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك..." [أخرجه مسلم ح43] غايته ليست سرد وترتيب جميع الأطوار التي يمر بها الجنين، بل هي سرد وترتيب الأطوار التي تحدث فيها ظاهرة "جمع الخلق"، والمتتبع لمعنى "جمع الخلق"، يفهم لماذا لم يذكر الرسول ﷺ طور النطفة - والله أعلم -، وذلك للسبب التالي:

(1) انظر مبحث "إتمام الخلق".

إن "جمع خلق" الشيء يقتضي - كما رأينا آنفاً -، جمع خلايا الشيء المقصود في أعضاء مختلفة تعطي هذا الشيء الصورة التي نمليها عليها تسميته. وهذا شرط على الشيء أن يحققه، حتى يحق أن يُطلق عليه صفة "مجموع الخلق". فمثلاً: على خلايا "المضغة" أن تجتمع فيما بينها حتى تؤلف أعضاء جديدة لدى "المضغة" تعطيها صورة المضغة، فإن لم يكن هناك جمع للخلايا حتى تؤلف أعضاء مختلفة، لم يندرج هذا الطور تحت ظاهرة "جمع الخلق"، وكما رأينا فإن خلايا القرص الجنيني تنقسم، ومن ثمّ تتمايز وتجتمع ضمن فلقات هي بمثابة طلائع للعظام واللحم والجلد، مما يُعد جمعاً أوّلياً للخلايا التي ستعطي فيما بعد الأعضاء ضمن فلقات تُعطي الجنين مظهر "العلقة"، ولذلك يصْدق أن نقول عن العلقة: "مجموعة الخلق"، ومن ثَمّ تتكاثر تلك الفلقات، وتتفكك وتهاجر خلاياها تدريجياً، وتجتمع مؤلفةً الأيدي والأرجل وسائر الأعضاء على صورة براعم أولية دون أن يفقد الجنين مظهر الفلقات، فتجتمع الخلايا من خلال هذه العمليات ضمن أعضاء مختلفة، مُكسبةً "العلقة" صورة "المضغة المخلقة وغير المخلقة". فيحق عندئذ أن يندرج الطور الجديد ضمن ظاهرة "جمع الخلق".

وخلاصة القول:

أنه في هذين الطورين هناك خلق أعضاء عن طريق جمع خلايا، وصور جديدة مُحْدثة وفق هذا الجمع.

أما في حال نطفة الأمشاج، فليس هناك جمع خلايا يؤدي إلى نشوء أعضاء جديدة لدى النطفة تُضْفي عليها صورة النطفة، بل هناك تكاثر للخلايا في اتجاهات مختلفة، لا يؤدي في هذه المرحلة إلى تخلق أعضاء تعطيها صورة النطفة. وجمع الخلايا إلى قسمين الذي حصل داخل غلاف النطفة في نهاية طورها لم يؤدِّ إلى جمع أعضاء للنطفة، بل أدى إلى جمع شيء جديد: الجنين.

وهذا إعجاز رائع يدل على مدى دقة صياغة الأحاديث الشريفة، حيث إنها تحتوي على ما يلزم من المفردات، مما يجعل معنى الحديث يتطابق بتفاصيله مع المعطيات العلمية اليقينية.

رعاية الخلق: الرضاعة

يعتبر هذا البحث متمماً لبحث الحضانة الرحمية لأن الرضاعة لها علاقة وثيقة بعلم الوراثة الذي من شأنه أن يؤثر في التكوين الإنساني، ولها ارتباط بالنمو الجسمي للإنسان، وهذا النمو هو امتداد طبيعي لتخلق المولود، فبعد أن تحدثنا عن الحضانة الرحمية نتحدث في هذا البحث عن الحضانة الخارجية، ألا وهي: الرضاعة.

والإسلام أعطى أهمية كبرى لهذا الموضوع، فإنه أمر الأم أن ترضع ولدها من لبنها لما يحتوي من غذاء لا يماثله أي غذاء آخر.

وهذه جملة آيات تشير إلى موضوع الرضاعة:

● قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ...﴾ [البقرة: 233].

● قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق: 6].

● قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ...﴾ [البقرة: 233].

1 نظام الرضاعة وتغذية الطفل كما أقره الشرع الإسلامي:

لقد عرف استخدام لبن البقر في تغذية الطفل ونظام المرضعة[1] من قديم الزمان، وقد اشتهرت تلك الظاهرة منذ العهد اليوناني حيث كانت النساء تعطي أطفالهن للعبيد لترضع المولود الجديد لفترة من الزمن، ومن ثمّ كانت تعتمد على لبن الأبقار في تغذية الطفل.

وقد ظلّ نظام المرضع رائجاً حتى نهاية القرن الثامن عشر، ومن ثمّ بدأ بالتراجع إلى وقتنا الحالي بالرغم من التحقق من أهمية لبن الثدي إلا أن المسلمين في العالم المعاصر ما زالوا يفضلون الإرضاع من الأم اتّباعاً لأمر دينهم.

(1) ونظام المرضعة هو أن يعهد المولود إلى امرأة غير الأم لترضعه مقابل أجر يدفع لها.

وقد أدى هذا الحدث إلى ابتداع بنوك اللبن الإنساني في بعض أنحاء المدن الكبرى وكان أولها في بوسطن عام 1910م.

أما الاعتماد على لبن الحيوانات فقد اتخذ منحى آخر بعد أن فحص ميكروسكوبياً وبعد أن اكتشف أنه يختلف عن لبن الثدي في تكوينه الكيمياتي.

وقد حمل هذا الاكتشاف مصانع اللبن إلى إجراء تعديلات على لبن الأبقار لتقريبه من اللبن الإنساني وترويجه في الأسواق.

وفي خطوة لاحقة تم تجفيف لبن الأبقار وطرحه في الأسواق، وقد واجهت هذه الخطوة مشكلات متعددة فأدخلت تعديلات إضافية على اللبن المجفف.

وقبل عهد الوحي كان نظام المرضعات رائجاً أيضاً حتى إن الرسول ﷺ رضع من حليمة السعدية رضي الله عنها، وغيرها.

وكان من شأن الشارع أن يثبت الأخلاق والعادات الحميدة التي لها أثر إيجابي على المجتمع، وأن يحرم الأخلاق والعادات التي تلحق الضرر على المجتمع.

ومن العادات التي أقر بها الشرع وحث عليها هي الرضاعة الطبيعية سواء كانت من المرأة التي وضعت المولود، أو من امرأة أخرى تستطيع إرضاع المولود الجديد مع إعطاء الأولوية للأم في الرضاعة[1].

وقد أوصى الله ﷻ **الأمهات** بإرضاع أطفالهن مدة سنتين ابتداء من ولادته لمن أراد إتمام الرضاعة في الآية الكريمة: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة:233].

وفي حال وجود عسرات على إرضاع الأم لطفلها فقد حث الشارع على إرضاع الطفل من ثدي امرأة أخرى في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق:6]. فالإسلام يضع الأولوية في الإرضاع للأم، فإذا حدث ما يعيق إرضاعها اختارت امرأة مناسبة لإرضاع ولدها، وهذا بخلاف ما اعتاده العرب، فإنهم كانوا يرسلون المولود إلى البادية إلى مرضعة ترضعه وتهتم به، ويفضلون لبنها على لبن أم المولود، لأن ذلك يكون عند المولود النجابة والفصاحة. فقد جاء في السيرة النبوية[2]: "ثم التمس عبد المطلب لرسول الله ﷺ المراضع **على عادة أهل مكة،**

(1) وقد جعل الإسلام نظاماً خاصاً في موضوع الرضاعة، ورتب أحكاماً عليها، وسنتكلم عنها في الأبحاث عن الرضاعة التي ستلي – إن شاء الله

(2) كتاب مختصر الجامع في السيرة النبوية، سميرة الزايد، (ج1/ ص109).

الذين كانوا يؤثرون إذا ولد لهم ولد أن يلتمسوا له مرضعة من البادية، ليكون أنجب للولد وأفصح له".

وفي حال ضاقت السبل على الرضاعة الطبيعية فعلى الأسرة المسلمة أن تنظر في حالة الرضيع، وتبحث في إمكانية إرضاعه من مصادر أخرى إن رأت أن تلك الخطوة لا تلحق الضرر به كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: 233].

يقول ابن كثير رحمه الله[1] في تفسير الآية المذكورة سابقاً: "فإن اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين، ورأيا في ذلك مصلحة له، وتشاورا في ذلك، وأجمعا عليه، فلا جناح عليهما في ذلك... وهذا فيه احتياط للطفل...".

وهكذا فقد أعطى الشارع أولوية الإرضاع للأم، وأرسى أن البديل للرضاعة من الأم هو الرضاعة من امرأة أجنبية، وفي حال ضاقت السبل المذكورة على رضاعة الطفل من النساء فقد سمح الله تعالى للأم أن تغذي طفلها من مصادرغير إنسانية مثل لبن الأبقار، إذا لم تلحق تلك الخطوة الضرر بالمولود.

وهذا البحث قد لا يدلل على معجزة علمية إلا أنه يشير إلى أن النظام الإسلامي في غذاء الأطفال من جهة الإرضاع هو أفضل الأنظمة، وجاء الطب الحديث يثبت هذه القضية.

ومن المعلوم أن المجتمعات الغربية قد اتجهت إلى تبديل نظام الإرضاع من لبن الأم إلى نظام إرضاع اللبن المجفف، وبعد أن نتج من ذلك آثار سيئة متحققة من خلال الأبحاث اليقينية، غيرت اتجاهها، وتحاول الآن الرجوع إلى الطبيعة، وإلى ما فطر الله عليه الإنسان من استخدام إمكانيات ذاتية وإنسانية وهي الإرضاع من الأم.

وفي هذا البحث سوف نتحدث عن الأسباب التي تعطي أفضلية الإرضاع للأم، وعن الفرق بين لبن الأبقار واللبن الإنساني من الناحية الكيميائية، والآثار التي تترتب من اتخاذ تلك الخطوات.

2 - أفضلية الرضاعة من الأم على الرضاعة من المرضعات:

الآيتان اللتان تعطيان أفضلية الرضاعة من الأم على الرضاعة من المرضعات هما:

---

(1) تفسير ابن كثير - (ج1/ ص284).

● قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ...﴾ [البقرة: 233].

● قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق: 6].

وتفضيل رضاعة الأم على الرضاعة من النساء الأخريات ينبع من أن اللبن الإنساني يختلف بين امرأة وأخرى[1]، وهذا الاختلاف شأنه أن يكون مناسباً لحاجات الرضيع، وبالتالي فإن ثدي الأم هو الكفيل الوحيد لرضاعة متكاملة.

وهناك جانب آخر يضاف إلى الجانب الكيمياني قلّما يتحدث عنه الناس، وهو الجانب العاطفي للرضاعة، فمن العوامل التي تساعد على النمو السليم للطفل العامل السيكولوجي (النفساني)، فهذا من شأنه أن يساعد على التوازن العاطفي لدى الطفل، وبالتالي على نموه بنحوٍ أفضل.

والحديث التالي يلقي الضوء على هذا الأمر: «عن محمد بن كعب القرظي أن رسول الله ﷺ دخل على أسماء بنت أبي بكر الصديق حين وُلد عبد الله بن الزبير، فقال: أهو هو؟ أهو هو؟ فقيل: يا رسول الله: إن أسماء تركت رضاع عبد الله لما سمعتك تقول: أهو هو، فقال: أرضعيه ولو بماء عينيك...» [أخرجه ابن عساكر ج195].

والرضاعة من ماء العين متعذرة، وذلك لقلّة ماء العين وصعوبة التقاطه، ناهيك أن هذا الماء مالح ولا يتلذذ به الطفل. لذا يتوجب علينا أن لا نأخذ بظاهر الحديث، وأن نفسّره وفق الأدلّة اللغوية والعقلية.

وصياغة الحديث جاءت بصيغة المبالغة: «ولو...». وهذا يعني أن الرسول ﷺ يحثّ السيدة أسماء على إرضاع الصحابي عبد الله بن الزبير ﵁ حتى ولو اقتضى الأمر بوضعه على صدرها فقط. فالرضاعة من ثديها، والالتصاق الجسدي، وما يتبعه من نظرات متبادلة، يوطّد العلاقة بين الأم وطفلها فتشعر الأم بالسرور ويشعر الطفل بالطمأنينة.

فمن معاني «لو»: أن تكون للتقليل كما في «الجنى الداني في حروف

---

(1) كتاب (تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية INFANT FEEDING, THE PHYSIOLOGICAL BASIS, WHO)، ص 25 بتصرف.

المعاني"[1]، و"رصف المباني في شرح حروف المعاني"[2]، ومثّل على ذلك بقولهم: أعطِ المساكين ولو واحداً، وتأتي كذلك للمبالغة في هذا التقليل، كما في: "تاج العروس"[3]، وكما في الحديث: " عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ أَوْ أَصْغَرَ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ" [أخرجه ابن ماجه ح1108] الذي حثّ المؤمنين على إقامة المساجد حتى ولو كانت صغيرة جداً. جاء في شرح سنن ابن ماجه للسندي: (قوله: "كمفحص قطاة" هو موضعها الذي تخيم فيه وتبيض، لأنها تفحص عنه التراب، وهذا مذكور لإفادة المبالغة في الصغر، وإلا فأقل المسجد أن يكون موضعاً لصلاة واحد)، وهذا مثاله ما جاء في الحديث السالف الذكر، حيث بالغ في الأمر بالإرضاع، ولو بماء العينين الذي ليس بحليب، من باب المبالغة في الأمر بالإرضاع، وهذا أسلوب من أساليب العرب، في الحض على الأمر بالشيء، دون أن يقصدوا فعل ما جاء ظاهراً في الخطاب، وإنما المراد هنا أن يكون الإرضاع ولو بقطرة حليب، أو بوضع الطفل على مكان الإرضاع لتثبيت الأمومة بين الأم وطفلها.

وإليك آراء الاختصاصيين في مجال الرضاع:

يقول د. علي التنير: "يعتبر مدة فترة الرضاعة بالثدي إلى مدة تتراوح بين سنة ونصف وسنتين قاعدة في كثير من المجتمعات الريفية. فإذا كانت الرضاعة تستمر هذه الفترة الطويلة، فالأرجح أن يرجع ذلك إلى ما تضفيه هذه الفترة من السرور والرضا، وليس لمجرد أنها واجب مفروض. فالاستجابة النفسية للرضاعة، وما يصحبها من تمدد لحلمة الثدي والتقلصات الرحمية، تسبب إحساساً بالنشوة..."[4].

ويقول د. لارس هامبرغر: «هناك أيضاً فائدة عاطفية عظيمة [في الرضاعة]؛ لن تسنح للأم وطفلها فرصة أخرى يتعرفان فيها بعضهما على بعض، ويكونان علاقة متبادلة، مثلما يكون خلال الرضاعة»[5].

---

(1) الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، ص290.

(2) رصف المباني في شرح حروف المعاني، للمالقي، ص 292.

(3) تاج العروس للزبيدي، (ج10/ ص445).

(4) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 96.

(5) كتاب ولد طفل، لارس هامبرغر، ص 171.

وجاء في الوجيز في تغذية الأطفال والأولاد الصغار: «التغذية من الثدي تثبّت علاقة حميمة ومفرحة بين الأم وطفلها»[1].

ومن هنا نفهم لماذا أوصت النصوص الشرعية بأهمية إرضاع الأم لطفلها، وإعطائها الأفضلية في الإرضاع، ولهذا تعتبر التوصيات الإسلامية النموذج المثالي للاتباع.

3 - أفضلية اللبن الإنساني على اللبن الحيواني والمنتجات الصناعية:

والآية التي تتحدث (بطريقة غير مباشرة) عن أفضلية اللبن الإنساني على المصادر الأخرى هي:

● قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: 233]

وتفضيل اللبن الإنساني على اللبن الحيواني ينبع من:

أن الجهاز الهضمي للرضيع مهيأ لهضم وتمثيل لبن الأم.

فهذا الجهاز يملك كل الخمائر اللازمة لهضم لبن الأم، ومقادير هذه الخمائر مناسبة لمقادير الأحماض الأمينية الموجودة في لبن الأم.

أما لبن الأبقار فهو يحتوي على عدد من الأحماض الأمينية بمقادير تزيد من ثلاثة إلى أربعة أمثال مقادير ما في لبن الإنسان. (انظر الصورة رقم: 121 في الصفحات التالية).

والكثير من الخمائر اللازمة لتحليل الأحماض الأمينية المختلفة لا تكون موجودة بالصورة المطلوبة في الأطفال حديثي الولادة، وبذلك فإن الأطفال الذين يتغذون من لبن البقر قد يواجهون ارتفاعاً في نسبة الأحماض الأمينية بالدم[2]، وقد يؤدي ذلك إلى بعض أنواع القصور العقلي.

ومن المضاعفات السلبية لارتفاع نسبة البروتينات في لبن الأبقار على جسم الرضيع: أن هذه البروتينات تتجبن (تترسّب) بسرعة في معدة الرضيع بتأثير العصارة

(1) كتاب (الوجيز في تغذية الأطفال والأولاد الصغار، مارغرات كامرون وانجف هوفاندر MANUAL ON FEEDING INFANTS AND YOUNG CHILDREN, MARGARET CAMERON AND YNGVE HOFVANDER)، ص 84.

(2) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 109، بتصرف/ انظر أيضاً كتاب تغذية الطفل - الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية، ص 26.

المعدية لاحتواء هذا اللبن على نسبة عالية من مجموعة الكازين[1] مما يدفع الرضيع إلى القيء، بالإضافة إلى أن عدم امتصاصه يؤدي إلى تعفّنه وحدوث الإسهال[2]. (انظر الصورة رقم: 121 في الصفحات التالية).

إلى ذلك فإن المخ والجهاز العصبي يمران بتغييرات سريعة خلال سنوات الطفولة الأولى، والدهن مكون مهم من مكونات الجهاز العصبي والمخ النامي[3]، واللاكتوز ضروري لبناء (دهن اللبن GALACTOLIPIDIS) في المخ النامي[4]، ولبن الإنسان يختلف عن ألبان غالبية الثدييات الأخرى في أنّ تركيز اللاكتوز به أعلى[5]. وعليه فإن تناول لبن الأبقار والحيوانات الأخرى الذي يحتوي على كمية منخفضة من اللاكتوز بالنسبة إلى لبن الأم قد يكون له أثر سلبي على صحة الطفل.

كذلك يتحلّل سكر اللاكتوز في أمعاء الرضيع إلى: سكر الجلوكوز وسكر الجالاكتوز. وسكر الجلوكوز يقوم بإمداد خلايا الجسم بالطاقة، كما أنه يساعد الكبد على التخلص من السموم، وهو أيضاً ضروري لإتمام حرق المواد الدهنية، وكذلك لتكوين الأحماض الأمينية التي تتكون منها البروتينات[6].

إضافة إلى ما ذكرناه فإن الدهن الموجود في لبن الأم يختلف عن الدهن الموجود في لبن الأبقار؛ فعلى سبيل المثال: يتكون أكثرية الدهن الموجود في لبن الأم من الدهن ذات السلسلة الطويلة غير المشبعة، أما دهن لبن الأبقار فهو يحتوي أكثر على الدهن ذات السلسلة القصيرة أو المتوسطة المشبعة (مع أن أكثر الدهن الموجود في لبن الأبقار من النوع ذات السلسلة الطويلة)[7]، وطبيعة الدهن في جسم

(1) يؤلف الكازين 82٪ من إجمالي بروتينات اللبن البقري، بينما يؤلف 40٪ فقط من بروتينات اللبن البشري (مجلة الإعجاز العلمي، العدد 13، ص 10).

(2) الرضاعة والفطام في الطب والقرآن، د. محمد كمال عبد العزيز، ص 31.

(3) تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية، ص 27 وص 74، بتصرف.

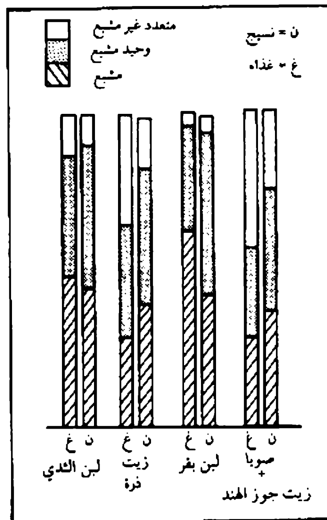
(4) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص141، بتصرف/ انظر أيضاً كتاب تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية ص 27، بتصرف.

(5) كتاب تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية، ص 27، بتصرف.

(6) الرضاعة والفطام في الطب والقرآن، د. محمد كمال عبد العزيز، ص 31.

(7) إن دهن اللبن الإنساني طويل السلسلة يتكون بنسبة 60 إلى 70 ٪ من الدهن غير المشبع، بينما 60٪ من لبن الأبقار هو من الصنف المشبع (كتاب تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية، ص74).

الرضيع تتوقف على نوعية الدهن في غذائه. وقد أوضحت عينة لنسيج عند فحصها ميكروسكوبياً تشابهاً كبيراً بين تكوين الأحماض الدهنية وأحماض الغذاء، وهكذا فإن مخزون الدهن لدى أطفال الرضاعة الطبيعية يختلف عن مخزون الدهن لدى الأطفال الذين يرضعون لبن الأبقار[1]. (انظر الصورة رقم: 120). وبما أن المخ النامي والجهاز العصبي يمران بتغييرات سريعة خلال السنوات الأولى، وبما أن الدهن مكون مهم من مكونات الجهاز العصبي فإن تناول لبن الأبقار أو أي لبن آخر يختلف في تركيبته الكيميائية عن لبن الأم قد يكون له آثار سلبية على صحة الطفل.



(120) - الرسم يبين لنا كيف أن مخزون الدهن في النسيج يتبع نوعية دهن الغذاء.

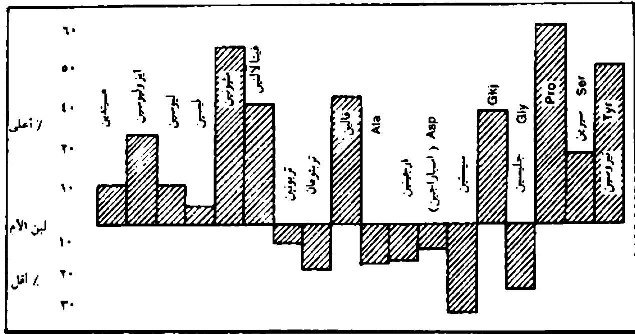
كذلك يحتوي لبن الأبقار على مواد معدنية مرتفعة يصعب على الطفل الرضيع استيعابها وتصريفها؛ مما يؤدي إلى ضمور وقصور في الكلى في حال تناولها الطفل الرضيع. (انظر الصورة رقم: 121).

(1) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص145 - 146، بتصرف.

(٨ - 121) - نرى جدولاً يبين الاختلاف بين لبن البقر ولبن الأم لجميع مركبات الحليب من بروتينات وماء وأحماض أمينية ومعادن وفيتامينات . . .

الجدول

التركيب	اللبن البشري	اللبن البقري
التركيب التقريبي لكل من اللبن البشري ولبن الأبقار		
ماء (مليلتر/١٠٠مليلتر)	٨٧.١	٨٧.٢
طاقة (كيلو كالوري/١٠٠مليلتر)	٧٥.٠	٦٦.٠
إجمالي المواد الصلبة (غم/١٠٠مليلتر)	١٢.٩	١٢.٨
بروتين (غم/١٠٠مليلتر)	١.١	٣.٥
دهن (غم/١٠٠مليلتر)	٤.٥	٣.٧
سكر اللبن (غم/١٠٠مليلتر)	٦.٨	٤.٩
رماد (غم/١٠٠مليلتر)	٠.٢	٠.٧
البروتينات (النسبة المئوية لإجمالي البروتينات)		
كازين	٤٠.٠	٨٢.٠
بروتينات مصل اللبن	٦٠.٠	١٨.٠
النيتروجين الخالي من البروتين (مليغرام/١٠٠مليلتر)		
النسبة المئوية لإجمالي النيتروجين	١٥.٠	٦.٠
الأحماض الأمينية الأساسية (مليغرام/١٠٠ مليلتر)		
هيستيدين	٢٢.٠	٩٥.٠
إيسوليوسين	٦٨.٠	٢٢٨.٠
ليوسين	١٠٠.٠	٣٥٠.٠
ليسين	٧٣.٠	٢٧٧.٠
مستيونين	٢٥.٠	٨٨.٠
فينيلالانين	٤٨.٠	١٧٢.٠
ثريونين	٥٠.٠	١٦٤.٠
تريبتوفان	١٨.٠	٤٩.٠
فالين	٧٠.٠	٢٤٥.٠
الأحماض الأمينية غير الأساسية		
أرجنين	٤٥.٠	١٢٩.٠
آلانين	٣٥.٠	٧٤٥.٠
الحامض الاسبارتيكي	١١٦.٠	١٦٦.٠
سيستين	٢٢.٠	٣٢.٠
حامض الغلوتامي	٢٣.٠	٦٨٠.٠
غليسين	٠.٠	١١.٠
برولين	٨٠.٠	٢٥٠.٠
سيرين	٦٩.٠	١٦٠.٠
تيروسين	٦١.٠	١٧٩.٠
المعادن الرئيسة في اللتر الواحد		
كالسيوم (مليغرام)	٣٤٠.٠	١١٦٠.٠
فوسفور (مليغرام)	١٤٠.٠	٩٢٠.٠
صوديوم	٧.٠	٢٢.٠
بوتاسيوم	١٣.٠	٣٥.٠
كلورايد	١١.٠	٢٩.٠
مغنزيوم (مليغرام)	٤٠.٠	١٢٠.٠
سلفر (مليغرام)	١٤٠.٠	٣٠٠.٠
معادن توجد بكميات قليلة جداً في اللتر الواحد		
كروم (ميكروغرام)	-	١٢.٨
منغنيز (ميكروغرام)	١٥,٧.٠	٤٠,٢٠
نحاس (ميكروغرام)	٤٠٠	٣٠٠
زنك (مليغرام)	٥,٣	٥,٣
أيودين (ميكروغرام)	٣٠	٢٠٠,١٠
سيلينيوم (ميكروغرام)	٥٠,١٣	٥٠,٥
حديد (مليغرام)	٠.٥	٠,٥
الفيتامينات في اللتر الواحد		
فيتامين أ (وحدة دولية)	١٨٩٨	١٦٩٠ _ ١٠٢٥
فيتامين (م.غ)	١٦٠	٤٤٠
ريبوفلافين (م.غ)	٣٦٠	١٧٥٠



(B 121) - مقارنة بين مقادير الأحماض الأمينية المختلفة في كل من لبن الأم ولبن البقرة. نرى في الرسم مدى الاختلاف النسبي بين الأحماض الأمينية الموجودة في اللبن البشري واللبن البقري. (منظمة التغذية والزراعة بالأمم المتحدة 1970م).

إضافة إلى ذلك فإن لبن الأم معقم، وهو غير معرض للبكتيريا الموجودة في الهواء، لأنه يخرج من ثدي الأم مباشرة إلى فم الرضيع، وهذا بخلاف حليب الأبقار أو الحليب الصناعي، فمهما عقمناه فإن الأواني المنزلية التي تستعمل لتحضيره، مهما كانت نظيفة، فهي معرضة للبكتيريا الموجودة في الهواء والماء التي قد تلوثها وتلوّث بالتالي حليب الأبقار. وقد حذرنا الرسول ﷺ من هذه البكتيريا التي تحدث الوباء في حديثه الشريف: «غطّوا الإناء وأوكوا السقاء، فإن في السَّنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمرّ بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه من ذلك الوباء» [أخرجه مسلم ح79]. وبذلك فقد سبق رسول الله ﷺ العالم (لوي باستور LOUIS PASTEUR (1822 - 1895م) الذي يُعتبر مؤسس (علم الميكروب MICROBIOLOGY)، والعالمان (روبرت هوك ROBERT HOOKE (1635 - 1703م)، و(أونتون لوفنهوك ANTON LEEUWENHOEK (1632 - 1723م) الذين راقبوا الأعضاء الميكروبية بواسطة العدسات المكبرة بألف وثلاثمائة عام تقريباً في التحدث عن الميكروب الذي يحدث الوباء.

من ناحية أخرى يحتوي لبن الثدي على أجسام مضادة مقاومة لكثير من الكائنات البكتيرية والفيروسية، وقد أوضحت كثير من الدراسات أن هذه الأجسام

المضادة تحصن الجهاز الرئوي والهضمي عند الأطفال، ومعظم هذه الأجسام هي من نوع: (آي جي آي IGA)[1].

إضافة إلى ذلك فإن لبن الثدي يحفز نظام المناعة لدى الطفل على التطور، وهو يحتوي على مواد تمنع الميكروبات من دخول جسم الطفل، وتُغيّر في الأجواء المعوية بحيث تقضي على البكتيريا المُضرة للطفل[2]، وتخفف من حالات الإسهال.

أما محاولات تكييف لبن الأبقار والحيوانات الأخرى التي تقوم بها مصانع اللبن لكي تلائم حاجات الرضيع فهي عملية تقريب فقط للإنتاج الطبيعي[3]. فألبان الثدييات هي ألبان معقدة جداً ومُركبة خاصة لتلبي احتياجات الأجناس المحددة[4]، ولا يمكن لأي عملية تكييف أن تحول لبناً من جنس آخر إلى لبن يوازي لبن الأم.

يمتص الأطفال الذين يرضعون من أمهاتهم الحديد بصورة أفضل من أولئك الذين يتغذون بألبان الأبقار، وذلك لوجود مادة لاكتوفرين في لبن المرضع، وهي مادة تساعد على امتصاص الحديد، كما أن في لبن الأم مادة بروتينية أخرى تتحد بالحديد وأجزاء من الخلايا، بحيث لا تترك الحديد حرًا في الأمعاء، وقد وجد أن الحديد الحر مهم لنمو بعض البكتيريا العدوانية، وبالتالي فإن حرمان هذه البكتيريا من الحديد يؤدي إلى إضعافها وسهولة القضاء عليها.

تؤدي التغذية بالألبان المجففة للمواليد إلى زيادة في عدد من الهرمونات في جسم الطفل مثل: الأنسولين والموتولين والنيوروتنسين، وهذه كلها لها علاقة بأمراض الاستقلاب التي تكثر عند من يغذون بألبان الأبقار، وتندر فيمن يرضعون[5].

ومن الكلام السابق نفهم أن أطفال الرضاعة الصناعية يختلفون حيوياً عن أطفال الرضاعة الطبيعية، ويحملون في دمهم أنماطاً مختلفة من الأحماض الدهنية، ويتغذون من مجموعة مختلفة من المواد الكربوهيدراتية والبروتين التي تدخل في صلبهم، وهم محرومون من عناصر المناعة المختلفة الموجودة في لبن الثدي. . . .

(1) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص160، بتصرف.
(2) كتاب تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية، ص 31 بتصرف.
(3) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص166، بتصرف.
(4) كتاب تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية، ص 25.
(5) مجلة الإعجاز العلمي، رابطة العالم الإسلامي، ص 25.

كذلك فإن أكبر المشكلات التي يعاني منها المجتمع الحضاري هي مشكلة البدانة.

ومع علمنا الأكيد أن هناك مُسبّباً وراثياً في هذه المشكلة، غير أن أحجام وأعداد خلايا الدهن التي تسبب البدانة تُحدد في الأشهر الأولى من حياة الطفل.

وكما نعلم فإن التركيب الكيميائي للبن الأم يتغير تدريجياً خلال عملية الإرضاع إلى أن يصبح غنياً بالدهن عند فراغ الثدي من الحليب، مما يدفع الطفل بعد إحساسه ببعض المرارة إلى التوقف عن الرضاعة والاكتفاء بما أعطي له من الحليب.

أما هذه الخاصية فهي غير متوفرة في الحليب الصناعي، لأن تركيبه الكيميائي ثابت لا يتغير، مما يدفع الطفل إلى طلب المزيد من الحليب الصناعي دون الشعور بالرغبة في التوقف عن الطعام مما يؤدي إلى زيادة حجم وأعداد خلايا الدهن عند الطفل، علماً أن هذه الخلايا ترافقه خلال باقي حياته وتزيد احتمال إصابته بالبدانة لاحقاً.

إن الشركات المُصنّعة للحليب الصناعي تحاول جاهدة الوصول إلى تركيبة صناعية شبيهة لحليب الأم، لكن التباين الكيميائي الذي ذكرناه آنفاً، إضافة إلى العلاقة النفسية التي تنشأ من التقام الرضيع ثدي أمه والتي تسبب إحساسه بالدفء والأمان، إذا ما قورن بحمل الطفل للقارورة الغريبة والباردة تجعل الوصول إلى تركيبة مثالية مشابهة لحليب الأم متعذراً مهما تقدمت التكنولوجيا وأساليب تصنيع اللبن.

إلى ذلك نسبة الوفيات بين الأطفال الذين يتغذون على لبن البقر أعلى من نسبة الوفيات بين الأطفال الذين يتغذون على لبن الأم[1]. (انظر الصورة رقم: 122).

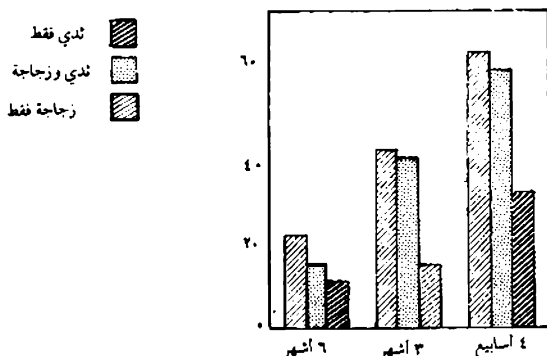
كما تشير مختلف المراجع الطبية إلى أن الأطفال الذين يتغذون على غير لبن الأم قد يعانون من أمراض كثيرة، مثل: (المرض البطني الجوفي CELIAC DISEASE)[2]، و(مرض السكري DIABETES)[3]، و(مرض المفاصل المبكر JUVENILE RHEUMATOID ARTHRITIS)[4]، و(مرض الورم اللمفاوي

(1) كتاب تغذية الطفل: الأسس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية، ص 3.

(2) GRECO ET AL. 1988;KELLY ET AL. 1989.

(3) MAYER ET AL. 1988; SCOTT. 1990

(4) MASON ET AL. 1995.



(122) - نسبة الوفيات بين الأطفال في سن 4 أسابيع، 3 أشهر، 6 أشهر بسبب نوع التغذية.

LYMPHOMA)[1]، و(المرض الجلدي ATOPIC DISEASE)[2]، و(مرض الالتهاب المعوي INFLAMMATORY BOWEL DISEASE)[3]، و(أمراض تصلب الأنسجة MULTIPLE SCLEROSIS)[4]، وأمراض أخرى...

وللأسباب التي ذكرناها آنفاً ولأسباب أخرى، فإن لبن الأم يعتبر المثال الأعلى لتغذية الطفل تغذية سليمة بالمقارنة مع تغذيته من مصادر أخرى، وهو لا يستعاض عنه إلا بلبن مثله كما تشير إليه الآية: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق: 6].

4 - المكونات الأساسية للبن:

● قال العليم الحكيم: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: 66][5].

(1) DAVIS ET AL. 1988

(2) SAARINEN AND KAJOSAARI, 1995.

(3) CALKINS AND MENDELOFF, 1986

(4) PISACANE ET AL., 1994.

(5) الآية وإن كانت في سياق ذكر الأنعام إلا أنه يقاس عليها الحالة الإنسانية لأن الإنسان من فصيلة الثدييات ولمزيد من التفاصيل انظر مبحث «معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة».

جاء في مقاييس اللغة[1]: "خلص، الخاء واللام والصاد أصل واحد مطّرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه".

وجاء في لسان العرب[2]: "**استخلص الشيء: كأخلصه**... قال الأزهري: سمعت العرب تقول لما يُخلص به السمنُ في البُرْمة من اللبن والماء والثُّفل: الخلاص، وذلك إذا ارْتجن واخْتلط اللبنُ بالزُّبد فيؤخذ تمرٌ أو دقيقٌ أو سويقٌ فيُطرح فيه **ليخْلُص** السمنُ من بقية اللبن المختلط به، وذلك الذي يخلص هو الخلاص، بكسر الخاء. وأما الخلاصة والخُلاصة فهو ما بقي في أسفل البُرْمة من الخلاص وغيره من ثُفْل أو لبنٍ وغيره. (قال) أبو الدقيش: الزُّبْدُ خلاصُ اللَّبن أي منه **يُستخلَص** أي **يُستخرج**".

ومن التفسير السابق نفهم أن اللبن يستخلص من بين فرث ودم.

والفرث هو بقايا الطعام في الجهاز الهضمي. جاء في المعجم الوسيط: "الفراثة: بقايا الطعام في الكرش. الفرث: الفراثة"[3]. وقياساً على ذلك نستطيع أن نشمل البكتيريا الموجودة في الأمعاء تحت اسم الفرث لأنها موجودة في الأمعاء، كما أن وجودها يعتمد على بقايا الطعام.

فإذا تحلّل الطعام جزئياً أو كلياً في الكرش لم يعد طعاماً، وأصبح بقية طعام، وبالتالي فإن الآية تشير إلى أن التحلّل شيء أساسي لكي يُستخرج اللبن من الطعام، وهذه ملاحظة مُلْفتة للنظر.

وهكذا فإن الآية تعني: نسقيكم مما في بطونه لبناً يستخلص من بين طعام متحلّل في الجهاز الهضمي ودم.

ولم يُصب معظم مفسّري القرآن الكريم - رضوان الله تعالى عليهم - حقيقة ما ترمي إليه الآية المذكورة أعلاه، فقد جانبوا الصواب في أمرين عند تفسيرهم الآية، (وذلك لعدم درايتهم بالعلم الكوني المحيط بظاهرة تكوين اللبن): ففي الأمر الأول اعتبروا أن اللبن يتولّد في مكان محدد في الجهاز الهضمي، وبالتالي إن هناك لفظاً محذوفاً في الآية تقديره: نسقيكم لبناً **يتولّد في مكان ما محدد**، وفي الأمر الثاني

(1) مقاييس اللغة، باب الخاء واللام وما يثلثهما، (ج2/ ص208).

(2) لسان العرب لابن منظور - مادة "خلص" - (ج4/ ص174).

(3) المعجم الوسيط - مادة "فرث" - (ج2/ ص678).

اعتبروا أن الوسطية التي تشير إليها كلمة «بين» حقيقية، أي: أن اللفظ «بين» يشير إلى مكان ما يقع بين الفرث والدم، وكأنّ الآية تعني: نسقيكم مما في بطونه لبناً يتكوّن في مكان ما يقع بين الفرث والدم، وهذا ينافي الحقيقة، وذلك أن اللبن والدم لا يتكوّنان في الكرش. وهذا ما أشار إليه الرازي في تفسيره قائلاً: "ولقائل أن يقول: الدم واللبن لا يتولدان البتّة في الكرش. والدليل عليه: الحس، فإن هذه الحيوانات تذبح ذبحاً متوالياً، وما رأى أحد في كرشها لا دماً ولا لبناً، ولو كان تولّد الدم واللبن في الكرش لوجب أن يشاهد ذلك في بعض الأحوال، والشيء الذي دلّت المشاهدة على فساده لم يجز المصير إليه»[1].

وبالتالي لا بد أن تكون الوسطية معنوية، ولهذا جاء في البحر المحيط: «والذي يظهر من لفظ الآية أنّ اللبن يكون وسطاً بين الفرث والدم، والبينية يحتمل أن تكون باعتبار المكانية حقيقة كما قاله المفسرون. وادعى الرازي أنه على خلاف الحس والمشاهدة، ويحتمل أن تكون البينية مجازية»[2]. والذي أكّد أن البينية مجازية هو الطاهر بن عاشور[3] في قوله: «وليس المراد أن اللبن يتميع بين طبقي فرث ودم، وإنما الذي أوهم ذلك من توهمه جملة (بين) على حقيقتها من ظرف المكان، وإنما هي تستعمل كثيراً في المكان المجازي، فيراد بها الوسط بين مرتبتين كقولهم: الشجاعة صفة بين التهور والجبن. فمن بلاغة القرآن هذا التعبير القريب للأفهام لكل طبيعة من الناس بحسب مبالغ علمهم مع كونه موافقاً للحقيقة". فإذا كانت الوسطية معنوية وجب عندئذ أن تعود كلمة «بين» لفعل الاستخراج حتى يستقيم المعنى، أو لكلام محذوف تقديره: لبناً **تتألف بعض أجزائه** من بين فرث ودم. في الحالة الأولى نفهم أن على عملية الاستخراج أن تحصل إما مناصفة من الفرث ومن الدم في آن واحد، وإما أن تكون عملية الاستخراج مؤلفةً من عمليتي استخراج ثانويتين تحصلان بالتتابع من الفرث ومن الدم. والحكم في هذه الحالة هو للحقيقة العلمية (وليس

---

(1) تفسير الرازي، (ج20/ ص232). وقد فصل الباحث يحيى بن محمد الفيفي في كتابه: "الطيبات من المطعومات في القرآن الكريم" هذه المسألة من كتب التفسير. وتعرض لأقوالهم وبين ما ذكرته سابقاً وأشار إلى كلام بعض المفسرين كالرازي والعز بن عبد السلام وابن عاشور الذي يوافق جزءاً كبيراً مما أشار إليه العلم الحديث.

انظر مبحث "توجيه الأنظار إلى التفكر في خلق الأنعام" من الرسالة الآنفة الذكر.

(2) البحر المحيط، (ج5/ ص510).

(3) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، تفسير آية رقم 66 من سورة البقرة.

للنظرية التي قد تُخطئ). فهي من الأدوات التي توضّح اللفظ المجمل الذي قد يُفسّر في أكثر من اتجاه. والحقيقة العلمية تشير (كما سنراه لاحقاً) أن اللبن يستخرج من الفرث أولاً ومن الدم ثانياً، وبالتالي فالوسطية المعنوية هنا هي أن الاستخراج يحصل على مرحلتين: من الفرث أولاً ومن الدم ثانياً كما أشارت إليه الآية القرآنية، حيث قدّمت لفظ «فرث» على لفظ «دم» للإشارة أن الوسط الأول الذي يُستخرج منه مكوّنات اللبن هو الطعام المتحلّل أو المهضوم، وأن الوسط الثاني هو الدم. ولذلك جاء في البحر المحيط: «ويحتمل أن تكون البينية مجازية، باعتبار تولده [أي تولد اللبن] من ما حصل في الفرث أولاً، وتولده من الدم الناشىء من لطيف ما كان في الفرث ثانياً»(1).

وتفصيل ذلك:

أن اللبن يتكوّن من عناصر كثيرة؛ كالبروتينات، والفيتامينات، والأملاح، والدهون التي تستخلص من الطعام المهضوم بعد امتصاصه من الأمعاء، والتي يتمّ نقلها إلى الثدي بواسطة الدم الذي يجري في الشرايين.

فاللبن يتكون إذن من مكونات تستخلص من الفرث ومن الدم على التوالي، مما يعني أن وظيفة «منْ» هي لابتداء الغاية في الأماكن في هذه الحالة، بحيث إنها تعني أن اللبن يستخلص من الفرث إلى الدم في المرحلة الأولى، ومن الدم إلى مكان آخر في المرحلة الثانية (وهو «الثدي» الذي جاء ذكره في الحديث الشريف: «لا يُحرّم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام» [أخرجه الترمذي ح56] وكما سنفصله لاحقاً).

ومن الجدير بالذكر أن الآية: ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا﴾ [النحل: 66] في قمة البلاغة، لأنه اختصر وصف عملية استخراج اللبن على العموم بعبارة وجيزة جداً، فلو أردنا أن نروي قصة تكوّن اللبن حسبما أورده القرآن الكريم لتوجب علينا أن نتفوّه بعبارة طويلة، مثل أن نقول: يستخرج اللبن من الطعام المتحلل في الكرش وينتقل منه إلى الدم، ومن ثمّ يستخرج من الدم وينتقل منه إلى مكان آخر.

وأما في الحالة الثانية: أي في حالة تقدير كلام محذوف: لبناً **تتألف معظم أجزائه** من بين فرث ودم، فنفهم أن معظم اللبن يتألّف وسطيّاً من أجزاء من الفرث ومن أجزاء من الدم، وكأن الآية تعني: نسقيكم مما في بطونه لبناً يتألف من بعض

(1) البحر المحيط - (ج5/ ص510).

الفرث ومن بعض الدم يستخلص منهم. . . ، وبالتالي فإن وظيفة "من" في هذه الحالة هي: للتبعيض للإشارة إلى بعض أجزاء الفرث وبعض أجزاء الدم، ووظيفة "بين" هي الوسطية المعنوية للإشارة إلى أن اللبن يتألف وسطياً من كلا الفرث واللبن. والحقيقة العلمية تشير إلى ذلك أيضاً حيث إن دهن اللبن على سبيل المثال يأتي في معظمه من الفرث في بادئ الأمر، وبالتالي فإن بعض اللبن هو جزء من الفرث، وبعض الأحماض الأمينية للبن تأتي من الدم، وبالتالي فإن بعض اللبن هو جزء من الدم[1].

ومن الجدير بالذكر أن المذهب الأول أقوى من المذهب الثاني، وذلك أنه لا يعيد لفظ «من بين» إلى كلام محذوف - يتألف -، ولكن إلى لفظ موجود في الآية - خالصاً - . واللفظ الذي تعود جذوره للحقيقة أولى أن نعتبره من اللفظ الذي تعود جذوره لكلام مقدّر. أضف إلى ذلك أن المكوّنات البسيطة أو البدائية التي يتكوّن منها مختلف أعضاء اللبن تأتي بادئ ذي بدء من الفرث قبل أن تنتقل إلى الدم (أو إلى أي عضو آخر) فالثدي.

ولمزيد من الإيضاح، سوف نلقي الضوء على المصادر التي يستقي منها اللبن مكوّناته، سواء أكان اللبن إنسانياً أم حيوانياً (فالآية تناولت في المقام الأول الأنعام، وسوف نرى في مبحث: «**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة**» أن القياس في هذا المجال وارد لأن الرسول ﷺ قايس بين الثدييات وبين الإنسان في أكثر من حالة)، فاللبن في معظمه يتكون من:

1 - الماء: تستخلص الغدد الثديية ماء اللبن كله من الدم[2].

---

(1) ومن الجدير بالذكر أن لفظ «بين» الذي جاء في النص القرآني: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝﴾ [الطارق: 6-7]، يشير إلى البينة الحقيقية بخلاف لفظ «بين» الذي يشير إلى البينية المعنوية والذي جاء في الآية: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ [النحل: 66]. فلفظ «بين» في الآية 7 من سورة الطارق يشير إلى أن الماء يخرج من مكان ما يقع حقيقة بين الصلب والترائب - من جسم (ولف WOLFF) -، بينما يشير لفظ «بين» في الآية 66 من سورة النحل إلى أن اللبن: إما أنه يخرج من خلال عملية وسطية معنوية من الفرث والدم، وإما أنه يتألف متصفة من الفرث والدم. أما لفظ «من» فهو لابتداء الغاية في الأماكن في حالتين: 1 - في الآية الأولى، حيث يشير إلى أن مكوّنات الماء تخرج من مكان يقع بين الصلب والترائب - جسم ولف - إلى المستودع - الخصية أو المبيض -. 2 - وفي الحالة الأولى من الآية الثانية، حيث يشير إلى أنه يخرج من الفرث إلى الدم، ومن ثم من الدم إلى مكان آخر. أما في الحالة الثانية من الآية الثانية فهو للتبعيضية، أي أن اللبن يتألف من بعض الفرث وبعض الدم.

(2) JELLIFFEE. D.B and JELLIFFE. E.F.P (1978). HUMAN MILK IN THE MODERN WORLD. PSYCHOSOCIAL. NUTRITIONAL AND ECONOMIC SIGNIFICANCE. OXFORD UNIVERSITY PRESS.

2 - السكريات: تتكون المواد الكربوهيدراتية الموجودة في اللبن في معظمها من سكر اللبن «اللاكتوز»، ويتكون سكر اللبن في غدة الثدي من الجلوكوز المستمد من الدم. وجلوكوز الدم (الذي هو مصدر سكر اللبن) هو في الأساس من محتويات الأمعاء قبل أن يتم امتصاصه، لذا فإن سكر اللبن مشتق من الفرث ومن الدم.

3 - البروتينات: تتكون بروتينات اللبن على العموم من أحماض أمينية أساسية وغير أساسية. وهذه البروتينات (كالكازين والبيتالكتوجلوبلين) تتكون «في الريبوسوم على (الشبكة الاندوبلاسمية ROUGH ENDOPLASMIC RETICULUM) [في غدد الثدي] وتشتق الأحماض الأمينية الأساسية لهذه العملية من الدم»[1]، بعد أن تأتي من الغذاء المتحلل (أي من الفرث)، أو بعد أن تتكون بواسطة البكتيريا في الأمعاء. وأما بالنسبة للأحماض الأمينية - غير الأساسية - فهي إما تتكون داخل أنسجة الجسم، وإما تتكون بواسطة البكتيريا الموجودة في الأمعاء، أو تستمد من الطعام المتحلل، ومن ثم تنتقل إلى الثدي بواسطة الدم على شكل أحماض أمينية أو بروتينات البلازما، أو تبنى في غدد الثدي بالاستفادة من وحدات الكربون الموجودة في الكربوهيدرات والأحماض الدهنية (والتي بدورها تشتق من الدم أو من الطعام المتحلل كما رأيناه سابقاً وكما سنراه فيما سيأتي) ومصادر الأحماض الأمينية.

وأما (بروتينات المناعة IMMUNOGLOBULINS) والألبومين فتنتقل من الدم إلى اللبن عبر غدة الثدي بدون أن تتعرض لأي تغيير.

وخلاصة القول: فإن الأحماض الأمينية التي تدخل في تكوين بروتينات اللبن تشتق من بروتينات الدم، أو تصنعها البكتيريا في الأمعاء، أو تستمد من الطعام المتحلل في الكرش، أو تستمد من أنسجة الجسم التي سبق وأن صنعتها من مكونات أتت بواسطة الدم من الغذاء المتحلل في الأمعاء، أو تقوم غدد الثدي بتصنيعها من مواد تؤخذ من الفرث أو الدم أو منهما معاً؛ أي أنها تأتي من الفرث (مباشرة أو غير مباشرة) أو من الدم، أو من كليهما معاً.

4 - الدهون: وتنقسم الدهون على العموم إلى دهون قصيرة السلسلة الكربونية، أو متوسطة السلسلة، أو طويلة السلسلة، ومشبعة أو غير مشبعة.

---

(1) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت لتقدم العلمي، ص 135.

والأحماض الذهنية قصيرة السلسلة توجد في نسب ضئيلة في لبن الحيوانات غير المجترة، ولا توجد في اللبن الإنساني، وهي غير موجودة في دهن الطعام، كذلك هو الحال بالنسبة إلى الأحماض الدهنية المتوسطة، فهي غير ذات أهمية، غير أننا سنتكلم عن نشأتها حرصاً منا على إزالة الشكوك في أن تكوّن الأحماض الذهنية على العموم يتأتى من الدم والفرث.

أما الأحماض الدهنية الطويلة السلسلة الكربونية (كحمض البلميتك PALMITIC ACID) فهي تكوّن نسبة كبيرة من الدهن في كل من لبن الإنسان والحيوان.

● الأحماض الذهنية القصيرة السلسلة: يتم إنتاج الأحماض الأمينية الذهنية القصيرة السلسلة الكربونية في غدد الثدي من (الخل ACETATE) المستمد من الدم، والذي يتكون ابتداءً في الأمعاء من جراء عملية التخمُّر المعوي للسكريات، والذي ينتقل مع الدورة الدموية إلى غدد الثدي، أو تتكوّن تلك الأحماض من (بيتاهيدروكسيديبوتيريت HYDROXYBUTYRATE - B)، أو من سكر الدم مباشرة.

● الأحماض الذهنية المتوسطة السلسلة: كثيراً ما تمتص عن طريق الدورة الدموية بدلاً من الليمفاويات عن طريق (الكيل CHYLE FORMATIEN)[1].

● الأحماض الدهنية الطويلة السلسلة: «يوجد الدهن في اللبن على شكل كريّات وتتكوّن كريّات الدهن أساساً من الجلسريدات الثلاثية... وتشير أدلة حديثة إلى أن أغلب الأحماض الدهنية طويلة السلسلة والمكوّنة في ثلاثي جليسريد اللبن، مشتقة من دهن الطعام وتنتقل خلال الدم إلى الثدي كجليسريد ثلاثي كيلوسات ميكرونية (مستحلب)»[2]. **وتفصيلاً**: تنتقل الأحماض الدهنية الطويلة السلسلة الكربونية من الطعام المتحلّل إلى الثدي بواسطة الدم، ويتم (تحليلها HYDROLYSIS) في غدد الثدي، وتحرير بذلك أحماضاً دهنية حرّة وجليسريدات جزئية، حيث تأخذها الغدد اللبنية ليعاد أسترتها بالجليسرول (الذي يصنع هو الآخر من الدم) على الشبكة الأندوبلاسمية لتكوين قطرات الدهن[3].

---

(1) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 144، ومجلة الإعجاز العلمي، العدد 13، ص12.

(2) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 143.

(3) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 143.

وهناك القليل من الأحماض الدهنية (كالحامض الأراشيدوني ARACHIDONIC ACID) التي تتكون في أنسجة الجسم، وتؤخذ مكوناتها من الفرث.

ومن الكلام السابق نفهم أن مكونات دهن اللبن تؤخذ من كل من الدم والفرث (مباشرة أو غير مباشرة).

5 - المعادن الرئيسية والثانوية: يوجد في اللبن البشري واللبن البقري من المعادن الرئيسية: (كالكالسيوم، والفسفور، والصوديوم، والبوتاسيوم كلورايد، والمغنيسيوم والكبريت)، والمعادن الثانوية: (كالزنك، والنحاس، والمنغنيز، والكروم، واليود، والحديد، والسيلينيوم).

أما الكالسيوم والفسفور فيستمدان من مخزون الجسم وخاصة من العظام[1]، وللعلم فإن الطعام المتحلل (الفرث) مصدر الكالسيوم والفسفور الموجودان في العظام، وأما (فسفور بروتين اللبن CASEIN P) فيأتي من الدم[2].

وفضلاً عن ذلك فإن المعادن الأخرى والمعادن ذات التركيز الضئيل في اللبن فتؤخذ مباشرة من الطعام المتحلل والماء[3].

6 - الفيتامينات: تستمد معظم الفيتامينات إما من الطعام، وإما تنتجها البكتيريا الموجودة في الأمعاء[4].

ومن الكلام السابق نفهم ما ترمي إليه الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل 66]. ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نورد تعليق الإمام فخر الدين الرازي الذي فهم أبعاد الآية الكريمة من خلال دلالاتها اللغوية حيث قال: «وأما نحن فنقول: المراد من الآية هو أن اللبن إنما يتولد من بعض أجزاء الدم، والدم إنما يتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث. وهي الأشياء المأكولة الحاصلة في الكرش. وهذا اللبن متولد من الأجزاء التي كانت حاصلة فيما بين الفرث أولاً، ثم كانت حاصلة فيما بين الدم ثانياً، فصفاها

---

(1) JELLIFFEE, D.B and JELLIFFE, E.F.P (1978) HUMAN MILK IN THE MODERN WORLD PSYCHOSOCIAL, NUTRITIONAL AND ECONOMIC SIGNIFICANCE, OXFORD UNIVERSITY PRESS.

(2) JELLIFFEE, D.B. and JELLIFFE, E.F.P (1978) HUMAN MILK IN THE MODERN WORLD PSYCHOSOCIAL, NUTRITIONAL AND ECONOMIC SIGNIFICANCE, OXFORD UNIVERSITY PRESS

(3) CAMPBELL, J.R and MARSHALL, R.T (1975) THE SCIENCE OF PROVIDING MILK FOR MAN. MC GRAW U HILL BOOK Co. N.Y

(4) FOMON, S.J. (1974) INFANT NUTRITION. (2nd Ed.) W.B SAUNDERS. PHILADELPHIA

الله عن تلك الأجزاء الكثيفة الغليظة، وخلق فيها الصفات التي باعتبارها صارت لبناً موافقاً لبدن الطفل"[1].

فسبحان من يقذف بالغيب من ألف وأربع مائة سنة مضت على لسان رجل أمي ﷺ، ليتيقّن العباد أن هذا الكلام من عند الله تعالى فيؤمنوا ويسلكوا طريق الهدى!.

5 - قيمة اللبن الغذائية لا يماثلها أي قيمة أخرى لأي غذاء آخر:

(قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ الطَّعامَ فَلْيقُلْ: «اللَّهُمَّ بارِكْ لَنا فيهِ وأَطْعِمْنا خيْرًا مِنْهُ، ومنْ سقاهُ اللَّهُ لَبناً فلْيقُلْ اللَّهُمَّ بارِكْ لنا فِيهِ وزِدْنا مِنْهُ»، وقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيس شيْءٌ يُجْزئُ مكَانَ الطَّعامِ والشَّرابِ غيْرُ اللَّبنِ). [أخرجه الترمذي ح105].

جاء في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي في تفسير الحديث رقم3455: «وفي رواية أبي داود: (إذا أكل أحدكم) قال المناوي: أي أراد أن يأكل، (طعاماً) أي غير لبن، (بارك لنا فيه) من البركة وهي زيادة الخير ونموه ودوامه، (وأطعمنا خيراً منه) من طعام الجنة أو أعم، (وزدنا منه) **ولا يقول خيراً منه لأنه ليس في الأطعمة خير منه**، (ليس شيء يجزئ) بضم الياء وكسر الزاي بعدها همز، أي يكفي في دفع الجوع والعطش معاً، (مكان الطعام والشراب) أي مكان جنس المأكول والمشروب وبدلهما، (غير اللبن) بالرفع على أنه بدل من الضمير في يجزئ".

نفهم من الحديث، وشرحه أن اللبن هو أكمل الأغذية من الناحية البيولوجية، حيث لا يوجد طعام له قيمة غذائية توازي قيمة اللبن الغذائية. ورغم أن اللبن ينقصه قليل من العناصر الغذائية، ولكن يعد أفضل من أي غذاء آخر منفرد من حيث قيمته الغذائية المرتفعة، وذلك لاحتوائه على المواد الغذائية الأساسية الضرورية التي لا يستغني عنها جسم الإنسان في جميع مراحل نموه وتطوره.

والمواد الغذائية الضرورية هي:

1 - البروتينات: ومن أهم فوائدها: بناء العضلات والأنسجة الجديدة.

2 - الكربوهيدرات: مثل النشويات، السكريات، وهي التي تمد الجسم بالحرارة والنشاط.

---

(1) تفسير الرازي، (ج20/ ص233).

3 - الدهون: التي تختزن في الأنسجة الحيّة وتمد الجسم بالحرارة.

4 - المعادن: وهي عناصر مهمة لتكوين العظام والأسنان، ولأداء وظائف الجسم الحيوية بانتظام.

5 - الفيتامينات: وهي مواد مهمّة للحياة والنمو والوقاية من كثير من الأمراض، وأيضاً هي مركبات تسمح بتمثيل مواد الغذاء الأخرى.

6 - الماء: الذي يعمل كمذيب وحامل للمواد الغذائية بالجسم.

و"يمد اللبن جسم الإنسان بمجموعة كبيرة جداً من هذه العناصر والمركبات الغذائية الحيوية المهمة. ويمكن إيجاز ذلك في النقاط التالية:

1 - يعد اللبن مورداً مهماً وجيداً للبروتينات ذات القيمة الغذائية المرتفعة، وتمد بروتينات اللبن جسم الإنسان بالأحماض الأمينية الأساسية - بمقادير وتركيزات مرتفعة - ذلك بالإضافة إلى أنه قد ثبت أن بروتينات اللبن غنية بالفسفور الذي يساعد على امتصاص الكالسيوم من القناة الهضمية، وبالتالي يستفيد الجسم من الكالسيوم، هذا علاوة على أن اللبن ذاته غني أيضاً بالكالسيوم، لذا فإن الأطفال والبالغين الذين يتناولون اللبن في غذائهم لا تظهر عليهم أعراض أمراض لين العظام والكساح أو ضعف تكوّن الأسنان.

2 توجد الأحماض الدهنية في اللبن بنسبة دقيقة جداً بحيث يسهل هضمها وتمثيلها في الجسم، ويحتوي دهن اللبن على كثير من المواد الحيوية المهمة مثل: الأحماض الدهنية الأساسية، والفيتامينات الذائبة في دهن اللبن، والمركبات الدهنية الفوسفاتية. كذلك تعتبر النسبة بين الدهن والسكر في اللبن مهمّة جداً؛ إذ إنها تنشّط نمو البكتيريا النافعة بالأمعاء.

3 - يقتصر وجود اللاكتوز على اللبن فقط، ويمتاز سكر اللبن (اللاكتوز) عن غيره من الكاربوهيدرات الأخرى بقدرته على التخمّر الذي يعد ذو أهمية نافعة في التغذية. كما أنه يؤثر على غشاء المعدة المخاطي نظراً لقلّة ذوبانه.

كذلك فإن احتواء سكر اللبن على سكر الجالاكتوز يزيد من أهمّيته، إذ يعتبر هذا السكر أساس تكوين الجالاكتوز في أغشية المخ والخلايا العصبية. أيضاً ينفرد سكر اللبن بقدرته على تنشيط نمو أنواع مفيدة من بكتيريا حمض اللاكتيك، والتي يمكن أن تحل محل بعض البكتيريا التعفنية في القناة الهضمية. كما يساعد الحامض المتكوّن - نتيجة نشاط الميكروبات النافعة - على تمثيل وامتصاص الكالسيوم وبعض المعادن الأخرى.

4 - يعد اللبن مصدراً مهمّاً لكثير من الفيتامينات، وهي مواد تساعد على الاستفادة من الغذاء والوقاية من الأمراض. وتوجد بعض فيتامينات اللبن ذائبة في الدهن، وهي فيتامينات (أ)، (د)، (هـ)، (ك). والبعض الآخر ذائب في ماء اللبن: وهي فيتامينات (ب1)، (ب2)، (ج)، وكذلك الكولين.

5 - يكوّن الماء ما يقرب من 85 - 90 ٪ من ألبان الثدييات المختلفة، وبعض مكوّنات اللبن ذائبة في الماء، مثل بعض الفيتامينات والإنزيمات واللاكتوز، أو على صورة معلّقة بالماء مثل: حبيبات الدهن أو جزئيات الكيزين.

والماء له دور مهم وحيوي في حياة الإنسان، حيث إن له وظائفه الفيسيولوجية في الجسم الإنساني. فهو على سبيل المثال: يكون حوالي 85 - 92٪ من دم الثدييات المختلفة، كما أن الكثير من أنسجة الجسم تحتوي على الماء، وأيضاً فإنه يُنظّم درجة حرارة الجسم، كذلك فالماء هو الوسط المناسب لانتشار وتأيّن العناصر المختلفة بالجسم، كما أنه الوسط المناسب للتفاعلات المختلفة وعمليات الهضم والهدم والبناء التي تحدث في الجسم.

6 - يعتبر اللبن مصدراً مهمّاً من مصادر فيتامين (أ) الذي يعد مهمّاً جداً في حياة الإنسان. حيث يوجد هذا الفيتامين بنسبة كبيرة في اللبن، ذلك بالإضافة إلى مادة الكاروتين التي تتحول إلى فيتامين (أ) في الجسم بواسطة الأكسدة.

ومن أهم فوائد فيتامين (أ) أنه ضروري جداً للنمو، ولقد أثبتت التجارب الحديثة التي أجريت على الفئران أن نقص هذا الفيتامين يسبب وقف نموها ثم موتها.

كذلك فإن فيتامين (أ) مهم جداً في عملية الإبصار، ويعرف هذا الفيتامين باسم الفيتامين المضاد للرمد الجاف، إذ إن نقص هذا الفيتامين في الغذاء يسبب المرض بهذا النوع من الرمد، كما أنه يسبب أيضاً مرض العشى الليلي. ومن فوائد فيتامين (أ) أيضاً أنه يُكسب جسم الإنسان المناعة من الإصابة بعدوى بعض الأمراض، كما أن له تأثيراً مهمّاً في عملية تكوين العظام والغضاريف، كذلك فإن نقص فيتامين (أ) يؤثر على الخصوبة والتكاثر والتوالد.

7 - يحتوي اللبن على نسبة لا بأس بها من فيتامين (د)، وهذا الفيتامين يساعد على ترسب الكالسيوم والفوسفور في الجسم، أي أنه يساعد على نمو العظام، كذلك فهو مانع للكساح، لذلك يسمى فيتامين (د): المضاد للكساح...

إلا يسأل الله أن يجعل الشبه له». وبالفعل فإن للحيوان المنوي عند دخول البويضة ثلاثاً وعشرين صبغية، كل واحدة منهن مؤلفة من حبلين، أي أن للحيوان المنوي ستة وأربعين عرقاً، وللبويضة في بادئ الأمر ست وأربعون صبغية، وعند دخول الحيوان المنوي البويضة تستكمل البويضة (انقسامها الميوزي الثاني SECOND MEIOTIC DIVISION) ويصبح عدد صبغياتها ثلاثاً وعشرين، مؤلفة كل واحدة منها أيضاً من حبلين، أي أنه يصبح للبويضة ستة وأربعون عرقاً. وعند اقتراب نواتي الحيوان المنوي والبويضة بعضهما من بعض، وقبل انصهارهما - أي **عندما يحين خلق الولد** بانصهار النواتين - يتضاعف عدد صبغيات كل من النواتين ليصبح كل منهما يحتوي على ست وأربعين صبغية[1]، أي لتصبح كل واحدة منهن تحتوي على اثنين وتسعين عرقاً، وبالتالي فيصبح للرجل عدداً مماثلاً لعدد المرأة من العروق؛ وهو اثنان وتسعون حبلاً، كما ينص عليه الحديث: «وله مثل ذلك...»، فيتحقق نص الحديث السالف ذكره، ويبرز النبأ العظيم قبل أكثر من قرن على اكتشافه من قبل العلماء الكونيين.

ويعود الاختلاف بين عدد العروق في الحديث وعدد العروق التي ينص عليها العلم الكوني لخلل في سند الحديث السابق لجهالة في الإسناد[2]. وبالتالي خلل في متنه، ولنسيان بعض الصحابة والتابعين ﷺ لما قاله الرسول ﷺ، مع حرصهم على ضبط وحفظ كل ما سمعوه، فجلّ من لا يسهو. ونعطي مثالاً - لربما كان نتيجة نسيان بعض الصحابة والتابعين ﷺ لما سمعوه، مما يشير إلى أن الرسول ﷺ تكلم بالحق ومن ثم اختلطت ألفاظ الحديث من بعده -: فالأحاديث التي تكلمت عن حادثة «جمع خلق الإنسان» رُويت بمتون مختلفة، وبطرق مختلفة عن صحابة وتابعين ﷺ، ونصّت النصوص الحديثية على أن خلق الإنسان يتمّ في غضون: أربعين، اثنين وأربعين، ثلاثة وأربعين، خمسة وأربعين، وبضع أربعين يوماً[3].

وروت بعض المتون أن مدة «جمع الخلق» هي أربعون ليلة، وبعضها الآخر أربعون يوماً، وجاء في متن من المتون أن فترة «العلقة» وفترة «المضغة» تقع في تلك المدّة كما دلّت عليه عبارة «في ذلك»، بينما سقط هذا اللفظ من متن آخر.

(1) كتاب الإنسان النامي، مور وبيرسو، ص37.

(2) وهو جهالة راوٍ من سلسلة الرواة الذين رووا المتن.

(3) انظر مبحث «**اجتهاد غير مصيب**».

ومن الملفت للنظر أننا نلاحظ في جميع هذه المتون أن رأس العدد، أي عدد الأربعين، لم يتخلله خطأ، بينما حدث السهو في الرقم الفرعي؛ أي رقم اثنين، وثلاثة، وخمسة إلخ، مما يشير إلى سهو بعض الرجال عن التفاصيل التي جاءت في تلك المتون. وهذا ما تكرّر في الحديث الذي رواه عبد الله بن بريدة ﷺ حيث تذكّر رجال الإسناد رأس العدد جيداً؛ أي رقم تسعين، بينما سهوْا في العدد الفرعي؛ أي رقم تسعة، **وانظر كلامنا عن التصحيف في «الملحق» المرفق في آخر الكتاب**.

وعلى كل حال يشهد لصدق الرسول ﷺ أحاديث أخرى تنص على إعجاز رقمي دقيق للغاية، لم يسْهُ فيه الرجال الذين رووْها عن شيء مما قاله الرسول ﷺ، والأحاديث هي: عن السيدة عائشة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنّه خُلق كل إنسان من بني آدم على **ستين وثلاثمائة مفصل**، فمن كبّر الله، وحمد الله، وهلّل الله، وسبّح الله، واستغفر الله، وعزل حجرًا عن طريق الناس، أو شوكةً أو عظْمًا عن طريق الناس، وأمر بمعروف، أو نهى عن منكر، عدد تلك الستّين والثلاثمائة السُّلامى فإنّه يمشي يومئذ وقد زحزح نفْسه عن النار» [أخرجه مسلم ح42]، و«إن الله تعالى إذا أراد خلْق النَّسمة، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه في كل عرْق وعصب منها، **فإذا كان يوم السابع**، جمعه الله تعالى، ثم أحضر له كل عرْق له بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٨] [**رواه الطبراني ح21**].

ونود الإشارة إلى أنه، إضافة إلى ذكر عدد العروق، أشار الحديث إلى أن لنطفة الرجل ونطفة المرأة عدداً مماثلاً من العروق، وحدد وقت وجود هذا العدد من العروق، وهذه دقةٌ فائقة في تحديد الحقائق العلمية.

وإذا قابلنا الحديث: «نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة...» [ذكره ابن هشام ح69] مع الحديث السابق (رقم 22) فهمنا أن الاختلاف بين الرجل والمرأة لا يعود لاختلاف عدد العروق بينهما، بل لاختلاف محتوى خلايا الرجل والمرأة، وبالتالي لاختلاف محتوى هذه العروق، لأن رقم العروق ثابت في الحديث (رقم 22) عند كل من الطرفين، بينما يعود الاختلاف في الحديث (رقم 69) في صفة النطفة الذكرية والأنثوية في اللون والكثافة وغيرها في الحديث (رقم 69)، وهذا ما قرره العلم الكوني حيث إن الرجل يمتاز باتحاد الصبْغي (ص Y) مع الصبْغي (س X)، أما المرأة فإن صبغياتها الجنسية تتألف من (س س XX)[1].

---

(1) انظر مبحث «الماء والمني»/ باب «إن كل من ماء الرجل وماء المرأة يشارك في إذكار أو إيناث الجنين».

وبعد: فإن الحديث: «صدقتْ، إن لك تسعة وتسعين عرقاً، وله مثل ذلك، إذا كان حينُ الولد، اضطربت العروق كلها، ليس منها عرق إلا يسأل الله أن يجعل الشبه له» [أخرجه الحكيم الترمذي ح22] يشير إلى أن للإنسان على العموم تسعةً وتسعين عرقاً، ويشير مفهوم المخالفة عندئذ[1]، أن لغير الإنسان - أي لكل كائن آخر - عدداً مغايراً من العروق، وهذا ما توصلنا إليه من قبل في هذا البحث، وهذا ما أشارت إليه الآية: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور: 45]. فاعتبروا يا أولي الأبصار قد أنزل الله إليكم ذكراً، حتى يتذكر من أراد أن يذكر، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ عن بينة.

ج - خلاصة القول

إن التكلم عن مكان وجود الصبغيات التي تتحكم بتخلق الجنين بإذن ربها[2]، والتكلم عن كيفية اصطفافها في هذا المكان من غلظة ورقة[3]، والتكلم عن تحرك الصبغيات من امتداد وانقباض[4] وانتشار[5] عند تخلق الجنين، والتكلم عن دورها في إذكار أو إيناث الجنين[6]، والتكلم عن دورها في إعطاء الجنين خصائص تشبه خصائص آبائه[7]، والتكلم عن تنحي وسيطرة خصائصها[8]، والتكلم عن علاقة

(1) انظر مبحث «تعريف الإعجاز في القرآن والسنة/ باب معان صريحة في دلالتها».

(2) كما في الآية: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عبس: 19].

(3) كما في الحديث: «نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة فأيهما غلبت فالشبه له وإن اجتمعا جميعاً كان منها ومنه» [ذكره ابن هشام ح69].

(4) كما في الحديث: «. . . إذا كان حينُ الولد، اضطربت العروق كلها، ليس منها عرق إلا يسأل الله أن يجعل الشبه له» [أخرجه الحكيم الترمذي ح22].

(5) كما في الحديث: «إن الله تعالى إذا أراد خلق النسمة، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه في كل عرق وعصب منها، . . .» [أخرجه الطبراني ح21].

(6) كما في الآيتين: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [النجم: 45-46].

(7) كما في الحديث: «ماء الرجل غليظ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر، فأيهما سبق كان الشبه» أخرجه النسائي ح67].

(8) كما في الحديثين: «انظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس» [ذكره العجلوني ح71] و«اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما حيينا، واجعله الوارث منا» [أخرجه الترمذي ح66].

الصبغيات بعضها ببعض من نزع للموروثات[1]، والإشارة إلى أنها سبب لتركيب الجنين[2]، والتكلم عن أهمية وجود الظلمة لتفادي الطفرات الجينية[3]، والتكلم عن الطفرات الصبغية ودورها في إحداث الأمراض[4]، والتكلم عن بعض النتائج للطفرات الجينية في إحداث الإجهاض المبكر عند وقوع النطفة في الرحم[5]. والتكلم عن الفترة التي يخف فيها أثر تلك الطفرات من إجهاض مبكر[6] وتشوهات جنينية[7]، بل والإشارة إلى شكل الصبغيات من طول وترابط بعضها ببعض[8] لا يمكن أن يكون على سبيل المصادفة، ولا يدع مجالاً للشك أن الذي بعث الرسول ﷺ يعلم تمام العلم النظام الجيني السائد لدى الإنسان.

د - الانحراف التخلقي ومضاعفاته كما يراه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

هذا الباب هو جزء من علم الوراثة وعلم التخلق؛ ذلك لأنه علم قائم بحد ذاته متشعب ودقيق. وقد وضع الإسلام أسساً مهمة لمنع حدوث التشوهات والأمراض. بينما كانت الأمم في جهل تام عما يستطيع أن يصيبها ولم تكتشفها إلا في الآونة الأخيرة مما يدل على مدى إعجاز النبوءات التي نخبر بها رسول الله ﷺ.

---

(1) كما في الحديث: «... قال: «فأنى هو؟» قال: لعله يكون نزعه عرق له. قال: «وهذا لعله يكون نزعه عرق له» [أخرجه مسلم ح5].

(2) كما في الحديث: «... فإذا كان يوم السابع، جمعه الله تعالى، ثم **أحضر له كل عرق له** بينه وبين آدم. ثم قرأ: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: 8]» [أخرجه الطبراني ح21].

(3) كما في الآية: ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ۝٦﴾ [الزمر: 6].

(4) كما في الحديث: عن ابن عباس، أن النبي ﷺ كان يعلمهم من الحمى ومن الأوجاع كلها، أن يقولوا: «بسم الله الكبير أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار» [أخرجه الترمذي ح170].

(5) كما في الحديث: «إذا وقعت النطفة في الرحم، بعث الله ملكاً، فقال: يا رب: **مخلقة أو غير مخلقة**؟ فإن قال: غير مخلقة، مجها الأرحام دماً، وإن قال: مخلقة قال: يا رب: فما صفة هذه النطفة» [رواه الطبري ح32].

(6) كما في الآية: ﴿مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى...﴾ [الحج: 5].

(7) كما في الحديث: «... فإذا أراد الله أن يقضي خلقها، قال: أي رب أذكر أم أنثى؟ ...» [أخرجه البخاري ح98].

(8) كما يشير إليه معنى كلمة «عرق» وكلمة «عصب».

2 - (إفراز خارجي EXOCRINE PROCESS8) حيث يتم الانتقال خلال غشاء الخلية (دون أي فتق).

وهكذا فإن اللبن يخرج من الخلايا اللبنية من خلال انفطار وشق أغشيتها التي تمثل جداراً بالنسبة للمسايل الصغيرة في الثدي. ومن الجدير بالذكر أن هناك مسالك أصغر من مسالك. فالثدي يحتوي على مسالك رئيسية ومسالك فرعية، والمسالك الفرعية هي المسالك الصغيرة وهي التي يجتمع حولها الغدد وهي التي تنفتق جدرانها.

والإشارة إلى أن (المسالك الصغيرة هي التي تنفتق دون المسالك الكبيرة DUCTULES NOT DUCTS) هو إعلام دقيق للحقائق العلمية لا يعلمها في وسط أمّي إلا من أنزل عليه الوحي، فهل اعتبرنا يا معشر المفكرين؟!!.

7 - وقت احتياج الطفل إلى اللبن:

● قال رسول الله ﷺ: «لا يُحرّم من الرضاع إلا ما كان قبل الحولين» [رواه البيهقي ح157].

● قال رسول الله ﷺ: «لا رضاع إلا ما أنشز العظم وأنبت اللّحم» [أخرجه أحمد ح58].

وبعد أن رأينا هجرة اللبن عبر الثدي بعد هجرته من أمعاء الأم، نواصل طريقنا إلى جوف المولود الذي يمتص اللبن لنرى ماذا يحصل له.

قبل أن نتابع مسيرنا، لا بد أن نتوقف عند الشرط الأساسي لإرضاع الولد: وهو أن يكون جسمه محتاجاً للرضاعة (أي محتاجاً للبن الرضاعة لكي تنمو أعضاؤه) لذلك قال الرسول ﷺ: "لا رضاع إلا ما أنشز العظم وأنبت اللّحم"، ولا يكون جسم المولود كذلك إلا خلال السنتين الأوليين، أي: "إلا ما كان قبل الحولين". فالحاصل أن جسم المولود في هذه الفترة يمتص كل العناصر الأساسية لنمو أعضائه من اللبن، وتتحول إلى عظم ولحم فتدخل في صلب الولد.

لمزيد من الإيضاح لنقرأ ما قاله الدكتور علي التنير[1] وهو يذكر لنا الحقائق العلمية التي تشير إلى أن جسم المولود يحتاج للرضاعة لنمو أعضاء جسمه: «خلال الأسابيع الأولى من حياة الطفل لا يكاد يخرج في بوله أي نيتروجين، بما يفيد أن كل

---

(1) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 109.

النيتروجين الموجود كبروتين في لبن الثدي يستهلك أساساً في بناء أنسجة الجسم. ومعنى ذلك أن الطفل لا يحرق البروتين الذي يتناوله للحصول على الطاقة بل يستخدمه فقط في بناء الأنسجة»[1].

8 - حكمة تحديد مدة الرضاعة بسنتين:

● قال العليم الحكيم: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ. . .﴾ [البقرة: 233].

● قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ. . .﴾ [لقمان: 14].

● عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «لا يُحرِّم من الرضاع إلا ما كان في الحولين» [رواه البيهقي ج7 ص457].

لقد شاع في بعض الأمم السابقة أن تعتمد على لبن الأم كغذاء أساسي لأطفالها في فترة ما بعد الولادة، ولكن لم نألف أن أوصت تلك الأمم أو سلسلة من العلماء أن تكون مدّة الرضاعة سنتين كاملتين، إلا ما جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

وفي هذا العصر، وبعد الثورة العلمية والاكتشافات الجديدة، بدأ العلماء يوصون الأمهات بإرضاع أطفالهن مدة سنتين كاملتين[2]، وبذلك تُعتبر شريعة سيدنا محمد ﷺ، أول من لفت أنظار العلماء إلى أن المدة المثالية للرضاعة هي سنتان كاملتان.

والآية: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ. . .﴾ [البقرة: 233] تنص على أن **تمام** الرضاعة، أي **كمالها**، هو في حولين - أي سنتين - كما تفسّره الآية الثانية: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: 14]. وبذلك فهي بمثابة توجيه للأمهات أن يلتزمن بهذا الميعاد استحباباً لا إلزاماً.

فالرضاعة مدة سنتين هي لمن أراد التمام وهي بذلك تُخيِّر الأمهات في الالتزام بالمدة أو في عدم الالتزام بها.

---

(1) وقد قُدِّرت نسبة النيتروجين التي تدخل في بناء الأنسجة بحوالي 90٪ (كتاب تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية، ص 73).

(2) لقد أوصت د. فيليستي سفنج كيبع في كتابها تشجيع الأمهات على الإرضاع الطبيعي بإرضاع الأطفال مدة سنتين، بل وحتى إلى ثلاث سنوات (انظر غلاف كتابها).

والحكمة من ذلك هي: أن الجهاز الهضمي للرضيع يكتمل نموه تدريجياً حتى نهاية العامين، ويمكن للولد بعد ذلك أن يعتمد في غذائه على المصادر غير الإنسانية بدون أي خطر على صحته. أما إذا تناول الطفل لبناً صناعياً أو لبناً بقرياً قبل انتهاء هذه المدة فهو معرّض أن يصاب بمرض السكري أو أمراض الحساسية.

وقد أظهرت الأبحاث الحديثة "وجود علاقة ارتباطية قوية بين عدد ومدة الرضاعة من ثدي الأم، وبين ظهور مرض السكري من النوع الأول في عدد من الدراسات على الأطفال في كل من: النرويج والسويد والدانمارك. وعلّل الباحثون ذلك بأن لبن الأم يمد الطفل بحماية ضد عوامل بيئية تؤدي إلى تدمير خلايا بيتا البنكرياسية في الأطفال الذين لديهم استعداد وراثي لذلك، وأن مكونات الألبان الصناعية وأطعمة الرضع تحتوي على مواد كيميائية سامة لخلايا بيتا البنكرياسية، وأن ألبان البقر تحتوي على بروتينات يمكن أن تكون ضارة لهذه الخلايا. كما لوحظ أيضاً في بعض البلدان الأخرى أن مدة الرضاعة من الثدي تتناسب عكسياً مع حدوث مرض السكري، لذلك ينصح الباحثون الآن بإطالة مدة الرضاعة من ثدي الأم للوقاية من هذا المرض الخطير وللحفاظ على صحة الأطفال في المستقبل. وبناء على هذه الحقائق برزت في السنوات الأخيرة نظرية مفادها: أن بروتين لبن البقر يمكن أن يحدث تفاعلاً حيوياً مناعياً يؤدي إلى تحطيم خلايا بيتا البنكرياسية التي تفرز الأنسولين. ويعضد هذه النظرية: وجود أجسام مضادة بنسب مرتفعة لبروتين لبن البقر في مصل الأطفال المصابين بداء السكري بالمقارنة مع الأطفال غير المصابين بالمرض كمجموعة مقارنة[1].

وفي دراسة حديثة منشورة في مجلة السكري في يناير 1998م، استخلص الباحثون أن البروتين الموجود في لبن الأبقار يعتبر عاملاً مستقلاً في إصابة بعض الأطفال بمرض السكري بغض النظر عن الاستعداد الوراثي[2].

وفي دراسة حديثة منشورة في فبراير 1998م في جريدة المناعة، أشار المؤلفون إلى أن تناول لبن الأبقار وبعض الألبان الصناعية كبديل للبن الأم يؤدي إلى زيادة نسبة الإصابة بمرض السكري في هؤلاء الأطفال. وقد أجريت هذه الدراسة على أطفال صغار السن حتى **الشهر التاسع** من العمر. ولهذا نصح المؤلفون بإطالة مدة الرضاعة الطبيعية[3].

---

(1) BORCH - NELSON TEXT BOOK OF PEDIATRIC, 15TH EDITION, 1994.

(2) SCAND J IMMUNOL, 1998 FEB. 47:2, 131-5.

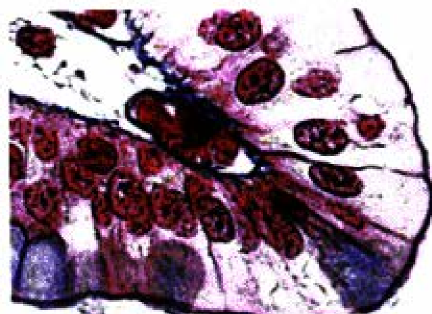
(3) SAUKKONEN ET AL., DIABETOLOGIA, 1998 JAN 4:7, 72 - 8.

وفي دراسة مشابهة منشورة في مجلة السكري في يناير عام 1994م، أوضح الباحثون وجود ارتباط قوي بين تناول منتجات الألبان الصناعية (خاصة لبن الأبقار) في السن المبكرة **حتى العام الأول من العمر** وازدياد نسبة الإصابة بمرض السكري[1].

وفي دراسة أجريت بقسم الباطنية سنة 1995م تحت / إشراف أ. د مجاهد محمد أبو المجد[2]/ وُجد أن الأجسام المناعية المضادة للبن الأبقار وجدت في مصل الأطفال الذين تناولوا لبن الأبقار **حتى نهاية العام الثاني**، أما الأطفال الذين تناولوا لبن الأبقار بعد عامين من العمر فلم يتضح فيهم وجود هذه الأجسام المناعية مما يظهر جلياً حكمة تحديد القرآن الكريم للرضاعة بعامين كاملين.

لكن لماذا يسبب لبن الأبقار هذا الضرر على الطفل قبل عامه الثاني، بينما يزول الأثر السيء للبن الأبقار بعد هذه المدة؟.

في دراسة أجريت بفنلندا عام 1994م منشورة في مجلة المناعة الذاتية، يقول المؤلفون: إن بروتين لبن الأبقار يمر بحالته الطبيعية من الغشاء من خلال ممرات موجودة فيه، حيث إن إنزيمات الجهاز الهضمي لا تستطيع تكسير البروتين إلى أحماض أمينية، ولذلك يدخل بروتين لبن الأبقار كبروتين مركب مما يحفز على تكوين أجسام مناعية داخل جسم الطفل[3]. (انظر الصورة رقم: 124).



(124) - مقطع طولي في الأمعاء الدقيقة حيث يمتص لبن الأبقار كما هو من جدار أمعاء الطفل قبل اكتمال نموه خلال العامين الأوليين من عمره، ونرى فيه ممرات يمر من خلالها لبن الأبقار بحالته الطبيعية.

(1) GARSTEIN HE. DIABETES, 1994 JAN. 17.1.13-9.

(2) أستاذ الأمراض الباطنية والسكر بكلية طب المنصورة - جمهورية مصر العربية -.

(3) AUTO IMMUNITY 1994. 23.165-74.

وتشير المراجع الحديثة إلى أن الإنزيمات والغشاء المبطن للجهاز الهضمي وحركية هذا الجهاز وديناميكية الهضم والامتصاص لا يكتمل عملها بصورة طبيعية في الأشهر الأولى بعد الولادة، **وتكتمل تدريجياً حتى نهاية العام الثاني**(1).

ومجموع هذه الأبحاث يشير إلى أنه كلما اقتربت مدة الرضاعة الطبيعية من عامين كلما قل تركيز الأجسام المناعية الضارة بخلايا بيتا البنكرياسية التي تفرز الأنسولين. وكلما بدأت الرضاعة البديلة وخاصة بلبن الأبقار في فترة مبكرة بعد الولادة، كلما ازداد تركيز الأجسام المناعية الضارة في مصل الأطفال...(2).

وهكذا تتضح جلياً حكمة تحديد الرضاعة بحولين كاملين في إشارة علمية دقيقة من القرآن الكريم. وجاءت الأبحاث العلمية الحديثة لتؤكد ولتبرهن على صدق وإعجاز ما أخبر به القرآن الكريم»(3).

أضف إلى ذلك أن المخ والجهاز العصبي يمران بتغيرات سريعة خلال سنوات الطفولة الأولى، والدهن مكون مهم من مكونات الجهاز العصبي، واللاكتوز ضروري لبناء (دهن اللبن GALACTOLIPIDIS) في المخ النامي، ولبن الإنسان يختلف عن ألبان غالبية الثدييات الأخرى في أن تركيز اللاكتوز به أعلى. وبالتالي فإن تناول لبن الأبقار والحيوانات الأخرى الذي يحتوي على كمية منخفضة من اللاكتوز بالنسبة إلى لبن الأم قد يكون له أثر سلبي على صحة الطفل. وعليه فإن تمديد فترة الرضاعة من الأم إلى سنتين هو لصالح عقل الطفل، وجهازه العصبي على وجه الخصوص، ولسائر أعضائه على وجه العموم.

لماذا حدد الرسول ﷺ مدة الرضاعة بعامين؟. هل كان لديه أجهزة تمكنه من معرفة: أن هناك ممرات بين خملات المعدة تسمح للأجسمة الغريبة أن تمر بدون رقابة عليها إلى السنة الثانية؟ وأن حركية الجهاز الهضمي لا تكتمل إلا بعد عامين؟ وأن إنزيمات المعدة والأمعاء لا تعمل بفعالية إلا عند نهاية العام الثاني؟، أم هل كان ملك يستطيع أن ينفذ عبر جدار البطن والرحم ليشاهد بدقة ماذا يجري هناك؟، أم هل كان للرسول ﷺ أجهزة تحليل تمكنه من معرفة أن الدهن مكون مهم من مكونات المخ النامي والجهاز العصبي، وأن الرضيع يحتاج للدهن الموجود في لبن الأم؟

---

(1) LUCAS ET: (1992) LANCET 59722-730.

(2) PETTITT ET. (1997) LANCET: 16-168.

(3) مجلة الإعجاز العلمي، عدد4، ص8 - 9.

يجيبنا الرسول ﷺ بوحي من الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 50].

9 - أسباب تحريم المرضع:

● قال عزّ وجل: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ...﴾ [النساء: 23].

● قال رسول الله ﷺ: "يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب" [أخرجه البخاري ح54].

لقد جاء في الإسلام أمر مهم ينظم العلاقات الاجتماعية، ألا وهو تحريم زواج بعض الأقارب ببعض.

والتحريم ينص - فيما ينص - على أن لا يتزوج المرء من أمه أو أخته أو عمته أو خالته... إلخ، كما يبيح له أن ينظر إلى بعض أجزاء أجساد محارمه، ويفرض عليه بعض الواجبات مثل: الإنفاق عليهم، والاعتناء بهم، وإلى ما هنالك من واجبات.

وأسباب تحريم الأقارب تعود إلى عدة عوامل، منها:

أ - وجوب إنشاء تنظيم اجتماعي يجب العمل به حتى يسود الأمان والطمأنينة داخل المجتمع الإنساني، فينتظم على أسس سليمة توجه الحياة البشرية في توارثه وعلاقاته الاجتماعية وولائه... إلخ.

ب - مراعاة متطلبات النفس البشرية التي تشمئز من التزاوج مع قريب لها (كالأب والأم) لقرابته الفكرية والجسدية.

ج - حماية النسل الإنساني، فهناك أسباب علمية تفرض تحريم العلاقات الجنسية حتى لا يتأذى النسل البشري[1].

وفي هذا البحث سنتحدث عن سبب من تلك الأسباب، ألا وهو مراعاة متطلبات النفس البشرية من الناحية الجسدية.

ومراعاة متطلبات النفس البشرية من الناحية الجسدية تكمن بإبعاد العلاقات الجسدية بين الأقارب ذات التقارب في النسيج الجسدي.

(1) سوف نتحدث عن هذه الظاهرة في مبحث «معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة».

فالإنسان يشمئز أن يتزاوج من قريبته التي تشابهه في التركيب الفيزيولوجي مثل: أمه، أو خالته، أو عمته، أو أخته. . . إلخ.

والتقارب الفيزيولوجي بين الأقارب أقره العلم الحديث، فالأقارب تتشارك في المورثات التي تنحدر من آبائهم، وبذلك فبعضهم أقرب لبعض من غيرهم من وجهة النظر الوراثية. كذلك فلقد أظهر العلم الحديث، مع ظهور وانتشار زراعة الأعضاء، أن أحسن متبرع بعضو من أعضائه لشخص آخر مريض هو أحد الوالدين وخاصة الأم، أو الأخوة المباشرين يتبعهم الأقارب مثل: الخال، والعم، والجد، حيث إن نسبة عوامل رفض جسم المريض لتلك الأعضاء أقل ما يمكن في تلك الظروف، ونجد نجاح نسبة كبيرة من اختبارات التجانس النسيجي بينهم مقارنة بالغرباء[1]. ونعطي مثالاً آخر في هذا المجال وهو: تقبل جسم الأم لجنينها وعدم طرده، مع أنه مخالف لها من وجهة التركيب الجيني ويعتبر بذلك كعضو غريب مزروع داخلها.

وفي مجال الرضاعة، فإن الأم المرضع تحمل في لبنها صفات فيزيولوجية خاصة بها، فالريبوسوم بمثابة مصنع للخلايا اللبنية ويقوم ببناء اللبن وفقاً للأوامر أو الشيفرة الجينية[2] التي يحملها الرسول (الآر أن آيRNA) من (الدي أن آي DNA) الموجود في نواة الخلية والذي يمثل أصل الإنسان (أي أساساً لتركيبته وهنا أساس لتركيبة الأم)[3]، وعلى سبيل المثال: فإن بروتين اللبن «يبنى . . . على الريبوسوم

---

(1) Rains A J.H Ritchie H.D 1975 Bailey & Love Short practice of Surgery. publ. H.K. Lewis. Co - London. Organ Transplantation ch56, pp 1268 - 1274

Forrest ADM. CARTER D.C. MacLeod I.D 1995, Principales. Practice of surgery 3RD ED Transplantation. Publ. Churchill Livingstone Edib London, NY, Tokyo, Amestderdam, Melborne, ch14 sect 4.

(2) وتعد الشيفرة الجينية من دقائق الأمور التي لا يعلم بها إلا المختصون من الأطباء في عصرنا، إلا أننا نرى بعض النصوص من الأحاديث النبوية تشير بوضوح إلى هذه الشيفرة الجينية عن طريق اصطلاح خاص. وهو إحضار العروق، الذي يمثل عملية إحضار الأصل - أي الشيفرة الجينية التي ينبت عنها العروق - إلى حيز تركيب المادة الحيوية من بروتينات وأنزيمات . . . إلخ.

وهذا إعجاز صريح من خلال النص النبوي الذي يكشف عن ظاهرة علمية دقيقة لم تكن ظاهرة من قبل. وأقل ما يقال في هذا: فليهنأ المسلمون بهذا الدين العظيم.

ولمزيد من التفاصيل انظر مبحث «الذنب»

(3) لمزيد من التفسير انظر مبحث «**معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة**».

تبعاً لرسالة الشفرة الجينية الخاصة بالنوع»[1]. وعلى وجه عام فإن لبن الرضاعة يُعتبر فيزيولوجياً انعكاساً لتركيب جسم المرأة المرضعة وذلك لأن «العناصر الغذائية المختلفة في لبن الثدي تكون مزيجاً من الدهن والبروتين اللاكتوز والأملاح المعدنية والفيتامينات (وقد) تم تركيبها وفقا للبيانات الوراثية الموجود سرها في خلايا غدد اللبن والتي نشأت مع الجنس البشري»[2].

هذه الصفات الفيزيولوجية تنقلها الأم إلى طفلها من خلال الرضاعة، وذلك لأن الرضيع يمتص جميع الغذاء الذي تقدمه له أمه، إبان فترة الرضاعة، وهذا الغذاء يستعمل في بناء أنسجة أعضائه. فبروتين اللبن مثلاً يدخل في تركيب الخلايا الجسمية، وخصوصاً في الأسابيع الأولى من الرضاعة. وهكذا فإن الطفل يحمل بعض الصفات الفيزيولوجية شبيهة لصفات الأم المرضع. والدليل على أن أنسجة الطفل تتأثر باللبن الذي يرضعه هو: أن طبيعة الدهن في جسم الرضيع تتوقف على نوعية الدهن في غذائه، وقد أوضحت عيّنة لنسيج عند فحصها ميكروسكوبياً تشابهاً كبيراً بين تكوين الأحماض الدهنية لدى الطفل وأحماض الغذاء.

كذلك، فإن لبن الأم يحتوي على (الأجسام المضادة ANTIBODIES) التي تعطي للطفل مناعة من الأمراض في الشهور الأولى من حياته، وهذا اللبن لا يكتفي بإمداده بتلك المضادات ولكنه يحفز جسم الطفل على تنمية جهازه المناعي الخاص[3] حتى يصبح قادراً على تكوين هذه الأجسام المضادة الخاصة به فيما بعد. وبذلك فإن الأم والرضيع لهما بعض أوجه التشابه من الناحية الفيزيولوجية والمناعية.

وللأسباب التي سردناها آنفاً (أي للتقارب الفيزيولوجي والمناعي) ولأسباب أخرى سيكتشفها العلم في المستقبل - والله أعلم - فإن العلاقة الجنسية تحرم بين الأم المرضعة ورضيعها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ ... وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [النساء: 23].

ومن المفهوم نفسه فإن جسم المولود يشبه أو يحمل بعض أوجه الشبه لجسم أخته في الرضاعة (وذلك لأنها رضعت أيضاً من نفس الحليب الذي ساهم هو أيضاً ببناء أنسجة لديها تحمل بعض أوجه التشابه الفيزيولوجي لنسيج أخيها في الرضاعة).

(1) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 138.

(2) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 138 - 135 - 149.

(3) كتاب تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمي، ص 31، بتصرف.

وبالتالي فإن العلاقة الجنسية تحرم بينهما وفقاً لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ . . . وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [النساء:23].

ومن نفس الشرح نفهم لماذا حرم رسول الله ﷺ الزواج بين الأقارب بالرضاعة بقوله: "يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب" [أخرجه البخاري ح54].

10 نوعية اللبن المحرّم:

● قال رسول الله ﷺ: «لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام» [أخرجه الترمذي ح56].

● قال رسول الله ﷺ: "لا تُحرّم المصّة ولا المصّتان" [أخرجه أحمد ح60].

ونطرح سؤالاً: هل كل من يرضع من الثدي قليلاً أو كثيراً تحرم علاقته بأمه أو بأخته من الرضاعة؟ أم هناك ضوابط لهذا الأمر؟.

هناك ضوابط لهذه الظاهرة تبعاً لكمية ونوعية اللبن الذي يمتصه المولود:

إن الحديث "لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام" يدل على أن هناك أكثر من نوع من الحليب في الثدي (وذلك من جراء استعمال حرف الاستثناء "إلا")[1]، ويدل على أن الحليب الذي يستثنيه الرسول ﷺ هو الذي لا يفتق الأمعاء ولا ينتج عنه تحريم.

ترى ما هذا الحليبُ الذي لا يفتق الأمعاء؟، وما الوسيلة التي يخرج بها من الثدي؟، كما أسلفنا القول: فإن هناك وسيلة، غير التي تفتق الأمعاء في الثدي، يتم عبرها إخراج اللبن وهي "(إفراز خارجي EXOCRINE PROCESS) حيث يتم الانتقال (انتقال اللبن) خلال غشاء الخلية"[2]، "وهذا النوع من الإفراز يسمح فقط لنوع من اللبن المخفف والذي يحتوي على نسبة أقل من الدهون (2 في المائة) والبروتين، ليمر اللبن في قنوات الثدي حتى يصل إلى الجيوب اللبنية، حيث يبقى بها ليتناولها الطفل في الوجبة التالية. ويسمى هذا اللبن (باللبن الأولي FORE MILK) (ونصطلح عليه باللبن المخفف) ويكوّن حوالي ثلث حجم اللبن المتاح للطفل . وعندما يبدأ

(1) والمستثنى منه محذوف، ويدل عليه المستثنى، وهو: ما فتق الأمعاء، والمقصود به الحليب المرضوع، وعليه فيكون المستثنى منه الحليب، والمعنى:
لا يحرم حليب من الرضاعة إلا حليب فتق الأمعاء، وهذا أسلوب معروف في العربية، وشائع استعماله في الاستثناء، وهو حذف المستثنى منه إذا كان الاستثناء منفياً، ويسمّى هذا الأسلوب استثناءً مفرّغاً، ويقدّر المستثنى منه المحذوف حينئذ حسب المستثنى الموجود.

(2) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 135.

الطفل في الرضاعة تفرز الأم (اللبن الخلفي HIND MILK) (ونصطلح عليه باللبن المثقل) الناتج (المحتوي) على نسبة أعلى من المواد الدهنية (من 4 إلى 7 في المائة) ويكوّن هذا اللبن ثلثي حجم لبن الرضاعة. . ."[1].

من المقطع أعلاه يتضح لنا ما يرمي إليه الحديث النبوي الشريف: "لا يُحرّم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام" [أخرجه الترمذي ح56]. فالحليب المستثنى من قبل رسول الله ﷺ هو - والله تعالى أعلم -: اللبن المخفف الذي لا يفتق الأمعاء، فهذا اللبن يخرج بواسطة عملية التناضح (التمايز) الغشائي[2]، وهو ليس بسبب كاف لأن يبرر التحريم: فهو لا يحتوي على غذاء كاف وبذلك لا يؤدي في الغالب إلى بناء أنسجة في جسم الطفل مشابهة فيزيولوجياً إلى حد ما لأمه بالرضاعة أو لأخته من الرضاعة[3].

وهذا الحليب، أي اللبن المخفف، يبقى بالجيوب اللبنية خلف الحلمة بحيث يخرج عندما يبدأ الطفل في الرضاعة أي عند أول مصة أو مصتين، وهو الذي تتحدث عنه نبوءة الرسول ﷺ في الحديث: "لا تُحرّم المصّة ولا المصّتان" [أخرجه أحمد ح60].

لذلك لا بد أن تكون الوجبة مشبعة حتى تكون سبباً كافياً للتحريم. وبالفعل عندما يبدأ الطفل في الرضاعة، وعندما يلمس حلمة الثدي تتنبه أطراف الأعصاب الموردة (الحسية)، وتمر الإشارة إلى الهيبوتلاموس الذي ينشط بدوره الفصين الأمامي والخلفي للغدة النخامية، ويفرز الفص الأمامي هرمون البرولاكتين، ويقوم البرولاكتين الناتج بتنشيط الغدد اللبنية بالثدي وحثها على الإفراز. وفي الوقت نفسه يفرز الفص الخلفي للغدة النخامية مادة (الأوكسيتوسين OXYTOCIN) التي يتسبب عنها انقباض في (الخلايا العضلية MYOEPITHELIAL CELLS) بنسيج الثدي (انظر الصورة رقم: A - 125) وبذلك تنعصر الغدد اللبنية بما يسمح للكريات الدهنية وحبيبات البروتين الأكبر حجماً بالمرور إلى القنوات اللبنية. (انظر الصورة رقم: B - 125).

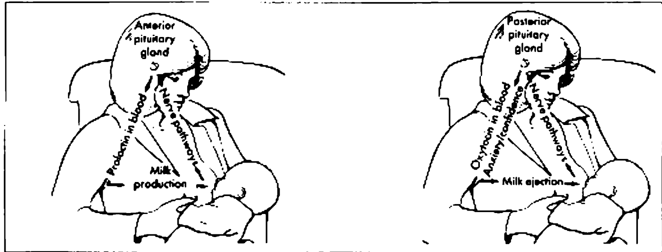
---

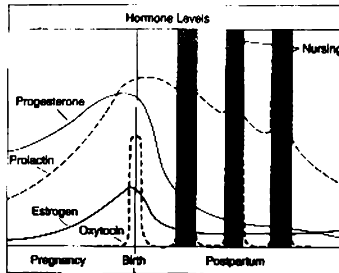
(1) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 105.

(2) وعملية التمايز تتلخص بأن يمر عبر الغشاء الذي يحتفظ باللبن الكريات أو الحبيبات الصغيرة من جراء اختلاف الضغوطات بين جهتي الغشاء.

(3) فهنالك أبحاث تشير إلى أن الأطفال الذين يتغذون على حليب يحتوي على نسبة عالية من الدهن ينمون بسرعة أكبر من الذين يتغذون على حليب يحتوي على نسبة قليلة من الدهن (كتاب تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية، ص 74).

من جراء اختلاط اللبن المخفف باللبن المثقل يتغيّر تكوين اللبن تدريجياً خلال التغذية. ففي نهاية الرضعة يحتوي اللبن من الدسم من أربعة إلى خمسة أمثال ما يحتويه في أول الرضعة[1] وبذلك يسد احتياجات الطفل الغذائية.



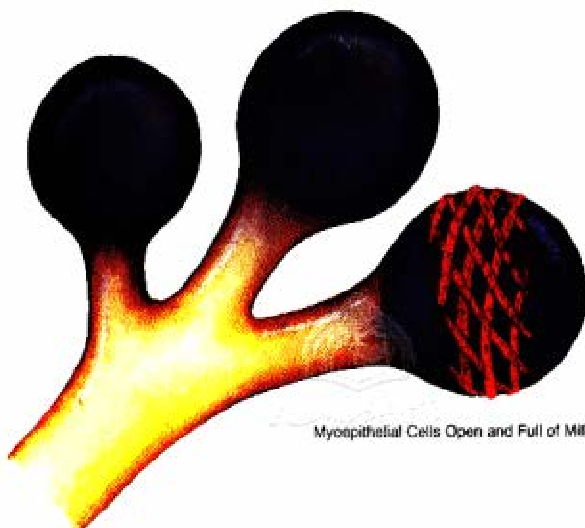


(A - 125) نرى في الرسم أعلاه أن الرضاعة تحث (الغدتين النخاميتين الأمامية والخلفية Anterior and posterior pituitary gland) على إفراز (هرمون البرولاكتين Prolactin) ومادة (الأوكسيتوسين Oxytocin) لتنشيط الغدد اللبنية وحثها على الانقباض.

وتحته نرى أن إفراز تلك المواد يزداد كثيراً عندما يمص الرضيع ثدي أمه بالنسبة لباقي الأوقات.

---

(1) كتاب تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي. منظمة الصحة العالمية، ص 26.





(B - 125) - الرسم يصور لنا كيف أن الغدد اللبنية تنعصر ليخرج اللبن منها إلى الأمعاء.

11 الجوع أساس في التحريم:

● قال رسول الله ﷺ: «انظرن من إخوانكن! **فإنما الرضاعة من المجاعة**» [أخرجه البخاري ح55].

● عن أم الفضل أن نبي الله ﷺ سئل عن الرضاع فقال: "لا تُحرِّم **الإملاجة ولا الإملاجتان**" [أخرجه النسائي ح59].

إذا جمعنا الحديثين: «لا يُحرّم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام» [أخرجه الترمذي ح56] و"انظرن من إخوانكن! فإنما الرضاعة من المجاعة» [أخرجه البخاري ح55] فهمنا أن الرضاعة لا تحرم إلا بعملية فتق الأغشية في الثدي وهذه العملية لا تحصل إلا إذا كان الرضيع جائعاً.

فإذا جاع الرضيع تولّد عنده الحافز للامتصاص القوي وبدأ بعملية شفط قوية تؤدي إلى إحداث ضغط سلبي في أمعاء الثدي وإلى تمزيق أغشية الغدد التي تفرج بدورها عن اللبن المثقل. وإن لم يكن الرضيع جائعاً، لم يبذل الجهد الكافي وخرج النوع الأول من اللبن فقط وهو اللبن الأولي (أو اللبن المخفف) من خلال عملية التمايز الغشائي الذي لا يبرر التحريم.

ويشير إلى ذلك الحديث الشريف وهو: "لا تُحرّم الإملاجة ولا الإملاجتان" [أخرجه النسائي ح59][1]، وهو ينص على أن تناول ثدي الأم بأدنى الفم - بحيث يمص الطفل مصة خفيفة أو مصتين خفيفتين - لا يحرم.

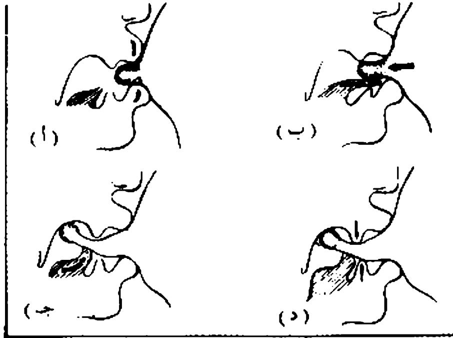
وفي حالة الإملاج لا يكون الرضيع جائعاً لأن الرضيع الجائع هو من يمص بطريقة الشفط ولا تشبعه الإملاجة ولا الإملاجتان التي لا تفتق أمعاء الثدي، فالذي يشبعه هو الحليب المثقل الذي نتج من الفتق ضمن كمية كبيرة يكتفي بها الرضيع.

لا شك أن الرضيع الجائع سيحاول أخذ الثدي بكل قواه، وبالتالي لن يكتفي بتناول الحلمة بطرف فمه ولكن بتمكن فمه. ولهذا فمن مستلزمات الرضاعة الناجحة - أي من مستلزمات إدرار اللبن - أن ينشأ للطفل الفعل المنعكس الامتصاصي وهو: أن يستحلب الطفل اللبن بين أعلى باطن الفم واللسان بحركات رتيبة يقوم بها اللسان والفك الأسفل. ويكون كذلك بعد محاولات قليلة عندما تلتقط شفتا الطفل ثدي الأم ويندفع اللسان إلى الأمام ثم إلى الخلف ليضغط على الحلمة نحو سقف الفم.

(1) جاء في الصحاح للجوهري - مادة «ملج» - (ج1/ ص 342): «الملج: تناول الثدي بأدنى الفم. يقال: ملج الصبي أمه: أي رضعها. وامتلج الفصيل ما في الضرع: امتصه».

ويمتلئ الجزء الخلفي من فمه بالحلمة وتساعد حركات الفك اللثتين على أن تضغطا على هالة الثدي بما يعصر اللبن في الفم. (انظر الصورة رقم: 126).

أما عضلات الوجنة فتساعد عملية المص كما تحافظ على الضغط السلبي (المنخفض) في الفم. ولولا هذه الحركة أي إتمام إطباق فم الطفل على الثدي لم يتم إدرار اللبن بكثرة، ولم يتم التحريم، لأن الرضيع يكون قد ملج الثدي إما لأنه ليس جائعاً، وإما لأنه لم يتولد عنده الفعل المنعكس الامتصاصي السليم.



(126) - رد الفعل الامتصاصي

أ - شفتا الطفل منطبقتان حول الحلمة عند اتصال الحلمة بالهالة.

ب - يمتد اللسان ليمسك بالحلمة.

جـ - ينسحب اللسان ليدفع بالحلمة نحو سقف الفم الصلب. كما تصبح الهالة أيضاً داخل الفم.

د - يتولد ضغط سلبي (منخفض) بفعل الوجنتين، وتضغط اللثتان على الهالة. وباستجابة الثدي لرد الفعل الإفرازي يبدأ اللبن في التدفق والانتقال من الصدر ذي الضغط الأعلى إلى الجزء المخلخل الضغط في فم الطفل.

وبالتالي فلن يؤدي إملاج الطفل لثدي أمه إلى إدرار اللبن، ومن ثم إلى التحريم. كما أقره الحديث الشريف. «لا تحرم الإملاجة والإملاجتان» [أخرجه النسائي ح59].

12 - مقدار اللبن المحرِّم:

● عن ابن شهاب أنه سئل عن رضاعة الكبير فقال: . . . فجاءت سهلة بنت سهيل - وهي امرأة أبي حذيفة وهي من بني عامر بن لؤي - إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: كنا نرى سالماً ولداً وكان يدخل عليّ وأنا فضل وليس لنا إلا بيت واحد فماذا ترى في شأنه؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «**أرضعيه خمس رضعات فيحرم بلبنها**»، وكانت تراه ابناً من الرضاعة [أخرجه مالك ح162].

هذا الحديث يدلّ على الحد الأدنى من عدد الوجبات التي يجب للرضيع أن يتناولها لكي يتمّ لديه بناء أنسجة مشابهة بينه وبين أمه أو أخته من الرضاعة، وتحرم العلاقة بينهم.

إلى ذلك فإن المصة والمصتين تُستثنيان من كل وجبة (رضعة) **مشبعة كما ينص** الحديث الشريف: «لا تحرم المصة ولا المصتان» [أخرجه أحمد ح60][1].

(1) يتلخّص موقف العلماء المسلمين في مقدار المحرِّم من اللبن على النحو التالي: «أما مقدار المحرِّم من اللبن: فإن قوماً قالوا فيه بعدم التحديد، وهو مذهب مالك وأصحابه، وروي عن علي وابن مسعود، وهو قول ابن عمر وابن عباس، وهؤلاء يحرّم عندهم أيّ قدر كان، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والأوزاعي. وقالت طائفة بتحديد القدر المحرّم، وهؤلاء انقسموا إلى ثلاث فرق:
فقالت طائفة: لا تحرّم المصة ولا المصتان، وتحرّم الثلاث رضعات فما فوقها، وبه قال أبو عبيد وأبو ثور.
وقالت طائفة: المحرّم خمس رضعات، وبه قال الشافعي.
وقالت طائفة: عشر رضعات.
والسبب في اختلافهم في هذه المسألة: معارضة عموم الكتاب للأحاديث الواردة في التحديد، ومعارضة الأحاديث في ذلك بعضها بعضاً.
والأحاديث المتعارضة في ذلك راجعة إلى حديثين في المعنى:
أحدهما: حديث عائشة وما معناه أنه قال عليه الصلاة والسلام: «لا تحرّم المصّة ولا المصّتان أو الرّضعة والرّضعتان» خرّجه مسلم من طريق عائشة، ومن طريق أم الفضل، ومن طريق ثالث، وفيه قال. قال رسول الله ﷺ: «لا تحرّم الإملاجة ولا الإملاجتان».
والحديث الثاني: حديث سهلة في سالم أنه قال لها النبي ﷺ: «أرضعيه خمس رضعات». وحديث عائشة في هذا المعنى أيضاً قالت: «كان فيما نزل من القرآن: عشر رضعات معلومات ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهن مما يقرأ من القرآن».
فمن رجح ظاهر القرآن على هذه الأحاديث قال: تحرّم المصّة والمصّتان. ومن جعل الأحاديث مفسرة للآية، وجمع بينها وبين الآية، ورجح مفهوم دليل الخطاب في قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تحرّم المصّة ولا المصّتان» على مفهوم دليل الخطاب في حديث سالم قال: الثلاثة فما فوقها هي التي=

-تحرّم، وذلك أن دليل الخطاب في قوله: «لا تحرّم المصّة ولا المصّتان» يقتضي أن ما فوقها يحرّم، ودليل الخطاب في قوله: «أرضعيه خمس رضعات» يقتضي أن ما دونها لا يحرّم» (بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد، الفصل الثالث: في مانع الرضاع، المسألة الأولى: في مقدار المحرّم من اللبن، ص421 - 422).

وفي رأينا فقد نشأ هذا الاختلاف لعدّة أسباب (أو لأحد هذه الأسباب التالية):

منها عدم الالتفات إلى المعنى اللغوي لكلمتيّ «مصّ» و«رضع»، ومنها عدم إلمام بعض الفقهاء المسلمين بالعلم الكوني في مجال الرضاعة، ومنها قلّة اعتبار معاني بعض الأحاديث ولا سيّما الحديثان «لا يُحرِّمُ منَ الرَّضاعة إلّا ما فتقَ الأمْعاء في الثَّدْي وكان قبْل الفطام» [أخرجه الترمذي ح1150] و«لا يُحرّمُ منَ الرَّضاع إلّا ما أنْبتَ اللّحْم وأنْشزَ العظْم» [أخرجه الإمام أحمد ح58] اللذان قد يساعدان على إلقاء الضوء على مقدار اللبن المحرّم، ومنها العمل على الترجيح بين الأحاديث، أكثر من العمل على التأليف بينها.

وكلمة «مصّ» تعني شرب اللبن بكميّة قليلة. جاء في لسان العرب: «مصص... في حديث عمر ﷺ: أنه مصّ منها، أي نال القليل من الدنيا». وجاء في القاموس المحيط، باب مصصه: «مصصْتُه، بالكسر، أمصُّه ومصصْتُه أمُصُّه، كخصصْتُه أخُصُّه: شربْتُه شرْباً رفيقاً».

وكلمة «رضع» تعني شرب اللبن. جاء في مقاييس اللغة: باب الراء والضاد وما يثلثهما: «رضع: الراء والضاد والعين أصلٌ واحد، وهو شرْب اللّبن من الضّرْع أو الثّدي». وجاء في مختار الصحاح، باب الراء: «رضع: ر ض ع: رضع الصبي أمه بالكسر رضاعاً بالفتح ... وارتضعت العنز، أي شربت لبن نفسها». وانظر أيضاً لسان العرب.

فالرضاع هو شرب اللبن، وقد يحدث إذا شربت قليلاً أم كثيراً، أي بمصّة أو مصّتين أو ثلاث....، والرضْعة هي الواحدة من الرضاع - أي وجبة - وقد تشمل عدّة مصّات.

وبعض الأحاديث التي جاءت في هذا الباب ورد فيها «المصّة والمصّتان أو الرضعة والرضعتان»، وقد جاء الفصل بين فعليّ «المصّ» و«الرضاع» بكلمة «أو» التي قد تفيد أحد القولين: إما الشك، وإما التخيير.

وتفصيل دلالة الشك لكلمة «أو» في الحديث التي روته السيدة عائشة ﷺ هو كالآتي:

جاء في شرح الحديث رقم 1940 في شرح سنن ابن ماجه للسندي: «قوله: (الرضعة ولا الرضعتان أو المصة إلخ): أو: للشك»، فإذا كان الشك، فذلك مردّه أن أحداً من الرواة نسي اللفظ الذي جاء على لسان رسول الله ﷺ، فشكّ أن الفعل المراد هو المص أو الرضاع، وبالتالي علينا الترجيح في أيّ من اللفظين: «مصّة» أو «الرضعة» هو المراد بالأصل.

ومعظم الأحاديث التي وردت في هذا الباب جاءت بلفظ «المصّة والمصّتان» فقط، وجاء في بعض الأحاديث «الإملاجة ولا الإملاجتان»، ومعنى كلمة «إملاجة» هو معنى كلمة المصّة: وهو الشرب القليل، ولكن بأدنى الفم (انظر مبحث «**الجوع أساس للتحريم**»)، مما يعزّز أن الرسول ﷺ أراد معنى المصّة في الحديث الذي رواه مسلم، والله تعالى أعلم.

والذي يدعّم مقولتنا الحقائق العلمية والحديثان: «لا يُحرّمُ منَ الرَّضاعة إلّا ما فتقَ الأمْعاء في الثّدْي وكان قبْل الفطام» [أخرجه الترمذي ح1150] و«لا يُحرّمُ منَ الرَّضاع إلّا ما أنْبتَ اللّحْم وأنْشزَ العظْم» [أخرجه

الإمام أحمد ح58]. فالحقائق العلمية تشير إلى أن الحليب المحفّف - الذي لا يحتوي على كثير من الدسم (والذي لا يسبب بالتالي التحريم) - هو الذي يخرج في أول مصّتين للثدي الأم، بينما يخرج الحليب المثقّل المغذّي - الذي يحتوي على كثير من الدسم (والذي يسبب بالتالي التحريم) - بعد ذلك من خلال عملية شفط قويّة تستوجب عدّة مصّات. والحديث الأول يشير إلى أن الحليب الذي يخرج بدون فتق الأمعاء في الثدي لا يحرّم، وليس كافياً أن يُنبت لحم الطفل وينشز عظمه (كما يفيد الحديث الثاني)، وهذا الحليب - كما أشرنا إليه سابقاً - لا يمكن أن يكون إلا الحليب الذي يخرج في أول مصّتين حسب المعطيات العلمية. ومن هنا نفهم أن المعطيات العلمية والحديثية والدلالات اللغوية تشير معاً إلى أنه لا يجب علينا أن نعتبر أن المصّتين الأوليين للثدي هما بمثابة غذاء جيّد، ووجبة كاملة للطفل، وبالتالي فإن المصّتين هو اللفظ المقصود بالحديث الذي رواه مسلم، وهذا ما نرجّحه. والله تعالى أعلم.

وتفصيل دلالة التخيير لكلمة «أو» في الحديث التي روته السيدة عائشة رضي الله عنها هو كالآتي:

جاء في لسان العرب، باب الهمزة: «أوْ: حرف عطف. وأو: تكون للشك والتخيير، وتكون اختياراً».

وإذا اعتبرنا أن كلمة «أو» هي للتخيير، فيكون المعنى: لا تحرّم المصة أو المصتان أو الوجبة (الرضعة) والوجبتان (الرضعتان)، أي لا تحرم المصة أو المصتان كما لا تحرم الوجبة والوجبتان.

فإذا سلّمنا بأن هنالك فرقاً بين كلمتي «مصّة» و«رضعة»، بقي علينا أن نجيب على من ادعى أن الحديثين «لا تُحرِّمُ الْمصّةُ والْمصّتان» [أخرجه أحمد ح160] و«أرضعيه خمس رضعات» [أخرجه الإمام مالك ح2] معارضان للآية القرآنية: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾ [النساء: 23].

فالآية: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾ [النساء: 23] تتكلّم عن النساء اللاتي تُطعم أولادهنّ من لبنهنّ في الرضاعة التي تحرم، ولا مانع أن يكون هنالك قيد لهذه الظاهرة، بمعنى: والنساء اللاتي ترضع أولادهنّ الرضاعة التي تحرم [أي أن ترضع كما يتوجب].

وأمّا التعارض بين الحديثين «أرْضعيه خمْس رضعاتٍ فيحْرُمُ بلبنها» و«لا تُحرِّمُ الْمصّةُ والْمصّتان» فيزول عندما نفهم معنى كلٍّ من كلمتي «مصّة» و«رضعة». فالمصّة هي جزء من الرضعة، وبالتالي فإن الحديث الثاني يأتي مقيّداً للحديث الأول. وإذا عملْنا على التأليف بينهما فهمنا أن الرسول ﷺ أمر سهلة بأن ترضع سالماً رضي الله عنه خمس رضعات، كلُّ واحدة منها لا تقلّ عن مصّتين (أو تستثنيان المصّتين الأوليين)، بل كلُّ واحدة منها لا تقلّ عن عدد كثير من المصّات، لأن الطفل الجائع - كما أشار إليه الحديث: «انْظُرْن منْ إخْوانُكُنّ، فإنّما الرّضاعةُ من الْمجاعة» [أخرجه البخاري ح155] - لا يشبع من خلال ثلاث مصّات، ولا من أربع كما هو مألوف للجميع.

وإذا أخذنا بدلالة كلمة «أو» للتخيير، فهمنا الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها على النحو التالي: لا تحرّم الرضعة والرضعتان [ولا الثالثة، ولا الرابعة، بل من الخامسة كما يشير إليه الحديث الذي روته سهلة في سالم]. فلعلّ تخصيص الرضعة والرضعتين كان لموافقة السؤال كما تقتضيه روايات الحديث ليس أكثر. جاء في شرح ابن ماجه للسندي للحديث رقم 1940: «قوله: (الرضعة ولا الرضعتان أو المصة إلخ)... ولعل تخصيص المصة والمصتين لموافقة السؤال كما تقتضيه روايات الحديث فلا يدل على أن الثلاث محرمة عند القائل بالمفهوم». =

= والحديث: «لا يُحرِّمُ من الرضاع إلاّ ما أنبت اللحم وأنشز العظم» [أخرجه الإمام أحمد ح158] يؤكد أن المصة أو المصتين أو الوجبة والوجبتين من اللبن ليسا كافيين للتحريم، وأنه لا يسبِّب التحريم إلا كميّة كافية من اللبن تُثبت اللحم وتنشز العظم، وهذا لا يحصل بمصة أو مصتين، أو وجبة أو وجبتين غير مُشبعتين، لا تؤثر على هيكلية الطفل بشكل ملحوظ.

والحديث الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها: «أُنزل في القرآن عشرُ رضعاتٍ معلوماتٍ فنُسخ من ذلك خمسٌ وصار إلى خمس رضعاتٍ معلوماتٍ فتوفي رسولُ الله ﷺ والأمرُ على ذلك» [أخرجه مسلم ح104] يعضد هذا الكلام. فالحديث يصرّح أنه كان من القرآن المنسوخ تلاوة، وليس حكماً، خمس رضعات معلومات. ومن المعلوم أن هناك ثلاثة أنواع من النسخ، وتفصيله كما جاء في صحيح مسلم بشرح النووي في تفسير هذا الحديث: «والنسخ ثلاثة أنواع: - أحدها: ما نسخ حكمه وتلاوته كعشر رضعات، - والثاني: ما نسخت تلاوته دون حُكمه كخمس رضعات والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما، - والثالث: ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته، وهذا هو الأكثر، ومنه: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم﴾ الآية، والله أعلم». وتفصيل النسخ: أنه تأخرَ نسخ تلاوة الآية التي تنص أن الرضاع يجب أن يكون بخمس رضعات معلومات حتى إن بعض الصحابة ظلّ يتلوها لعدم درايته بنسخها. جاء في صحيح مسلم بشرح النووي: «وقولها [أي السيدة عائشة رضي الله عنها]: (فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ) هو بضم الياء من (يقرأ)، ومعناه: أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جداً حتى إنه ﷺ توفي وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآناً متلواً لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده، فلمّا بلغهم النسخ بعد ذلك، رجعوا عن ذلك، وأجمعوا على أن هذا لا يتلى». فهذا الحديث يخبرنا أن التحريم يحدث بخمس رضعات معلومات. والرضعة المعلومة ما هي إلا الرضعة المعلوم فيها أن الرضيع تناولها عن جوع، وأنها أشبعته، وأن الحليب الذي تجرّعه كان من النوع المثقل الذي يخرج بفتق الأمعاء الموجودة في الثدي، وأنها أنبتت اللحم وأنشزت العظم، كما نفهم من مجموع الأحاديث، والتفاسير. جاء في تفسير القرطبي للآية: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾ [النساء:23]: «فوصفها بالمعلومات إنما هو تحرز مما يتوهم أو يشك في وصوله إلى الجوف». وكذلك جاء في شرح سنن النسائي للسندي للحديث رقم 3307. فوصف الرضعات بالمعلومات ما هو إلا تنبيه لنا بأن نتأكد أن جميع الشروط التي تلفظ بها الرسول ﷺ في الأحاديث الأخرى تنطبق على أحكام الرضاع قبل أن نُطلق حكم التحريم على المرضعة والرضيع، وإلا لما صحّ التحريم، **ومختصره: أن تكون خمس وجبات مشبعات من لبن الأم المرضع من النوع المثقل**. جاء في تفسير القرطبي للآية رقم 23 من سورة النساء: «ويفيد دليل خطابه أن الرضعات إذا كانت غير معلومات لم تحرم. والله أعلم».

ومن المهم جداً أن نشير إلى أن النسخ بخمس رضعات كان آخر ما آل إليه الأمر في مسألة الرضاع، وبالتالي فعلينا العمل به لأننا لا نستطيع أن نعتبر الأحاديث الأخرى ناسخة له (وإن لم نعتبر في نظرنا الأحاديث الأخرى معارضة له)، كما أنه يتوجّب علينا العمل بدلالات لفظ النسخ، وهي أن تكون الرضعات معلومات - أي مشبعات - .

13 - عدوى اللبن :

● قال رسول الله ﷺ: «لا تسترضعوا الورهاء/ أي الحمقاء/ فإن اللبن يُعدي» [أخرجه الطبراني ح61].

يدل الحديث السابق على أن الحماقة معدية بواسطة الرضاعة، فالرسول ﷺ يوجه الأسرة إلى عدم طلب المرضع الحمقاء لترضع الطفل لأن احتمال العدوى واردة.

وهذا الحديث يعطي بعداً علمياً دقيقاً ما تعرفت إليه البشرية إلا بعد جهد متواصل من الأبحاث العلمية.

ونشير إلى ما دلت عليه المعطيات العلمية ليتضح للقارئ عوامل انتقال العدوى:

1 - إن الرضيع يعتمد كلياً على مصدر واحد (لبن الأم) في غذائه، وبالتالي فهو يتأثر به جذرياً بعكس البالغ الذي يتناول غذاء متنوعاً، ولديه مصادر متعددة للغذاء تمدُّه بمختلف العناصر الغذائية.

2 - إن تركيبة اللبن تختلف من أم إلى أخرى[1]، فهذا اللبن قد تمّ تركيبه حسب البيانات الوراثية الموجود سرها في خلايا غدد اللبن والتي نشأت مع الجنس البشري[2].

3 - إن الغذاء الذي يشتق من لبن الأم يدخل في بناء الأنسجة لدى الرضيع[3].

4 - إن أي تغيير كيميائي في اللبن سوف يترجم إلى تكوين مختلف في أنسجة الجسم التي تتكون آنذاك[4].

---

(1) كتاب تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية، ص 25.

(2) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 149، بتصرف.

(3) فعلى سبيل المثال: يستخدم معظم البروتين (حوالي 90 ٪) الذي يتناوله الرضيع في الأسابيع الأولى من الرضاعة في بناء الأنسجة. (كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ص100/ كتاب تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية، ص 73، بتصرف).

(4) فعلى سبيل المثال: فإن الأطفال الذين يرضعون لبن الأبقار أو تركيبة تحتوي على زيوت نباتية يكون عندهم جميعاً مخزون من الدهن مختلف التكوين (كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص145).

5 - إن المخ وبقية الجهاز العصبي يمران بتغييرات سريعة خلال سنوات الطفولة الأولى[1].

6 - إن البروتين والدهن مكونان مهمان من مكونات الجهاز العصبي[2].

7 - إن تركيب البروتين والدهن يتم وفق الرسالة الجينية[3].

8 - إن أي اختلال في تركيب البروتين والأحماض الدهنية يؤثر على نمو المخ والجهاز العصبي بشكل غير سليم.

9 - وبما أن الحمقى هي حمقى من جراء اختلال في الرسالة الجينية، فبالتالي إن لبنها سوف يحمل في طياته انعكاساً لتركيبها المختل إذ إن «العناصر الغذائية المختلفة في لبن الثدي (ونشير هنا بالأخص إلى البروتين والأحماض الدهنية)... تم تركيبها وفقاً للبيانات الوراثية التي نشأت مع الجنس البشري» وهذا يؤدي بدوره إلى بناء أنسجة مخية وعصبية غير سليمة لدى الرضيع موافقة لما يحتويه الغذاء.

ونعطي بعض الأمثلة:

أ - إن المخ يعتمد في نموه على الأحماض الأمينية ولا سيما (السستين CYSTINE) و(الثورين TAURINE)[4] وبالتالي فإن نقصاً في نسب هذه الأحماض من الممكن أن يؤدي إلى عدم نمو المخ نمواً كاملاً وإلى قصور عقلي.

---

(1) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 145 - 146.

(2) فعلى سبيل المثال: إن البروتين المسمى بتورين يلعب دوراً مهماً كناقل ومعدّل لتطور الجهاز العصبي، و(الأحماض الدهنية غير المشبعة طويلة السلسلة LONG CHAIN POLYUNSATURATED FATTY ACID) مهمة لتطور المخ والنخاع. (كتاب تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية، ص 26-27).
كما أن الأحماض الدهنية التي تحتوي على (ذرات الكربون POLYENOIC ACID) تتكدس بسرعة في دماغ الجنين في الثلث الأخير من الحمل. (كتاب تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية، ص 74).

(3) وبالتحديد يتم تركيب البروتين في الريبوسوم على الشبكة الأندوبلازمية (وفق الرسالة الجينية) (كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 135) وبعد أن ينتقل الدهن من الطعام إلى الثدي، ويحدث تحليله المائي، يتم أسترته بالجليسرول على الشبكة الأندوبلازمية لتكوين قطرات الدهن (وفق الرسالة الجينية أيضاً) (كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 143).

(4) كتاب تشجيع الأمهات على الإرضاع الطبيعي، د. فيليستي سفج كيج، ص 52.

ب - إن الدهن مكوّن مهم من مكوّنات الجهاز العصبي[1] وهو ضروري لنمو المخ[2] ويعتمد على الحامض الدهني (اللينولين LYNOLINE) وعلى (الكولسترول CHOLESTEROL)[3] وبالتالي أي نقص فيهما من المحتمل أن يؤدي إلى قصور عقلي.

ج - إن ارتفاعاً في بعض الأحماض الأمينية بالدم مثل ارتفاع في (التيروسين TYROSINE) و(الفينايلانين PHENYLANINE) وسلسلة الأحماض الأمينية المتفرعة و(المثيونين METHIONINE) يمكن أن يؤدي إلى قصور عقلي، وذلك لأن المولود (خاصة بالنسبة للأطفال غير كاملي النمو) لا يملك الخمائر اللازمة لتحليل هذه الأحماض[4].

ومثال على ذلك: فإن الأمهات المصابات بالتخلف العقلي المسمى: (ب ك يو PKU)، الناتج عن ارتفاع في مستوى الحامض الأميني لديهن، ينجبن أطفالاً أشد تخلفاً في حال إرضاعهن لأولادهن، وكذلك فإن رضاعة الأمهات المصابات (بمرض الرّقة س FRAGILE X) لأولادهن تؤثر سلبياً على عقول أطفالهن.

ونفصّل ما يحصل في المرض المسمى (بالب ك يو PKU):

إن مرض (الب ك يو) ينتج عن طفرة جينية[5] تحدث من أثر مورّثات متنحية تأتت من كل من الأبوين[6]، ويؤدي هذا المرض إلى تراكم الحامض الأميني (الفنيلالانين PHENYLALANINE) ونقص مستوى الحامض الأميني (ل - تيروزين L - TYROSINE) في الدم[7] عند الشخص المصاب، فلا يستطيع أن يهضم الحامض الأميني الأساسي - الفنيلالانين - فيتسمّم جهازه العصبي، ويتولّد لديه خلل عقلي غير رجعي[8].

---

(1) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 145.

(2) كتاب تشجيع الأمهات على الإرضاع الطبيعي، د. فيليستي سفج كينغ، ص 48.

(3) كتاب تشجيع الأمهات على الإرضاع الطبيعي، د. فيليستي سفج كينغ، ص 52.

(4) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 110.

(5) WWW.Thearc.org/faqs/pku.htmk, How PKU is inherited, 7/2/2004.

(6) (المدخل لعلم النفس INTRODUCTION TO PSYCHOLOGY)، ريتشارد أتكنسن، إدوارد سميث، داريل بام، ص 63.

(7) WWW.vitacost.com/science/hn/Concern/Phenylketonuria.html, 7/2/2004.

(8) المدخل لعلم النفس، ريتشارد أتكنسن، إدوارد سميث، داريل بام، ص 63.

ولقد رأينا أن المرأة المرضع تستمد الأحماض الأمينية الأساسية لحليب الرضاعة من الدم[1]. وبما أن مستوى الحامض الأميني عالٍ في الدم، فمن الطبيعي أن تفرز المرأة الحمقى لبناً يحتوي على مستوى عالٍ من الحامض الأميني، مما سيؤثر سلباً على عقله وجهازه العصبي.

ولقد تعدّدت آراء العلماء العاملين في مجال الرضاعة في كيفية التعامل مع هذا المرض، ولكن عبّرت كلها عن نفس المعتقدات، وسنستعرض تلك الآراء فيما يلي:

- فمن العلماء من ذهب إلى عدم إرضاع الأم لولدها المصاب بمرض (الب ك يو) لأن جسم الولد لا يستطيع هضم الحامض الأميني - الفنيلالانين - [2].

- ومنهم من ذهب إلى أن المرأة المصابة (بالب ك يو) يجب أن تتبع نظاماً حميوياً صارماً للغذاء قبل سنة من حملها، ويجب أن تبقى على هذا النظام خلال إرضاعها حتى يصبح ولدها بصحّة جيّدة[3].

- ومنهم ما لم يفضّل الرضاعة للأطفال المصابين بمرض (الب ك يو)، ونصح بتعديل وجباتهم[4].

- ومنهم من ذهب إلى أن إرضاع الولد من الثدي (بعد اتباع نظام حميويّ معيّن) أفضل من إطعام الولد من الغذاء الصناعي، وذلك لأن الأطفال المصابين (بالب ك يو) لهم القابلية بالاحتفاظ بكميات غير طبيعية من معدن (المولیبدنوم MOLYBDENUM)، والغذاء الصناعي يحتوي على كميات من معدن المولیبدنوم تفوق بكثير الكميات الموجودة في حليب الثدي، مما يعني أن الأطفال الذين يتغذون على الغذاء الصناعي قد يصبح لديهم كميات زائدة من معدن المولیبدنوم[5].

- ومنهم من ذهب إلى إرضاع الأولاد من كلا المصدرين: من القارورة التي تحتوي على حليب صناعي خالٍ من الحامض الأميني - الفنيلالانين - ، ومن الثدي، بحيث إن عدد الوجبات من الثدي تتحدد من خلال نسبة الحامض الأميني

(1) راجع بحث «رعاية الخلق: الرضاعة/ المكونات الأساسية للبن».

(2) WWW Geocities.com/Wellesley Garden 2737/Why.html. Why breast feed. 7/2/2004.

(3) WWW.Thearc.org faqs pku.html. What happens when women with PKU have children (Levy 1988). 7/2/2004.

(4) WWW.hotspotshawaii.com nalostuff Feb96 BreastFeeding.html. 7/2/2004

(5) WWW.vitacost.com science hn Concern Phenylketonuria.html. Dietary changes that may be helpful. 5/2/2005.

- الفنيلالانين - [التي يجب أن تتواجد] في بلازما الدم، وحجتهم أن ذلك النظام يتيح للطفل أن يشرب (اللبن الخلفي HINDMILK) إضافة إلى (اللبن الأولي FOREMILK) [الذي يعود بالصحة على الولد][1].

وحجة البعض الآخر - ممن نصح بإرضاع الطفل من الثدي إضافة إلى إطعامه من غذاء يحتوي على معدل منخفض من الفنيلالانين - أن الطفل يحتاج إلى البعض من الفنيلالانين لينمو بشكل طبيعي بالرغم من أنه مصاب بمرض يعجز فيه على تكسير هذا الحامض، وأن اللبن الإنساني [للأم غير المصابة بمرض (الب ك يو) طبعاً] يحتوي على معدل من الفنيلالانين أقل من المعدل الموجود في أي غذاء صناعي، وبالتالي فيجب على المرأة [غير المصابة] أن تضيف على الغذاء الصناعي - ذو المحتوى المنخفض من الفنيلالانين - الرضاعة، حتى ينخفض مستوى الفنيلالانين لدى الأطفال ممن يعتمدون على الطعام الصناعي فقط في تغذيتهم. وقد أظهرت بعض الأبحاث أن الأطفال الذين يتغذون من كلا المصدرين هم أعلى ذكاءً من الذين يعتمدون على الغذاء الصناعي فقط[2]، مما يشير إلى أن تناول كمية من الفنيلالانين أكثر من اللازم يؤدي إلى قصور عقلي.

ومن الجدير بالذكر أن الحديث رقم 61 لا يتكلم عن موضوع رضاعة الأطفال المصابين بمرض (الب ك يو)، ولكن عن موضوع اجتناب الرضاعة من المرأة المصابة بالمرض المذكور، وعليه فهو يتحدث عن حالة المرأة المصابة وتأثير لبنها على الطفل، سواء أكان الطفل مصاباً بالمرض المذكور أم لا، وسواء أكان ولدها أو ولد امرأة أخرى.

فحتى لو كان الولد ابناً لغيرها، وكان صحيح الجسم، فعلينا أن نجتنب الرضاعة منها لأن هناك خلل في لبنها.

أما في مجمل البحوث التي ذكرناها آنفاً فكانت تقارن بين الحليب الإنساني والغذاء الصناعي، وليس بين حليب المرأة الحمقى وحليب المرأة الصحيحة العقل والبدن. كما أن الكلام كان يدور غالباً على مدى تقبل الطفل المصاب بالمرض المذكور

---

(1) WWW.ncbi.nlm.nih.gov entrez query.fcgi?cmd Retrieve &db PubMed&list_uids - 126, A different approach to breast - feeding of the infant with phenylketonuria. 5 2 2004.

(2) WWW.storknet.com cubbies breast AS - desntworkout.htm. 7 2 2004، وكتاب: «التغذية من الصدر وعملية الإدرار اللبن الإنساني»، كاثلين أفرباخ وجان ريوردان، ص653، (Riva et al., 1996, McCabe et al., 1989).

لحليب الأم سواء أكانت مصابة بالمرض المعتبر أم لا، فقد تكون (حاملة CARRIER) للمرض فقط (وغير مصابة) دون أن تعلم ذلك (لأن عوارض المرض لا تظهر عليها، حيث أن المورّثات هي من النوع المتنحي)، وأنجبت بذلك ولداً مصاباً بالمرض المذكور، وهي ماضية بإرضاعه، وبالتالي فإن الموضوعين مختلفين إلى حد ما.

وما نستطيع أن نستخلصه من مجموع الكلام الذي سقناه: أن المرأة المصابة تحمل معدلات عالية من الفنيلالانين في دمها، وأن الأطباء ينصحون باتباعها نظاماً حميوياً صارماً للغذاء لكي تنخفض وتتزن معدلات الفنيلالانين في دمها ومن ثمّ في حليبها، وإنهم يفضّلون الرضاعة من الثدي على التغذية من الطعام الصناعي لعدّة أسباب أهمها:

- إن تركيز المعادن أفضل في اللبن الإنساني.
- إن هناك لبن خلقي في اللبن الإنساني غير موجود في الغذاء الصناعي.
- إن الطفل يحتاج إلى البعض من الفنيلالانين للنمو السليم بالرغم من أنه مصاب بمرض يعجز فيه عن تكسير أحماض الفنيلالانين.

وعليه نفهم أن العلم يتّفق مع النصوص الشرعية على أنه يجب أن لا نسترضع الحمقى لأن لديها معدّل عالٍ من الفنيلالانين، وإنه يجب أن نحافظ على الرضاعة من الثدي للأولاد - سواء أكانوا مصابين بالمرض المذكور أم لا - لأنه لا بديل للرضاعة بالنسبة للتمثيل الغذائي للطفل، ولذلك فإن أفضل حل لهذه المعضلة هي الرضاعة من امرأة أخرى صحيحة الجسم عملاً بالآية: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق: 6]. فهذه الآية تنص على أن تُستبدل المرأة المرضع بامرأة أخرى في حال وجود عسر في الرضاعة (ويتمثّل العسر هنا في حماقة المرأة)[1]، وبما أن

---

(1) العسر في الرضاعة لا يقتصر على خلاف الزوجين في قدر النفقة التي يجب أن يدفعها الرجل للمرأة المطلقة أو ما شابه ذلك، كما أشار إليه الكثير من مفسري القرآن الكريم، ولكن يطول كل ما يؤدي أو قد يؤدي إلى ضرر بأحد الزوجين أو الرضيع، والعسر - كما عرّفه ابن فارس في «مقاييس اللغة» (ج4/ ص319) - هو: «عسر: العين والسين والراء أصل صحيح واحد يدلّ على صعوبة وشدّة، فالعسر نقيض اليسر». ومثال ذلك الآيتان: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 280]، و﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 117].

والأحكام الفقهية ترتكز على عمومية اللفظ في التطبيق، والقياس، وليس على السبب الذي نزلت من أجله الآية القرآنية فقط، وبالتالي يتعيّن تطبيق أحكام الآية المعتبرة عندما نصادف أي مشكلة كانت تقف في وجه الرضاعة من الأم، ومنها: الرضاعة من أم ذات لبن فاسد.

الإسلام لا يعارض العلم، بل يدعو إليه، فنقول: إن على المرأة المرضع أن تتبع نظاماً حميوياً معيناً في حال كان الطفل مصاباً بمرض (الب لـ يو) يعدّل من مستوى الفنيلالانين في حليبها.

ومن هذا الكلام يتبيّن لنا أن الإرشادات المستقاة من النصوص الشرعية لتدلّ حتماً على أن التعاليم الإسلامية لهي الأفضل لصحة الطفل ونموه السليم.

وهكذا يتبين لنا إعجاز الرسول ﷺ في الإشارة إلى أن الحماقة تنتقل بواسطة اللبن من الأم المرضع إلى الرضيع.

14 - الغيل:

● جاء في الحديث أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: إنّي أعزل عن امرأتي، فقال له رسول الله ﷺ: «**لم تفعل؟**»، فقال الرجل: أشفق على ولدها، أو على أولادها، فقال رسول الله ﷺ: «لو كان ذلك ضارًا ضرّ فارس والرّوم» [**أخرجه مسلم ح51**].

● قال رسول الله ﷺ: «لقد هممتُ أن أنهى عن الغيلة، فنظرت في الرّوم وفارس، فإذا هم يُغيلون أولادهم، فلا يضرّ أولادهم ذلك شيئاً» [**أخرجه مسلم ح52**].

● قال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوا أولادكم سرًا فإن الغيل يُدرِكُ الفارس فيدعْثِره عن فرسه» [**أخرجه أبو داود ح53**].

جاء في لسان العرب[1]: «غول: غاله الشيء غولاً واغتاله: أهلكه وأخذه من حيث لا يدري. والغول: المنية واغتاله قتله غيلة...».

نفهم من التفسير أن أصل كلمة «الغيل» يشير إلى قتل الشخص من حيث لا يدري.

والغيلة عند العرب هو أن يجامع الرجل امرأته وهي تُرضع.

جاء في شرح سنن النسائي للسندي[2]: «قوله (أنهى عن الغيلة) بكسر الغين المعجمة وفتحها، وقيل الكسر لا غير هو أن يجامع الرجل زوجته وهي مرضع...».

والغيلة عندهم أيضا هو أن ترضع المرأة وهي حامل.

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة (غول) (ج10/ ص146).

(2) شرح سنن النسائي للسيوطي وحاشية السندي - كتاب النكاح - الغيلة (ج6/ ص107).

ورد في صحيح مسلم بشرح النووي[1]: "وقال ابن السكيت: هو أن ترضع المرأة وهي حامل، يقال أغالت وأغيلت".

وقد سمى العرب كُلاً من الجماع والإرضاع غيلة لأن المعتقد السائد عندهم هو أنّ المرأة قد تحمل إن جامعها زوجها خلال فترة الرضاعة. فيفسد بالتالي لبنها، فيكون داءً لولدها، ويكون سبباً لقتله عندئذ، وبالتالي يسمى: الغيل.

جاء في صحيح مسلم بشرح النووي[2]: "قالوا والأطباء يقولون: إن ذلك اللبن داء والعرب تكرهه وتتقيه...".

وورد في القاموس المحيط: "الغَيْلُ: اللبنُ ترضعه المرأة ولدها وهي تُؤْتى، أو وهي حاملٌ. واسمُ ذاكَ اللَّبن: الغَيْلُ أيضاً. وأغالتْ ولدها وأغيلته: سقته الغَيْل، فهي مُغيلٌ ومُغْيِلٌ، وهو مُغالٌ ومُغْيَلٌ"[3].

والأحاديث التي أوردناها آنفاً تتكلم عن التسبب في قتل الأطفال من حيث لا يدرون، فهي تنهي عن هذا الفعل وعن الأسباب التي تؤدي إليه.

والحديث الأول: «أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني أعزل عن امرأتي...» يتكلم عن الجماع، لأن الصحابي يتكلم فيه عن العزل، وبالتالي فهو يتكلم عن الجماع.

والحديث الثالث: «لا تقتلوا أولادكم سرًا فإن الغيل يدرك الفارس..." [أخرجه أبو داود ح53] يتكلم عن الرضاعة من المرأة الحامل لأن رسول الله ﷺ قد تحدث فيه أن الغيل يدرك الفارس (أي الطفل، كما سنرى فيما يلي من البحث). والجماع ليس له تأثير مباشر على الطفل الرضيع، لأنه يسبب الحمل الذي بالتالي يؤثر على نوعية لبن الرضاعة، ناهيك عن أن تأثير الجماع مشروط، هل ستحمل منه المرأة أو لا. (وهي بالغالب لا تحمل كما سنرى فيما يلي من البحث).

قد اختلف العلماء في المعنى الذي أراده الرسول ﷺ في الحديث الثاني، أي في الحديث: "لقد هممت أن أنهى عن الغيلة..." [أخرجه مسلم ح52]، هل أراد الجماع، أو أراد تردّي نوعية لبن الرضاعة؟.

(1) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب النكاح - باب جواز الغيلة - وهي وطء المرضع - وكراهة العزل - رقم الحديث 140 - (ج5/ ص271).

(2) صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب النكاح - باب جواز الغيلة - وهي وطء المرضع - وكراهة العزل - رقم الحديث 140 - (ج5/ ص271).

(3) القاموس المحيط باب اللام، فصل الغين، ص 1344.

جاء في صحيح مسلم بشرح النووي[1]: "و اختلف العلماء في المراد بالغيلة في هذا الحديث".

فإذا أخذنا برأي العلماء الذي يميل إلى معنى الجماع، فبشير الحديث "لقد هممت أن أنهى عن الغيلة. . ." عندئذ إلى إباحة الرسول ﷺ لجماع الرجل زوجته وهي حامل لقوله ﷺ: "فنظرت في الرّوم وفارس، فإذا هم يغيلون أولادهم، فلا يضرّ أولادهم ذلك شيئاً" [أخرجه مسلم ح52].

وأما إذا أخذنا برأي العلماء الذي يميل إلى معنى تردّي نوعية لبن الرضاعة، فيشير الحديث "لقد هممت أن أنهى عن الغيلة. . ." عندئذ إلى أن الرسول ﷺ أباح إرضاع الطفل من لبن الأم عملاً بلفظ "فنظرت في الرّوم وفارس، فإذا هم يُغيلون أولادهم، فلا يضرّ أولادهم ذلك شيئاً" [أخرجه مسلم ح52]، ومن ثم نسخ ذلك جليًا بالحديث "لا تقتلوا أولادكم سرًا. . ." [أخرجه أبو داود ح53]، لأن صيغة النهي واضحة فيه.

وسواء فسرنا الحديث "لقد هممت أن أنهى عن الغيلة. . ." بالحديث "أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني أعزل عن امرأتي. . ." [أخرجه مسلم ح51] أو الحديث "لا تقتلوا أولادكم سرًا. . ." [أخرجه أبو داود ح53] فالنتيجة واحدة، وهو أن مجامعة الرجل لامرأته وهي حامل مباح عملاً بالحديث "أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني أعزل عن امرأتي. . ." وأن إرضاع الطفل من أمه وهي حامل منهي عنه عملاً بالحديث "لا تقتلوا أولادكم سرًا. . ." [أخرجه أبو داود ح53]، ونترك للقارئ الأخذ بما يراه الأرجح، ولا خلاف بيننا وبينه.

وسوف نأخذ بالمعنى الثاني للغيل (أي بمعنى تردّي نوعية لبن الرضاعة)، لكي نشرح للقارئ الكريم بالتفصيل، أبعاد الأحاديث الثلاثة التي أوردناها سالفاً.

وتفصيل ذلك: أن الرسول ﷺ كاد أن يتبنى موقف العرب من لبن الرضاعة في بادئ الأمر نظراً لما جرت به العادة وكان العرف السائد بينهم، ولذلك أراد أن ينهى عنه قائلاً: "لقد هممت أن أنهى عن الغيلة. . ." [أخرجه مسلم ح52]، غير أنه نظر في فارس والروم فرأى أنهم يرضعون أولادهم خلال حمل نسائهم ولا يضرهم شيئاً، فقاس ذلك على العرب وكان اجتهاداً منه ﷺ، ولم ير بأساً بذلك، فقال: "فنظرت

(1) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب النكاح - باب جواز الغيلة - وهي وطء المرضع وكراهة العزل - رقم الحديث 140 (ج5/ ص271).

في الرّوم وفارس، فإذا هم يُغيلون أولادهم، فلا يضرّ أولادهم ذلك شيئاً" [أخرجه مسلم ح52].

جاء في المنتقى شرح موطأ مالك[1]: "وقوله ﷺ: (لقد هممت أن أنهى عن الغيلة" يدل على أنه قد كان يقضي ويأمر وينهى بما يؤديه إليه اجتهاده...").

وجاء في صحيح مسلم بشرح النووي[2]: "... وفيه جواز الاجتهاد لرسول الله ﷺ".

غير أن إجازة الرسول ﷺ في إرضاع الطفل من لبن الغيلة نُسخ بعد أن أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ الوحي وأمره بأن ينهى الأمة عن هذا الفعل، فقال ﷺ عندئذ: «لا تقتلوا أولادكم سرًا..." [أخرجه أبو داود ح53].

وتنبيه الوحي السماوي لأمور لم يخترها الرسول ﷺ بحكم طبيعته البشرية لم تكن هي الأولى. وقد تكرر ذلك أكثر من مرة في تاريخ السيرة النبوية الشريفة. ونعطي مثالاً على ذلك: فقد عاتب الله - سبحانه وتعالى - رسوله الكريم ﷺ في الآية: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾ [عبس: 1، 2] لأنه أخر تذكير الأعمى في بعض أمور دينه وذلك لحضور كبار زعماء قريش عنده، وأهمية دعوتهم إلى الإسلام، فيسلم بإسلامهم من كان تحت قيادتهم.

وبعد: فالقتل في الحديث "لا تقتلوا أولادكم سرًا..." [أخرجه أبو داود ح53]، جاء معناه في الاستقبال، والدليل على ذلك هو: أن الرسول ﷺ قال: «فإن الغيل يُدْرِك الفارس". فلو أن القتل كان في الحال لما نشأ الولد وأصبح فارساً فأدركه الغيل عندئذ.

والقتل هنا ليس من قِبل الوالدين مباشرة لأنه يأتي عندما يمتطي الفارس جواده فيقع عنه.

والقتل يحصل بدون معرفة أحد كما يشير إليه لفظ "لا تقتلوا أولادكم سرًا". فلو كان الغيل قتل الأولاد في الحال مباشرة من الوالدين في مجتمع يبيح ذلك من خلال الرضاعة لما أصبح الأمر سرًا، لاختلاط الناس فيما بينهم ولعلمهم بحال بعضهم.

(1) المنتقى شرح موطأ مالك - كتاب الرضاع - باب ما جاء في الرضاعة (ج4/ ص154).
(2) صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب النكاح - باب جواز الغيلة - وهي وطء المرضع - وكراهة العزل - رقم الحديث 140 - (ج5/ ص271).

ومن هذه الملحوظات وجب علينا أن نفسر الأحاديث على الوجه الآتي:

جاء في عون المعبود شرح سنن أبي داود[1]: «فإذا حملت فسد لبنها، يريد أن من سوء أثره في بدن الطفل وإفساد مزاجه وإرخاء قواه أن ذلك لا يزال ماثلاً فيه إلى أن يشتد ويبلغ مبلغ الرجال، فإذا أراد منازلة قرن في الحرب وهن عنه وانكسر، وسبب وهنه وانكساره الغيل» انتهى.

وقال السندي: «وإن لم يظهر أثره في الحال حتى ربما يظهر أثره بعد أن يصير الولد رجلاً...».

فالقتل في الحديث «لا تقتلوا أولادكم سرًا...» هو **التسبب** في قتل الولد بعد أن ينشأ ويصبح فارساً من جراء إضعاف بنيته، وعدم إعطائه حقه من الغذاء من خلال إرضاعه من أمه الحامل التي تردّت نوعية لبنها.

غير أن هذا اللبن الذي خفّت استفادة الطفل منه لا يظهر أثره في الحال ولكن يظهر أثره على الولد بعد أن ينشأ ظهوراً ضعيفاً، ذلك لأن أعضاء الطفل الصغير لم تستفد كما يجب من لبن الحامل لأنه فقد بعضاً من قيمته الغذائية.

ومن الجدير بالذكر أن لبن الغيلة يرخي قوى الطفل مآلاً وليس بالحال، وبذلك فإن النهي عنه جاء هنا للإرشاد لا للتحريم، وهذا ما أشار إليه الحافظ ابن قيّم الجوزية[2] قائلاً: «فيكون النهي عنه أولاً إرشاداً وكراهة، لا تحريماً والله تعالى أعلم».

وبعد: فتشير الأحاديث التي وردت في باب الغيلة إلى عدة أمور هي:

- إن وطء الرجل لامرأته وهي حامل مباح.

- إن إرضاع الحامل لولدها مباح (وذلك إذا أخذنا برأي ابن قيّم الجوزية، وإلا فإن إرضاع الحامل لولدها لا يجوز).

إن إرضاع الولد من الأم الحامل غير مستحب.

- إن لبن الأم يفقد بعضاً من قيمته الغذائية مما يسبب ضعفاً في بنية الرضيع.

---

(1) عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب - كتاب الطب - باب في الغيل - رقم الحديث 3863 (ج10/ ص364).

(2) تعليقات ابن القيم على سنن أبي داود في كتاب عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب - كتاب الطب باب في الغيل - رقم الحديث 3863 (ج10/ ص365).

إن الضعف الذي يلحق في بنية الرضيع خفيف بحيث لا يظهر أثره جليًا عليه في الحال.

- إن هذا الضعف يلازم الطفل حتى بعد أن يشتدّ عوده ويظهر عملياً عليه في المستقبل.

ومن الكلام الذي سقناه: نفهم أن رسول الله ﷺ أباح للصحابي مجامعة امرأته قائلاً: «لو كان ذلك ضاراً ضرّ فارس والروم» [أخرجه مسلم ح5] لسببين: أولاً: لأن حمل المرأة نادر في حال أرضعت طفلها، وثانياً: لأن الضرر الذي قد يلحق بالرضيع - في حال حملت - محدود جدًا ولايكاد يبين، والله أعلم.

وتفصيل ذلك علمياً:

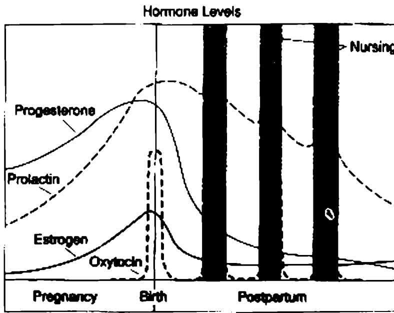
● في باب المجامعة: أنه أبيح للرجل جماع المرأة الحامل لأنه[1]: "من الصعب جداً أن تصبح المرأة المرضعة حاملاً قبل أن يبدأ طفلها الرضيع بالاعتماد على المصادر غير الإنسانية في غذائه".

وجاء في كتاب التغذية من الثدي والرضاعة الإنسانية[2]: "أظهرت مراجعة التقارير العالمية أن نسبة النساء اللاتي تحمل واللاتي لا تضعن أجهزة مانعة للحمل خلال الفترة المسماة (بفترة عدم الخصوبة الطبيعية LACTATIONAL AMENORRHEA) هي 3 إلى 10 في المئة".

والحاصل أن مستويات هرمون البرولاكتين في الدم الذي ينشط الغدد اللبنية ويحثها على الإفراز تنخفض بسرعة بعد الولادة ابتداء من اليوم الثالث بعد الولادة، بعكس ذلك في حال أرضعت الأم وليدها، حيث يستمر مستواه مرتفعاً إلى ما بعد تسعين يوماً من الولادة. وبالعكس يقلّ مستوى (الأستروجين ESTROGEN) في المرأة المرضعة بالرغم من أن مستويات هرمونات الغدد الجنسية المسماة: (المحرض القندي GONADOTROPIN HORMONES) تظل عادية ومرتفعة. (انظر الصورة رقم: 127). وقد يعني ذلك أن البرولاكتين له تأثير كابح لتكوين (ستيرويدات المبيض OVARIAN STEROIDS)، وحيث إن إفراز البرولاكتين يتناسب مع المدة التي تتعرض فيها الحلمة للإثارة، فإن الرضاعة الحرة - ودون تغذية مساعدة - هي أمر حيوي في تأخير عملية التبويض.

(1) كتاب تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية، ص 49.

(2) كتاب (التغذية من الصدر وعملية إدرار اللبن الإنساني، كاتلين أفرباخ وجان ريوردان BREASTFEEDING AND HUMAN LACTATION, KATHLEEN G. AVERBACH, JAN RIORDAN) ص677 - 678.



(127) - يقل مستوى الأستروجين في المرأة المرضعة كما يبينه لنا الشكل، وكما أشرنا إليه في البحث.

وليس على الرسول ﷺ أن يذكّر الصحابي بأن على امرأته أن ترضع وليدها لكي لا تحمل، لأن سؤال الصحابي يدور حول فساد لبن الأم المرضعة أصلاً، أي أنها بطبيعة الحال ترضع، وبالتالي فلا معنى لاشتراط الرضاع في هذا المقام.

ومن الكلام السابق نفهم أن مباشرة النساء خلال إرضاعهن لأولادهن لا يسبب الضرر لأولادهن؛ لأن حمل النساء في هذه الفترة نادر جداً كما أشار إليه رسول الله ﷺ، وكما دلّت عليه المعطيات العلمية والإحصائية.

● وفي باب الرضاعة: أنه أبيح للأم أن ترضع طفلها وهي حامل مع التلميح أن الرضاعة في هذه الحالة مكروهة للأسباب التالية:

- يخف مدد اللبن للرضيع في حال حمل المرأة، فقد أظهرت التقارير أن 70٪ من النساء الحوامل يشتكين من نقص في لبن الرضاعة[1]، وهذا يؤدي إلى سوء التغذية لدى الطفل الرضيع وإلى ضعف في بنيته إذا ما اعتمدنا على الرضاعة فقط، وإلى فطام الرضيع في فترة مبكرة من الرضاعة إذا ما اعتمدنا على المصادر غير الإنسانية، وهذا غير محمود لأنه يعتمد عندئذ على مصادر غريبة هي ليست بالغذاء المثالي.

- تشير التقارير أيضاً إلى أن مذاق لبن الأم المرضع يصبح مرّاً[2] مما يؤدي إلى فطام الرضيع في فترة مبكرة، وهذا يؤدي إلى نتائج غير محمودة كما أشرنا إليه سابقاً.

(1) كتاب التغذية من الصدر وعملية إدرار اللبن، كاثلين أفرباخ وجان ريوردان، ص332.
(2) كتاب التغذية من الصدر وعملية إدرار اللبن الإنسي، كاثلين أفرباخ وجان ريوردان، ص 331.

- ولعلّ مرارة طعم لبن الأم الحامل تعكس التغيّر الكيميائي لهذا اللبن، وفي هذا قال الشاعر:

هيهات تجني سكراً من حنظل   فالشيء يرجع في المذاق لأصله

وبالفعل فإن نسبة الصوديوم ومجموع البروتين في اللبن تزيد بينما تنخفض نسبة الجلوكوز واللاكتوز[1].

- واللاكتوز يوفّر 40٪ من حاجات الطفل للطاقة[2]، وبالتالي فإن انخفاض نسبة اللاكتوز في لبن الرضاعة يقلل من نسبة الطاقة المتوفّرة للطفل، وهذا بالتالي يُضْعف نمو الطفل، والله أعلم.

- كما أن ازدياد الصوديوم في لبن الأم المرضع له انعكاس سلبي على غذاء الطفل، فتركيز الصوديوم في لبن الأم المرضع يتناسب عكسياً مع أثر التغذية على الطفل. فقد لوحظ أن هناك نسبة عالية للصوديوم في لبن النساء اللاتي يعاني أولادهن من سوء تغذية أو (الزموهة DEHYDRATION) أو (زيادة نسبة الأملاح في الدم بزيادة الصوديوم HYPERNATRAEMIA)[3].

- كما أن زيادة البروتين في لبن الرضاعة تُلْقي (عبئاً ثقيلاً على الكلى EXCESSIVE RENAL SOLUTE LOAD) فتُتْعبها، والدليل على ذلك هو أن نظام الأيض لدى الرضيع يغلب عليه الحموضة إذا تلقّى نسباً عالية من البروتين في غذائه[4]، غير أن زيادة نسبة البروتين على وجه عام لا تضر الرضيع كثيراً، وقد فسّر لنا د. علي التنير لماذا لا تضر هذه الزيادة الرضيع قائلاً: «وبطبيعة الحال لا يوجد في التغذية بالثدي أي مشكلات مرتبطة باحتراق البروتين الزائد، ولا بعدم توازن الأحماض الأمينية»[5]، وذلك لأن "بروتين لبن الأم ليس البروتين الصحيح فقط من وجهة النظر البيوكيميائية، ولكنه أيضاً البروتين المثالي من وجهة النظر البيولوجية»[6].

(1) كتاب التغذية من الصدر وعملية إدرار اللبن الإنساني، كاتلين أفرباخ وجان ريوردان، ص332، (PROSSER ET AL 1984).

(2) كتاب تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية، ص 27.

(3) كتاب التغذية من الصدر وعملية إدرار اللبن الإنساني، كاتلين أفرباخ وجان ريوردان، ص 132.

(4) كتاب تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية، ص 56، 73.

(5) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 138.

(6) كتاب الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 138.

فعلى سبيل المثال: «لوحظ أنه في المتوسط في حالة الطفل حديث الولادة تهبط مستويات الأحماض الأمينية بالبلازما مباشرة بعد الولادة، ويبدأ المستوى في الارتفاع عند بدء التغذية، ويكون الارتفاع في المستوى معقولاً إذا غذي الطفل بلبن الأم. فمثلاً تصل مستويات الفينايلالنين لقمتها في اليوم الرابع عشر، أما إذا تغذى الطفل على لبن البقر أو أي أغذية أخرى غنية بالبروتين، فإن مستويات الفينايلالنين تستمر مرتفعة لعدة أسابيع، وربما لعدة شهور»[1].

ومن هذا الحديث نفهم أن التغير الكيمياتي في لبن الأم الحامل لا يضر الرضيع كثيراً، لأنه لا يُدْخل أجساماً غريبة على جسمه لا يستطيع الجسم مقاومتها وتحليلها كما هو الحال في التغذية من لبن الأبقار. بيد أن هذا التغير الكيمياتي لا يمثل الغذاء المثالي للطفل لأن كميته قليلة، وطعمه غير لذيذ، ولأن نسبه مختلفة بحيث لا يتماشى مع مستلزمات النمو للطفل والتمثيل الغذائي لديه، وبالتالي يؤدي إلى إضْعاف بنيته بشكل خفيف، وبشكل غير ملحوظ كما يشير إليه رسول الله ﷺ، وكما تفيده تقارير منظمة الصحة العالمية «لم يتبين نتائج مرضيّة لأي من الأم والطفل»[2].

ونفهم من الحديث السابق أن الأحاديث النبوية الشريفة تمثل الإرشاد المثالي والأفضل للأمهات لإرضاع أطفالهن.

وقد يتساءل القارئ: بما أن الرضاعة من الأم مكروهة في حال الحمل، فما الحل بالنسبة للرضيع إذا حملت أمه، ولم ترد الأم إرضاعه؟ نقول - كما أشرنا إليه آنفاً -: إن الحل هو أن ترضع له أخرى عملاً بالآية: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق: ٦]. فلبنها جيّد وقد رُكّب حسب البيانات الوراثية الإنسانية بما يتناسب مع حاجات الطفل الرضيع، وهو أفضل من لبن الأم الحامل الذي اختلت فيه النسب والمقادير والمذاق، ولذلك فقد يستفيد الرضيع منه أكثر من لبن الأم الحامل ولبن الأبقار الذي يحمل أجساماً غريبة والذي قد يؤذي الرضيع في بعض الأحيان، والله تعالى أعلم.

---

(1) كتاب الرضاعة الطبعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 138.

(2) كتاب تغذية الطفل: الأساس الفيزيولوجي، منظمة الصحة العالمية، ص 49.

15 - مجموع الإعجازات (والإشارات العلمية) التي وردت في النصوص الشرعية:

إن الآية الكريمة والأحاديث الشريفة المنصوصة في أول البحث تعتبر من الآيات الباهرة الدالة على نبوّة الرسول ﷺ لما تحتوي على غيبيات علمية عديدة جمعت في عبارات قليلة وبسيطة، ولو حاول العلماء تلخيصها لعجزوا. ففي هذه الأحاديث غزارة من المعلومات تحتاج إلى الكثير من التفصيل لكي تصبح واضحة لعامة الناس.

في الآية والأحاديث عدة إعجازات (وإشارات علمية) إخبارية نلخصها كالآتي:

1 - اللبن الإنساني لا يماثله إلا لبن إنساني آخر.

2 - أفضلية الرضاعة من الأم على الرضاعة من المرضعات.

3 - الطعام هو المصدر الأساسي لتصنيع لبن الأم.

4 - الدم هو المصدر الثاني لتصنيع لبن الأم، ويلعب دور الوسيط في عملية تصنيع اللبن.

5 - اللبن يدخل في تركيب أنسجة الطفل.

6 - هناك وجود لبن أولي وخلفي.

7 - هناك نوع من الحليب المغذي الذي يؤسس بنية الطفل وآخر لا يغذي بشكل ملحوظ.

8 - هناك مسالك في الثدي يسيل فيها اللبن.

9 - الحليب يخرج من الثدي بأكثر من عملية فيزيولوجية لهذا الغرض، ولا سيما عملية الفتق.

10 - المسالك التي تُفتق هي مسالك صغيرة وضيّقة.

11 - اللبن المغذي لا يخرج في بادئ الرضاعة.

12 - المدّة المثالية للرضاعة هي سنتان كاملتان.

13 - من شروط إدرار اللبن أن يكون الرضيع جائعاً.

14 - من مستلزمات الرضاعة المحرمة أن يتناول الرضيع الثدي بكامل فمه لكي يتم إدرار اللبن بنجاح.

15 - خصائص اللبن تنتقل إلى الرضيع.

16 - اللبن يغذي.

17 - احتمال حمل المرضع ضئيل جداً.

18 - تردي نوعية لبن الحامل.

19 - ضرورة الاعتماد على لبن الأم لمدة سنتين حتى يستعد الجهاز الهضمي لممارسة نشاطه على أكمل وجه.

20 - القيمة الغذائية للبن لا تعادلها أي قيمة لأي غذاء آخر.



معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة

ننتقل هنا إلى باب قريب من باب تخلق الجنين: ألا وهو علم الوراثة.

وعلم الوراثة: «هو باب من علم الأحياء يعنى بدراسة ظاهرة التوارث، وهي الطريقة التي يتم عبرها تناقل بعض صفات الكائنات الحية من الآباء إلى الأبناء»[1]. وموضوع هذا العلم يدور حول «**توارث الصفات الفيزيائية والبيوكيميائية، والتغيرات التي تظهر من جيل إلى جيل**»[2].

وعلم الوراثة لم يصبح علماً بالمعنى المتعارف عليه إلا في أوائل القرن التاسع عشر مع العالم (مندل MENDEL (1866م)، وهو أول من كشف عن المبادئ الأساسية الوضعية لعلم الوراثة.

وسبب اعتنائنا بهذا العلم هو أن تطور الجنين يعتمد كلياً عليه، وذلك لأن الخصائص الوراثية التي تنتقل من الآباء إلى الأبناء هي التي تقدر شكل الجنين: (لونه، قامته، جنسه، وما هو عليه بإذن الله).

واللافت للنظر هو أن القرآن الكريم والسنة الشريفة تكلما عن كثير من المبادئ الأساسية لعلم الوراثة، وأشارا إلى حقائق علمية دقيقة كانت مجهولة قبل عام 1866م، وهو العام الذي وضعت فيه مبادئ علم الوراثة. وقمة الإعجاز هو أن هذه الحقائق تكشفت على لسان رجل أمي، ﷺ، في وسط أمي، قبل 1250 سنة من اكتشاف أسس علم الوراثة، بيد أنها لم تنتشر في بقاع الأرض لأن المجتمعات المتقدمة علمياً أعرضت عن النبأ العظيم - رسالة الله إلى الناس أجمعين -، وذلك لأنها حسبت أنها على حق كما تشير إليه الآية: ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ...﴾ [غافر: 83].

أ - النطفة في الإسلام

1 - دور النطفة في التقدير:

● قال العليم الحكيم: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عبس: 17-19].

(1) GROLLIER MULTIMEDIA ENCYCLOPEDIA GENETICS

(2) GROLLIER MULTIMEDIA ENCYCLOPEDIA BIOLOGY

أ - التقدير كما جاء في النصوص الشرعية:

لقد ذمّ الله سبحانه وتعالى الإنسان في قوله: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾، وسبب هذا الذمّ هو: أن الإنسان يكفر ويتكبّر مع العلم أنه خُلق من شيء حقير؛ من نطفة صغيرة قدّرت تركيبته البيولوجية بإذن الله.

جاء في لسان العرب[1]: "قدر: . . . التهذيب والتقدير على وجوه من المعاني: أحدها: التروية والتفكير في تسوية أمر وتهيئته. والثاني: تقديره بعلامات يقطعه عليها. والثالث: أن تنوي أمراً بعقلك تقول: قدّرت أمر كذا وكذا. . ."

ومن التفسير نفهم أن التقدير هو أن **تنوي تسوية** أمر في المستقبل من خلال **إعطائه علامات تقطعه عليها**. وعلى ذلك يكون معنى الآية: من نطفة خلقه وأقر له **هيئته** التي سيكون عليها في المستقبل من خلال تركيبة هذه النطفة.

والتقدير يحصل عندما يخلق الله تعالى نطفة الأمشاج كما أوضحناه في مبحث **«اختلاط عروق النطفة»**، وذلك عند انصهار نواتي الحيوان المنوي والبويضة، وامتزاج الصبغيات، وتفاعل المورّثات الذكرية والأنثوية في عملية تستغرق أقل من 30 ساعة.

ومن هنا نفهم أن تقدير هيئة الإنسان يبدأ وقت خلق نطفة الأمشاج[2].

وبما أن التقدير هو تسوية أمر في المستقبل، نفهم أن هذا التقدير يشمل جميع المراحل التي يمر بها الإنسان.

ولذلك جاء ذكر المراحل التي يمر بها الإنسان في الآيتين الكريمتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ [الحج: 5]، و﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [غافر: 67].

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «قدر» - (ج11/ص57).

(2) تجدر الإشارة إلى أن التقدير في الأزل، ولكن أول ظهور سببي لما اقتضاه قدر الله تعالى في الأزل هو عندما تتشكل نطفة الأمشاج.

جاء في القرطبي[1] في تفسير ﴿فَقَدَّرَهُ﴾ : «فقدره في بطن أمه. كذا روى الضحاك عن ابن عباس : أي قدر[2] يديه ورجليه وعينيه وسائر آرابه، وحسناً ودميماً وقصيراً وطويلاً...».

وإذا تأملنا الآيات : ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (58) ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ (59) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60) عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ (61)﴾ [الواقعة: 58-61]، فهمنا أن الحديث هو عن تقدير موت الإنسان. وبما أن الآيات تتحدث ابتداء عن المني - أي عن النطف -، نفهم أن تقدير الموت يكون من النطف - أي من الصبغيات أو المورثات التي تحتويها النطف - كما يقتضيه السياق القرآني[3] (انظر مبحث «**تعريف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والأسس التي يرتكز عليها**»).

ومن الجدير بالذكر أن الله تعالى نفى صفة الخلق عن الإنسان وجعلها صفة له في قوله : ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (58) ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ (59)﴾ [الواقعة: 58-59]، وهو بذلك نفى صفة التقدير عن الإنسان وجعلها صفة له كما تشير إليه الآية القرآنية : ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60)﴾ [الواقعة: 60]، فهو الذي خلق النطفة، وهو الذي بذلك أودع في النطفة صفة التقدير، وبالتالي فإن النطفة تقدر بنية الإنسان

---

(1) تفسير القرطبي ج19/ ص 218.

(2) قدر : بمعنى أظهر قدره.

(3) إذا تأملنا الآيات : ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (58) ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ (59) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60) عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ (61) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (62) أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (63) ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ (64) لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (66) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (67) أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ (68) ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ (69) لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70) أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ (71) ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ (72) نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ (73) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ (74)﴾ [الواقعة: 58-74]. إذا تأملنا هذه الآيات لاحظنا أن الآيات تتكلم عن موضوع معين، ومن ثمّ تشير إلى عدم مقدرة الإنسان على التحكم بالظاهرة الكونية المرتبطة بهذا الموضوع. ومن ثمّ تعظه وتذكره. فعلى سبيل المثال : يذكر الله تعالى لنا النار، ومن ثمّ يشير إلى عدم مقدرة الإنسان على إنشاء الشجرة التي توقد منها النار. ومن ثمّ يذكر لنا أنه خلقها لتذكرنا بنار جهنم، وكذلك يذكر الله تعالى لنا الماء، ومن ثمّ يشير إلى عدم مقدرة الإنسان على إنزال الماء من السحاب، ومن ثمّ يذكرنا أنه يجب علينا أن نشكره على نعمة الماء النقي، وكذلك يذكر الله تعالى لنا الحرث، ومن ثمّ يشير إلى عدم مقدرة الإنسان على إنباته، ومن ثمّ يذكرنا أنه يجب أن نشكره أنه لم يفسد لنا الزرع. وكذلك يذكر الله تعالى المني. ومن ثمّ يشير إلى عدم مقدرة الإنسان على التحكم في خلق المني وتقدير موته بهذا المني. ومن ثمّ يذكرنا على أنه قادر على أن يخلقنا بهيئة مختلفة من هذا المني، وهذا كما يقتضيه السياق القرآني.

بإذن الله، لذلك قال الله ﷻ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ [الواقعة: 60]. فكلمة «نحن» لا تنفي أن يكون التقدير من النطفة بإذن الله، بل هي شاهد على أن الذي أودع الخطة الجينية في النطفة هو البارئ جلّ وعلا.

كذلك إذا قابلنا الآيات من سورة الواقعة: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠﴾ [الواقعة: 58-60] بآيات سورة عبس: ﴿قُتِلَ الْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩﴾ [عبس: 17-19] لاحظنا أن كلا النصين الكريمين يتكلم عن التقدير وعن النطف، وقد جاء في أحدهما ذكر تقدير الموت، وهذا يقتضي إلصاق تقدير الموت بالنطفة.

وتقدير موت الإنسان هو تقدير عمره، حيث يموت الإنسان بانتهاء عمره.

لذا حدد الرسول الكريم ﷺ عمر أمته ما بين الستين والسبعين قائلاً: «عُمرُ أُمّتي منْ ستّينَ سنةً إلى سبْعينَ سنةً» [أخرجه الترمذي ح97][1].

---

(1) لا شك أنه لا يخفى على القارئ أن عمر الإنسان يختلف بين مجتمع وآخر، وأن عمر أفراد مجتمع معين يختلف أيضاً عبر التاريخ. فلذلك وجب علينا أن نوضح ما يرمي إليه الحديث الشريف، لكي لا تلتبس الأمور على القارئ.

إن عمر الإنسان مرتبط بكثير من العوامل منها - وبشكل رئيسي -: بخطته الجينية، وبالاهتمام الصحي السائد في مجتمعه، هذا إن لم نذكر أثر العوامل البيئية، والنفسية، والتغذية... إلخ.

وهذا الاختلاف عائد إلى حدّ كبير للخطة الجينية لدى الإنسان، فهذه الأخيرة تختلف بين مجتمع وآخر، وكذلك تتغير مع مرور وقت كبير، فعلى سبيل المثال: كان عمر مجتمع سيدنا نوح عليه السلام أكثر من ألف سنة، وذلك أن سيدنا نوح عليه السلام لبث فيهم تسعمائة وخمسين عاماً كما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 14]، وما زال هذا العمر يتناقص حتى يومنا هذا، إلى أن بلغ ما بلغ.

وهذا الاختلاف عائد أيضاً إلى العناية الصحية السائدة في هذا المجتمع أو ذاك.

لذا نرى أن أعمار أفراد المجتمع الغربي أكثر من أعمار مجتمعات شرق ووسط وغرب آسيا على العموم، ففي المجتمعات الغربية، حيث الرعاية الاجتماعية جيدة جداً، نرى أن أعمار المجتمع الغربي تتراوح ما بين الخمس والسبعين والثمانين سنة، وفي المجتمع الأفغاني - على سبيل المثال -، حيث الرعاية الصحية متدنية كثيراً، تتراوح ما بين الأربعين والخمسين سنة، أما في أكثر المجتمعات الشرقية فهي ما بين الستين والسبعين سنة.

وفي الحقيقة أن الحديث الشريف سالف الذكر يتكلم عن أمة سيدنا محمد ﷺ، حيث يسود الفكر الإسلامي على المجتمعات، وبالتالي علينا أن نستثني المجتمعات التي يسود عليها فكر غير إسلامي، لأنه غير متبع للنبي ﷺ، كما هو شأن المجتمع الغربي، وإن كان هناك قليل من أفراد هذه المجتمعات مسلمين.

إذن فالتقدير يشمل مراحل تخلق الجنين في الرحم (العلقة، المضغة. . .)، ومراحل نمو الإنسان بعد خروجه من بطن أمه (الطفولة)، ومرحلة بلوغ أشدّ - أي كامل - النمو[1]، ومراحل الشيخوخة لدى الإنسان، ووقت موت الإنسان كما يقتضيه التقدير الجيني لما جاء في الآية رقم (5) من سورة الحج (مع العلم أن هناك عوامل خارجية مثل: أثر التغذية، والضغوط النفسية، والحوادث الفردية، والأمراض التي تؤثر على عمر الإنسان، ناهيك عن أن الأعمار بيد الله. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [illegible]).

II - نبذة علمية عن الخطة الجينية والانفلاق الفتيلي للخلايا:

إذا أردنا أن نفهم علمياً كيف يُقدّر الإنسان من النطفة، علينا أن نلقي الضوء على تركيبتها.

إن التركيبة الكيميائية للنطفة تتلخص كالآتي:

في كل نطفة ملقحة يوجد ثلاثة وعشرون زوجاً من الصبغيات، وتلك الصبغيات تحتوي بدورها على 100,000 مورثة أو أكثر[2]، وهذه المورثات هي التي تتحكم بتخلق الإنسان بإذن الله تعالى. وتخلق الجنين يعتمد على ثلاثة أنواع من المورثات: - مورثات التكوين والبناء - مورثات التنظيم والتسوية - مورثات الشكل أو الصورة، وهذه المورثات تتحكم بتطور الجنين خلال الحمل[3].

= كذلك فإن الحديث يتحدث عن الأمم التي ستتعاقب إلى يوم القيامة كما تشير إليه الآية: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [illegible]، وهذه الأمم هي التي سوف تؤمن به ﷺ، جمعاً بين معنى الحديث الشريف ومعنى الآية الكريمة. والفترة ما بين بعثة الرسول ﷺ ويوم القيامة كبير، وهناك العديد من الأجيال التي سوف تتعاقب. وبالتالي فإن الحديث يتحدث عن العمر الإجمالي والمتوسط لجميع المجتمعات المسلمة. وهذا العمر ما بين الستين والسبعين سنة.

(1) وقد تكون الشدة - أي الكمال - في قوة الجسم، وقد تكون في النمو، وقد تكون في بلوغ كامل العقل. أو في جميع هؤلاء. جاء في تفسير القرطبي للآية: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [illegible] يعني قوته، وقد تكون في البدن، وقد تكون في المعرفة بالتجربة. . . » - (ج7/ ص134) -. ونعتقد أن قوله تعالى في سورة غافر الآية (67) ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ تشير إلى شدة النمو لأن الحديث يدور على مراحل تخلق الجنين وبالتالي على مراحل نمو الجسم الإنساني.

(2) وتشير الأبحاث الجديدة إلى أن عدد هذه المورثات هو 30,000 وليس 100,000 ولكن تلك الأبحاث هي قيد الدراسة إلى الآن.

(3) كتاب من علم الطب القرآني، د. عدنان الشريف، ص159 .

و(البويضة الملقحة ZYGOTE) مبرمجة بحيث تقوم بانقساماتها حسب برنامج جيني معين.

والخلايا التي تنجم عن (الانفلاقات الفتيلية MITOTIC DIVISIONS) للبويضة المخصبة تتمايز بإذن الله تعالى وفق خطة مرسومة جعلها الله تعالى ضمن الجينات - أي المورثات - الموجودة في الصبغيات، التي تقوم بدورها بالعمل في الوقت المحدد وفي الخلية أو الخلايا المحددة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى انقسام الخلايا في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ . . .﴾ [الأنعام: 95]. وقد رأينا في مبحث **«انفلاق النطفة والازدواجية في التركيب»** أن الحبة من الشيء هي القطعة [الصغيرة] منه[1]، وبالتالي فإن كلمة «حب» كلمة عامة تشير فيما تشير إلى الخلايا.

وللعلم فإن مفهوم الخلايا ليس بغريب عن الرسول ﷺ كما يشير إليه الحديثان النبويان الشريفان: «. . . فإذا كان يوم السابع جمعه الله. . .» [أخرجه الطبراني ح21] (انظر مبحث **«جمع خلايا الجنين»**)، و«إن أحدكم يجمع خلقه أربعين يوماً. . .» [أخرجه مسلم ح43] (انظر مبحث **«المضغة»**).

وتفصيلاً: فإن الجينات «لا تعمل جميعاً في وقت واحد، بل إن بعضها يعمل في مرحلة من مراحل تكوّن الجنين ثم تسكت عن العمل لتتحرك مجموعة أخرى وهكذا، كما أن المجموعة التي تعمل في الجهاز العصبي (مثلاً) تختلف عن المجموعة التي تعمل في الجهاز الهضمي، وتختلف عن تلك التي تعمل في الجهاز الدوري (القلب والأوعية الدموية) وهكذا، بل إنّ العضو الواحد مثل البنكرياس تعمل فيه مجموعات مختلفة من الجينات، ففي كل مجموعة من الخلايا تعمل مجموعة

---

(1) القاموس المحيط - باب الباء/فصل الحاء - ص 92. الصحاح للجوهري - باب الباء/فصل الحاء - ص 105. لسان العرب - مادة «حبب» - (ج3/ص10) «والحبّة: القطعة من الشيء». ومن الأدلة الإضافية على أن كلمة «حب» تشير أيضاً إلى الخلية هو أن الله تعالى وصف عملية تعلّق النطفة بالرحم (التي تعتبر من الناحية العلمية خلية واحدة) بالحرث (أي قذف الحب في الأرض)، كما في قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: 223]. (انظر مبحث **«الحرث»**). ومن الأدلة أيضاً ما نقل عن السلف الصالح: جاء في تفسير القرطبي - (ج7/ص44): «يخرج البشر الحي من النطفة الميتة، والنطفة الميتة من البشر الحي. . . وفي صحيح مسلم عن علي ﷺ: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ. . .» [أخرجه الترمذي ح35]. ومن الجدير بالذكر أن تفسير السلف جائز إذا حمل على الوجه العام، بيد أننا نرى أن تفسير ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الأنعام: 95] بأنه: يخرج الحيوة من الحبة الميتة ويخرج الموت من الحبة الحية أولى التزاماً بسياق النص القرآني.

تختلف عن الخلايا الأخرى المجاورة. فالخلايا التي تفرز الإنسولين تعمل بها مجموعة مختلفة من الجينات عن تلك التي تفرز مادة الجلوكاجون الذي يرفع السكر في الدم لأنه على طرف نقيض مع الإنسولين، وهكذا الخلايا الهاضمة المختلفة في البنكرياس، وكل مجموعة منها متخصصة في إنزيم معيّن ولها جينات خاصة بها.

والخلية الشفافة في قرنية العين تختلف في أسرارها وتكوينها عن الخلية المجاورة لها في صلبة العين، وفي شبكية العين ثمان طبقات تختلف خلايا كل طبقة عن الطبقة الأخرى في الوظيفة والشكل وفي السمات والشيات، بناء على نشاط مجموعة من الجينات في هذه الخلية، ونشاط مجموعة أخرى في الخلية المجاورة لها. بل إن الطبقة الواحدة في الشبكية تختلف حسب وظيفتها. فخلية (العصي RODS) تختلف عن خلية (المخروطات CONES) في الشكل والوظيفة"[1].

III - خلق الموت:

يقول الله جلّ وعلا: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: 1، 2].

وعن الموت جاء في مقاييس اللغة: (موت: الميم والواو والتاء أصلٌ صحيح يدلُّ على ذهاب القُوّة من الشيء. منه الموتُ: خلاف الحياة، وإنما قلنا: أصله ذهاب القُوّة، لما روي عن النبي ﷺ: «منْ أكلَ من هذه الشَّجرة الخبيثة[2] فلا يقربنّ مسجدنا، فإن كنتم لا بدّ آكليها فأميتُوها طَبْخًا...»)[3].

إذن الموت في لغة العرب هو فقدان الشيء قواه، ولا ينحصر لغةً في فقدان الروح من الشيء كما يعتقده عامة الناس.

وهكذا فإن الموت ظاهرة لا تقتصر على الإنسان أو على الحيوان فقط، بل تطول جميع الأشياء التي تفقد قواها، ومنها الخلايا.

وعن الخلق جاء في لسان العرب: "والخلْق في كلام العرب: ابتداع الشيء

(1) كتاب التارات السبع، د. محمد علي البار، ص17 - 18.

(2) وليس المراد بالخبث هنا أن الشجرة مضرّة لجسم الإنسان، وأنها حرام، وإنما هو خبث الرائحة بدليل الحديث الشريف: عن أبي سعيد قال: لم نعْدُ أنْ فُتحت خيبرُ فوقعنا أصحاب رسول الله ﷺ في تلك البقلة: «الثوم» والناس جياعٌ فأكلنا منها أكلاً شديدًا، ثم رُحنا إلى المسجد فوجد رسولُ الله ﷺ الريح فقال: «منْ أكل منْ هذه الشجرة الخبيثة شيئًا فلا يقربنا في المسجد» فقال الناس: حُرِّمت حُرِّمت فبلغ ذاك النبي ﷺ فقال: «أيها الناس إنّه ليس بي تحريمُ ما أحلّ اللهُ لي ولكنها شجرة أكرهُ ريحها» أخرجه مسلم ج1/[183].

(3) مقاييس اللغة لابن فارس - (ج5/ ص283).

على مثال لم يُسبق إليه... (قال) ابن سيده: خَلَق الله الشيء يَخْلُقه خلقاً أحدثه بعد أن لم يكن...»[1].

وورد في لسان العرب: «موت: (قال) الأزهري عن الليث: الموْتُ خَلْقٌ من خَلْق الله تعالى...»[2].

وجاء في تفسير ابن كثير: «واستدل بهذه الآية من قال: إن الموت أمر وجودي، لأنه مخلوق...»[3].

إذن فالموت شيء مخلوق، أي شيء أحدثه الله تعالى، وهذا يستوجب وجود أسباب شرعاً وعقلاً تتسبب بوجوده، أي آليات وأعضاء وأنظمة هي بمثابة مسببات لظاهرة الموت - أي لإضعاف قوة الشيء - .

والنص القرآني: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الواقعة: 58 - 60] يشير إلى أن الله ﷻ قدَّر (أي أراد - كما تشير إليه كلمة «قدر» -) أن يخلق (أي أن يُحدث) الموت (أي إضعاف القوى) مستقبلاً. وبما أن «الموت» خَلْقٌ يستوجب وجوده مسبّبات، فنقول - وبالله التوفيق - : إن الله تعالى أراد أن يحدث إضعاف القوى بإيجاد مسببات - أي آليات - تسبب هذه الظاهرة مستقبلاً. وهذا (أي الاستقبال) يستوجب تبعاً وضع برنامج زمني لإحداث هذه الظاهرة. وبما أن الآية ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: 19] تعلمنا أن التقدير موجود في النطفة، فنقول: إن البرنامج الزمني هو خطة جينية أوجدها الله تعالى في النطفة، وهذه الخطة لها آليات وأعضاء تتسبب في إحداثها.

والكلام السابق ينطبق على الإحياء الخلوي لأنه أيضاً خلْقٌ من خلْق الله تعالى كما جاء في الآية: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: 2] (وكما سنرى فيما يلي).

وسنرى في المبحث التالي هذه الآليات والأنظمة.

IV - نبذة علمية عن الموت الخلوي المبرمج:

وتطور مختلف أعضاء الجسم يعتمد من جهة على تقاسم وتكاثر خلايا الجسم الإنساني المبرمج كما أسلفنا قوله، ومن جهة أخرى على (الموت الخلوي المبرمج APOPTOSIS) الذي يقوم بدور أساسي في النمو والاتزان البيولوجي للكائنات عامة

(1) لسان العرب لابن منظور مادة «خلق» (ج4/ص193).
(2) لسان العرب لابن منظور مادة «موت» - (ج13/ص217).
(3) تفسير ابن كثير - (ج4/ص396).

وللإنسان خاصة، وتعتبر هذه الظاهرة إحدى الدعامات الأساسية لنمو المخلوقات عديدة الخلايا.

فالخلية عندما تموت (بالاستموات المقدر APOPTOSIS) تفقد قواها وتنهار مكوناتها: فتنكمش ومن ثم تنسحب مبتعدة عن جاراتها، ثم تظهر فقاعات على السطح، ويتكثف الكروماتين في نواتها، وسرعان ما تتقطع النواة ثم الخلية نفسها، وتُلتهم أجزاؤها بسرعة من قبل خلايا أخرى مجاورة[1]. (انظر الصورة رقم: 128).



(128) - إن الخلية التي تموت عن طريق الاستموات (أي الانتحار الخلوي)، تمر بتغيرات مميزة. فهي تنكمش في بداية الأمر، ومن ثم تنسحب مبتعدة عن جاراتها (اليمين العلوي). ثم تظهر بعدئذ فقاعات على السطح (تجعل الخلية تبدو وكأنها تغلي)، ويتكثف الكروماتين (دنا النواة المعقد بالبروتينات) في حواف النواة. وسرعان ما تتقطع النواة ثم الخلية نفسها، وتلتهم شدفها (أجزاؤها) بسرعة من قبل خلايا أخرى في الجوار.

(1) مجلة الإعجاز العلمي، رابطة العالم الإسلامي، العدد العاشر، ص47.

هذا وقد أشار القرآن الكريم إلى الموت الخلوي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: 95].

وذلك أن الآية تتحدث عن الحب أولاً، ومن ثَمّ تتكلم عن إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي، وهذا يقتضي ربط عمليتي إخراج الميت من الحي وإخراج الحي من الميت بالحب التزاماً بالسياق القرآني. وهكذا فإن معنى الآية يكون: إن الله فالق الحب والنوى، يخرج الحياة من الحبة الميتة ويخرج الموت من الحبة الحية.

ومن الأدلة اللغوية على أن الآية السالفة الذكر تشير إلى أن الموت الخلوي له آلياته وأنظمته: كلمة ﴿وَمُخْرِجُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الأنعام: 95]، فهذه الكلمة على وزن اسم فاعل.

فالحاصل أن اسم الفاعل يصاغ للفعل فوق الثلاثي على وزن مضارعه المعلوم بإبدال حرف المضارعة (الياء) ميماً.

وكما سبق وتكلمنا في مبحث (الماء والمني/ تفسير النقطة الثالثة **«أن هذا الماء ليس متدفقاً فحسب بل دافق»**): «فإن اشتقاق صيغة [فاعل] من فِعْلِها، ينبغي أن يكون في الصيغة معنى الفعل، أي يكون الفِعْل قائماً بالصيغة»، أي بمعنى آخر: أن صفة إخراج الميت من الحي والحي من الميت قائمة بنفس الخلية عبر آليات الاستموات الموجودة فيها - بإذن الله -. فالاستموات والإحياء صفتان لخلايا الجسد، لصيقة بها، لا تنفك عنها.

ولاحظ أيها القارىء الكريم الدقة في صياغة الآية. فقوله تعالى: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ معطوف على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ لأن كلاً منها اسم فاعل، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على نوعان من العمليات تتحكم فيها الآليات المودعة في الخلية - بإذن الله - بالاستموات والإحياء: الفلق، وإخراج الميت من الحي.

أما كلمة: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ فجاءت خالية من عطف الواو على ما قبلها. ففي اللغة العربية إذا جاءت جملة بعد جملة أخرى، ولم يفصل بينهما بحرف عطف، فالأخيرة قد تعني البيان على سبيل التفسير، أو الوصف، أو التأكيد، أو غير ذلك[1]، وهذا يعني أن فلق الخلية هو بمثابة إخراج الحي من الميْت.

جاء في تفسير المحيط[2]: «وعطف قوله: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾ على قوله: ﴿فَالِقُ

(1) تفسير الألوسي، دار إحياء التراث العربي ج 7/ ص 226- 227.

(2) انظر مبحث «القابلية للحياة/ التعديل».

﴿ٱلْحَبِّ﴾ اسم فاعل على اسم فاعل، ولم يعطفه على: ﴿يُخْرِجُ﴾ لأن قوله: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ من جنس إخراج ﴿ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ لأن النامي في حكم الحيوان، ألا ترى إلى قوله: ﴿يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم: 50]. فوقع قوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ من قوله: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ موقع الجملة المبينة. فلذلك عطف اسم الفاعل لا على الفعل...».

جاء في تفسير الألوسي[1]: "﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالنطفة وأخويها ﴿مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ كالحيوان وأخويه، وهذا عند بعض عطف على ﴿فَالِقُ﴾ لا على ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ﴾ إلخ. لأنه - كما علمت - بيان لما قبله".

قد يتساءل القارىء: هل أن قاعدة «إخراج الحيّ من الميّت» تنطبق على انفلاق الخلية أم لا؟ والحال أن الخلية ما زالت حيّة عندما تنفلق؟

والجواب هو: أن الخلية عند انفلاقها قد ابتدأ نفاذ قواها - أي بمعنى آخر: أنها شارفت على الموت وانتهى دورها كخلية (أو كبويضة)، وفقاً للمعنى اللغوي للموت: فقدان القوى -، وهي سائرة حتماً إلى الموت - بإذن الله - إن لم تتجدد عبر انفلاقها إلى خليتين جديدتين.

فهي بحكم الميّت مآلاً. وهذا الأسلوب قد تردّدَ في موضع آخر من القرآن الكريم حيث أن الآية: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30] وصفت رسول الله ﷺ بالميت مع كونه حيّاً عندما أنزلت الآية عليه، وذلك لأنه كذلك كان قادماً حتماً على الموت - بإذن الله -.

كما أن انفلاق الخلية سيؤدي مآلاً إلى خلق أعضاء مؤلّفة من عدّة خلايا أكثر تعقيداً وأكثر حيوية من الخلية الواحدة. أضف إلى ذلك أن هذه الأعضاء ستكون مهيئة لأن تستقبل الروح عند اكتمال تخلق الجنين. فالمسألة نسبية - والله تعالى أعلم -.

كما أن الآية تتكلم عن حب الزرع (الذي يكون بطور الكمون أي المتوقف عن العمل - الميت -)، وعن الخلية، فلا بد أن تأتي بهذه الصيغة المجملة لكي تحيط بجوانب كلتا الحالتين.

وتفصيلاً: «يوجد في مجال التخلق الجنيني ثلاثة أنواع من الموت الخلوي المبرمج الذاتي:

1 - (الموت الخلوي التشكلي المبرمج MORPHOGENIC APOPTOSIS)

---

(1) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي - ج 4/ ص 184 - 185. دار الفكر/ط2 1403هـ - 1983م. بيروت - لبنان.

المسؤول عن تغيير شكل الأنسجة. مثال على ذلك: الموت الخلوي لخلايا ما بين الأصابع المسؤولة عن فصل الأصابع...

2 - (الموت الخلوي المبرمج لتطور الأنسجة HISTOGENIC APOPTOSIS) الحاصل خلال تمايز الأنسجة والأعضاء... مثال على ذلك: يسبب (هرمون مولر الضد ANTI - MULLERIAN HORMONE) في الذكر الذي تفرزه (الخلايا الجنسية STEROLY CELLS) للخصية في كبح أنابيب مولر (التي تصبح في الأنثى فيما بعد أنابيب قناة فالوب والرحم والجزء العلوي للمهبل) من خلال الموت الخلوي المبرمج.

3 - (الموت الخلوي المبرمج لتطور الأعضاء PHYLOGENETIC APOPTOSIS) الذي يتدخل في إزالة الأعضاء اللاوظيفية من الجنين مثل (أنابيب الكلى البدائية PRONEPHROS)»[1].

ولا يقتصر دور المورثات على تنظيم وتقدير تخلق الأعضاء فحسب، بل يعتبر الموت الخلوي المبرمج من احتياجات الجسم ليحافظ على نموه السليم.

فعلى سبيل المثال: تنشأ (الخلايا التائية T CELLS) عن أسلافها في نقيّ - أي في أصل - العظام، وتهاجر الخلايا غير الناضجة إلى (غدة التوتة THYMUS) حيث تعرف (بالخلايا التوتية THYMOCYTES) ويموت 90٪ من هذه الخلايا في التوتة ويبقى 10٪ فقط تنضج وتخرج للدورة الدموية لتساهم في حراسة الجسم[2].

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: 95] يدل دلالة واضحة على تواصل وتعاقب وتتابع عمليتي الموت والحياة بصفة مستمرة في الكائنات الحية. واستخدام الفعل المضارع ﴿يُخْرِجُ﴾ في القرآن الكريم شاهد على استمرار وتعاقب إخراج الحي من الميت والميت من الحي، حيث تتخلق أنسجة كاملة من الخلايا المستموتة تقديرياً. فعدسة العين تتشكل أثناء التنامي الجنيني من خلايا استموانية استبدلت محتوياتها الداخلية ببروتين الكرستالين الشفاف، وخملات المعي تتكون من خلايا استموانية عند قاعدة هذه الأصابع، ثم تهاجر هذه الخلايا عبر أيام عديدة إلى القمة لتساعد في تكوين الطبقة الخارجية للخملات التي

(1) GENERAL AND SYSTEMATIC PATHOLOGY, JCE UNDERWOOD, PP 5-77.

(2) مجلة الإعجاز العلمي، رابطة العالم الإسلامي، العدد العاشر، ص 47، و COHEN JJ, DUKE RC, FADOK VA, SELLINS KS. APOPTOSIS AND PROGRAMMED CELL DEATH IN IMMUNITY. ANN REV IMMUNOL 10:267-263,1992

تستخدم في عملية امتصاص الغذاء. وتستمر هذه العمليات بصورة متفاوتة عبر مراحل العمر المختلفة للكائن البشري[1].

ولا تنفي صيغة اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾ صيغة المضارع فيه كما في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ لأن اسم الفاعل يشير بنفسه إلى الاستمرار، فالمضارع.

جاء في تفسير الألوسي[2]: "أن اسم الفاعل في معنى المضارع".

وكما أشرنا في المبحث السابق فإن الموت والحياة خلقان يستوجبان إيجاد آليات وأعضاء تسبب الاستموات والإحياء الخلوي. وهناك عائلتان من الجينات تتحكم في سيرة الموت الخلوي: عائلة (بي سي أل - 2 BCL - 2) وعائلة (أي سي إي ICE). والمجموعة الأولى من الجينات تنظم عملية الاستموات حسب احتياجات الجسم، والمجموعة الثانية تشرف على تصنيع بروتينات الموت والتي تعرف باسم: (مثيلة بروتيزات آي سي إي ICE LIKE PROTEASES)[3].

فمصير الخلايا يعتمد على (مثبطات للموت APOPTOSIS INHIBITORS) و(محفزات للموت APOPTOSIS INDUCERS). فعلى سبيل المثال: يُعتبر (بروتين الباكس BAX PROTEIN) من العوامل التي تُحفز على الاستموات، ونسبة بروتين الباكس والمورث «بي سي أل - 2» تحدد ما إذا أن الخلية ستستجيب لمنبهات كيميائية للاستموات أو لا[4].

وهكذا نرى أن حدث الاستموات له آلياته وأنظمته الخاصة به، مما يدلل على أن الموت مخلوق كما تعلمنا النصوص الشرعية.

٧ - نبذة علمية عن أسباب الشيخوخة:

يبدأ الانقسام الخلوي من بداية تخلُّق الجنين، ويكون معدّل انقسام الخلايا

---

(1) مجلة الإعجاز العلمي، رابطة العالم الإسلامي، العدد العاشر، ص 48، و HALE A J. SMITH CA. SUTHERLAND. L.C. STONEMON AT AL..: APOPTOSIS MOLECULAR REGULATION OF DEATH. EUR. J BIOCHEM 236:1-26 1996.

(2) تفسير الألوسي، دار إحياء التراث العربي - ج 7/ ص 227

(3) مجلة الإعجاز العلمي، رابطة العلم الإسلامي، العدد العاشر، ص 47، و MAURICIO., AND THOMAS M.P: APOPTOSIS AND THE PATHOGENESIS OF IDDM. DIABETES VOL 47 OCTOBER 1994.

(4) GENERAL AND SYSTEMATIC PATHOLOGY. JCE UNDERWOOD. 12:77-78.

الجنينية عالياً جداً، وتستمر الأعضاء في النمو مع مرور الأيام فتبلغ بعض الوظائف أوجها، ويبلغ الجسم غاية نموه - أي أشدّه -. وقد قُدِّرت مرحلة الثلاثين في الغالب مرحلة بلوغ الشدّة في النمو[1]. ومع مرور الوقت تتناقص قدرة الخلايا على الانقسام، وتموت باكراً كلّما تقدّم سنّ الإنسان. وقد أظهرت عمليات الزرع الخلوي أن معدل انقسام الخلايا خلال الزرع يتناسب عكسياً مع مرور الوقت في ظاهرة تُعرَف (بحَدّ هايفلِك HAYFLICK LIMIT)[2]. فعلى سبيل المثال: تنقسم الخلايا العادية أكثر من خمسين مرّة قبل أن تموت، وأما خلايا (الأشخاص المصابين بمرض الشيخوخة PROGERIA PATIENTS) - أي خلايا المسنين - فإنها تنقسم من عشر إلى ثلاثين مرة. (انظر الصورة رقم: 129).

ومن أسباب هذه الظاهرة: أن هناك آليّة داخل الخليّة معْنيّة بالتحكُّم في عمرها، عن طريق وقف الانقسام وإفساح المجال لعمليات الهدم لتُميت الخلية، واكتشف الباحثون أن (الجزء الأخير من الصبغيات TELOMERE) ينقص طوله مع كل انقسام للخلية وتضاعف الحامض النووي الرئيسي (دي أن آي DNA)، ووُجِدَ أنّه يعمل كعدّاد يحسب عدد الانقسامات، ويسمّى: (عدّاد الأجل LONGETIVITY METER). وكما نعلم فإن الخلية تنقسم باستمرار، وبالتالي فإن عمرها ينقص مع انقساماتها المتلاحقة من جرّاء نقص طول العدّاد[3]. (انظر الصورة رقم: 130).

كذلك من أسباب الشيخوخة: أن الخلايا تموت من جراء الأخطاء التي تحصل خلال إصلاح (الحامض النووي الرئيسي DNA) الموجود في نواة الخلية، والذي يحتوي على المورثات. ويزداد الأمر سوءاً مع مرور الأيام حتى يبدأ الجسم بفقد قواه تدريجياً بحوالي 0,8٪ من مجمل قواه كل سنة بعد سن الثلاثين[4]. ولهذا قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ﴾ [غافر: 67]. جاء في كتاب «علم الوراثة الإنساني»[5]: «بما أن المورثات تتحكم في انقسام وموت الخلية، فإن مرحلة النضوج والشيخوخة مبرمجة جينيّاً إلى حدٍّ ما».

---

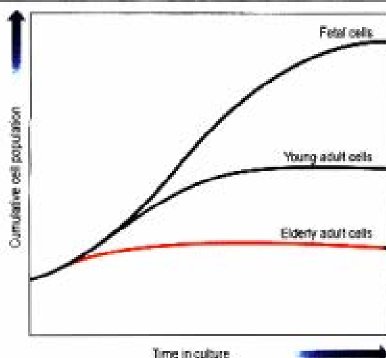
(1) كتاب علم الوراثة الإنساني، ريكي لويس، ص 60.

(2) GENERAL AND SYSTEMATIC PATHOLOGY, JCE UNDERWOOD, 12:264

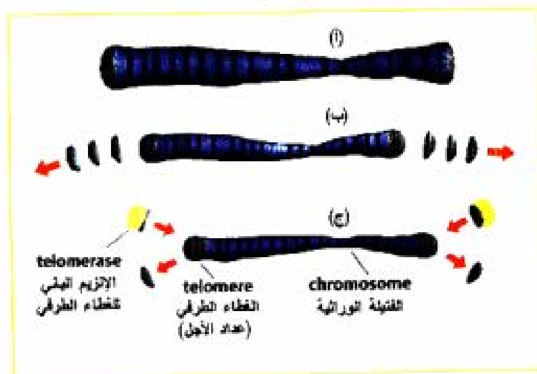
(3) مجلة الإعجاز العلمي، العدد الثاني عشر، ص 10، و GENERAL AND SYSTEMATIC PATHOLOGY, JCE UNDERWOOD, 12: 266.

(4) كتاب علم الوراثة الإنساني، ريكي لويس، ص 60 - 62 - 63.

(5) كتاب علم الوراثة الإنساني، ريكي لويس، ص 60.



(129) - إن عدد الانقسام الميتوزي للخلايا متناسب عكسياً مع عمر الإنسان. لذلك فإن (الخلايا الجنينية Fetal cells) لها القدرة على أن تنمو كثيراً بينما عدد الانقسامات لدى خلايا الإنسان المتقدم في عمره هو قليل.



(130) - لا ينقص طول (الغطاء الطرفي Telomere) في الخلايا الجنينية الأم والسرطان لأن الإنزيم الباني يعوض ما ينقص منه (أ). وكلما تقدم العمر ينقص طوله في الخلايا الجسدية لغياب الإنزيم (ب). وفي الشيخوخة يكون بالغ القصر (ج).

VI - نبذة علمية عن التقدير الجيني لموت الإنسان:

لم نر أحداً من العلماء البيولوجيين المسلمين تكلم بإطناب عن تقدير موت الإنسان من الناحية الوراثية. فهذا الأمر معقّد للغاية نظراً لوجود أسباب خارجية خارجة عن سيطرة الإنسان، تتحكم في موته وتؤثر في إضعاف قوة جسده، مثل: الأوبئة، والأحداث الفردية. ونظراً لأن كل إنسان يختلف في تكوينه وفي قوة جسده عن غيره، ونظراً لأن الأبحاث لم تكتمل بعد في هذا المجال، وأنها غير قطعية، ناهيك عن أن الأعمار بيد الله تعالى. بيْد أن كل المعطيات الشرعية (كما أشرنا إليه سابقاً)، والعلمية تشير بوضوح إلى هذا التوجه.

ومن الأدلة العلمية على التقدير الجيني لموت الإنسان:

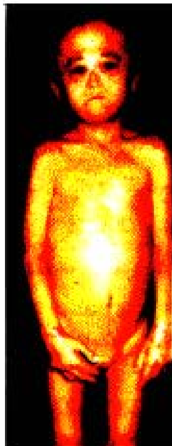
1 - كل إنسان وحيوان يتميز بما نسميه (عمر طبيعي متوقع NATURAL LIFE EXPECTANCY)، فعلى سبيل المثال: يتميز عمر (ذبابة نوار MAYFLY) بأنه يوم واحد. ويتميز عمر الحيوان ذات الخلية الواحدة (الأمفيبيا AMPHIBIA) بعمر ما يناهز مائة عام[1]. وأما عمر أمة محمد ﷺ، فقد حدده الرسول الكريم ﷺ بأنه ما بين الستين إلى السبعين سنة [أخرجه الترمذي ح92] كما أسلفنا قوله في مبحث **«دور النطفة في التقدير/ التقدير كما جاء في النصوص الشرعية»**.

2 - هناك أمراض وراثية طبيعية يشيخ فيها الإنسان قبل أوانه بفعل المورثات مثل: (أمراض عائلة البروجيريا PROGERIAS). فعلى سبيل المثال: يشيخ الإنسان المصاب (بمرض هاتشينسون غيلفورد HUTCHINSON - GILFORD SYNDROME) باكراً خلال عمره، حيث تظهر أعراضه (من تجاعيد وطيّات جلدية) من أول سنة، ويموت في الغالب عند عمر اثني عشر عاماً، ومثل: (مرض وارنر سندروم WERNER SYNDROME) حيث تظهر أعراضه قبل سن العشرين، ويموت الشخص فيه في الغالب عند سن الخمسين، وقد اكتشف المورّث الذي يسبب مرض شيخوخة وارنر سندروم سنة 1996م[2]. والذي ينبثق من النطفة (كما سنشير إليه في الخلاصة لاحقاً)، مما يدل على أن موت الإنسان مقدّر في النطفة. (انظر الصورة رقم: 131).

---

(1) GENERAL AND SYSTEMATIC PATHOLOGY, JCE UNDERWOOD, 12:265

(2) كتب علم الوراثة الإنساني، ريكي لويس، ص 62.



(A - 131) - الشيخوخة المبكرة:
صورة لطفل في العاشرة من عمره.



الصورة الجانبية لطفلة عمرها ثلاث سنوات فقط، وقد ارتسمت على وجهها علامات الشيخوخة المتقدمة.



(B - 131) - مثال لمرضى البروجيريا وقد ظهر في أخوين لنفس العائلة مما يشير إلى أن العامل الجيني يتحكم في شيخوخة مرض البروجيريا على وجه خاص، وفي الشيخوخة على وجه عام.

أضف إلى ذلك أن الأبحاث أظهرت أن طول عدّاد الأجل (المذكور آنفاً) لدى الصبغيات في حالة الإصابة (بمرض الشيخوخة المبكر PROGERIA) قصير إذا ما قارنّاه بعدّاد الأجل للخلايا العادية، بينما هو طويل لدى (الخلايا الجنينية الأم STEM CELLS)، ممّا يشير إلى أن خلايا المسنين مبرمجة لأن تموت أبكر من نظيراتها لدى صغار السن، وهذا ما يؤيد مرّة أخرى أن موت الخلايا مبرمج، وبالتالي موت الأعضاء التي تتألف من هذه الخلايا، فالإنسان مبرمج إلى حدّ ما[1].

3 - بما أن صحة الإنسان تعتمد على صحة خلاياه، وأن خلايا الإنسان تفقد قدرتها على الانقسام وعلى إصلاح عيوبها خلال برنامج زمني معيّن إلى حد ما، فإن جميع أعضائه «تشيخ» مع مرور الوقت، وبالتالي فإن أيّاً منها عرضة لأن تصل (نقطة الكارثة CRITICAL POINT) التي تؤدي إلى الموت خلال فترة معينة إلى حد ما (إذا ما استثنينا العوامل الخارجية).

VII - الخلاصة:

من الحديث الذي سبق، نفهم أن: كل جين من جينات نطفة الأمشاج تتحكم - بإذن الله - في تطور عضو من أعضاء جسم الإنسان، بل في تطور جزء من أجزاء العضو الواحد، وهذا التطور يتم حسب برنامج زمني دقيق للغاية. وبالتالي فقد جعل الله تعالى النطفة سبباً لتقدير بُنْية الإنسان. جاء في كتاب «علم الوراثة الإنساني»: «إن المورثات تُنظّم شكلنا خلال الحياة. . . لا يهم متى تبدأ الأمراض الوراثية بالظهور، فإن المورثات التي تحدثها موجودة من (بداية خلق الإنسان CONCEPTION) [أي عند خلق نطفة الأمشاج]»[2]. وجاء في كتاب «علم الوراثة الإنساني»: «قلّةٌ هم الذين ينفون أن التخلقات الجنينية والطفولة والمراهقة والنضج هي مبرمجة جينياً»[3].

إن المورثات الموجودة في النطفة هي السبب في تقدير الإنسان، وكل ذلك بمشيئة الله وقدرته: ومن هنا نفهم أبعاد الآية ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: 19].

(1) مجلة الإعجاز العلمي، العدد الثاني عشر، ص 11، و GENERAL AND SYSTEMATIC PATHOLOGY, JCE UNDERWOOD, 12:266.

(2) كتاب علم الوراثة الإنساني، ريكي لويس، ص 40.

(3) GENERAL AND SYSTEMATIC PATHOLOGY, JCE UNDERWOOD, 12:265.

VIII - دلائل الإعجاز:

إن الحديث عن الخلايا جدّ عجيب، وذلك أن المفهوم القائل بأن جسم الإنسان مكوّن من خلايا كان غريباً عن الناس إبان وقت الرسالة، نظراً لأن هذه الخلايا غير مرئية (لصغر حجمها) ولتكوينها جسماً واحداً متماسكاً ومتواصلاً (وبالتالي لا يوحي بأنه مؤلف من عدّة أجزاء)، والحديث عن موت الخلايا أمر مدهش! وذلك لأنه يتكلم عن حياة للمادة التي تتكون منها أعضاء جسم الإنسان، ولا يتخيل أحدٌ من أمّة أميّة، أنها حيّة بنفسها. والتكلم عن إحياء خلايا حيّة من خلايا ميّتة أكثر غرابةً من الكلام السابق، نظراً لأن ظاهرة إخراج الحي من الميت أبعد عن أذهان الناس من إخراج الميت من الحي. فالكل يموت، ولكن لا يحيا منه شيء في الغالب بعد موته. ومما يزيد الأمر دهشةً هو التكلم عن التعاقب المستمر للموت والحياة في الخلايا، وعن الآلية الدقيقة جداً. غير المرئية، التي تعطي للمادة قوة الاستمرارية، ألا وهي: انفلاق النوى (فلا أحد يشاهد بالعين المجردة انفلاق النواة الموجودة داخل الحبة أو الخلية). ومما يثير الانتباه أكثر هو التكلم عن عملية [تمايز] وجمع للخلايا، وهو وصف في غاية الدقّة لديناميكية الخلايا وفق برنامج زمني معين (مثل اليوم السابع واليوم الأربعين)[1]. وأمّا التكلم عن أن الموت خلقٌ مقدّر من النطفة (للإنسان على وجه عام وللخلايا على وجه خاص)، أي أنه يستوجب وجود أعضاء استموانية تعمل وفق برنامج زمني معيَن تنبثق من النطفة، فهذا أمر لم تعرفه البشرية إلا في السبعينات من القرن العشرين، أليس في ذلك دليلٌ على أن القرآن وحيٌ من عند الله عزّ وجلّ؟.

2 - دور النطفة في تحديد جنس الجنين:

● قال العليم الحكيم: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [النجم: 45-46].

● قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [الليل: 3].

بداية نرى أن ورود اسم الموصول «ما» في آية سورة الليل كقسم الله تعالى في هذا الموضع بالذات له دلالته. فهو قد يشير إلى عظيم صنع الله تعالى في أنه خلق شيء ما يكون السبب في سبب إذكار أو إيناث الجنين. فالآية ذكرت الزوجين: الذكر والأنثى بعد فعل «خلق» للفت انتباه القارئ إلى أن هناك شيئاً ما يحدث أحد الجنسين. وهذا الشيء غير عاقل.

(1) راجع مبحث «جمع خلايا الجنين» ومبحث «المضغة».

فمن استعمالات «ما» أنها ترد لغير العاقل أو لصفات (العالم أو العاقل)، وللمبهم أمره، أي المجهول ماهيته وحقيقته[1]، وقد ذكر بعض العلماء أنها اسم مبهم في غاية الإبهام[2].

ومن هنا نفهم أنها تشير إلى الحيوان المنوي الذي سنأتي على تفصيله لاحقاً.

وليس من الصدفة أن الله تعالى استعمل اسم الموصول "ما" في هذا الموضوع، فهو يشير إلى غاية الإبهام، والحيوان المنوي في غاية الإبهام، ولا أحد يعرف عنه شيئاً على الإطلاق، وذلك أنه صغير جداً، وأنه يحتوي على أحماض نووية رئيسية بشكل متراص مغلفة بغطاء.

ومن هذا الكلام نفهم أن معنى الآية هو كالآتي: والشيء غير العاقل، المجهول في تكوينه، الذي خلق الذكر والأنثى.

والخلق في الآية، هو أنه تعالى أجرى ذلك الفعل على يدي ظاهرة كونية بإذنه وإرادته، مع العلم أن فاعله الحقيقي هو الله تعالى، أي أن الشيء المذكور كان السبب في إذكار أو إيناث الجنين بإذن من رب العالمين.

وقد ورد إسناد الخلق إلى غير الله تعالى في كثير من الآيات القرآنية، مثل: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [آل عمران: 49]، و﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ... وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: 110]، و﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: 17].

مما يشير إلى إمكانية تفسير الآية على الوجه الذي أشرنا إليه.

والنص القرآني: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [النجم: 45، 46] أوضح دلالة من آية سورة الليل، وذلك لأن الله تعالى ذكر أولاً كلا من الذكر والأنثى في عملية الخلق عوضاً عن ذكر الإنسان فقط أو الذكر أو الأنثى، ولأنه ثانياً حدّد المكان الذي تخرج منه النطفة التي تسبّب الإذكار والإيناث. فلو أن الهدف من الآية هو إعلام الناس عن عملية الخلق فقط، لكان كافياً أن يقول الله - سبحانه وتعالى -: وهو الذي خلق الإنسان من نطفة، ولكن ذكر الجنسين في الآية دليل

(1) انظر: شرح [illegible] للرضي، القسم 2 - المجلد 1 - ص259 - 260.
(2) البرهان في علوم القرآن للزركشي، (ج4/ ص398).

على أن المقصود إيضاحه هو عملية الإذكار والإيناث. والتدقيق على أن النطفة تخرج من المني هو تحديدٌ لهوية هذه النطفة، وبالتالي هو إيضاح لسبب الإذكار والإيناث[1].

1 - النطفة المسببة للإذكار أو الإيناث:

لا بد من أن نُعرِّف معنى كلمتي «ماء» و«مني» لكي نفهم أبعاد الآية الكريمة التي ذكرناها آنفاً.

كلمة «ماء» في القرآن الكريم تشير إلى:

1 - السائل الذي **يُسَبِّبُ تخلّق الجنين**، نسبة إلى النص القرآني: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: 5-7].

2 - وهذا الماء يخرج من موضع يقع ما بين الصلب والترائب كما أقرّه النص القرآني: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: 6-7].

3 - وهذا الماء يدفق كما تشير إليه الآية: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ [الطارق: 6].

4 - ولون هذا الماء **أبيض للرجل وأصفر للمرأة**، حسبما جاء في الحديث الشريف: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر...» [أخرجه مسلم ح9].

وتعريف كلمة «مني»:

جاء في لسان العرب[2]: «مني: المنى بالياء: القدر».

وجاء أيضاً في نفس الكتاب: «(قال) أبو بكر: تمنيت الشيء أي قدّرته وأحببت أن يصير إلي من المنى وهو القدر...».

وجاء أيضاً: «يقال مَنَى الرجل وأمنى من المنيّ بمعنىً، واسْتَمْنى أي استدعى خروج المنيّ».

وهكذا فإن أصل كلمة مني هو القدر. والمني سمي منيًا لأن الإنسان يُقدِّر نزوله ويتمنى حصول الشهوة بنزوله.

وسائل الرجل الذي يخرج من إحليله عند الجماع، تخرج مكوناته من موضع يقع ما بين الصلب والترائب، وهو أبيض اللون، وهو يدفق، ويُسَبِّبُ تخلّق الجنين؛ لأن النطفة التي تنسلُّ منه تشاركُ في تكوين البويضة الملقحة التي يتخلّق منها الجنين؛ وبالتالي فهذا السائل هو الماء الذي تتكلم عنه الآية رقم 6 من سورة الطارق.

(1) للمزيد من التفاصيل انظر الحاشية (رقم1، ص106 - 109) من مبحث «النطفة».

(2) لسان العرب لابن منظور - مادة «مني» (ج13/ص 202 - 203).

وماء المبيض الذي يخرج مرّة كل شهر بعد انتهاء الدورة الشهرية لدى المرأة، تخرج مكوناته من موضع يقع ما بين الصلب والترائب، وهو أصفر اللون، وهو يدفق، ويُسَبِّبُ تخلق الجنين لأن النطفة التي تنسلّ من المبيض، تشارك في تكوين البويضة الملقحة، التي يتخلق منها الجنين، وبالتالي فهذا السائل هو الماء الذي تتكلم عنه الآية رقم 6 من سورة الطارق.

والسائل الذي يخرج من إحليل الرجل عند الجماع يخرج باستثارة الرجل له، وبإرادته وهو بالتالي مني الرجل.

وهكذا فإن ماء الرجل هو مني الرجل أيضاً.

ومني المرأة يخرج من عنق مهبل المرأة وغدد أخرى مثل: (غدد بارثولين BARTHOLIN GLANDS) و(غدد سكن SKENE GLANDS). وهذه الأعضاء لا تقع في مكان ما بين الصلب والترائب، وهذا المني شفاف اللون وليس بأصفر، ولا يدفق بل يسيل، ولا يشارك مباشرة في تخلق الجنين.

وهكذا فإن ماء المرأة يختلف عن منيها.

والنطفة التي تنحدر من ماء الرجل تنحدر أيضاً من مني الرجل، لأن ماء الرجل هو أيضاً مني الرجل.

والنطفة التي تنحدر من ماء المرأة لا علاقة لها بمني المرأة، لأن ماء المرأة يختلف عن مني المرأة.

وبالتالي فإن النطفة التي تُمنى من المني - كما تشير إليه الآية: ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: 46]، أي النطفة التي تخرج من مني الرجل (أي الحيوان المنوي) وليس من مني المرأة، كما أسلفنا شرحه - هي التي تسبب الإذكار أو الإيناث.

ولكي تتضح لنا أبعاد الآية الكريمة، لنر الأمور عن كثب من الناحية العلمية:

- **أولاً**: عند الرجل، السلالة أو الخلية الجنسية نوعان:

● خلية جنسية وثروتها الوراثية تتألف من اثنتين وعشرين صبغية عادية، وصبغية جنسية واحدة يُشار إليها بالحرف (ص أو Y).

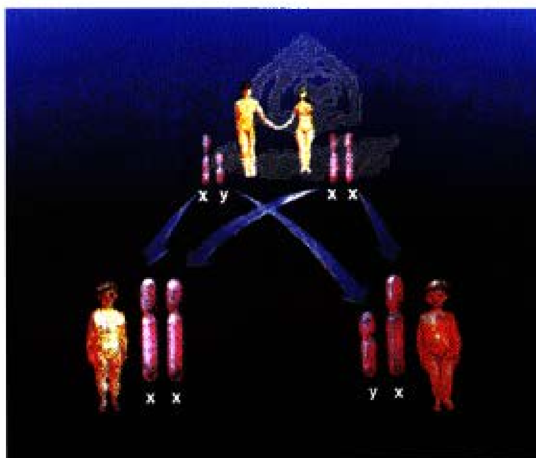
● خلية جنسية وثروتها الوراثية تتألف من اثنتين وعشرين صبغية عادية، وصبغية جنسية واحدة يُشار إليها بالحرف (س أو X).

- **ثانياً**: عند المرأة، الخلية الجنسية - أي البويضة - نوع واحد: وثروتها الوراثية تتألف من اثنتين وعشرين صبغية عادية، وصبغية واحدة جنسية يُشار إليها بالحرف (س أو X).

11 - عملية الإذكار أو الإيناث:

إذا اختلط عند التلقيح الحيوان المنوي (ذات الصبغية الجنسية «ص أو Y») بالبويضة (ذات الصبغية «س أو X»)، كان الجنين ذكراً، أي حاملاً للصبغيتين الجنسيتين (ص س أو XY). وإذا اجتمع الحيوان المنوي الحامل الصبغية الجنسية (X) مع البويضة الحاملة دائماً للصبغية الجنسية (X) كان الجنين أنثى، أي حاملاً للصبغيتين الجنسيتين (XX). (انظر الصورة رقم: 132).

وهكذا يتبين لنا أن أساس عملية الإذكار والإيناث هي نطفة الرجل وليس المرأة. ويتبيّن لنا دقة التعبير في الآية القرآنية الكريمة.



(الجنس الوراثي Sexe Génétique)

(132) - صورة توضيحية تبين كيف تساهم كلٌ من نطفة الرجل ونطفة المرأة بواسطة زوج الصبغيات الجنسية (XY,XX) في اختلاف جنس الجنين.

زوج الصبغيات XY يعطي الصفات الوراثية للذكر، زوج الصبغيات XX يعطي الصفات الوراثية للأنثى ومن الواضح أن للرجل نوعين من الحيوانات المنوية بينما للمرأة نوع واحد من البويضات. وبذلك فإن نطف الرجل هي المسؤولة عن إذكار أو إيناث الجنين وفقاً للآية: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [النجم: ٤٥، ٤٦].

ب - الإعجاز العلمي في الصبغيات كما جاء في النصوص الشرعية:

1 - صفات الصبغيات:

● عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى إذا أراد خلق النسمة، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه في كل عرْق وعصب منها، فإذا كان يوم السابع، جمعه الله تعالى، ثم أحضر له كل عرْق بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 8]» [أخرجه الطبراني ح21].

كما أسلفنا القول في مبحث **«اختلاط عروق النطفة»** نفهم من الحديث رقم 21 أن النطفة تنتشر في كل عرق وعصب من ماء المرأة.

وقد أشرنا عندئذ أن لفظ «العرق» بالمصطلح النبوي الشريف يرادفه لفظ «الصبغية» بالمصطلح العلمي.

وسنبحث عن سبب استعمال كلمة العرق إشارةً إلى الصبغية في الحديث.

فالعرق والعصب بمعنى واحد في الحديث وهما يمثلان الصبغيات. وقد جاءت كلمة «العصب» معطوفة على كلمة العرق لكي تلقي مزيداً من الضوء على صفات الصبغيات[1].

---

(1) لقد عطفت كلمة «عصب» على كلمة «عرق» وهما بمعنى واحد في الحديث السالف الذكر لسببين:
أولاً: لكي تعطف الشيء على مرادفه. ثانياً: لكي تعطف الخاص على العام.
فقد ذكر السيوطي في «الأشباه والنظائر» - (ج2/ص118 - 120)، أن مما تنفرد به الواو العاطفة عن أخواتها العاطفات مثل «الفاء» و«ثم» و«أو» وغيرها أموراً منها:
بها تعطف الشيء على مرادفه: مثل قول الشاعر:
ألا حبذا هندٌ وأرض بها هندُ ... وهندٌ أتى من دونها النأي والبعدُ
فالنأي والبعد اسمان لمعنى واحد. (انظر «فصول في فقه العربية»، للدكتور رمضان عبد التواب، ضمن بحثه لظاهرة الترادف، ص 324).
أن تعطف الخاص على العام: مثل قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 98]، فجبريل من الملائكة، ولكن يتمتع بصفات أخص من تلك التي يتمتع بها سائر الملائكة الأخرى كما يظهر لنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١﴾ [التكوير: 19 - 21]. ومثال آخر على عطف الخاص على العام، قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: 86]، فالبث هو أخص من الحزن، جاء في تفسير الشوكاني في تفسيره لسورة يوسف (ج3/ص49): «والبث: ما يرد على الإنسان من الأشياء التي يعظم حزن صاحبها بها حتى لا يقدر على إخفائها، كذا قال أهل اللغة... وقد ذكر المفسرون أن الإنسان إذا قدر على كتم ما نزل به من المصائب كان ذلك

يجدر الإشارة إلى أن حرف "كل" في عبارة "طار ماؤه في كل عرق..." هو للإشارة إلى أن هناك العديد من الصبغيات في النطفة؛ والعلماء أثبتوا أن هناك ثلاثاً وعشرين صبغية في كل بويضة من بويضات المرأة وفي كل حيوان منوي لدى الرجل.

ونفصّل من الناحية اللغوية:

جاء في لسان العرب: "وعروق كل شيء أطناب تشعب منه"[1].

وجاء في لسان العرب: "الأعصاب: الأطناب"[2].

وجاء في لسان العرب: "طنب: الطُّنُبُ والطُّنْبُ معاً: حبل الخباء والسرادق ونحوهما... الأطناب: الطوال من حبال الأخبية... ابن سيده: الطنب حبل طويل يشد به البيت والسرادق..."[3].

إذن كل من العرق والعصب يعني الطنب، والطنب يعني بدوره الحبل، وبالتالي فإن كلمتي "عرق" و"عصب" تشيران لغوياً إلى شيء واحد، وهو الحبل.

-حزناً، وإن لم يقدر على كتمه كان ذلك بثاً، فالبث على هذا: أعظم الحزن وأصعبه... وعلى هذا القول يكون عطف الحزن على البث واضح المعنى».

وعودة إلى الحديث، «فالعصب» من جنس «العرق» كما تشير إليه معاني الكلمتين السابقتين، وبالتالي جاء عطف كلمة «عصب» على كلمة «عرق» لتأكيد المعاني التي تشير إليها كلمة «عرق» من خلال وظيفة الواو «للترادف». فالمعاني المشتركة بين الكلمتين السابقتين هي الحبال الطويلة، كذلك جاء عطف كلمة «عصب» على كلمة «عرق» لكي يمهّد الطريق لإضافة صفات أخرى على هذه الحبال من خلال وظيفة الواو الأخرى «عطف الخاص على العام». فالرجوع إلى المعنى الأول من خلال المعنى المشترك سبيل لكي نوضحه من خلال المعاني الأخرى التي يتصف بها المعطوف على المعطوف عليه. فكلمة «عصب» تبين معنى للصبغيات أخص من معنى كلمة «العرق»، وهو «ربط الشيء بالشيء الآخر» و«الطي الشديد» كما سنراه فيما يلي من المبحث. أي أن الصبغيات مربوطة بعضها ببعض، وملتوية حول نفسها كأنها معصوبة، ولو اقتصر الرسول ﷺ على كلمة «عرق» في وصف الصبغيات لانتفت الدقّة المتناهية في وصف الصبغيات. فجاءت كلمة «عصب» لتمدّ العروق بصفات إضافية.

ومن هذا الكلام السابق يتبيّن لنا كيف أن المعاني اللغوية، والقواعد النحوية، والحقائق العلمية، جاءت بإذن الله تعالى - كوحدة متجانسة تتضافر فيما بينها لكي تؤكد معاً مرّة أخرى «الإعجاز العلمي في القرآن والسنة».

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «عرق» - (ج9/ ص160).
(2) لسان العرب لابن منظور - مادة «عصب» - (ج9/ ص230).
(3) لسان العرب لابن منظور - مادة «طنب» - (ج8/ ص205).

والطنب ليس هو الحبل فقط، بل الحبل الطويل، وهذا يعني أن العروق والأعصاب تشير إلى أن الصبغيات عبارة عن حبال طويلة، وليست أي حبال.

وقال ابن فارس: "عصب: العين والصاد والباء أصل صحيح واحد يدل على ربط شيء بشيء مستطيلاً أو مستديراً. . ."[1].

وتتواصل القيود على صفة تلك الحبال لتزيد الأمور دقة. فنفهم من كلام ابن فارس - العالم اللغوي الكبير - أن هذه الحبال الطويلة مربوطة بعضها ببعض.

وليس هذا فحسب، فقد ورد من المعاني لكلمة «عصب» ما يضاعف هذه الدقة، حيث جاء أنها تعني "الشيء المطوي".

قال ابن فارس: "وإنما سُمّي العصيب من أمعاء الشاء لأنه معصوبٌ مطويٌ"[2].

ثم قال: «وكذلك كلّ شيء استدار حول شيء واستكفّ فقد عصب به"[3].

وجاء في لسان العرب: «. . . وعصب الشيء يعصبه عصباً: طواه ولواه. . .»[4].

ووجه الشبه بين معنى "الطوي" التي تشير إليها كلمة "عصب" وبين معنى أصلها - الربط -: أن كل شيء يُطوى على شيء يؤدي في النهاية إلى ربطه بغيره من جراء تداخلهما ببعض.

ولم يقتصر الوصف على ذلك، بل جاء ما يبهر العقول؛ من تناهي الدّقة. فالطي المشار إليه عليه أن يكون شديداً.

قال ابن فارس: "والعصب الطي الشديد، ورجل معصوب الخلق، كأنما لُوي ليّاً"[5].

كل هذا الوصف جاء ليلقي الضوء على الصفة الخارجية للصبغيات، ولكن ماذا عن وظيفتها؟

يقول ابن منظور: "وعرق كل شيء: أصله"[6].

---

(1) مقاييس اللغة العربية لابن فارس - مادة «عصب» (ج4/ ص336).

(2) مقاييس اللغة العربية لابن فارس - مادة «عصب» - (ج4/ ص336).

(3) مقاييس اللغة العربية لابن فارس - مادة «عصب» - (ج4/ ص340).

(4) لسان العرب لابن منظور - مادة «عصب» - (ج9/ ص230).

(5) مقاييس اللغة العربية لابن فارس - مادة «عصب» - (ج4/ ص336).

(6) لسان العرب لابن منظور - مادة «عرق» - (ج9/ ص160).

وهذا يعني أن الصبغيات هي أصل الإنسان، أو بمعنى أدق أنها هي أصل خلق الإنسان.

وباختصار فهاتان الكلمتان اللتان تعمّد الرسول ﷺ لفظهما تشيران إلى عدّة صفات يجب أن تتحلى بها الصبغيات، وهي:

1 - أن تكون شبيهة بالحبال.

2 - أن تتقيّد بالطويل من الحبال.

3 - أن تكون مربوطة بعضها ببعض.

4 - أن تكون ملتوية ومطوية.

5 - أن تتقيّد بالطيّ الشديد.

6 - أن تتحكم بسائر عمليات الخلق لأعضاء الإنسان.

ونفصّل من الناحية العلمية:

إذا تأملنا الصبغيات عن كثب تبين لنا أنها سلاسل **(أي حبال)** مؤلفة من حبيبات (السكر الناقص الأوكسيجين DEOXY - RIBOSE) وجزئيات من (الفوسفات PHOSPHATE) و(النيتروجين NITROGEN).

هذه الأزواج **مربوطة** بعضها ببعض بأربع قواعد نيتروجينية هي (آدنين، غوانين، سايتوزين وثايمين ADENINE, GUANINE, CYTOSINE, THYMINE).

وجمعاً ما بين الحقيقة العلمية والمعنى اللغوي فإن كل سلسلة من حبيبات السكر وحبيبات الفوسفات هي عرق (أو عصب)، غير أن صفة الربط بين كل زوجين من هذه الحبال صفة لا تنفك عنها، وبالتالي فلا يضر أن نرمز بصفة عامة إلى أن هذين الزوجين يشكلان معاً عرقاً (أو عصباً) واحداً، أي أن الصبغي المؤلف من حبلين طويلين هو عرق أو عصب واحد، وإن كان المعنى اللغوي يشير إلى أن الصبغي مؤلف من حبلين (أو عرقين).

ومن الأهمية بمكان أن نشير أيضاً إلى أن هذه الأزواج من الحبال تأتي في كثير من الأحيان مربوطة هي الأخرى بعضها ببعض، أي أن كل اثنين من الحبال المتّحدة بعضها ببعض بواسطة القواعد النيتروجينية ترتبط في كثير من الأحيان باثنين آخرين متّحدين أيضاً بعضهما ببعض في المنطقة الوسطى منها عند ما يسمى (بالقسيمة المركزية للصبغية CENTROMERE) ويسمى عندئذ هذا الزوج من الصبغيات

(بالصبغية المزدوجة (DIPLOID)، مما يدّل على أن كلمة «عصب» اختيرت بعناية فائقة لتبرز الإعجاز، فيسطع ضوء النبوة بالإشعاع قويًا مرة أخرى في مجال «الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في مجال تخلّق الجنين».

كما أن هذه الحبال يبلغ طولها 150 إلى 170 سم إذا كانت ممدودة كخيط، وتأتي آزواجاً قطرها مجتمعة 20 أنجستروم[1] وهي بذلك طويلة جداً نسبة إلى حجم قطرها.

هذه الحبال ملتوية وملتفّة حول نفسها بحيث إنها تشكل حلزون (الدي أن أي .(D.N.A.

وهذا الالتفاف حول النفس شديد وكثيف كما يظهر لنا في الصورة التي تلي. (انظر الصورة رقم: 133).

هذه الصبغيات تُعتبر أصل الإنسان وذلك لعدة أمور:

إن الصبغيات على الوجه العام تحتوي على حلزون الدي أن آي الذي يحتوي بدوره على الشيفرة الجينية التي تقدر الإنسان من لون وقامة ...إلخ فهي بمثابة مخزن المعلومات الذي يحمل أسرار التكوين.

- إن الصبغيات مسؤولة عن نشاط الخلية وتدبير أمورها وذلك لأنها مصدر الرسائل والأوامر لتصنيع البروتينات والخمائر، فمنها يصنع (الآر آن آي الرسول MESSENGER RNA) الذي يحمل الرسائل والأوامر من الدي أن آي إلى مصنع الخلية - الريبوزوم[2] - فيقوم الأخير بصنع مختلف البروتينات والأنزيمات (الخمائر) حسب تلك الأوامر.

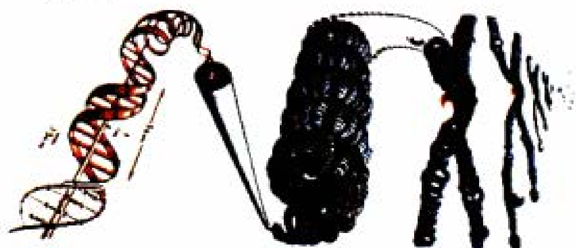
- يفقد الجسم كل ساعة ملايين من الخلايا. يعوض الجسم هذا النقص من خلال استنساخ الخلايا. يعتمد استنساخ الخلايا على تضاعف كمية المواد في الصبغيات. إن تضاعف هذه الكمية يولّد استنساخ الخلايا إلى قسمين متماثلين، وهكذا فإن الصبغيات هي أساس لاستنساخ الخلايا، كما أن تركيبة الصبغيات تملي تركيبة الخلايا الجديدة.

---

(1) والأنجستروم واحد على عشرة مليار من المتر.

(2) والريبوزوم يتكون من البروتين والرنا الريبوزي r R N A.





الصبغيات

(133) - نرى من خلال الرسومات أن الخلايا تحتوي على ثلاثة وعشرين زوجاً من الصبغيات وأن هذه الصبغيات مؤلفة من حبال طويلة وملتوية ومربوطة بعضها ببعض كما تشير إليه الكلمتان «عرق» و«عصب» اللتان جاءتا في الحديث « طار ماؤه في كل عرق وعصب» [أخرجه الطبراني ح21].

وفي مجال «تخلق الجنين في الرحم»:

- إن تكاثر خلايا النطفة التي ستؤلف الجنين يعتمد على الصبغيات لنفس السبب المذكور آنفاً.

- إن تخلق أعضاء الجنين يعتمد على تمايز الخلايا التي بدورها تعتمد على الشيفرة الجينية الموجودة في الصبغيات التي تحتويها النطفة.

2 - انحدار الصبغيات في النسل:

● قال النبي ﷺ: «لا يبغي على الناس إلا ولد غيَّة، وإلا من فيه عِرقٌ منه» [أخرجه البيهقي ح91].

هذا الحديث يتكلّم عن ظاهرة توَرّث بدليل ورود كلمة «عرق» في الحديث السالف ذكره.

ومعناه: لا يبغي على الناس إلا ابن لامرأة ذات غي، وإلا من فيه عرق منه.

والغي هو الفساد.

جاء في لسان العرب[1]: «ومنْ غيَّة تُلْقي عليها الشَّراشرْ» قال ابن بري: يريد كم ترى من مصيب في اعتقاده ورأيه! وكم ترى من مخطىء في أفعاله وهو جاذ مجتهد في فعل ما لا ينبغي أن يفعل!».

وورد في القاموس المحيط[2]: «غوى ويغوي غيًّا، وغوِيَ غوايةً، ولا يُكْسَرُ، فهو غاوٍ وغوِيٌّ وغيَّانٌ: ضلّ... ووَلَدُ غيَّةٍ، ويُكْسَرُ: زِنْيَة».

وجاء في عمدة القاري بشرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني[3]: «قوله: «لغية» بكسر اللام والغين المعجمة وتشديد الياء آخر الحروف: مشتق من الغواية: وهي الضلالة كفراً وغيره، وأيضاً يقال لولد الزنا، ولد الغية، ولغيره: ولد الرشدة».

والغي المراد في الحديث هو طبع الغي، وهو حب الأذى للغير، كما يفيده أصل كلمة الغي، وليس الزنى كما يدّعيه بعض المفسّرين، لأن البغي لا يأتي بالضرورة من الزنى، والبغي لا يتوارث من الزنى، فالبغي شيء، والزنى شيء آخر، وإن عاد الغي لولد امرأة ذات غي فذاك مرده لنشأته في بيئة فاسدة، وليس لصفة يتوارثها من أمه.

(1) لسان العرب لابن منظور، باب الشين، مادة «شرر».
(2) القاموس المحيط، للعظيم آبادي، باب الواو والياء، فصل الغين، مادة «غوى».
(3) عمدة القاري بشرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، كتاب الجنائز، شرح الحديث رقم 8531.

ونفهم من الحديث السابق أن الرجل البغي الذي يطغى على الناس له عرق (أي صبغية) يعطيه صفة البغي والغلظة، كما نفهم من الحديث أن الرجل البغي قد يرث من أمه صفة البغي من خلال العرق الذي ينحدر من أمه.

وتفصيله: أن ضمير الهاء في "منه" قد يعود للبغي وقد يعود للولد. فإن عاد للولد أصبحت وظيفة كلمة "من" في "منه" لابتداء الغاية[1] وأصبح المعنى على هذا النحو: لا يبغي على الناس إلا ولد بغية، وإلا من فيه (أي في الابن) عرق بغي من هذا الولد - أي منحدر من هذا الولد (أي من الأب) -. وإن عاد للبغي أصبحت وظيفة كلمة "من" في "منه" للجنس أو للتبعيض. فإن كانت للجنس أصبح المعنى على هذا النحو: لا يبغي على الناس إلا ولد بغية، وإلا من فيه عرق من البغي بمعنى: من فيه عرق من جنس البغي -. وإن كانت للتبعيض أصبح المعنى على هذا النحو: لا يبغي على الناس إلا من فيه عرق من البغي - بمعنى من فيه بعض من هذا البغيّ، أو جزء من البغي - ، أي أن العرق يولّد القليل من البغي.

والذي يؤيّد أن المراد من الحديث هو طبع البغي، أي طبع الفساد، وأنه يورّث: الحديث الصحيح: عنْ أبي هُرَيْرة رضي الله عنه عنْ رسُول اللّه ﷺ قال: «تجدُون النّاس معادن خيارُهُمْ في الْجاهليّة خيارُهُمْ في الْإسْلام إذا فقهُوا، وتجدُون خيْر النّاس في هذا الشّأْن أشدّهُمْ لهُ كراهيةً، وتجدُون شرّ النّاس ذا الْوجْهيْن الّذي يأْتي هؤُلاء بوجْهٍ ويأْتي هؤُلاء بوجْهٍ» [أخرجه البخاري ح116]، فهذا الحديث يشير إلى أن الناس معادن، والمعدن هو الشيء المستقر في الأرض، وهو على أنواع مختلفة من خسيس وجيّد، وهذا يعني أن الله خلق الناس من أتربة مختلفة مقابلةً مع الحديث الشريف: «إن الله خلق آدم من **قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك**» [أخرجه الترمذي ح64]. جاء في فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحديث السالف ذكره[2]: «قوله: والمعادن جمع معدن، وهو الشيء المستقر في الأرض، فتارة يكون نفيساً وتارة يكون خسيساً، وكذلك الناس». وهذه الأتربة أعطت عروقاً

(1) راجع مبحث «النطفة/ السلالة».

(2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، تفسير حديث رقم 3494.

مختلفة، أي أصولاً مختلفة كما يشير إليه شرح معنى كلمة «عرق»[1]، وهذا ما فهمه شراح الحديث، حيث قال ابن حجر في شرح الحديث رقم 116[2]: «قوله: (تجدون الناس معادن) أي أصولاً مختلفة»، وسياق الحديث يؤكد هذا المعنى حيث إن العرق يولّد طبعاً لا يتغير. فحتى لو أسلم الرجل يتحكم الصبغي في طبعه، فيعود الرجل لطبعه بين حين وآخر. قال ابن حجر[3]: «قوله: (خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام) وجه التشبيه أن المعدن لما كان إذا استخرج ظهر ما اختفى منه ولا تتغير صفته، فكذلك صفة الشرف لا تتغير في ذاتها... والمراد بالخيار والشرف وغير ذلك من كان متصفاً بمحاسن الأخلاق، كالكرم والعفة والحلم وغيرها، متوقياً لمساويها كالبخل والفجور والظلم وغيرها». ومن الأهمية بمكان هنا أن نشير إلى أن الله تعالى - كما نفهم من تعاليم الإسلام - لا يعاقب الإنسان على طبعه، بل على تصرفاته، ويأخذ بعين الاعتبار طبعه. فالأجر على قدر المشقة، وكلّما جاهد الإنسان طبعه كلما أجر، وكلّما بسط الله عزّ وجلّ له سبيل الهداية كما في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]. وإذا زلّ بعض الشيء فإن الله غفور رحيم لقوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: 25].

والعلم يتفق مع الأحاديث الشريفة أن الطبع يورّث. ففي بحوث معملية، ومن خلال تخصيب عدّة حيوانات لها نفس الطبائع (كأن تكون عدوانية، أو سهلة للاستفزاز، أو محبّة للحمر، أو نشطة جنسياً...)، تبيّن أن الأجيال المتأخرة المتولّدة من التزاوج المتخيّر تصبح لها طبائع مكثّفة من الطابع المختار للأجيال المتقدمة. (انظر الصورة رقم: 134). أما بالنسبة للبشر فتحديد ذلك أصعب لأن الإنسان يتأثر ببيئته[4]، جاء في (المدخل لعلم النفس INTRODUCTION TO PSYCHOLOGY)[5]: «بعض السمات تجري في عائلات... الأبناء لأباء مدمنين

(1) راجع مبحث «معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة/ الإعجاز العلمي في الصبغيات كما جاء في النصوص الشرعية».

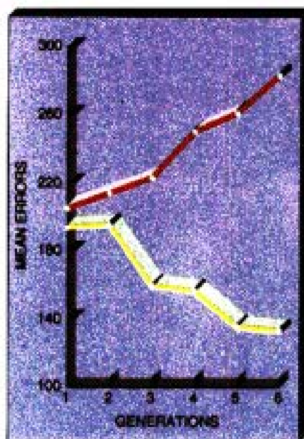
(2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، تفسير حديث رقم 3494.

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، تفسير حديث رقم 3494.

(4) المدخل لعلم النفس (INTRODUCTION TO PSYCHOLOGY)، ريتا وريتشارد أتكنسن، ص 65

(5) (المدخل لعلم النفس (INTRODUCTION TO PSYCHOLOGY)، ريتا وريتشارد أتكنسن، ص 65.

على الخمر هم أكثر عرضة من أبناء لآباء غير مدمنين على الخمر من أن يصبحوا مدمنين على الخمر.. هل أن المعطيات الجينية أو البيئية تلعب دوراً كبيراً؟. في محاولة للإجابة على هذا السؤال قام علماء النفس في دراسة على التوائم... لقد اكتشف أن (التوائم المتماثلة IDENTICAL TWINS) (أي التوائم الذين تولّدوا من نفس البويضة والحيوان المنوي) أكثر تماثلاً في الذكاء من (التوائم الأخوية FRATERNEL TWINS) (أي من التوائم الذين تولّدوا من بويضتين مختلفين وحيوانين منويين مختلفين)، كذلك فإن التوائم المتماثلة أكثر تماثلاً من التوائم الأخوية في (طباعهم PERSONALITY CHARACTERISTICS).



(134) - توارث قابلية التعلم للفئران. يظهر الرسم كمية (الأخطاء Mean error) مقابل (عدد الأجيال Generations) حيث نرى أن كمية الأخطاء تزداد عند تعصيب فئران حمقة مقابل انخفاض الأخطاء عند الفئران الذكية.

وهكذا نفهم أن الرسول ﷺ أشار إلى أن الطبع يورّث من خلال الصبغيات، كما تورّث السمات الجسدية.

3 - دور الصبغيات في تنويع الخلق:

● سأل عليه الصلاة والسلام أحدهم: «ما ولد لك؟» قال الرجل: يا رسول الله ما عسى أن يولد لي إما غلام وإما جارية! قال: «فمن يشبه؟» قال: يا رسول الله ما عسى أن يشبه إما أباه وإما أمه! فقال الرسول - صلوات الله عليه وسلامه -: «مهْ، **لا تقولنّ هكذا، إن النطفة إذا استقرت في الرّحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم. أما قرأت هذه الآية في كتاب الله تعالى:** ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: 8]؟. قال: شكّلك». [رواه الطبراني ح63].

● قال النبي ﷺ: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك» [أخرجه الترمذي ح64].

النطفة المذكورة في الحديث: «إن النطفة إذا استقرت في الرّحم، أحضرها الله تعالى كلّ نسب بينها وبين آدم. أما قرأت هذه الآية في كتاب الله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾؟ قال: شكّلك» [رواه الطبراني ح 63] هي نطفة الأمشاج وإلا لما كان بإمكانها أن تتخلق وأن تعطي مخلوقاً، ذكراً كان أو أنثى. وكلمة نسب في الحديث: «إن النطفة إذا استقرت في الرّحم، أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم. أما قرأت هذه الآية في كتاب الله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾؟ قال: شكّلك» تشير إلى معنى الانتساب لأن ظاهر الحديث يتكلم عن هذا الموضوع: فالصحابي توهم أن الولد يأتي شبهه إلى أمه أو أبيه المباشرين، فأراد الرسول ﷺ أن يصحح هذا المفهوم الخاطئ المنتشر في أذهان الناس فبيّن أن الولد قد لا يشبه أمه ولا أباه المباشرين ولكن قد يشبه أيًا من أجداده أو جداته أو من فوقهما إلى آدم عليه السلام، لأنه منسوب إلى سلالة آدم.

للسبب المذكور آنفاً يمكن أن نفسر معنى (أحضرها كل نسب بينها وبين آدم) على أنه (أحضرها كل خلق يمكن أن تركب فيه وينتسب إلى - أو يعود إلى - أي من الأجداد ما بين النطفة وبين سيدنا آدم عليه السلام)، والدليل على ذلك أنه ورد في رواية: «فركب خلقه في صورة من تلك الصور، أما قرأت هذه الآية في كتاب الله: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾؟ من نسلك ما بينك وبين آدم» [ذكره السيوطي ح63].

وإذا قارنا الحديثين: «إن النطفة إذا استقرت في الرحم، أحضرها الله تعالى كلّ نسب بينها وبين آدم»، و«... فإذا كان يوم السابع، جمعه الله تعالى، ثم أحضر له كل عرق بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:8]» [رواه الطبراني ح21]، نستنتج أن هناك عملية إحضار للشيفرة العرقية (أو الصبغية) من عالم الغيب إلى عالم التركيب والتي تنتسب إلى أي خلق ممكن من أجداد النطفة الذين ينحدرون من سيدنا آدم عليه السلام.

كما أسلفنا القول: من المحتمل أن يشبه المخلوق الجديد أيّ جدٍّ من أجداده (ذلك لأن الأجداد تحمل خصائص سيدنا آدم عليه السلام لأنها منحدرة منه).

نفهم أيضاً من الحديث: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك» [أخرجه الترمذي ح64] أن كل أنواع الخصائص الوراثية موجودة في سيدنا آدم عليه السلام. فسيدنا آدم عليه السلام مخلوق من كل الأتربة ويحمل بداخله كل الخصائص التي من الممكن أن تنحدر في البشر الذين يلونه.

من الناحية العلمية تفسر هذه الحقائق - والله أعلم - كالآتي:

إن (الخلية الجنسية الذكرية الأولية PRIMARY SPERMATOCYTE) أو (الخلية الجنسية الأنثوية PRIMARY OOCYTE) تتمايز إلى أربعة حيوانات منوية (أو إلى بويضة واحدة) مختلفة التكوين من جراء (عمليات الانقسام التي تحصل للصبغيات خاصة وللخلية الجنسية عامة FIRST AND SECOND MEIOTIC DIVISION). تلك الانقسامات، تسمح لبعض المورثات التي تقع على الصبغيات أن تنتقل من صبغية إلى صبغية أخرى، وأن تجتمع الصبغيات عشوائياً ضمن الحيوانات المنوية (أو البويضة) مما يحدث تنوعاً فريداً لتركيب الصبغيات، وتجمعاً مميزاً للصبغيات في كل حيوان منوي لدى الرجل (أو بويضة لدى المرأة).

وإذا علمنا أن نواة كل خلية من خليات الإنسان (ما عدا الخلايا الجنسية) تحتوي على ثلاثة وعشرين زوجاً من الصبغيات لُفَّتْ بشكل لولبي (وأما الخلايا الجنسية فهي تحتوي على ثلاث وعشرين صبغية فقط)، وأن تلك الصبغيات تحتوي على 100,000 مورثة تقريباً، أدركنا أن عدد التركيبات التي قد تحصل تُقدر بالمليارات.

يقول كتاب (الوراثة الإنسانية HUMAN GENETICS): «إن عملية الانقسام الميوزية تولد تنوعاً وراثياً مدهشاً. إن أياً من ثمانية ملايين تركيبة أو أكثر لصبغيات شخص ما، تستطيع أن تجتمع مع أكثر من ثمانية ملايين تركيبة لصبغيات شريكه، مما يزيد احتمال التنوع الوراثي للأشخاص إلى أكثر من 70 ملياراً (8388608 × 8388608). إن (انتقال المورثات CROSSING OVER) (من صبغية إلى أخرى) يزيد هذا الاحتمال»[1].

ومما يزيد الأمر تعقيداً، أنه عندما تلتقي نطفة الرجل الحاملة لهذه الصبغيات (وهي بالتالي تحتوي على المورثات) مع نطفة المرأة الحاملة هي أيضاً عدداً مماثلاً، تنصهر نواتا النطفتين الحاملتين للصبغيات وتختلط الصبغيات بعضها ببعض[2]، وتتواجه المورثات فيما بينها في نطفة الأمشاج؛ إن نوعية هذه المورثات تزيد احتمال التنوع لتركيب الجنين، فتبعاً لخصائصها المتنحية والمسيطرة تظهر صفات الجنين، ولا يقتصر الأمر على كامل سيطرة وتعبير هذه المورثات أو تنحيها، فما هو سائد قد

(1) كتاب (الوراثة الإنسانية، ريكي لويس HUMAN GENETICS, LEWIS)، ص 45.

(2) وقد ذكر الله تعالى هذا الانصهار في القرآن الكريم في الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [illegible].

يكون (كامل التعبير FULLY EXPRESSED) أو (ناقص التعبير PARTIALLY EXPRESSED)، وكذلك ما يكون متنحياً.

ثم إنّ هناك طفرات وراثية تحدث أثناء تكوّن الحيوان المنوي أو البويضة أو نطفة الأمشاج (البويضة المخصبة) أو حتى أثناء تكون الجنين، مما يزيد احتمال التنوع الوراثي لتركيب الجنين.

ولو أردنا أن نتنبأ بصورة قطعية عن خصائص المخلوق الجديد (لونه، قامته، هيئته) لعجزنا، وذلك لأن هناك تركيبات عديدة جداً لنطفة الأمشاج وبالتالي أنساباً عديدة، وقد يحضر الله تعالى نسب النطفة وفق تركيبها النووي (أي حسب الشفرة الوراثية) أو كما يُقدره تعالى من غير سابق سبب مفهوم لنا (كما يحصل خلال الطفرات الوراثية)، وهكذا نفهم معنى الحديث النبوي الشريف عن احتمالات النسب التي ذكرها.

4 - المورثات المسيطرة والمتنحية:

الأحاديث التي وردت في هذا المجال:

الحديث الأول: أن أعرابياً أتى رسول الله - عليه أفضل الصلاة والتسليم -، فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، وإني أنكرته، فقال له النبي ﷺ: "هل لك من إبل؟" قال: نعم. قال: "ما ألوانها؟" قال: حمر، قال: "هل فيها من أورق؟" (أسمر أو ما كان لونه كلون الرماد). قال: نعم. قال: "فأنّى هو؟" قال: عسى أن يكون نزعه عرق له. قال له النبي ﷺ: "وهذا لعله يكون نزعه عرق له" [أخرجه مسلم ح65] وفي رواية: ولم يرخص له في الانتفاء منه.

الحديث الثاني: حديث: "انظر في أي نصاب تضع ولدك، فإن العرق دسّاس" [ذكره العجلوني ح71].

الحديث الثالث: "اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوّاتنا ما حيينا، واجعله الوارث منا" [أخرجه الترمذي ح66].

الحديث الرابع: قال رسول الله ﷺ: "ماء الرجل غليظ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر، فأيّهما سبق كان الشبه" [أخرجه النسائي ح67].

الحديث الخامس: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: "نطفة الرجل بيضاء غليظة، ونطفة المرأة صفراء رقيقة، فأيّهما غلبت فالشبه له، وإن اجتمعا جميعاً كان منها ومنه" [ذكره ابن هشام ح69].

الحديث السادس: عن عبد الله بن بريدة ﷺ أن رجلاً من الأنصار ولدت له امرأته غلاماً أسود، فأخذ بيد امرأته، فأتى بها رسول الله ﷺ، فقالت: والذي بعثك بالحق، لقد تزوجني بكراً، وما أقعدت مقعده أحداً، فقال رسول الله ﷺ: "صدقتْ... إذا كان حين الولد اضطربت العروق كلها ليس منها عرق إلا يسأل الله أن يجعل الشبه له" [أخرجه الحكيم الترمذي ح22].

إن العلم الحديث أثبت في الأبحاث فيما لا مجال للشك فيه أن المولود يحمل مورثات من أمه ومورثات من أبيه بحيث تظهر بالمولود خصائص جديدة من جراء مشج تلك المورثات.

وهذه المورثات على نوعين: نوع متنحّ ونوع مسيطر.

واحتمال ظهور خصائص (المورثات المتنحية RECESSIVE GENES) أقل من احتمال ظهور خصائص (المورثات المسيطرة DOMINANT GENES).

ولذلك فإن المورثات المسيطرة تظهر تأثيراتها في أغلب الأحيان على النسل المباشر.

ولكن المورثات المتنحية قد تظهر تأثيراتها بعد أجيال.

وأول من شاهد الصبغيات هو العالم الغربي (فلمنج FLEMMING) سنة 1878م، ثم ظهر العالم (بوفيري BOVERI) فاكتشف الخصائص الوراثية المختلفة التي تحملها الصبغيات سنة 1902م، ثم استطاع العالم مورجان سنة 1912م أن يصف دور الجينات في الوراثة.

وهذا يعني أن الاكتشافات ظهرت بعد بعثة الرسول ﷺ بـ 1300 عام تقريباً.

وهنا نرى روعة الإسلام في عدم حياده عن البحث العلمي، أو مجانبته المكتشفات العلمية، فالإسلام والعلم هما في دائرة واحدة.

ففي الحديث الأول: يظهر لنا أن الرجل الذي ولدت امرأته غلاماً أسود، والرجل ليس بأسود وكذلك امرأته ليست بسوداء، يريد أن ينفي عنه الولد، لظنه أنه ليس بأبيه، لأنه لا يشبهه، ولا يمت له بأي صلة من ناحية الشكل.

ونفي النسب هنا يترتب عليه أن يتهم زوجته بالزنا، ويترتب عليه ما إذا أنكرت المرأة أن يتلاعنا[1]، وأما إذا أقرّت، فعليها الحد كما هو معروف في الشريعة الإسلامية[2].

إلا أن الوحي الذي يوجه الرسول ﷺ قد أعطى حلاً علميًا مُقنعاً مقبولاً مناسباً.

فالرسول ﷺ ضرب مثلاً قريباً لذهن السائل حتى يفهم المسألة ويستوعبها دون أن يدخل في مقدمات علمية معقدة.

فقاس له الأمر على ما يراه الإنسان الذي نشأ في البرية والبادية من الإبل.

فالرسول ﷺ سأل الرجل هل عندك من الإبل[3]؟، وأجاب الرجل بنعم. وهنا سأله الرسول ﷺ: ما ألوانها؟ فأجاب الرجل بأن ألوانها حمر.

فصرفه النبي ﷺ إلى المقصود: هل فيها من أورق؟ أي هل فيها لون أسمر وما كان لونه كلون الرماد؟ فأجاب الرجل بأن فيها إبلاً لونها أسمر أو ما كان لوناً رمادياً.

وهنا لم يعطه الرسول ﷺ الجواب بل أراد ﷺ أن يكشف السائل عن الجواب بنفسه.

فالرسول ﷺ سأله أيضاً: من أين أتاها هذا اللون؟، فما كان من السائل إلا أن

---

(1) والتلاعن بين الزوجين يكون بأن يشهد الرجل ﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝﴾ [النور: 6-7]، والمرأة بدورها تشهد ﴿أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝﴾ [النور: 8-9]، ويفرّق بينهما عندئذ.

(2) والحد هو الرجم حتى الموت للمرأة المحصنة (أي المتزوجة) التي زنت (أو للرجل المحصن إذا زنا).

(3) لقد قايس الرسول الكريم ﷺ في أكثر من موضع بين الإنسان والثدييات. فالإنسان تحكمه عامة نفس الأحكام البيولوجية التي تحكم الثدييات، وقد جاء القياس في الحديث المشار إليه أعلاه إضافة إلى الآية ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝﴾ [الزمر: 6] وفعل «يخلقكم» الذي جاء في الآية السالفة الذكر يعود للأنعام وللناس معاً.

جاء في تفسير الرازي - (ج26/ ص424). «ثم ذكر عقيب ذكرهما حالة مشتركة بين **الإنسان وبين الأنعام** وهي كونها مخلوقة في بطون أمهاتها، وقوله: ﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: 6] المراد منه ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝﴾ [المؤمنون: 12-14]».

وجاء في تفسير الألوسي (ج23/ ص240): «﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [الزمر: 6] بيان لكيفية خلق من ذكر من **الأناسي والأنعام** إظهاراً لما فيه من عجائب القدرة».

قال: لعله يكون نزعه عرق له، بمعنى لعلّ هذه الصفة انتزعت من أصل له [أي من مادة من مواده خلال تخلقها]. وفي هذه المرحلة الدقيقة أجاب الرجل على سؤاله بطريقة غير مباشرة، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن عرض له الجواب بطريقة مباشرة، وبأسلوب لا يمكن أن ينكر النتائج.

وبهذه المنهجية استطاع رسول الله ﷺ أن يقنع الرجل بأن الولد ولده، وبأنه ينسب إليه، وعلى الرجل أن يزيل شكه في امرأته، وأن العلاقة بين الزوج والزوجة الشريفة مرتبطة بالثقة العالية التي لا يأتيها شك أو ظن من خلال أوهام شكلية لا ترتبط بوقائع الحقيقة.

فالنبي ﷺ أظهر معجزة علمية في حديثه وأشار إليها إشارة صريحة واضحة وهي: أن المورثات المتنحية لا تظهر في الجيل الأول وهو المولود، ولكنها تظهر في الأجيال القادمة.

فالرسول ﷺ في قوله: "وهذا لعله يكون نزعه عرق له" يظهر أن عدم شبه الأب لا يعني أن الولد ليس ابناً لأبيه بل إن المورث المتنحي ظهر وأثر في تركيبة المولود بحيث أظهر شبهاً لأحد من أجداده.

والحديث الثاني «انظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس» [ذكره العجلوني ح71] يفسّر لنا كيف أن الشبه يظهر بعد أجيال.

فعل "دسّ" له عدة معانٍ، منها:

● إخفاء شيء. جاء في لسان العرب[1]: "دسس: الدسّ: إدخال الشيء من تحته... وفي الحديث [استجيدوا الخال فإن العرق دساس] أي دخال لأنه ينزع في خفاء ولطف... (قال) الليث: الدس دسك شيئا تحت شيء وهو الإخفاء ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [النحل: 59]".

● إدخال شيء غريب بين أشياء أخرى. جاء في لسان العرب[2]: "دسس:... وفي التنزيل العزيز: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: 9-10]، يقول: أفلح من جعل نفسه زكية مؤمنة وقد خاب من دسها في أهل الخير وليس منهم... قال ثعلب: سألت ابن الأعرابي عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: 10]، فقال: معناه من دسّ نفسه مع الصالحين وليس هو منهم».

---

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «دسس» - (ج4/ ص345).

(2) لسان العرب لابن منظور - مادة «دسس» - (ج4/ ص345).

فالعروق توجد في الجسم سرًّا، مختبئة فيه، ومن ثمّ تدس صفات في الجنين غير الصفات الظاهرة على والديه. فلو أنّ مفعولها ظاهر - أي لو أنّها من النوع المسيطر - لما كانت العروق تدسّ الصفات خلسة، فهذه الصفات تظهر من **الخفاء** لتأخذ **صفة** غيرها، وهي بالتالي **ليست من الصفات الظاهرة** للعيان في الأبوين القريبين.

وتفصيل ذلك فقهياً:

جاء في لسان العرب[1]: "نزع: نزع الشيء ينزعه نزعاً، فهو منزوع ونزيع، وانتزعه فانتزع: اقتلعه فاقتلع... وأصل النزع الجذب والقلع، ومنه نزع الميت روحه...".

ولذا فإن عبارة "عسى أن يكون نزعه عرق" تعني: عسى أن يكون اقتلعه عرق.

ومن المعروف أن الاقتلاع والجذب هو الأخذ بالقوة. والمنزوع هنا هو صفة السواد المتنحية من الأجداد، غير أن الصفة ليست شيئاً مادياً أو محسوساً، وبالتالي فهي لا تُنزع، وما يُنزع هو المسبب المادي لتلك الصفة بإذن الله، ألا وهو: (المورِّثة GENE). وهكذا فإن معنى عبارة: "وهذا لعله يكون نزعه عرق له" يصبح: عسى أن يكون عرقاً اقتلع وأخذ بالقوة المورثة المسببة لصفة السواد.

وكما فهمنا من الأحاديث النبوية الشريفة السالفة الذكر مثل حديث: "انظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس" [ذكره **العجلوني** ح71]، وحديث: "...ليس منها عرق إلا يسأل الله أن يجعل الشبه له" [أخرجه الحكيم الترمذي ح22]، وحديث: "...ثم أحضر له كل عرق بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار 8]" [أخرجه **الطبراني** ح21]، فإن العروق حسب المفهوم النبوي الشريف هي التي تعطي الصفات للجنين، وبالتالي فهي وعاء المورثات. وإذا أردنا بالتالي اقتلاع البعض منها، فسنأخذها من العروق وليس من مكان آخر، وهكذا فإن معنى الحديث الشريف يكون: عسى أن يكون عرقاً اقتلع وأخذ بالقوة المورثة المسببة للسواد من عرق آخر.

وهذه عبارة عميقة في معناها، غيبية في إخبارها، لفظها الأعرابي غافلاً عما تنطوي عليه من معانٍ علمية دقيقة، محاولاً إيجاد تفسير للظاهرة، وعقلها النبي ﷺ، فأقرّ هذه المعلومات وهو على يقين منها قائلاً: **"وهذا لعله يكون نزعه عرق له"** [أخرجه مسلم ح65].

---

(1) لسان العرب لابن منظور، مادة «نزع» - (ج14/ ص106).

ومن الجدير بالذكر أن إقرار الرسول ﷺ ليس كإقرار عامة الناس لأمورهم الدنيوية الخاصة بهم، لأن إقرار أي خطأ من جانبه يترتب عليه نفي النبوة الشريفة عنه ﷺ. ومن هذا المنطلق فإن إقراره للأمور العلمية يشير إلى أنه يعلم تمام العلم دقائق الأمور.

وهذه العبارة تشير إلى:

- أن العروق تحتوي على المورثات المسببة للصفات البيولوجية.
- أن العروق تتبادل المورثات.
- أن تبادل المورثات ترافقه القوة.

وتفصيل ذلك علمياً:

تنقسم (الخلية الجنسية الأولية PRYMARY SEX CELL) مرتين إلى أن تتخلق وتصبح نطفة، وبالتالي فهي تمر في أطوار، وأهم ما يميز هذه الأطوار عدد ووضعية الصبغيات في الخلية الجنسية.

فهذه الصبغيات تتمدد، وتتضاعف، وتصطف، وتتزاوج، وتنقسم، وتنتقل داخل الخلية.

والانقسام الأول يدعى: (الانقسام الميوزي الأول FIRST MEIOTIC DIVISION)، وفي طوره الأول المعروف: (بالطور التحضيري INTERPHASE) تتمدد الصبغيات وتنتشر داخل نواة الخلية، ومن ثمّ تتضاعف الصبغيات.

وفي الطور الثاني المعروف: (بالطور التمهيدي الأول PROPHASE) تغلظ الصبغيات ويقصر طولها وتنتظم في (أزواج متناظرة HOMOLOGS) وفق ظاهرة تسمى: (سينابزيس SYNAPSIS) حيث إن كل مورثة من الزوج الأول تقابل مورثة من الزوج الثاني[1]، فيظهر كل من الأزواج مكوناً من أربعة كروماتيدات (عروق) مستوية.

ويمسك مزيج من البروتين و(الآر أن آي الرسولي mRNA) بالأزواج معاً[2].

وفي نهاية الطور التمهيدي تبدأ تلك الأزواج المتناظرة بالانفصال، وخلال انفصالها تتكسر بعض أجزاء الكروماتيدات (العروق) المتقابلة[3]. كما أن بعض أجزاء العروق تظل متصلة بعضها ببعض إلى مرحلة متأخرة من الانفصال، بينما تتباعد باقي أجزاء العروق، مما يشير إلى استعمال القوة في عملية الانفصال.

(1) كتاب الوراثة الإنسانية، ريكي لويس، ص 42 بتصرف.
(2) كتاب الوراثة الإنسانية، ريكي لويس، ص 42.
(3) كتاب علم الأجنة الطبي، سادلر، ص 5.

وتتبادل العروق عدداً من المورثات **فيقتلع كل عرق من العرق الآخر مورثات تعطي للنطفة المتخلقة مميزات خاصة بتلك المورثات الجديدة**. (انظر الصورة رقم: 135).

وفي هذه الأثناء ينقسم الجسم المركزي للنطفة المخصبة إلى قسمين يدعى كل منهما: (سنتريول CENTRIOLE)، وتتباعد السنتريولات بحيث يتجه كل واحد منها في اتجاه أحد قطبي الخلية. وينشأ من كل سنتريول مجموعة من الخيوط الشعاعية تمتد عبر سيتوبلازم الخلية وتؤلف ما يسمى بخيوط المغزل، ويتحلل الغشاء النووي.

وفي الطور الثالث المعروف (بالطور الاستوائي METAPHASE) تصطف العروق على خط الاستواء وتظهر مشدودة بخيوط المغزل عند السنتروميرات.

وفي الطور الرابع المعروف (بالطور الانفصالي ANAPHASE)، تنقبض خيوط المغزل نحو قطبي الخلية[1] فتنجذب الكروماتيدات معها بحيث يجتمع عدد متساوٍ من الكروماتيدات عند كل قطب من قطبي الخلية.

وهكذا يتولد من الخلية الجنسية الأم - الخلية الجنسية الأولية - خليتان جنسيتان تدعى: (الخليات الجنسية الثانوية SECONDARY SPERMATOCYTES)، غير أن تلك الخليات ما تلبث أن تنقسم ثانية انقساماً ميتوزياً[2] يسمى: (الانقسام الميوزي الثاني SECOND MEIOTIC DIVISION) فتكون في النهاية أربع نطف[3] تحمل كل واحدة منها عروقاً خاصة بها، بحيث إن **كلاً من تلك العروق التي توجد في تلك النطف يحمل في بعض أجزائه مورثات انتزعها واقتلعها من عروق أخرى**. (انظر الصورة رقم: 135). هذه المورثات تكون منحدرة من الأجداد ولكنها متنحية، فتندس في الجسم كما أشار إليه الحديث الشريف: «... فإن العرق دسّاس» [ذكره الذهبي ح71]، ولا تظهر صفاتها في النسل المباشر، غير أن ترتيبها الجديد في النطفة الجديدة، وطبيعة النطفة النظيرة (أي النطفة التي ستلقحها) تجعل صفاتها تظهر مجدداً لسبب أو لآخر.

وهكذا نفهم أبعاد الحديث الشريف الذي ذكرناه في البحث.

---

(1) كتاب الآيات المعجزات في رحلة الإنجاب، د. حامد أحمد حامد، ص 15.

(2) لمزيد من التفاصيل عن عملية الانقسام الميتوزية الرجاء مراجعة مبحث «**انفلاق النطفة والازدواجية في التركيب**».

(3) هذا في حالة تخلق نطف الرجل، أما في حالة المرأة فإن بويضة واحدة تتخلق فقط عبر عملية انقسام العروق أيضاً.

عملية نزع العروق كما جاء في الحديث : "وهذا لعله يكون نزعه عرق"

صبغيات

صبغيات ذات عرق واحد

صبغيات ذات عروق مزدوجة

خيوط المغزل

A تتعدد الصبغيات وتنتشر داخل نواة الخلية

B تتضاعف الصبغيات

C تتلاقى الصبغيات في أزواج متناظرة كما يبينه الرسم أسفل اليسار

D بعملية التقاطع بين الصبغيات كما يبينه الرسم أدناه

E تصطف الصبغيات على خط الاستواء

F عملية شد ونزع الصبغيات كما يبينه الرسم أدناه

G تصطف الصبغيات على خط الاستواء

H نتيجة نزع المورثات

x2

x2

الانقسام المنوي الثاني

I أربعة نطف تحمل كل واحدة منها عروقاً لوالدها في أجزاء منها مورثات انتزعت من عروق متقابلة

انتقال المورثات (A,B) (a,b) إلى الصبغيات المتقابلة

تبادل المورثات (A,B) (a,b)

عملية التقاطع حيث يتم تبادل المورثات والتفصيل على اليمين

عبور المادة خلال مرحلة التصالب والعبور كما في الصورة والرسم

(135) - صورة مجهرية ألكترونية توضح كيفية الاتصال بين زوجي صبغيات في (مرحلة التصالب والعبور Synapsis) ليتم العبور بين أجزاء المادة الوراثية ويظهر الرسم التوضيحي أدناه نموذجاً ثلاثي الأبعاد لعملية الانتظام في (أزواج متناظرة Homologs).

والحديث الثالث: "اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوّاتنا ما حيينا واجعله الوارث منّا" [أخرجه الترمذي ح66] يتحدث عن سيادة المُورّثات المسيطرة أيضاً. فالرسول ﷺ يسأل المولى ﷻ أن يمتّعه بسمعه وبصره وسائر قوى جسمه إلى حين وفاته، وسائر قوى جسمه هي حواس الشم والملامسة... إلخ إضافة إلى الجهاز المعوي والرتوي والأجهزة الأخرى. والتمتع بتلك الأعضاء يقتضي أن تكون مُورّثات تلك الأجهزة سالمة من العيوب لها صفة القوّة التي تجعلها تديم النظر والسمع ووظائف سائر الأعضاء الأخرى بإذن الله. وليس هذا فحسب، ولكن الرسول ﷺ يطلب من الله تعالى أن يُورّث نسله تلك الصفات بأن قال ﷺ: "واجعله الوارث منّا". والملفت للنظر أن صياغة الحديث جاءت باستعمال اسم الفاعل بدلاً من المفعول به، ولهذه الصياغة دلالتها؛ فنحن نرث الصفات من أجدادنا، ومن المستحيل أن ترثنا تلك الصفات، واستعمال كلمة «الوارث» - على وزن اسم الفاعل - يشير إلى أن تلك الصفات، أو بتعبير أدق، إلى أن مسبّبات تلك الصفات بإذن الله، لها قوّة ذاتية تجعلها تتحكم في الوراثة. وتتسبب بعدم ظهور صفات المُورّثات المتنحية ذات العيوب والضعف في التركيب. وهذا الأسلوب ليس بغريب عن النصوص الشرعية. فلقد مر معنا في مبحث "**الماء والمني**" استعمال اسم الفاعل للدلالة على القوّة الذاتية للماء؛ فالماء الدافق هو الذي يندفع بشدة قوّته كما جاء في الآيات: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: 5-7]، وكما أوضحناه بإسهاب في مبحث "**الماء والمني/تفسير النقطة السادسة: أن هذا الماء ليس متدفقاً فحسب بل دافق**". ومن هنا نفهم أن الحديث الشريف يعني: اللهم متّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوّاتنا ما حيينا، واجعل المُورّثات التي تتسبب بهذه الصفات الوارث منا، أي تمتلك من القوّة التي تمكنها - بعد أن تنحدر في النسل - من أن نحتفظ بالصفات الجيّدة للسمع والبصر، وأن تظهرهما فيما بعد، فتكون هي المتحكمة والمسيطرة على الإرث، فتستحوذ عليه بإذن الله، والله تعالى أعلم.

فسبحان من علّم رجلاً أمياً ﷺ أسرار خلقه، ثم يعلمها العلماء إلا بجهد متواصل بواسطة تقنيات عالية الإمكانيات، بعد قرون من الزمن!.

5 - دور الصبغيات في شبه الجنين لوالديه:

مما يُدعّم مفهوم سيادة الصفات التي تأتي من طرفي التزاوج، حديث رسول الله ﷺ بخصوص الماء: "ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما سبق كان الشبه" [أخرجه النسائي ح67].

ولقد أوضحنا في المبحث السابق «**النطفة**» أن الماء هو النطفة نسبة إلى الحديث: «ما من كل الماء يكون الولد...» [أخرجه مسلم ح17]. يؤيد هذا التفسير الحديث رقم 69؛ فصياغة الحديث الذي رواه جاءت بلفظ «نطفة».

وينص الحديث، أن شبه الجنين يكون لصاحب النطفة التي تسبق.

وفعل «سبق» يعني غلب. جاء في شرح سنن النسائي للسيوطي[1]: «(فأيهما سبق كان الشبه)... وجوّز القرطبي أن يكون بمعنى غلب من قولهم: سابقني فلان فسبقته أي غلبته ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة: 60] أي مغلوبين...».

يؤيد هذا المعنى روايات أخرى جاءت بلفظ «...**سبق أو علا**...» [أخرجه أحمد ح67].

وفعل «علا» في اللغة العربية يعني غلب كما أسلفنا القول في مبحث «**النطفة**» نسبة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 4]، وقول الله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه: 67-68].

فأي نطفة تسبق كان الشبه. وفي بعض الروايات: «...أشبهه الولد...» [أخرجه ابن ماجة ح67] وفي أخرى: «أشبه الولد أخواله... أشبه الولد أعمامه» [أخرجه مسلم ح68]. جاء في شرح سنن النسائي للسندي[2]: «(كان الشبه) أي شبه الولد بالأب أو الأم».

فالحاصل أن هذه النطف تلتقي، وأي مورثات من هذه النطف يغلب يؤدي إلى شبه الجنين لأمه أو لأبيه أو لأخواله أو لأعمامه الذين تنحدر منهم النطفة الغالبة. هذه هي الوراثة التي أشار إليها الرسول الكريم ﷺ في حديث السمع والبصر الذي ذكرناه أعلاه[3].

---

(1) شرح سنن النسائي للسيوطي وحاشية السندي - كتاب الطهارة - باب الفصل بين ماء الرجل وماء المرأة (ج1/ص115).

(2) شرح سنن النسائي للسيوطي وحاشية السندي - كتاب الطهارة - باب الفصل بين ماء الرجل وماء المرأة - (ج1/ص115).

(3) والحديث بتمامه هو كالآتي: (عن قتادة أن أنس بن مالك حدثهم أن أم سليم حدثت أنها سألت نبي الله ﷺ عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل، فقال رسول الله ﷺ: «إذا رأت ذلك المرأة فلتغتسل»، فقالت أم سليم - واستحييتُ من ذلك - قالت: وهل يكون هذا؟، فقال نبي الله ﷺ: «نعم فمن أين يكون الشبه؟ إنَّ ماءَ الرَّجُلِ غليظٌ أبيضُ، وماء المرأةِ رقيقٌ أصفرُ، فمنْ أيهما علا أوْ سبق يكونُ منهُ الشَّبهُ») أخرجه مسلم ح167. =

ومن الجدير بالذكر أن هناك حديثين مشابهين لهذا الحديث، وقد سبق أن شرحناهما في مبحث «**الماء والمني**»، وهما:

● (عن أم سلمة جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غُسل إذا هي احتلمت؟ فقال النبي ﷺ: «إذا رأت الماء»، فغطّت أم سلمة - تعني وجهها - وقالت: أوتحتلم المرأة ؟ فقال: «تربت يمينك فبم يُشبهها ولدُها») [أخرجه البخاري ح14]

● (عن أم سليم ﵂ قالت: إنها مجاورةً أم سلمة - زوج النبي ﷺ -، فكانت تدخل عليها، فدخل النبي ﷺ، فقالت أم سليم: يا رسول الله: أرأيت إذا رأت المرأة أن زوجها يجامعها في المنام أتغتسل؟، فقالت أم سلمة: تربت يداك يا أم سليم فضحت النساء عند رسول الله ﷺ، فقالت أم سليم: إن الله لا يستحيي من الحق وإنا أن نسأل النبي ﷺ عما أشكل علينا خير من أن نكون منه على عمياء. فقال النبي ﷺ لأم سلمة: «بل أنت تربت يداك، نعم يا أم سليم عليها الغُسل إذا وجدت الماء»، فقالت أم سلمة: يا رسول الله: وهل للمرأة ماء؟!، فقال النبي ﷺ: «فأنّى يُشبهها ولدها، هن شقائق الرجال») [أخرجه أحمد ح77].

نقول في هذا المقام: إنه من المهم أن نخوض في تفاصيل تلك الأحاديث الثلاثة السالفة الذكر، فهناك اختلاف بسيط في ألفاظ كل منها يترتب عليه تفسير يتلاءم مع اللفظ المنقول، كما أن هناك زيادات مختلفة في كل من تلك الأحاديث تضيف عليها دلالات جديدة لا يجب أن نغفل عنها.

تلك الأحاديث تتكلم عن نفس الحادثة لأنها حادثة عين. فالسائل في كل من تلك الأحاديث شخص واحد - أم سليم ﵂ -، والكلام يدور عن نفس الموضوع. واحتمال أن تتكرر تلك الحادثة قليل لأن من شمائل الرسول ﷺ أن يجيب السائل بأجوبة شافية حتى تتضح للسائل بالكلية. هذا إن لم يعط ﷺ إيضاحات إضافية تزيد عن حاجة السائل لكي يحيط ﷺ بجميع جوانب الموضوع المطروح، حيث إنه مأمور من الله تعالى بأن يتم علينا ديننا - دين الإسلام - كما أشار إليه المولى ﷻ في محكم آياته: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: 3].

وقد يفسّر الحديثان - رقم 14 و77 - على نحو الذي أشرنا إليه في مبحث «**الماء والمني**» وهو أن الولد يشبه أمه بأنها تفرز ماء - أي منياً - كما يفرز هو ماء، وذلك لأن النساء شقائق الرجال - أي نظائرهم -، وهذا وجه وجيه لوجود قرائن عديدة تقوي هذا التفسير منها أحاديث أخرى كالحديث الذي رواه عبد الرزاق الصنعاني والحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث خولة بنت حكيم حيث جاء المعنى في تلك الأحاديث صريحاً وجلياً بأنه يشير إلى تلك الظاهرة، ولاتفاق جمهور العلماء المسلمين أن على المرأة غسلاً إذا هي احتلمت، ولاتفاق التفسير مع قواعد اللغة العربية، ومع السياق العام للحديثين الذي يدور حول الاحتلام.

بيد أن هناك تفسيراً للشبه الوارد في الحديثين رقم 14و77 مختلفاً عن الذي أشرنا إليه، أو أن مفهوم الشبه الذي تكلم عنهما الحديثان ناقص إذا ما اعتبرنا الزيادة التي جاءت في الحديث رقم 67، والتي تنص على أن شبه الولد لأمه يكون من جراء غلبة صفات أحد الماءين - ماء الرجل وماء المرأة - =

= اللذين يخلق منهما الولد على الآخر. وذلك لأن كلاً من الحديثين - رقم 77 و14 - ظني الدلالة في موضوع الشبه. حيث إن هناك أكثر من احتمال لتفسير الشبه الوارد في الحديثين لقول رسول الله ﷺ: "بعثت بجوامع الكلم" أخرجه البخاري ج13]. فكلامه ﷺ "فأنى يشبهها ولدها" قد يؤخذ على هذا النحو: فبأي شيء يشبهها ولدها، وبالتالي فقد يرمز إلى أن الولد يشبه الأم بأنه ينزل ماء كما تنزل هي ماء، أي أن الولد يشبه أمه في الوظائف الجسدية من إفراز ماء أو نحوه. أو قد يؤخذ كلامه ﷺ على هذا النحو: فكيف يشبهها ولدها، وبالتالي فقد يرمز إلى أن جسم ووجه الولد يشبه الأم من جزء مائها الذي تخلق منه، أي أن وجه الشبه بينهما هو في الصفات المورفولوجية. وقد فسّر العلماء المسلمون هذا الشبه في كتب التفسير في أكثر من وجه، ومن أحب الخوض في التفاصيل فليرجع إلى كتب تفسير الحديث. أما النسبة الذي نكلم عنه الحديث رقم 67 فدلالته صريحة وهي الدلالة الثانية - التي أشرنا إليها سابقاً في هذا النص - بلا شك.

وهنا يبرز الاختلاف في - وبين - مختلف الأحاديث، وهي على النحو التالي:

1 - لماذا تكلم الرسول ﷺ عن الماء الذي يتخلق منه الولد - أي عن ماء التمصص - في حين كان السؤال عن المني؟

2 - لماذا هناك دلالات مختلفة في - وبين - الأحاديث عن أوجه الشبه بين الولد وأمه؟

3 - لماذا تكلم الرسول ﷺ عن الشبه المورفولوجي بين الأم والولد في حين كان السؤال في الحديث الذي رواه أنس بن مالك عن الاحتلام؟ (مما يقتضي الكلام عن الشبه الوظائفي في الحديث وليس عن الشبه المورفولوجي).

4 - لماذا الاختلاف بين ألفاظ الأحاديث والزيادات المختلفة في كل من الأحاديث؟

5 - لماذا تكلم الرسول ﷺ في الحديثين رقم 14 و77 أن الماء يخرج من المرأة في حين أن الماء الذي تتخلق منه الولد في الحديث الذي رواه أنس بن مالك لا يخرج من جسد المرأة؟

لماذا هذا الاختلاف والتعارض البيّن والظاهر بين الأحاديث؟ وأي الدلالات أرجح؟.

عن تلك الأسئلة تتضح إذا ما اعتبرنا التالي.

1 - أن الأحاديث رويت بأسانيد مختلفة (أي بواسطة رواة مختلفين، راجع مبحث «الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والأسس التي يرتكز عليها»). فتارة نجد أن الذي رواه أنس بن مالك، وتارة السيدة زينب بنت أم سلمة، وتارة عبد الله بن طلحة الأنصاري، وتارة خولة بنت حكيم - رضي الله عنهم أجمعين - ، مما يشير إلى أن كلا من الرواة حفظ أجزاء متفرقة من الحوار الذي جرى بين أم سليم وأم سلمة ﵄ وبين الرسول ﷺ. وإذا عملنا على التأليف بين تلك الأحاديث - وهذا ما يترجح فعله عندنا لأن أسانيد الأحاديث رقم 14، 67، و77 صحيحة، بدلاً من الترجيح بينها - فهمنا أن هناك حواراً طويلاً جرى على الألسنة تضمّن كل الكلام الذي جاء في الأحاديث الثلاثة (أي تضمن كل المعاني التي جاءت في الأحاديث، وليس بالضرورة الألفاظ كما جاءت على ألسنة المعنيين. حيث إن كل راوٍ قد يروي الحديث بألفاظه الخاصة كما فهم الحديث، أو كما جاءت تماماً على لسان رسول الله ﷺ. وذلك لاختلاف مقدرة ضبط الألفاظ بين رجال السند)، هذا إن لم يكن سقطت أجزاء قصيرة من الحوار تربط تلك المعاني بعضها ببعض. =

ولكي نعطي القارئ فكرة تفصيلية عما قد يكون جرى في الحوار حتى تتوضح له الصورة، نعطي مثالاً عما قد يكون جرى عليه الحوار (بعد إزالة التفاصيل التي ليس لنا بها حاجة في هذا المقام) وذلك على سبيل المثال ولا الحصر ، وكما نستقرئه من مجموع الأحاديث الشريفة، وليس تطفلا على الرسول ﷺ، ونعوذ بالله من ذلك، ولكن من أجل البحث الموضوعي:

أم سليم: هل على المرأة غسل إذا هي احتلمت؟.

الرسول ﷺ: نعم إذا رأت كذلك.

أم سلمة: وهل المرأة تحتلم؟.

الرسول ﷺ: نعم إذا رأت الماء.

أم سلمة: وهل لها ماء؟

الرسول ﷺ: نعم لها ماء، وليس عليها غسل حتى تنزل كما ينزل الرجل.

أم سلمة: وهل تنزل المرأة كما ينزل الرجل؟.

الرسول ﷺ: نعم، فأنى يشبهها ولدها؟ هن شقائق الرجال.

أم سلمة: وكيف هن شقائق الرجال؟.

الرسول ﷺ: ماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة رقيق أصفر، فمن أيهما سبق يكون منه الشبه

ومن هذا المنطلق نفهم من أين جاء الاختلاف بين ألفاظ الأحاديث.

وقد يكون الحوار جرى على نحو غير ذلك، وتعمد الرسول ﷺ الإيجاز لأسباب سنتحدث عنها فيما بعد، فجاء جواب الرسول ﷺ على هذا النحو: فبم يشبهها ولدها، هن شقائق الرجال، ماء الرجل غليظ أبيض . .

وأما التعارض بين - وعي - الأحاديث فيزول إذا ما تحاكمنا إلى قواعد اللغة العربية المعلومة حتماً للرسول ﷺ للنص القرآني: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النجم: 3-4]، فتلك القواعد تتيح لنا فهم النصوص على شكل سليم ومنضبط، وفهم الذي أشكل علينا من الألفاظ والدلالات، كما أنها تتيح لنا فهم الحكمة من وراء استعمال الرسول ﷺ لمختلف أساليب اللغة العربية حتى يوصل للسائل - ولسائر الأمة - المعلومات والتفاصيل المرادة.

فإذا أخذنا بألفاظ مجموع الأحاديث وهذا هو الراجح عندنا - تبين لنا أن الرسول ﷺ أشار بكلمة «الماء» في جوابه الأول - «إذا رأت الماء» - إلى السوائل لدى المرأة على الوجه العام، وبما تنطوي عليه من مني على وجه الخصوص، ومن ثم عمد إلى التكلم عن الماء الذي يتخلق منه الولد باستعماله نفس الكلمة - ماء - في قوله ﷺ: «ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر». ومن خلال الربط بين الاحتلام وخروج المني من المرأة في نفس الحوار، قد يكون أشار الرسول ﷺ إلى أن هناك احتمالاً أن تحتلم المرأة وأن يخرج منيها من المهبل وقت خروج الماء الذي يتخلق منه الجنين من المبيض - أي الماء الحويصلي . وبذلك يكون قد أشار إلى الحالة التي تكون عليها المرأة عند خروج ماء المبيض، وهي أنها تكون في ذلك الوقت على درجة أعلى من الاستثارة الجنسية من الحالة التي تسود في غير أوقات الإباضة، وذلك لأن هرمون الإباضة يكون في أعلى درجاته مما

=يساعد على استثارتها، فينعكس ذلك على عقلها وجسدها خلال النوم، فتحتلم، ويخرج منها المني، وترى في المنام ما يرى الرجل. يقول الدكتور لارس هامبرغر في كتابه «ولد طفل»، ص41: «كثير من النساء يشعرن زيادة في الشهوة الجنسية عند وقت الإباضة. فقد يعود ذلك (للحالة الدورية للشهوة الجنسية (ESTROUS PERIOD) أو (لفترة التناكح الحيواني (MATING PERIOD)».

وبهذا الأسلوب يكون الرسول ﷺ قد أضاف معلومات هامة عن الماء الذي يتخلق منه الجنين، دون أن يتخلّى عن التشريع وسن السنن في حال احتلام المرأة، وصرف النظر إلى ما هو أهم من موضوع الاحتلام، إلى الماء الذي يتخلق منه الجنين وخصائصه، لأن منه يتخلّق الخلق، ومنه يخرج الكائن الحي، ووجه الأنظار إلى موضوع لم يسأل عنه الصحابة، وإلى وجه الشبه بين المرأة وولدها الذي هو أهم من وجه الشبه في الاحتلام وأجدر أن نعتبره، وهو موضوع سبب شبه الجنين لوالديه في صفاته المورفولوجية والجينية، وينص على أن الرجل يشارك في تخلق الجنين كما تشارك فيه المرأة، حيث إن العرب كانت تعتقد أن المرأة وحدها هي المسؤولة عن تخلق الجنين، وفي حال أنجبت أنثى يترتب على ذلك هجر الأزواج أزواجهن مع أنه يجب أن نعتبرها مساوية للرجل من الناحية الإنسانية والحقوقية كما يشير إليه لفظ «شقائق» الذي ورد في الحديث رقم 77، كما أنه يصرف الأنظار إلى موضوع مطلوب بيانه في المستقبل كإظهار إعجاز علمي سيتضح مع مرور الوقت كما أشار إليه المولى جل في قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53]. فضلاً عن أنه ﷺ يكون بهذا الأسلوب - أي أسلوب الاختصار - قد بسط الأمور على السائل الذي لا يعلم أي شيء في مجال «علم الأرحام» وفي مجال الإفرازات المهبلية والرحمية، وذلك من خلال الاختصار في الخوض في التفاصيل عند عدم الحاجة إليها، كذلك استعمال هذا الأسلوب يتيح للرسول ﷺ أن يذكر السبب الذي ينطوي تحته خروج المني، ويصرف الأنظار إلى الشيء المهم الذي يجب أن نتفكر فيه، وهذا أسلوب رائع، متقن، معروف في اللغة العربية بالأسلوب الحكيم، وتعريفه: «هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيهاً على أنه الأولى بحاله أو المهم له». («بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح»، ج1/ص 160)، وانظر («المطول»، ص294).

والقول بأن الرسول ﷺ لم يعلم بهذا الأسلوب مرفوض لأنه جاء في الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 215]. جاء في تفسير الكشاف، (ج1/ص 356): «وبني الكلام على ما هو أهم، وهو بيان المصرف لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها». وانظر البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (ج4/ص 42) وما بعدها حيث قال: «والأصل في الجواب أن يكون مطابقاً للسؤال إذا كان السؤال متوجهاً. وقد يعدل عما يقتضيه السؤال تنبيهاً على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك». وانظر («الأطول»، ج1/ص 423، فما بعدها)، و(«عروس الأفراح»، ج1/ص385).

والدليل من السنة الحديث: «عن ابن عمر عن النبي ﷺ وعن الزهري عن سالم عن ابن عمر عن=

=النبي ﷺ أن رجلاً سألهُ ما يلبسُ المُحرمُ فقال: لا يلبسُ القميصَ ولا العمامةَ ولا السراويلَ ولا البُرنسَ ولا ثوبًا مسَّهُ الورسُ أو الزعفرانُ وإن لم يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين» أخرجه البخاري ج115]. جاء في فتح الباري بشرح صحيح البخاري، في تفسير الحديث 1542: «وقال البيضاوي: سئل عما يلبس فأجاب بما لا يلبس ليدل بالالتزام من طريق المفهوم على ما يجوز، وإنما عدل عن الجواب لأنه أخصر وأحصر، وفيه إشارة إلى أن حق السؤال أن يكون عما لا يلبس لأنه الحكم العارض في الإحرام المحتاج لبيانه، إذ الجواز ثابت بالأصل معلوم بالاستصحاب فكان الأليق السؤال عما لا يلبس. وقال غيره: هذا يشبه أسلوب الحكيم. ويقرب منه قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ﴾ الآية، فعدل عن جنس المنفق وهو المسؤول عنه إلى ذكر المنفق عليه لأنه أهم».

وأما البينة على من يدعي أن الرسول ﷺ خلط بين الماءين - الماء الدافق الذي يتخلق منه الجنين وماء المهبل (أي المني) -، ولا يعلم من أين يأتي كلاً منهما ووظائفهما، فهي كالآتي:

1 - إن الرسول ﷺ يعلم تمام العلم أن هناك فرقاً بين الماءين، والدليل على ذلك أن الرسول ﷺ فرق بين الماءين من خلال التفريق بين تسمية الماءين في حديثه: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منيّ الرجل منيّ المرأة أذكرا بإذن الله وإذا علا منيّ المرأة منيّ الرجل آنثا بإذن الله» [أخرجه مسلم ج1]، كما أنه يعلم أن الذي يخرج ابتداء في المهبل عند استثارة المرأة هو منيها لأنه يلتقي بمني الرجل خلال الجماع كما يفيده الحديث، وأن الذي يخرج بعد ذلك (أو يلتقي بعد ذلك بالحيوان المنوي) هو ماء المرأة الذي يتخلق منه الجنين.

2 - إن الرسول ﷺ يعلم تماماً أن ماء المبيض الذي يتخلق منه الجنين لا يخرج ابتداء من الرحم عند الاحتلام وذلك لأن الحديث: «إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكاً...» [رواه الطبري ج132] يفيد أن هذا الماء يمكث في البطن خارج الرحم فترة من الوقت قبل أن يدخل الرحم (كما تشير إليه كلمة «إذا» التي تفيد الاستقبال - لسان العرب لابن منظور - مادة «إذا» - ج1/ص301 -)، على عكس المني الذي يخرج ابتداء عند الاحتلام من المهبل كما يفيده الحديث رقم 14 و77. كما أن هذا الحديث يشير إلى أن الماء الذي يتخلق منه الجنين يخرج من مكان بعيد من المهبل، من مكان يقع خارج الرحم، وبالتالي فمن المستبعد أن يخرج «ماء التخلق» من رحم المرأة عند الاحتلام.

3 - إن معنى السلالة الذي جاء في الآية: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: 8] يشير إلى أن الحيوان المنوي يقطع مسافة لكي يلتقي بماء المرأة، وهذا يفيد أن الماء يخرج من مكان بعيد عن مخرج الرحم - المهبل -.

4 - إن الرسول ﷺ يعلم أن هناك سائلاً يخرج فور احتلام المرأة من مهبلها كما يقتضيه الحديثان رقم 14 و77.

وبالتالي فإننا نقول: إن الرسول ﷺ تعمّد صياغة الأحاديث على النحو التي جاءت به، للحكمة التي أشرنا إليها سابقاً في هذا البحث.

ويشهد لمفهوم سيادة الصفات الحديث: «تخيّروا لنطفكم، وأنكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم» [أخرجه ابن ماجه ح71]، فهو يشير إلى أن يتزوج المرء من الأكفاء حتى يحدر منهم الصفات المحمودة، فيكون النسل ذا كفاءة.

ولقد ذكر مفهوم شبه الولد لأي من أبويه عن طريق غلبة الصفات في حديث آخر ولكن بصياغة مختلفة. هذا الحديث هو: «إذا كان حينُ الولد، اضطربت العروق كلها، ليس منها عرق إلا يسأل الله أن يجعل الشبه له» [أخرجه الحكيم الترمذي ح22].

يعتبر هذا الحديث تفصيلاً للحديث الذي ذكرناه آنفاً لما يحتوي من الدقة العلمية.

كما تحدثنا في مبحث: **«اضطراب عروق النطفة»** تضطرب وتتحرك عروق الحيوان المنوي وعروق البويضة داخل نطفة الأمشاج (أي البويضة التي أصبحت نطفة الأمشاج بعد اختلاط النطفتين) مهيئة نفسها لنتائج سيادة الصفات.

هذا التهيؤ والتحرك ما هو إلا سؤال العروق لله عز وجلّ أن يجعل الشبه لها.

وذلك لأن المورثات الموجودة في عروق النطفة الذكرية والنطفة الأنثوية سوف تظهر خصائصها حسب التركيبة الجديدة للنطفة - نطفة الأمشاج -، فلو التقت مورثة متنحية مع مورثة مسيطرة لم تظهر خصائص تلك المورثة، ولذلك تتمنى المورثات أن لا تلتقي بمورثات أخرى أقوى منها.

وهذه ملاحظة علمية دقيقة جداً للحديث الشريف في المجال الغيبي.

قد يتساءل القارئ:

هل للعروق - وهي أشياء غير حيّة لعدم وجود الروح فيها - المقدرة على سؤال الله عزّ وجلّ أن يجعل الشبه لها؟.

والجواب: نعم، وإن لم نعِ هذا التخاطب، ذلك لأن الله ﷻ قال في محكم آياته: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:44]. فالعروق تسبحُ الله تعالى وتخاطبه وتدعو المولى ﷻ كما يدعو العبد ربّه ولكن لا نفقه هذا الدعاء، أي لا نستطيع التعرف على كيفية هذا الدعاء.

إلى ذلك يشير الحديث الشريف أيضاً إلى أن كل العروق سواء كانت من الرجل أو المرأة تشارك في عملية تخلق صفات الجنين مصداقاً لقول الرسول ﷺ: «ليس منها عرق إلا يسأل...»: فالعروق التي توجد في النطفة الذكرية والنطفة الأنثوية تجتمع تحت سقف واحد وهو سقف نطفة الأمشاج، ويوجد على كل عرق

من تلك العروق (سواء كان آتياً من النطفة الذكرية أو النطفة الأنثوية) مورثات وظيفة كل واحدة منهن إعطاء صفة محددة للجنين. وتبعاً لسيطرة تلك المورثات تظهر خصائص بعض المورثات وتتنحى خصائص البعض الآخر وتتحدد صفات الجنين.

فكل المورثات وبالتالي كل العروق تشارك في سؤال الله أن يجعل الشبه لها.

إذا قابلنا كلا الحديثين: حديث رقم 69 وحديث رقم22، استنتجنا: أن الصراع لغلبة الصفات يحصل على مستوى النطف والعروق، وهذا الصراع يقع "إذا كان حينُ الولد»، أي عندما يحين خلق الولد وهذا حاصل كما رأينا في مبحث «**نطفة الأمشاج**" عند اختلاط النطف، وبالتالي هذا يعني:

- أن النطف تحتوي على العروق.

- أن العروق التي تحتويها تلك النطف هي المسؤولة عن تمرير الصفات للجنين وليس سواها.

6 طفرات الصبغيات وآثارها على الجسد

● عن ابن عباس ﵄ أن النبي ﷺ كان يعلمهم من الحمى ومن الأوجاع كلها أن يقول: «بسم الله الكبير، أعوذ بالله العظيم، من شرّ كلِّ عرق نعّار، ومن شر حر النار». [أخرجه الترمذي ح70].

● روي عن حجّاج بن فرافصة، أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مريض يقول: سبحان الملك القدوس الرحمن الملك الديّان، لا اله إلا أنت مُسكّنُ العروق الضاربة، ومنيّم العيون الساهرة، إلا شفاه الله تعالى» [رواه ابن أبي الدنيا ح192].

يستعيذ الرسول ﷺ في هذا الحديث بالله العظيم من شرّ العرق النعّار وذلك في حال الأوجاع.

نفهم من هذا القول أن العرق النعار يتسبب بالأوجاع.

العرق كما أسلفنا القول هو الصبغيات في المصطلح النبوي الشريف.

أما كلمة "نعار» فهي على عدّة معانٍ، منها:

- الفور والشدة. جاء في لسان العرب[1]: «ونعر الجرح بالدم ينعر إذا فار». «والنعرة من النوء اذا اشتد به هبوب الريح».

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «نعر» (ج14/ ص200 - 201).

- الأذى. جاء في لسان العرب[1]: «ونعر الفرس والحمار ينعر نعراً، فهو نعر دخلت النعرة في أنفه». «وقال الأحمر: النعرة ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها».

- المخالفة. جاء في لسان العرب[2]: «والنعار أيضاً: العاصي». «ونعر الرجل: خالف وأبى».

- إحداث الفتن. جاء في لسان العرب[3]: «رجل نعار في الفتن: خراج فيها سعاء». «وقال الأصمعي في حديث ذكره: ما كانت فتنة إلا نعر فيها فلان أي نهض فيها».

إذن فالعرق النعار قد يعني الصبغيات الفوارة بشدة أي الصبغيات التي تتكاثر محتوياتها حتى تفور عن حدها المعتاد، و قد يعني الصبغيات التي تسبب الأذى للجسم، وقد يعني الصبغيات الشاذة عن طبيعتها المخالفة لها، وقد يعني الصبغيات التي تحدث الفتن في الجسد أي الخلل.

تتحكم الصبغيات كما أوضحناه آنفاً في نشاط خلايا الجسم، فهي بمثابة مخزن ومصدر معلومات (لحمض النواة النووي الريبوزي الرسولي m RNA) الذي يقوم بصنع البروتينات والإنزيمات الذي يحتاجها الجسم.

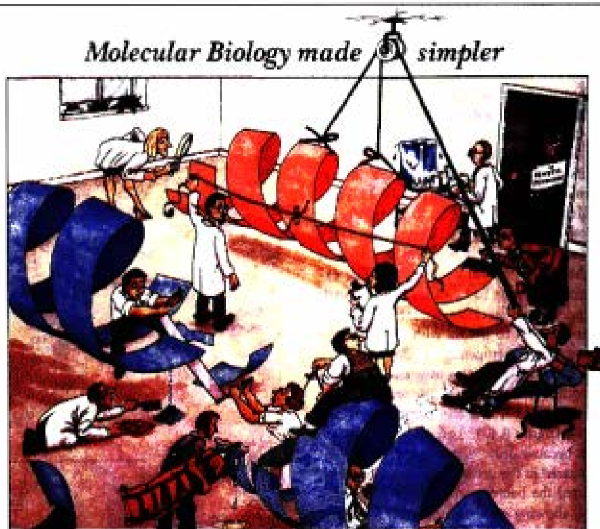
وهذا يعني أن سلامة الصبغيات هي سلامة للجسم، وأي خلل فيها سوف يؤدي إلى أذى وأوجاع في الجسد.

فالحاصل أن الصبغيات تحتوي على مادة الدي أن أي.

مثل كل المركبات البيولوجية فإن مادة الدي أن أي تكون عرضة للتلف تأثراً بحرارة الجسم والبيئة المائية داخل الخلية. فعلى سبيل المثال: يقدر العلماء أن خمسة آلاف قاعدة بيورينية (أدنين - جوانين) تتلف يومياً من محتوى الدي أن أي بالخلية البشرية. غير أن هناك إنزيمات تسمى: (إنزيمات الإصلاح DNA REPAIR ENZYMES) تصلح عيوب مادة الدي أن أي وبذلك يزول تأثير غالبية التغيرات. (انظر الصورة رقم: 136).

---

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «نعر» - (ج14/ ص200 - 201).
(2) لسان العرب لابن منظور - مادة «نعر» - (ج14/ ص200 - 201).
(3) لسان العرب لابن منظور - مادة «نعر» - (ج14/ ص200 - 201).



(136) - رسم يمثل العمليات التي تجريها إنزيمات الإصلاح لكي تصلح العيوب التي تلحق بحلزون الدي أن أي حيث إن الأشخاص الذين يعملون يمثلون إنزيمات الإصلاح.

وعندما يحدث تغيير في جزيء الدي أن أي ولا يتم إصلاحه يتم وراثة الخلل الناتج عند نسخ هذا الجزيء وانتقاله إلى خلايا جديدة وتسمى حينئذ: طفرة جينية. ويبلغ عدد (الأمراض التي تنشأ عن الطفرات الجينية الفردية SINGLE GENE DEFECT DISEASES) 4500 مرض.

فالعرق النعار هو الصبغيات التي تحمل طفرات جينية وهي بذلك صبغيات **خالفت** وشذت عن طبيعتها السليمة لتولد خللاً أي فتنة في نظام الجسد. وبالتالي تسبب **الأذى** والأوجاع التي تكلم عنها الرسول الكريم ﷺ.

من الأمثلة على الأذى الذي يتولد من الطفرة الجينية وبالتالي من الخلل الصبغي أي من العرق النعار: طفرات بروتين الهيموغلوبين.

الهيموغلوبين بروتين يقوم بنقل الأوكسيجين من الرئتين ويوصله إلى خلايا الجسم لتمده بالطاقة اللازمة.

من الطفرات:

- **هيموغلوبين** (HB-SS): الذي ينتج عن استبدال الحمض الأميني الجلوتاميك في الموضع 6 B بحمض الفالين مما يغير من طبيعة الهيموغلوبين فيترسب بالشيفرات الدموية ويسبب تحلل الكريات الدموية «**الآنيميا المنجلية**».

- **هيموغلوبين هامر سميث** (HB - HS): ينشأ عن استبدال حمض الفنيل الآنين في الموضع 42 B بحمض السرين فيصبح الهيموغلوبين غير مستقر.

- **الثاليثميا**: يوجه الصبغي (11) تسلسل الأحماض الأمينية في السلسلة بيتا، بينما يوجه الصبغي (16) تسلسل الأحماض الأمينية في السلسلة ألفا، وعندما يفشل توجيه الصبغي (11) يصبح الهيموغلوبين مكوناً فقط من سلسلة ألفا ولا يتمشى مع الحياة (فيموت الجنين HYDROPS FETALIS)، وعندما يفشل توجيه الصبغي (16) يتوقف إنتاج السلسلة ألفا ويصبح المريض عرضة لتحلل كريات الدم الحمراء.

من خلال تلك الأمثلة نرى أن **مخالفة** الحمض الأميني لمواقعه يؤدي إلى **أذى وأوجاع**.

إلى ذلك فإن المورّثات تقوم بحماية الجسم من السرطان. فهناك مجموعة من المورّثات تتحكم في النمو المنتظم المبرمج للخلية بما يتماشى مع طبيعة عملها وتسمى: (برو أونكوجان PRO - ONCOGENE) وتحت ظروف خاصة تفقد هذه المورّثات القدرة على ضبط نمو الخلية ويصبح النمو عشوائياً محدثاً **الفتن في الجسد** وممهداً الطريق إلى إحداث السرطان، وعندئذ تصبح مورّثات مكونة للسرطان تسمى: (أونكوجان ONCOGENE) فيصبح الصبغي الذي يحمل تلك المورّثات مُولّداً للأوجاع أي **عرق نعار**. فمثلاً ينتقل المورّث CABI من موضعه بالذراع الطويلة للصبغي 9 إلى موضع آخر بالذراع الطويل للصبغي 22 **فيخالف** طبيعة الجسم ويعرض الشخص للإصابة **بالأذى** (سرطان الدم النخاعي المزمن).

ومن الأمثلة **أيضاً**: يتكثف المورّث N- MYC بدرجة عالية أي **يفور بشدة** تصل إلى 200 ضعف مما يسبب ورم الجذيع العصبي[1].

وهكذا يتبيّن لنا لماذا استعاذ الرسول ﷺ من شر العرق النعّار.

(1) كتاب رحلة الإيمان في جسم الإنسان، د. حامد أحمد حامد، ص 43 إلى 59، بتصرف.

نود الإشارة إلى أن بعض الأمراض مثل: (الالتهابات INFECTIONS) (حيث تحدث طفرات جينية بسبب الفيروسات) وبعض حالات السرطانات مثل: سرطان الدم (اللوكيميا LEUKEMIA)، و(أمراض الغدد اللمفاوية LYMPHOMA) يرافقها ارتفاع في حرارة الجسم أي الحمى التي ذكرها الرسول ﷺ.

وفي النهاية نود التعليق على الحديث السابق، ونرد على ما يثار عليه من شبهات أن هذا الحديث يعالج قضية العروق التي يجري فيها الدم، فإذا قصدنا هذا المعنى، فإن هذا المعنى يتعارض مع العلم الذي أوحي إلى رسول الله ﷺ والعلم الكوني، حيث إنهما يتلاءمان دون أدنى تعارض، فلا يُعقل أن يُرجع رسول الله ﷺ الأمراض كلّها إلى العروق التي يجري فيها الدم، فالأمراض التي لها علاقة بالعروق التي يجري فيها الدم قليلة جداً، أما إذا أعدنا معنى العروق إلى الصبغيات، فيصبح المعنى يتلاءم مع العلم أكثر.

وبعضد تفسيرنا الحديث: «ما من مريض يقول: سبحان الملك القدوس الرحمن الملك الديّان، لا إله إلا أنت مُسكِّنُ العروق الضَّاربة، ومنيِّم العيون الساهرة إلا شفاه الله تعالى» [رواه ابن أبي الدنيا ح92]. فهو يتحدث عن العروق التي تضرب وتؤذي الجسم من خلال نشاطها المختل. فكلمة «مُسكِّنُ» تشير إلى أن العروق في نشاط ديناميكي، ولولا أن يُسكِّن الله ﷻ نشاطها بحيث أن يمنع فورانها على غير ما جرت عليه العادة، أي أن يمنع (طفراتها MUTATIONS)، لأحدثت أمراضاً عديدة. فلفظ: «ما من مريض» على إطلاقه، وهو يعني بالتالي أي مرض، وهذا يتوافق مع صياغة الحديث الأول: «كان يُعلِّمهم من الحمى ومن الأوجاع كلها» [أخرجه الترمذي ح70]. والعلم أثبت أن العروق في حركة ديناميكية مستمرة كما أثبت طفراتها. ولقد تحدثنا عن طفرات العروق فيما سبق، وأما عن نشاطها الديناميكي، فنورد ما جاء في كتاب: «الآيات العجاب في رحلة الإنجاب»، فهو يعطينا فكرة واضحة عن حركة الصبغيات: «والحلزون الذي نتحدث عنه (أي حلزون الدي أن آي) ليس ساكناً، بل هو في حالة ديناميكية مستمرة تتوالى فيها عمليات التفكك والتكثيف تمشياً مع حالة الخلية من استقرار أو انقسام، وحسب المتطلبات البيولوجية مثل: استنساخ (الآر أن آي RNA) لاصطناع بروتينات الجسم الحيوية، حتى إن عدد مرات الالتواء والطي والتفكك وغيرها من الحركات يقدر بمليون حركة في الثانية...!»[1].

(1) كتاب الآيات العجاب في رحلة الإنجاب، د. حامد أحمد حامد، ص 25.

لقد بيّنت لنا الأحاديث الشريفة سالفة الذكر دور الصبغيات في توارث الصفات من الآباء إلى الأبناء، كما أنها بيّنت لنا دور الصبغيات في تخلق الجنين. أما هذا الحديث فهو يمتاز عن الأحاديث الأخرى بأنه يسلط الضوء على دور آخر للصبغيات وهو تسبب الصبغيات في إحداث الأمراض عبر طفراتها.

7 - السبب الوراثي لتنوع خلق الحيوانات:

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: 45].

نفهم من ظاهر الآية الكريمة أن كل دابة - أي كل ما يدب على الأرض - خُلقت من ماء.

هذا الماء ليس هو «الماء» الذي نشربه ونسقي به الزرع...، والدليل على ذلك: أنه نُكِر، أي جاء في صيغة النكرة، ولم يُعرّف بأل التعريف.

فلو عُرّف بأل التي هي للجنس، لأصبح من ألفاظ الأجناس التي تدل على الماهية[1].

جاء في تفسير الألوسي: «...وتنكير الماء هنا وتعريفه في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: 30] لأن القصد هنا إلى معنى الإفراد شخصاً أو نوعاً والقصد هناك إلى معنى الجنس...»[2].

وبالتالي فإن الآية تشير إلى ماء معين.

وبما أن السياق القرآني يتكلم عن الدواب، فإن هذا الماء مخصوص بتلك الدواب، بل مخصوص بكل دابة ذكرت في الآية.

جاء في البحر المحيط: «... ونكر الماء هنا وعرف في: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: 30] لأن المعنى هنا: ﴿خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ [النور: 45] من نوع من الماء مختص بهذه الدابة»[3].

(1) أصول الفقه الإسلامي، د. إبراهيم السلقيني، تقسيم اللفظ باعتبار ظهور الدلالة على معناه وخفائها، ص 280.

(2) تفسير الألوسي - (ج18/ ص192).

(3) البحر المحيط - (ج6/ ص465).

قال السيوطي: «قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: 45] أي كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع الماء وكل فرد من أفراد الدواب من فرد من أفراد النطف»[1].

وكلمة «من» هنا - كما يذكر المفسرون - جاءت لابتداء الغاية، جاء في البحر المحيط: «و(من) لابتداء الغاية، أي ابتدأ خلقها من الماء...»[2]، وبالتالي فإن معنى الآية يصبح: والله ابتدأ خلق كل دابة من ماء مخصوص بها.

فإذا كان الكلام عن ابتداء الخلق وعن تخصيصه لكل دابة، فهمنا أن هذا الماء هو الماء الذي تتخلق منه أجنة الحيوانات.

وبالتالي فإن الماء المعني هو الجزء من الماء الذي يسبب التخلق، وفقاً لما قال الرسول ﷺ: «ما من كل الماء يكون الولد» [أخرجه مسلم ح17]: أي من النطفة.

جاء في أوضح التفاسير: «﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: 45]: أي من نطفة؛ وذلك لأنها سائلة، وأغلبها ماء»[3].

جاء في تفسير البيضاوي: «﴿مِّن مَّآءٍ﴾ هو جزء مادته، أو ماء مخصوص هو النطفة»[4].

ومن هنا نفهم أن الآية تعني: والله ابتدأ خلق كل دابة من نطفة خاصة بها.

ومن ثَمّ تكلمت الآية عن أنواع الدواب: فمنها من يمشي على بطنه، ومنها من يمشي على رجلين، ومنها من يمشي على أربع.

جاء في تفسير النسفي: «﴿مِّن مَّآءٍ﴾ أي من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو من ماء مخصوص وهو النطفة، ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوامّ ومنها بهائم ومنها أناسي»[5].

---

(1) الإتقان - (ج1/ ص556).

(2) البحر المحيط - (ج6/ ص465).

(3) أوضح التفاسير، تفسير آية 45 من سورة النور.

(4) تفسير البيضاوي - (ج4/ ص195)، وجاء في تفسير الطبري - (ج18/ ص119): «وقوله: ﴿خلق كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: 45] يعني: من نطفة»، وجاء في تفسير القرطبي - (ج12/ ص291): «وقال المفسرون: ﴿مِّن مَّآءٍ﴾ أي من نطفة»، وجاء في البحر المحيط - (ج6/ ص466): «... ﴿مِّن مَّآءٍ﴾ مخصوص وهو النطفة»، وجاء في تفسير الشوكاني - (ج4/ ص42): «ومعنى ﴿مِّن مَّآءٍ﴾: من نطفة، وهي المني، كذا قال الجمهور».

(5) تفسير النسفي - (ج3/ ص149).

فإذا كان الكلام عن نطف معينة، وعن أنواع الدواب، فهمنا أن سبب تنوع الخلق هو تنوع النطف، أي أن التركيبات المختلفة للنطف تؤدي تبعاً إلى نشأة حيوانات مختلفة.

ومن الجدير بالذكر أن الآية لا تتكلم عن أنواع معينة من الحيوانات، بل تقصد تبيان سبب تنويع خلق الحيوانات، ليس إلا. جاء في تفسير أبي السعود: "﴿مِّن مَّآءٍ﴾ هو جزء مادته أو ماء مخصوص هو النُّطفةُ فيكون تنزيلاً للغالب منزلة الكلّ لأنّ من الحيوانات ما يتولّد لا عن نُطفةٍ... وتذكيرُ الضمير في منهم لتغليب العُقلاء، والتعبير عن الأصناف بكلمة مَن ليوافق التفصيلُ الإجمالَ، والتّرتيبُ لتقديم ما هو أعرفُ في القُدرة. ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [النور 45] ممّا ذُكر وممّا لم يُذكرْ بسيطاً كان أو مركّباً على ما يشاء من الصُور..."[1].

وهذا التنويع هو دلالة على قدرة الخالق، وتعظيم لشأنه، وبيان أن الله تعالى قادر على خلق أنواع مختلفة من النطف، فينتج عن ذلك خلق أنواع مختلفة من الحيوانات، وهو بأسرار خلقه خبير. يقول الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك 14].

جاء في تفسير أبي السعود: "﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ ممّا ذُكر وممّا لم يُذكرْ بسيطاً كان أو مركّباً على ما يشاء من الصُور... وإظهارُ الاسم الجليل في موضع الإضمار لتفخيم شأن الخلق المذكور والإيذان بأنّه من أحكام الألوهيّة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور 45]. فيفعل ما يشاء كما يشاء"[2].

وتفصيلاً: إن أهم ما في النطف، هو العروق التي تسبب تخلق الكائن الحيواني كما جاء في الحديث: «فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عرْق وعصب منها» [رواه الطبراني ج121]. فهذا الحديث ينص على أن ماء الرجل ينتشر بين عروق نطفة المرأة، أي أن النطفة تحتوي على عروق[3].

(1) تفسير أبي السعود - (ج6/ ص185)، وأيضاً تفسير البيضاوي - (ج4/ ص195).

(2) تفسير أبي السعود - (ج6/ ص185 - 186).

(3) انظر مبحث «اختلاط عروق النطفة».

وهذه العروق موجودة في نطف سائر الحيوانات كما هي موجودة في نطف الإنسان، كما نستنبطه من الحديث النبوي الشريف التالي، حيث قاس الرسول ﷺ بين الدواب والبشر: (أن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود. وإني أنكرته. فقال له النبي ﷺ: «هل لك من إبل؟» قال: نعم. قال: «ما ألوانها؟» قال: حُمْرٌ. قال: «هل فيها من أَوْرَق؟» [أسمر أو ما كان لونه كلون الرماد]. قال: نعم. قال رسول الله ﷺ: «فأنى هو؟» قال: لعلّه، يا رسول الله يكون نزعهُ عرقٌ له. فقال له النبي ﷺ: «وهذا لعله يكون نزعه عرْق له») [أخرجه مسلم ح65].

ونفهم من الحديث السابق أيضاً أن هذه العروق تعطي صفات الحيوانات، وبالتالي خلقها المخصوص بها وتركيبتها الفريدة، وبالتالي فإن اختلاف خلق الحيوانات سببه اختلاف تركيبة عروق نطف الحيوانات.

وبعد أن جمعنا بين النصوص الشرعية، واستعرضنا بعض الأدلة، فهمنا أن الآية تعني: والله خلق كل دابة من نطفة مخصوصة بها، وخالف بين خلق سائر الحيوانات من خلال اختلاف خلق وعدد عروق نطف تلك الحيوانات، التي تعطيها خلقاً خاصاً بها تبعاً لما تحتوي هذه العروق من مورثات.

وقد أقرّ العلم الكوني هذه الظاهرة، وأظهر الإعجاز العلمي في القرآن بعد نزوله من نحو 1400 سنة.

وللعلم فإن كل حيوان يمتاز بصبغيات مختلفة، وبأعداد مختلفة من هذه الصبغيات، تعطي كل حيوان خلقه الخاص به.

وكل من هذه الصبغيات مؤلفة من عرقين متحدين.

جاء في كتاب الإنسان النامي: «(الكروماتيد CHROMATID) [أي الصبغي] يتألف من (حبلين مجدولين STRANDS) متوازيين»[1].

ونسرد فيما يلي بعض الأمثلة عن عدد عروق بعض الحيوانات، بما في ذلك الإنسان (الذي يُعتبر من الناحية البيولوجية حيوان سامٍ ناطق):

(1) كتاب الإنسان النامي، مور وبارسو، ص 18.

المخلوق	عدد الصبغيات	عدد العروق
الإنسان	46	92 = 2 × 46
القرد	48	96 = 2 × 48
الأرنب	44	88 = 2 × 44
الخنزير	40	80 = 2 × 40
الغنم	54	108 = 2 × 54
الحصان	66	132 = 2 × 66
الكلب	78	156 = 2 × 78

هذا وقد حدد الحديث الذي رواه عبد الله بن بريدة ﷺ : (أن رجلاً من الأنصار وَلَدتْ له امرأته غلاماً أسود، فأخذ بيد امرأته فأتى بها رسول الله ﷺ فقالت: والذي بعثك بالحق لقد تزوجني بكراً وما أقعدت مقعده أحداً، فقال رسول الله ﷺ: "صدقتْ، إن لك تسعة وتسعين عرقاً، وله مثل ذلك، إذا كان حينُ الولد اضطربت العروق كلها، ليس منها عرْق إلا يسأل الله أن يجعل الشبه له") [أخرجه الحكيم الترمذي ح22] أن للإنسان عدداً محدداً من العروق يمتاز بها. وهذا أمر لم تعرفه البشرية قبل عام 1912م، حيث أعلن (فون ويني وارتر VON WINIWARTER) أن الخلايا البشرية تحتوي على سبع وأربعين صبغية[1].

ومن الجدير بالذكر أن ظاهر الحديث يشير إلى أن للمرأة تسعة وتسعين عرقاً، مع العلم أن للمرأة ملايين من الخلايا وبالتالي ملايين من العروق، وفي كل من هذه الخلايا ستة وأربعين صبغية، أي اثنين وتسعين عرقاً، وبالتالي حتى يصح معنى الحديث ويصبح مقبولاً لا بد من تقدير كلام لازم مسكوت عنه، وتقديره: إن لنطفتك تسعة وتسعين عرقاً، وهذا ما يُعْرف بأصول الفقه الإسلامي "باقتضاء النص"، وهو حجة يعتد بها عند سائر الفقهاء[2].

كذلك نفهم من صياغة الحديث أن عدد العروق مقيّد بوقت خلق الإنسان، وذلك أن الحديث أشار إلى حين خلق الجنين بلفظ: «صدقتْ، إن لك تسعة وتسعين عرقاً، وله مثل ذلك، **إذا كان حينُ الولد**، اضطربت العروق كلها، ليس منها عرق

(1) وقد اكتشف العالمان (تيو وليفان TJIO and LEVAN) عام 1956م العدد الصحيح للصبغيات البشرية، وهو ستة وأربعين.

(2) انظر «تعريف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة»/باب «معان صريحة في دلالتها».

إلا يسأل الله أن يجعل الشبه له». وبالفعل فإن للحيوان المنوي عند دخول البويضة ثلاثاً وعشرين صبغية، كل واحدة منهن مؤلفة من حبلين، أي أن للحيوان المنوي ستة وأربعين عرقاً. وللبويضة في بادئ الأمر ست وأربعون صبغية، وعند دخول الحيوان المنوي البويضة تستكمل البويضة (انقسامها الميوزي الثاني SECOND MEIOTIC DIVISION) ويصبح عدد صبغياتها ثلاثاً وعشرين، مؤلفة كل واحدة منها أيضاً من حبلين، أي أنه يصبح للبويضة ستة وأربعون عرقاً. وعند اقتراب نواتي الحيوان المنوي والبويضة بعضهما من بعض، وقبل انصهارهما - أي **عندما يحين خلق الولد** بانصهار النواتين - يتضاعف عدد صبغيات كل من النواتين ليصبح كل منهما يحتوي على ست وأربعين صبغية[1]، أي لتصبح كل واحدة منهن تحتوي على اثنين وتسعين عرقاً، وبالتالي فيصبح للرجل عدداً مماثلاً لعدد المرأة من العروق؛ وهو اثنان وتسعون حبلاً، كما ينص عليه الحديث: «وله مثل ذلك...»، فيتحقق نص الحديث السالف ذكره، ويبرز النبأ العظيم قبل أكثر من قرن على اكتشافه من قبل العلماء الكونيين.

ويعود الاختلاف بين عدد العروق في الحديث وعدد العروق التي ينص عليها العلم الكوني لخلل في سند الحديث السابق لجهالة في الإسناد[2]، وبالتالي خلل في متنه، ولنسيان بعض الصحابة والتابعين ﷺ لما قاله الرسول ﷺ، مع حرصهم على ضبط وحفظ كل ما سمعوه، فجلّ من لا يسهو. ونعطي مثالاً - لربما كان نتيجة نسيان بعض الصحابة والتابعين ﷺ لما سمعوه، مما يشير إلى أن الرسول ﷺ تكلم بالحق ومن ثم اختلطت ألفاظ الحديث من بعده : فالأحاديث التي تكلمت عن حادثة «جمع خلق الإنسان» رويت بمتون مختلفة، وبطرق مختلفة عن صحابة وتابعين ﷺ، ونصت النصوص الحديثية على أن خلق الإنسان يتم في غضون: أربعين، اثنين وأربعين، ثلاثة وأربعين، خمسة وأربعين، وبضع أربعين يوماً[3].

وروت بعض المتون أن مدة «جمع الخلق» هي أربعون ليلة، وبعضها الآخر أربعون يوماً، وجاء في متن من المتون أن فترة «العلقة» وفترة «المضغة» تقع في تلك المدة كما دلت عليه عبارة «في ذلك»، بينما سقط هذا اللفظ من متن آخر.

---

(1) كتاب الإنسان النامي، مور وبارسو، ص37.

(2) وهو جهالة راو من سلسلة الرواة الذين رووا المتن.

(3) انظر مبحث «**اجتهاد غير مصيب**».

ومن الملفت للنظر أننا نلاحظ في جميع هذه المتون أن رأس العدد، أي عدد الأربعين، لم يتخلله خطأ، بينما حدث السهو في الرقم الفرعي؛ أي رقم اثنين، وثلاثة، وخمسة إلخ، مما يشير إلى سهو بعض الرجال عن التفاصيل التي جاءت في تلك المتون. وهذا ما تكرّر في الحديث الذي رواه عبد الله بن بريدة رضي الله عنه حيث تذكّر رجال الإسناد رأس العدد جيداً؛ أي رقم تسعين، بينما سهوْا في العدد الفرعي؛ أي رقم تسعة، **وانظر كلامنا عن التصحيف في «الملحق» المرفق في آخر الكتاب**.

وعلى كل حال يشهد لصدق الرسول ﷺ أحاديث أخرى تنص على إعجاز رقمي دقيق للغاية، لم ينسَ فيه الرجال الذين رووْها عن شيء مما قاله الرسول ﷺ، والأحاديث هي: عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّهُ خُلق كل إنسان من بني آدم على **ستين وثلاثمائة مفصل**، فمن كبّر الله، وحمد الله، وهلّل الله، وسبّح الله، واستغفر الله، وعزل حجراً عن طريق الناس، أو شوكةً أو عظْمًا عن طريق الناس، وأمر بمعروف، أو نهى عن منكر، عدد تلك السِّتين والثلاثمائة السُّلامى فإنّه يمشي يومئذ وقد زحزح نفْسه عن النار» [أخرجه مسلم ح142]، و«إن الله تعالى إذا أراد خلْق النّسمة، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه في كل عِرْق وعصب منها، **فإذا كان يوم السابع**، جمعه الله تعالى، ثم أحضر له كل عِرْق له بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: 8] [رواه الطبراني ح21].

ونود الإشارة إلى أنه، إضافة إلى ذكر عدد العروق، أشار الحديث إلى أن لنطفة الرجل ونطفة المرأة عدداً مماثلاً من العروق، وحدد وقت وجود هذا العدد من العروق، وهذه دقةٌ فائقة في تحديد الحقائق العلمية.

وإذا قابلنا الحديث: «نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة...» [ذكره ابن هشام ح69] مع الحديث السابق (رقم 22) فهمنا أن الاختلاف بين الرجل والمرأة لا يعود لاختلاف عدد العروق بينهما، بل لاختلاف محتوى خلايا الرجل والمرأة، وبالتالي لاختلاف محتوى هذه العروق، لأن رقم العروق ثابت في الحديث (رقم 22) عند كل من الطرفين، بينما يعود الاختلاف في الحديث (رقم 69) في صفة النطفة الذكرية والأنثوية في اللون والكثافة وغيرها في الحديث (رقم 69)، وهذا ما قرره العلم الكوني حيث إن الرجل يمتاز باتحاد الصبْغي (ص Y) مع الصبْغي (س X)، أما المرأة فإن صبغياتها الجنسية تتألف من (س س XX)[1].

(1) انظر مبحث «الماء والمني»/ باب «إن كل من ماء الرجل وماء المرأة يشارك في إذكار أو إيناث الجنين»

وبعد: فإن الحديث: «صدقتَ، إن لك تسعة وتسعين عرقاً، وله مثل ذلك، إذا كان حينُ الولد، اضطربت العروق كلها، ليس منها عرق إلا يسأل الله أن يجعل الشبه له» [أخرجه الحكيم الترمذي ح22] يشير إلى أن للإنسان على العموم تسعةً وتسعين عرقاً، ويشير مفهوم المخالفة عندئذ[1]، أن لغير الإنسان - أي لكل كائن آخر - عدداً مغايراً من العروق، وهذا ما توصلنا إليه من قبل في هذا البحث، وهذا ما أشارت إليه الآية: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور: 45]. فاعتبروا يا أولي الأبصار قد أنزل الله إليكم ذكراً، حتى يتذكر من أراد أن يذكر، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ عن بينة.

ج - خلاصة القول

إن التكلم عن مكان وجود الصبغيات التي تتحكم بتخلق الجنين بإذن ربها[2]، والتكلم عن كيفية اصطفافها في هذا المكان من غلظة ورقة[3]، والتكلم عن تحرك الصبغيات من امتداد وانقباض[4] وانتشار[5] عند تخلق الجنين، والتكلم عن دورها في إذكار أو إيناث الجنين[6]، والتكلم عن دورها في إعطاء الجنين خصائص تشبه خصائص آبائه[7]، والتكلم عن تنحي وسيطرة خصائصها[8]، والتكلم عن علاقة

(1) انظر مبحث «تعريف الإعجاز في القرآن والسنة/ باب معان صريحة في دلالتها».

(2) كما في الآية: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عبس: 19].

(3) كما في الحديث: «نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة فأيهما غلبت فالشبه له وإن اجتمع جميعاً كان منها ومنه» [ذكره ابن هشام ح67].

(4) كما في الحديث: «... إذا كان حينُ الولد، اضطربت العروق كلها، ليس منها عرق إلا يسأل الله أن يجعل الشبه له» [أخرجه الحكيم الترمذي ح22].

(5) كما في الحديث: «إن الله تعالى إذا أراد خلق النسمة، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه في كل عرق وعصب منها، ...» [أخرجه الطبراني ح21].

(6) كما في الآيتين: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [النجم: 45-46].

(7) كما في الحديث: «ماء الرجل غليظ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر، فأيهما سبق كان الشبه» [أخرجه النسائي ح67].

(8) كما في الحديثين: «انظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس» [ذكره العجلوني ح171] و«اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما حيينا، واجعله الوارث منا» [أخرجه الترمذي ح60].

الصبغيات بعضها ببعض من نزع للمورثات[1]، والإشارة إلى أنها سبب لتركيب الجنين[2]، والتكلم عن أهمية وجود الظلمة لتفادي الطفرات الجينية[3]، والتكلم عن الطفرات الصبغية ودورها في إحداث الأمراض[4]، والتكلم عن بعض النتائج للطفرات الجينية في إحداث الإجهاض المبكر عند وقوع النطفة في الرحم[5]، والتكلم عن الفترة التي يخف فيها أثر تلك الطفرات من إجهاض مبكر[6] وتشوهات جنينية[7]، بل والإشارة إلى شكل الصبغيات من طول وترابط بعضها ببعض[8] لا يمكن أن يكون على سبيل المصادفة، ولا يدع مجالاً للشك أن الذي بعث الرسول ﷺ يعلم تمام العلم النظام الجيني السائد لدى الإنسان.

د - الانحراف التخلقي ومضاعفاته كما يراه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

هذا الباب هو جزء من علم الوراثة وعلم التخلق: ذلك لأنه علم قائم بحد ذاته متشعب ودقيق. وقد وضع الإسلام أسساً مهمة لمنع حدوث التشوهات والأمراض، بينما كانت الأمم في جهل تام عما يستطيع أن يصيبها ولم تكتشفها إلا في الآونة الأخيرة مما يدل على مدى إعجاز النبوءات التي تفوه بها رسول الله ﷺ.

---

(1) كما في الحديث: «... قال: «فأنى هو؟» قال: لعله يكون نزعه عرق له. قال: «وهذا لعله يكون نزعه عرق له» [أخرجه مسلم ح65].

(2) كما في الحديث: «... فإذا كان يوم السابع، جمعه الله تعالى، ثم **أحضر له كل عرق له** بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: 8]» [أخرجه الطبراني ح121].

(3) كما في الآية: ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ۝٦﴾ [الزمر: 6].

(4) كما في الحديث: عن ابن عباس، أن النبي ﷺ كان يعلمهم من الحمى ومن الأوجاع كلها، أن يقولوا: «بسم الله الكبير أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار» [أخرجه الترمذي ح170].

(5) كما في الحديث: «إذا وقعت النطفة في الرحم، بعث الله ملكاً، فقال: يا رب: **مخلقة أو غير مخلقة؟** فإن قال: غير مخلقة، مجتها الأرحام دماً، وإن قال: مخلقة قال: يا رب: فما صفة هذه النطفة» [رواه الطبري ح32].

(6) كما في الآية: ﴿مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى...﴾ [الحج: 5].

(7) كما في الحديث: «... فإذا أراد الله أن يقضي خلقها، قال: أي رب أذكر أم أنثى؟ ...» [أخرجه البخاري ح98].

(8) كما يشير إليه معنى كلمة «عرق» وكلمة «عصب».

أما هذه الأسس فتتلخص بمجموعة من الآيات والأحاديث هي كالآتي:

- الآية الأولى: قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾... وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ...﴾ [النساء: 117-119].

- الآية الثانية: قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [النساء: 23].

- الحديث الأول: «وانظر في أي نصاب تضع ولدك، فإن العرق دساس» [ذكره العجلوني ح71].

- الحديث الثاني: "اغتربوا لا تضووا" [ذكره ابن قتيبة ح75].

- الحديث الثالث: «لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاوياً» [ذكره ابن حجر ح75].

- الحديث الرابع: قال رسول الله ﷺ: "يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب" [أخرجه البخاري ح54].

- الحديث الخامس: قال رسول الله ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا» [أخرجه ابن ماجه ح72].

- الآية الثالثة: قال الله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: 4].

- الحديث السادس: قال ﷺ: «ما جعل الله لمسخ نسلاً ولا عقباً» [أخرجه مسلم ح73].

1 الفساد العلمي:

● قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾... وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ...﴾ [النساء: 117-119].

هذه الآية لها علاقة غير مباشرة بموضوعنا هذا وهي تنص على أن الشيطان سوف يحاول إثارة الجنس البشري على إحداث تغييرات في خلق الله كما أخبرنا رب العالمين ﷻ سواء كان حيواناً أو إنساناً، فلفظ "خلق الله" على إطلاقه[1].

كيف تتم في عصرنا التغييرات الخلقية؟.

تتم التغييرات في الخلق المرتبطة بالإنسان بعمليات التحويل من ذكر إلى أنثى عبر جب قضيبه وإيجاد مهبل وفرج صناعي له وإعطائه هرمونات أنوثة مكثفة لتظهر له أثداء: على سبيل المثال: نقصُّ قصة الشاب البريطاني الذي أجريت له عملية جراحية عام 1980م لتحويله إلى امرأة ثم قامت المحكمة بتزويجه على أنه أنثى إلى أحد اللوردات[2].

هناك قصة أخرى عن الشاب المعروف باسم سالي وهو طالب بكلية الطب في جامعة الأزهر حيث قام أحد القوادين من الأطباء بتحويله إلى أنثى[3].

وقد نشرت مجلة (مختصر الأمراض الباطنية وأمراض النساء والولادة MEDICINE. GYNC. OBST. DIGEST) عدد فبراير 1981م بحثاً عن كيفية إجراء عملية إيجاد مهبل وفرج صناعي للشاذين جنسياً.

---

(1) لقد تعدد كلام السلف - رحمهم الله تعالى - وبعض مفسري القرآن الكريم في النص القرآني: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ ... وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ ... وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ...﴾ [النساء: 117-119]، فمنهم من ذهب إلى أنها تشير إلى أن الشيطان سيثير البشر إلى تغيير الخلق البيولوجي للإنسان. ومنهم من قال: إن الآية تشير إلى أن الإنسان سيغيّر دين الله (وانظر على سبيل المثال الكشاف، وتفسير ابن كثير)، والحق يقال: إنها تحتمل الدلالتين، وذلك لأن هناك قرائن أخرى - مثل أحاديث شريفة، أو آيات قرآنية - في كلا الحالتين تدعم التوجهين كما رأينا سالفاً، ولأن سياق النص القرآني يحتمل الموضوعين، فذكر التغيير البيولوجي في النص القرآني لسورة النساء جاء في قوله عز وجل: ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾، وتغيير دين الله في النص القرآني المذكور آنفاً جاء في قوله عز وجل: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾، وهذا من الأسلوب البلاغي لكلام الله تعالى حيث يضع أكثر من معنى في الكلام الواحد (راجع مبحث **«المنهجية المتبعة في وصف الأطوار الجنينية»**).

(2) يجدر الإشارة هنا إلى أننا لا نحرم العمليات الجراحية التي تستهدف تقويم الأعضاء التناسلية للمرضى، لأن تلك الأعضاء المرضية لا توافق أصلها. فعلى سبيل المثال: هناك حالات مرضية عدة تتطور فيها الأعضاء التناسلية على نحو غير سليم مثل: أن (لا تتطور (الأنابيب المولرية MULLERIAN DUCTS) على نحو سليم ومكتمل وينشأ الطفل المريض بدون رحم MULLERIAN DIS OR AGENESIS AND CONGENITAL ABSENCE OF VAGINA)؛ فيحتاج إلى (استحداث مهبل بالاستعانة بأعضاء أخرى من الجسم NEOVAGINA) وهذا ما يعرف (بالجراحة الترميمية RECONSTRUCTIVE SURGERY).

(3) كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص503.

أما على الصعيد الجنيني فهناك تغييرات حصلت من خلال أبحاث تشمل الإخصاب بين الجنس البشري والحيوان وتعرف هذه الظاهرة (بالكلونيغ CLONING). كما أن هناك أبحاثاً تشمل استنساخ أجنة حيوانات وهي بطريقها إلى استنساخ أجنة بشرية، وتعتبر عمليات الاستنساخ هذه عمليات غير طبيعية مخالفة للقانون الطبيعي الذي وضعه الله على الأرض لإنجاب أجنة بشرية وذلك لأن مادة الاستنساخ وطريقة الإخصاب غير طبيعية.

تتمثل عملية الاستنساخ في استخلاص بويضة غير مخصبة من الأنثى واستبعاد نواتها التي تحمل المعلومات الوراثية وزرع نواة خلية عادية محتوية على 46 (صبغية CHROMOSOME) متخذة من خلية بالغين في هذه البويضة وهذا ما يعرف: (بالازدراع النووي NUCLEAR TRANSPLANTATION)، ثم تزرع البويضة داخل رحم الأنثى ويصبح الجنين المُتكوّن نسخة من الشخص الذي وهب نواة الخلية العادية. وتتمثل الصعوبة الكبرى في تحفيز البويضة للعمل وكأنها خضعت لعملية التلقيح فعلاً بواسطة الحيوان المنوي ومن ثم قيامها بعمليات انقسام كما لو أنها تحولت إلى جنين حديث[1]. (انظر الصورة رقم: 137).

كما أسلفنا القول فإن مادة الاستنساخ غير طبيعية وذلك لأن المادة الأساسية للإخصاب استبعدت (نواة البويضة) واستبدلت بها مادة لم تخلق للإخصاب (نواة خلية بشرية).

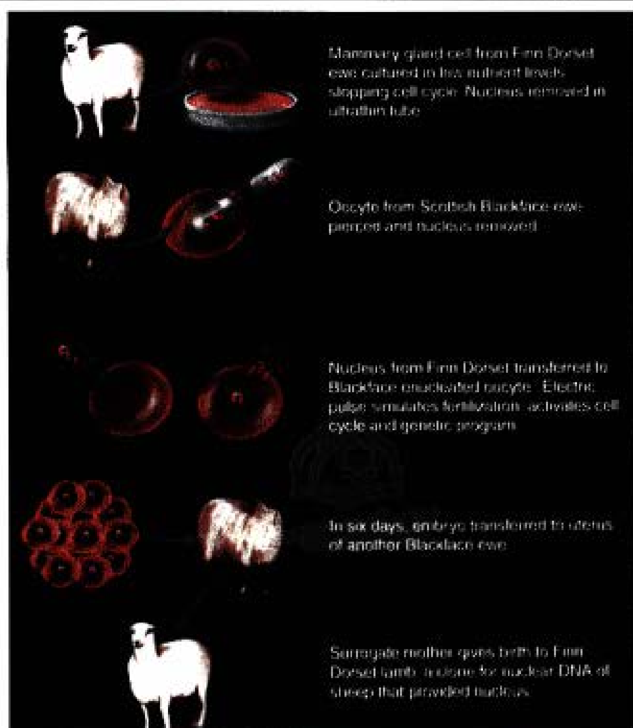
كما أن الطريقة غير طبيعية: فالبويضة المخصبة اصطناعياً تحتاج لتقنيات لحفزها على الانقسام والعمل وهي طريقة غير طبيعية، وقد تؤثر على تركيبة هذه الخلية.

أضف إلى ذلك أن (الحامض النووي DNA) لنواة الخلية العادية قد يحتوي على عيوب، وذلك نتيجة تعرّض الخلية العادية أثناء حياة الإنسان إلى العديد من المؤثرات، كأشعة الشمس والسموم، وبسبب الأخطاء المتوقعة أثناء عملية تضاعف الحامض النووي في دورة حياة هذه الخلية[2].

---

(1) لمزيد من التفاصيل حول ظاهرة الازدراع النووي انظر كتاب: الوراثة الإنسانية، ريكي لويس، ص 52 - 53، ومجلة الإعجاز العلمي، العدد الحادي عشر ص 30 وGROLLIER MULTIMEDIA ENCYCLOPEDIA CLONING.

(2) مجلة الإعجاز العلمي، العدد الحادي عشر، ص 32، وكتاب رحلة الإيمان في جسم الإنسان للدكتور حامد أحمد حامد، ص 43.



(137) - نرى في الرسومات أعلاه كيف تتم عملية الاستنساخ حيث تستبدل خلية جسدية بالغة بنواة البويضة.

وقد استعمل هذا الأسلوب على الحيوانات في أستراليا واليابان وأميركا وبريطانيا وقد أصبح منتشراً إلى حد كبير، وكلنا نعرف قصة النعجة «دولي» الشهيرة التي تعد أول حيوان استنسخ.

وهكذا تعتبر هذه العملية تغييراً في خلق الله وذلك من بداية التخلق البشري.

إن طريقة الازدراع النووي مباحة ضمن حدود الشرع في عملية بناء أنسجة مختلف أعضاء الجسم للأغراض الترميمية أو التأهيلية لأنها تعيد للشخص فاقد العضو إمكانية تعويضه عن خسارته، ولكنها غير مباحة لأن تحل محل سنة الله ﷻ في التخلق البشري (كالاستنساخ). فمن مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ النفس والنسل، وهذا يقتضي تجنيد الطاقات للحفاظ عليهما، واستخدام طريقة الازدراع النووي لعلاج الأمراض (مثل: أمراض المخ ونخاع العظم والكبد والكلى) هي طريقة من الطرق المتاحة لحفظ النفس من العاهات التي تصيبه.

2 العلاقات المحرمة والأمراض الوراثية التي تنتج منها:

ا - آثار العلاقات المحرمة بالدم:

● قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [النساء: 23].

إن أسباب التشوهات التي تصيب بعض الأجنة كثيرة: أحد هذه الأسباب هو: الزواج من الأقارب أو ما يسمى (بالكونسوغينيتي CONSANGUINITY). لذا أنزلت هذه الآية التي وضعت الحد الأدنى لهذه العلاقات حتى لا يتأذى منها الإنسان، هذا بغض النظر عن العواقب الاجتماعية والدينية الوخيمة التي قد ترافقها. فالزواج من الأقارب يظهر الصفات والأمراض المتنحية التي كانت غير ظاهرة مما يؤدي إلى تشوهات قد تصيب الناتج الوراثي (أي المولود).

هذه العواقب الوراثية تتلخص بأن هناك احتمالات كبيرة بأن يحصل للناتج الوراثي (أي المولود) من تلك العلاقات المحرمة (مثل: أن يتزوج أمه أو أخته...) تشوهات خطيرة تؤدي إلى إعاقته خلال باقي حياته أو تؤدي إلى وفاته على الفور. وهذا يحصل عندما يتقاسم الوالدان مورثات غير طبيعية كما أكده الدكتور جولي سمبسون[1] وقد قسم احتمالات إصابة المولود بتلك التشوهات عبر إيضاح نسب تقاسم المورثات (إذ إن نسبة تقاسم المورثات تؤدي إلى زيادة احتمال مشج المورثات غير الطبيعية) وقد قسم هذه الاحتمالات عبر جداول فحواها كالآتي:

(1) المؤتمر العلمي الإسلامي الدولي، الإعجاز العلمي في القرآن، 28/9/85م.

العلاقات ذات الدرجة الأولى

طبيعة العلاقة	نسب تقاسم المورثات بالمئة
الآباء	50
الأبناء	50
الأخوة	50

العلاقات ذات الدرجة الثانية

طبيعة العلاقة	نسب تقاسم المورثات بالمئة
آباء الآباء	25
أبناء الأبناء	25
بنت الأخ أو بنت الأخت	25

العلاقات ذات الدرجة الثالثة

طبيعة العلاقة	نسب تقاسم المورثات بالمئة
أبناء العم أو أبناء العمة	12
أبناء الخال أو أبناء الخالة	12
عمات الآباء	12

وقد اعترف أنه ليس له إحصائية دقيقة عن نسب التشوهات الخلقية، والوفيات الحاصلة من تلك العلاقات؛ ذلك أن الموضوع لم يدرس بالتفصيل من قبل علماء الوراثة، بيد أنه يستطيع أن يعطينا فكرة عن الموضوع وذلك بإبراز إحصائيات تدل على مدى التشوهات الخلقية الناتجة عن علاقات غير محرمة ولكن قريبة (على سبيل المثال علاقات جنسية بين أبناء العم) والإحصائيات هي :

نسبة التشوهات بالمئة

عند آباء ليس لهم صلة قرابة	عند آباء ذات صلة قرابة (أبناء عم)	البلد
0,81	1,48	الهند
1,02	1,69	اليابان
1,58	2,03	البرازيل
1,04	1,31	ماليزيا

II - العلاج الوقائي لأمراض العلاقات المحرمة:

حديث: "وانظر في أي نصاب تضع ولدك، فإن العرق دساس" [ذكره **العجلوني** ح71].

حديث: "اغتربوا لا تضووا" [ذكره ابن قتيبة ح75].

حديث: "لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاوياً" [ذكره ابن حجر ح75].

إن الزواج من الأقارب يظهر الصفات والأمراض الوراثية المتنحية منها (الأمراض التي بها خلل في الأيض INBORN ERROR OF METABOLISM (الاستقلاب) مثل: (مرض ويلسون WILSON'S DISEASE)، و(مرض تيساك TAY - SACHS)، و(البرص الوراثي ALBINISM)، و(البول الأسود PHENYLKETONURIA)، و(مرض التليف CYSTIC FIBROSIS)، وعددها يزيد عن مائة مرض معروف لدى الأطباء المختصين.

هذه الأمراض لا تظهر - حسب قانون مندل - إلا إذا أخذ الجنين صفة مشتركة من الأبوين. وهذه الظاهرة أشار إليها الحديث: "انظر في أي نصاب تضع ولدك، فإن العرق دساس" [ذكره العجلوني ح71]، فالصفات كانت غير ظاهرة، ومن ثم ظهرت من جراء التقاء الصفات المشتركة، ولذلك يدعونا الحديث الشريف إلى النظر في أي نصاب نضع نطفنا لئلا تظهر الصفات المدسوسة، وبالتالي أن نتجنب الزوج الذي يسبب ظهور الصفات المتنحية غير السليمة (ونفهم منه أن نجتنب الزوج الذي يحمل صبغيات شبيهة). وبما أن المجتمع يحمل العديد من هذه الصفات المتنحية فإن احتمال ظهور المرض في الذرية ضعيف إذا كان الزواج من الأباعد وذلك للاحتمال الضعيف أن تلتقي المورثات الشبيهة لهذا المرض أو ذاك. ويشهد لهذه الظاهرة الحديثان: "اغتربوا لا تضووا" [ذكره ابن قتيبة ح75]، و"لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاوياً" [ذكره ابن حجر ح75].

جاء في لسان العرب[1]: "ضوا:... وفي الحديث: اغتربوا لا تضووا. أي تزوجوا **في البعاد الأنساب لا في الأقارب** لئلا تضوى أولادكم، وقيل: معناه **انكحوا في الغرائب دون القرائب**... وقيل: معناه **تزوجوا في الأجنبيات**... ومعنى لا تضووا أي: لا تأتوا بأولاد ضاوين أي ضعفاء... ومنه لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاوياً... وقال: جاء عن الفراء أنه قال: ضاوي **ضعيف** فاسد...".

(1) لسان العرب لابن منظور مادة "ضوا" - (ج8/ ص103).

ونشير هنا إلى أن احتمال الإصابة بالأمراض يزيد إذا كان الزواج من الأقارب وخصوصاً إذا كانت علاقة الدم من الدرجة الأولى. لذلك حرم الله - سبحانه وتعالى - الزواج بين هؤلاء الأشخاص قائلاً: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [النساء: 23].

3. دور الزنى في إحداث الأمراض في النسل:

● قال رسول الله ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا» [أخرجه ابن ماجه ح72].

في المبحث السابق أتينا على ذكر سبب من الأسباب التي تؤدي إلى تشوهات في الجنين. وكما قلنا هناك العديد من الأسباب التي تؤدي إليها، ومن هذه الأسباب: العلاقات الجنسية العديدة المختلطة غير المنظمة التي تؤدي إلى أمراض جنسية. هذه الأمراض بدورها تؤدي إلى تشوهات جنينية.

لذا كان من الضروري أن يحذرنا الرسول ﷺ من هذه العلاقات، ويلقي الضوء على أنها تظهر مشاكل نحن بغنى عنها.

يفسر لنا الدكتور كيث مور هذه الظاهرة[1] قائلاً: «إن التشوهات التخلقية قد تنتج من عوامل معدية: فالعلاقات الجنسية ذات الطابع المختلط قد ارتبطت منذ القدم (بمرض السيفيليس SYPHILIS) و(مرض السيلان المخاطي GONORRHEA) أو ما يسمى التعقيبة.

فهناك ازدياد مقلق للأمراض الزهرية التي ليس لها علاج في الوقت الحاضر: منها (الهربس HERPES) و(مرض قصور المناعة المكتسب الآيدز AIDS)... كما أن العلاقات المختلطة قد تؤدي (عند المرأة) إلى (تشوهات في الجهاز التناسلي CERVICAL DYSPLASIA) مع احتمال أن يكون المرض خبيثاً. إن تطور هذه الأمراض مرتبط بمعدل الجماع مع كثرة الشركاء».

وهكذا يتبين لنا أن تعدد الشركاء والفاحشة يؤدي إلى أمراض زُهرية، وهي بدورها تؤدي إلى تشوهات في الجنين. على سبيل المثال: فإن مرض الهربس يؤدي

(1) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص 158.

إلى تشوهات عند الجنين مثل: (قصور في نمو المخ MICROCEPHALY)، و(صغر حجم كرة العين MICROPHTHALMIA)، و(تشوهات شبكية العين RETINAL DYSPLASIA).

إن مرض السفيليس إن لم يعالج في الحمل قد يؤدي في أكثر الأحيان إلى تشوهات جنينية خطيرة. إن ميكروب السفيليس (تريبونما باليدوم TREPONEMA PALLIDUM) قد يؤدي إلى صمم عند الجنين أو إلى (تضخم رأسه HYDROCEPHALUS) أو إلى قصور عقلي مع تشوهات في نمو الحنك والأنف والأسنان.

والحديث إن لم يكن إعجازاً في مجال تخلق الأجنة لأنه لا يشير مباشرة إلى حدوث تشوهات جنينية، إلا أنه يعتبر تحذيراً مثالياً للأمم من أن الأمراض والأوجاع لن تستثني أحداً، بما فيهم الأولاد والأجنة. وذلك لأن لفظ «قوم» جاء في الحديث، وهذا اللفظ عام يشمل جميع أفراد المجتمع، غير أن هذا الحديث يعتبر إعجازاً في المجال الجنسي. فعلى سبيل المثال: إن الأيدز مرض جديد يحصد المجتمعات التي تتفشى فيها الرذيلة **ولم يكن موجوداً من قبل**، فآخر المعلومات تشير إلى أنه ظهر عام 1930 ميلادية لدى الإنسان[1]، وعرفت أعراضه عام 1981م، ومن ثمّ اكتشف الفيروس المسبب له عام 1984 م، وفشا في المجتمعات الإباحية في الآونة الأخيرة عندما كثر الفساد، تماماً كما جاء في الحديث الشريف: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها **إلا فشا** فيهم الطاعون **والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**» [أخرجه ابن ماجه ح72].

4 - حالة استثنائية للانحراف التخلقي:

● قال الله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ...﴾ [الأحزاب: 4].

«إن الإبداع الطبي في الإسلام نبع متجدد على مدى الأزمنة، فبالرغم من الحالات النادرة للأطفال المعوّقين خلقياً استطاع العلماء تسجيلها مثل: زيادة أحد الأصابع، أو تلاحقها باليدين، أو القدمين، أو ازدواج الأمعاء، أو الحالب، أو التحام جزئي أو كليّ لتوأمين، أو ظهور فصّ زائد بالكبد، أو كلية ثالثة، أو ظهور

(1) قالت الدكتور بيني كوبر كبيرة الباحثين في (مختبر لوس الاموس/المكسيك الجديدة LOS ALAMOS NATIONAL LAB NEW MEXICO): «إن المعطيات الحالية تشير إلى أن مرض الأيدز عند القرود انتقل إلى الإنسان ليس أقل من سبعة عقود، ومن المحتمل ما بين 1910 و1950م، مع أكثر الاحتمال في زمن 1930م». عن www.msnbc.com، 2000 9 5.

بعض الزوائد في نهاية العمود الفقري على شكل ذيل... أو تلك الحالات النادرة مثل: وجود مبيض متّحد مع خصية، أو ملاحظة وجود أكياس غريبة في المبيض، أو الخصية تحتوي على بعض الأسنان أو الشعر وقد سجّلتها عدسات الكاميرات، أو الأشعة التشخيصية، وطبعت على شرائط الفيديو لمناقشتها ودراستها على أنها تشوهات غريبة يمكن أن يصاب بها الجنين.

إلا أننا لم نلاحظ تسجيلاً مكتوباً أو مصوّراً أو رواية منقولة شفهية منذ بدء الخليقة لطفل واحد مولود له قلبان مطلقاً[1]... وذلك تصديقاً لقوله تعالى: ﴿مَّا

(1) والله تعالى قادرٌ على أن يجعل في الإنسان قلبين. ولكن أراد الله عز وجل أن يكون هنالك سنة كونية واحدة عامة وهي: أن يكون للإنسان قلب واحد، ولو وجد قلبان في رجل لاختلف النظام الإنساني. وقد يتخلّق جنين بقلبين. ولكنه ما يلبث أن يموت، ولن يعمّر طويلاً حتى نستطيع أن نطلق عليه تسمية «رجل». وقد يقول البعض: إن القلب المراد في الآية هو العقل. لأن العرب كانت ترمز إلى أن لفظ «القلب» يطلق على العضو الذي هو محطّ الأحاسيس والأفكار، وبالتالي هو العقل. فقد جاء في تفسير ابن كثير - (ج3/ص466): «وقد ذكر غير واحد أن هذه الآية نزلت في رجل من قريش كان يقال له ذو القلبين، وأنه كان يزعم أن له قلبين كلٌّ منهما بعقل وافر، فأنزل الله تعالى هذه الآية ردّاً عليه». وجاء أيضاً في ابن كثير (ج3/ص466): [عن ابن أبي ظبيان أن أباه حدّثه] «قال: قلت لابن عباس أرأيت قول الله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: 4] ما عنى بذلك؟ قال: قام رسول الله ﷺ يوماً يصلي، فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترون له قلبين، قلباً معكم وقلباً معه، فأنزل الله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾». وسواء أكان المراد من لفظ «القلب» هو العقل أو القلب، فالنتيجة واحدة: لن يعمّر الله جنيناً له قلبان أو عقلان في جسم واحد طويلاً حتى يكون رجلاً. وقد يقول البعض: إن ليس المراد من الآية هو أن تنفي أن يكون لرجل قلبان، ولكن المراد هو أن تنفي أن يكون للرجل اعتقادان متغايران كما جاء في تفسير القرطبي - (ج14/ص117): «فالمعنى لا يجتمع اعتقادان متغايران في قلب»، وأنها ترمي إلى معنى مجازي، نقول - والله التوفيق -: إن سياق الآية لا يشير إلى ذلك، فالنص القرآني ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ...﴾ [الأحزاب: 4-5] يشير إلى أن الله تعالى ينكر أن يزيغ المؤمنون عن السنن الكونية التي وضعها، وأن يعارضوا الطبيعة التي خلقها الله تعالى، فالله عزّ وجلّ لا يرضى أن نعتبر أزواجنا أمهاتنا كما كانت تفعل العرب في الجاهلية (وهو معنى الظهار الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [الأحزاب: 4])، لأنهن أصلاً لسن كذلك. كذلك فهو لا يرضى أن ننسب الطفل للرجل الذي تبنّاه، ولكن لوالده الأصلي. فالله تعالى هو الذي قد خلق الخلق، وهو الذي سنّ الشرع، وعلى الشرع أن يوافق الخلق، وعلى الخلق أن ينتظم كما تمليه نظم الطبيعة. كذلك نفهم من سياق النص القرآني أنه يعالج أموراً حسّيّة كادعاء العرب أن الأطفال الذين يعتنون بهم أولادهم، واعتبار أزواجهم أمهاتهم. وبالتالي فأولى أن نختار التفسير الذي يشير إلى شيء حسّي يحصل للإنسان (أن الإنسان له عقل أو قلب واحد) بدلاً من أن نختار أمراً معنوياً (أن يكون للإنسان اعتقاد واحد).

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ...﴾ [الأحزاب: 4] مخالفين بذلك التفسير المعنوي لهذه الآية لأننا نجدها معجزة علمية ينبغي تفسيرها على هذا النحو، وربما يحمل معناها أكثر من تفسير، ولكننا نحاول الاجتهاد المنطقي الموضوعي لإظهار مدى الإبداع الطبي الإسلامي، دون أن نحمل الآية أو نؤولها بدليل أن العلماء وخبراء علم الأجنة لا يوجد لديهم أي دليل على وجود مثل هذا المخلوق الذي يمتلك قلبين في جوفه ولن يكون له وجود حتى قيام الساعة لأن الحقائق القرآنية حق ويقين وصدق"[1].

5 - الانحراف التخلقي وتأثيره على النسل:

● قال ﷺ: «ما جعل الله لمسخ نسلاً ولاعقباً» [أخرجه مسلم ح173].

المسخ كما نعرف هو مخلوق ذو تشوهات خلقية خطيرة تؤثر على الشكل الظاهري والداخلي للإنسان. وقد أثبت العلم بأن الأجنة التي تولد ممسوخة، إما أن تولد ميتة، وإما أن تعيش لبضعة أيام ثم تموت فلا ينشأ لها نسل.

أما إذا كانت الإصابة أقل خطراً فقد ينتج عنها عاهات خطيرة تمنعها من أن تتناسل. يفسر لنا الدكتور مور[2] أسباب عدم المقدرة على التناسل قائلاً: «إن التشوهات الخطيرة تؤثر في أكثر الأوقات على الجهاز العصبي المركزي وعلى الجهاز الأصم، العاملان الأساسيان للتناسل العادي".

أما في حالات التخنيث ففي هذه الحالات يكون الجنس لا ذكراً ولا أنثى خالصاً، وإن مال إلى أحد الطرفين، ولا نستطيع أن نعتبر أن أصحاب تلك الحالات الشاذة من الممسوخين لأن إصاباتهم غير بليغة حتى يصنفوا من الممسوخين. على كل الأحوال فإن الجهاز التناسلي لهؤلاء لا ينشأ ولا ينمو سليماً ويكون بذلك غير صالح للعمل.



(1) كتاب الطب الإسلامي، مختار سالم، ص476.

(2) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص 158أ.

تعريف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة
والأسس التي يرتكز عليها

من المسلّم به في نحو هذا البحث أن نعرّف المصطلحات، فلا بد من أن نُعرّف معنى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ثمّ نقعّد بعدها بعض قواعد وأسس يمكن للعلماء المسلمين والعلماء الكونيين اعتمادها في أبحاثهم المتعلقة بهذا المجال، فتكون اجتهاداتهم منضبطة في بيان الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، فتثمر جهودهم أبحاثاً موضوعيةً تنأى بهم عن الاستطراد والميل النفسي لتثبيت وجهة نظرهم الخاصة.

أراء العلماء في التفسير العلمي (التجريبي) للقران والسنة:

ذهب فريق من العلماء إلى منع تفسير الآيات القرآنية على ضوء الإعجاز العلمي، لأنه يرى في هذا تعسُّفاً في تفسير القرآن، وليّا لأعناق النصوص لتوافق النظريات العلمية المستجدة، ورأوا أن هذا المجال متروك للعقل البشري؛ يجرب فيه فيصيب حيناً ويخطئ حيناً آخر، وحجتهم أن القرآن الكريم كتاب لم يقصد فيه البحث التجريبي في منهجه أساساً، وإنما هو كتاب أُنزل لمحض الهداية، بما تضمنه من عقائد، وأحكام، ومُثل خلقية، ومواعظ، وليكون سبيلاً للتعبد لله في رحلة الحياة، وصرحوا بأن النظريات العلمية الحديثة والتي تُعتبر في عصرنا مسلّمات بدهية قد تتغير في زمان لاحق، مما يتسبب في اضطراب في تفسير الآيات القرآنية، وقد يحدث تبدُّلاً في فهم الآيات فيما بعد، مما يزعزع العقيدة في قلوب الناس.

وفي الجانب الآخر نرى بعض العلماء يميلون إلى الإفراط في تفسير الآيات وَفْق المناهج العلمية الحديثة، حتى إنهم قد أخضعوا بعض الآيات القرآنية إلى التأويل البعيد، بل المذموم، لكي يطابق البحث العلمي، مما يُعدّ جنوحاً - في نظري - عن الدقة الموضوعية في البحث العلمي، الذي سعوْا لأجله.

وقد يكون من الصواب تقرير أن كون القرآن كتاب هداية للبشر، وليس كتاب علم كوني، لا ينفي أن يكون متضمّناً لأدوات ووسائل هداية دعائمها العلم الكوني، فالهداية قد تكون بالأحكام الشرعية، كما تكون بالدعوة للنظر والتأمل في بديع صنع الله، وبالتالي فمن الصواب تقرير أن القرآن قد أشار إلى بعض الظواهر الكونية

الكبرى. ودعا المفكرين الباحثين إلى مزيد دراسة لها، واعتبار بها، لتكون إحدى الطرق الدالة على الإيمان بالله ﷻ. ولعله يحسن في هذا المقام إيراد قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: 30]، فكما لا يخفى فإن الآية الكريمة تدعو الكفار إلى الإيمان وذلك عبر الإخبار عن واقعة كونية - نشأة الكون - تدل على عظيم قدرة الله لم يكونوا يعرفونها في عهد التنزيل، فيتحققون من صدق الرسالة عبر مطابقة ما ستؤول إليه علومهم بما أشارت إليه الآية القرآنية. وكذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج: 5]، فإنا نرى أن الآية تدعونا إلى الإيمان بيوم البعث، وذلك عبر تبيان مراحل تخلّق الجنين تفصيلاً، والاعتبار بأن القادر على خلق الإنسان بهذه المراحل، هو قادر على أن يعيد خلقه مرة أخرى، والأمثلة في هذا الباب عديدة... فالواقع أن الإعجاز العلمي هو إحدى طرق الهداية التي اعتمدها القرآن الكريم، وليس باباً للتكلّف.

ومن الجدير بالذكر أن الفريق الذي يعارض تفسير الآيات القرآنية على ضوء الإعجاز العلمي مخافة أن يحصل تغيير في المسائل العلمية في زمان لاحق، وبالتالي تبدُّل في فهم الآيات القرآنية، لم يفرّق بين النظريات والحقائق العلمية. وقد توصّل العلم في كثير من جوانبه إلى إلقاء الضوء على مسائل علمية لا تُنكر ولن تتبدّل إلا بإذن الله تعالى، وتعتبر حقائق علمية. وهناك من الآيات ما هو قطعي الدلالة، وبالتالي فمن الصواب أن نفرّق بين النظريات العلمية والحقائق العلمية في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ومن الإنصاف أن نجيز تفسير الآيات وفق المعطيات العلمية الصحيحة.

وليس لنا أن نتحدث عن إعجاز القرآن الكريم من غير ضوابط، لذا اعتمدت في هذا البحث على النصوص القرآنية قطعية الثبوت والحديثية المتواترة والمقبولة (أو الضعيفة المنضبطة)، مع الاعتماد على النصوص التي لا تنزل عن غلبة الظن دلالة.

والبحث العلمي ممتد وفيه نظريات وحقائق، فما أدرانا أن ما نتحدث عنه - في مجال البحوث التجريبية - هو نظرية علمية أو حقيقة علمية؟، فقد أخطأ كثير من العلماء المسلمين في تفسير بعض إعجازات القرآن الكريم، وعلى سبيل المثال: فقد سارع بعض العلماء بالجزم بأن الحيض يحتوي على مواد سامة لأن الله قال في

محكم آياته: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى...﴾ [البقرة: 222]، ولأن العالم الغربي قد أكد ذلك. والحقيقة أنه لا يحتوي أصالة على مواد سامة... كما مرّ في طيّات هذا البحث[1].

وخلاصة ذلك: أن الواجب على أهل البحث العلمي - الشرعي والتجريبي - هو سلوك طريق العدل والموضوعية في ذلك، لا أن نجمد عند النصوص دون تدبر لها، ولا أن نتسرع في تقرير مطابقة نظرياتنا العلمية للنصوص الشرعية، فتتبدل النظريات يوماً، ونقع في مصادمة حقيقة علمية لتفسير متكلّف سابق لا يحتمله النص الشرعي.

لذا فإنه يتعين علينا اعتماد أسلوب نضع من خلاله أسساً وضوابط تمنع أيّ إفراط في ذلك أو تفريط.

تعريف الإعجاز العلمي في القران والسنة:

الإعجاز لغة من أعجز يُعجز، وهو إثبات العجز الذي هو: «نقيض الحزم... ومعنى الإعجاز: الفوت والسبق»[2].

فالإعجاز هو الإعلام بعجز البشر عن معرفة حقائق مشار إليها.

ووصف الإعجاز هنا بأنه علمي هو نسبة إلى العلم.

والعلم: هو إدراك الأشياء على حقائقها، أو هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً[3]، والمقصود بالعلم في هذا المقام: العلم التجريبي.

والإعجاز العلمي: هو إشارة إلى حقائق علمية يعجز الناس في حينها عن معرفتها.

فائدة: قد يخلط البعض بين مفهومي الإعجاز والمعجزة؛ فالإعجاز: إشارة من نص شرعي لحقيقة علمية عجزت العقول عن إدراكها في زمن نزوله، والمعجزة أمر خارق للعادة مشاهد للعيان، عجز الناس عن الإتيان بمثله في زمن وقوعه وبعد ذلك.

(1) انظر (ص201 - 203). ملاحظة: ويلاحظ أن التطابق بين مدلول الآية القرآنية أو الحديث النبوي وبين الحقائق العلمية التجريبية، إنما هو نتيجة لجهد واجتهاد شخصي من بعض العلماء، والواجب على كل منهم أن ينسب هذا التطابق أو الإيماء إلى نفسه (إن لم يكن هناك إجماع على هذا التطابق)، وذلك بأن يقول: أرى أن الآية أو الحديث يدل على كذا أو يرشد إلى كذا. فإذا تبين فيما بعد أن التطابق الذي تحدث عنه العالم غير صحيح، رجع الخطأ على من استدل به، لا على آيات الله أو أحاديث رسوله ﷺ.

(2) لسان العرب لابن منظور - مادة «عجز» (ج9/ ص57 - 58).

(3) راجع الراغب الأصفهاني المفردات - ص343، والشوكاني: إرشاد الفحول - ص4.

أما حصر هذا الإعجاز في مجال القرآن والسنة فهو يدلّ على أن الوعاء الذي تُستقى منه الحقائق هو القرآن الكريم والسنة الشريفة.

وعليه فإن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة هو: إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة بحقائق علمية ثابتة قد انكشفت انكشافاً تاماً بواسطة العلم التجريبي، والتي ثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ، أو في الأزمنة التي سبقت عصر النبوة.

وفي مصطلحنا، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة هو:

مطابقة معانٍ كثيرة ومتوافرة، صريحة في دلالاتها، من الكتاب والسنة، لحقائق علمية، غير معلومة زمن التنزيل، ولا تُدرك إلا بالتجربة أو وسائل مادية، لتثبت صدق الرسالة التي جاء بها النبي محمد ﷺ من عند الله ﷻ.

ولعل المناسبة بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي هي: أن الله تعالى قد وضع في كتابه العزيز معانيَ للقرآن الكريم تتوافق مع حقائق العلم الكوني التجريبي، غير معلومة للبشر في عصر من العصور السابقة، بحيث تسبق قدراتهم العلمية في حينها، ويفوتهم إدراكها إلا بعد مرور فترة من الزمان، وذلك لتثبت الحجة عليهم بأنهم قاصرون عن معرفتها، فتقام عليهم الحجة بأن الذي وضعها هو الذي يعلم غيبيات الخلق في الدنيا فيثبت عجزهم عن إدراك غيبيات الخلق من أمور الآخرة، فيتعين عليهم الإيمان بما أخبر به من ذلك، والله أعلم.

وأما الأسس والقواعد التي تضبط هذا الباب فنستوحيها من التعريف السابق ذكره ونشرحها على الوجه الآتي:

شرح التعريف:

- قولنا (مطابقة):

وكلمة «مطابقة» تعود للجذر "طبق"، وهو يعني تغطية الشيء من قبل شيء آخر يُوضع عليه.

جاء في معجم مقاييس اللغة[1]: «طبق: الطاء والباء والقاف أصلٌ صحيح واحد، وهو يدلُّ على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يُغطِّيه».

(1) مقاييس اللغة لابن فارس - مادة "طبق" (ج3/ ص439).

وهذا يعني أن عملية المطابقة ترتكز على عنصرين أساسيين:

- المطابِق.
- والمطابَق عليه.

وقد يكون التطابق معنوياً أو مادياً.

فإن كان مادياً وجب تغطية الحدود المجسمة للمطابَق عليه من جميع جوانبه من قبل المطابِق.

وإن كان معنوياً وجب ملازمة معنى الشيء، وهذا يقتضي الموافقة بين معنى المطابِق ومعنى المطابَق عليه.

ولذا نرى أنه جاء في لسان العرب[1]: "و تطابق الشيئان: تساويا. والمُطابقة: المُوافقة. والتطابُق: الاتفاق".

وفي سياق الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المطابِق هو النص الشرعي والمطابَق هو الحقيقة العلمية، وبالتالي فإن بحثنا يدخل في المجال المعنوي، وهذا يعني أن التطابق بينهما يكون بعرض صفات الحقيقة العلمية الثابتة على دلالة النص الشرعي القطعي، فإن وافقت صفات الحقيقة العلمية دلالة النص الشرعي طابقته.

والمُطابقة تقتضي أيضاً تلاؤم صفات الموصوف العلمي مع مضمون النص الشرعي ملاءمة تامة من حيث السياق ومن حيث المعنى، كما تدلّ عليه اللغة العربية، لغة القرآن والسُّنة.

وإذا فُقد هذا الشرط الأساسي أصبح الموضوع المُعالج تأويلاً محتملاً للنص الشرعي وذلك غير محمود، لأنه لا يُعبّر عن حقيقة الدلالة التي يشير إليها النص، وبذلك نكون قد حمّلْناه ما لا يحتمل.

فلا يصح - على سبيل المثال - أن نقول: إن الآية الكريمة: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40] تتحدث عن إعجاز علمي في مجال علم الأجنة إذا طابقنا معناها على الأحداث التي تجري في الرحم، لأن سياق الآية يتكلم يقيناً عن سمة فلكية مُحدّدة وظناً عن ظاهرة كونية عامة، وبالتالي فهي غير مطابقة للإعجاز في مجال علم الأجنة، غير أنه يجوز

(1) لسان العرب لابن منظور - مادة «طبق» (ج8/ ص120).

الاتعاظ بها عموماً على أنها تُلمّح إلى أن الباري ﷻ جعل الدوران سمة عامة لتسبيح المخلوقات الكونية في الغالب كما نرى[1].

قولنا (معان كثيرة ومتوافرة):

معانٍ: جمع معنى، والمعنى هو المفهوم من لفظٍ مُستعملٍ، وهو يُستخرج من لفظ يدلّ عليه.

فاللفظ إذن دالٌّ على المعنى، كما أن المعنى هو مدلول اللفظ.

والمعنى - في هذا المقام - هو: المفهوم من اللفظ الذي ورد في نصوص القرآن والحديث الشريف، وعليه أن يُطابق حقيقة علمية كما أسلفنا ذكره، وهذا يعني أن هناك حقيقة علمية ترافق كل معنى ورد في مجال الإعجاز العلمي.

وهذه المعاني - أي هذه الإشارات إلى الحقائق العلمية - عليها أن تكون كثيرة ومتوافرة في النصوص الشرعية ليقع الإعجاز، وإلا فهناك احتمال أن يحكم عليها بعض القرّاء بأنها أتت على سبيل الصدفة.

وكلما ازدادت وفرة هذه الإشارات قلّ الاحتمال أن تأتي مصادفة، وذلك لأن الاحتمال أن تتكرر مصادفةً يتضاءل عكسياً مع كثرة الوقوع كما نعلم في (علم الإحصاء STATISTICS). كذلك فإن احتمال وقوع المصادفة في المعرفة لأمور غيبية يقلّ مع كثرة التكرر لأن معرفة أمور غيبية تتناسب عكسياً مع القدرة البشرية نظراً لسعتها المحدودة، وذلك أن الطبيعة البشرية تعجز شيئاً فشيئاً عن الإحاطة بأكثر مما حولها من غيبيات - كلما ازدادت - هذا إن استطاعت أن تكشفها -، وخاصة إذا توجبت قدرة خارقة على معرفتها، وانعدمت الوسائل التي تتيح اكتشافها.

أضف إلى ذلك أنه كلما تشعبت هذه الإشارات الإعجازية في كلّ اتجاه ازداد الإعجاز قوّة، وذلك أن التحدث عن أمور دقيقة في أكثر من مجال يتطلب - فيما يتطلب - عدة اختصاصات في عدّة أنواع من العلوم لدى شعوب البعثة (وهذه العلوم لم تكن متوفرة إبان التنزيل)، وهذا أيضاً يتناسب عكسياً مع القدرة البشرية. ويكون الإعجاز أضخم إذا كشف الرسول ﷺ عن كثير من الجوانب لكل من الظواهر الكونية الذي تناولها كلّ على حده، حتى إذا جمعنا كل المعاني التي وردت في نصوص

---

(1) لمزيد من التفاصيل الرجاء مراجعة مبحث «**هجرة النطفة من المستودع إلى الرحم**».

القرآن والسنة عن العديد من الظواهر الكونية الغيبية، وعن العديد من صفات كل من هذه الظواهر الكونية، أصبح لدينا مجموعة هائلة من الكشوفات الإعجازية، تشكل مجموعة متواترة قطعية الدلالة في مجموعها، على أنه لا يستطيع رجل واحد أميّ أن يتكلم بها أمام شعوب عجزت لمئات من السنين عن الإتيان بقليل منها إلا إذا أيّده الله تعالى من عنده.

وبما أنه ليس من غرض هذا البحث التكلم بتفصيل عن كل هذه الكشوفات والمعاني، نكتفي بالإشارة إلى القليل من الإعجازات العلمية الكبيرة والمهمة التي تكلم عنها رسول الله ﷺ، أو عن بعض المجالات العلمية التي أوجد فيها الرسول ﷺ - بإعلام الله تعالى - إعجازات علمية عديدة، حتى يتسنى للقارئ أن يأخذ فكرة عن ضخامة الإعجاز. ومن أراد الاطلاع عليها تفصيلاً فيستطيع أن يقرأ عنها في العديد من كتب العلماء الأثبات الموجودة في المكتبات.

ومن الإعجازات العلمية في القرآن والسنة:

1 - في مجال (علم تخلق الجنين EMBRYOLOGY): إن الأعضاء الأساسية في الجنين تتخلق خلال أربعين يوماً كما يشير إليه الحديث الشريف: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ وهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ: «إنَّ أحدَكُمْ يُجمعُ خَلْقُهُ في بطْنِ أُمِّهِ أرْبعينَ يوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ في ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ في ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فيَنْفُخُ فيهِ الرُّوحَ ويُؤْمَرُ بأرْبعِ كَلماتٍ» **[أخرجه مسلم ح43]**.

2 - في مجال (علم الرضاعة BREAST FEEDING): إن هناك قنوات صغاراً يسيل فيها اللبن في ثدي الأم للحديث: «لا يُحرِّمُ من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام» **[أخرجه الترمذي ح56]**.

3 - في مجال (علم الوراثة GENETICS): إن هناك مورثات مسيطرة ومورثات متنحية للحديث: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ ماءَ الرَّجُلِ غليظٌ أبيضُ، وماءَ المَرْأةِ رقيقٌ أصْفَرُ، فمِنْ أيِّهِما علا أوْ سبقَ يَكُونُ منْهُ الشَّبَهُ» **[أخرجه مسلم ح67]**.

4 - في مجال (علم البحار OCEANOLOGY): إن هناك تيارات باطنية في البحار تحدث أمواجاً داخلية كما في الآية: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40].

5 - في مجال (علم الجيولوجيا GEOLOGY): إن الجبال بمثابة تثبيت للقشرة الأرضية كما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: 15].

6 - في مجال (علم الميكروب MICROBIOLOGY): إن هناك نسمة - أي بكتيريا - تنقل الأمراض عبر الهواء كما أشار إليه الحديث: عنْ جابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّه ﷺ قالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللّه ﷺ يقُولُ: «غطُّوا الإناءَ وأوْكُوا السِّقاءَ فإنَّ في السَّنةِ ليْلةً ينْزِلُ فيها وباءٌ لا يمُرُّ بإناءٍ ليْس عليْه غطاءٌ أوْ سقاءٍ ليْس عليْه وِكاءٌ إلاَّ نزل فيه منْ ذلك الْوباء» [أخرجه مسلم ح79].

7 - في مجال (علم الفلك ASTRONOMY): إن ضغط الهواء يتضاءل شيئاً فشيئاً كلما صعدنا في السماء كما جاء في الآية الكريمة: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 125].

8 - في مجال (علم التبيؤ ECOLOGY): إن الذبابة تحمل في أحد جناحيها الداء، وفي الجناح الآخر المادة المضادة لهذا الداء للحديث الذي رواه أبو هُرَيْرة ﷺ: قال النّبِيُّ ﷺ: «إذا وقع الذُّبابُ في شراب أحدكُمْ فلْيغْمِسْهُ ثُمّ لِيَنْزِعْهُ فإنّ في إحْدى جناحيْه داءً والأُخْرى شفاءً» [أخرجه البخاري ح99].

9 - في مجال (العلم الباطني INTERNAL MEDECINE): إن سائر أعضاء الجسد تساهم وتتفاعل وتتكاتف في الدفاع عن الجسم إذا ما أصيب بمرض للحديث: قال رسُولُ اللّه ﷺ: «ترى الْمُؤْمنين في تراحُمِهِمْ وتوادِّهِمْ وتعاطُفِهِمْ كمثلِ الْجسدِ إذا اشْتكى عُضْوًا تداعى لهُ سائرُ جسدِهِ بالسّهرِ والْحُمّى» [أخرجه البخاري ح100].

10 - في مجال (علم النفس PSYCHOLOGY): إن مقدم الرأس هو المسؤول عن التحكم في الأفكار كما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: 16].

- قولنا (معان . . . صريحة في دلالتها):

كما أشرنا إليه سابقاً فإن المعنى هو المفهوم من لفظ مُستعمَل.

واللفظ يأتي في جملة مركبة، وهو يعود لجذر محدد، ولهذا الجذر كثير من التفريعات، وقد تكون لتلك التفريعات معان مختلفة في أحيان، ومتفقة في أحيان أخرى.

وبما أن معاني اللفظ الواحد قد تكون متعددة، وقد يكون اختلافها بيّناً، فيتوجّب عندها إيجاد ضابط للانتقاء من هذه المعاني.

والضابط في هذا المجال هو معنى جذر الكلمة المعتبرة.

لذا فإن جذر الكلمة هو قُطْبُ الرَّحى الذي يترتب عليه فهمُ معنى أيِّ فرعٍ من فروع تلك الكلمة.

والمعتبر في معاني الفروع أن تكون لها صفة مشتركة على الأقل مع معنى جذر الكلمة الأم.

وبذلك تصبح معاني النصوص الشرعية المعتبرة التي يشار إليها واضحة ومنضبطة[1].

---

(1) دونك أمثلة عن ارتباط بعض الكلمات بجذرها، فعلى سبيل المثال: فإن جذر كلمة «مضغة»، التي جاءت في الآية ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [المؤمنون:14]، هو: «مضغ» ومعناه لاك.
جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (مادة «مضغ» - ج5/ص331): «مضغ: الميم والضاد والغين أصلٌ صحيح. وهو المضغ للطعام، ومضغه يمضغه. والمضاغ: الطعام يُمضغ. . . والمضغة: قطعة لحم، لأنها كالقطعة التي تؤخذ فتمضغ. . .».
والمضغة في اللغة العربية تشير في بعض معانيها إلى الشيء الصغير (انظر مبحث «المضغة»). وفي هذه الحالة فإن الصفة الجامعة للمعنيين السابق ذكرهما، أي بين معنى جذر الكلمة ومعنى الكلمة الفرع، هي الصِّغر، وذلك أن المادة التي تمضغها الأسنان لا بد أن تكون صغيرة، فالفم يعجز عن أكل قطعة كبيرة.
ومن الأمثلة التي نستعرضها أيضاً معنى كلمة «علقة»، التي جاءت في الآية: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون:14]، فجذر كلمة علقة هو فعل «علق» وهو يعني أن يناط الشيء بالشيء العالي أي: أن يلتصق به. (مقاييس اللغة لابن فارس - مادة «علق» - ج4/ص125).
جاء في معجم مقاييس اللغة العربية لابن فارس (مادة «علق» - ج4/ص125 - 126): «علق: العين واللام والقاف أصلٌ كبير صحيح يرجع إلى معنًى واحد، وهو أن يناط الشيء بالشيء العالي، ثم يتسع الكلام فيه، والمرجع كله إلى الأصل الذي ذكرناه. . . والعلق: الدم الجامد، وقياسه صحيح، لأنه يعلَقُ بالشيء. . . ومن الباب: العَلَقة: دويبة تكون في الماء، والإناطة - (كما جاء في معجم=

كذلك فمن الأهمية بمكان انسجام جميع معاني اللفظ الذي يشير إليه الباحث في مجال الإعجاز العلمي مع سياق النص الشرعي، وثوابت الشريعة الإسلامية، ومفهوم النص العام، وكذلك مع مفهوم العلم الكوني اليقيني، بحيث تؤدي مفهوماً متوافقاً مع النقل والعقل.

وقد يسأل القارئ: ما الداعي إلى هذه التعددية؟ ألا يجعل ذلك الأمر معقداً على الباحث في الإعجاز؟

والجواب - وبالله التوفيق - : هو أن من أوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، أن الخطاب الشرعي موجه في كل الأزمنة لكل المجتمعات، وبالتالي فإنه يتضمن أكثر من معنى في بعض الأحيان، فيتلاءم مع كل الطبقات، ويتدبره السامع على اختلاف منزلته العقلية.

وإن ذلك - لا شك - كما يصدق في النص القرآني، فإنه يصدق كذلك في كلام النبي ﷺ القائل: «بُعثتُ بجوامع الكَلِم» **[أخرجه البخاري ح13]**[1].

=مقاييس اللغة لابن فارس - مادة «نوط» - ج5/ ص370) - : «نوط: النون والواو والطاء أصلٌ صحيح يدلُّ على تعليق شيء بشيء».

وكلمة العلقة في اللغة العربية لها عدة معانٍ منها: قطعة الدم الرطبة أو الجامدة أو الحمراء. ومنها: الدودة التي تعيش في الترك وتتغذى من دماء الحيوانات الأخرى (انظر مبحث «**العلقة**»). والصفة التي تجمع بين الانتصاق ودودة العلقة، أي بين معنى الجذر ومعنى الفرع، هو أن هذه الدودة تحتاج إلى الالتصاق بالدواب لكي تمتص دماءها، والصفة التي تجمع بين الالتصاق وقطعة الدم الحمراء الرطبة والجامدة هي: أن قطعة الدم تلتصق لرطوبتها بجلد الإنسان، ومن الأفضل أن تكون جامدة وإلا لسالت على الجلد، وبطبيعة الأمر فإنها حمراء.

وكذلك كلمة «تغيض» التي وردت في الآية: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: 8]، تأتي من فعل «غاض» ومعناه: نقص. (مقاييس اللغة لابن فارس - مادة «غيض» - ج4/ ص405).

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (مادة «غيض» - ج4/ ص405): «غيض: الغين والياء والضاد أصلٌ يدلُّ على نقصانٍ في شيء، وغموضٍ وقلة».

ومن معاني كلمة «غاض» أيضاً: دخل في ... (معجم مقاييس اللغة لابن فارس - مادة «غيض» - ج4/ ص405). (انظر مبحثي «**ازدياد الأرحام وغيضها**»، و«**غيض النطفة في الرحم واستقرارها**»). ووجه الشبه بين المعنيين هو: أن نقصان الشيء في بعض الحالات يستوجب وُلوجه داخل جسم شيء آخر، مثل: نقصان ماء البحيرة: فنقصانها يكون إما بتبخر مائها وإما بوُلوجه باطن الأرض.

والأمثلة عن معاني الألفاظ عديدة، نترك للقارئ استكشافها من خلال استعراضه لمعاني الكلمات المدرجة في هذا الكتاب.

(1) انظر مبحث «**المنهجية المتبعة في وصف الأطوار الجنينية**».

ولوقوع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة فإنه لا بد من أن تشمل المطابقة بين السنن الكونية ومضمون النصوص الشرعية - على الأقل - معنى واحداً من معاني الكلام الذي ورد في تلك النصوص.

ولا يشترط تطابق معاني الجذر المعتبر جميعها على السنة الكونية التي يشير إليها الباحث، وذلك لتعذّر توافق هذه المعاني جميعها - وقد تشعّبت في اتجاهات مختلفة - على شيء واحد. وكذلك لأننا لا نعلم حقيقة ما يرمي إليه اللفظ، فقد يرمي إلى بعض المعاني دون الأخرى، فإذا كانت الدلالة واضحة اكتمل التوافق واستقر التفسير، ومن ثم تتحدد دلالات ألفاظ النصوص الشرعية بما استقر من حقائق علمية؛ وهذا هو الإعجاز - إن شاء الله تعالى - كما نرى.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن معاني ألفاظ القرآن الكريم متعددة، وأن العلم لم يستقر في غالب مجالاته، لذا فإن الإعجاز العلمي قد ينكشف تدريجياً، والضابط في تلك المعاني يبقى مرتبطاً بدلالات اللغة العربية، وقواعدها، وأساليب الخطاب فيها، وكذلك بقواعد البيان البلاغي فيها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: 3].

ومن أمثلة الضوابط في مجال النحو: أن يكون المعنى منسجماً مع الدلالة النحوية للنص القرآني، وإلا لفَقَد معناه. فعلى سبيل المثال: فقد فسّر البعض الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69] تفسيراً خاطئاً صريحاً وجلياً، وجعل «لَمع» بمعنى الفعل - أي أن الله تعالى لَمع المحسنين بمعنى أضاءهم -، ومن المعلوم أن فعل «لمع» غير متعدٍ، لا يأتي له مفعول به، وفعل «لمّع» بتشديد الميم هو الذي يأخذ مفعولاً واحداً، وبالتالي فهذا التفسير مخالف للدلالات اللغوية النحوية، ولام "لمع" تسمى المزحلقة تتصل بخبر "إنّ" وليست من أصل الكلمة. ومن أمثلة الضوابط في مجال البيان البلاغي: أن تراعى قاعدة أن لا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية، فإن خرج، وعُدل عن الحقيقة إلى المجاز[1]، فعلى المجاز أن ينضبط بضوابط التأويل التي تقتضي وجود قرينة من نص آخر (مثل حديث نبوي شريف)، أو قياس، أو كما درج عليه المفسرون، مع

(1) والمجاز ينقسم إلى نوعين: المجاز الصريح: وهو المجاز الذي ظهر المراد به في نفسه، ولا حاجة لنا فيه أن نلجأ إلى قرينة خارجية حتى نفسره، والكناية: وهو المجاز الذي خفي المراد به في نفسه، ويحتاج إلى دقة في النظر والتفكير لاستنباط معناه، وبالتالي يجب علينا أن نعتمد على قرينة كافية لتفسيره.

احتمال اللفظ للمعنى المرجوح احتمالاً لغوياً لا غبار عليه، واحتواء العلم الكوني اليقيني للفظ احتواء كاملاً.

وفي هذه الحال يُعتبر التفسير من باب **التأويل المحمود**، ولا يُعد إعجازاً علمياً، لأن المجاز ليس بحقيقة مطردة ذات دلالة قطعية[1]، وذلك أن اللفظ

---

(1) وقد التزمت بالغالب بهذه القاعدة، في بحثي هذا، لأن أغلب ما يتعلق بمسائل الإعجاز التي أدرجتها في هذا الكتاب لا تخرج عن الحقائق اللغوية للنصوص، ولكن تحتاج إلى تعمق في دلالاتها ومقاصدها.
كذلك اعتمدتها خروجاً عن الخلاف، لأن أغلب الباحثين والعلماء في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة يعتمدونها، وفي رأيي أن هذا أمر حميد، وقاعدة جليلة ينبغي التمسك بها، ولكن يجب أن لا ننسى تلك المجازات الصريحة المنضبطة، ذات القرائن الواضحة القريبة، وذات الدلالات المعتبرة، التي ضبطها العلماء المحترزون بمقاصد العربية، وصنفوا فيها الكتب، حتى أصبح بعضها لشهرته - مع كونه مجازاً - مرادفاً للحقيقة اللغوية، ولايقل عنها بحال، إما استعمالاً في القواميس، وإما عرفاً بين الناس في عصر الاحتجاج، وخصوصاً إذا وردت في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، حيث إن الحقائق العلمية، إلى جانب العرف اللغوي للكلمة المعتبرة، وشهرتها بين الناس، تزيد دلالاتها وضوحاً إلى درجة أنها قد تصبح قطعية، وهذه هي التي نتكلم عنها (لضرب الأمثال راجع الحاشية (رقم 4، ص143) في مبحث «**اختلاط عروق النطفة**»).
والأخذ بهذه المجازات قد يصبح من المسلّم به إذا فهمنا أن المعنى الذي يريده المتكلم قد يوافق الحقيقة اللغوية (مثل أن نقول: «فلان كثير الرماد»: أي كريم جداً لشدة ما يوقد النار لإطعام زائريه)، فهنا اتفقت إرادة المتكلم مع حقيقة ما وضعت له الكلمة، ولكن إذا أراد المجاز لعين هذه الكلمة، فهنا تختلف إرادته مع حقيقة ما وضعت له الكلمة، وهذا الاختلاف جاء لقرينة تدلّ على المعنى الذي يريده المتكلم. والفيصل في هذا المناط هو إرادة المتكلّم. فالكلمة تصبح فيما أراده لها المتكلم، وعلى هذا فلا ينبغي إهمال إرادة المتكلّم بحال، لأنه هو أراد المعنى، واختار له وعاءه اللفظي، ورآه مناسباً لغرضه من كلامه، مع كون هذا الوعاء (الكلمة) لم يوضع في الحقيقة لما أراده المتكلّم. وإذا تقرر الكلام أعلاه، فنحن نعلم أن الذي تكلّم بالقرآن هو الله تعالى، وأن المجاز إذا ورد في القرآن الكريم ضمن الشروط المعتبرة والقرائن الواضحة، فهو إرادة المتكلّم بالقرآن الكريم للمعنى الذي أراده، ولا يضر بعد ذلك في أي وعاء (كلمة) وضعه.
وللعلم فإن القرآن الكريم مليء بالمجاز المنضبط. وقد أقام الفقهاء الأثبات عليه في كثير من الأحيان أحكاماً شرعية، لتنبيههم أن المعنى المراد إيصاله لعامة الناس قد أصبح جلياً، ونسبة الخطأ في معرفة إرادة المتكلّم فيه ضئيلة جداً، والأمثلة في هذا الباب كثيرة جداً مثل:
1 - ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء:2]، فالمراد باليتامى: البالغون.
2 - ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف:36]، فإن المراد بالخمر: العنب.
3 - ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:72]، فإن المراد بالأعمى: الرجل الذي يبصر نور الشمس، ولكن أعمى عن نور الهداية.

استُعْمِل في غير ما وُضِع له[1].

وفي هذا البحث نعطي بعض الأمثلة للمجاز: فالحديث: «أرضعيه ولو بماء عينيك...» [رواه ابن عساكر ح 95] يعتبر من باب المجاز الصريح ولا يحتاج لقرينة خارجية. وأما الحديث: «إنَّ إبْرَاهِيمَ ابْنِي، وإنَّهُ مات في الثَّدْيِ، وإنَّ لَهُ لَظِئْرَيْنِ تُكَمِّلانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ» [أخرجه مسلم ح96]، فهو من باب الكناية لأن عبارة «مات في الثدي» استعملت في غير ما وُضعت له، وهي غير واضحة بنفسها، بيد أن عبارة «مات في الثدي» معروفة لدى عامة المفسرين أنها تعني: مات في سن الرضاعة، والسياق العام للحديث يشير إلى هذا المعنى. وأما الحديث: «لايحرّم من الرضاعة

---

4 - ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:92]، فإن المراد بالرقبة: العبد.

5 - ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ [البقرة:19]، فإن المراد بالأصابع: رؤوس الأنامل.

6 - ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران:107]، فإن المراد برحمة الله: الجنة.

7 - ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:143]، فإن المراد بالإيمان: الصلاة، إلى ما هنالك من مجازات في القرآن الكريم.

والمتكلّم البليغ لا يعمد في إبراز معنى يريده، من كلمة وضعت له في الأصل، إلى كلمة لم توضع له في الأصل، إلا لإدراكه أنه لا يؤدي المعنى الذي أراده على وجه الدّقة إلا الكلمة التي عمد إليها، لا الكلمة التي تركها مع كونها وضعت للمعنى الذي أراده في الأصل.

ولا ينبغي أن نلغي هذه المواد المثرية للدراسات في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة من أجل الممارسات الخاطئة والكثيرة التي صدرت، وتصدر من بعض الناشطين في هذا المجال.

وينبغي أن نعلم أن المجاز كثير منه يقوم على التعبير بالصورة، إما عن طريق التشبيه، وإما عن طريق الاستعارة، وإما عن طريق الكناية... والتعبير بالصورة ضروري جدًا لإبراز الكثير من المعاني المعقولة في صور محسوسة، وفي إبراز الخفي في مقام التوضيح، وفي تقريب المعاني البعيدة بصور مفهومة قريبة، وكل هذا يقرّب إلى الأذهان المعاني التي يريد المتكلّم إيصالها إليهم.

وقد يصبح هذا الأمر من المتطلّبات إذا ما اشتدّت إليه الحاجة، مثل ما قد يقع في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، حيث إن المعاني المراد إيصالها للصحابة أو التابعين... كانت غريبة عليهم جد الغرابة، ولا يمكن بحال أن يتصوروها لبعد إطارها عن إطار الحقائق الظاهرة لهم، فهؤلاء - رضوان الله تعالى عليهم - لم يتسنّ لهم أن يتعرّفوا على الحقائق العلمية الخفية الغريبة التي تكمن وراء وجودهم، ولا يمكن استيعابها لبعدها عن واقعهم المحسوس مثل: أن الذي يتحكم بالإنسان - بإذن الله - هي حبال طويلة في منتهى الصغر حيّة: تطير (أي تنتشر)، وتتمدد وتتضاعف...

فالمسألة فيها نظر، بالنسبة للمجاز الصريح المنضبط الجلي.

(1) فالمجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة. كتاب أصول الفقه الإسلامي، د. إبراهيم السلقيني، الفصل الأول: التقسيم الأول للفظ باعتبار الاستعمال، ص 291 - 293.

إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام» [أخرجه الترمذي ح56] فإن معناه غير واضح لعامة الناس، بيد أن ظاهر الحديث يتكلم عن ظاهرة كونية، وبالتالي يجب أن نتحقق من أن معناه لا يشير إلى حقيقة علمية قبل أن نصرفه إلى المجاز، خصوصاً وأن القاعدة تنص على أن لا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية. وقد حمل معظم المفسرين الحديث على غير محمله لأنهم ارتكزوا في تفسيره على الحديث السالف ذكره الذي رواه مسلم، والذي يحتوي على كناية. وقد أقرّ العلم أن هناك لبناً يخرج من الثدي ويفتق الأغشية - أي الأمعاء - الموجودة فيه، وهو ينبت لحماً للرضيع شبيهاً من الناحية الفيزيولوجية بلحم أمه من الرضاعة، مما يسبب حرمة الطفل بأمه من الرضاعة[1]، وبالتالي فإن المعنى يجب أن يُحمل على الحقيقة[2].

وبما أن القرآن نزل على قوم بلغتهم التي يعرفونها، فيجب عند ذلك مراعاة معاني المفردات كما عهدها أهلها عند نزول الوحي، ولا يُقبل أي تفسير جديد إلا إذا كان متوافقاً مع ثوابت الشرع، والمحكم من نصوصه. ونقول: إنه يجب أن يكون المعنى متوافقاً مع ثوابت الشرع وذلك أنه لما كان التفسير هو للآيات والأحاديث الكونية، فهذه الأخيرة من جملة النصوص الشرعية، وفرع من فروعها، وقد قعّد لها علماء التفسير قواعد عدّة تلقتها الأمة بالقبول، وبالتالي علينا أن نتبع تلك القواعد.

وما نرى منْ مسوّغ لتحميل النصوص ما لا تحتمل، فهذا أمر مرفوض ابتداءً، أسأل الله تعالى أن يجنبنيه في كتابي هذا.

وأما المصادر التي سنستقي منها التفسير للألفاظ التي وردت في نصوص الكتاب والسنة، فنلخصها كما يلي:

1 - القرآن الكريم: أي أن يكون معنى اللفظ الوارد في النصوص الشرعية، والذي يُقصد مطابقته للحقيقة العلمية، مفسراً بواسطة آية قرآنية.

2 - المأثور عن النبي ﷺ: أي أن يكون معنى اللفظ الوارد في النصوص الشرعية - والذي يُقصد مطابقته للحقيقة العلمية - مفسراً بتفسير نبوي عنه.

3 - المأثور عن الصحابة: أي أن يكون معنى اللفظ الوارد في النصوص الشرعية - والذي يُقصد مطابقته للحقيقة العلمية - مفسراً من قبل الصحابة - رضوان الله تعالى عنهم - العالمين باللغة العربية تمام العلم وبتأويل القرآن، مثل ابن عباس رضي الله عنهما.

(1) للمزيد من التفاصيل انظر مبحث «رعاية الخلق: **الرضاعة/ باب أسباب تحريم المرضع**».

(2) للمراجعة انظر مبحث «**رعاية الخلق: الرضاعة**».

4 - معاجم اللغة العربية: التي تُعنى بتفسير اللغة العربية كما كانت سائدة إبان عهد الرسالة، حيث ينبغي على اللفظ الوارد أن يدل على المعنى كما وُضع له من قبل اللغويين، أو كما عُرف عند عامة العرب.

5 - المجاز المنضبط - كما أسلفنا ذكره - مع الإشارة إلى أن التأويل من باب التفسير، إلا أن تكون دلالته قطعية فيعتدّ به عندئذ.

ولقد تكلمنا عن معاني الكلمة التي تأتي في الجملة المركبة، وقد أوضحنا أن هناك كثيراً من المعاني نستطيع اعتمادها إذا كانت لها صفة مشتركة مع معنى جذر الكلمة المعتبرة، وانسجمت مع مفهوم النص العام، ومع سياق النص الشرعي، ومفهوم العلم الكوني اليقيني.

بيد أن هناك معانٍ أخرى - غير معاني الكلمة المعتبرة - نستطيع أن نستقيها من المفهوم العام للنص الشرعي. فعلى سبيل المثال: نفهم من كلمة «أحلّ» التي أتت في الآية: ﴿... وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: 275]، أن الله تعالى أباح البيع، ومن كلمة «حرّم» أن الله عزّ وجلّ منع التعاطي بالربا، ولكن نفهم أيضاً من المفهوم العام للآية القرآنية أن الآية تشير أصالةً وقصداً أن الله تعالى فرّق بين البيع والربا، وأوضح أن البيع لا يماثل الربا، مع العلم أن كلمة «أحلّ» وكلمة «حرّم» لا تشيران مباشرة إلى عملية التفريق هذه.

ولا نريد أن نعلّق على دلالة النص الشرعي على ظاهرة مقصودة أولاً وبالذات، مثل: حكم التفريق بين البيع والربا السالف ذكره، لأنه أمر مُسلّم به، ولكن نريد أن نضع ضوابط لدلالة النص الشرعي على معانٍ قد تُستنبط من المفهوم العام للنص الشرعي.

وقد أحلّ تعالى الاستنباط في قوله: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 83].

وقد أقرّ الفقهاء نوعين من الدلالات: دلالة المنطوق، ودلالة المفهوم[1].

(1) للمراجعة: أصول الفقه الإسلامي، د. إبراهيم السلفيتي، الفصل الثاني: التقسيم الثاني باعتبار كيفية دلالة اللفظ على المعنى، والفصل الثالث: المنطوق والمفهوم، ومفهوم المخالفة، ص243 إلى 258.

وأما دلالة المنطوق فتُقسّم إلى ثلاثة أنواع[1]:

1 - عبارة النص: وهو دلالة اللفظ على حكم مقصود في النص أصالة أو تبعاً. وفي مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: هو دلالة اللفظ على معنى يشير إلى ظاهرة كونية مقصود في النص أصالةً أو تبعاً.

وما يعنينا هنا هو الدلالة التبعية لأن الدلالة الأصلية أمر مُسلم به.

وهذه الدلالة يحتج بها، لأن المعنى الذي يشير إلى الظاهرة الكونية يثبت تبعاً بنفس اللفظ.

فعلى سبيل المثال: إن الحديث: «إذا وقعت النطفة في الرحم . . .» **[رواه الطبري ح32]** يفيد أصالةً أن النطفة تقع في الرحم، ويشير تبعاً إلى أن النطفة تأتي من خارج الرحم، وأن النطفة تخرج من مكان يعلو سطح الرحم، حتى تدخله وتقع فيه[2].

كذلك الحديث: «. . . فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عِرْق وعصب منها. . .» **[أخرجه الطبراني ح21]** فهو يشير أولاً وبالذات أن ماء الرجل ينتشر في ماء المرأة، ويشير تبعاً أن ماء (أي نطفة الرجل) أصغر من نطفة المرأة وإلا لما انتشر فيها[3].

2 - إشارة النص: وهي دلالة اللفظ على حكم (أي معنى يشير إلى ظاهرة كونية) لم يُقصد من النص أصالة ولا تبعاً، ولكنه لازم للمعنى الذي ورد الكلام لإفادته، فلا يتبادر فهمه من اللفظ، ولكنه معنى لازم للمعنى المتبادر. فهو مدلول اللفظ بطريق الالتزام.

وهذه الدلالة يحتج بها، لأن المعنى الذي يشير إلى الظاهرة الكونية يثبت لزوماً بنفس اللفظ.

ونعطي مثالاً على هذه الدلالة: فالحديث: «إن الله تعالى إذا أراد خلْق النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عِرْق وعصب منها» يشير

(1) وقد أثبت هذه التقسيمات جلُّ من كتب في أصول الفقه المقارن، فانظر ذلك في أصول الفقه للدكتور وهبي الزحيلي، وأصول الشيخ الأزهري عبد الوهاب خلاف، وأصول الشيخ زكي شعبان، والمستصفى للإمام الغزالي، وكتب الأصول التي تراعي قواعد الحنفية. كأصول المنار ونسمات الأسحار وأصول السرخسي.

(2) انظر مبحث «مكان مستودع النطف، خلق نطفة الأمشاج، وموقع الإخصاب».

(3) انظر مبحث «اختلاط عروق النطفة».

لزوماً إلى أن ماء (أي نطفة) الرجل دخل ماء (أي نطفة) المرأة، وإلا لما استطاع أن ينتشر فيه(1).

كذلك فإن الحديث: «إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكاً فقال: يا رب: مخلّقة أو غير مخلّقة؟، فإن قال: غير مخلّقة مجّتها الأرحام دماً، وإن قال: مخلّقة قال: يا رب: فما صفة هذه النطفة؟...» [رواه الطبري ح32] يشير لزوماً إلى أن النطفة التي تقع في الرحم مُخصبة، لأنه لا معنى أن يسأل الملك الله - جلّ وعلا - هل ستتخلق النطفة أم لا، وذلك أن النطفة التي لا تُخصّب يستحيل عليها أن تتخلق، أو أن يُخلّقها الملك. بيد أن النطفة لو كانت مُخصّبة لكان هناك احتمال أن تتخلق، أو أن يمجها الرحم دماً (في ظاهرة تُعرف بـ«الإجهاض التلقائي»)(2).

3 - اقتضاء النص: هو دلالة الكلام على لازم مسكوت عنه، يتوقف عليه صدقُ الكلام أو صحته عقلاً أو شرعاً... حيث إن هذا النوع من الدلالة يقتضي صدق الكلام أو صحته.

وهذه الدلالة مُعتبرة، لأن الثابت بها أمر ضروري لصدق الكلام وصحة معناه.

فعلى سبيل المثال: إن ظاهر الحديث: «لا تُحرّم المصّة ولا المصّتان» [أخرجه أحمد ح60] يشير إلى أن المصّة لا تثبت بها محرمية الابن بأمه من الرضاعة، وهذا لا يصح عقلاً، لأن المصّة بنفسها لا تشكل سبباً للتحريم في أي حالٍ من الأحوال، وبالتالي لا بد من تقدير ليكون الكلام سليماً، وذلك بأن يُقدر أن لبن المصة هو المعني، وبذلك يصبح معنى الحديث: لا يحرّم [لبن] المصة والمصتين.

وكذلك فإن عملية الفتق في الحديث: «لا يُحرّم من الرّضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي، وكان قبل الفطام» [رواه الترمذي ح56] لا تسبب التحريم بنفسها، وإنما اللبن المسبب لعملية الفتق، هو الذي يسبب التحريم. فيصبح معنى الحديث هكذا: لا يحرم من الرضاع إلا [اللبن] الذي يفتق الأمعاء في الثدي ويكون قبل الفطام. حيث إنه ينبت اللحم وينشز العظم كما في الحديث: «لا يُحرّم من الرضاع

(1) انظر مبحث «اختلاط عروق النطفة».

(2) انظر مبحث «مكان مستودع النطف، خلق نطفة الأمشاج، وموقع الإخصاب».

إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم» [أخرجه أحمد ح58]، وتقدير الحديث الأخير أنه لا يحرم من الرضاع إلا [اللبن] الذي ينبت اللحم وينشز العظم(1).

كذلك، فإن ظاهر الحديث: «إن الله تعالى إذا أراد خلْق النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عرْق وعصب منها» [رواه الطبراني ح21] يشير إلى أن الماء يطير (أي ينتشر) في كل عرق من عروق المرأة (حيث إن ضمير الهاء في كلمة «منها» يعود إلى المرأة)، وهذا يستحيل عقلاً. ولكي يصح معنى الحديث ويصبح مقبولاً، فلا بد من تقدير، وذلك بأن يقدر أن ماء المرأة هو المعني، فيصبح معنى الحديث: طار ماء الرجل في كل عرق وعصب من [ماء] المرأة(2).

وأما ظاهر النص القرآني الكريم: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝﴾ [الطارق: 5-7] فيشير إلى أن الماء الدافق يخرج من مكان ما يقع ما بين الصلب والترائب، والحقائق العلمية اليقينية لا تشير إلى هذا، بل إلى أن الماء الدافق يخرج من إحليل الرجل ومبيض المرأة، وأن مكونات الماء الدافق تخرج من مكان ما يقع ما بين الصلب والترائب، ولذلك لا بد من تقدير ومفاده: خُلق من ماء دافق، تخرج أعضاؤه [أو مكوناته] من بين الصلب والترائب.

ونعطي مثالاً آخر: فظاهر الحديث: «ليس ذلك بالحيض إنما هو عرق» [أخرجه أحمد ح27] ينص على أن الدم الذي يتكلم عنه النبي ﷺ هو العرق، وهذا يستحيل عقلاً وشرعاً، ولابد من تقدير ليصبح الكلام مقبولاً وتقديره: ليس ذلك بالحيض إنما هو [دم] عرق(3).

وأما دلالة المفهوم فتُقسَم إلى نوعين:

1 - مفهوم الموافقة (ويسمى: دلالة النص عند علماء الحنفية): وهو دلالة اللفظ على ثبوت حكم المنطوق (أي معنى المنطوق الذي يشير إلى الظاهرة الكونية)، للمفهوم، المسكوت عنه، لاشتراكهما في علة (وفي مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: لاشتراكهما في صفة) يفهم كل عارف باللغة أنها مناط الحكم (أي

---

(1) انظر مبحث «رعاية الخلق: الرضاعة» للتعليق على الأحاديث: «لا تحرم المصة ولا المصتان» [أخرجه أحمد ح60]، و«لا تحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي، وكان قبل الفطام» [أخرجه الترمذي ح56]، و«لا يحرم من الرضاع إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم» [أخرجه أحمد ح58].

(2) انظر مبحث «اختلاط عروق النطفة».

(3) انظر مبحث «ازدياد الأرحام وغيضها».

أنها مناط المعنى الذي يشير إلى الظاهرة الكونية)، ولا تحتاج إلى اجتهاد أو قياس فقهي، سواء أكان المسكوت عنه أولى أم مساوياً للمنطوق.

وهذه الدلالة يُعتدّ بها، لأن المعنى الذي يشير إلى الظاهرة الكونية ثابت بالنص بواسطة الصفة.

فعلى سبيل المثال: يشير منطوق الآية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ...﴾ [البقرة:223] أن حمل النساء يشابه عملية الزرع، ويشير مفهوم الآية أن النطفة هي بمثابة الحب الذي يُقذف في الأرض، حيث إن عملية الحرث ترتكز على زرع الحب، والحمل على زرع النطفة[1].

2 - مفهوم المخالفة: هو دلالة النص على نقيض حكم (أي على نقيض معنى يشير إلى ظاهرة كونية) المنطوق، للمسكوت عنه، بأن يكون اللفظ مقيداً بقيد يجعل الحكم (أي المعنى الذي يشير إلى الظاهرة الكونية) مقيّداً بهذا القيد، فيدل النص بمنطوقه على الحكم (المعنى الذي يشير إلى الظاهرة الكونية) المنصوص عليه، ويدل بمفهوم المخالفة على عكسه في غير موضع القيد.

وقد اتفق الأصوليون على الاحتجاج بمفهوم المخالفة في الوصف أو الشرط أو الغاية أو العدد في العقود والتصرفات والأقوال والتعامل. واختلفوا على الاحتجاج به في الوصف أو الشرط أو الغاية أو العدد في النصوص الشرعية من الكتاب والسنة.

ونحن، في مجال "الإعجاز العلمي في القرآن والسنة"، نتحاكم إلى الحكمة والعلم اليقيني لإثبات أن مفهوم المخالفة يشير إلى إعجاز علمي، حيث إن الله تعالى أمرنا أن نلجأ إلى الحكمة في قوله جلّ وعلا: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:125]، وذلك أن العلم اليقيني هو المقصود لإثبات إعجاز النصوص الشرعية.

فإن كان هناك مبرر لوجود مفهوم المخالفة لجأنا إليه، وإلا لما استدللنا به، ونعتبر أن مفهوم المخالفة يشير إلى إعجاز علمي في حال وافقت المعطيات العلمية - من خلال مفهوم المخالفة - على عكس منطوق المعنى في غير موضع القيد.

(1) انظر مبحث «الحرث».

وعلى سبيل المثال: فإن الحديث: «لا يُحرِّم من الرّضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي، وكان قبل الفطام» [رواه الترمذي ح56] يعني أن اللبن الذي يفتق الأمعاء الموجودة في الثدي يسبب التحريم، ويشير بمفهوم المخالفة أن اللبن الذي لا يفتق الثدي لا يسبب التحريم.

كذلك فإن الحديث: «لا يُحرِّم من الرضاع إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم» [أخرجه أحمد ح58] ينص أن اللبن الذي ينبت اللحم وينشز العظم يسبب التحريم، ويشير بمفهوم المخالفة أن اللبن الذي لا ينبت اللحم ولا ينشز العظم لا يسبب التحريم[1].

وما يسري على النصوص الشرعية منفصلةً من أحكام استنباط يسري عليها مجتمعةً، حيث إن النصوص الشرعية تُكمّل بعضها بعضاً، وتؤلف وحدة متكاملةً. فعلى سبيل المثال: يشير النص القرآني: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝﴾ [الطارق: 5-7] أصالةً (أي بعبارة النص) أن الماء - الذي يخرج ابتداءً من مكان ما، يقع ما بين الصلب والترائب - يخرج بسرعة. ويشير الحديث: «إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكاً فقال يا رب: مخلّقة أو غير مخلّقة؟، فإن قال: غير مخلّقة مجّتها الأرحام دماً، وإن قال: مخلّقة قال: يا رب: فما صفة هذه النطفة؟...» [رواه الطبري ح32] تبعاً (أي بعبارة النص) أن الماء الذي يدخل الرحم يبقى زماناً خارج الرحم (كما يقتضيه استعمال كلمة «إذا»)، وإذا ما اعتبرنا النصين الشرعيين مجتمعين، فهمنا لزوماً (أي بإشارة النص) أن الماء يجري مسافة طويلة قبل دخوله الرحم (لأنه يجري بسرعة ويبقى زماناً قبل أن تقع النطفة في الرحم)[2].

ومن الأمثلة الأخرى: فإن الآيتين: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا...﴾، [الأحقاف: 15]، و﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ...﴾ [لقمان: 14]، تدلان بطريق العبارة على الوصية بالوالدين، وتدلان بطريق الإشارة على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وذلك أنه إذا اختزلنا أربعاً وعشرين شهراً (أي إذا اختزلنا مدة عامين؛ وهي مدة الرضاع) من ثلاثين شهراً (أي من مدة الرضاع والحمل) أصبح لدينا ستة أشهر (وهي مدة الحمل)[3].

---

(1) انظر مبحث «رعاية الخلق: الرضاعة».

(2) انظر مبحث «هجرة النطفة من المستودع إلى الرحم».

(3) انظر مبحث «النشأة/ قسم: مرحلة القابلية للحياة».

قولنا (من الكتاب والسنة):

وأما النصوص الشرعية التي تشير إلى الحقائق العلمية والتي سوف نطابق عليها السنن الكونية فالمقصود بها آيات من القرآن الكريم وأحاديث ثابتة من السنة النبوية.

● فالقرآن الكريم هو: "كلام الله المعجز، المنزل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته"[1] وبما أن علم الله هو العلم الشامل، المحيط بكل شيء، الذي لا يعتريه خطأ، ولا يشوبه نقص، وعلم الإنسان محدود ويقبل الازدياد وهو معرض للخطأ، فبالتالي يجب ألا تُجعل حقائق القرآن - الذي هو كلام الله - موضع نظر، بل يجب أن تقدم على أنها الأصل. وأما من يطالب بأن نسوي بين القرآن وبين المعطيات العلمية في البحث في حقيقتهما، فلعلّ هذا البحث أن يكون دافعاً له ليتدبر كيفية تطور تاريخ العلم الكوني في مجال الأرحام، وكيف شذّ عن طريق الصواب، ثم عاد ليطابق حقائق الدين الثابتة.

● والسنة هي: ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية، وكلّ ما يُفيد منها تشريعاً حُجة في الدين إذا ثبتت نسبتها إلى النبيّ ﷺ، كما تشير إليه النص القرآني: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: 3-4][2].

وأمّا الأسانيد[3] التي رويت بها الأحاديث النبوية فإنها تنقسم ابتداء إلى قسمين: مقبولة، ومردودة.

فالمقبول: هو ما ترجح به صدق المُخبِر به وحكمه: صلاحيته للاحتجاج والعمل به. وعليه فالأحاديث المتعلقة بمجال علم الأجنة نستطيع الاعتقاد بحجيتها تبعاً لذلك.

---

(1) كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، (ج1/ ص21).

(2) انظر تفصيل تعريفاتها في: لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للمحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة - رحمه الله - ص 11-15.

(3) والسند: هو طريق وصول الحديث، أي سلسلة الرجال الموصلة للمتن. (كتاب مقدمة في أصول الحديث، الشيخ عبد الحق الدهلوي، ص40). و المتن: هو ما انتهى إليه السند من الكلام (كتاب مقدمة في أصول الحديث، الشيخ عبد الحق الدهلوي، ص40/ كتاب تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطحان، ص 16)، أي قول أو فعل أو تقرير النبي ﷺ أو صفته ﷺ الخلقية والخُلقية.

والمردود: هو ما لم يترجّح به صِدْقُ المُخْبِر به، وحكمه: أنه لايُحْتَجّ ولا يُعمل به إلا بشروط (سنذكرها فيما بعد)، وفي إطار الإعجاز العلمي في علم الأجنّة، لا يحقُّ لنا الاعتقاد بأنه إعجاز علمي[1] إلا بشروط (سنذكرها فيما بعد).

وتبعاً لذلك التقسيم للإسناد، فقد حكم علماء الحديث بالصحة على الأحاديث المقبولة الإسناد، وهي:

- متواتر[2].
- صحيح[3].
- حسن[4].
- صحيح لغيره[5].
- حسن لغيره[6].

وأمّا الحديث المردود الإسناد، فهو الحديث الذي في إسناده علة (لسقطٍ في الإسناد أو طعنٍ في راوٍ مثلاً)، وهو المسمى: الحديث الضعيف ويُعمل به في فضائل الأعمال [بل ويُستأنس به في بعض الأحيان] بالشروط التالية:

---

(1) كتاب تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطّحّان، ص 32.

(2) والحديث المتواتر هو الحديث الذي رواه جمعٌ كثيرٌ عن مثلهم من أول السند إلى منتهاه بحيث يؤمن تواطؤهم على الكذب. (كتاب مقدمة في أصول الحديث، الشيخ عبد الحق الدّهلوي، ص 75 بتصرف).

(3) والحديث الصحيح هو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة [قادحة]. (كتاب تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطّحّان، ص 34).

(4) وننقل هنا تعريف ابن حجر: «وخبر الآحاد بنقل عدل تام الضبط متصل السند غير معلل ولا شاذ هو الصحيح لذاته، **فإن خفّ الضبط، فالحسن لذاته**» (كتاب نخبة الفكر مع شرحها نزهة النظر للحافظ ابن حجر - نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة - ص 29 و34).

(5) وهو الحديث الذي انجبر وقوي ضَعْفُه، فسُمّي صحيحاً لأن الصّحة لم تأت من ذات السند وإنما جاءت من انضمام سند آخر له، [أو انضمام حديث اخر يؤيد معناه]. (كتاب تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطّحّان، ص 51).

(6) وهو الحديث الضعيف الذي انجبر وقوي ضعفه، فارتقى إلى مرتبة الحسن لأنه رُوي من طريق آخر، [أو شهد له حديث آخر]. (كتاب مقدمة في أصول الحديث، الشيخ عبد الحق الدّهلوي، ص 59. كتاب تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطّحّان، ص 52، بتصرف).

1 - إذا كان هذا **الضعف غير شديد** (مثل بعض أنواع الحديث المرسل[1]، أو إذا كان هناك اختلاف بين العلماء الجهابذة في الحكم عليه).

2 - **إذا اندرج العمل بالحديث تحت العمل بأصل عام.**

3 - إذا **لم يُعتقد عند العمل به ثبوته**، أي نسبته إلى رسول الله ﷺ، بل يعتقد الاحتياط[2].

وفي إطار الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة قد يصح الاستدلال بالحديث الضعيف الإسناد بالشروط التالية:

1 - إذا كان الضعف **غير شديد**.

2 - إذا اندرج حكمه تحت حكم **قرآني أو تحت سُنة معمول بها** (أي أنه يدخل تحت أصل عام من أصول الشريعة).

3 - إذا لم **يجزم بثبوت** الحديث من جهة السند، بل كان متنه موافقاً يقيناً للمعطيات العلمية.

وأمّا الحديث الضعيف جداً كالذي في سنده متهم بالكذب فلا يروى إلا مع بيان ضعفه الشديد[3]، لقول رسول الله ﷺ: "مَنْ حدّث عني بحديث يُرى أنه كذبٌ فهو أحد الكاذبيْن" [**أخرجه مسلم ح5**]، و"مَنْ تعمّد عليَّ كذباً فلْيتبوَّأ مقْعده من النار" [**أخرجه البخاري ح6**]، وإن أشرت في بحثي هذا إلى بعض الأحاديث الضعيفة جداً، فذلك لعدة أسباب، وهي:

(1) والمُرسَل هو: قول التابعي: قال رسول الله ﷺ كذا، أو فعل كذا... إلخ. (كتاب مقدمة في أصول الحديث، الشيخ عبد الحق الدّهلوي، ص 42)، أو هو: من إغفال التابعي ذكر الصحابي في السند. والمُرسل عن ثقة هو: المُرْسَل عن تابعي تحققت ثقته. (وهو من لقي صحابياً حال كونه مسلماً ومات على ذلك). ومُرْسل الصحابي: هو ما أخبر به الصحابي عن قول رسول الله ﷺ أو فعله أو تقريره ولم يسمعه أو يشاهده لصغر سنّه أو تأخر إسلامه (أو غيابه). (كتاب تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطّحّان، ص 71 - 73 - 74).

(2) انظر كتاب تدريب الراوي للسيوطي. (تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - الطبعة الثانية 1385 هجرية -، ج1/ص298 - 299)، وكتاب فتح المغيث للسخاوي (تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان - المكتبة السلفية بالمدينة المنورة - ج1/ص268)، وكتاب تيسير مصطلح الحديث (د. محمود الطّحّان، ص 65)، وهذا ما أوضحه الإمام ابن حجر (بتصرّف)، وهو الذي عليه جمهور العلماء.

(3) كتاب تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطّحّان، ص 90.

1 - مطابقة السنن الكونية لمحتوى تلك الأحاديث الضعيفة جداً.

2 - التحذير منها، حتى لا يعتقدها أو يرويها الغافلون عن ضعفها الشديد على أنها إعجاز علمي، بعد أن يجدوا أن معناها صحيح(1).

---

(1) ويعتقد المؤلف أنه من الإنصاف أن نفرّق بين الأحاديث الضعيفة جداً، فهناك أحاديث ضعيفة جداً تتناول في موضوعها العقيدة والمعاملات والعادات، وهذه لا حاجة لنا في الخوض فيها لأن الأحاديث المقبولة قد تحدثت عن جميع جوانب هذه المواضيع، وقد قامت بالواجب على أكمل وجه، بل ومن الغباء أن نلجأ إلى الأحاديث الضعيفة جداً في حين يوجد أفضل منها، وذلك لقطع الذرائع ولغرض الاحتياط. أضف إلى ذلك أن هذا الصنف من الأحاديث ليس له علامة فارقة إضافية عن عملية جرح وتعديل الرجال تمكننا من أن نرفع درجتها، فهي بحكم الميت الذي لا نستطيع إحياءه البتة. ومن ناحية أخرى هناك أحاديث تتناول الإعجاز العلمي وهذه يجب أن يكون لها أحكام إضافية نظراً لعدة أسباب:

1 - أن العلم الثابت أصبح بما لا يدع مجالاً للشك وسيلة لإثبات صحة متن بعض الأحاديث، وفي عصر العلم هذا، وفي ظل تقدم التقانة، فقد آن الأوان أن نستعمل هذه الوسيلة التي أنعم الله تعالى علينا بها وأن لا نجحد بها، وإلا فإننا بمثابة من يجحد نعمة الله عليه - والعياذ بالله -.

2 - هناك صنفان من الأحاديث الضعيفة جداً التي تتناول الإعجاز العلمي:

● الأحاديث الضعيفة جداً - التي يرويها أحد المحدثين فاقد المصداقية - والتي تتناول إعجازاً علمياً، فيصيب الحقيقة بشكل أو بآخر، فهذه لا نأخذ بها إذا كان احتمال أن يصيب المحدث الحقيقة ضعيفاً ولكن غير نادر، وذلك لكي نحتاط لديننا العظيم، ولأن احتمال الإصابة - والحال هذه - ممكن لبعيد النظر والحدس، وإن كان غير مقبول الرواية.

● الأحاديث الضعيفة جداً التي تتناول إعجازاً علمياً، والتي تطابقت تفاصيلها مع التفاصيل العلمية، وفيها من الدقة، والخصوصية المتميزة، بحيث يكون من النادر جداً (إن لم يكن من المستحيل) أن يصل حدس أحد إلى حقيقتها إلا عن طريق الغيب الذي لا مفتاح له إلا النبوة. إذا وقع ذلك فمن البعيد جداً أن يكون الحديث - في نظر المؤلف - مكذوباً أو واهياً أو ضعيفاً، وفيه هذه التفصيلات العلمية التي لا يظهرها إلا العلم الحديث بعد التنقيب الشديد وبعد أن كان غيباً في زمن الرواية لأن الراوي الضعيف قد يضبط ولو حديثاً من أحاديثه التي يرويها، والكذاب قد يصدق ولو مرة كما ورد في الحديث: «صدقك وهو كذوب» [أخرجه البخاري ح4].

ومن علامة ضبط الضعيف لشيء من روايته، أو صدق الكاذب في شيء من حديثه، موافقة ذلك لما يرويه الأئمة المعتبرون، أو لموافقته الدقيقة لأمر غيبي لم يظهر إلا في وقت متأخر جداً ليكون علماً من أعلام النبوة، وبالتالي علماً من علامة ضبط هذا الضعيف لروايته هذه فقط، وصدق الكاذب في حديثه هذا خاصة.

وأمثال هذا النوع من الأحاديث: الأحاديث رقم: 23، 63، 92.

فالإعجازات العلمية المبهرة والدقيقة في هذه الأحاديث ترفع من شأنها وصحتها لدرجة أننا نستطيع - كحد أدنى - أن نستأنس بها، وخصوصاً أن هناك بعض الأحاديث أقوى في سندها من سند تلك وتتوافق مع أجزاء من متنها، بل وتفوق الأحاديث الضعيفة جداً الأحاديث المقبولة دقة!!!. =

3 - فتح المجال لمزيد من الأبحاث في هذا المجال، لعل هناك أحاديث موجودةً في كتب الأحاديث ذات إسناد صحيح يتوافق متنها مع متن تلك الأحاديث الضعيفة.

فالكذوب قد يصدق في القليل من كلامه[1]، وقد يخلط الكلام الكذب مع القليل من الكلام الصحيح[2].

وعلى كُلّ حال فليس للكذوب مصداقيّة، حتى ولو صدق، وعلينا أن نبحث عن أسانيد أقوى إذا أردنا أن نعتقد بثبوت تلك الروايات أو أن نعمل بها.

أما إن تبيّن أن النص الشرعي ليس من كلام الرسول ﷺ (مثل أن يكون الحديث موقوفاً وليس له حكم المرفوع[3])، فحكمه أنه لا يعدّ من السنة.

قولنا (لحقائق علمية):

معناه:

- أن تكون الحقيقة العلمية التي خلقها البارىء ﷻ، والتي يشير إليها الإعجاز العلمي، مطّردة، وذلك لكي تكون مرتكزاً علمياً، وبالتالي موعظة مستمرة للناس.

فلا نستطيع مثلاً أن نقيس حادثة كونية استثنائية غير متوافقة مع قوانين العلم الثابتة، ولا نستطيع مطابقتها مع الآيات القرآنية. وذلك لأنها خارقة للقاعدة، لا يتقبّلها العقل البشري في كثير من الأحيان.

= وإن اتبعت القواعد التقليدية ولم أصدر أحكاماً على تلك الأحاديث بما يتوافق مع هذا التوجه فذلك لكي لا أتقدم على العلماء المتمكنين في هذا الفن، في هذه المسألة الحساسة جداً. ولذلك أدعو العلماء المسلمين لأن يؤلفوا مجمعاً علمياً يعتني بهذه القضية، وأن لا يقفلوا الباب لهذا المجال الجديد، ويقعّدوا له قواعد دقيقة تتناسب مع التحديد الفقهي لديننا الحنيف، وبما يتوافق مع ثوابت الشريعة الإسلامية. **ولذلك أرفقت ملحقاً من أجل هذه القضية، فانظره في آخر الكتاب.**

(1) كما يشير إليه الحديث الشريف: (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ... فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فإنه لن يزال معك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح. وقال النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان») [أخرجه البخاري ح4].

(2) كما في الحديث الآتي: «إن الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب - فتذكر الأمر قُضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان، **فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم» [أخرجه البخاري ح3]**.

(3) والحديث الموقوف: هو ما انتهى سنده إلى الصحابي. والحديث المرفوع: هو ما انتهى سنده إلى الرسول ﷺ. (مقدمة في أصول الحديث، للدهلوي، ص34).

فقد وردت في القرآن الكريم والسُنّة الشريفة استثناءات لتلك الحقائق أو السنن، فعلى سبيل المثال: أمر الله تعالى النار أن تكون برداً وسلاماً على سيدنا إبراهيم عليه السلام كما في الآية: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69].

- أن تكون السنن الكونية المشار إليها عامّة، فلا نستطيع أن نقيس أحداثاً أو ظواهر كونية استثنائية شاذة مثل: الظواهر السائدة في مُثلّث برمودا أو فورموذا، أو كالتي حدثت بعد انفجار القنبلة الذريّة في مدينة هيروشيما، حيث فسدت البيئة بتلوثها بالإشعاعات، فلا نستطيع أن نقيس ذلك على نصوص شرعية تتكلم عن ظواهر عامة، إلا إذا أشارت النصوص الشرعية إلى تلك الحوادث أو الظواهر على أنها خارقة للنواميس الكونية، فتكون إذن إعجازاً علمياً لما تكشف عن أمور غيبية خارقة للعادة. مثال على ذلك: طلوع الشمس من المغرب في آخر الزمان، كما يُخبرنا الحديث الآتي: «إنّ الساعة لا تكون حتّى تكون عشر آيات. . . وطلوع الشمس من مغربها. . .» **[أخرجه مسلم ح1]**.

- أن تكون السُنّة الكونية معلومة، فإن لم تكن كذلك، كانت إحدى اثنتين:

● إما سُنّة يُرجى كشف حقيقتها يقيناً في المستقبل من خلال الأبحاث العلمية والوقائع الكونية، فيحتمل كونها مستقبلاً إعجازاً علميّاً.

● وإمّا سُنّة لا يُرجى كشف حقيقتها في المُستقبل فيما نظن، وبذلك لا يصح وصفها بأنها إعجاز علميّ بحال، ولكن يمكن وصفها بأنها مقاربة للإعجاز العلمي، وبذلك يصح الاتّعاظ بها.

وهنا نقول في النوع الأول من السُنّة: إنّه في حال ظهرت مُطابقة السُنّة الكونية لحديث نبوي شريف في المُستقبل، صارت إعجازاً علميّاً، وإن عارضت السُنّة الكونيّة حديثاً نبوياً أرجعنا ذلك إلى قصور فهمنا للحديث الشريف، مع اعتقادنا بصحة الحديث الشريف، ووجوب معاودة النظر في فهمه على ضوء المُعطيات العلمية اليقينية التي يمكن أن تنكشف لنا في المستقبل. فالتاريخ يشهد على أن فهمنا لبعض الأحاديث فيما مضى كان قاصراً، ومن ثَمّ تعمّق الفهم مع التقدّم العلمي وانجلت الحقيقة بعد ذلك، مثاله الحديث الشريف: «إن الله تعالى إذا أراد خلق النَسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عرق وعصب منها. . .» **[أخرجه الطبراني ح21]**، فقد فسّره بعض الصحابة على أنه يشير إلى أن النطفة تطير تحت كل ظفر

وشعر، بينما تفيد معطيات العلم بأن الحديث يشير إلى انتشار صبغيّات الحيوان المنوي لدى الرجل بين صبغيات بويضة المرأة(1).

ونقول في النوع الثاني: إن هناك سنناً كونيّة لن نستطيع اكتشافها في المُستقبل لسبب من الأسباب، مثل: وصف نهاية الكون، فلن يكون هناك أي إنسان حيّ لمشاهدة نهاية الكون، أو سيكون الوقت مُتأخراً أو قصيراً جداً لإدراكه وذلك للإيمان به.

بيد أن المعطيات العلمية بعد التقدم العلمي الهائل، تعطينا فكرة جيّدة عمّا سيكون في المستقبل؛ فهناك نظريات قويّة مثلاً، تشير إلى أن الكون سينقبض على نفسه في نهاية الزمان بعد عملية التوسّع التي تحصل له الآن، والآية القرآنية ربما تشير إلى ذلك: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104].

ولذلك يصحّ الاتعاظ بالآية واعتبارها تقريباً للإعجاز العلمي، ولكن لا يصحّ لنا أن نعتقد ثبوت الإعجاز العلمي فيها بشكل جازم.

- أن يتناول النص الشرعي موضع الإعجاز موضوعاً علمياً صحيحاً، لا حقيقة تاريخية محضة سابقة معينة مثلاً(2)، وإلاّ نفقد الإعجاز العلمي مصداقيته، كما جاء في الآية: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: 1].

- أن تتكلم الآية القرآنية أو السُّنّة الصحيحة عن ظاهرة علمية حقيقية، وإلا فقدت الأرضية الصلبة التي ترتكز عليها في الإعجاز. فعلى سبيل المثال: لا يصح لنا أن نفسّر الحديث: إن النبي ﷺ بصق يوماً في كفّه فوضع عليها أصبعه ثم قال: قال الله: «ابن آدم: أنّى تُعجزني وقد خلقتك من مثل هذه...» [أخرجه أحمد ح2]، أنه يشير إلى أن الجنين يتخلق من اللّعاب، فمن البديهي أن النبي ﷺ قد ماثل بين اللعاب والمنيّ لعلّة التشابه في القلة والامتهان، وليس للتركيبة الخلقية الكيميائية لكل منهما.

(1) لمزيد من التفاصيل، انظر مبحث «اختلاط عروق النطفة».

(2) وقد يكون النص الشرعي يتحدّث عن حقيقة تاريخية وفي طيّاتها إعجاز علمي لأنه ينطوي تحت موضوعه العام موضوعاً علمياً، مثل ما ورد في الآية: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم 25]، فهذه الآية تروي لنا أن الله تعالى أمر السيدة مريم عليها السلام بتناول الرطب بعد أن وضعت النبي عيسى عليه السلام، وهي تشير بالتالي إلى أن الرطب مفيد للنفساء. والحاصل أن المرأة تصاب بعد الولادة مباشرة بإجهاد شديد من جراء فقدان الكثير من الدم وانخفاض ضغطه... وقد كشف العلم الحديث إلى أن سكر الرطب ينحلّ ويدخل بالدم بسرعة، فينشّط النفساء.

- أن يكون الإخبار القرآني أو الحديثي عن حقيقة علميّة صريحة، أي أنه يشير إلى حقيقة علميّة مُحدّدة وواضحة، وإلاّ لصرفنا تفسير الآية القرآنية في أيّ اتجاه شئنا، ولحمّلناها ما لا تحتمل، ولفقدنا عندها جوهر المُطابقة. فلا يصح مثلاً أن نصرف الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المؤمنون: 21] إلى أنها إعجاز علمي في مجال الكبد، أو الطحال، أو المرارة، ذلك لأن البطن لفظ عام يشمل كل الأعضاء الموجودة فيه.

تأثر حكم التوفيق بين دلالات النصوص الشرعية والمعطيات العلمية بصحة ثبوت كلّ منهما:

بعد أن شرحنا معنى "دلالات النصوص الشرعية"، وبعد أن وضّحنا ما هو المقبول والمردود منها، والشروط التي يجب أن يلتزم بها الباحث في علم مصطلح الحديث حتى يصل إلى نتائج سليمة، وبعد أن عرّفنا الضوابط التي لا بد من أن نقيّد بها المعطيات العلمية حتى نعتبرها حقائق علمية، من المهم أن نذكر الضوابط التي يجب أن نراعيها في التوفيق بين دلالات النصوص الشرعية ودرجة ثبوت إسنادها وصحة المعطيات العلمية لكي نعتبر أنها تشير إلى إعجاز علمي في القرآن والسنة.

ومن المهم قبل أن نصف النصوص القرآنية بالإعجاز العلمي، أن ننوه إلى كل مما يلي:

- **أولاً**: أن هناك نصوصاً من الوحي قطعية الدلالة، كما أن هناك حقائق علمية كونية قطعية الثبوت.

- **ثانياً**: أن هناك نصوصاً من الوحي ظنية في دلالتها، وكذلك في العلم، هناك نظريات ظنية في ثبوتها لم ترق إلى مستوى الحقائق العلمية الثابتة.

وأما التوفيق بين النصوص الشرعية والمعطيات العلمية فهو على النحو التالي:

- لا يمكن أن يقع تعارض بين قطعي الدلالة من الوحي وقطعي الثبوت من العلم التجريبي، وذلك لأن القرآن كلام الله والحقائق الكونية خلق الله.

وإن وقع تعارض ففي الظاهر، فلا بد عند ذلك من النظر في اعتبار قطعية دلالة النص، أو قطعية ثبوت الحقيقة العلمية.

فإذا كان ثمّ خلل في ذلك، أعدنا البحث في دلالة النص القرآني وفي حقيقة المعطيات العلمية إلى أن ندرأ التعارض الظاهر بينهما، فربّ علم كوني اعتقدنا أنه

حقيقة، تبين لنا فيما بعد أنه نظرية، مثل: الاعتقاد بأن (مادة الغمامة الإلكترونية المحيطة بنواة الذرات ELECTRONS) ثابتة لا تتحول، ثم تبين لنا فيما بعد أنها تصبح (كتلة طاقة محفوظة ENERGY MASS CONSERVATION).

- وإذا وافقت المعطيات العلمية الظنية الثبوت، نصاً قرآنياً قطعي الدلالة، لم نعتبر النص القرآني إعجازاً علمياً، إلى أن تنكشف حقيقة المعطيات العلمية، ولكن نعتبره إشارة إلى حقيقة كونية كبرى، ومعلماً على طريق الوصول إلى الحقيقة العلمية.

- وإذا وافقت المعطيات العلمية القطعية نصاً قرآنياً ظني الدلالة - يُصْرف معناه في كثير من الأوجه -، أخذنا بدلالة النص القرآني، ولم نعتبر النص القرآني إعجازاً علمياً، لأن دلالة النص القرآني غير قطعية، وينبغي ألا ننطلق من قاعدة غير مطردة.

- وإذا وقع التعارض بين حقيقة علمية قطعية، وبين نص قرآني لم نتأكد من دلالته، فتؤول الدلالة الظنية للنص القرآني لتتفق مع الحقيقة العلمية القطعية، ثم لا نعتبر النص القرآني إعجازاً علمياً.

- وإذا وقع تعارض بين معطيات علمية ظنية، وبين دلالة قطعية لنص قرآني، رفضنا تلك المعطيات.

وهذه الأحكام مطردة الاعتبار أيضاً على الأحاديث النبوية الشريفة. غير أن هناك عاملاً آخر تحسن إضافته وهو: صحة إسناد الحديث الشريف.

وفي حالة حصول تعارض ظاهر بين دلالة قطعية لنص قرآني ودلالة قطعية لحديث شريف، نظرنا عندها في صحة إسناد الحديث، فإن لم يصح، قدّمنا دلالة النص القرآني القطعية، ولم نأخذ بنص الحديث غير الصحيح. وإن صح إسناد الحديث الشريف، توقفنا عنده - للبحث عن نصوص أخرى حتى تزداد معرفة عن حال هذا الحديث -، أو أوّلناه. فإن لم نستطع أن نؤوله، وكان تعارضه بيّناً لم نستحسنه، ووضعناه جانباً. وإن تعارضت دلالة قطعية لحديث صحيح الإسناد مع معطيات علمية يقينية بديهية لا مجال لإنكارها، ولم يكن هناك مجال للتأويل، كان حكم الحديث في هذا المقام حكم التعارض بين دلالة نص قرآني قطعي الدلالة ودلالة قطعية لحديث صحيح الإسناد، ووجب التنبيه إلى استحسان عدم الاستشهاد به.

جاء في تدريب الراوي[1]: «ومن جملة الوضع أن يكون مخالفاً للعقل بحيث لا يقبل التأويل، ويلحق به ما كان يدفعه الحس والمشاهدة [وقياساً - في مجال الإعجاز العلمي - ما تدفعه المعطيات العلمية اليقينية البديهية التي لا مجال لإنكارها]، أو يكون منافياً لدلالة الكتاب القطعية، أو السنة المتواترة، أو الإجماع القطعي».

وأما إذا كان الحديث ذا ضعف غير شديد ووافق الشروط الثلاثة التي ذكرناها سابقاً، والذي يصح معنى متنه، أي الذي يوافق المعطيات العلمية اليقينية، فيحسن الاستشهاد به في الإعجاز على سبيل الاستئناس لا الجزم.

وأما الحديث ذو الضعف غير الشديد، والذي وافق المعطيات العلمية، غير اليقينية (مثل النظريات العلمية قيد الأبحاث)، فيظل حُكْمُهُ - وبالتالي الاتعاظ به - مُعلَّقاً، إلى أن تثبت الحقيقة، فإذا تبيَّن فيما بعد - وذلك من خلال الأبحاث العلمية - أن معنى الحديث، وبالتالي متنه لا يصح، وجب التنبيه إلى الشك في نسبته إلى رسول الله ﷺ وإلى استحسان عدم الاستشهاد به، حتى لا يؤثر ذلك سلباً على ضعيفي الإيمان وكيلا يكون بمثابة حاجز لغير المسلمين عن اعتناق الإسلام، وحتى نحتاط للسُّنة المُطهَّرة من نسبة ما ليس منها إليها.

والحديث ذو الضعف غير الشديد، الذي وافق بَعْضُ متنه المعطيات العلمية اليقينية، والبعض الآخر لم يوافق (كما إذا كان سبب ضعف الحديث ضعف أحد رجال إسناده لاختلاطه[2] في آخر عمره أو لسوء حفظه)[3]، فالإنصاف في الحكم على الرجال، وبالتالي في الحكم على الحديث يكون بقبول ما وافق الثقات في الروايات وترك ما لم يتابع عليه. وفي مجال الإعجاز العلمي في تَخلُّقِ الجنين قبول ما وافق المعطيات العلمية اليقينية، وترك ما عارضها.

وأما الحديث ذو الضعف الشديد الذي وافق متنه الحقائق العلمية فلا يصح مُطْلقاً نسبته إلى رسول الله ﷺ وفق القواعد التقليدية، ولم نعتبره إعجازاً علمياً، ومثال ذلك الرواية: «النطفة التي يُخلق منها الولد ترعد لها الأعضاء والعروق كلها إذا خرجت وقعت في الرحم» **[أخرجه الديلمي ح23]**.

---

(1) تدريب الراوي للسيوطي، (ج1/ص233).

(2) يصبح الراوي مختلطاً إذا طرأ سوء حفظ عليه لعارض، مثل احتلال في الحافظة بسبب كبر سنه أو ذهاب بصره أو فوات كتبه. (انظر كتاب مقدمة في أصول الحديث، للشيخ عبد الحق الدهلوي، ص72 بتصرف).

(3) مثل الكلام على التابعي خُصيف، انظر حديث رقم 50.

وأما النصوص الشرعية التي هي ليست من كلام خير الأنام، فلن نأخذ بها ولو وافقت المعطيات العلمية الغيبية ولن نعتبرها إعجازاً علمياً، وذلك أنه لم يدّع أحد من الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - أنه يعلم الغيب أو أنه نبيّ، وبالتالي لا نستطيع أن ننسب إليهم ما لم يُقرّوه. ومن ادعى النبوّة ممن عاصر الرسول ﷺ، قُتل أو بَطُل ادعاؤه وزهق باطله.

قولنا (غير معلومة):

معناه:

أن يكون التحدث عن حقيقة علمية غير معلومة، أو غيبيّة، وإلا لفقدت النصوص الشرعية صفة الإعجاز. فالإخبار عن أمر معلوم ليس بإعجاز ذلك أنه بمتناول عامة الناس، وهو ليس بأمر خارق للعادة، وقد فقد صبغته الغيبيّة، مثال على ذلك الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ ...﴾ [الأحقاف:15]. فمن المعلوم لدى عامّة الناس أن المرأة الحامل تعاني من تعب وألم خلال وضعها لطفلها، وبالتالي وصف وضع المرأة خلال الوضع وصفاً عاماً يعلمُهُ الجميع لا يُعَدُّ إعجازاً علمياً.

قولنا (زمن التنزيل):

معناه:

- أن تكون تلك الحقائق العلمية غير معلومة في عهد الرسالة، حتى يتبين للناس أن ما أخبر به الرسول ﷺ لم يكن بمستطاع للبشر معرفته لولا معطيات العلم، وبالتالي يُقرّون بأن تلك المعلومات هي من قبيل الوحي الإلهي الواجب تصديقه.

كذلك، فإن جهل الأمم بتلك الحقائق العلمية ضروري قبل عهد الرسالة، حتى لا يتهم الناس الرسول الكريم ﷺ باقتباس المعلومات من الأمم المتحضرة المعاصرة له.

- أن تكتشف تلك الحقائق بعد عهد الرسالة، حتى يقارن الناس بين ما جاء به الرسول محمد ﷺ وما كشفه العلم اليقيني. وبذلك يتبين للناس صحة المعلومات التي أتى بها الرسول ﷺ، فيؤمنون بها.

وكلمة "مطابقة" التي أوردناها في التعريف تقتضي أن تكتشف تلك الحقائق بعد زمن التنزيل، وإلا لما استطعنا أن نطابق هذه الحقائق بمعاني النصوص الشرعية، ولما اتضح الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

قولنا (ولا تدرك إلا بالتجربة أو وسائل مادية):

في هذا المقام نبيّن الفرق بين العالم الفذّ الذي اكتشف بعض الحقائق الكونية بعد جهد جهيد، وبين النبي أو الرسول ﷺ الذي تكلم عنها، فالعالم خلال رحلة اكتشافه للحقائق الكونية قد استعمل من الوسائل المادية مثل المجهر، أو الحاسوب، أو أدوات أخرى كالاختبارات، ما يخوله التنقيب عن الحقائق العلمية، كما أنه سهر الليالي يطالع الكتب، ويفكر، ويتأملّ، حتى يصل إلى نتيجة سليمة، وأخطأ في كثير من الأحيان، وأصاب في أحيان أخرى، وارتكز في كثير من الأحيان على التخمين، وبنى عليه، وهذا ما يسمى بالنظريات العلمية (ومن كان له شك في هذا الكلام فليطالع مبحث "**ثقافة العالم القديم والحديث في علم الأجنة**" حتى يتبيّن له صحة ادعائنا)، بينما جاء الأنبياء بمعجزاتهم من دون أن يستعملوا أدوات مادية، كما أنه في كثير من الأحيان كانت المعجزات تحصل على أيديهم فجأة من دون أن يستطيع أحد أن يتهم أنهم حضروا لها.

ونروي لهذا الغرض قصة الحبْر اليهودي الذي جاء يسأل الرسول ﷺ عن عوامل إيناث أو إذكار الجنين. ففي الحديث أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: «كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حَبْر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد... جئت أسألك عن شيء لا يعلمه من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: ينفعك إن حدثتك؟، قال: أسمعُ بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد، قال: ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنثا بإذن الله، قال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبي، ثم انصرف وذهب، فقال رسول الله ﷺ: لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علمٌ بشيء منه حتى أتاني الله به" [**أخرجه مسلم ح9**].

في هذه الرواية يتبيّن لنا أن الرسول ﷺ كان في كثير من الأحيان يجيب عن أسئلة الذين يفدون عليه من غير سابق إعلام، على حين غفلة، وهو لا يعلم سابقاً الأسئلة التي ستُطرح عليه. وكان ﷺ يجيب مباشرة، بدون أن يلجأ إلى دراسة المواضيع المطروحة عليه، وبدون أن يستعمل وسائل مادية تمكنه من معرفة الحقيقة العلمية، ويردّ عليها بدقة، وبعبارات محبوكة السبك، وبوحي من الله ﷻ، وهو مُقِرٌّ بعجزه لولا المدد الرباني له.

ونفهم من كلامنا السابق أن الخوارق - سواء أكانت مادية، أو معنوية - التي حصلت على أيدي الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - لا تُعدُّ سبقاً زمنياً فقط،

بمعنى أننا لا نستطيع أن نعتبر أن هذه الخوارق سبقت زمنها فقط، وبمقدور البشر يوماً ما أن يأتوا بمثلها. فالإعجاز العلمي في القرآن والسنة هو كشف للحقائق العلمية الغيبية بدون وسائط، وهذا فوق قدرة البشر، وكل من عاصر الرسول ﷺ لم يشاهد يوماً ما أن نبي الله ﷺ استعمل أداة ما، ولم يكن لديه مختبر، ولم يقرأ الكتب، بل وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: 48].

قولنا (لتثبت صدق الرسالة التي جاء بها النبي محمد ﷺ من عند الله ﷻ):

وبالطبع فالغرض من الإعجاز العلمي هو أن يبرهن أن النبي ﷺ مُرسل من عند الله ﷻ، وليظهر ويثبت صدق مدده من عند الله تعالى. فالرسول ﷺ لم يكذب، لأن الكذاب لا يتحدى إن كان حاذقاً، فهو يتكلم عن جهل، وكذبه سيظهر عاجلاً أم آجلاً، ومن ادعى النبوة (مثل مسيلمة الكذاب، وسجاح بنت الحارث بن عقبان. . .) وتحدى عن حماقة، ظهر جليًا في عصره، أو فيما بعد، أنه كاذب. والرسول ﷺ لم يخمّن، فالمخمّن أيضاً لا يتحدى، لأنه غير واثق من كلامه، حيث إنه بنى كلامه على الظن، والظن قد يُخطئ، وخصوصاً إذا ما كان يتكلّم عن كثير من الأمور، حيث إن احتمال الخطأ في إجابته يزيد في هذه الحالة. وقد بيّنا في مبحث «**التحدي**» مدى جدية هذا التحدي، وبينا أن الرسول ﷺ جعله علامة فارقة له على صدقه. ولهذا أجاب الرسول ﷺ في قصة الحبر اليهودي، واثقاً من نفسه، مُتحدّياً العالم أجمع: «لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علمٌ بشيء منه حتى أتاني الله به»[**أخرجه مسلم ح9**].

وبعد أن عرّفنا الإعجاز العلمي في القرآن والسنة واطلعنا على القواعد والأسس المعتمدة لبيانه، نشير هنا إلى أحكام تُطْلَقُ على النصوص التي تعالج موضوع الإعجاز، وذلك لضبط الاجتهادات في هذا المجال، وقد تكون أياً من الأحكام التالية:

1 - إن كان تفسير الباحث للآية غير منسجم مع القواعد: (النحوية و/أو الصرفية و/أو البلاغية وغيره. . .) فإنه لا يعد إعجازاً علمياً.

2 - إن كان الباحث لا يجيد المطابقة بين الحقائق العلمية والنص الشرعي، وقد أوّل النص الشرعي تأويلاً بعيداً أو متكلفاً، فإنه لا يصح الاحتجاج بالنص الشرعي على أنه إعجاز علمي عند هذا الباحث.

3 - إن لم يشر الباحث للكلمة المعتبرة في الإعجاز إلى معنى مُتعارف عليه، فلا يصح الاحتجاج بالنص الشرعي على أنه إعجاز من حيث المعنى.

4 - إن لم يشر الباحث إلى الكلمة المعتبرة في الإعجاز بمعنى يتلاءم مع معنى جذر الكلمة، فلا يصح الاحتجاج بالنص الشرعي عند هذا الباحث على أنه إعجاز علمي.

5 - إن النص الشرعي يتناول حادثة كونية يُرجى كشف حقيقتها في المستقبل، وبالتالي فإن النص الشرعي له القابلية لأن يكون إعجازاً علمياً، للبحث والاتعاظ.

6 - إن كان النص الشرعي يتناول حادثة كونية لا يُرْجى كشف حقيقتها في المستقبل، وبالتالي فإن النص الشرعي ليس له القابليّة لأن يكون إعجازاً علمياً، فيكون للاتعاظ فقط.

7 - إن كان النص الشرعي لا يتناول موضوعاً علمياً، فلا يصح بالتالي الاحتجاج به على أنه إعجاز علمي.

8 - إن كان النص الشرعي لا يتناول حادثة كونية علميّة، فلا يصح الاحتجاج به أيضاً على أنه إعجاز علمي.

9 - إن كان النص الشرعي يتناول حادثة معلومة في كل الأزمنة، فلا يصح الاحتجاج به على أنه إعجاز علمي.

10 - إن كان النص الشرعي يعالج استثناءات للسنن الكونيّة، فلا يمكن اعتباره عند ذلك إعجازاً علمياً.

11 - إن كان النص الشرعي يتناول حديثاً مقبول الإسناد، مع عدم توافق متنه للحقائق العلمية اليقينية، نتوقّف عند الحديث، ويُجعل قيد البحث.

12 - إن كان نص الباحث يتناول حديثاً مختلفاً في ضعف إسناده، مع توافق متنه للأدلة العلمية، فإنه يُستدل بالحديث في الإعجاز - على سبيل الاستئناس لا الجزم - .

13 - إن كان نص الباحث يتناول حديثاً مختلفاً في ضعف إسناده، مع عدم توافق متنه للأدلة العلمية، نتوقّف عند الحديث، ويُجعل قيد البحث.

14 - إن كان نص الباحث يتناول حديثاً مختلفاً في ضعف إسناده، مع توافق بعض متنه للحقائق العلمية، فيؤخذ من الحديث ما صَح من متنه، ويستدل به.

15 - إن كان نص الباحث يتناول حديثاً واهياً، مع عدم توافق متنه للمعطيات العلمية، فلا يصح الاحتجاج بهذا النص في الإعجاز، فيكون ذكره لبيان درجته فقط.

16 - إن كان نص الباحث يتناول حديثاً ضعيفاً جداً، مع موافقة متنه للمعطيات العلمية، فلا يصح الاحتجاج بالحديث في الإعجاز، ويكون قيد البحث حتى يثبت معناه من نصوص أخرى.

17 - إن ارتكز الباحث على التأويل المحمود (كالمجاز المنضبط) في تفسير معنى اللفظ الذي ورد في النص الشرعي، فلا يُعتبر إعجازاً علمياً، للبحث والاتعاظ، إلا إذا كانت دلالة المجاز دلالة قطعية.

18 - إن كان الباحث لا يجيد استنباط المعنى من المفهوم العام للنص الشرعي وفق دلالة اللفظ على المعنى، فإنه لا يصح الاحتجاج بالنص الشرعي على أنه إعجاز علمي عند هذا الباحث.

19 - إن كان النص الشرعي ليس من قول الرسول ﷺ، فلا يُعتبر إعجازاً علمياً، للبحث والتفسير.

20 - إن توافر في النص الشرعي جميع الشروط السابقة، ووافق متنه أيضاً المعطيات العلمية، فإن الإعجاز يكون مقبولاً.

ومن الجدير بالذكر أننا تناولنا دراسة متن الأحاديث وسندها كلاً على حدة، لكي نعطي كل ذي حق حقه، ولكي لايتأثر تخريج الأحاديث بالعلم الكوني، والعكس صحيح. ومن ثمّ حكمنا على إعجازها على ضوء هذه المعطيات.

ونرجو من القراء الكرام مراجعة قسم الأحاديث للتأكد من درجات الأحاديث التي استشهدنا بها، ومعرفة ما يصلح منها للاستدلال في ميدان الإعجاز العلمي.

قسم تخريج الأحاديث وصلتها بالإعجاز العلمي

حكمنا على الأحاديث هو بحسب ما قرره بعض أهل الحديث

[وقد يتوصل غيرنا إلى ما يخالفنا فيه، ولكلٍّ سعْيه]

مقدمة: في هذا القسم سوف نخرّج الأحاديث، ومن ثمّ نُعلّق على صلتها بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وفقاً لصحة أسانيد الأحاديث، ولما آلت إليه المعطيات العلمية من حقائق ونظريات، وللشروط التي أوردناها في أواخر مبحث «تعريف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والأسس التي يرتكز عليها». ومن المهم أن ننوّه أن علماء الأحاديث اتفقوا على أن الأحاديث التي وردت في صحيح البخاري، وفي صحيح مسلم صحيحة السند والمتن، لكثرة العناية التي خضعت لها من قبل محقّقيها، وللشروط التي وضعوها. فصحيح البخاري يُعتبر «أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى»[1] عند جمهور المحدّثين، وصحيح مسلم يُعتبر ثاني كتاب بعد صحيح البخاري من حيث البحث في صحة وقوة الأسانيد[2]، وبالتالي فإننا لن نشير في تعليقنا «على صلة الحديث بالإعجاز العلمي» أن الحديث المروى من قبل البخاري و/أو مسلم صحيح السند و/أو المتن، لأنه أمر مسلّم به. غير أنه يتوجب علينا في حال ظهور عكس ذلك أن نشير إلى خلل متنه.

وقد تعمدت عدم ذكر أسانيد الأحاديث لكي لا يمل القارىء من قراءة الأسانيد الطويلة مع الاكتفاء بذكر الصحابي الذي روى الحديث، حيث إن الفضل يرجع إليه في رواية الحديث، ولا يجب أن ننسى فضله في الإسلام وذلك للأحاديث المقبولة - أي للأحاديث ذات درجة الحسن فما فوقها -، غير أني ذكرت الأسانيد للأحاديث المقبولة التي لنا حاجة إلى الخوض في تفاصيلها خلال البحث، كما أني ذكرت أسانيد الأحاديث التي هناك اختلافٌ في سندها بين علماء تخريج الحديث - بقدر ما أتيح لي - لكي يطلّع عليها من أحب أن يخوض في تفاصيلها، وللحاجة إلى دراسة سندها.

(1) مقدمة في أصول الحديث، للدهلوي، ص85.

(2) مقدمة في أصول الحديث، للدهلوي، ص 85 - 86.

● [ح1] عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد، قال: كانَ النَّبيُّ ﷺ في غُرْفةٍ ونحْنُ أسْفَلَ منْهُ، فاطَّلعَ إليْنَا فقَالَ: «مَا تذْكُرُونَ؟» قُلْنَا السَّاعةَ، قالَ: «إنَّ السَّاعةَ لا تكُونُ حتَّى تكُون عشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وخَسْفٌ بِالْمغْرِبِ، وخَسْفٌ في جزيرة الْعَربِ، والدُّخَانُ، والدَّجَّالُ، ودَابَّةُ الْأرْضِ، ويأْجُوجُ ومأْجُوجُ، وطُلُوعُ الشَّمْسِ منْ مَغْرِبِها، ونَارٌ تَخْرجُ مِنْ قُعْرةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ».

انظر ص: 595.

- أخرجه مسلم - **بهذا اللفظ** - في «كتاب الفتن وأشراط الساعة»، (13) باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، رقم 40/ 2901.

- وأخرجه أبو داود في «كتاب الملاحم»، باب أمارات الساعة، رقم 4311.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث أوردناه في سبيل ضرب الأمثال وليس لغرض إظهار الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في مجال تخلّق الجنين، وهو لا يعنينا في هذا المقام. وهذا الحديث يتناول حوادث كونية يرجى كشف حقيقتها في المستقبل، وبالتالي فإن النص الشرعي له القابلية لأن يكون إعجازاً علمياً، فهو للبحث والاتعاظ. وينطبق عليه حكم رقم 5 في مبحث «**تعريف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والأسس التي يرتكز عليها**».

● [ح2] عن بُسْرِ بن جحاش القرشي أنَّ النَّبيَّ ﷺ بصَق يوْمًا في كفِّه، فوضَع عليْها أُصْبُعَهُ ثُمَّ قالَ: «قالَ اللَّهُ: ابْن آدمَ: أنَّى تُعْجِزُني، وقدْ خلقْتُك منْ مِثْلِ هذِهِ، حتَّى إذَا سوَّيْتُك وعدلْتُك مشَيْت بيْن بُرْديْن ولِلْأرْضِ منْك وئِيدٌ، فجمعْت ومنَعْتَ، حتَّى إذَا بلَغت التَّراقِي قُلْتَ: أتصدَّقُ، وأنَّى أوانُ الصَّدقَةِ؟».

انظر ص: 596.

- أخرجه **الإمام** أحمد في المسند 4:210-211 [من طريق أربعة من شيوخه عن حريز ابن عبد الرحمن بن ميسرة].

- وابن ماجه في الوصايا (2707)

والحديث **حسن** يُنظر «مسند أحمد» 29:385، رقم 17842، من طبعة الرسالة.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث أوردناه في سبيل ضرب الأمثال وليس لغرض إظهار الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في مجال تخلّق الجنين، وهو لا يعنينا

في هذا المقام. وهو حديث حسن الإسناد، غير أنه لا يتناول حادثة كونية علميّة، فلا يصح الاحتجاج به أيضاً على أنه إعجاز علمي. وينطبق عليه حكم رقم 8.

● [ح3] عَنْ عائشة رضي الله عنها زَوْجِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّها سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقُولُ: «إِنَّ الْمَلائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنانِ - وَهُوَ السَّحَابُ - فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ، فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ».

انظر ص: 594 (ح) - 693.

- أخرجه البخاري في «كتاب بدء الخلق»، (6) باب ذكر الملائكة، رقم 3210.
وأخرجه في «كتاب الطب»، (46) باب الكهانة، رقم 5762، بلفظ آخر.
وفي «كتاب الأدب، (117) باب قول الرجل للشيء «ليس بشيء» وهو ينوي أنه ليس بحق، رقم 6213، بلفظ آخر.
وأخرجه أيضاً في موضع آخر.
صلة الحديث بالإعجاز العلمي هذا الحديث أوردناه في سبيل ضرب الأمثال والتفسير، وليس لغرض إظهار الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وهو لا يتحدث عن ظاهرة علمية، وبالتالي ليس هناك تعليق عليه من ناحية الإعجاز. وينطبق عليه الحكم رقم 7.

● [ح4] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، /فقصّ الحديث/. فقال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي...، لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تُصبح...، وقال النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب،... ذاك شيطان».

انظر ص: 593 (ح) - 594 (ح) - 693.

- جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في «كتاب الوكالة»، (10) باب إذا وكّل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكّل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمّى جاز، رقم 2311.

وأخرجه في "كتاب بَدْء الخلْق"، (11) باب صفة إبليس وجنوده، رقم 3275 مختصراً.

وأخرجه في "كتاب فضائل القرآن"، (10) باب فضل سورة البقرة، رقم 5010. ولفظه قريب جداً من لفظ الحديث رقم 3275.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح5] عن المغيرة بن شعبة: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ حدَّث عني بحديثٍ يُرى أنه كَذِبٌ فهو أحدُ الكاذبَيْن". وفي رواية "الكاذبين" بالجمع.

انظر ص: 592.

- هذا الحديث رواه **الإمام** مسلم في مقدمة صحيحه، (1) باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين، والتحذير من الكذب على رسول الله ﷺ.

- وأخرجه الترمذي في سننه في "كتاب العلْم"، (9) باب ما جاء فيمن روى حديثاً وهو يرى أنه كذب، رقم 2662، بلفظ: "فهو واحد الكاذبين". [نسخة تحفة الأحوذي 422:7 أحد، بدل واحد]. قال الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيح.

- ورواه ابن ماجهْ في مقدمة سُننه، (5) باب من حدَّث عن رسول الله ﷺ حديثاً وهو يُرى أنه كذب، رقم 38 - 41.

- وأخرجه الإمام أحمد في المسند 14:5، بلفظ "من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين".

وفي 20:5، بلفظ "من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين".

وأخرجه في 113:1، بلفظ "من حدث عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين".

وأخرجه في 250:4 بمثل اللفظ الأول - عنده - لكن بلفظ "الكذّابين".

وفي 252:4 بلفظ: "مَنْ حدَّث بحديثٍ وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذّابين". (فاللفظ هنا عام غير مختص بالنبي ﷺ).

وفي 255:4 بلفظ: "مَنْ حدَّث بحديثٍ وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين - وفي رواية أحد الكذّابين - ". وهذا اللفظ أيضاً عام.

ويُنْظر الحديث رقم 6 (التالي).

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح6] عن أنس ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تعمّد عليّ كذباً فَلْيَتَبَوَّأْ مقعده من النار».

انظر ص: 592.

- أخرجه البخاري - **بهذا اللفظ** - في «كتاب العلم»، (38) باب إثم من كذب على النبي ﷺ، رقم 108.

وفي الكتاب والباب نفسه رقم 106 - 107 - 109 - 110.

وأخرجه في كُتب أخرى كالجنائز والأنبياء والأدب.

- وأخرجه مسلم في «كتاب الزّهد والرقائق»، (16) باب التّثبُّت في الحديث، وحكم كتابة العلم، رقم 72/ 3004.

والحديث أخرجه كثيرون عن عدد كبير من الصحابة.

وقد نص المحدثون على تواتره، يُنظر على سبيل المثال: «نَظْم المُتناثر من الحديث المتواتر»، للمحدِّث محمد بن جعفر الكتّاني، ح رقم 2، كتاب العلم، ص 35 - 41.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح7] عن سعيد بن عمرو أنّهُ سمع ابن عُمر ﷺ عن النبيّ ﷺ أنّهُ قال: «إنّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَكْتُبُ ولا نَحْسُبُ...».

انظر ص: 42.

- أخرجه البخاري في «كتاب الصوم»، (13) باب قول النبي ﷺ: «لا نكتُب ولا نحسُب» رقم 1913. **واللفظ له**.

- وأخرجه مسلم في «كتاب الصيام»، (2) باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، والفطر لرؤية الهلال، رقم 15.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث له علاقة غير مباشرة بالإعجاز، لأنه يظهر أمية الرسول ﷺ ومدى الفتح الربّاني عليه ﷺ، وبالتالي فإن موضوع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة يرتكز عليه، وهو صحيح المعنى، صحيح السند لأنه ورد في صحيح البخاري. وينطبق عليه الحكم رقم 7.

● [ح8] عنْ عائشة أمّ المُؤمنين أنّها قالتْ: أوّلُ ما بُدِئَ به رسُولُ اللّه ﷺ منَ الوحْي الرُّؤيا الصّالحةُ في النّوْم، فكانَ لا يرى رُؤيا إلاّ جاءتْ مثْلَ فلق الصُّبْح، ثُمّ حُبِّب

إِلَيْهِ الْخَلاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ - قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق: 1-3].

انظر ص: 44.

- أخرجه البخاري في "كتاب بدء الوحي"، (1) باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم 3. **واللفظ له.**

- وأخرجه مسلم في "كتاب الإيمان"، (73) باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم 252.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 7.

● [ح9] عن ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ... جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلاَّ نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلاَنِ، قَالَ: "يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟" قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ، قَالَ: "مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا، فَعَلاَ مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذَا عَلاَ مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللَّهِ" قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَذَهَبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَانِيَ اللَّهُ بِهِ".

انظر ص: 74 - 78 - 80 - 82 - 84 - 104 - 105 (ص) - 109 (ح) - 399 - 514 - 543 (ح) - 601 - 602.

- أخرجه **مسلم** في "كتاب الحيض"، (8) باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوقٌ من مائهما، رقم 34.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: يتكلم هذا الحديث عن ظواهر علمية غيبية، ألا

وهي باختصار: إذكار أو إيناث الجنين، والظروف التي تُسهِّل هذه العملية. وقد رُوي هذا المتن بسند آخر وجاء فيه "أذكر" و"آنث". والصحيح هو "أذكرا" و"آنثا" بالتثنية، لأنه يتوجب إشراك كل من ماء الرجل وماء المرأة في عملية إذكار أو إيناث الجنين، وبالتالي تتوفر فيه جميع الشروط لإطلاق عليه حكم "الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة" (حكم رقم 20).

● [10] عنْ أَبي هُرَيْرَة عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «ما من الأَنْبياء نَبيٌّ إلاَّ أُعْطي من الآيَاتِ مَا مِثْلَه أُومن أَوْ آمنَ عَلَيْه الْبَشرُ، وإنَّما كَانَ الَّذي أُوتيتُ وَحْياً أَوْحَاهُ اللَّهُ إليَّ، فَأَرْجو أَنّي أَكْثرُهُمْ تَابعاً يَوْمَ الْقيامة».

انظر ص: 52.

- أخرجه البخاري في "كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنة"، (1) باب قول النبي ﷺ: "بُعثتُ بجوامع الكلم" رقم 7274. **واللفظ له.**

- وأخرجه مسلم في "كتاب الإيمان"، (70) باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمدٍ ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملّته.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث ليس له علاقة مباشرة بالإعجاز، لأنه يتحدث عن طبيعة الإعجاز الذي أُعطي للرسول ﷺ، وليس عن خبر إعجازي محدد. وبالتالي فإن موضوع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة يرتكز عليه. وينطبق عليه الحكم رقم 7.

● [ح11] حدَّثنا عبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ إبْراهيمَ الدِّمَشْقيُّ، حدَّثنا بِشْرُ بْنُ بَكْرٍ، حدَّثنا ابْنُ جَابرٍ، حدَّثني أَبو عَبْد السَّلام عنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَداعَى عَلَيْكُمْ كما تَداعَى الأَكَلَةُ إلَى قَصْعَتِها»، فَقَالَ قائلٌ: ومِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئذٍ كَثِيرٌ، ولَكنَّكُمْ غُثَاءٌ كغُثَاء السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ منْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ منْكُمْ، ولَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ في قُلُوبكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائلٌ: يَا رَسُولَ اللَّه: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيا وكَرَاهيَةُ الْمَوْت».

انظر ص: 54.

- أخرجه أبو داود في "كتاب الملاحم"، باب في تداعي الأمم على الإسلام، رقم 4297. **واللفظ له.**

- وأخرجه أحمد في المسند 339:2.

في سند الحديث مقال، وقد حسّنه بعضهم وقوّى إسناده بعضهم، **والحق أنه حسن لغيره**.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3. إلا أنه يشير إلى إعجاز إخباري (وليس في مجال العلم) لأنه يتكلم عن أخبار غيبية تحققت بعد عصر البعثة، وينطبق عليه الحكم رقم 7.

● [ح12] عن أبي هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «كلّ شيء خُلق من ماء».

انظر ص: 56 - 57.

- أخرجه **الإمام** أحمد في المسند 2: 295 - 323 - 493.

[قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح خلا أبي ميمونة، وهو ثقة، وقال أحمد شاكر في شرحه على المسند 15: 72، رقم 7919: **إسناده صحيح**].

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث صحيح السند، صحيح المعنى من الناحية العلمية، وهو يتكلم عن ظاهرة كونية لا يعلمها إلاّ القليل من الناس، وقد يكون معلوماً لدى علماء عصور ما قبل بعثة الرسول ﷺ، وذلك لأن مجرّد الاحتكام إلى العقل والتفكر والنظر في خلْق الله قد يوصلنا إلى هذه النتيجة، غير أن وصول الناس إلى هذه النتيجة تبقى في مجال الظن لأنه ليس بوسعهم قبل البعثة التحقق من هذا معملياً. أما الرسول ﷺ فقد بتّ في هذا الأمر عن يقين بما أوحى الله تعالى له، وإقرار النبي ﷺ ليس كإقرار الناس لأنه يترتب عليه نفي النبوة، وبالتالي فيعتبر تحدياً، ويصح الاحتجاج به على أنه إعجاز علمي (حكم رقم 20).

● [ح13] عن أبي هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «بُعثتُ بجوامع الكلم».

انظر ص: 20 - 69 - 70 - 137 - 139 (ح) - 211 - 303 - 356 - 540 (ح) - 579 - 695.

- أخرجه **البخاري** في «كتاب الجهاد»، (122) باب قول النبي ﷺ: «نُصرْتُ بالرُّعب مَسيرة شهر»، رقم 2977.

وأخرجه أيضاً في «كتاب التعبير»، (22) باب المفاتيح في اليد، رقم 7013.

وأخرجه أيضاً في «كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنّة»، (1) باب قول النبي ﷺ: «بُعثتُ بجوامع الكلم»، رقم 7273.

- وأخرجه مسلم في «كتاب المساجد ومواضع الصلاة»، رقم 1168.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث ليس له علاقة مباشرة بالإعجاز، لأنه

يتحدث عن منهجية متبعة في إظهار الإعجاز الذي أعطي للرسول ﷺ، ولا يتكلم عن خبر إعجازي محدد. وبالتالي فإن موضوع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة يرتكز عليه. وينطبق عليه الحكم رقم 7.

● [ح14] عنْ أمّ سلمة قالتْ: جاءتْ أمُّ سُليْم إلى رسُول اللّه ﷺ فقالتْ: يا رسُول اللّه: إنّ اللّه لا يسْتحْيي من الْحقّ، فهلْ على الْمرْأة منْ غُسْلٍ إذا احْتلمتْ؟ قال النّبيُّ ﷺ: «إذا رأت الْماء». فغطّتْ أمّ سلمة - تعْني وجْهها - وقالتْ: يا رسُول اللّه: أوتحْتلمُ الْمرْأةُ؟ قال: «نعمْ تربتْ يمينُك فبم يُشْبهُها ولدُها؟».

انظر ص: 74 - 75 - 77 - 82 (ح) - 539 (ح) - 540 (ح) - 543 (ح).

- أخرجه البخاري في «كتاب العلم»، (50) باب الحياء في العلم، رقم 130. **واللفظ له.**

- وأخرجه مسلم في «كتاب الحيض»، (7) باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، رقم 32.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يتكلم عن ظاهرة كونية لا يعلمها إلا القليل من الناس على وجه اليقين (وهو قد يكون معلوماً لبعض من علماء عصور ما قبل البعثة لأنه يتكلم عن أن للمرأة منيًا كما أن للرجل منيّ؛ وهذا أمر غير غيبي، لأنه بوسع المرأة أو الطبيب أن يشاهدا إفرازات المهبل)، وبالتالي فإن النص الشرعي يتناول حادثة قد تكون معلومة في بعض الأزمنة، ولا يصح الاحتجاج به على أنه إعجاز علمي، ولكن يصح الاستشهاد به على أنه مرجع ديني علمي ملفت للنظر، وينطبق عليه الحكم رقم 9.

● [ح15] حدّثنا أبو نُعيْم. حدّثنا سُفْيانُ عنْ ابْن الْمُنْكدر: سمعْتُ جابراً رضي الله عنه قال: كانت الْيهُودُ تقُولُ: إذا جامعها منْ ورائها جاء الْولدُ أحْول، فنزلتْ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: 223].

انظر ص: 43.

- أخرجه البخاري في «تفسير القرآن» باب ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، رقم 4523.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث ليس بعينه الإعجاز، وإنما في الآية

التي نزلت بسببه، وأوردناه في سبيل ضرب الأمثال والتفسير، بيد أن موضوع الإعجاز العلمي يرتكز عليه لأنه ينفي اعتقاداً خاطئاً اكتسبه العرب من اليهود، ويظهر مدى تقدّم تعاليم الإسلام على غيرها من المعتقدات السائدة في شبه الجزيرة العربية. وهو إن كان يتناول موضوعاً علمياً (وهو أن إتيان النساء من قبل الرجال من جهة الخلف في القبل ليس له تأثير على تخلق الجنين)، غير أن موضوعه لا يعتبر بعيداً عن إدراك العالم سليم التفكير، بعيد الحدس، وقد تكون عادة الإتيان المذكورة سابقاً معروفة لدى شعوب أخرى في العالم أنها لا تضرّ. وينطبق عليه الحكم رقم 9.

● [ح16] عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ فِي عَقَبَةٍ - أَوْ قَالَ: فِي ثَنِيَّةٍ - قَالَ: فَلَمَّا عَلاَ عَلَيْهَا رَجُلٌ نَادَى، فَرَفَعَ صَوْتَهُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلاَ غَائِباً».

انظر ص: 83.

- أخرجه البخاري في «كتاب الدعوات»، (7) باب لا حول ولا قوّة إلا بالله، رقم 6409. **واللفظ له.**

- وأخرجه مسلم في «كتاب الذّكر والدّعاء»، (13) باب استحباب خفض الصوت بالذّكر، رقم 45.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح17] عن أبي الودَّاك عن أبي سعيد الخدري سمعه يقول: سُئل رسول الله ﷺ عن العزل، فقال: «ما مِنْ كُلِّ الْمَاءِ يَكُونُ الْوَلَدُ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ خَلْقَ شَيْءٍ لَمْ يَمْنَعْهُ شَيْءٌ».

انظر ص: 106 - 109 - 110 (ص) - 137 - 139 (ح) - 141 - 144 (ح) - 538 - 551.

- أخرجه مسلم في «كتاب النكاح»، (22) باب حكم العزل، رقم 133.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يتكلم عن ظاهرة غيبية وهي أن الإنسان يتخلق من جزء من المنيّ - من الحيوانات المنوية -، وليس من المنيّ كلّه، ولا يمكننا معرفة ذلك إلا بواسطة المجهر الألكتروني (الذي لم يكن متاحاً قبل عصر البعثة) لصغر حجم الحيوانات المنوية، وبالتالي تتوفر فيه جميع الشروط لإطلاق حكم «الإعجاز» العلمي في القرآن والسنة في مجال تخلق الجنين (حكم رقم 20).

● [ح18] عن سالم بن عبد الله بن عُمر بن الخطاب ﷺ عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "بيْنما أنا نائمٌ رأيْتُني أطُوفُ بِالْكعْبة فإذا رجُلٌ آدمُ سبِطُ الشَّعْرِ بيْن رجُليْنِ ينْطِفُ رأْسُهُ ماءً. . .".

انظر ص: 109.

- أخرجه البخاري في "كتاب أحاديث الأنبياء"، (48) باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. . .﴾ [مريم:16]، رقم 3441.

- وأخرجه **مسلم** في "كتاب الإيمان"، (75) باب ذِكْر المسيح ابن مريم والمسيح الدّجّال، رقم 277. **واللفظ له.**

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح19] عن الزهريّ قال: أخبرني أنسُ بْنُ مالكٍ قال: كُنّا جُلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: "يطْلُعُ عليْكُمُ الآن رجُلٌ منْ أهْلِ الْجنّة"، فطلع رجُلٌ مِن الأنْصارِ تنْطِفُ لِحْيتُهُ منْ وُضُوئِه. .

انظر ص: 109.

- رواه **الإمام** أحمد في المسند 3: 166.

قال المنذري في "الترغيب والترهيب" 3: 548 - 549، من كتاب الأدب باب الترهيب من الحسد وفضل سلامة الصدر: **بإسناد على شرط البخاري ومسلم، والنّسائي،** ورواته احتجّا بهم أيضاً، إلا شيخه سويد بن نصر وهو ثقة.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح20] حدثنا حُسيْن بنُ الحسن، حدثنا أبو كدينة، عن عطاء بن السائب، عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال: مرّ يهُوديّ بِرسُول اللّه ﷺ وهُو يُحدّثُ أصْحابهُ، فقالتْ قُريْشٌ: يا يهُوديّ: إنّ هذا يزْعُمُ أنّهُ نبيٌّ، فقال: لأسْألنّهُ عنْ شيْءٍ لا يعْلمُهُ إلاّ نبيٌّ، قال: فجاء حتّى جلس ثُمّ قال: يا مُحمّدُ ممّ يُخْلقُ الإنْسانُ؟ قال: "يا يهُودِيّ منْ كُلٍّ يُخْلقُ، منْ نُطْفةِ الرّجُلِ ومنْ نُطْفةِ الْمرْأة، فأمّا نُطْفةُ الرّجُلِ فنُطْفةٌ غليظةٌ منْها الْعظْمُ والْعصبُ، وأمّا نُطْفةُ الْمرْأةِ فنُطْفةٌ رقِيقةٌ منْها اللّحْمُ والدّمُ، فقام الْيهُوديّ فقال: هكذا كان يقُولُ منْ قبْلك".

انظر ص: 111 - 133 - 134 - 142 - 214 - 220.

- أخرجه الإمام أحمد في المسند 1: 465.

[في سنده حسين بن حسن الأشقر الفزاري ضعيف، قال البخاري: «فيه نظر»، وقال أبو زرعة: " منكر الحديث"، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر: صدوق يهم ويغلو في التشيع، ينظر: شرحه في المسند لأحمد شاكر 6: 199، وتقريب التهذيب رقم: 1318، و"كتاب التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة" للحسيني رقم 1304].

ويُنظر «مسند الإمام أحمد» 7: 437، من طبعة الرسالة.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: إن بعض متن هذا الحديث صحيح مثل: (يا يهوديّ مِنْ كُلٍّ يُخْلَقْ، مِنْ نُطْفَةِ الرَّجُلِ ومِنْ نُطْفَةِ الْمرأة، فأمّا نُطْفَةُ الرَّجُلِ فنُطفةٌ غليظةٌ ....، وأمّا نُطْفَةُ الْمرْأةِ فنُطْفَةٌ رقيقةٌ ...)، وبعضه الآخر غير صحيح مثل: أن العظم والعصب من نطفة الرجل، وأن اللحم والدم من نطفة المرأة. وما يقوله العلم اليوم هي أن كل الأعضاء تتخلق مناصفةً من نطفة الرجل ونطفة المرأة. ويشهد للجزء الصحيح من هذا المتن الحديث رقم 67 على وجه عام، ورقم 69 على وجه خاص. ومن الجدير بالذكر أن العلماء اختلفوا في الحكم على راوٍ من رواة الحديث، حيث أفاد قول العلماء فيه أنه ينفرد بروايات، وله أوهام، وبالتالي فاحتمال الوهم فيه وارد. وعليه فإن الجزء الذي انفرد بروايته، والذي عارض العلم الكوني، يعدّ ضعيفاً لا يصلح للاحتجاج به في مجال الإعجاز العلمي. وينطبق على مجمل الحديث حكم رقم (14).

● [ح21] عن مالك بْنِ الْحُوَيْرِثِ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنّ الله تعالى إذا أراد خلْقَ النَّسمة، فجامع الرَّجُلُ المرأةَ، طار ماؤهُ في كلِّ عِرْقٍ وعصبٍ منها، فإذا كان يومُ السابع جمَعَهُ الله تعالى، ثم أحضرَ لَهُ كلَّ عِرْقٍ له بينه وبين آدم. ثم قرأ: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 8]».

انظر ص: 80 - 136 - 141 - 142 - 144 - 145 - 148 - 150 - 151 - 152 - 153 - 226 - 234 - 235 - 241 - 242 - 245 - 247 - 248 - 268 - 301 - 302 - 398 - 400 - 401 - 407 - 499 - 517 - 518 - 521 - 527 - 533 - 552 - 556 - 557 - 585 - 587 - 595 - 706.

- [رواه **الطبراني** في "الكبير" 19: 644، والأوسط 2: 365 - 366، رقم 1636، و"الصغير": 106، والبيهقيّ في "الأسماء والصفات" 2: 129 (ط1، 1985م، دار الكتاب العربي) وابنُ منده في كتاب «التوحيد»، وقال: إسناده متّصل مشهور على رَسْم أبي عيسى - أي الترمذيّ - والنّسائي وغيرهما. **وجوّد السيوطي** إسناده، وقال الهيثمي: رجاله ثقات. ينظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب: 154، ومجمع الزوائد 7: 134، والدر المنثور: 8/ 439].

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث جيّد الإسناد، وهو صحيح المعنى. ويتناول أخباراً علمية غيبية، وهي - باختصار - انتشار صبغيات نطفة الرجل بين صبغيات نطفة المرأة، وعملية إحضار "خطة تركيب الجنين" من الصبغيات. وبالتالي تتوفّر فيه جميع الشروط لأن نُطلق عليه حكم "الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة" (حكم رقم 20). وقد ورد في متن آخر لهذا الحديث عند البيهقي لفظ "عضو" بدلاً من لفظ "عصب". والأَوْلى هو لفظ "عصب". حيث إن المعطيات العلمية تقصر عملية الانتشار (أي عملية الطيران) على الصبغيات فقط كما يشير إليه معنى كلمتي "عِرْق" و"عَصَبٌ"، وليس على كلّ أعضاء النطفة المُخصّبة. أضف إلى ذلك أنّ مجموع الأحاديث النبوية الشريفة جاء فيها لفظ "عِرْق" فقط دون لفظ "عضو". **انظر تعليقنا عن التصحيف في حاشية «الملحق» المرفق في آخر الكتاب.**

● [ح22] حدثنا الجارود قال: حدثنا علي الحسين بن شقيق قال: أخبرنا عبد الله قال: حدثنا مغيرة بن مسلم عن عبد الله بن بريدة: أن رجلاً من الأنصار وَلَدتْ له امرأته غلاماً أسود، فأخذ بيد امرأته فأتى بها رسول الله ﷺ، فقالت: والذي بعثك بالحق لقد تزوّجني بكراً وما أقعدت مقعده أحداً. فقال رسول الله ﷺ: "صدقتْ، إن لك تسعةً وتسعين عِرْقاً، وله مثلُ ذلك، إذا كان حينُ الولد اضطربت العروق كلُّها، ليس منها عِرْق إلا يسأل الله أن يجعل الشَّبه له"[1].

انظر ص: 146 - 150 - 155 - 156 - 208 - 211 - 381 - 400 - 530 - 533 - 544 - 557 (ح) - 706 - 707 - 710 (ح).

(1) كما جاء في مخطوطة نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض، المملكة العربية السعودية)، برقم 3487.

- أورده السيوطي في «الدر المنثور»، تفسير سورة الانفطار.

- وأخرجه **الحكيم الترمذي** في "نوادر الأصول" الأصل الثامن والأربعون والمائة في الثلاثة التي تحت العرش. ص 191/ من الطبعة المصوّرة في دار صادر - بيروت - /، وقال في رواية ابن بريدة: أن رجلاً من الأنصار.../.

دراسة رجال السند:

- الحارود: هو الجارود[1] (فإما أن يكون أخطأ الناسخ، وإما أن تكون اضمحلت نقطة حرف "ج" مع مرور الزمن) والجارود هو من شيوخ الحكيم الترمذي، وهو شيعي ثقة واسمه عباد بن يعقوب الرواجني (سير أعلام النبلاء: 11/ 536).

- علي الحسين بن شقيق: هو علي بن الحسن[2] بن شقيق (خطأ من الناسخ) من شيوخ البخاري وأحمد بن حنبل وهو ثقة (تهذيب الكمال: 20/ 371).

- عبد الله: هو (ابن المبارك) الإمام الحجة الثقة (تقريب التهذيب: 320).

- مغيرة بن مسلم القَسْمَلي السّراج: صدوق (تقريب التهذيب: 542).

- عبد الله بن بريدة: أبو سهل المروزي، قاضي مرو تابعي ثقة، توفي سنة 105 هجرية وقيل بل 115 هجرية وله مائة سنة، ينظر تقريب التهذيب رقم 3227.

فالحديث ضعيف لإرساله.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث ضعيف لإرساله، وهو صحيح المعنى (إلا في عدد الصبغيات، حيث إن العدد في متن الحديث يتوافق مع المعطيات العلمية في رأس العدد - أي العدد "تسعين" -، ويختلف في الرقم الفرعي - أي العدد "تسعة" - مما يُخفِّف من وطأة الخطأ). ومن الجدير بالذكر أن سند هذا الحديث آحادي، أي أنه لم يُرْوَ إلا من هذا الوجه، وبالتالي فإن احتمال الخطأ فيه وارد، خصوصاً أنه ليس هناك سند قويّ مُتابع له يتكرر فيه هذا الخطأ، وبالتالي سنعتبر هذا الاختلاف ناتجاً من سمع الرواة، وليس من كذبهم لأن جميعهم ثقات.

---

(1) كما جاء في مخطوطة نسخة مكتبة الملك فهد (الرياض، المملكة العربية السعودية)، برقم 181. المجلد الأول، تحت الأصل الخمسين والمائة. ص 215.

(2) في نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود جاء: علي الحسين بن شقيق، وفي نسخة مكتبة الملك فهد جاء: علي الحسن شقيق، والأصل علي بن الحسن بن شقيق، لأن هذا الاسم هو الوحيد الذي له ترجمة. ولأنه يجمع بين ما ورد في النسختين.

كذلك فإن الخطأ ليس ناجماً من خطأ الناسخ وذلك لأن لفظ «تسعة وتسعين عِرْقاً» جاء في جميع المخطوطات التي تحققنا منها.

ومن الجدير بالذكر أنه يحتوي على عدّة إخبارات غيبية صحيحة وفي غاية الدّقة مثل: أن يكون للإنسان عامّة عروقاً (ويشهد لهذا الظاهر الأحاديث رقم: 21، 23، 65، 70، 71، 90، 92). وأنّ هذه العروق تسبّب شبه الإنسان بأقربائه (انظر حديث رقم 21، 65، 71، 90). وأن للرجل عدداً مماثلاً من العروق التي للمرأة، وأن هذه العروق تضطرب (انظر حديث رقم: 21، 23، 65، 70، 90، 92). وأن حادثة الاضطراب تحدث عند بداية «الخَلْق» - أي عند تخصيب البويضة المخصّبة - (انظر حديث رقم 23). وأن هذه العروق تدسّ صفات في النسل غير المباشر (انظر حديث رقم 21، 63، 65، 71).

وبما أن ضعف هذا الحديث غير شديد وذلك لأنه حديث مرسل عن ثقة[1]، وبما أن حادثة اضطراب العروق تندرج تحت ظاهرة كونية يُعتقد ثبوتها في مجال الأحاديث النبوية الشريفة (كما أشرنا إليه سابقاً في هذا التعليق)، وبما أن معظم متنه موافق للمعطيات العلمية المقررة (راجع مبحث «**اضطراب عروق النطفة**»)، فلا بأس من الاستشهاد به في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة[2]، شرط توضيح الفارق البسيط في رقم عدد الصبغيات، وتبيان كيفيّة حدوث هذا الخطأ. وينطبق عليه الحكمان رقم 12 و14.

● [ح23] عن ابن عباس مرفوعاً: «النطفة التي يُخلق منها الولد، ترْعَد لها الأعضاء والعروق كلها، إذا خرجت، وقعت في الرحم».

انظر ص: 155 - 156 - 208 - 210 - 211 - 214 - 215 - 400 - 599 - 705 - 709 (ح) - 710 (ح).

- أخرجه الديلمي. وهو شديد الضعف، قال **السيوطي في «الدر المنثور» 5:6**: «**بسند واه**». وذكره ابنُ عرّاق الكناني في «تنزيه الشريعة» 1:226 رقم 157.

---

(1) راجع تعليقنا على هذا الأمر في مبحث «**تعريف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والأسس التي يرتكز عليها**».

(2) راجع تعليقنا على هذا الأمر في مبحث «**تعريف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والأسس التي يرتكز عليها**».

وفي سنده: نهشل بن سعيد بن وَرْدان. . . متروك - أي مُتهم بالكذب - وكذّبه إسحاق بن راهُوَيْهُ/ التقريب 7198/ .

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث شديد ضعف السند، صحيح المعنى، وذلك لأن راويه «نهشل» اتُهم بالكذب. ولفظ «الأعضاء» لا يتوافق مع المعطيات العلمية كما أشرنا إليه في تعليقنا على الحديث رقم 21. وهو يشير إلى معظم الدلالات العلمية التي يتحدث عنها الحديث السابق، وهي: أن للإنسان عامّة عروقاً، وأن هذه العروق ترعد - أي تضطرب -، وأن حادثة الارتعاد تحدث بعد حصول عملية «الخلْق» - أي بعد تخصيب البويضة المخصّبة - . ويضيف إلى ذلك أن النطفة تأتي من خارج الرّحم، وأنها تخرج من مكان ما لتقع بالرّحم، ويشهد لهاتين الظاهرتين الأخريين الحديث رقم 32. وبما أن الحديث ضعيف جداً (مع أن متنه يوافق المعطيات العلمية) فلا يصح الاحتجاج به في الإعجاز، حتى يثبت معناه من نصوص أخرى، وينطبق عليه الحكم رقم 16. غير أننا نستطيع أن نعتبره أثراً إسلامياً، مع عدم نسبته للرسول ﷺ، وأن نجعله قاعدة للبحث في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

● [ح24] في حديث يزيد بن الأسْوَد العامري: «فجيء بهما تُرْعَدُ فرائصُهما/ أي ترجف وتضطرب من الخوف/ ».

انظر ص: 156.

- أخرجه **الترمذي** في «كتاب الصلاة»، (163) باب ما جاء في الرجل يُصلّي وحده ثُمّ يُدرك الجماعة، رقم 219. **واللفظ له**. وقال: **حديث حسن صحيح**.

- وأخرجه النسائي في «كتاب الإمامة»، (54) باب إعادة الفجر مع الجماعة لمن صلى وحده، رقم 858.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح25] عن عليٍّ - كرّم الله وجهه -: «والّذي فلق الْحبّة وبرأ النّسمة إنّهُ لعهْدُ النّبيّ الأُمّيّ ﷺ إليّ أنْ لا يُحبّني إلاّ مُؤْمنٌ ولا يُبْغضني إلاّ مُنافقٌ».

انظر ص: 159 - 499 (ح).

- أخرجه مسلم في «كتاب الإيمان»، (33) باب الدليل على أن حُبّ الأنصار

وعلي ﷺ من الإيمان. . . ، رقم 131.
صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح26] عن فاطمة بنت أبي حُبَيْش أنها كانت تُستحاض فقال لها النبيُّ ﷺ: «إذا كان دمُ الحَيْض فإنَّهُ دمٌ أسودُ يُعرفُ، فإذا كان ذلك فأمسكي عن الصلاة، فإذا كان الآخرُ فتوضَّئي وصلِّي».

انظر ص: 180 - 186 - 189.

- أخرجه **أبو داود** في سُننه في "كتاب الطهارة"، باب من قال توضأ لكل صلاة، رقم 304. **واللفظ له.**

وأخرجه أيضاً في «كتاب الطهارة»، باب من قال إذا أقبلت الحيضة تدع الصلاة، رقم286. بهذا اللفظ: «إذا كان دم الحيضة فإنّه دم أسود يُعرف، . . .فإنما هو عرق».
[قلت: سكت أبو داود عن الحديثين].

- وأخرجه النسائي في "كتاب الطهارة"، (138) باب الفرق بين دم الحيض والاستحاضة، رقم 215 و216.

وأخرجه أيضاً في "كتاب الحيض والاستحاضة"، (6) باب الفرق بين دم الحيض والاستحاضة، رقم 362 و363.

[قال ابن القيّم في "تهذيب سنن أبي داود" - المطبوع مع كتاب "معالم السُّنن" للخطّابي، بعد أن نقل كلام ابن القطّان بأنه منقطع - قال: في 1 :183 "ولم يرْوه أصحاب الصحيح، وإنّما رواه أبو داود والنّسائي، وسأل عنه ابنُ أبي حاتم أباه فضعّفه، وقال: هذا مُنكر، وصححه الحاكم». انتهى].

- وأخرجه البخاري في «كتاب الحيض»، (26) باب عِرْق الاستحاضة، رقم 327.

- وأخرجه أبو داود في سُننه في "كتاب الطهارة"، باب من روى أن المستحاضة تغتسل لكل صلاة، رقم 289، وسنده: حدثنا أحمد بن صالح، ثنا عنْبسة، ثنا يونس، عن ابن شهاب، أخبرتْني عمرةُ بنت عبد الرحمن، عن أم حبيبة بهذا الحديث - أي الحديث الذي سبق الرقم 289، وهو حديث 288، أن أم حبيبة . . . استُحيضتْ سبع سنين. . . فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه ليست بالحيضة، ولكن هذا عِرْق فاغتسلي وصلي. . .» -.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» 1 :427 - بعد حديث . . .327: وكذا أخرجه

مسلم . . . ، وأبو داود من طريق الأوزاعي . . . - قال: ومسلمٌ أيضاً من طريق إبراهيم بن سعد [ح رقم 64]، وأبو داود من طريق يونس كلاهما عن الزهري عن عمرة وحدها، قال الدارقطني: هو صحيح من رواية الزهري عن عُروة وعمرة جميعاً. انتهى.

[فيكون حديث أبي داود برقم 289 صحيحاً].

[وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط مُعلّقاً على "جامع الأصول" 7: 367: **وهو حديث صحيح**/ أي عن حديث رقم 289/].

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث صحيح السند (وإن كان فيه اختلاف بين العلماء، ولكن الظاهر أنه صحيح)، وهو صحيح المعنى. وهو يتكلم عن ظاهرة علمية، ألا وهي: صفة دم الحيض، وهذا الأمر واضح للعيان والنساء ذوات الخبرة بذلك، وبالتالي لا يصح أن نعتبره إعجازاً علمياً، ولكن يصح أن نعتبره مرجعاً دينياً علمياً مُلْفِتاً للنظر. وينطبق عليه حكم رقم 9.

● [ح27] عن أمّ سلمة قالت: جاءت فاطمةُ رسولَ الله ﷺ فقالت: إني أُسْتَحاض، فقال: «ليس ذلك بالحَيْض إنّما هو عِرْقٌ، لتقعُدْ أيام أقرائها، ثم لتغتسلْ، ثم لتستثْفِرْ بثوبٍ، ولتُصلِّ».

انظر ص: 180 - 186 - 187 - 188 - 587.

- أخرجه **بهذا اللفظ الإمام** أحمد عن أم سلمة (المسند 6: 304).

وأخرجه أحمد أيضاً عن عائشة (المسند 6: 194) أن فاطمة بنت أبي حُبيش جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني أستحاض فلا أطهر أفأدع الصلاة قال: «لا، ليس ذلك بالحيض إنما ذلك عرق، فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة فإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم وصلي».

- **وأصله في** البخاري «كتاب الحيض»، (8) باب الاستحاضة، رقم 306 عن عائشة ﵂ أنها قالت: قالت فاطمةُ بنت أبي حبيش لرسول الله ﷺ: يا رسول الله: إني لا أطهر، أفأدع الصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك عرقٌ وليس بالحيضة، . . .» الحديث.

- وأخرجه أيضاً مسلم في "كتاب الحيض»، (14) باب المستحاضة وغسلها وصلاتها، رقم 62/ 333.

- وأخرجه مالك في "الموطأ"، "كتاب الطهارة"، (29) باب المستحاضة رقم 10.
صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث صحيح لأن أصله ورد في البخاري، وهو يتكلم عن ظاهرة غيبية ألا وهي: ما يمتاز به الرّحِم في تركيبته: وهو وجود العروق فيه بشكلٍ مكثف، وبالتالي يصح أن نعتبره إعجازاً علمياً. وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح28] عن صفيّة بنت حييّ قالت: . . . قال (رسول الله ﷺ): «إنّ الشّيْطانَ يَجْري منَ الإنْسانِ مَجْرى الدّمِ».

انظر ص: 186.

- أخرجه البخاري في "كتاب بَدْء الخَلْق"، (11) باب صفة إبليس وجنوده، رقم 3281. **واللفظ له.**

وأخرجه أيضاً بهذا اللفظ في "كتاب الاعتكاف"، (11) باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، رقم 2038.

وبلفظ "من ابن آدم" أخرجه في "كتاب الأحكام"، (21) باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولاية القضاء أو قبل ذلك الخصم، رقم 7171.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يتكلم عن ظاهرة علمية غير غيبية، لأنه باستطاعة الأطباء في كل العصور تشريح جسم الإنسان ومعرفة هذه الظاهرة، وبالتالي لا يصح أن نعتبره إعجازاً علمياً، ولكن يصح أن نعتبره مرجعاً دينياً علمياً مُلْفتاً للنظر. وينطبق عليه حكم رقم 9.

● [ح29] عنْ عائشة ﷺ: "وكانَتْ/أي أم حبيبة/ تَغْتسِلُ أحْيانًا في مِرْكَنٍ في حُجْرة أُخْتِها زيْنب وهي عنْدَ رسُولِ اللّه ﷺ، حتّى أنّ حُمْرة الدّم لتَعْلُو الْماءَ. . . ".

انظر ص: 186.

- أخرجه مسلم في "كتاب الحيض"، (14) باب المستحاضة وغسلها وصلاتها، رقم 64 (بلفظ قريب منه).

- **والنسائي** في "كتاب الطهارة"، (134) باب ذِكْر الاغتسال من الحيض، رقم 204. **واللفظ له.**

- **وأبو داود** - بمثل لفظ مسلم - في "كتاب الطهارة"، باب من روى أنّ المستحاضة تغتسل لكل صلاة، رقم 288.

- وأخرجه الإمام أحمد في المسند 6: 83 - 187 - 237.
صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3. إلا أنه يتكلم عن ظاهرة علمية.

● [ح30] عَنْ عَائِشَةَ ﷺ ؛ أَنَّ امْرَأَةً مُسْتَحَاضَةً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِيلَ لَهَا أَنَّهُ عِرْقٌ عَانِدٌ . . .

انظر ص: 187.

- أخرجه **النسائي** في «كتاب الطهارة»، (136) باب ذكر اغتسال المستحاضة، رقم 213. **واللفظ له.**
وأخرجه أيضاً في «كتاب الحيض والاستحاضة»، (5) باب جمع المستحاضة بين الصلاتين وغسلها إذا جمعت، رقم 360.
قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط معلقاً على «جامع الأصول» 7: 370: **وهو حديث صحيح.**
- وأخرجه الإمام **أحمد** في المسند 6: 172.
قال الساعاتي في «الفتح الرّباني» 2: 178: الحديث رجاله كلهم رجال الصحيحين (أي البخاري ومسلم).
صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث صحيح السند، صحيح المعنى، وهو يتكلم عن أسباب استحاضة النساء، وهو مقاومة العرق لتخثُّر الدم، وهو أمر غيبي، تحدث به أحد الصحابة وأصاب بنور من الله تعالى كما جاء في الحديث: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ» [ح74]، **ولا يعتبر هذا الجزء من الحديث إعجازاً** علمياً لأن لم يدّعِ أحد من الصحابة معرفة الغيب. ويعتبر أثراً إسلامياً علمياً مُلفتاً للنظر، وينطبق عليه الحكم رقم 19.

● [ح31] حدثنا يحيى بن أبي بُكَيْر قال: ثنا إسرائيل عن عثمان بن سعد عن عبد الله ابن أبي مُليكة قال: حدثتني خالتي فاطمة بنت أبي حبيش قالت: . . . فقال (رسول الله ﷺ): «مُرِي فَاطِمَةَ بِنْتَ أَبِي حُبَيْشٍ، فَلْتُمْسِكْ كُلَّ شَهْرٍ عَدَدَ أَيَّامِ أَقْرَائِهَا، ثُمَّ تَغْتَسِلُ وَتَحْتَشِي، وَتَسْتَثْفِرُ، وَتُنَظِّفُ، ثُمَّ تَطَهَّرُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، وَتُصَلِّي فَإِنَّمَا ذَلِكَ رَكْضَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، أَوْ عِرْقٌ انْقَطَعَ، أَوْ دَاءٌ عَرَضَ لَهَا».

انظر ص: 180 - 186 - 187.

- آخرجه **الإمام** أحمد في المسند 6: 464.

وفيه (عثمان بن سعد) وثّقه أبو نُعيم وشيخه الحاكم، وليّنه غيرُ واحد منهم النسائي وابن معين ويحيى بن سعيد القطان انظر «الكاشف» للذهبي رقم 3699، و«التذكرة» للحسيني 2: 1138 رقم 4498، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر 7: 117، وقال ابنُ عديّ: هو حسنُ الحديث ومع ضعفه يُكتب حديثُه، **والحديث له شواهد يرقى بها للاحتجاج.**

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يُحتجّ به من ناحية السند، وهو صحيح المعنى. ويتكلمّ عن أسباب استحاضة النساء، وهو أن العروق تنقطع داخل الرحم، وهذا أمر غيبي لم يعلمه العلماء إلا بعد أن درسوا بدقّة مقطع الرحم وتكوينه، وبالتالي يصح الاحتجاج به على أنه إعجاز علمي، وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح32] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا وقعت النطفة في الرحم، بعث الله ملكاً فقال: يا ربّ: مخلّقة أو غير مخلّقة؟ فإن قال: غير مخلّقة، مجّتها الأرحام دماً، وإن قال: مخلّقة، قال: يا ربّ: فما صفة هذه النطفة؟ أذكر أم أنثى؟ ما رزقها؟ ما أجلها؟ أشقيّ أم سعيد؟ قال: فيقال له: انطلق إلى أمّ الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة، قال: فينطلق الملك فينسخها، فلا تزال حتى يأتي على آخر صفتها.

انظر ص: 169 - 170 - 206 - 208 - 209 - 210 - 211 - 213 - 214 - 215 - 297 (ح) - 343 - 348 - 399 - 543 (ح) - 558 (ح) - 585 - 586 589 - 706.

قال بدر الدين العيني في عمدة القاري - ج3/ ص291 -: «وقد بين ذلك حديث رواه الطبراني **بإسناد صحيح** من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إذا وقعت النطفة في الرّحم بعث الله ملكاً، فقال يا ربّ: مخلّقة أو غير مخلّقة؟ فإن قال: غير مخلّقة، مجّها الرحم دماً. وإن قال: مخلّقة، قال: يا ربّ: فما صفة هذه النطفة؟ فيقال له: انطلق إلى أم الكتاب فإنك تجد قصة هذه النطفة، فينطلق فيجد قصتها في أم الكتاب)، **وهو موقوف لفظاً، مرفوع حكماً**، لأن الإخبار عن شيء لا يدركه العقل محمول على السماع».

وانظر فتح الباري في صحيح البخاري لابن حجر [1: 418-419]، وقد عزاه إلى الإمام **الطبري**، وهو موجود عنده بنفس الإسناد المذكور آنفاً في تفسير سورة الحج،

وهو كالتالي: (حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو معاوية، عن داود بن أبي هند، عن عامر، عن علقمة، عن عبد الله، قال: . . . . [الحديث]).

أقول: إن ابن مسعود صحابي جليل في منتهى الصدق، وقد روي عنه أشهر حديث في الصحيحين على الإطلاق في مجال تخلق الجنين، وهو حديث رقم [43] أو [46]، وبالتالي فمن المستبعد تماماً أن يتكلم برأيه عن حادثة غيبية، لذا وجب أن يقول هذا الحديث استناداً إلى شيء عنده عن طريق الرسول ﷺ، وذلك لعدة أسباب:

1 - أن هذا الخبر لا يقال من قبل الرأي، ولا سبيل إلى معرفة هذا إلا عن طريق النبوة.

2 - أن ابن مسعود رضي الله عنه لم يرو عن أهل الكتاب، ولم يعرف بالرواية عنهم[1].

3 - أنه من تتبع الأحاديث التي رُويت عن ابن مسعود رضي الله عنه لاحظ أنه لا يرفع الحديث لرسول الله ﷺ - أو جزءاً من الحديث - إلا إذا تأكد من أدائه بلفظه كما سمعه، ويسكت عن رفع باقي الحديث ويرويه بالمعنى، بالرغم من أن الأحاديث التي رواها رُويت بأسانيد أخرى مرفوعة بأكملها، وانظر في هذا الخصوص - على سبيل المثال -: الحديث الذي رُوي في صحيح مسلم، كتاب "الفتن وأشراط الساعة"، باب "إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال"، رقم 2899، والحديث الذي رُوي في صحيح البخاري، في كتاب "الفرائض"، باب "ميراث ابنة الابن مع بنت"، مع الحديث الذي رُوي في نفس المرجع السابق، في نفس الكتاب، ولكن تحت باب "ميراث الأخوات مع البنات عصبة".

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث صحيح السند، صحيح المعنى، ويتكلَّم عن ظاهرتين غيبيَّتين: وقوع النطفة في الرَّحم، والإجهاض المبكر، وبالتالي يصح الاحتجاج به على أنه إعجاز علمي، وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح33] قال ﷺ: «النطفةُ إذا استقرّت في الرّحم جاءها ملك، فأخذها بكفّه فقال: أي ربّ: مخلّقة أم غير مخلّقة؟ فإن قيل: غير مخلّقة، لم تكن نسمة، وقذفتها الأرحام دماً».

---

(1) تدريب الراوي للسيوطي - (ج1/ ص155).

انظر ص: 206 - 235 (ح) - 297 - 400.

- [جاء في "جامع العلوم والحكم" ص 160: خرّجه ابن **أبي حاتم** وغيره.

- وفي التعليق على الكتاب: ورواه أيضاً الطبريّ 17: 117، **وإسناده صحيح]**.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث صحيح السند، صحيح المعنى، ويتكلّمُ عن ظاهرتين غيبيتين: استقرار النطفة في الرّحم، والإجهاض المبكر. وبالتالي يصح الاحتجاج به على أنه إعجاز علمي، وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح34] عَنْ ابْنِ عُمر ﷺ أنّ رَسُول اللّه ﷺ قالَ: "مفاتحُ الْغيْب خمْسٌ لاَ يعْلمُها إلاّ اللّهُ؛ لا يعْلَمُ ما في غدٍ إلاّ اللّهُ، ولا يعْلمُ ما تغيضُ الأرْحامُ إلاّ اللّهُ، ولا يعْلمُ متى يأتي الْمطرُ أحدٌ إلاّ اللّهُ، ولا تدْري نفْسٌ بأيّ أرْضٍ تمُوتُ، ولا يعْلَمُ متى تقُومُ السّاعةُ إلاّ اللّهُ".

انظر ص: 226 - 227 - 229 (ح) - 230 (ح) 233 - 234.

- أخرجه **البخاري** في "كتاب التفسير"، سورة الرعد، باب ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ [الرعد: 8]، غيض: نُقص، رقم 4697، لكن بلفظ "مفاتيح...".

[وقد رُوي هذا الحديث في البخاري في أكثر من موضع بألفاظ مختصرة، وفيها تقديم وتأخير...]. **واللفظ له**.

- وأخرجه أحمد في المسند بلفظ مأخوذ من الآية 2: 122، وفي 2: 24 - وفي 2: 52 بلفظ قريب من لفظ البخاري - وفي 2: 58.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يتحدّى العلماء والبشر أجمعين على أن يعلموا ما هي خصائص النطفة في مرحلة غيضها في الرحم. وبالتالي يصح الاحتجاج به على أنه إعجاز علمي، وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح35] عن أبي هريرة ﷺ أن رَسُولَ اللّه ﷺ قال: "كُلُّ ابْن آدم يأكُلُهُ التُّرابُ إلاّ عجْب الذّنب منْهُ خُلق وفيه يُركّبُ".

انظر ص: 247 - 249 - 250 - 401.

- أخرجه **مسلم** في "كتاب الفتن"، (28) باب ما بين النفختين، رقم 142. **واللفظ له**. وينظر فيه رقم 141 و143.

- وفي البخاري لفظ قريب من حديثي مسلم - برقم 141 و143 - في "كتاب التفسير"، باب ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ . . .﴾ [الزمر: 68] من سورة الزمر، رقم 4814. وفي سورة ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ] باب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ . . .﴾ [النبأ: 18]، رقم 4935.

- وأخرجه أبو داود في «كتاب السُّنَّة» باب في ذكر البعث والصُّور، رقم 4743.

- وأخرجه الإمام مالكٌ في الموطّأ في «كتاب الجنائز»، (16) باب جامع الجنائز، رقم 48 بلفظ «تأكله الأرض».

- وأخرجه الإمام أحمد في المسند 2: 322 - 428.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يتكلّم عن ظاهرة غيبية جداً لم يعلمها العلماء الكونيون إلا في الآونة الأخيرة: وهي أن تخلق الجنين يكون من مؤخرة ذنبه. وبالتالي يصح الاحتجاج به على أنه إعجاز علمي، وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح36] عن الحسن بن موسى، عن عبد الله، عن دراج بن سمعان (أبو السمح) عن سليمان بن عمرو بن عبد، عن سعد بن مالك (أبي سعيد الخدري) عن رسولِ الله ﷺ أنَّهُ قَالَ: «يأكُلُ التُّرابُ كُلَّ شيْءٍ مِن الإنسانِ إلاَّ عجْبَ ذَنَبِه»، قيل: ومِثْلُ ما هُوَ يا رَسُولَ اللّهِ؟ قالَ: «مِثْلُ حبّةِ خرْدلٍ مِنْهُ تَنْبُتُونَ».

انظر ص: 247 - 249 - 250.

- أخرجه **الإمام أحمد** في المسند 3: 28. **واللفظ له** عن أبي سعيد الخدري وحسّن الهيثمي إسناده في «مجمع الزوائد» 10: 332، من «كتاب البعث»، باب قيام الساعة وكيف ينبتون. وسكت عنه الحافظ في "فتح الباري" 6: 552 من «كتاب التفسير»، سورة الزُّمر . . .، عند الحديث رقم 4814.

- وقد أخرجه الحاكم وقال: «صحيح الإسناد» وسكت عنه الذهبي.

وفي سنده دراج أبي السمح وفي روايته ضعف. **ولكن الحديث صحيح بطرقه وشواهده**. ويُنظر الحديث رقم 35 السابق والحديث رقم (37) الآتي.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث صحيح المعنى، وله حكم الحديث السابق، غير أنه يضيف إخباراً غيبياً آخر: وهو أن مؤخرة الذنب الذي ينشأ منه الجنين صغير الحجم جداً.

● [ح37] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْماً، قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْراً، قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلاَّ يَبْلَى إِلاَّ عَظْماً وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

انظر ص: 247 - 249 - 250 - 260 - 261 - 265.

- أخرجه البخاري في "كتاب التفسير"، سورة عم، (1) باب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ...﴾ [النبأ: 18]، رقم 4935.

ويُنظر الحديث رقم 35 المتقدم.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يضيف خبراً غيبياً آخر: وهو أن مؤخرة الذنب التي ينشأ منها الجنين مادتها عظمية. وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح38] عن علي بن أبي طالب ﷺ عن رسول الله ﷺ... إذا سجد قال: "اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ".

انظر ص: 289 - 304 - 307 (ص) - 309 - 311.

- أخرجه مسلم في "كتاب صلاة المسافرين وقصرها"، (26) باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم 201. **واللفظ له.**

- وأخرجه أبو داود في "كتاب الصلاة"، باب ما يُستفتح به الصلاة من الدعاء، رقم 760.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يتكلم عن ظاهرة غيبية، وهي كيفية خلق السمع والبصر لدى الجنين، وبالتالي يصح الاحتجاج به على أنه إعجاز علمي، وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح39] حدَّثنا ابْنُ أَبِي عُمَرَ وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَخْزُومِيُّ قَالاَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: اشْتَكَى أَبُو الرَّدَّادِ اللَّيْثِيُّ فَعَادَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَقَالَ: خَيْرُهُمْ وَأَوْصَلُهُمْ مَا عَلِمْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ، فَقَالَ

عَبْدُ الرَّحْمنِ: سمعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقُولُ: «قالَ اللَّهُ تبارَكَ وتعالى: أنا اللَّهُ، وأَنَا الرَّحْمنُ، خلقْتُ الرَّحِمَ، وَشقَقْتُ لَها مِن اسْمي، فمنْ وَصلَها وَصلْتُهُ، ومنْ قطعَها بَتَتُّهُ».

انظر ص: 304.

- أخرجه **أبو داود** في «كتاب الزَّكاة»، باب في صلة الرَّحم، رقم 1694.

- **والترمذي** في «كتاب البر والصلة»، (9) باب ما جاء في قطيعة الرحم، رقم 1907. قال الترمذي: حديث صحيح. **واللفظ له**.

قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط معلقاً على «جامع الأصول» 6: 486: إسناده - أي إسناد الترمذي - منقطع. «**وللمتن متابع رواه أبو يعلى بسند صحيح**». انتهى.

قلت: يُنظر «تهذيب التهذيب» لابن حجر 3: 271، ترجمة رَدّاد اللّيثي. و«تحفة الأحوذي» للمباركفوري 6: 34 - 35.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح40] عنْ عبْد اللَّه عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «لَيس منّا منْ شقَّ الْجُيُوب، وضَرب الْخُدُود، ودَعا بِدَعْوَة الْجاهلِيّة».

انظر ص: 305.

- أخرجه **البخاري** في «كتاب الجنائز»، (35) باب ليس منا من شق الجيوب، رقم 1294. وفي (38) باب ليس منا من ضرب الخدود. وفي (39) باب ما يُنهى من الويل ودعوى الجاهلية عند المصيبة. (بألفاظ فيها تقديم وتأخير).

- و **مسلم** في «كتاب الإيمان»، (44) باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، رقم 165، بلفظ: «ليس منا من ضرب الخدود، أو شق الجيوب، أو دعا بدعوى الجاهلية».

- **والترمذي** في «كتاب الجنائز»، (22) باب ما جاء في النهي عن ضرب الخدود وشق الجيوب عند المصيبة، رقم 999. **واللفظ له**. وقال: **هذا حديث حسن صحيح**.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح41] عن مُعَيْقيبُ بن أبي فاطمة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في الرَّجل يُسوّي التُّراب حيْثُ يَسْجُدُ، قالَ: «إنْ كُنْتَ فاعلاً فَواحدَةً».

انظر ص: 317.

- أخرجه البخاري في «كتاب العمل في الصلاة»، (8) باب مسح الحصى في الصلاة، رقم 1207.

- وأخرجه مسلم في «كتاب المساجد ومواضع الصلاة»، (12) باب كراهة مسح الحصى وتسوية التراب في الصلاة، رقم 49.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح42] عن عبد الله بن فروخ أنه سمع عائشة رضي الله عنها تقول: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إنْسانٍ مِنْ بني آدمَ على ستِّين وثلاثِ مائةِ مَفْصِلٍ، فمنْ كبَّرَ اللَّهَ، وحَمِدَ اللَّهَ، وهلَّلَ اللَّهَ، وسبَّحَ اللَّهَ، واسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وعزَلَ حجراً عنْ طريقِ النَّاسِ، أوْ شوْكةً أوْ عظْماً عنْ طريقِ النَّاسِ، وأمرَ بمعْرُوفٍ أوْ نهى عنْ مُنْكرٍ عَدَدَ تلْكَ السِّتِّينَ والثَّلاثِ مائةِ السُّلامى فإنَّهُ يمْشي يوْمئذٍ وقدْ زحْزحَ نفْسَهُ عنْ النَّارِ».

انظر ص: 323 - 333 - 381 (ح) - 556.

- أخرجه مسلم في «كتاب الزكاة»، (16) باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم 54.

- [وقريب من القسم الأول من الحديث، في مسند الإمام أحمد 5: 354 و35].

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يتكلم عن ظاهرة غيبية، وهي عدد المفاصل أو العظام لدى الجنين، وبالتالي يصح الاحتجاج به على أنه إعجاز علمي، وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح43] عن عبد الله (بن مسعود) رضي الله عنه قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ -: «إنَّ أحدكُمْ يُجمعُ خلْقُهُ في بطْنِ أُمِّهِ أرْبعين يوْماً، ثُمَّ يكُونُ في ذلكَ علقةً مثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يكُونُ في ذلكَ مُضْغةً مثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يُرْسلُ الملَكُ فينْفُخُ فيه الرُّوحَ ويُؤْمرُ بأرْبعِ كلماتٍ: بكتْبِ رزْقه وأجله وعمله وشقيٌّ أوْ سعيدٌ، فوالَّذي لا إلهَ غيْرُهُ إنَّ أحدكُمْ ليعْملُ بعملِ أهْلِ الجنَّة حتى ما يكُونُ بيْنهُ وبيْنها إلاَّ ذراعٌ فيسْبقُ عليْه الكتابُ فيعْملُ بعملِ أهْلِ النَّارِ فيدْخُلُها وإنَّ أحدكُمْ ليعْملُ بعملِ أهْلِ النَّارِ حتى ما يكُونُ بيْنهُ وبيْنها إلاَّ ذراعٌ فيسْبقُ عليْه الكتابُ فيعْملُ بعملِ أهْلِ الجنَّة فيدْخُلُها».

انـظـر ص: 289 - 295 - 301 - 302 - 316 - 317 - 331 - 341 - 342 - 381 (ح) - 398 - 424 - 430 - 576.

- أخرجه البخاري في «كتاب القدر»، (1) باب (في القدر)، رقم 6594.

وفي «كتاب بدء الخلق»، (6) باب ذكر الملائكة، رقم 3208.

وفي «كتاب أحاديث الأنبياء»، (1) باب خلق آدم وذريته، رقم 3332.

وفي «كتاب التوحيد»، (28) باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: 171]، رقم 7454.

- وأخرجه **مسلم** في «كتاب القدر»، (1) باب كيفية الخلق الآدمي، في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، . . . ، رقم 1. **واللفظ له**.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يتكلم عن عدة ظواهر غيبية، أبرزها: أن الجنين يمرّ بما يسمى ظاهرة «جمع الخلق»، وأن هذه الفترة مدّتها أربعون يوماً، وبالتالي يصح الاحتجاج به على أنه إعجاز علمي. وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح44] عن ابن عمر ﷺ قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله أن يخلق نسمةً قال ملك الأرحام معرضاً: أي ربّ: أذكرٌ أم أنثى؟ فيقضي الله، فيقول: أي ربّ: أشقي أم سعيد؟ فيقضي الله أمره، ثم يكتب بين عينيه ما هو لاقٍ حتى النكبة ينكبها».

انظر ص: 349.

- قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» 7: 193، من «كتاب القدر»، باب ما يكتب على العبد في بطن أمه: رواه أبو يعلى والبزار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح. انتهى.

- والحديث في «**مسند أبي يعلى الموصلي**» 10: 154 رقم 5775، قال المحقق: **إسناده صحيح**.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث صحيح السند، صحيح المعنى، وهو يتحدث عن أن الجنين يؤنّث أو يُذكّر بعد مرحلة خلق الشيء الحي - أي بعد مرحلة نفخ الروح - وهذا الأمر غيبي نستطيع أن نحدد وقته إذا ما استعنّا بأحاديث أخرى. وهو يتكلم أيضاً عن حادثة غير مرئية وغير واضحة تمام الوضوح للعلم الكوني، وهي كتابة مصير الجنين بين عينيه. ويصح أن نعتبره إعجازاً علمياً في مجال إذكار أو إيناث الجنين، وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح45] عن أبي الزُّبَيْر المكي أن عامر بن واثلة حدّثه... فأتى رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له حذيفة بن أسيد الغفاري... فقال له الرجل: ... فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مرّ بالنُّطْفة ثنتان وأربعون ليْلةً، بعث اللّهُ إليْها ملكاً، فصوّرها وخلق سمْعها وبصرها وجلْدها ولحْمها وعظامها، ثُمّ قال: يا ربّ: أذكرٌ أمْ أُنثى؟ فيقْضي ربُّك ما شاء، ويكْتُبُ الْملَكُ، ثُمّ يقُولُ: يا ربّ: أجلُهُ؟ فيقولُ ربُّك ما شاء، ويكْتُبُ الْملَكُ، ثُمّ يقُولُ: يا ربّ: رزْقُهُ؟ فيقْضي ربُّك ما شاء، ويكْتُبُ الْملَكُ، ثُمّ يخْرُجُ الْملَكُ بالصّحيفة في يده فلا يزيدُ على ما أُمر ولا ينْقُصُ».

انظر ص: 107 (ح) - 316 - 319 - 321 - 331 - 340 - 345 - 349 - 356 - 361 - 363 - 368 - 401 - 402 - 421 - 426 - 427 - 428.

- أخرجه مسلم بهذا اللفظ في «كتاب القدر»، (1) باب كيفية الخلْق الآدمي، في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته، رقم 2645.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي. هذا الحديث يتكلم عن عدّة ظواهر غيبية، ولا سيما أن تصوير وخلق السمع والبصر والجلد واللحم والعظام يأتي زمنياً بعد اثنين وأربعين يوماً، وقبل إذكار أو إيناث الجنين، وهو أمر غيبي، وبالتالي يصح الاحتجاج به على أنه إعجاز علمي، وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح46] عن عبْدُ اللّه (بن مسعود) حدّثنا رسُولُ اللّه ﷺ - وهُو الصّادقُ الْمصْدُوقُ -، قال: «إنّ أحدكُمْ يُجمعُ خلْقُهُ في بطْن أُمّه أرْبعين يوْماً، ثُمّ يكُونُ علقةً مثْل ذلك، ثُمّ يكُونُ مُضْغةً مثْل ذلك، ثُمّ يبْعثُ اللّهُ ملكاً فيُؤْمرُ بأرْبع كلماتٍ ويُقالُ لهُ: اكْتُبْ عملهُ ورزْقهُ وأجلهُ وشقيٌّ أوْ سعيدٌ، ثُمّ يُنْفخُ فيه الرُّوحُ. فإنّ الرّجُل منْكُمْ ليعْملُ حتّى ما يكُونُ بيْنهُ وبيْن الْجنّة إلاّ ذراعٌ فيسْبقُ عليْه كتابُهُ فيعْملُ بعمل أهْل النّار، ويعْملُ حتّى ما يكُونُ بيْنهُ وبيْن النّار إلاّ ذراعٌ فيسْبقُ عليْه الْكتابُ فيعْملُ بعمل أهْل الْجنّة». (نسخة الحافظ اليُونيني «فيعمل» 4: 135، تصوير دار إحياء التراث العربي - بيروت - عن طبعة البابي الحلبي - القاهرة - سنة 1378 هجرية).

انظر ص: 341 - 342 - 423.

- أخرجه البخاري في «كتاب بَدْء الخَلْق»، (6) باب ذِكْر الملائكة، رقم 3208.

ويُنْظر الحديث رقم 43.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: له نفس حكم الحديث رقم 43. ولكن من الجدير بالذكر أن الحديث رقم 43 أدق في تعبيره من هذا الحديث، وبالتالي من الأولى أن نستشهد بالحديث رقم 43 في مجال الإعجاز العلمي وفي المجال التشريعي بالرغم من أن هذا الحديث أكثر تداولاً بين العلماء المسلمين!!.

● [ح47] عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ - يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ: «يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَمَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ: أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَيُكْتَبَانِ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ: أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ فَيُكْتَبَانِ. وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ فَلاَ يُزَادُ فِيهَا وَلاَ يُنْقَصُ».

انظر ص: 426.

- أخرجه مسلم في «كتاب القدر»، (1) باب كيفية الخلق الآدمي، في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم 2644. **واللفظ له.**

- وأخرجه أحمد في المسند 4: 6 - 7.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يتكلم عن ظاهرة غيبية، وهي المدّة التي يمكث فيها الجنين قبل نفخ الروح فيه (بدلالة سؤال الملك لربّه ﷻ أشقي أو سعيد - وهذا لا يكون إلا بعد نفخ الروح -) وقبل أن يؤنَّث أو يذكَّر. ومن الجدير بالذكر أن الحديث ليس بوضوح الأحاديث رقم 43، و45 و46، من جهة أنه لا يُصرح بوضوح مسألة نفخ الروح، وبالتالي من الأفضل أن نذكره مع الأحاديث السالفة الذكر لكي لا يحصل الالتباس. ولكن أهميته تكمن في أنه يذكر مدّة مختلفة قليلاً عن مدّة الأربعين أو الاثنين والأربعين حتى يُظهر أن الأجنّة تختلف فيما بينها. ويصح الاحتجاج به على أنه إعجاز علمي، وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح48] عن حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيْدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأُذُنَيَّ هَاتَيْنِ يَقُولُ: «إِنَّ النُّطْفَةَ تَقَعُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ يَتَصَوَّرُ عَلَيْهَا الْمَلَكُ...».

انظر ص: 215 - 426.

- أخرجه مسلم في «كتاب القدر»، (1) باب كيفية الخلْق الآدمي، في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته، رقم (1/ 4)/ 2645.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يتكلم عن ظاهرة غيبية، وهي المدّة التي يمكث فيها الجنين قبل بدء عملية التصوير له. وبالتالي يصح الاحتجاج به على أنه إعجاز علمي، وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح49] عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ الْغِفَارِيِّ صاحِبِ رسُولِ اللَّهِ ﷺ، رفَعَ الْحديثَ إلى رسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أنّ ملكاً مُوكَّلاً بالرّحِم إذا أراد اللَّهُ أنْ يخْلُق شيْئاً بإذْنِ اللَّهِ لبِضْعٍ وأرْبعِين ليْلةً...».

انظر ص: 426.

- أخرجه مسلم في «كتاب القدر»، (1) باب كيفية الخلْق الآدمي، في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم (2/ 4)/ 2645.

[تنبيه: بعض أجزاء الحديث - بتقديم وتأخير واختلاف بعض اللفظ - في البخاري ومسند أحمد، لكن قوله: «إذا أراد... ليلة» في مسلم فقط].

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: له نفس حكم الحديث رقم 47.

● [ح50] حدثنا أحمد بن عبد الملك، حدثنا الخطاب بن القاسم، عن خصيف، عن أبي الزُّبيْرِ عنْ جابِرٍ قال: قال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا اسْتقرّتِ النُّطْفةُ في الرّحِمِ أرْبعِين يوْماً أوْ أرْبعِين ليْلةً بعث إليْها ملكاً فيقُولُ: يا ربِّ: ما رِزْقُهُ؟ فيُقالُ لهُ، فيقُولُ: يا ربِّ: ما أجلُهُ؟ فيُقالُ لهُ، فيقُولُ: يا ربِّ: ذكرٌ أوْ أُنْثى؟ فيُعْلمُ، فيقُولُ: يا ربِّ: شقِيٌّ أوْ سعِيدٌ؟ فيُعْلمُ».

انظر ص: 426.

- أخرجه الإمام أحمد في المسند، 3: 397. **[دون لفظ الجلالة «الله»،**

وفي «الفتح الرّباني» للساعاتي 1: 129 بلفظ: «بعث الله إليه ملكاً».

وفي «مجمع الزوائد» للهيثمي 7: 192: «بعث الله إليها ملكاً»].

- قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» 7: 192: رواه أحمد، وفيه خُصيف، وثقه ابن معين وجماعة وفيه خلاف، وبقية رجاله ثقات.

وينظر «تهذيب التهذيب» لابن حجر 3: 143 - 144 (ففيه خلاف كبير).

وفي «التهذيب» عن ابن حبّان: إلا أن الإنصاف فيه: قبول ما وافق الثقات في الروايات وترك ما لم يتابع عليه.

قال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب» رقم 1718: صدوق سيّء الحفظ خلط بأخرة، ورُمي بالإرجاء.

[جاء في حاشية التقريب: (ضُعيف: حسّن الترمذي حديثه) - من طبعة دار ابن حزم - بيروت - الأولى سنة 1420 هجرية، تحقيق العلاّمة المحدّث محمد عوّامة].

والحديث، كما في «مسند أحمد» 23: 414، رقم 15269 من طبعة الرسالة، صحيح لغيره.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: له نفس حكم الحديث رقم 47، إلا أنه لا يذكر مدّة مختلفة عن الأربعين.

● [ح51] عن عامر بن سعد أن أسامة بن زيد أخبر والده سعد بن أبي وقاص أنّ رَجُلاً جاءَ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فقالَ: إنّي أَعْزِلُ عَنْ امْرأَتي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟» فَقالَ الرَّجُلُ: أُشْفِقُ على وَلَدِها أوْ على أَوْلادِها، فَقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كانَ ذَلِكَ ضارًّا ضَرَّ فارِسَ والرُّومَ».

انظر ص: 483 - 484 - 488.

- أخرجه مسلم في «كتاب النكاح»، (24) باب جواز الغيلة وهي وطء المرضع وكراهة العزل، رقم 143/ 1443.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يتكلم عن أمر معلوم، وهو أنّ فارس والروم يجامعون نساءهم خلال الحمل، وقد يترتب على ذلك حمل المرأة، وقد يؤثر على نوعية لبنها. ولكن إقرار الرسول ﷺ بأن مجامعة النساء خلال الحمل لا تضر ليس كإقرار الشعوب، فالشعوب التي مضت ترتكز على خبرتها في هذا المجال، وليس لديها الإمكانية بأن تجري الفحوص المعملية، وأن تعلم التركيبة الكيميائية للبن الأم (وهذا من مجال الغيب في عصر ما قبل البعثة) وأن تتأكد أن ذلك يضرّ أو لا. أما إقرار النبي ﷺ ففيه تحدٍّ لأنه عارض تقاليد شعبه، ويترتب عليه نفي النبوة منه في حال ثبت العكس، وبالتالي يصح أن نعتبر هذا الحديث على أنه إعجاز علمي في مجال الرضاعة، وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح52] عن جُدامة بنت وهب أُخت عكّاشة قالت: حضرت رسول الله ﷺ في أناس وهو يقول: «لقَدْ همَمْتُ أنْ أنْهى عنْ الْغيلة فنظرْتُ في الرّوم وفارس فإذا هُمْ يُغيلُون أوْلادهُمْ فلا يضرُّ أوْلادهُمْ ذلك شيْئاً».

انظر ص: 483 - 484 - 485 - 486.

- أخرجه **مسلم** في "كتاب النكاح"، (24) باب جواز الغيْلة وهي وطء المرضع وكراهة العزْل، رقم 141/ 1442.

- وأخرجه الإمام أحمد في المسند 6: 434 بهذا اللفظ أيضاً، لكن بدل «فلا»: بالفاء، و"لا": بالواو.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: له نفس حكم الحديث رقم 52.

● [ح53] حدّثنا الرّبيعُ بْنُ نافعٍ أبُو توْبة حدّثنا مُحمّدُ بْنُ مُهاجرٍ عنْ أبيه عنْ أسْماء بنْت يزيد بْن السّكن قالتْ: سمعْتُ رسُول اللّه ﷺ يقُولُ: «لاَ تقْتُلُوا أوْلادكُمْ سرًّا فإنّ الْغيْل يُدْركُ الْفارس فيُدعْثرُهُ عنْ فرسه».

انظر ص: 483 - 484 - 485 - 486.

- أخرجه - بهذا اللفظ **أبو داود** في سننه في «كتاب الطّب»، باب في الغيْل، رقم 3881.

- وأخرجه **الإمام** أحمد في المسند 6: 453، باللفظ: "لا تقتلوا أولادكم سرًّا فإن قتْل الغيْل يدرك الفارس فيدعثره عن ظهر فرسه".

وأخرجه أيضاً في المسند 6: 458 بلفظ: «لا تقتلوا أولادكم سرًّا فإن الغيْل يدرك الفارس فيدعثره من فوق فرسه».

قال الساعاتي في "الفتح الرّباني» 16: 221: **وسنده حسن**.

- وأخرجه **ابن ماجة** في سننه في «كتاب النكاح"، (61) باب الغيْل، رقم 2012 بلفظ: "لا تقتلوا أولادكم سرًّا فوالّذي نفسي بيده إن الغيْل ليدرك الفارس على ظهر فرسه حتى يصرعه".

قال الشيخ الأرناؤوط معلّقاً على «جامع الأصول» 11: 528: وفي سنده: المهاجر بن أبي مسلم (مولى أسماء بنت يزيد بن السّكن)، لم يوثّقه غير ابن حبّان، وباقي رجاله ثقات. انتهى.

والمهاجر بن أبي مسلم، قال عنه الذهبي في «الكاشف»، رقم 5660: وثّق.

وقال عنه ابن حجر في «التقريب» رقم 6925: مقبول من الثالثة (أي الطبقة الوسطى من التابعين).

وقول الحافظ ابن حجر: «مقبول»، يعني أنه: [من ليس له من الحديث إلا القليل، ولم يثبت فيه ما يُترك حديثه من أجله، (مقبول) حيث يُتابع]. (يُنظر مقدمة التقريب المرتبة السادسة).

- والحديث أخرجه أحمد في المسند، وأبو داود وابن ماجة، والبيهقي 7: 464 (البيهقي من طريق أبي داود برقم 3881) كلّهم من طريق المهاجر بن أبي مسلم عن أسماء بنت يزيد بن السّكن.

والمهاجر روى عنه في هذا الحديث ابنُه محمد بن مهاجر (عند أبي داود، رقم 3881، وأحمد، والبيهقي).

وروى عنه أيضاً ابنه عمرو بن مهاجر هذا الحديث أيضاً (عند ابن ماجة).

فتحصّل من ذلك أن محمد بن مهاجر له متابع هو أخوه عمرو بن مهاجر. وعندئذ يتجه تحسين الساعاتي للحديث، والله تعالى أعلم.

ويُنظر «تهذيب الكمال» للمزّي 28: 582 - 583 رقم 6217، ترجمة المهاجر.

وبذلك يُنظر في كلام الشيخ الأرناؤوط - حفظه الله تعالى -.

وفي «تهذيب سنن أبي داود» لابن القيّم 5: 362 - بعد أن أورد حديث مسلم عن سعد بن أبي وقاص: أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أعزل عن امرأتي . . . ، - قال ابن القيّم: وهذه الأحاديث: أصح من حديث أسماء بنت يزيد، وهو حديث شامي يرويه عمرو بن مهاجر عن أبيه المهاجر بن أسلم[1] مولى أسماء بنت يزيد - يُعدّ في الشاميين - عن أسماء بنت يزيد، فإن كان صحيحاً فيكون النهي عنه أوّلاً إرشاداً وكراهة، لا تحريماً، والله تعالى أعلم.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث حسن، وهو صحيح المعنى، وبالتالي يصح الاحتجاج به. وهو يتكلّم عن أمر غيبي، وهو أثر لبن الأم الحامل على الرضيع مآلاً، وهذا أمر غيبي، لا يعلمه إلا من بوسعه أن يجري أبحاثاً معملية عدّة ذات طابع كيميائي وبيولوجي. وهذه ليست باستطاعة شعوب ما قبل البعثة، وبالتالي يصح أن

(1) الصّواب: المهاجر بن أبي مسلم.

نعتبر هذا الحديث على أنه إعجاز علمي في مجال الرضاعة، وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح54] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بِنْتِ حَمْزَةَ: «لاَ تَحِلُّ لِي، يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ (الرضاعة) مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ، هِيَ بِنْتُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ».

انظر ص: 464 - 467 - 559.

- أخرجه البخاري في «كتاب الشهادات»، (7) باب الشهادة على الأنساب، والرضاع المستفيض، والموت القديم، رقم 2645.

- وأخرجه مسلم في «كتاب الرّضاع»، (2) باب تحريم الرضاعة من ماء الفحل، رقم 9/ 1445، و(3) باب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة، رقم 13/ 1447. **واللفظ لهما.**

[تنبيه: هناك ألفاظ مثل: إن الرّضاعة تحرّم ما تحرّم الولادة.

يحرُم من الرضاعة ما يحرُم من الولادة.

كانت عائشة تقول: حرّموا من الرضاعة ما تحرّمون من النسب.

يحرُم من الرضاعة ما يحرُم من الرّحِم.

هذه الألفاظ في مسلم من الباب الثاني والثالث].

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يشير إلى أن الأخت من الرضاعة تَحْرُم على أخيها من الرضاعة كحرمة الأخت من النسب. وتفسيرنا لهذه الحرمة ترتكز على حكمة أن الأخت بالرضاعة تُصبح مورفولوجيًا قريبة إلى أخيها من جراء الرضاعة (وهذا صحيح من الناحية العلمية)، وبالتالي تأنف النفس البشرية أن يتزوج الرجل من المرأة القريبة منه. وقد يكون هناك سبب ثانٍ علمي يسبب التحريم لم نكتشفه بعد، وبالتالي فهذا الحديث يُرجى كشف حقيقته العلمية في المستقبل، وله القابليّة لأن يكون إعجازاً علمياً، للبحث والاتعاظ. وينطبق عليه الحكم رقم 5. ونعتبره - إلى حين اكتشاف الحقيقة العلمية - مرجعاً دينياً علمياً بارزاً.

● [ح55] عَنْ عَائِشَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا رَجُلٌ، فَكَأَنَّهُ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ أَخِي، فَقَالَ: «انْظُرْنَ مَنْ إِخْوَانُكُنَّ، فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ».

انظر ص: 471 - 475 (ح).

- أخرجه البخاري في «كتاب الشهادات»، (7) باب الشهادة على الأنساب، والرضاع المستفيض، رقم 2647.

وفي «كتاب النكاح»، (21) باب من قال: لا رضاع بعد حولين، رقم 5102. **واللفظ له.**

- وأخرجه مسلم في «كتاب الرّضاع»، (8) باب إنما الرضاعة من المجاعة، رقم 32/1455، بلفظ: «انظرن إخوتكن من الرضاعة...».

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يشير إلى أنه لا بد أن يكون الطفل جائعاً لكي يتولد عنده الحافز للامتصاص القوي، ويخرج بذلك اللبن المثقل. وبما أن الشعوب لم تكن تعلم قبل البعثة أن اللبن المثقل هو الذي يؤثر هيكلياً على الطفل فبالتالي يصحّ أن نعتبره إعجازاً علمياً في مجال الرضاعة. وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح56] حدَّثنا قُتيبةُ، حدَّثنا أبُو عوانَة، عنْ هشام بْن عُرْوة، عنْ أبيه، عنْ فاطمةَ بنْت المُنْذر عنْ أُمّ سلَمة قالتْ: قال رسُولُ الله ﷺ: «لا يُحرّمُ منَ الرّضاعة إلاّ ما فتقَ الأمْعاء في الثّدْي وكان قبْل الفطام».

انظر ص: 447 - 456 - 467 - 468 - 471 - 474 (ح) - 576 - 583 - 586 - 587 (ح) - 589.

- أخرجه الترمذي في «كتاب الرّضاع»، (5) باب ما جاء (أو ما ذُكر) أن الرضاعة لا تحرّم إلا في الصّغر دون الحولين، رقم 1152. **واللفظ له.**

- وابن ماجة في «كتاب النكاح»، (37) باب لا رضاع بعد فصال، ولفظه: «لا رضاع إلا ما فتق الأمعاء»، رقم 1946.

قال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح.**

وقال المباركفوري في «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» 4: 314: وصحّحه الحاكم أيضاً. انتهى.

وفي سَنَد ابن ماجةَ: عبدُ الله بنُ لهيعة.

قال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب» رقم 3563: عبد الله بن لهيعة، أبو عبد الرحمن المصري، القاضي، صدوق،... خلط بعد احتراق كتبه، **ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما**، وله في مسلم بعض شيءٍ مقرون.

وصحح الحديث الألباني في «إرواء الغليل»: (ج2/ص221).
قلت: وهذا من صحيح حديثه لأنه من رواية محمد بن وهب عنه.
صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث صحيح، والحديث يشير إلى ظواهر علمية غيبية عدّة في غاية الدقّة. فهو يشير إلى أن هناك أكثر من نوع للبن الثدي (وهذا ليس بغيب لأننا نستطيع أن نميّز اللبن الخارج من الثدي بمجرد أن نلمسه أو نطعمه). وأن هناك أغشية تنفتق بالثدي (وهذا من الغيب، لأنها موجودة داخل الثدي، وغير مرئية). وأن اللبن المثقل هو الذي يخرج من خلال عملية الفتق للأغشية (وهذا من الغيب لأننا لا نستطيع أن نرى بالعين المجردة آلية خروج اللبن عبر الأغشية داخل الثدي). وأن هذا اللبن هو الذي يؤثر هيكليًا على جسم الرضيع (وهذا أيضاً من الغيب حيث يتطلب معامل كيمائية وبيولوجية لمعرفة تأثيره)، ممّا يؤدي إلى تحريم علاقته بأمّه، وبالتالي يصح أن نعتبر الحديث إعجازاً علمياً لما يحتوي من أخبار غيبية. وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح57] وقد أخبرنا أبو سعد بن محمد الماليني، أنا أبو أحمد بنُ عدي الحافظ قال: سمعت عُمرَ بنَ محمدٍ الوكيل يقول: نا أبو الوليد بنُ بُرْدٍ الأنطاكي، نا الهيثم بن جميل، نا سفيان بن عُيينة، عن عمرو بن دينار عن ابن عباس ﵄ عن النبي ﷺ: «لايُحرّم من الرضاع إلا ما كان في الحولين».
انظر ص: 459 - 460.
- [تنبيه: جاء في الموطّأ للإمام مالك 2: 607 الحديث من رواية عبد الله بن مسعود بلفظ: «لا رضاعة إلا ما كان في الحولين»... قال محقق الموطأ - محمد فؤاد عبد الباقي: - قال أبو عمر - أي ابن عبد البر - :منقطع، ويتصل من وجوه. «كتاب الرضاع»، (2) باب ما جاء في الرضاعة بعد الكبر، رقم 14].
- وفي سنن البيهقي 7: 462 أحاديث منها:
عن عبد الله - بن مسعود - قال: لا رضاع إلا ما كان في الحولين.
عن ابن عباس قال: لا رضاع بعد حولين كاملين.
عن ابن عباس قال: لا رضاع إلا ما كان في الحولين.
قال البيهقي: هذا هو الصحيح موقوف.
عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «لايحرم من الرضاع إلا ما كان في الحولين»، قال **البيهقي**: قال أبو أحمد - أي الحافظ ابن عديّ صاحب «الكامل في الضعفاء» - :

هذا يُعرف بالهيثم بن جميل عن ابن عُيَيْنة مسنداً (أي ما اتصل سَنَدُه مرفوعاً إلى النبي ﷺ) وغيرُ الهيثم يوقف - أي يوقف الحديث - على ابن عباس رضي الله عنهما.
قال العلاّمة علاء الدّين المارديني الشهير بابن التركماني سنة 745 هجرية في «الجوهر النّقيّ» - وهو ذيل على سنن البيهقي - : الهيثم هذا وثّقه ابن حنبل وغيره. وقال الدارقطني: حافظ، فعلى هذا الحكم، له على ما هو الأصح عندهم لأنه ثقة، وقد زاد الرّفع انتهى.
[الراجح - والله أعلم - الوقف كما يتبيّن من قول ونقل الحافظ الزّيلعي - سنة 762 هجرية - في «نصب الراية» 3: 218 - 219].

- والحديث رواه الدارقطني في سننه 4: 174، «كتاب الرضاع» بلفظ: «لا رضاع إلا ما كان في الحولين» عن ابن عباس عن النبي ﷺ. قال الدارقطني: لم يسنده عن ابن عُيَيْنة غير الهيثم بن جميل، وهو ثقة حافظ.
قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» 9: 146 - من «كتاب النكاح»، (21) باب من قال: لا رضاع بعد حولين، بعد أن أورد حديث ابن عباس وقال: رفعه: «لا رضاع إلا ما كان في الحولين» أخرجه الدارقطني، ثم نقل كلام الدارقطني في الهيثم - قال: وأخرجه ابن عدي. وقال - أي ابن عدي - غيرُ الهيثم يوقفه على ابن عباس وهو المحفوظ. انتهى.
فتحصل من هذا كلّه أن المحفوظ هو أن **هذا الحديث موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما، والله تعالى أعلم.**
أما الحكم على الحديث، فقد قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط معلّقاً على «جامع الأصول» 11: 490: ويشهد له حديث الترمذي الذي بعده - أي رقم 56 المتقدّم -، **فهو حديث حسن بشواهده.**

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث حسن، وهو صحيح المعنى. وهو يتكلم ضمنياً عن ظاهرة علمية غيبية، وهي أن حركة الجهاز الهضمي وخمائره التي تساعد على الهضم لا تكتمل قبل نهاية سنتين من عمر الرضيع، ولم يعلم أحد هذه الظاهرة قبل البعثة لفقدان الوسائل المعملية والتشخيصية. ويشهد لمعنى هذا الحديث الآية: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233].
وبما أن الحديث في الغالب موقوف، فمن الاحتياط أن لا ننسبه إلى الرسول ﷺ، وبالتالي أن لا نعتبره إعجازاً علمياً، وأن نقول أن ابن عباس رضي الله عنه استوحى تفسيره من الآية السابقة الذكر (وهي التي نستطيع أن نقول إنها تشير إلى إعجاز علمي). كذلك، من الحكمة أن نعتبر الحديث أثراً إسلامياً من قول ابن عباس رضي الله عنهما، وأن نستشهد به

في تفسير الآية القرآنية. ولا ننكر على أحد أصرّ أن الحديث من قول الرسول ﷺ، وذلك أن الهيثم رفعه إلى النبي ﷺ، وقد يكون مُحقاً. وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح58] عن أبي موسى الهلاليّ عن أبيه أن رجلاً كان في سفر فولدت امرأته فاحتُبِسَ لبنها فجعل يمصّه ويمجّه فدخل حلقه فأتى أبا موسى فقال: حُرِمت عليك، قال: فأتى ابن مسعود فسأله فقال: قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «لا يُحَرِّمُ مِنَ الرَّضاعِ إلاَّ ما أَنْبتَ اللَّحْمَ وأَنْشزَ العَظْمَ».

انظر ص: 459 - 474 (ح) - 476 (ح) - 587 - 589.

- أخرجه **الإمام** أحمد في المسند 1: 432، لكن بالراء المهملة في «أنشز» بدل الزاي. [قال الشيخ أحمد شاكر معلّقاً على المسند 6: 80، رقم 4114: ويُروى: «أنشز» العظم، بالزاي المعجمة]. **واللفظ له**.

وقد حكم الشيخ أحمد شاكر على الحديث بالضعف.

[والحديث بسنده: حدثنا وكيع حدثنا سليمان بن المغيرة عن أبي موسى الهلالي عن أبيه: أن رجلاً كان في سفر. . . . لايُحرّم من الرضاع. . . الحديث].

قال الشيخ شاكر: أبوه - أي والدُ أبي موسى الهلالي - مجهول لم يُترجَمْ له أحدٌ. . .

- وأخرجه أبو داود في «كتاب النكاح»، باب في رضاعة الكبير، رقم 2059، بلفظ: «لا رضاع إلا ما شدَّ العظم وأنبت اللحم». من حديث ابن مسعود موقوفاً.

وهذه الرواية ضعيفة أيضاً، كما قال الشيخ أحمد شاكر.

وأما الرواية الثانية لأبي داود برقم 2060، فهي مرفوعة إلى النبي ﷺ، ولفظها «أنشز العظم» بالزاي المعجمة.

وهذه الرواية ضعيفة أيضاً كما قال الشيخ أحمد شاكر.

وبالرجوع إلى ما قاله الشيخ الأرناؤوط في الحديث 57، نجد أن **الحديث حَسَنٌ بشواهده**. كما في «جامع الأصول» 11: 490.

قال الإمام الخطّابي في «معالم السُّنن» 3: 11، في الحديث رقم 1976: أنشر العظم - بالراء المهملة - معناه: ما شدّ العظم وقوّاه، والإنشار بمعنى الإحياء، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝﴾ [عبس: 22] ويُروى «أنشز العظم» بالزاي معجمة، ومعناه: زاد في حجمه فنشز.

ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: 259] فقد ورد فيها القراءتان وهما متواترتان. يقول ابن عاشور 3/37: «نُنْشِرُها بضم النون والراء المهملة مضارع أنشر الرباعي بمعنى الإحياء. . . نُنْشِزُها بالزاي مضارع أنشزه إذا رفعه، والنشز الارتفاع والمراد ارتفاعها حين تغلظ بإحاطة العصب واللحم والدم بها»(1).

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث حسن (وهذا يعني أننا نستطيع أن نستشهد به)، وهو صحيح المعنى. ويتحدث عن أن هناك أكثر من نوع للبن الثدي: اللبن المخفف، واللبن المثقل. وأن اللبن المخفف ليس له الأثر البليغ في نمو الطفل على عكس اللبن المثقل، وهذا أمر يُعدّ من الغيب قبل البعثة لفقدان الوسائل المعملية الكيميائية والبيولوجية، وبالتالي يصح أن نعتبره إعجازاً علمياً في مجال الرضاعة. وينطبق عليه الحكم رقم20.

● [ح59] عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الرَّضَاعِ، فَقَالَ: «**لاَ تُحَرِّمُ الإِمْلاَجَةُ وَلاَ الإِمْلاَجَتَانِ**».

انظر ص: 471 - 472 (ص) - 473 (ح).

- أخرجه مسلم في «كتاب الرّضاع»، (5) باب في المصّة والمصّتان، رقم 18/ 1451، و22/ 1451 من دون لفظ «لا» الثانية.

- وأخرجه **النسائي بهذا اللفظ** في «كتاب النكاح»، (51) (باب) القدر الذي يحرم من الرضاعة، رقم 3308.

- وأخرجه الإمام أحمد في المسند 6: 339 و6: 340، بهذا اللفظ أيضاً.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يشير إلى أن الرضيع لا يتأثر إلا إذا تناول الثدي بكامل طاقته حتى يخرج اللبن المثقل، وهذا من مجال الغيب لعدم معرفة الصحابة بتأثير اللبن المثقل على هيكل الرضيع في المقام الأول. كذلك فإن معرفة أن اللبن المثقل لا يخرج إلا إذا تناول الرضيع الثدي بكامل الفم يتطلب مراقبة دقيقة لعملية الرضاعة وتحتاج لاختصاصيين في هذا المجال. ويصح الاحتجاج به في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في مجال الرضاعة. وينطبق عليه الحكم رقم 20.

(1) وانظر البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لعبد الفتاح القاضي ص54.

● [ح60] عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُحرِّمُ المصَّةُ ولا المَصَّتانِ».

انظر ص: 467 - 468 - 473 - 475 - 586 - 587 (ح).

- أخرجه مسلم في "كتاب الرضاع"، (5) باب في المصّة والمصّتان، رقم 17/ 1450 دون لفظ "لا"، وفي 20/ 1451 بلفظ: «لا تحرّم الرّضعة أو الرّضعتان، أو المصّة أو المصّتان».

- وأخرجه **الإمام** أحمد في المسند **بهذا اللفظ** 6 :96 و6 :216 و6 :247 (و6 :31 و4 :5، دون لفظ «لا»).

- وأخرجه النسائي في "كتاب النكاح"، (51) (باب) القدر الذي يحرّم من الرضاعة، رقم 3309 و3310، دون لفظ «لا».

[وفي النّسائي ح رقم 3308: وقال قتادة: المصّةُ والمصّتان، بعد قوله: «لا تحرّم الإملاجة...»].

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يشير إلى أن الرضيع لا يتأثر إلا إذا تناول وجبة مشبعة من اللبن المثقل، وهذا لا يكون من خلال تناول مصة أو مصتين. ويُعتبر هذا الخبر من الغيب لعدم معرفة الصحابة بتأثير اللبن المثقل على هيكل الرضيع في المقام الأول. ويصح الاحتجاج به في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في مجال الرضاعة. وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح61] عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: "لا تسترضعوا الورهاء، فإنّ اللّبن يُعدي".

انظر ص: 477 - 481.

- أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» 1 :52، قال يونس بن حبيب: الورهاء: الحمقاء.

- وفي رواية البزار: «لا تسترضعوا الحمقاء فإن اللبن يورث".

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (4 :262): وإسنادهما **ضعيف**.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث ضعيف السند. وهو حسن التوجه من الناحية العلمية، غير أن المعطيات العلمية - وإن كانت تؤيد معنى الحديث بقوة - غير قاطعة كل القطع في هذا المجال على ما نعلم. فلذلك نتوقف عند الحديث، ويُجعل قيد البحث، وللاتعاظ. وينطبق عليه الحكم رقم 13.

● [ح62] عَنْ مَالِك عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رَضَاعَةِ الْكَبِيرِ فَقَالَ: . . . فَجَاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ - وَهِيَ امْرَأَةُ أَبِي حُذَيْفَةَ وَهِيَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ - إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: كُنَّا نَرَى سَالِمًا وَلَدًا، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيَّ وَأَنَا فُضُلٌ، وَلَيْسَ لَنَا إِلاَّ بَيْتٌ وَاحِدٌ فَمَاذَا تَرَى فِي شَأْنِهِ؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْضِعِيهِ خَمْسَ رَضَعَاتٍ فَيَحْرُمُ بِلَبَنِهَا»، وَكَانَتْ تَرَاهُ ابْنًا مِنَ الرَّضَاعَةِ.

انظر ص: 473 - 475.

- أخرجه **الإمام** مالك في الموطأ في «كتاب الرضاع»، (2) باب ما جاء في الرضاعة بعد الكبر، رقم 12. **واللفظ له.**

- وأخرجه **مسلم** في "كتاب الرضاع"، (7) باب رضاعة الكبير، رقم 1453 - 1454 (مختصراً).

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: له نفس حكم الحديث رقم 60.

● [ح63] عن موسى بن علي، عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال له: "ما وُلد لك؟" قال الرجل: يا رسول الله: ما عسى أن يولد لي إمّا غلام وإمّا جارية! قال: «فمن يشبه؟» قال: يا رسول الله: ما عسى أن يشبه؟ إمّا أباه وإمّا أمه! فقال الرسول - صلوات الله عليه وسلامه -: "مه! لا تقولنّ هكذا، إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كلَّ نسب بينها وبين آدم. أما قرأت هذه الآية في كتاب الله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: 8]؟"، قال: شكّلك.

انظر ص: 141 - 226 - 233 - 234 - 235 - 241 - 526 - 527.

- أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» 7: 134 - 135 - من "كتاب التفسير" سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾ [الانفطار: 1] - وقال: رواه **الطبراني** - أي في الكبير - وفيه مطهّر بن الهيثم، وهو متروك. انتهى.

فالحديث **ضعيف جداً.**

- والحديث وارد من طريق موسى بن عُلَيّ بن رباح عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال له: ما وُلِدَ لك؟ كما في «الدر المنثور» للسيوطي 6: 323 - عند تفسير سورة الانفطار، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ﴾ [الانفطار: 6] الآيات - واللفظ هو: «. . . فركب خلقه في صورة من تلك الصُور، أما قرأت هذه الآية في كتاب الله: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: 8] من نسلك ما بينك وبين آدم".

قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» 4: 129، رقم 8596: مطهَّر بن الهيثم عن موسى بن علي، قال أبو سعيد بن يونس: متروك الحديث. . .

قال ابن حبّان: يأتي بما لا يتابع عليه. انتهى.

وقال الذهبي في «الكاشف» رقم 5486: مُطهَّر بن الهيثم الطائي، عن أبيه، وموسى ابن عُليّ، وعنه ابن المثنى، والفلاّس، واهٍ. ق - أي ابن ماجة القزويني -

[تنبيه: هناك خلاف في ضبط اسم علي، هل هو عَليّ، أم بالتصغير عُليّ، تُراجع كُتُبُ التراجم، والمشهور فيه: عُلي، بضم العين المهملة، وفتح اللام، أي بالتصغير].

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث شديد ضعف السند، صحيح المعنى. وهو يتكلم عن أن تخلق الجنين قد يشبه أياً من أجداده، لأن الخطة الجينية قد تكون في أي شكل من الأشكال، وهذا من مجال الغيب لعدم دراية شعوب ما قبل البعثة بأن هناك خطة جينية لتخلق الإنسان. ويشهد لمعنى هذا الحديث الآية القرآنية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: 54]، والحديث رقم 21: «ثم أحضر له كل عرْق له بينه وبين آدم» (فلفظ «أحضر» ولفظ «بينه وبين آدم» وردا في الحديثين). كذلك فإن الحديث رقم 22 «ليس منها عرْق إلا يسأل الله أن يجعل الشّبه له» يتكلم عن هذه الظاهرة بعبارة مختلفة. والحديث رقم 33 يشير إلى معنى الاستقرار الذي ورد في هذا الحديث، وإلى أن التخلق يعقب الاستقرار. وبسبب شدة ضعف سنده لا نستطيع أن ننسبه إلى الرسول ﷺ، ولايصح أن نعتبره إعجازاً علمياً (ولكن هذا لا يعني أننا لا نعتبر المعنى الذي يرمي إليه الحديث إعجازاً علمياً لوجود أدلة خارجية عليه؛ كآية سورة الفرقان السالفة الذكر، والحديث الشريف رقم 21 الجيّد السند). ولكن يصح أن نعتبره أثراً إسلامياً نستعين به على تفسير الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، شرط أن نشير إلى شدة ضعفه. وينطبق عليه الحكم رقم 16.

● [ح64] عنْ أبي مُوسى الأشْعرِيّ قال: قال رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «إنّ اللّه تعالى خلق آدم مِنْ قبْضةٍ قبضها مِنْ جميعِ الأرْضِ فجاء بنُو آدم على قدْرِ الأرْضِ؛ فجاء منْهُمْ الأحْمرُ والأبْيضُ، والأسْودُ وبيْن ذلك، والسّهْلُ والحزْنُ، والخبِيثُ والطّيِّبُ».

انظر ص: 56 - 524 - 526 - 527.

- أخرجه الإمام أحمد في المسند 4: 400، ولفظه: «إن الله ﷻ خلق . . . جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيّب، والسّهْل والحزْن، وبين ذلك».

وفي 4: 406، ولفظه: "إن الله ﷻ خلق . . . جعل منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسّهْل والحزْن، وبين ذلك، والخبيث والطيّب وبين ذلك".

- وأخرجه أبو داود في "كتاب السُّنّة"، باب في القدر، رقم 4693، ولفظه: "إن الله خلق . . . جاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسّهلُ والحزْن، والخبيث، والطيّب" وفي رواية بزيادة "وبين ذلك".

- وأخرجه **الترمذي** في «كتاب تفسير القرآن»، (3) باب "ومن سورة البقرة"، رقم 2955، واللفظ له.

قال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح**.

وقد صححه ابن حبّان، والحاكم، وأقرّه الذهبي [«الفتح الرّبّاني» للساعاتي 20: 27 - 28].

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث صحيح السند. وهو يخبرنا أن الإنسان مكوّن من جميع مواد الأرض، وهو يصوّر لنا كيف أن تنوع مزاج البشر مرتبط بتنوع التربة التي نشأ منها أبونا آدم ﷺ. ولا أعتقد أننا سنستطيع إثبات تلك الظاهرة الأخيرة من خلال العلم الكوني، ولكن لن نُقفل الباب أمام البحث، وسنقول: إنه يُرجى كشف حقيقة هذا الأمر. وينطبق عليه الحكم رقم 5.

● [ح65] عن أبي هريرة أن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: إنّ امْرأتي وَلَدتْ غُلاماً أسْود، وإنّي أنكرتُه. فقال له النّبيّ ﷺ: "هلْ لكَ منْ إبل؟"، قالَ: نَعمْ، قالَ: "ما ألْوانُها؟"، قالَ: حُمْرٌ، قالَ: "هلْ فيها منْ أوْرَق؟"/أسمر أو ما كان لونه كلون الرماد/، قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: "فأنّى هو؟" قال: لعلّه، يا رسول الله يكُون نَزعهُ عِرْقٌ له، قال له النبيّ ﷺ: "وهذا لعلّه يكُون نَزعهُ عِرْقٌ له".

انظر ص: 142 - 146 - 399 - 529 - 533 - 553 - 557 - 558 (ح) 706.

- أخرجه البخاري في "كتاب الحدود"، (41) باب ما جاء في التعريض، رقم 6847.

وفي «كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنّة»، (12) باب من شبّه أصلاً معلوماً بأصل مبيّن وقد بيّن النبي ﷺ حُكمهما ليفهم السائل، رقم 7314.

- **ومسلم** في «كتاب اللّعان»، (دون ذكْر للباب، لأنه لا يوجد باب في «كتاب اللّعان» كله من صحيح مسلم، وكذا الشرح للنووي) رقم 20/ 1500. **واللفظ له**.

وفي رواية ل مسلم جاء في آخرها: «ولم يُرخّص له في الانتفاء منه».

وفي رواية في أوّلها: «جاء رجلٌ من بني فزارة إلى النبي ﷺ...».

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يشير إلى عملية نزع صفة - أي نزع مورّثة - من عرق إلى عرق آخر، مما يسبب ظهور صفة متنحية في النسل غير المباشر، وهذه العملية ظلّت في عالم الغيب للبشر إلى أن تقدم العلم في الآونة الأخيرة، واكتشف هذه الظاهرة. ويصح أن نعتبر هذا الحديث إعجازاً علمياً. وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح66] أن ابْنَ عُمَرَ قال: قلّما كان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حتّى يَدْعُوَ بهؤُلاءِ الدَّعوات لأصْحابِه: «اللّهُمَّ اقْسِمْ لنا مِنْ خَشْيتك ما يَحُولُ بيننا وبيْنَ معاصِيك، ومِنْ طاعتك ما تُبَلِّغُنا به جنّتك، ومن اليقين ما تُهوِّنُ به علينا مُصيبات الدُّنيا، ومَتِّعْنا بأسْماعِنا وأبْصارِنا وقُوَّتِنا ما أحْيَيْتنا واجْعلْهُ الوارثَ منّا، واجْعلْ ثأْرنا على مَنْ ظلمنا، وانْصُرْنا على مَنْ عادانا، ولا تجْعلْ مُصيبتنا في ديننا، ولا تجْعلِ الدُّنيا أكْبر همِّنا ولا مبْلغ علْمنا، ولا تُسلِّطْ علينا مَنْ لا يرْحمُنا».

انظر ص: 529 - 537 - 557 (ح).

- أخرجه **الترمذي** في «كتاب الدعوات»، (80) باب ما جاء في عقْد التسبيح باليد، رقم 3502. **واللفظ له**، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وقد صححه الحاكم في المستدرك 2: 142، ووافقه الذهبي.

- قال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» 9: 477: وأخرجه النّسائي والحاكم وقال: **صحيح** على شرط البخاري.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث صحيح السند، صحيح المعنى، وهو يتكلم عن المورّثات المسيطرة ودورها في التحكم في صفات النسل. وهذا من عالم الغيب حيث إن العلم لم يكتشف المورّثات السائدة والمتنحية إلا في الآونة الأخيرة. ويعتبر إعجازاً علمياً. وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح67] عن قتادة أن أنس بن مالك حدّثهم أن أم سليم حدثت أنها سألت نبي الله ﷺ عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل، فقال رسول الله ﷺ: «إذا رأت ذلك المرأة فلتغتسل»، فقالت أم سليم - واستحْيَيْتُ من ذلك - قالت: وهل يكون هذا، فقال نبي الله ﷺ: «نعم فمن أين يكون الشّبه؟ إنَّ ماء الرّجُلِ غليظٌ أبْيَضُ، ومَاءَ الْمَرْأةِ رَقِيقٌ أصْفَرُ، فمِنْ أيِّهما علا أوْ سبَق يكُونُ مِنْهُ الشّبَهُ».

انـظـر ص: 74 - 86 - 106 - 123 - 529 - 537 - 538 (ح) - 539 (ح) - 540 (ح) - 557 (ح) - 576.

- أخرجه البخاري في "كتاب مناقب الأنصار"، (51) باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه؟، رقم 3938، وفيه «. . . وأما الولد فإذا سبق ماءُ الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماءُ المرأة ماء الرجل نزعت الولد. . .».

- **ومسلم** في "كتاب الحيض"، (7) باب وجوب الغُسل على المرأة بخروج المنيّ منها، رقم 30/ 311. **واللفظ له.**

- وأخرجه النّسائي في "كتاب الطهارة"، (133) باب الفصل بين ماء الرجل وماء المرأة، رقم 200، بهذا اللفظ: «ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيّهما سبق كان الشبه».

- وابن ماجهْ في "كتاب الطهارة وسننها"، (107) باب في المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل، رقم 601، ولفظه «ماء الرجل غليظ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر، فأيّهما سبق أو علا، أشبهه الولد».

- وأحمد في المسند: 3: 121، ولفظه: «. . . ماء الرجل. . .، وماء المرأة أصفر رقيق، فأيّهما سبق أو علا أشبهه الولد».

وفي 3: 199، ولفظه: «. . . ماء الرجل. . .، فمن أيّهما سبق أو علا يكون الشّبه». [قال سعيد - أي ابن المسيّب -: نحن نشك - أي في كلمة سبق أو علا -].

وفي 3: 282، ولفظه: «. . . ماء الرجل أبيض غليظ، . . . أصفر رقيق، فمن أيّهما سبق أو علا يكون الشّبه».

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يتكلم عن صفات ماء الرجل وماء المرأة. ومعرفة صفات ماء الرجل ليس بإعجاز لأنه ظاهر للعيان، أما معرفة صفات ماء المرأة فهو إعجاز علمي، حيث إن ماء المرأة يخرج من مكان متخفٍ (مبيض المرأة) ويضيع في جوف المرأة، ولاسبيل له أن يخرج من خارج الجسم. وإن خرج، يخرج وقد اختلط بسوائل أخرى تغيّر خصائصه. فلا سبيل لنا إلى معرفة

خصائصه إلا بواسطة كاميرات ذات تقانة عالية. كذلك فإن الحديث يشير إلى ظاهرة علمية غيبية هي الأخرى: وهي أن الصفات السائدة الموجودة في نطفة المرأة ونطفة الرجل هي التي تعطي النسل صفات مشابهة لأي من والديه. وبما أن مجتمع ما قبل البعثة لم يعلم ابتداءً أن للمرأة ماء، وبما أنه لم يعلم دور المورثات السائدة والمتنحية فهذا الحديث يعد إعجازاً علمياً. وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح68] عن عائشة. . . : فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا علا ماؤها ماءَ الرَّجُلِ أَشْبَهَ الْوَلَدُ أخوالَهُ، وإذا علا ماءُ الرَّجُلِ ماءَها أَشْبَهَ أَعْمامَهُ».

انظر ص: 538.

- أخرجه مسلم في "كتاب الحيض"، (7) باب وجوب الغُسل على المرأة بخروج المنيّ منها، رقم 33/314. **واللفظ له.**

- وأخرجه الإمام أحمد في المسند 6: 92، بلفظ: ". . .إذا علا ماؤها ماء الرجل أشبه أخواله، وإذا علا ماءُ الرجل ماءَها أشبهه".

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: له نفس حكم الحديث 67.

● [ح69] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نطفة الرجل بيضاء غليظة، ونطفة المرأة صفراء رقيقة، فأيُّهما غلبت صاحبتها فالشبه له».

انــظــر ص: 104 (ح) - 106 - 121 - 122 - 123 - 146 - 150 - 220 - 529 - 545 - 556 - 557 (ح).

- هذا الحديث ذكره **ابن هشام** في سيرته ج2/167، ط محمد محي الدين عبد الحميد، بلفظ: «. . .فأيتهما غلبت صاحبتها كان الشبه لها».

- وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في «كتاب العظمة» 5: 1632، ح رقم **1070 - 11**، ذِكْرُ لطيف صنع الله وحكمته سبحانه وتعالى وحسن تقديره وعجيب صنيعه، وحسن تركيب خلقه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أتى نفرٌ من اليهود النبيّ ﷺ فقالوا: إن أخبرنا عما نسأله فإنه نبي، فقالوا: من أين يكون الشبه يا محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: الحديث. . . .

- وأخرجه البزار في مسنده كما في كشف الأستار - للهيثمي - (3/ 119 رقم 2375) عن السكن بن سعيد، ثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو، ثنا إبراهيم بن طهمان - به.

قال البزار: لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا من هذا الوجه، وقد روي نحوه عن غيره من وجوه.

وحديث أنس أخرجه البخاري في صحيحه (6/ 362 رقم 3329، 7/ 272 رقم 3938، 8/ 165 رقم 4480) في سياق قصة عبد الله بن سلام مع النبي ﷺ حين مقدمه على المدينة، ولفظه الأول: «وأما الشبه في الولد. . . لها».

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث صحيح، وهو صحيح المعنى، ويخبرنا عن ظاهرة علمية غيبية، وهي أن نطفة المرأة قليلة الكثافة بالنسبة لنطفة الرجل، وهذا من مجال الغيب، لأن شعوب ما قبل البعثة لم تعلم في المقام الأول وجود النطف، فكيف لها أن تعلم صفات هذه النطف؟. ويُعدّ إعجازاً علمياً، وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح70] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي حَبِيبَةَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ مِنَ الْحُمَّى وَمِنَ الأَوْجَاعِ كُلِّهَا أَنْ يَقُولَ: «بِسْمِ اللَّهِ الْكَبِيرِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، مِنْ شَرِّ كُلِّ عِرْقٍ نَعَّارٍ، وَمِنْ شَرِّ حَرِّ النَّارِ».

انظر ص: 315 - 545 - 558 (ح).

- أخرجه الترمذي في «كتاب الطب»، (25) باب ما جاء في تبريد الحُمَّى بالماء، رقم 2075. **واللفظ له.**

- وابن ماجهْ في «كتاب الطب»، (37) باب ما يعوذُ به من الحُمَى، رقم 3526. (وفي السند إبراهيم الأشهلي، وهو إبراهيم بن إسماعيل).

- وأحمد في المسند 1: 300 و4: 462، رقم 2729 من طبعة الرسالة.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة - ويقال له: إبراهيم النهشلي - وإبراهيم يُضعّف في الحديث. ويُروى: عِرق يعّار - أي بالياء المُثنّاة تحتيّة - .

جاء في «الفتح الرّباني» للساعاتي 17: 160 (قلت) الحديث أخرجه أيضاً (ك هق ش[1]) وابن أبي الدنيا وابنُ السُّني في «عمل اليوم والليلة» وصححه الحاكم وأقرّه الذهبي وقال: إبراهيم قد وثّقه أحمد. انتهى.

(1) ك: أي الحاكم في المستدرك على الصحيحين.
هق: أي البيهقي في السنن الكبرى.
ش: أي ابن أبي شيبة في مصنفه.

قلت: وقال ابن حجر في إبراهيم: ضعيف، وقال الدارقطني: متروك. ينظر التقريب لابن حجر رقم: 146، والكاشف للذهبي رقم 114. و"تهذيب التهذيب" لابن حجر 1: 104 - 105، و"تهذيب الكمال" للحافظ المزي 2: 42 - 44، رقم 146.

فالحديث ضعيف. والله أعلم.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: لقد اختلف العلماء في ضعف سند هذا الحديث، وإن كان الراجح أن يكون ضعيفاً. وعليه فإن الضعف ليس شديداً. ومعنى هذا الحديث صحيح، ويشير إلى دور الصبغيات في إحداث الأمراض. وإذا كان خبر وجود الصبغيات لشعوب ما قبل البعثة مجهولاً، فكيف لهذه الشعوب السبيل إذن لمعرفة دور هذه الصبغيات؟. ونعتبر هذا الحديث إعجازاً علمياً. وينطبق عليه الحكم رقم 12.

● [ح71] حديث: «تخيّروا لنطفكم، فإن العِرْق دسّاس».

انظر ص: 142 - 146 - 529 - 532 - 533 - 535 - 544 - 557 (ح) - 559 - 565.

- **تنبيه: هذا اللفظ لعله مُركّب من جزأين.**

والحديث: «**تخيّروا لنُطفكم**، وانكحوا الأكْفاء، وأنكحوا إليهم»، وفي لفظ «ولا تضعوها إلا في الأكفاء».

- أخرجه ابن ماجه في "كتاب النكاح"، (46) باب الأكْفاء، رقم 1968.
- والحاكم في المستدرك، 268/ 1.
- والدارقطني 299/ 3.
- والقضاعي في مسند الشهاب رقم 677.
- والديلمي في الفردوس، رقم 2295.
- وابن عدي في الكامل 195/ 2 و241/ 5.
- وابن حبان في المجروحين 225/ 1.
- والخطيب في تاريخه 264/ 1.

كلهم عن عائشة رضي الله عنها من طرق عديدة.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، وأورده الذهبي بأن في سنده ضعيف ومتّهم، كما ضعّفه ابن أبي حاكم في العلل رقم 1269، وقال في الجرح والتعديل 385/ 1: ليس له أصل.

- وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية من طرق كثيرة عن عائشة وعن عمرو عن ابن عمر رضي الله عنه وأعلّ جميع طرقه.

- وأخرجه الضياء في المختارة رقم 2634 وحسّن إسناده.

والخلاصة: **فإن الحديث بمتابعاته وشواهده يرتقي للاحتجاج به ولا شك.**

- وقد اشتهر على الألسنة: «تخيّروا لنطفكم فإن العرق دساس»، **وجملة «إن العرق دساس» ليست في شيء من روايات هذا الحديث**، بل أخرجها القضاعي في مسند الشهاب 1/ 370، رقم 638 من حديث ابن عمر ﷺ مرفوعاً.

- وجاء في كشف الخفاء للعجلوني، 1/ 358: «أقلّ من الدّين تعش حُرًّا. . . وانظر في أي نصاب تضع ولدك، فإن العِرْق دساس».

- وأورده السخاوي في المقاصد الحسنة، ص169، بلفظ: «تزوّجوا في الحِجْر الصالح، فإن العرق دساس».

- كما أورده ابن الجوزي في «العلل المتناهية»، رقم 607، بلفظ: «الناسُ معادن، والعرق دسّاس، . . .».

وطرق لفظ «إن العرق دساس» لا تقوى إلى درجة الحسن، **فأحسن درجاته أن يكون ضعيفاً**، وهو أعلى من أن يكون موضوعاً، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للشيخ الألباني (2/ 159 - 161)، وتلخيص العلل للذهبي، حديث رقم 602.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث مركب ابتداءً من حديثين، وإن أوردته على حاله هذه في البحث، فذلك لأن كثيراً من الباحثين قد تلفّظوا به هكذا عن غير دراية: واللفظ الأول مقبول، والثاني ضعيف لا ينجبر.

واللفظ: «تخيّروا لِنُطَفِكم، فإن العِرْقَ دسّاس» وإن كان مُركّباً من حديثين، إلا أنه يجدر أن نلاحظ التالي:

الركن الأساسي في البحث العلمي لفهم النصوص هو معرفة العلّة كما هو معروف في علم الأصول. وعلّة «تخيُّر النطف» هي - حسب نصوص السلف -: أن العرق دساس. فقد روي عن السلف عدّة نصوص تشرح معنى التخيُّر، بل تبيّن علّة التخيّر، وهو أن العرق دساس، ولذلك روي عن السيدة عائشة ﷺ: «تخيّروا لنطفكم فإن النساء يلِدْنَ أشباه إخوانهِنَّ وأخواتهن». وروي غير ذلك.

فهذه الزيادة، وإن كانت ضعيفة، إلا أنها علّة الحديث، فيُعمل بها كما هو مقرر.

ومن الناحية العلمية معنى العبارتين صحيح. وكلا العبارتين يشير إلى ظاهرة الصفات المتنحية والسائدة. وهذا من مجال الغيب عند شعوب ما قبل البعثة. ولذلك نستطيع أن نعتبر الحديثين إعجازاً علمياً في مجال «الوراثة»، وينطبق عليهما معاً الحكم رقم 12.

● [ح72] حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ خَالِدٍ الدِّمَشْقِيُّ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمِ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ".

انظر ص: 559 - 566 - 567.

- أخرجه ابن ماجه في «كتاب الفتن»، (22) باب العقوبات، رقم 4019. **واللفظ له.**

قال البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة: هذا حديث صالحٌ للعمل به، وقد اختلفوا في ابن أبي مالكٍ وأبيه.

[سنده في ابن ماجه: . . . حدثنا محمود بن خالد الدمشقي، ثنا سليمان بن عبد الرحمن، أبو أيوب، عن ابن أبي مالك، عن أبيه، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عمر].

- وأخرجه البيهقي 3: 346 - 347 في «كتاب صلاة الاستسقاء»، باب الخروج من المظالم والتقرب إلى الله تعالى بالصدقة ونوافل الخير رجاء الإجابة.

وأخرجه أيضاً في 9: 231 في «كتاب الجزية»، باب الوفاء بالعهد إذا كان العقدُ مباحاً، وما ورد من التشديد في نقضه.

- وجاء في «مجمع الزوائد» 3: 65 في «كتاب الزكاة»، باب فرض الزكاة، هذا الحديث دون لفظ «لم تظهر الفاحشة. . .»، ولفظه: «قال رسول الله ﷺ: «خمسٌ بخمس»، قيل: يا رسول الله وما خمسٌ بخمس؟ قال: «ما نقض قوم العهدَ إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الموت، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر، ولا طففوا المكيال إلا حبس عنهم النبات وأخذوا بالسنين».

ثم قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير، وفيه إسحاق بن عبد الله بن كَيْسان المروزي، ليّنه الحاكم، وبقيّة رجاله مُوَثّقون، وفيهم كلام. انتهى.

[- تنبيه: وعند العَدّ / كما في الحديث الذي ورد في «مجمع الزوائد»/ يظهر أن المعدود هو أربعة، وليس خمسةً. والمذكورُ في سنن ابن ماجهْ خمسة هي:

[يا معشر المهاجرين: خمسٌ إذا ابْتُليتم بهن...]

1 - لم تظهر الفاحشة...

2 - ولم ينقصوا المكيال

3 - ولم يمنعوا زكاة أموالهم...

4 - ولم ينقضوا عهد الله...

5 - وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله...].

وفي «مجمع الزوائد» أيضاً 5: 317 - 318، الحديث بأطول مما ذكره ابنُ ماجهْ والبيهقي، في «كتاب الجهاد»، باب ما نُهي عن قتله من النساء وغير ذلك. ثم قال - الهيثمي - : - قلت روى ابن ماجهْ بعضه - رواه البزّار ورجالُه موثّقون.

دراسة رجال سند ابن ماجهْ:

1 - محمود بن خالد الدمشقي، ثقة/ «التقريب» لابن حجر رقم 6510/ .

2 - سليمان بن عبد الرحمن، أبو أيوب، صدوق يخطئ/ «التقريب» رقم 2588/ .

3 - ابن أبي مالك - واسمه خالد بن يزيد -، ضعيف مع كونه كان فقيهاً، وقد اتهمه ابن معين - اتّهمه بالكذب على أصحاب رسول الله ﷺ، كما في «التهذيب» لابن حجر 3: 127 - / «التقريب» رقم 1688، وفي «الكاشف» للذهبي: ضعّفوه رقم 1364/ .

4 - عن أبيه، - وهو - يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك الهمْداني الدمشقي القاضي، صدوق رُبّما وهم/ «التقريب» رقم 7748/ .

وقال الذهبي في «الكاشف» رقم 6336: وثّقه أبو حاتم.

قال الشيخ محمد عوّامه - حفظه الله تعالى - معلّقاً على «الكاشف»: والرَّجل - أي يزيد بن عبد الرحمن - ثقة، كما قال أبو حاتم وغيره، ويحتمل أن يُقال فيه: صدوق، أما «صدوق ربما وهم»: فلا.

5 - عطاء بن أبي رَباح...، ثقة فقيه/ «التقريب» رقم 4591/ .

6 - عبد الله بن عمر، صحابي.

- تنبيه: قِسْم من هذا الحديث وارد في «حلْية الأولياء» لأبي نُعيم الأصفهاني. ذكر

ذلك الشيخ أحمد الغماري في «المداوي» 5: 280، فقال: وقد أخرجه أيضاً أبو نُعيم في «الحلية» [3/ 320] من طريق جعفر بن محمد الفريابي:
ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، ثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، عن عطاء، عن ابن عمر به، وخالد بن يزيد متروك. انتهى.
ولفظ أبي نُعيم: «لم يمنع قومٌ زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائمُ لم يُمطروا».

- وفي الموطأ من «كتاب الجهاد»، (13) باب ما جاء في الغُلول، ح رقم26: عن عبد الله بن عباس أنه قال: «ما ظهر الغُلول في قوم قطُّ إلا أُلقي في قلوبهم الرُّعبُ. ولا فشا الزنا في قوم قط إلا كثر فيهم الموت. ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قُطِع عنهم الرِّزق. ولا حكم قوم بغير الحقّ إلا فشا فيهم الدَّمُ. ولا خَتَرَ (غدر) قوم بالعهد إلا سلطَ الله عليهم العدوَّ». انتهى.
قال أبو عمر بن عبد البرّ في «التمهيد» 23: 430: وهذا حديث قد رويناه متصلاً عن ابن عباس، ومثله - والله أعلم - لا يكون رأياً أبداً. انتهى.
ثم ذكر الإمام ابن عبد البر الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما متصلاً (ينظر «التمهيد» 23: 430- 431).

وقال الحافظ المُنذري في «الترغيب والترهيب» 1: 215 - من «كتاب الصدقات، الترهيب من منع الزكاة وما جاء في زكاة الحُليّ - [ط محمد الصبيح - مصر، أو 1: 543 - 544 رقم 20 - 21، من الطبعة التي حقّقها محمد عمارة] قال المنذري - بعد ذكر رواية الطبراني في الكبير -: رواه الطبراني في الكبير، وسنده قريب من الحسن وله شواهد. انتهى.

- وروى المنذري أيضاً حديث بُريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منع قومٌ الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسِّنين»[1]، ثم قال: رواه الطبراني في الأوسط[2] ورواته ثقات، والحاكم والبيهقي في حديث إلا أنهما قالا: ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ورواه ابن ماجهْ والبزار والبيهقي من حديث ابن عمر ولفظ البيهقي: . . . انتهى كلام المنذري.
قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط معلّقاً على «جامع الأصول» 11: 722 - بعد إيراد حديث الموطأ -: وله شواهد بمعناه في المرفوع ما عدا الشطر الأول منه، من

(1) السِّنين: القحط والجدب.
(2) ح رقم 4574 - ورقم 6784، من طبعة د. الطحّان.

حديث ابن عمر، رواه ابن ماجه والبزار والبيهقي، ومن حديث ابن عباس عند الطبراني - أي في الكبير -، **وهو حديث صحيح بشواهده.**

وفي "صحيح الترغيب والترهيب" للألباني، حُكْمٌ على حديث بُريدة رقم 761 وابن عباس رقم 763 بالحُسْن، وعلى حديث ابن عمر رقم 762 بالصّحّة.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث صحيح، وهو صحيح المعنى في المجال العلمي للعلاقات الجنسية. وينص على أن كثرة الجماع من رجال أجانب تؤدي إلى زيادة الاحتمال بالإصابة بالأمراض الجنسية (وأما باقي الحديث فلا يعنينا في هذا المقام). ولمعرفة هذه الظاهرة لا بد من تقدم الشعوب في المجال العلمي للأمراض الجنسية، ومعرفة كيف ومتى تنقل الجراثيم، وهذا لم يكن متاحاً فيما مضى. كذلك يتطلب معرفة في تاريخ الأمراض الجنسية التي أصابت الشعوب، وهذا الأمر لم يكن يُعطى أهمية كبرى فيما قبل. ولذلك سنعتبره إعجازاً علمياً. وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح73] عن عبد الله (بن مسعود) قال: . . . فقال (النَّبِيُّ ﷺ): «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلاً وَلاَ عَقِبًا، وَقَدْ كَانَتْ الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ».

انظر ص: 559 - 569.

- أخرجه مسلم في «كتاب القدر»، (7) باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها، لا تزيد ولا تنقُص عمّا سبق به القَدَر، رقم 32/ 2663. **واللفظ له.**

- وأخرجه الإمام أحمد في المسند 1: 390، 413، 466.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث ينص على أن المسخ - أي أن الإنسان الذي يصاب بتشوهات خطيرة - لا يُبْقي نسلاً. وتبيّن أن هذا مرده أن الجنين الممسوخ يُولد ميتاً، أو يعيش قليلاً، أو يصاب في الجهاز الذي يتحكم بأعضائه التناسلية، مما يجعله غير قادر على التناسل. ومعرفة السبب الأخير (الذي يعيد العقم لجهاز التحكم) يتطلب معرفة في العلم الكوني للمجال الجنسي والبيولوجي. وهذا لم يكن متاحاً فيما مضى. ونعتبر هذا الحديث إعجازاً علمياً في المجال الجنسي. وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح74] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَعِيلَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الطَّيِّبِ حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ سَلاَّمٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: 75].

انظر ص: 147 (ح).

- أخرجه الترمذي في سُننه في "كتاب تفسير القرآن"، (16) باب "ومن سورة الحِجْر"، رقم 3127. وقال: هذا حديث غريب.

[**تنبيه**: هذا الحديث بكثرة طرقه - إن شاء الله - تعالى حَسَنٌ، **أو صحيح**.

يُنظر "المداوي لعِلَل الجامع الصغير وشرحي المُناوي" 1: 176 - 179، للحافظ أحمد الغماري.

ويُنظر («بشارة المؤمن بتصحيح حديث "اتقوا فِراسة المؤمن"») ص 39 - 40، للشيخ محمود سعيد ممدوح. وهذا الكُتيب عبارة عن جُزء حديثي].

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح75] حديث: «لا تنكحوا القرابة القريبة، فإنّ الولد يُخلق ضاوياً».

انظر ص: 559 - 565.

- أورده الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» 3: 146 وقال: هذا الحديث تبع في إيراده إمام الحرمين هو والقاضي الحسين - أي تبع الرافعي في شرحه على الوجيز المذكورين في إيراد الحديث - .

وقال ابن الصلاح: **لم أجد له أصلاً معتمداً**. انتهى.

وقد وقع في «غريب الحديث» لابن قتيبة قال: جاء في الحديث: "اغتربوا لا تضووا".

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث ليس له أصل، فبالتالي لا نستطيع أن ننسبه إلى الرسول ﷺ، وبالتالي لن نعتبره إعجازاً علمياً. وهو صحيح المعنى. ويشهد لمعنى هذا الحديث بطريقة غير مباشرة الآية القرآنية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ...﴾ [النساء: 23]، لأنها تحرم العلاقة الجنسية بين الأقارب، ولا بد أن هذا مرده لسبب علمي وجيه (وهو أن النسل يضعف من خلال هذا التزاوج) إلى جانب الجانب الاجتماعي. ومن الحكمة أن نستشهد به كأثر إسلامي على سبيل التفسير، وليس كحديث نبوي شريف. وينطبق عليه الحكم رقم 19.

● [ح76] حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجُعْفِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ حَمْزَةَ الزَّيَّاتَ عَنْ أَبِي الْمُخْتَارِ الطَّائِيِّ عَنْ ابْنِ أَخِي الْحَارِثِ الأَعْوَرِ عَنْ الْحَارِثِ قَالَ: مَرَرْتُ فِي الْمَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ فِي الأَحَادِيثِ، فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلاَ تَرَى أَنَّ النَّاسَ قَدْ خَاضُوا فِي الأَحَادِيثِ؟ قَالَ: وَقَدْ فَعَلُوهَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلاَ إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ»، فَقُلْتُ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلاَ يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: 1-2] مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

انظر ص: 10.

- أخرجه الترمذي في «فضائل القرآن»، باب ما جاء في فضل القرآن، رقم 2906.
- والدارمي في «فضائل القرآن»، باب فضل من قرأ القرآن، رقم 26، 2: 435. **واللفظ للترمذي.**

وفي سند الحديث أبو المُختار الطائي مجهول كما في «التقريب» رقم 8348.

والحارث الأعور الهمْداني صاحب عليّ - كرم الله وجهه -، رُمي بالرَّفْض، وقد ضُعّف في حديثه، وكذّبه الشعبيّ من جهة بدعته، لا من جهة حديثه.

وحديثه في السنن الأربعة، واحتجّ به النّسائي. وعلى كلٍّ فالحديث - كما قال ابن كثير - قُصاراه أن يكون من كلام أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه وقد وهم بعضهم في رفعه. وهو كلام حسن، وله شاهد مرفوع من حديث عبد الله بن مسعود. يُنظر فضائل القرآن لابن كثير ص14 - 16.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح77] عن أمّ سُلَيْم قالتْ: كانتْ مُجاوِرةَ أمّ سلمة زوْجِ النّبيّ ﷺ، فكانتْ تدْخُلُ عليْها، فدخل النّبيُّ ﷺ، فقالتْ أمّ سُلَيْم: يا رسُول اللّه: أرأيْت إذا رأت الْمرْأةُ أنّ زوْجها يُجامعُها في الْمنام أتغْتسِلُ؟ فقالتْ أمّ سلمة: تربتْ يداك يا أمّ سُلَيْم فضحْت النّساء عِنْد رسُول اللّه ﷺ، فقالتْ أمّ سُلَيْم: إنّ اللّه لا يسْتحْيِي مِن الْحقّ، وإنّا إنْ نسْألْ النّبيّ ﷺ عمّا أشْكل عليْنا خيْرٌ مِنْ أنْ نكُون منْهُ على عمْياء، فقال النّبيُّ ﷺ لأمّ سلمة: «بلْ أنْتِ تربتْ يداكِ، نعمْ يا أمّ سُلَيْم، عليْها الْغُسْلُ إذا وجدت الْماء»، فقالتْ أمّ سلمة: يا رسُول اللّه وهلْ لِلْمرْأة ماءٌ؟ فقال النّبيُّ ﷺ: «فأنّى يُشْبِهُها ولدُها؟ هُنّ شقائقُ الرّجال».

انظر ص: 76 - 539 - 540 (ح) - 542 (ح) - 543 (ح).

- أخرجه **الإمام** أحمد في المسند 6: 377. واللفظ له. قال الهيثمي: رواه أحمد وهو في الصحيح باختصار، وفي إسناده انقطاع بين أم سليم وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة.

- والدارمي في كتاب «الطهارة»، باب في المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل، رقم 764.

[والحديث أورده الحافظ ابن حجر في «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» 1: 388 و1: 389، وسكت عنه][1].

وهو حديث صحيح أصله في صحيح البخاري - كتاب الغسل. باب: إذا احتلمت المرأة. رقم 278.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث صحيح لأن أصله في البخاري، وهو صحيح المعنى. وله حكم الحديث رقم 14.

● [ح78] حدّثنا بِشْرُ بْنُ هِلالٍ الصّوّافُ، حدّثنا داوُدُ بْنُ الزِّبْرِقانِ عنْ بكْرِ بْنِ خُنيْسٍ عنْ عبْدِ الرّحْمنِ بْنِ زِيادٍ عنْ عبْدِ اللّهِ بْنِ يزِيد عنْ عبْدِ اللّهِ بْنِ عمْرٍو قال: خرج رسُولُ اللّه ﷺ ذات يوْمٍ مِنْ بعْضِ حُجرِه فدخل الْمسْجِد فإذا هُو بِحلْقتيْنِ إحْداهُما يقْرؤُون الْقُرْآن ويدْعُون اللّه، والأُخْرى يتعلّمُون ويُعلِّمُون، فقال

(1) سكوت الحافظ ابن حجر يعني أن الحديث عنده حسن أو صحيح. - ينظر هدي الساري مقدمة فتح الباري، لابن حجر، ص 4 -.

النَّبِيُّ ﷺ: «كُلٌّ عَلَى خَيْرٍ، هَؤُلَاءِ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ، فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ يَتَعَلَّمُونَ وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا»، فَجَلَسَ مَعَهُمْ.

انظر ص: 76.

- أخرجه **ابن ماجه** في «المقدمة»، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم 222.

- والدارمي في كتاب «المقدمة»، باب في فضل العلم والعالم، رقم 349.

متفق على ضعف إسناده، قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف. وقال البوصيري في زائد ابن ماجه: إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ. داود وبَكْر وعَبْد الرَّحْمن، كلهم ضعفاء.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح79] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «غَطُّوا الْإِنَاءَ وَأَوْكُوا السِّقَاءَ فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ».

انظر ص: 441 - 577.

- أخرجه أحمد في المسند (3/ 355).

- **ومسلم في** «الأشربة»، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها. . . ، رقم (2014).

- وابن ماجه في الأشربة، باب تخمير الإناء، رقم (3410). **واللفظ لمسلم.**

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث ليس له علاقة بعلم "تخلق الجنين"، بل «(بعلم الميكروب MICROBIOLOGY)»، وينطبق عليه الحكم رقم 20 لأنه يتكلم عن أمور علمية غيبية، ألا وهي انتقال الأعضاء الميكروبية غير المرئية عبر الهواء، وهذا أمر لم تكتشفه الخليقة إلا بعد مرور حوالي 1200 عام على بعثة الرسول ﷺ.

● [ح80] عَنْ أَنَسٍ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ، فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: 222] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ»، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ

فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلاَّ خَالَفَنَا فِيهِ! فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ فَقَالاَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا فَلاَ نُجَامِعُهُنَّ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا، فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُمَا هَدِيَّةٌ مِنْ لَبَنٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمَا فَسَقَاهُمَا، فَعَرَفَا أَنْ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا.

انظر ص: 195.

- أخرجه أحمد في المسند (3/ 132 - 133 و246 - 247).
- **ومسلم** في الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله، رقم (302).
- وأبو داود في «الطهارة»، باب في مؤاكلة الحائض ومجامعتها، (رقم 258).
- والترمذي في التفسير (سورة البقرة)، رقم 2977، **واللفظ لمسلم**.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: سبق أن سردنا بالتفصيل في مبحث «**ازدياد الأرحام وغيضها/ الحيض**» أن الشعوب لم تكن تعلم حقيقة ما يجري علميًا في المهبل والرَّحِم حتى عهد قريب، وكانت تعتقد كثيراً من الأمور الباطلة في شأن حيض المرأة، فجاء هذا الحديث وأعطى بعداً جديداً مُحقاً لحيض المرأة وفرّق بين الحيض والاستحاضة، وتحدّى معتقدات الشعوب السائدة آنذاك بأن جسم المرأة يحتوي على سموم وأوضح أن وجود الدم في فترة الحيض قد يسبب نشوء الأمراض إذا ما لم نأخذ الحيطة والحذر، وهذا كان مجهولاً للناس قبل فترة الوحي، وهي علاقة الزمان والمكان بسيلان الدم. وبالتالي يصح أن نعتبره إعجازاً علمياً. وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح81] حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَكَّارٍ حَدَّثَنَا مَرْوَانُ - يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ - حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا الْعَلاَءُ بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ حَرَامِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ عَمِّهِ: أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا يَحِلُّ لِي مِنَ امْرَأَتِي وَهِيَ حَائِضٌ؟ قَالَ: «لَكَ مَا فَوْقَ الإِزَارِ»، وَذَكَرَ مُؤَاكَلَةَ الْحَائِضِ أَيْضًا وَسَاقَ الْحَدِيثَ.

انظر ص: 195.

- أخرجه **أبو داود** في «الطهارة»، باب في المذي، رقم (212)، **واللفظ له**.
- وأخرجه الترمذي مختصراً في «الطهارة»، باب ما جاء في مؤاكلة الحائض، رقم (133).
- وابن ماجه في «الطهارة»، باب في مؤاكلة الحائض، رقم (1073).
- وأحمد في مسنده رقم (18528) و(1999).

- والدارمي في «الطهارة»، باب الحائض تمشط زوجها رقم (1073).

وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وسكت عنه أبو داود والمنذري. **والحديث صحيح** لشواهده المتعددة منها ما أشار إليه الترمذي عن عائشة وأنس رضي الله عنهما وغيرهما، و حديث عائشة في الصحيحين.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: له نفس حكم الحديث رقم 80. ولكن من الحكمة أن لانذكره وحده في مجال الإعجاز العلمي في علم «الأرحام» لأنه لا يُلقي الضوء بشكل واضح على البعد العلمي في المحيض إلا إذا أرفقناه بالحديث رقم 80، وذلك لعدم ورود الآية الكريمة وحادثة مخالفة اليهود في الحديث.

● [ح82] عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرَجْنا لاَ نرى إلاَّ الْحجَّ، فلمَّا كُنَّا بسرف حِضْتُ، فدخل عليَّ رسُولُ اللَّه ﷺ وأنا أبْكي، قال: «ما لك أنفسْت؟»، قُلْتُ: نعمْ، قال: «إنَّ هذا أمْرٌ كتبهُ اللَّهُ على بنات آدم، فاقْضي ما يقْضي الْحاجُّ غيْر أنْ لا تطُوفي بالْبيْت»، قالتْ: وضحَّى رسُولُ اللَّه ﷺ عنْ نسائه بالْبقر.

انظر ص: 194.

- أخرجه البخاري في «الحيض»، باب كيف كان بدء الحيض، رقم (294)، واللفظ له.

- وهو عند مسلم في «الحج»، باب بيان وجوه الإحرام، رقم (1213).

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح83] (عن عائشة رضي الله عنها) وكُنَّ نساءٌ يبْعثْن إلى عائشة بالدُّرجة فيها الْكُرْسُفُ فيه الصُّفْرةُ، فتقُولُ: لا تعْجلْن حتَّى تريْن الْقصَّة الْبيْضاء، تُريدُ بذلك الطُّهْر من الْحيْضة، وبلغ بنت زيْد بْن ثابت أنَّ نساءً يدْعُون بالْمصابيح منْ جوْف اللَّيْل ينْظُرْن إلى الطُّهْر، فقالتْ: ما كان النِّساءُ يصْنعْن هذا، وعابتْ عليْهنَّ.

- هذان أثران أخرجهما البخاري تعليقاً في «الحيض»، باب إقبال الحيض وإدباره.

انظر ص: 195.

- أما الأول «وكن نساء يبعثن إلى عائشة» فقد رواه مالك موصولاً في الموطأ، في الطهارة، باب طهر الحائض، رقم (98)، عن علقمة بن أبي علقمة عن أمه مولاة عائشة... ومن هذا الطريق أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (1/ 335، رقم 1486) وعبد الرزاق في المصنف (1/ 301، رقم 1159).

وللحديث شاهد عن أسماء أيضاً أشار إليه صاحب نصب الراية (1/ 193)، وابن حجر في الدراية (1/ 85).
فالحديث صحيح بشاهده.
- وأما الثاني «وبلغ بنت زيد...» فقد وصله مالك في الموطأ في الطهارة، باب طهر الحائض، رقم (98)، من حديث عبد الله بن أبي بكر عن عمته عن ابنة زيد.
ومن طريق مالك أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (1/ 59)، رقم (129)، والبيهقي في السنن الكبرى (1/ 335، رقم 1486).
صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح84] عَنْ عائشةَ أنَّ امْرأةً مِنَ الأنْصارِ قالَتْ لِلنَّبيِّ ﷺ: كَيْفَ أغْتَسِلُ مِنَ المَحِيضِ؟ قالَ: «خُذِي فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَوضَّئِي ثَلاثًا» ثُمَّ إنَّ النَّبيَّ ﷺ اسْتَحْيَا فأعْرَضَ بِوَجْهِهِ، أوْ قالَ: «تَوضَّئِي بِها»، فَأخَذْتُها فَجَذَبْتُها، فأخْبَرْتُها بِما يُرِيدُ النَّبيُّ ﷺ.

انظر ص: 196.

- أخرجه البخاري في «كتاب الحيض»، باب غسل المحيض، رقم (315)، **واللفظ له**. وينظر رقم (314و7357).
- وأخرجه **مسلم** في «كتاب الحيض»، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فِرْصة من مسك في موضع الدم، رقم (332).
صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح85] عَنْ عائشةَ أنَّ امْرأةً سألَتِ النَّبيَّ ﷺ عَنْ غُسْلِها مِنَ المَحِيضِ، فأمَرَها كَيْفَ تَغْتَسِلُ، قالَ: «خُذِي فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فَتَطَهَّرِي بِها»، قالَتْ: كَيْفَ أتَطَهَّرُ؟ قالَ: «تَطَهَّرِي بِها»، قالَتْ: كَيْفَ؟ قالَ: «سُبْحانَ اللهِ تَطَهَّرِي»، فاجْتَذَبْتُها إليَّ، فَقُلْتُ: تَتَبَّعِي بِها أثَرَ الدَّمِ.

انظر ص: 196.

- أخرجه البخاري في «كتاب الحيض»، باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض وكيف تغتسل وتأخذ فرصة ممسكة فتتبع أثر الدم، رقم (314). **واللفظ له**.
- وأخرجه مسلم برقم (332). ويُنظر الحديث السابق [84].
صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح86] بَاب إِذَا رَأَتْ الْمُسْتَحَاضَةُ الطُّهْرَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَغْتَسِلُ وَتُصَلِّي وَلَوْ سَاعَةً، وَيَأْتِيهَا زَوْجُهَا إِذَا صَلَّتْ، الصَّلَاةُ أَعْظَمُ.

انظر ص: 199.

- أورده **البخاري** تعليقاً في «كتاب الحيض»، باب إذا رأت المستحاضة الطهر.
- وقد أخرجه موصولاً ابن أبي شيبة في المصنف (1/ 120 رقم: 1367).
- والدارمي في (1/ 224 - 225) رقم (800 و801).
- وأورده أبو داود معلقاً أيضاً بعد رقم (281 و300)، وعنه البيهقي في السنن الكبرى (1/ 340 رقم 1501).
- وانظر شرح معاني الآثار للطحاوي (1/ 99)، والآثار لأبي يوسف (35).

وللحديث شواهد يقوى بها **ويصلح للاحتجاج** منها الحديث التالي.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 87 الآتي.

● [ح87] حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيْجٍ الرَّازِيُّ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْجَهْمِ حَدَّثَنَا عَمْرُو ابْنُ أَبِي قَيْسٍ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ حَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ أَنَّهَا كَانَتْ مُسْتَحَاضَةً وَكَانَ زَوْجُهَا يُجَامِعُهَا.

انظر ص: 199.

- أخرجه **أبو داود** في «كتاب الطهارة»، باب المستحاضة يغشاها زوجها، رقم (310)، **واللفظ له**.
- والبيهقي في السنن الكبرى (1: 329).

وفي سماع عكرمة من حمنة نظر عند المحدثين، ولكن يشهد للحديث الحديث السابق.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث فيه نظر من حيث سماع عكرمة من حمنة عند المحدثين، أي أن المحدثين لا يجزمون بسماع عكرمة من حمنة، وبالتالي ليس بقوي. ولكن حديث ابن عباس رضي الله عنهما، السابق (وله حكم الاتصال)[1] وشواهد أخرى مثل: أن أم حبيبة كان زوجها يجامعها وهي مستحاضة، تجعله يرقى للاحتجاج به. جاء في فتح الباري بشرح صحيح البخاري في تفسير الحديث السابق: "ولأبي داود من وجه آخر عن عكرمة، قال: «كانت أم حبيبة تستحاض، وكان

(1) والتعليقات في صحيح البخاري لها حكم الاتصال، لأنه التزم في هذا الكتاب أن لا يأتي إلا بالصحيح، وإن لم تكن في مرتبة مسانيده. (مقدمة في أصول الحديث، للدهلوي، ص 41).

زوجها يغشاها" وهو حديث صحيح إن كان عكرمة سمع منها". وهذان الحديثان (رقم 86 و87) موقوفان (أي أن سنديهما ينتهي إلى الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - وليس إلى رسول الله ﷺ)، غير أن لهما حكم المرفوع[1]، لأن الصحابة كانوا يأتون نساءهم في عهد الوحي، ولم يَنْهَهُم النبي ﷺ. جاء في عون المعبود شرح سنن أبي داود في شرح هذا الحديث: "من الصحابة قد فعلا[2] ذلك في زمن الوحي، ولم ينزل في امتناعه، فيستدل به على الجواز". وسكوت الرسول ﷺ هو نوع من الإقرار بأنه يرضى بهذا الفعل. والإخبار بأن الصحابة كانوا يفعلون ذلك مع عدم نهي الرسول ﷺ لهم هو رفع تقريري حكمي[3]. وبالتالي نقول: أننا نستطيع أن نستشهد بهذين الحديثين في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. وهذان الحديثان يدلان على الأسس التي وضعها رسول الله ﷺ في مجال الحيض والاستحاضة، والتي بيّنا إعجازها في الحديث رقم 80، وبالتالي فهي تشير إلى الإعجاز العلمي في مجال علم "الأرحام". ومن الجدير بالذكر أنه يجب أن لا نستشهد بالحديث رقم 87 إلا مع ذكر الحديث رقم 86 السابق، حتى تكون الحجة قوية. وينطبق على الحديثين الحكم رقم 20.

● [ح88] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالاَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: سَأَلَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَتْ: إِنِّي أُسْتَحَاضُ فَلاَ أَطْهُرُ، أَفَأَدَعُ الصَّلاَةَ؟ قَالَ: «لاَ وَلَكِنْ دَعِي قَدْرَ الأَيَّامِ وَاللَّيَالِي الَّتِي كُنْتِ تَحِيضِينَ - قَالَ أَبُو بَكْرٍ فِي حَدِيثِهِ: وَقَدْرَهُنَّ مِنَ الشَّهْرِ - ثُمَّ اغْتَسِلِي وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَصَلِّي».

انظر ص: 199.

- أخرجه مالك في الموطأ، "كتاب الصلاة"، باب المستحاضة، رقم (105).
- وأبو داود في «الطهارة»، باب المرأة تُستحاض، رقم (275 - 276).
- والنسائي في «الحيض والاستحاضة»، باب المرأة يكون لها أيام معلومة تحيض كل شهر، رقم (354 - 355).

(1) أي أن لها حكم الحديث المرفوع (وهو الذي ينتهي سنده) إلى النبي ﷺ.

(2) أي اثنان من الصحابة قد فعلا ذلك على ما تقدم من كلامه.

(3) مقدمة في أصول الحديث، للدهلوي، ص 38.

- **وابن ماجه** في «الطهارة»، باب ما جاء في المستحاضة التي قد عدت أيام قرائها، رقم (623)، **واللفظ له**.

وهذا الحديث من رواية سليمان بن يسار عن السيدة أم سلمة رضي الله عنها . وقد أعلّه بعضهم بأن سليمان لم يسمع من أم سلمة، **وللحديث شواهد يرتقي بها إلى الصحة**، والله أعلم. وانظر شرح ابن ماجه لمُغلطاي (3 - 857 - 860)، وشرح السنة للبغوي (2/ 142)، وتهذيب الكمال (12/ 101)، وتهذيب التهذيب (4/ 228).

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث جيّد السند، وله شواهد يرقى بها إلى درجة الصحة، وهو صحيح المعنى، ويشير إلى نفس الأسس في الإعجاز العلمي في مجال الحيض والاستحاضة التي تشير إليها الأحاديث رقم 80، 86 و87، وبالتالي له نفس حكمهم.

● [ح89] حدَّثنا مُحمَّدُ بْنُ بشَّارٍ، حدَّثنا أبُو عامرٍ الْعقديُّ، حدَّثنا زُهيْرُ بْنُ مُحمَّدٍ عنْ عبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحمَّدِ بْنِ عقيلٍ، عنْ إبْراهيم بْنِ مُحمَّدِ بْنِ طلْحة، عنْ عمِّه عمْران ابْنِ طلْحة، عنْ أُمِّه حمْنة بنْتِ جحْشٍ قالتْ: كُنْتُ أُسْتحاضُ حيْضةً كثيرةً شديدةً، فأتيْتُ النَّبيَّ ﷺ أسْتفْتيه وأُخْبرُهُ، فوجدْتُهُ في بيْتِ أُخْتي زيْنب بنْتِ جحْشٍ، فقُلْتُ: يا رسُول اللَّهِ: إنِّي أُسْتحاضُ حيْضةً كثيرةً شديدةً فما تأْمُرُني فيها؟ قدْ منعتْني الصِّيام والصَّلاة قال: «أنْعتُ لك الْكُرْسُف فإنَّهُ يُذْهِبُ الدَّم»، قالتْ: هُو أكْثرُ منْ ذلك، قال: «فتلجَّمي»، قالتْ: هُو أكْثرُ منْ ذلك، قال: «فاتَّخذي ثوْبًا»، قالتْ: هُو أكْثرُ منْ ذلك إنَّما أثُجُّ ثجًّا، فقال النَّبيُّ ﷺ:

«سآمُرُك بأمْريْنِ أيَّهُما صنعْتِ أجْزأ عنْكِ، فإنْ قويتِ عليْهِما فأنْتِ أعْلمُ»، فقال: «إنَّما هي ركْضةٌ منْ الشَّيْطانِ، فتحيَّضي ستَّة أيَّامٍ أوْ سبْعة أيَّامٍ في علْمِ اللَّهِ، ثُمَّ اغْتسلي، فإذا رأيْتِ أنَّكِ قدْ طهُرْتِ واسْتنْقأْتِ فصلِّي أرْبعًا وعشْرين ليْلةً أوْ ثلاثًا وعشْرين ليْلةً وأيَّامها وصُومي وصلِّي فإنَّ ذلك يُجْزئُكِ، وكذلك فافْعلي كما تحيضُ النِّساءُ وكما يطْهُرْن لميقاتِ حيْضهنَّ وطُهْرهنَّ، فإنْ قويتِ على أنْ تُؤخِّري الظُّهْر وتُعجِّلي الْعصْر ثُمَّ تغْتسلين حين تطْهُرين وتُصلِّين الظُّهْر والْعصْر جميعًا، ثُمَّ تُؤخِّرين الْمغْرب وتُعجِّلين الْعشاء ثُمَّ تغْتسلين وتجْمعين بيْن الصَّلاتيْنِ فافْعلي،

وَتَغْتَسِلِينَ مَعَ الصُّبْحِ وَتُصَلِّينَ، وَكَذَلِكَ فَافْعَلِي وَصُومِي إِنْ قَوِيتِ عَلَى ذَلِكَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَهُوَ أَعْجَبُ الأَمْرَيْنِ إِلَيَّ».

انظر ص: 183 - 185 - 199.

- أخرجه أحمد في المسند (6/ 381 - 382 و439 - 440).

- وأبو داود في «الطهارة»، باب من قال: إذا أقبلت الحيضة تدع الصلاة، رقم (287).

- **والترمذي** في «الطهارة»، باب ما جاء في المستحاضة أنها تجمع بين الصلاتين بغسل واحد، رقم (128)، **واللفظ له**.

- وابن ماجه في «الطهارة»، باب ما جاء في البِكْر إذا ابتدئت مستحاضة أو كان لها أيام حيض فنسيتها، رقم (627).

- والحاكم في المستدرك في «الطهارة» (أحكام المستحاضة) (1/ 172 - 173).

- والبيهقي في السنن الكبرى في «كتاب الحيض»، باب المبتدئة لا تميِّز بين الدمين (1/ 338 - 339).

- والدارقطني في الحيض (1/ 214، رقم 48).

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ونقل تصحيحه عن البخاري وأحمد أيضاً.

ولا يقدح في صحته رواية ابن عقيل. والله أعلم.

قال الحاكم: قد اتفق الشيخان على إخراج حديث الاستحاضة من حديث الزهري وهشام بن عروة عن عائشة... وليس فيه هذه الألفاظ التي في حديث حمنة بنت جحش. ورواية عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب وهو من أشراف قريش وأكثرهم رواية غير أنهما لم يحتجا به. ثم أشار إلى شواهد الحديث.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث صحيح السند، وله نفس حكم الحديث 88 السابق.

● [ح90] عن أبي موسى ﷺ: قال النبي ﷺ: «لا يبغي على الناس إلاَّ ولد غيَّةٍ، وإلا من فيه عِرْقٌ منه».

انظر ص: 523.

- أخرجه البخاري في تاريخه الكبير (4/ 102، رقم 2107).

- والطبراني في المعجم الكبير (كما في مجمع الزوائد: 5/ 233).

- **والبيهقي** في السنن الكبرى (8/ 298، رقم 26335). وفي شعب الإيمان (5/ 286، رقم 6675).

- والديلمي في الفردوس (5/ 141، رقم 7755)، كلهم من طريق سهل بن عطية الأعرابي عن أبي الوليد القرشي.

قال ابن حبان عن سهل: «منكر الرواية لايقبل ما ينفرد به»، وقال الهيثمي: «أبو وليد القرشي لم أعرفه».

وللحديث طريق آخر أخرجه وكيع في «الغرر» عن منصور بن أبي مزاحم ومن طريق عيسى بن مرحوم العطار عن أبي الفقماء عن أبي موسى.

ومن ثمَّ فقد **حسّن الحديث المناوي** في التيسير شرح جامع الصغير.

وانظر المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي لأحمد الغماري (6/ 607 - 608).

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث حسن بتعدد طرقه. وهو يشير إلى أن الصبغيات تتحكم إلى حد كبير في طبع الإنسان. وهذا من علم الغيب في عهد ما قبل الرسالة حيث إن الشعوب قاطبة قبل عهد الوحي لم تعلم ابتداءً بوجود الصبغيات. وبالتالي نعتبر أنه يشير إلى إعجاز علمي. وله الحكم رقم 20.

● [ح91] وعن طلحة بن عبيد الله قال: «مرَّ على رسول الله ﷺ ببعير قد وُسم في وجهه فقال: «لو أن أهل هذا البعير عزلوا النار عن هذه الدابة»، فقلت: لأسمنَّ في أبعد مكان من وجهها قال: فوسمت في عجب الذنب».

انظر ص: 249.

- أخرجه أبو يعلى في مسنده (2/ 21، رقم 651) والبزار في البحر الزخار (3/ 163، رقم 948) والضياء المقدسي في المختارة (3/ 39، رقم 838).

قال الضياء: إسناده حسن. وقال الهيثمي: رجاله رجال صحيح.

انظر مجمع الزوائد (8/ 109 - 110).

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح92] روي عن حجّاج بن فُرافصة، أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مريض يقول: سبحان الملك القدوس الرحمن الملك الديّان، لا إله إلا أنت مُسكّن العروق الضّاربة، ومُنيم العيون الساهرة إلا شفاه الله تعالى».

انظر ص: 545 - 549.

- أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات»، رقم 257، وهو آخر حديث في الكتاب، وعنه المنذري في الترغيب والترهيب (4/ 221، رقم 5106) **وهو حديث ضعيف** لإعضاله، وضعْف بعض رواته.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث مُعضل، أي أنه سقط من إسناده اثنان فأكثر، أضف إلى ذلك أنه ضُعِّف بعض رواته، مما يزيد الحديث ضعفاً، ولكن معناه صحيح. ويشهد لمعنى الحديث، الحديث رقم 70. وبالتالي لا نستطيع أن نستشهد به وحده، ولكننا نستطيع أن نذكره كتفسير وكشاهد للحديث رقم 70. وينطبق عليه الحكم رقم 16.

● [ح93] عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ».

انظر ص: 16.

- أخرجه الترمذي في «البر والصلة»، باب ما جاء في الثناء بالمعروف، رقم (2035)، واللفظ له، وقال هذا حديث حسن جيد غريب.

- وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (6/ 53، رقم: 1008) ومن طريقه ابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (270).

- وأخرجه الطبراني في الصغير (2/ 148 - 149).

- وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (2/ 342) **وهو حديث حسن.**

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح94] عن أبي هريرة ﷺ: قال النبي ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العرْق».

انظر ص: 186.

- أخرجه البخاري في الاعتكاف، (باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد؟، رقم 2035) وباب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، رقم (2037)، وباب هل يدرأ المعتكف عن نفسه، رقم (2039). وانظر الأرقام (3101 و3281 و6219 و7171).

- ومسلم في «السلام»، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خلياً بامرأة وكانت زوجه محرماً له أن يقول: هذه فلانة. . . رقم (2174 و2175).

- والبيهقي في "شعب الإيمان" (5/ 321 - 322)، رقم (6799)، بلفظ "... مجرى الدم من العروق)".

- والحافظ أبي نُعيم في ذكر أخبار أصبهان (2/ 211 - 212)، بلفظ "... مجرى الدم في العروق".

- **والسيوطي** في جامع الأحاديث والمراسيل (3/ 25)، رقم (8807). **واللفظ له**.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يحتج به لأن أصله في البخاري، وله نفس حكم الحديث رقم 28.

● [ح95] أخبرنا أبو الحسين بن أبي يَعْلى، وأبو غالب، وأبو عبد الله ابنا أبي علي، قالوا: أنا مُحَمَّد بن أحمد أنا محمد بن عبد الرحمن أنا أحمد بن سليمان أنا الزبير ابن أبي بكرٍ قال: وحدثني محمد بن الحَسن، عن إبراهيم بن محمَّد بن نافع بن ثابت، عن محمد بن كعب القرظي: أن رسول الله ﷺ دخل على أسماء بنت أبي بكر الصديق ﵄ حين ولد عبد الله بن الزبير فقال: "أهو هو؟ أهو هو؟" فقيل: يا رسول الله: إن أسماء تركت رضاع عبد الله لَمَّا سمعتك تقول: أهو هو؟ أهو هو؟، فقال: "أرْضِعيهِ ولَوْ مِنْ ماءِ عَيْنَيْك، كبشٌ من ذئابٍ، ذئابٌ عليها ثياب، لَيَمْنعنَّ الحَرَم، ولَيُقْتَلنَّ به".

انظر ص: 435 - 582.

- أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (28/ 160).

- وهو في كنز العمال (13/ 471)، رقم (37232). **والحديث مرسل ضعيف.**

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث مرسل ضعيف، ولكن لا ضرر في ضعفه في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في مجال الرضاعة، لأنه لا يتكلم عن ظاهرة غيبية، بل عن توجه حكيم للمرضعات خاصة وللشعوب عامة. فلا بأس أن نستشهد به للاستئناس. وينطبق عليه الحكم رقم 9.

● [ح96] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ قَال

عَمْرٍو: فَلَمَّا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ، وَإِنَّ لَهُ لَظِئْرَيْنِ تُكَمِّلَانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ».

انظر ص: 456 (ح) - 582.

- أخرجه مسلم في «الفضائل»، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه، رقم (2316). **واللفظ له.**

- وأحمد في المسند (3/112).

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح97] حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَبِيعَةَ عَنْ كَامِلٍ أَبِي الْعَلَاءِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عُمْرُ أُمَّتِي مِنْ سِتِّينَ سَنَةً إِلَى سَبْعِينَ سَنَةً».

انظر ص: 497 - 509.

- أخرجه الترمذي في «كتاب الزهد عن رسول الله»، باب ما جاء في فناء أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين، رقم (2331).

- وابن ماجه في «كتاب الزهد»، باب الأمل والأجل، رقم (4236)، بلفظ «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ».

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث حسن السند، صحيح المعنى. وهو يشير إلى متوسط عمر أمة محمد ﷺ. وهذا الأمر ليس بغيب لأن التفكر والمراقبة العميقة والدقيقة يفضي بنا إلى هذه النتيجة - وإن كانت هذه النتيجة غير واضحة تماماً وذلك لأن متوسط عمر الإنسان يقل تدريجياً مع مرور الزمن إلى حد لا يمكن التنبؤ به -. ولكن ما يلفت النظر إليه هو أنه يشير إلى أن عمر شعب من الشعوب محدد إلى حد ما. وهذا يتطلب في معرفته إلى حكمة بالغة. وبالتالي ليس بإعجاز، وهو حديث ديني علمي بارز. وينطبق عليه الحكم رقم 9.

● [ح98] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَكَّلَ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكاً فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ: نُطْفَةٌ؟ أَيْ رَبِّ: عَلَقَةٌ؟ أَيْ رَبِّ: مُضْغَةٌ؟ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا

قَالَ: أَيْ رَبِّ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ».

انظر ص: 343 - 346 - 347 - 348 (ص) - 402 - 558 (ح).

- أخرجه البخاري في «القدر»، باب في القدر، رقم (6595)، **واللفظ له**، وفي كتاب الحيض، باب قول الله ﷻ: مخلقة وغير مخلقة، رقم (318).

- ومسلم في «القدر»، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله، بلفظ: «فإذا أراد الله أن يقضي خلقاً»، رقم 2646.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يتكلم عن عدة ظواهر علمية غيبية، وأهمها: أن الله تعالى يقضي (أي يُتِمّ) خلق الجنين عندما يدخل هذا الأخير فترة الإذكار أو الإيناث، أي أن الجنين يدخل فترة غير حرجة من تخلقه بدخوله فترة التميز الجنسي. وهذا من علم الغيب لأن عالم ما قبل فترة الوحي لم يعلم بتفاصيل التخلق، فكيف له أن يربط ما بين دخول فترة التميز الجنسي ودخول فترة التمام؟. وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح99] عن أبي هريرة ﷺ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالأُخْرَى شِفَاءً».

انظر ص: 577.

- أخرجه البخاري في «كتاب بدء الخلق»، باب في إذا وقع الذُّباب في شراب أحدكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ فإنَّ في إحْدَى جنَاحَيْهِ داءً وفي الأُخرى شفاءً، رقم (3320).

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يتكلم عن ظاهرة غيبية جدًا، وهي أن الذباب يحمل في أحد جناحيه البكتيريا التي تسبب الأمراض، وفي الأخرى (الفيروس القاتل لهذه البكتيريا BACTERIOPHAGE). ولمعرفة هذا نحتاج إلى مجهر ألكتروني بالغ الدقة، إضافة إلى معرفة عالية في «علم الميكروب»، وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح100] عن النعمان بن بشير يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْواً، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

انظر ص: 577.

- أخرجه البخاري «في كتاب الأدب»، باب رحمة الناس والبهائم، رقم (6011).
صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يتكلّم عن ظواهر غيبيّة، من خلال استعمال كلمتين في غاية الدقّة: «اشتكى»، و«تداعى». فكلمة «اشتكى» تشير إلى أن العضو المصاب «يشتكي». أي يستغيث ويُعلم ويُخبر باقي الأعضاء بأنه مصاب. وبالفعل تنطلق نبضات عصبية من مكان الإصابة، إلى الدماغ، وإلى مراكز الحس والتحكم غير الإرادي، وتنبعث مواد كيماوية وهرمونات بمجرد حدوث ما يهدد أنسجة العضو المصاب. وأما كلمة «تداعى» فهي تعني أن الجسم يدعو بعضه بعضاً، وهذا ما يحدث بالفعل، فمراكز الإحساس تدعو مراكز اليقظة والتحكم فيما تحت المهاد، التي تدعو بدورها الغدة النخامية لإفراز الهرمونات، التي تدعو باقي الغدد الصمّاء لإفراز الهرمونات، التي تحفّز جميع الأعضاء لتوجيه وظائفها لنجدة المشتكي: فالقلب يسرع بالنبض لسرعة جريان الدم، في الوقت الذي تنقبض فيه الأوعية بالأجزاء الخاملة من الجسم، وتتّسع الأوعية الدموية المحيطة بالعضو المصاب لكي تحمل له ما يحتاجه من طاقة وأوكسجين. . . . كذلك تبدأ العضلات بهدم مخزونها من الدهن ولحم العضلات، لكي تعطي من نفسها لمصلحة العضو المصاب. وبالتالي فإن صياغة الحديث تشير إلى العمليات الخفيّة والدقيقة التي تحدث في الجسم، ولا يمكن الاطلاع عليها إلا بالوسائل العلمية المتقدمة، التي لم تكن متوفّرة في عصر النبوة، وبالتالي ينطبق على الحديث الحكم رقم 20.

● [ح101] نا محمد بن مخلد بن حفص - إملاء من كتابه - نا القاسم بن الفضل بن بزيع - سنة تسع وخمسين ومائتين - نا زكريا بن عطية نا سعيد بن خالد حدثني محمد بن عثمان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: . . . قال لي رسول الله ﷺ: «القرآنُ ذلولٌ ذو وجوهٍ فاحملوهُ على أحْسنِ وُجوهه».

انظر ص: 20 - 21.

- رواه الدارقطني في الجزء الرابع، ص **144** عن ابن عباس مرفوعاً.
- والديلمي في الفردوس في الجزء الثالث، ص 228، عن ابن عباس.

وقد ضعف الحديث ابن حزم في «الأحكام» الجزء الثالث، ص 281، وقال: لا تقوم به حجة - أي من جهة السند - .

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: يشهد لمعنى هذا الحديث: الحديث رقم 13. وانظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح102] عَنْ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: اسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الْمَذْيِ مِنْ أَجْلِ فَاطِمَةَ، فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: «مِنْهُ الْوُضُوءُ».

انظر ص: 74.

- أخرجه مسلم في "كتاب الحيض"، باب المذي، رقم 303.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح103] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ لَمْ نَعْدُ أَنْ فُتِحَتْ خَيْبَرُ فَوَقَعْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي تِلْكَ الْبَقْلَةِ: «الثُّومِ» وَالنَّاسُ جِيَاعٌ، فَأَكَلْنَا مِنْهَا أَكْلاً شَدِيداً ثُمَّ رُحْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ، فَوَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرِّيحَ، فَقَالَ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ شَيْئاً فَلا يَقْرَبَنَّا فِي الْمَسْجِدِ». فَقَالَ النَّاسُ: حُرِّمَتْ، حُرِّمَتْ، فَبَلَغَ ذَاكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ بِي تَحْرِيمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لِي وَلَكِنَّهَا شَجَرَةٌ أَكْرَهُ رِيحَهَا».

انظر ص: 500.

- أخرجه مسلم في "كتاب المساجد ومواضع الصلاة"، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوها، رقم 565.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح104] قَالَتْ عَائِشَةُ ﷺ: أُنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ فَنُسِخَ مِنْ ذَلِكَ خَمْسٌ، وَصَارَ إِلَى خَمْسِ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ.

انظر ص: 473 (ح) - 476 (ح).

- أخرجه مسلم في "كتاب الرضاع"، باب التحريم بخمس رضعات، رقم 1452.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: له نفس حكم الحديث رقم 62.

● [ح105] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى مَيْمُونَةَ، فَجَاءَتْنَا بِإِنَاءٍ فِيهِ لَبَنٌ فَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا عَلَى يَمِينِهِ، وَخَالِدٌ عَلَى شِمَالِهِ، فَقَالَ لِي: «الشَّرْبَةُ لَكَ، فَإِنْ شِئْتَ آثَرْتَ بِهَا خَالِدًا»، فَقُلْتُ: مَا كُنْتُ أُوثِرُ عَلَى سُؤْرِكَ أَحَدًا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ الطَّعَامَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ

بارِكْ لَنا فِيه وأَطْعِمْنا خَيْرًا مِنْهُ، ومَنْ سَقاهُ اللّهُ لَبَناً فَلْيَقُلْ: اللّهُمّ بارِكْ لَنا فِيهِ وزِدْنا مِنْهُ»، وقال رَسُولُ اللّه ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِئ مَكانَ الطَّعامِ والشَّرابِ غَيْرُ اللّبنِ».

انظر ص: 452.

- أخرجه أبو داود في «الأشربة»، باب ما يقول إذا شرب اللبن، رقم 3730.
- **والترمذي** في «الدعوات»، باب: ماذا يقول إذا أكل طعاماً، رقم 3455.
- وابن ماجه في «الأطعمة»، باب اللبن، رقم 3322.

وقال الترمذي هذا **حديث حسن**.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث حسن السند، صحيح المعنى، وهو يخبر أن القيمة الغذائية للبن غير موجودة في أي غذاء آخر في زمن لم يكن باستطاعة الناس معرفة التركيبة الكيميائية للأغذية المختلفة، ومن المستلزمات لمعرفة أن هذا الغذاء أكمل من الأغذية الأخرى الإحاطة (بعلم الغذاء NUTRITION). وهذا يتطلب العديد من العلماء الباحثين، والكثير من وسائل التقنية المتقدمة، والمجاهر الألكترونية، لذا يعتبر هذا الحديث من الإعجاز العلمي للرسول الكريم ﷺ، وينطبق عليه الحكم رقم 20.

● [ح106] عن أبي هُرَيْرة ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «قال اللّهُ: كذّبني ابْنُ آدم ولَمْ يَكُنْ لَهُ ذلك، وشتمني ولَمْ يَكُنْ لَهُ ذلك، فأمّا تَكْذِيبُهُ إيّاي فقَوْلُهُ: لَنْ يُعيدني كما بدأني، ولَيْس أوّلُ الخلْقِ بأهْون عليّ منْ إعادته. وأمّا شتْمُهُ إيّاي فقوْلُهُ: اتّخذ اللّهُ ولَدًا وأنا الأحدُ الصّمدُ لمْ ألدْ ولمْ أُولدْ ولمْ يكُنْ لي كُفْئاً أحدٌ».

انظر ص: 262.

- أخرجه البخاري في «كتاب تفسير القرآن»، باب يقال: لا ينون أحد أي واحد، رقم 4974.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح107] عنْ أبي هُرَيْرة عنِ النّبِيّ ﷺ قال: «خلق اللّهُ آدم على صُورته طُولُهُ ستُّون ذراعًا فلمّا خلقهُ قال اذْهبْ فسلّمْ على أُولئك النّفرِ من الملائكة جُلُوسٌ فاسْتمعْ ما يُحيُّونك فإنّها تحيّتُك وتحيّةُ ذُرّيّتك. فقال: السّلامُ عليْكُمْ. فقالُوا: السّلامُ عليْك

وَرَحْمَةُ اللَّهِ. فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآنَ».

انظر ص: 59.

- أخرجه البخاري في «كتاب الاستئذان»، باب بدء السلام، رقم 6227، **واللفظ له**.

- ومسلم، في «كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها»، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، رقم 2841، بلفظ قريب منه.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح108] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ أَوْ أَصْغَرَ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ».

انظر ص: 436.

- أخرجه ابن ماجه في كتاب المساجد والجماعات، باب من بنى لله مسجداً، رقم 738.

- وابن حبّان في صحيحه (4/ 490) و(4/ 491).

- وقال البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة، الجزء 1، ص261: «**هذا إسناد صحيح**، رواه ابن حبان في صحيحه. وله شاهد من حديث ابن عباس رواه أحمد في مسنده، والبزار في مسنده أيضاً، وأبو داود، والطيالسي، والحارث ابن أبي أسامة، وأبو يعلى الموصلي».

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح109] عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﵂ قَالَتْ: دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: طُوبَى لِهَذَا، عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ، لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ، قَالَ: «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ؟ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلاً خَلَقَهُمْ لَهَا، وَهُمْ فِي أَصْلابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلاً خَلَقَهُمْ لَهَا، وَهُمْ فِي أَصْلابِ آبَائِهِمْ».

انظر ص: 102.

- أخرجه مسلم، في «كتاب القدر»، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار، رقم2662.

– وابن ماجه، في المقدمة، باب في القدر، رقم 82.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: لقد استعمل المجاز في هذا الحديث للدلالة على أن الإنسان وجد ابتداءً في مكان يقع قريب من الصلب وهو في عالم الذر. وبالتالي فهو لا يشير إلى إعجاز علمي، وينطبق عليه الحكم رقم 17.

● [ح110] عن عُرْوَةَ: أنَّ عائشةَ ﵂ - زَوْجِ النَّبيِّ ﷺ -، حدَّثتْهُ أنَّها قالتْ للنَّبيِّ ﷺ: هلْ أتى عليْكَ يومٌ كانَ أشدَّ مِنْ يومِ أُحُدٍ؟ قالَ: «لقدْ لَقيتُ مِنْ قومِكِ ما لَقيتُ، وكانَ أشدَّ ما لَقيتُ منهُمْ يومَ الْعقَبةِ، إذْ عرضْتُ نفْسي عَلى ابْنِ عبْدِ يالِيلَ بْنِ عبْدِ كُلالٍ، فلمْ يُجِبْني إلى مَا أرَدْتُ، فانْطلَقْتُ وأنَا مهْمُومٌ على وجْهي، فلمْ أسْتفِقْ إلاَّ وأنا بقَرْنِ الثَّعالِبِ، فرفَعْتُ رأْسي، فإذا أنا بسَحابةٍ قدْ أظلَّتْني، فنظرْتُ، فإذا فيها جِبْرِيلُ، فناداني، فقالَ: إنَّ اللَّهَ قدْ سمِعَ قوْلَ قومِكَ لكَ، وَما ردُّوا علَيْكَ، وقدْ بعثَ إليْكَ ملَكَ الْجبالِ لتأْمُرَهُ بما شِئْتَ فِيهِمْ، فناداني ملَكُ الْجبالِ، فسلَّمَ عليَّ ثُمَّ قالَ: يا مُحمَّدُ: فقالَ: ذلِكَ فيما شئْتَ، إنْ شئْتَ أنْ أُطْبِقَ عليْهِمُ الأخْشَبيْنِ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: بلْ أرْجو أنْ يُخْرجَ اللَّهُ مِنْ أصْلابِهِمْ مَنْ يعْبُدُ اللَّهَ وحْدَهُ لا يُشْركُ بهِ شيْئاً».

انظر ص: 102.

– أخرجه البخاري في «كتاب بدء الخلق»، باب ذكر الملائكة، رقم 3231، **واللفظ له.**

– وأخرجه مسلم في «كتاب الجهاد والسير»، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم 1795.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 109.

● [ح111] عن سيدنا حذيفة ﵁ قال: ضرب لنا رسول الله ﷺ أمثالاً، واحداً، وثلاثة، وخمسة، وسبعة، وتسعة عشر، وفسّر لنا منها واحداً، وسكت عن سائرها، فقال: «إنّ قوْماً كانوا أهل ضعف ومسكنة، فقاتلوا قوماً أهل حيلة وعداء، فظهروا عليهم، واستعلوهم، وتسلّطوهم، فأسخطوا ربهم عليهم».

انظر ص: 381 (ح).

- ذكره المتّقي الهندي في كنز العمال، رقم 31322، (المجلد 11، ج1، ص2214 من طبعة دار الفكر).

- وابن أبي شيبة في مصنفه، باب من كره الخروج في الفتنة وتعوّذ منها، رقم 32993، وسنده: حدّثنا أبو أسامة عن الأجلح عن قيس بن أبي مسلم عن حذيفة...

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح112] قالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ والرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ»، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ! قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالاً أَرْبَعاً: إِنَّهُمْ لأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ».

انظر ص: 382 (ح).

- أخرجه مسلم في "كتاب الفتن وأشراط الساعة"، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس، رقم 2898.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح113] أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب استعمل أبا هريرة على البحرين... (فقال عمر بن الخطاب لأبي هريرة رضي الله عنه): أتكره العمل، وقد طلب العمل من كان خير منك، يوسف؟، قال: إن يوسف نبي ابن نبي ابن نبي، وأنا أبو هريرة بن أميمة، أخشى ثلاثة، واثنين، قال عمر: أفلا قلت خمساً؟، قال: لا، أخشى أن أقول بغير علم، وأقضي بغير حكم، ويضرب ظهري، وينتزع مالي، ويُشتم عرضي.

انظر ص: 382 (ح).

- أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، ج11/ص333، مطولاً.

- وأبو نعيم في حلية الأولياء، ج1/ص380.

- وابن سعد في الطبقات الكبرى، باب الطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار، ج4، ص241.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح114] عنْ أبي هُريْرة أنّ رسُول اللّهِ ﷺ قال: «ليْستْ السّنةُ بِأنْ لا تُمْطرُوا، ولكِنْ السّنةُ أنْ تُمْطرُوا وتُمْطرُوا ولا تُنْبِتُ الْأرْضُ شيْئاً».

انظر ص: 385 (ح).

- أخرجه مسلم في «كتاب الفتن وأشراط الساعة»، باب في سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة، رقم 2904.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح115] عنْ ابْنِ عُمر عنْ النّبِيِّ ﷺ: أنّ رجُلاً سألهُ ما يلْبسُ الْمُحْرِمُ فقال: «لا يلْبسُ الْقمِيص ولا الْعِمامة ولا السّراوِيل ولا الْبُرْنُس ولا ثوْباً مسّهُ الْورْسُ أوْ الزّعْفرانُ فإِنْ لمْ يجِدْ النّعْليْنِ فلْيلْبسْ الْخُفّيْنِ ولْيقْطعْهُما حتّى يكُونا تحْت الْكعْبيْنِ».

انظر ص: 543 (ح).

- أخرجه البخاري في «كتاب العلم»، باب من أجاب السائل بأكثر ممّا سأله، رقم 134.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3.

● [ح116] عنْ أبي هُريْرة ﷺ عنْ رسُولِ اللّهِ ﷺ قال: «تجِدُون النّاس معادِن خِيارُهُمْ فِي الْجاهِلِيّةِ خِيارُهُمْ فِي الْإِسْلامِ إِذا فقِهُوا، وتجِدُون خيْر النّاسِ فِي هذا الشّأْنِ أشدّهُمْ لهُ كراهِيةً، وتجِدُون شرّ النّاسِ ذا الْوجْهيْنِ الّذِي يأْتِي هؤُلاءِ بِوجْهٍ ويأْتِي هؤُلاءِ بِوجْهٍ».

انظر ص: 524.

- أخرجه البخاري في «كتاب المناقب»، باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: 13]، رقم 3494.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يتكلّم عن أن الصبغيات تتحكم بأطباع البشر، وهذا من علم الغيب، غير أنه من المناسب أكثر أن نذكره مع الحديث رقم 90 والحديث رقم 64، لأن استنباط تلك الظاهرة توجب مقابلته مع الأحاديث السالفة الذكر، وينطبق عليه حكم رقم 20.

● [ح117] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ ابْنَ عُمَرَ - وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ - أَوْهَمَ، إِنَّمَا كَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الأَنْصَارِ - وَهُمْ أَهْلُ وَثَنٍ- مَعَ هذا الْحَيِّ مِنْ يَهُودَ - وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ - وَكَانُوا يَرَوْنَ لَهُمْ فَضْلاً عَلَيْهِمْ فِي الْعِلْمِ، فَكَانُوا يَقْتَدُونَ بِكَثِيرٍ مِنْ فِعْلِهِمْ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ لا يَأْتُوا النِّسَاءَ إِلاَّ عَلَى حَرْفٍ، وَذَلِكَ أَسْتَرُ مَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ، فَكَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الأَنْصَارِ قَدْ أَخَذُوا بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ، وَكَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ يَشْرَحُونَ النِّسَاءَ شَرْحاً مُنْكَراً وَيَتَلَذَّذُونَ مِنْهُنَّ مُقْبِلاتٍ وَمُدْبِرَاتٍ وَمُسْتَلْقِيَاتٍ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ تَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنْهُمْ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، فَذَهَبَ يَصْنَعُ بِهَا ذَلِكَ فَأَنْكَرَتْهُ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ: إِنَّمَا كُنَّا نُؤْتَى عَلَى حَرْفٍ فَاصْنَعْ ذَلِكَ وَإِلاَّ فَاجْتَنِبْنِي، حَتَّى شَرِيَ أَمْرُهُمَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ، فَأَنْزَلَ الله ﷻ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: 223]، أَيْ: مُقْبِلاتٍ، وَمُدْبِرَاتٍ، وَمُسْتَلْقِيَاتٍ يَعْنِي بِذَلِكَ مَوْضِعَ الْوَلَدِ.

- **انظر ص: 43.**

- أخرجه أبو داود في كتاب النكاح، باب في جامع النكاح، من طريقه عن محمد ابن سلمة عن محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن مجاهد عن ابن عباس به، رقم **2164**.

وابن إسحاق يدلّس، وقد عنعن في هذا الإسناد، إلا أنه قد صرّح بالسماع عن أبان ابن صالح عند الحاكم في مستدركه: ج2/ ص 279، من طريق عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن محمد بن إسحاق سمع أبان بن صالح يحدّث. . .

وهذا ما نبّه إليه البيهقي حين خرّجه في سننه: ج7/ ص194.

وعبد الرحمن بن محمد المحاربي لا بأس به كما قال ابن حجر في «تقريب التهذيب»: ج1/ ص372.

وأبان بن صالح وثقه الأئمة كما في «التقريب»: ج1/ ص43.

وقد صحّحه الحاكم في مستدركه.

وقال الذهبي: على شرط مسلم.

وقال ابن كثير: تفرّد به أبو داود، ويشهد له بالصحة ما تقدّم من الأحاديث. . إلخ. (تفسير ابن كثير: ج1/ ص595، بتحقيق سامي السلامة - ط دار طيبة -).

وذكره ابن حجر في فتح الباري - ج8/ ص39 -، مع التزامه ألا يذكر في كتابه إلا ما صح عنده أو حسن.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم 3. وما نضيفه هو: أن هذا الحديث من الأهمية لأنه شاهد على جهل العرب قبل البعثة، وبالتالي يرتكز عليه الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وهو صحيح السند، فنستطيع الاستشهاد به.

● [ح118] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»

انظر ص: 709 (ح).

- أخرجه البخاري في كتاب «الشروط»، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط، رقم 2736.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث لا يتحدث عن ظاهرة علمية، ولا علاقة له بالإعجاز العلمي، وبالتالي ينطبق عليه الحكم رقم 7.

● [ح119] عن أبا هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ﷺ لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ كُلُّهُنَّ يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلاَّ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ»

انظر ص: 709 (ح).

- أخرجه البخاري في كتاب «الجهاد والسير»، باب من طلب الولد.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث لا يتحدث عن ظاهرة علمية، ولا علاقة له بالإعجاز العلمي، وبالتالي ينطبق عليه الحكم رقم 7.

● [ح120] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْضَاءٍ، وَلاَ يَكُفَّ شَعَرًا، وَلاَ ثَوْبًا: الْجَبْهَةِ، وَالْيَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَالرِّجْلَيْنِ.

انظر ص: 710 (ح).

- أخرجه البخاري في كتاب «الأذان»، باب السجود على سبعة أعظم، رقم 809.
صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث لا يتحدث عن ظاهرة علمية، ولا علاقة له بالإعجاز العلمي، وبالتالي ينطبق عليه الحكم رقم 7.

● [ح121] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْبَصْرِيُّ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِي الصَّهْبَاءِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَفَعَهُ قَالَ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا»

انظر ص: 710 (ح).

- أخرجه الترمذي في كتاب «الزهد عن رسول الله»، باب ما جاء في حفظ اللسان، رقم 2407.

صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث لا يتحدث عن ظاهرة علمية، ولا علاقة له بالإعجاز العلمي، وبالتالي ينطبق عليه الحكم رقم 7.

كلمة: لقد رأينا في هذا البحث أن الأحاديث الصحيحة لا يعتريها خطأ علمي، وأن الأحاديث الضعيفة قد يصيبها خطأ علمي، وقد لا يصيبها، أو قد يصيبها في بعض متنها دون بقية المتن. وهذا مما يثبت أن قول الرسول ﷺ - على القطع - صحيح، حيث إنه إذا ما توفر الصدق في رجال السند، وبعد عنهم الاختلاط، والوهم... إلخ، وتحققنا من أن طريق الإسناد خالٍ من أي نقص، أو عيب، زال الغبار، وظهر الحق على الدوام. كذلك، هذا يثبت أن الأسس التي وضعها العلماء في مجال «الحديث» عامة، وفي مجال «مصطلح الحديث» خاصة، سليمة، لأنه لو لم تكن كذلك، لظهر كثير من الباطل في متن ومعنى الأحاديث صحيحة السند. فلله الحمد والمنة أنه حفظ الدين كما جاء في الحديث: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ...» **[رواه ابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم 44]** وقيض له رجالاً ثقات يحافظون عليه كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: 32].

قرآنة مصطلحات المراحل الجنينية

الأسابيع	الأيام	المراحل	الطول (ملم) *	الوزن (جم)	المصطلح العلمي في اللغة الانكليزية	المصطلح العلمي في اللغة العربية	المصطلح الشرعي	الدلالات الشرعية للأحداث العلمية
2	-8 to -16				Menstrual phase, early development of ovarian follicle	فترة الحيض، تطور خبة البويضة الباكر	غيض الأرحام. نطفة صفراء رقيقة لم تكن شيئا مذكورا. في ماء مهين أصفر في مستودع	غيض الأرحام من دماء وغيره حفظ شيء صغير شكله شبيه بالقطرة، يكاد لا يذكر من حقارته، نخلق من زمان بعيد، قليل الكثافة، ضمن ماء قليل المقدار، قليل الكثافة أيضا، لونه أصفر. في مكان مناسب إلى حين أن يخرج
	-9 to 8				proliferative phase, early development of proliferative phase	فترة التكاثر المحتوى الرحمي، تطور خبة البويضة الباكر	ازدياد الأرحام، نطفة صفراء رقيقة لم تكن شيئاً مذكوراً، في ماء مهين أصفر في مستودع	ازدياد الأرحام بالدماء وغيره، حفظ شيء صغير شكله شبيه بالقطرة، يكاد لا يذكر من حقارته، نخلق من زمان بعيد، قليل الكثافة، ضمن ماء قليل المقدار، قليل الكثافة أيضاً، لونه أصفر، في مكان مناسب إلى حين أن يخرج
1	-7 to -1				completion of development of follicle, continuation of proliferative phase of menstrual cycle	تتمة طور حلبة البويضة، استمرار فترة التكاثر لما بعد فترة الحيض	ازدياد الأرحام. نطفة صفراء رقيقة لم تكن شيئا مذكورا، في ماء مهين أصفر في مستودع	ازدياد الأرحام بالدماء وغيره. حفظ شيء صغير شكله شبيه بالقطرة، يكاد لا يذكر من حقارته، نخلق من زمان بعيد، قليل الكثافة، ضمن ماء قليل المقدار، قليل الكثافة أيضا. لونه أصفر، في مكان مناسب إلى حين أن يخرج
	0				continuation of proliferative phase of menstrual cycle, ovulation	استمرار فترة التكاثر لما بعد فترة الحيض	ازدياد الأرحام، نطفة صفراء رقيقة لم تكن شيئا مذكوراً، في ماء مهين أصفر انسلت ودفقت من المستودع	ازدياد الأرحام بالدماء وغيره، حفظ شيء صغير شكله شبيه بالقطرة، يكاد لا يذكر من حقارته، نخلق من زمان بعيد، قليل الكثافة، ضمن ماء قليل المقدار، قليل الكثافة أيضا، لونه أصفر، خرج برفق مع قوة وسرعة، تسانده عوامل تسهيل
	1	1			Fertilization	التخصيب	نطفة أمشاج طارت عروقها	بويضة نشأت من نطفتين ذكرية وأنثوية، بها صفات اختلطت فيما بينها

1	2	2			Zygote divide	الويضة المخصبة تقسمت	الحة ونواتها تعلقت إلى أقسام كثيرة (بدن عليها نص جمع)	البويضة المخصبة انقسمت إلى جزايئ تساوبين. وقد رافق هذا الانقسام انقسام نواة البويضة
	3				Morula	التوتية		
	4	3			Early blastocyt	الخلية الجرثومية في مرحلتها الأولى		
	5				late Blastocyt	الخلية الجرثومية في مراحلها المتأخرة		
	6	4			Implantation begins	بداية مرحلة الغرس	وقوع الحة في قرار مكين	دخول البويضة المخصبة الرحم ووقوع على سطحه. الرحم الذي هو بمثابة مكا ثابت، قوي التركيب، يحتضن البويضة المخصبة، ويساعدها على النمو
	7	5			syncytiotrophoblast	أرومة غازية سنخدية	حرث الحبة في الرحم	غرس الحبة يرافقه انتشار جذور لها في بطانة الرحم
2	8		0.1		bilaminar disk. Amniotic cavity	ظهور قرص جنيني مؤلف من طبقتين من الخلايا، مع وجود تجويف المشيمة	جمع الجنين مع قبض الرحم بالجنين، واستقراره، مع ازدياد الرحم	انضمام خلايا الجنين بعضها على بعض بحيث تشكل شيئاً محدداً مع انغراس الجنين عميقاً في بطانة الرحم، وانتشار جذور منه في بطانة الرحم بشكل محكم بحيث يثبت به بقوة. والرحم ممتلئ بالدماء
	9				lacunae appear in syncytio trophoblast	ظهور جزر معلقة داخل الأرومة الغازية السخدية		
	10				closing plug primary yolk sac	تمتلئ الفجوة التي تحدثها البويضة بسدادة، ويظهر كيس المح الأولي		
	11				maternal blood in lacunar network	يصل دم الأم في البحيرات الدموية التي تحيط بالكتلة الداخلية للكرة الجرثومية		
	12				coelumn	ظهور فراغات في طبقة كيس المح الرخوة		
	13	6			primary villi	ظهور زغابة أولية		
	14				connecting stalk, prechordal plate	ظهور ساق موصلة، والصفيحة الظهرية البدائية		العلقة تقتضي أن تمتز بطانة الرحم بـ موصلة
3	15				primitive streak	ظهور الشريط الأولي		العجب. يعني أن العضو الذي يتعلق الجنين يقع في مؤخرته، وأنه صغير جد
	16	7			migration of mesenchymal cell	هجرة الخلايا الميزانكيمية		التركيب بدأ من خلال العجب يعني الخلايا تنطلق منه
	17				trilaminar germ disc, nothocordal processes	قرص جنيني من ثلاث طبقات، عمليات ظهرية		العلقة تقتضي أن تكون طويلة تماما ك نقصبه العمليات الظهرية التي من جراء يتطاول الجنين
	18	8			pear shaped, neural plate	اتخاذ الجنين شكل كمثري من جراء ظهور صفيحة عصبية		حجم رأس دودة العلقة كبير بالنسبة لباقي جسمها بحيث تأخذ شكلا كمثرياً تماما كما يقتضيه ظهور الصفيحة العصبية في مقدمة الجنين

		ظهور ميزاب عصبي	appearance of neural groove				19	
يوجد في وسط العلقة خط طولي كما في الجنين خط عصبي. كما أن الجنين يتميز بظهور فلقات صغيرة نسبياً مما يعطيه مظهر التلم كما تمتاز به العلقة		ميزاب عصبي واضح، ظهور 1 إلى 4 فلقات	neural groove + 1 to 4 number of somites		1,5 3,0	9	20	
		ظهور 4 إلى 7 فلقات. وضوح ثنية الرأس	4 to 7 somites. Head fold evident				21	
القلب مليء بالدماء مما يعطي الجنين لون أحمر كما يقتضيه معنى كلمة علقة شديد الحمرة. كما أن القلب في معظم فترة العلقة لا ينبض مما يعني أن الدم محبوس في الجنين مما يعطي الجنين طبيعة الدم الرطب الجامد كما تقتضيه معنى كلمة علقة	يبدأ التركيب من خلال صخب الدسب يظهر في جنين بسمى علقة، ينشق بصره وسمعه	يبدأ القلب بالنبض، تتحد الأطراف العصبية	heart begins to beat, neural folds fusing		2,0 3,5	10	22	
شق السمع والبصر		وجود لطلائع العين والأذين. ظهور الثقبة العصبية المقارية والذيلية	Primordia of eye and ear present, anterior and posterior neuropore				23	
		تميز بروز القلب، ظهور زوجين من الأقواس الحيشومية	heart bulge, appearance of two pairs of pharyngeal arches			11	24	
الأقواس الحيشومية تعطي للجنين مظهر الفلقات فيظهر الجنين كأنه مادة ممضوغة		يظهر فرص الأذن. ظهور ثلاثة أزواج من الأقواس الخيشومية. تبدأ الثقبة العصبية المقارية بالانغلاق	otic pit, appearance of three pairs of pharyngeal arches, rostral neuropore closing		2,5 4,5		25	4
مرحلة التخلق أي أن الأعضاء تتخلق في مرحلة المضغة		ظهور براعم الطرفين العلويين	appearance of upper limb buds			12	26	
		الأقواس البلعومية ظاهرة جيداً. تبدأ الثقبة الذيلية بالانغلاق	pharyngeal arches well developped, caudal neuropore closing		3,0 5,0		27	
ظهور ذيل صغير يوافق معنى الذنب الوارد في النصوص الشرعية. كما أن عمل سوى الذي ورد في النصوص الشرعية يعني أن الجنين مقوس على شكل حرف C. كما أن وصف الجنين بالمضغة أي بالمادة التي لاكتها الأسنان يعني أنها بغاية الطراوة، فهي منحنية من جراء ذلك		ظهور الطرفين السفليين، ظهور ذيل صغير، يكون الجنين على شكل حرف C	lower limb bud, attenuated tail present, C shape embryo			13	28	

		الحبل السري ظاهر	umbilical cord well visible				29	
		تطور الوجه: تبدأ فتحتا العدستين والأنف بالظهور مع قرصي العين	developing face: lens pits, optic cups, nasal pits forming		4,0 6,0		30	
		تظهر فتحة الفم	primitive mouth nasal pit				31	
الأعضاء مخلقة جزئيا وغير مكتملة كـ بسببه وصف "مخلقة وغير مخلقة"		الطرفان العلويان على شكل مجداف بينما يكون شكل الطرفين السفليين على شكل مجداف	padle shape upper limb, flipperlike lower limb		5,0 7,0	14	32	5
		صفيحة اليد موجودة	hand plate present			15	33	
		الأطراف السفلية على شكل مجداف، صفيحة الرجل موجودة	lower limbs are padle shaped, foot plate present				34	
		ظهور جيب عنقي	cervical sinuses visible		7,0 9,0		35	
شق البصر يعني أن العين تظهر من خلال عملية ظهور شقوق	تمثل المضغة المخلقة وغير المخلقة بأنها مرحلة الخلق، يشق السمع والبصر فيها	فتحتا الأنف والفم مفتوحة على بعضهما، تضخم الأذن	oral and nasal cavities confluent (ear swelling)				36	
		تضخم وسطي وجانبي للأنف	Median and lateral nasal swelling			16	37	
		رأس كبير، بداية ظهور إشعاعات أصابع اليدين والقدمين	large head, finger and foot rays present		8,0 11,0		38	
		ظهور الصبغ في الشبكية	pigment visible in retina				39	6
شق البصر يعني أن العين تظهر من خلال عملية ظهور شقوق		ظهور فتحة الأذن الخارجية	external accoustic meatus				40	
		إشعاعات الأصابع واضحة	digital rays well visible			17	41	
		نمو بروزي الأذن يحدد ملامح صيوان الأذن	auricular hillocks outline future auricle of external ear		11,0 14,0		42	
فعل "سوى" الذي ورد في النصوص الشرعية يعني أن الجسم يستقيم بعد ا كان مقوسا، كما أن ذلك يدل على حـ العظام		بدء استقامة الجذع	trunk beginning to straighten				43	

بدء عملية التصوير للعيون كما أخبر عنه الحديث الشريف		ظهور الجفون	eyelids beginning		13,0 17,0	18	44	7
لعل هذا الذي جاء في النصوص الشرعية يعني أن أعضائه غير متناسقة الحجم، ومنها الرأس		الرأس كبير ولكن الحنك صغير. منخفضات بين الإشعاعات تحدد الأصابع	head large, but chin poorly formed, grooves between digital rays indicate fingers				45	
		الحلمتان ظاهرتان	nipples visible				46	
		ظهور الحدبة التناسلية، والغشاء البولي التناسلي وغشاء الشرج. تطاول الصلب، وبداية استقامته	genital tubercle, and urogenital membrane and anal membrane present, trunk elongating and straightening		16,0 18,0		47	
		الأصابع واضحة ولكن ملتحمة	fingers distinct but fused			19	48	
		الطرفان العلويان أطول ومنثنيان عند المرفق	upper limbs longer and bent at elbows, fingers distinct but webbed		18,0 22,0		49	
ظهور العظام والجهاز التناسلي، والجفون يدل على خلق اللحم	تسوية الجنين عبر عملية "خلق تصويري" خلق العظام واللحم	ظهور انثناءات بين إشعاعات أصابع القدمين	notches between the digitals rays in the feet				50	8
		ظهور شبكة وعائية للشعر	scalp vascular plexus appears				51	
		مقدمة رأس كبيرة. تتقارب اليدان والرجلان، أصابع اليدين متحررة وأطول	large forhead, hands and feet approach each other, fingers are free and longer		22,0 24,0	21	52	
		لم يظهر على الجهاز التناسلي علامات تناسلية ولكن بدأ تميزهما كأعضاء جنسية	external genitalia still in sexless shape but have begun to differentiate				53	
		أصابع القدمين متحررة وأطول	toes free and longer		23,0 28,0	22	54	
		الجفون والأذنان الخارجيتان أكثر تطوراً	eyelids and external ear more developed				55	
لعل "سوّى" يعني: أن الله تعالى سوى الجنين على صورته الإنسانية كما تقتضيه الحكمة الإلهية. والجنين في نهاية هذه الفترة صار لحماً كما تشير إليه كلمة "مضغة" ووزن كلمة "مضغة"		الرأس أكثر استدارة وتظهر ملامح إنسانية	head more rounded and show human characteristics		27,0 31,0	23	56	

بداية فترة الحميل، الجنين قبل أن يكون قادرا على العيش			Beginning of fetal period, previable fetuses					
التعديل هو عملية تقويم، لذا يستدير الرأس، وتنتقل الأمعاء، وتظهر أصابع اليدين		العينان مغلقتان أو مغلقتان في الانغلاق. يصبح الرأس أكثر استدارة، ولا يمكن تمييز الأعضاء التناسلية الخارجية من ذكر أو أنثى، وتكون الأمعاء في الحبل السري	eyelids closing, or closed, head large and more rounded, external genitalia still not distinguishable as male or female. Intestines in proximal part of umbilical cord. Ears low set	8	50			9
		الأمعاء في البطن، بخلق أظافر أصابع اليدين الباكر	intestines in the abdomen. Early fingernail development	14	61			10
وكما يعلمنا القرآن الكريم والحديث الشريف يظهر الجنين ذكرا أم أنثى، التعديل هو التناسب بين مقاييس مختلف الأعضاء، ومنها تطويل الرقبة		يمكن تمييز جنس الجنين من الخارج ويكون الرقبة واضحة محددة.	sex distinguishable, externally well defined neck	45	87			12
التعديل هو إجراء عملية تقويم كبروز الأذنين، والتناسق بين طول مختلف الأعضاء لذا يتطور الطرفين السفليين	مرحلة التعديل، مرحلة الأذكار أو الإناث، مرحلة النشأة، خلق الجلد، إعطاء الجنين صورته الشخصية، انتهاء مدة أربعة أشهر وعشرا، النصوص الشرعية تشير إلى ستة أشهر ضرورية لكي يعيش الجنين الذي ولد قبل الفترة المحددة	انتصاب الرأس، الأذنان قريبتان من موقعهما النهائيين، تطور الطرفين السفليين بصورة جيدة، ظهور مبدئي للأظافر	head erect. Ears are closed to their definitive position, lower limbs well developped, early toenail development	110	120			14
		بروز الأذنين الخارجيتين من الرأس	external ears stand out from the head	200	140			16
من خصائص التعديل ظهور الزغب، تشعر الأم بحركات الجنين بعد أربعة أشهر وعشر		وجود الطلاء الدهني، شعور الأم بحياة الجنين	vernix caseosa covers skin. Quickening (signs of life) felt by mother.	320	160			18
		ظهور شعر الرأس والجسم (الزغب)	head and body hear (lunugo visible).	460	190			20
حياة الجنين غير مستقرة إن خرج من رحم أمه، واستقرار الحياة يكون بعد 24 أسبوعا كما تشير إليه النصوص الشرعية والمعطيات العلمية		الجنين عندما يكون قابلا للحياة خارج الرحم	viable fetuses					
كما ورد في الحديث الشريف بخلق الجلد		تجعد الجلد، واحمراره	skin wrinkled, translucent, and pink to red.	630	210			22
		وجود أظافر أصابع اليدين، ويكون الجسم نحيلا	Fingersnails present, lean body	820	230			24

		العينان مفتوحتان جزئيا مع وجود الرموش	eyes partially open. Eyelashes present	1100	250			26
		العينان مفتوحتان، مع وجود شعر الرأس غالبا، وتجعد الجلد قليلاً	Eyes wide open. Good head of hair often present. Skin slightly wrinkled	1300	270			28
من مجمل التعديل: تجري عدة عمليات تقويمية كما هو مذكور أضف إلى ذلك الإذكار أو الإيناث. تخلق الجلد		ظهور أظافر أصابع القدمين. وامتلاء الجسم، ونزول الخصيتين	toenails present. Body filling out. Teste descending	1700	280			30
		تصل أظافر أصابع اليد الأنامل، ويكون الجلد ناعم وردي اللون	Fingernails reach finger tips. Skin pink and smooth	2100	300			32
		يكون الجسم ممتلئاً عادة، مع اختفاء الزغب اختفاء تاما تقريبا، ونمو أظفر أصابع القدمين وانثناء الأطراف، مع قبضة قوية	Body usually plump. Lanugo hairs almost absent. Toenails reach toe tips. Flexed limbs. Firm grasp	2900	340			36
من مجمل التعديل نجري عدة عمليات تقويمية كما هو مذكور أضف إلى ذلك الإذكار أو الإيناث أضف إلى ذلك أن الجنين ينمو كثيراً في هذه الفترة مقدار 4000 ضعف. ويزداد طول الجنين إلى أكثر من سبعة أضعاف ليحقق معاني كلمة انشاء نما وارتفع		بروز الصدر والثديين والخصيتين في الصفن أو يمكن جسهما في القناة الإربية. ونمو أظفر أصابع اليدين متجاوزة الأنامل	Prominent chest; breast protrude. Testes in scrotum or papable in inguinal canals. Fingernails extend beyond finger tips.	3400	360			38

الوحدة القياسية للطول المستعملة هي: (GREATEST LENTGH GL) إلى اليوم الثالث والعشرين، ومن ثم الوحدة القياس المستعملة هي: (CROWN - RUMP:CR).

للمراجعة كتاب الإنسان النامي، مور وبرسو، ص 91 و109 و544 - 546، وكتاب علم الأجنة الطبي، سادلر، (بداية الكتاب)



ملحق

تقوية الحديث الضعيف جدا الى درجة الاستئناس

في هذا الملحق نريد أن نعالج موضوعاً فريداً من نوعه، قلّما تعرّض له علماء مصطلح الحديث، وهو موضوع حساس جداً قد يعترض عليه بعض العلماء في هذا العصر لأنه قد يتصادم مع بعض مفاهيمهم الراسخة في وجدانهم: وهو موضوع تقوية الحديث ذي السند الضعيف جداً - والذي يحمل في طيّاته إعجازاً علمياً نوعياً - إلى درجة الاستئناس به - كحد أدنى -.

ومرد هذا الاعتراض في نظرنا يعود للجمود الفكري الذي يرجح في عصرنا هذا، والمخافة من التجديد، لأن هذا الأخير يحمل في طياته: الخروج عن المألوف، الذي يعد العدو النفسي للإنسان لما يحمل من أمور قد تختلف عن المعتقدات القديمة، ولما يفتح من مجالات ضخمة تحمل في طياتها أعباء ضخمة من أمور يعتقد الجامدون فيها أنهم بغنى عنها. كذلك قد يعود هذا الاعتراض لاعتقاد العلماء التقليديين أنه من الواجب أن يدافعوا عن مفاهيمهم حول العلوم التي يرون أنها قد وقفت فوق حد التمام، وأصبحت لا مجال للتجديد فيها، أو الإضافة عليها.

ولكن نقول: إننا لسنا بدعاة لتغيير أي علم من العلوم التي فتقها السلف، ولكن ما نريده هو أن ننهض بالتفكير إلى درجة التجديد الفقهي بما يتناسب مع مستلزمات علم جديد قد ظهرت ملامحه واضحة في هذا العصر، بعد أن كانت في عالم الركود إلى أن يأذن الله تعالى بكشف اللثام عن هذا العلم في الوقت المناسب. بل إن عملنا هذا هو - بعكس ما قد يعتقده العلماء المعارضون - هو للحفاظ على التراث النبوي، وألا يضيع منه شيء صحيح، حتى ولو حمله بعض الضعفاء، ما دام يدل على حقائق علمية دقيقة ظهرت مؤخراً، لأن ذلك مما يساهم في تقرير النبوة، ويدل على صدق صاحبها ﷺ، ولأننا محتاجون إلى مثل هذه الدلائل في هذا العصر الحاضر لإقناع الآخرين بمدى شمولية الإسلام للعلم والمعرفة. بل نرى أنه من التفريط أن ننسى تلك الأحاديث ونهجرها لمجرد أنها رويت على ألسنة الضعفاء. فكما أن التحدث بحديث يرى أنه كذب جريمة، فإنه من التفريط أن نهجر أحاديث فيها من الإعجاز العلمي الهائل، حيث إننا سوف نسأل أيضاً يوم القيامة عن ماذا صنعنا بأحاديث تبيّن لنا أنها تساهم في رفع شأن هذا الدين العظيم.

ونقول أيضاً: إنه تبيّن لنا في هذا البحث أن القوانين التي سنها علماء الحديث هي على درجة عالية من المحافظة، وهذا أمر حميد لأنه يحتاط لدينا من الأحاديث المغلوطة التي فيها من الأخطاء أو الأكاذيب التي - إن اعتمدناها - قد تدخل على أسس هذا الدين المتين الوهن، ولكن قد يكون من الحكمة أن نخفّف بعض الشيء بعض قيود هذه القواعد في حال تبيّن لنا الحاجة لهذا التصرف، وذلك لأن هنالك مبررات شرعية لهذا، فرسول الله ﷺ قد أعلمنا أن الكاذب قد يصدق في بعض الأحيان، أو قد يخلط بين الكلام الصحيح والكلام الكاذب في الحديثين التاليين: قال رسول الله ﷺ: «صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان» [أخرجه البخاري ح4]، وقال ﷺ: «إن الملائكة تنزل في العنان - و هو السحاب فتذكر الأمر قُضي في السماء، فتسترق الشياطينُ السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكُهان، فيكذبون منها مائة كذبة من عند أنفسهم» [أخرجه البخاري ح3]، وهذان الحديثان - وإن كانا تحذيراً للأمة بأن نحتاط من الكذابين - (وهذا ما التزم به جيداً علماء الحديث) فهما أيضاً بمثابة تلميح من خير الأنام ﷺ أنه لا يجب أن نقفل الباب مع هؤلاء الذين فقدوا مصداقيتهم في بعض الأحيان، وأن ننبذ كل أحاديثهم التي رووها، وننساها إلى الأبد، فتضعيف الراوي لا يعني أنه يجب علينا أن نحكم على كل أحاديثه بالضعف، فقد يستوعب الحديث الذي سمعه من راوٍ آخر ولا يستوعب حديثاً ثانياً، وقد يكذب في أحيان (أو يخلط بين الكلام الصحيح والكلام الكذب) لدافع الرياء أو لدنيا يصيبها... إلخ كأن يظهر أنه حافظ لجميع التراث النبوي، ومن ثَمّ يعود لصوابه في أحيان أخرى، وقد يكون ضعيف النفس فيكذب ليظهر صادقاً، ظنّاً منه أن هذا العمل سيجعل له مخرجاً من موقف حرج، كأن يكون نسي لفظ حديث نبوي أو معناه ولكن لا يريد أن يظهر أمام المجتمع أنه نسيه، ومن ثَمّ تنتفي أسباب الإحراج فيعود لصدقه، بل حتى ولو كان كثير الكذب فقد يدفعه الخوف من العقاب لأن يصدق، أو حرصاً ألا تذهب مصداقيته في المجتمع الإسلامي (كما ظهر لنا جليًا في الحديث رقم 4 السالف ذكره)... إلى ما هنالك من أسباب. فكذبه لا يعني بالضرورة أنه ذو مكر شديد يريد أن يخلط مفاهيم هذا الدين ليظهره بصورة متدنية، فيكذب بلا استثناء، ومع ذلك فنحن لا نبحث عن إمكانية إرجاع مصداقية هذا الصنف من الرجال، بل نتحرى عن المواطن التي صدقوا فيها مع الاعتقاد الراسخ أنهم فاقدون لهذه المزية. ومن هذا المنطلق فلا يجب أن نعزل تماماً روايات الضعفاء، وخصوصاً إذا كان هنالك وسيلة إيضاحية تبيّن كذبهم من عدمه، والآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: 6] تلقي الضوء على هذا

الأمر، وتعلمنا - بل تأمرنا - أن نتبين - أي أن نتحرى - صدق الكلام من عدمه عند فاقدي المصداقية، بل تشير إلينا بعبارة النص، أي بطريقة مباشرة أن نتحرى عن مدى صدق الخبر الذي يتفوّه به فاسق - لا أن نعزل أقواله كلّها (كما فعله علماؤنا الكرام) - فلو كان الكلام ضرباً من الكهانة لوجب علينا أن نعزل أقواله كلّها لفقدان الوسيلة الإيضاحية، ولكن لو توفّرت لنا الوسيلة المبيّنة لكنا خالفنا الأمر الإلهي المتمثّل بتعاليم الآية السالفة الذكر.

ومن الجدير بالذكر أن الآية تأمرنا أن نتحرى عن الفاسق - فاقد المصداقية - لا عن الصادق، مما يعني أنه قد يكون كلامه صحيحاً. فلا معنى من التحري إذا كان مآل الخبر الكذب المحض وليس فيه احتمال الصحة.

كذلك الآية القرآنية: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: 83] فهي تشير إلى أن نعيد الخبر المشكوك إلى أهل الاختصاص لكي يتحروا عنه، ويستنبطوا هل هو صحيح أو لا، أو يتحروا ما هو صحيح منه مما هو خطأ من خلال الاستنباط المرتكز على العلم، أي من خلال الاستخراج المرتكز على علمهم الذي حصّلوه لذلك قال الله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ﴾. جاء في تفسير القرطبي للآية السالفة الذكر: «أي يستخرجونه، أي ليعلموا ما ينبغي أن يفشى منه، وما ينبغي أن يكتم»، وبالتالي فهذه وصية ربانية أخرى - تضاف إلى الوصية الأولى التي ذكرناها آنفاً - تدفعنا إلى وضع الأحاديث الضعيفة جداً تحت مجهر العلم الكوني الثابت.

وهذا يعد بنظرنا تفريطاً في هذا الباب إن لم نلتزم به. لذا علينا أن نعمد إلى أمرين:

1 - أن نعيد النظر في دراسة الأحاديث الضعيفة جداً كلّها التي تتكلم عن الظواهر العلمية، فنعزل الأحاديث ذات المتن الخاطئ، ونأخذ بالأحاديث ذات المتن الصحيح (التي تحمل في طياتها إعجازاً علمياً يتعذر الوصول إليه).

2 - أن نضع تلك الأحاديث تحت المجهر العلمي الثابت، فنعزل طرف الحديث الخاطئ من طرف الحديث الصحيح، لأن الكاذب يخلط في حديثه الخطأ بالصواب.

وعلينا بعد ذلك أن نجمع تلك الأحاديث في مراجع معتمدة من مجمع فقهي، تشير إلى أن هذه الأحاديث يستأنس بها.

ونعني بالاستئناس - على وجه التحديد - في هذا المقام المعيَّن: أن الرواي لتلك الأحاديث قد يكون صدق، وبالتالي قد يكون تفوّه بها رسول الله ﷺ (وقد لا يكون)، أي - بمعنى آخر -: أن لا نجزم بثبوتها لرسول الله ﷺ كما أن لا ننفي قطعياً احتمال أن يكون قد تفوّه بها، وذلك لأننا تحرينا عن مصداقية متنها - التزاماً بآية سورة الحجرات السابقة - وذلك لوجود وسيلة إضافية مكنتنا من ذلك، فترتفع مصداقية سند هذا الحديث خاصة - دون غيره - لدرجة الضعف الخفيف، لأنه تبيّن أن راوي الحديث قد يكون صدق في هذا الكلام على وجه الخصوص.

بيد أننا لن نتكلم عن تلك الأحاديث الضعيفة بغير ضوابط شرعية حتى لا نفرّط بمقام هذا الدين. ومن الضوابط - كما ذكرناه سابقاً في مبحث «**تعريف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**» -:

1 - أن تندرج تحت أصل عام شرعي وعلمي معمول به، أي أن لا تعارض نصاً قرآنياً، أو حديثاً ثبتت صحته، أو عندنا شرعياً مسلّماً به عند جمهور الفقهاء.

2 - أن تكون دلالة الحديث قطعية، بحيث لا نستطيع أن نؤوّله، أو ظنية بحيث إنها تحمل دلالتين: إحداهما قريبة المنال، والأخرى بعيدة (بمعنى أنها تستلزم الإحاطة بعلم معين وعمق في النظر لإدراكها، لا أنها بعيدة المنال من حيث إننا لا نستطيع أن ندركها إلا بواسطة تأويل مفرط) وذلك لكي تستوعب جميع فئات المجتمع في كل زمان فهم الحديث المعتبر بما يتناسب مع قدراتها، أو ما يقاس على ذلك من أمور، مصداقاً لقوله ﷺ: «بعثت بجوامع الكلم» [**أخرجه البخاري ح13**]، وهكذا فعلى دلالة الحديث البعيدة أن لا تنفي إعجازاً علمياً باهراً، وأن تستوعبه استيعاباً كاملاً - لا لبس فيه -.

3 - أن يراعى فيها الضوابط اللغوية والفقهية وما هنالك من شروط ذكرناها في مبحث «**تعريف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**».

4 - أن لا يجزم بثبوت سند الحديث لرسول الله ﷺ (ولا أن ينكر على من يستأنس به)، مع التنبيه أن فيه فاقداً للمصداقية، غير أن المعطيات العلمية رفعت من شأنه.

5 - أن يقتصر الموضوع على الإعجاز العلمي، أو على التجربة والحس والمشاهدة التي لا مجال أن ندفعها أو أن نكذبها، فتؤيده وترفع من شأنه، لا على المواضيع الأخرى التي ليس لها علاقة بموضوع الغيب، كالعقود والمعاملات... إلخ.

6 - أن تحمل في طيّاتها إعجازاً علمياً نادراً جداً لا يمكن لبعيد الحدس أن يظفر به.

بيد أن العلماء السابقين - كما تكشّف لنا في هذا المبحث، بعد تنقيب شديد في كتب الحديث ومصطلحاته - لم يعترضوا على هذا الأمر، وإن لم يبوّبوا له باباً، وقد كشفت عباراتهم أنهم يؤيدون هذا الاتجاه في حالات استثنائية تتماشى مع متطلبات العلم ذات الوجه المشرق، والخلفية الرصينة؛ ألا وهو موضوع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، بل وحتى ذهب بعضهم إلى درجة تصحيح سند بعض هذه الأحاديث، ونحن - بهذه الحالة - نكون قد سلكنا مذهباً وسطاً بين الإقصاء التام للأحاديث الضعيفة جداً وبين التصحيح القوي - المسلم به -.

وبناء على طلبنا قام - العالم الفاضل - الشيخ أبو حزم عبد الرحمن بن محمد الحكمي الغيفي ببحث رائع تطرّق فيه إلى أقوال العلماء في هذا المضمار، وأثمرت جهوده عن نتائج باهرة قد تقلب رأساً على عقب بعض المفاهيم السائدة في عصرنا هذا، وأرسله لي، وهذا نص رسالته:

«بحث المحدثون قديماً وحديثاً تقوية الحديث الضعيف بالطرق، والمتابعات والشواهد والاعتبارات، ثم بموافقة الحديث للقياس أو قبل ذلك شهادة الكتاب والإجماع على صحته، إلى غير ذلك مما بحثوه في كتبهم في مصطلح الحديث تطويلاً واختصاراً، إلا أني وجدت أنهم لم يبحثوا تقوية الحديث بالتجربة التي يندرج تحتها:

- وقوعه كحادثة تاريخية.
- وقوعه كذكر أو دعاء وتحقق ذلك منه.
- وقوعه دلالة على اكتشاف علمي، أو إعجاز غيبي.

كل هذه الأمور تندرج تحت تقوية الحديث بالتجربة التي هي اختبار الشيء وإحكامه ومعرفة الأمور وما فيها، كما تدل عليه عبارة اللسان (3/110)، والقاموس (85)، وهذا المعنى هو الذي يريده أهل الطب قديماً كابن البيطار، وابن سينا، والأنطاكي، حيث يصفون خلطة ما فيقولون: دواء مجرب، وكذلك هو المعنى الذي يعنيه أصحاب العلم التجريبي اليوم حين يكثفون التجارب على شيء ما، وبعد طول الامتحان، وكثرة الاختبارات وتنوع التقليبات البحثية له يجزمون أنه حقيقة علمية، نجمت عن تجربة، وهذا تماماً ما نعنيه هنا. فوقوع الحديث الدال على أمر غيبي تاريخي أو علمي أو روحاني (من دعاء ونحوه) وتحققه مع التجربة الصريحة والبحث المجرد، لا شك أنه أمر يلفت إلى الانتباه، والتروي في عدم رد الحديث.

والأصل في هذا حديث أبي حميد وأبي أسيد الساعديين ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب، فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم، وتنفر أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم بعيد، فأنا أبعدكم منه».

رواه أحمد في مسنده (3/ 497)، ورواه أيضاً ابن حبان في صحيحه رقم (63)، (1/ 140)، وصححه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (1/ 377): (رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح). وذكر الزركشي في «النكت على مقدمة ابن الصلاح» (2/ 263) أن عبد الحق الإشبيلي صححه في «الأحكام» وكذلك القرطبي في «المفهم» شرح صحيح مسلم.

والذي أراه أن هذه الرواية للحديث هي أصح رواياته دون غيرها، وأن معنى الحديث يتنزل على تلك الأحاديث التي لم يحملها إلا الضعفاء مع صحتها في نفسها، ومخالفتها لجملة ما يروونه، لموافقتها للشريعة، وللحقائق العلمية، وكذلك ما يروونه من قليل وافقوا فيه من سواهم من رواة الحديث الصحيح، مما هو موافق تماماً للشريعة. لأن الراوي الضعيف لا يكون غير ضابط لكل رواياته، وإنما ضعف بالأغلب، لأن الحكم على الغالب. وهكذا كانت أحكام أهل التجريح والتعديل، فإنهم إن ضعفوا رجلاً لا يقصدون أن كل أحاديثه لم يضبطها، وإنما قصدوا الأغلب منها فطرحوه، وأما ما عنده من قليل صحيح فاستغنوا برواية غيره له من الثقات، ولذلك اعتبروا الضعفاء في المتابعات والشواهد وغيرها.

ومما تقدم موجزاً يظهر لنا أن الحديث السابق قوى العمل بالتجربة في تصحيح أو قبول بعض الأحاديث. وقد رأيت في هذه العجالة أن أسوق بعضاً من أقوال أئمة هذا الشأن في ذلك، أو المشتغلين به من المعاصرين.

● الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت 405) الإمام المحدث المشهور، صاحب المستدرك على الصحيحين.

فقد أخرج عن عبد الله بن مسعود ﵁ عن النبي ﷺ قال: «اثنتا عشرة ركعة تصليهن من ليل أو نهار، وتتشهد بين كل ركعتين، فإذا تشهدت في آخر صلاتك فأثن على الله - عز وجلّ - وصلّ على النبي ﷺ ثم اسجد واقرأ وأنت ساجد فاتحة الكتاب سبع مرات، وقل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، عشر مرات ثم قل: اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، واسمك الأعظم، وجدك الأعلى، وكلماتك

التامة، ثم سل حاجتك ثم ارفع رأسك، ثم سلم يميناً وشمالاً، ولا تعلموها السفهاء فإنهم يدعون بها فيستجابون».

قال الحاكم: قال حميد بن حرب: قد جربته فوجدته حقاً، وقال إبراهيم بن علي الدبيلي: قد جربته فوجدته حقاً، وقال الحاكم: قال لنا أبو زكريا: قد جربته فوجدته حقاً، قال الحاكم: وقد جربته فوجدته حقاً.

وهذا النسق من الرجال هم سند الحاكم في الحديث، وبالتالي فهو حديث مسلسل بالتجربة، والحاكم وحميد بن حرب، وإبراهيم بن علي الدبيلي، وأبو زكريا، وعدتهم أربعة من أئمة الحديث اعتمدوا التجربة في تقوية الحديث حتى وجدوه حقاً.

وقد أورد الحافظ الكبير، إمام أهل الحديث في زمانه، شيخ الإسلام أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت 656) هذا الحديث في كتابه «الترغيب والترهيب» (1/ 477 - 478) ثم قال: (أما عامر ابن خداش - راوي الحديث المتفرد به - هذا هو النيسابوري. قال شيخنا الحافظ أبو الحسن: كان صاحب مناكير، وقد تفرد به عن عمر ابن هارون البلخي، وهو متروك متهم/أثنى عليه ابن مهدي وحده فيما أعلم. والاعتماد في مثل هذا على التجربة لاعلى الإسناد، والله أعلم).

شيخ الإمام المنذري هذا هو أبو الحسن علي بن المفضل بن علي الإسكندري المالكي (544 -611) والمنذري، ولد سنة 581، فيكون عمره حين وفاة شيخه ثلاثين عاماً، على أنه بلديّه، فهما مصريان.

فإن كان الكلام الأخير في «الترغيب والترهيب» - وهو قوله: (والاعتماد في مثل هذا على التجربة لا على الإسناد) - من كلام الإمام أبي الحسن علي بن المفضل فيضاف إلى المنذري أيضاً، وإلا فهو للمنذري موافقاً ومقرراً، أو محرراً ومبتدئاً بالحكم، وعلى كل فقد ظهر من خلال هذا أن المنذري - وهو أعلم أهل زمانه بالحديث وأحفظهم له كما ذكره الذهبي - [انظر «طبقات الشافعية الكبرى» (8/ 260)] يقبل حديثاً بالتجربة ويعتمد عليها في العمل به، مع أن إسناده ضعيف كما صرح به هو.

وقد علق السيد العلامة المحدث محمد بن علوي المالكي الحسني المكي في كتابه «أبواب الفرج» (299) قائلاً: (والحديث وإن كان ضعيفاً لكنه مقبول مجرب معمول به) فهذا الإمام خامس المحدثين الأربعة السابقين. وقد قوى الحديث الضعيف بالتجربة بالإضافة إلى الإمام المنذري.

وقد ورد النهي عن القراءة في الركوع والسجود كما هو مشهور في الحديث، في صحيح مسلم وغيره، إلا أن القراءة في هذا السجود خاصة جائزة، لأنه ليس السجود الذي هو من صلب الصلاة، وإنما هو سجود زائد بعد التشهد كما هو ظاهر في الحديث، وهذا ما قرره السيد العلامة المالكي في كتابه السابق.

● من الأحاديث التي رويت بالتجربة الحديث المسلسل بإجابة الدعاء في الملتزم، والملتزم هو: ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة. وقد رواه السيوطي قائلاً: أخبرتني أم هانئ بنت أبي الحسن سماعاً عليها قالت: أخبرنا عبد الله بن محمد النشاوري، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد الطبري، قال: أخبرنا أبو القاسم بن مكي، قال: أخبرنا أبو طاهر السلفي، قال: سمعت أبا الفتح الغزنوي يقول: سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن نصر اللبان يقول: سمعت أبا القاسم حمزة بن يوسف السهمي يقول: سمعت أبا القاسم عبيد الله بن محمد بن خلف البزاز يقول: سمعت عبد الله بن الزبير الحميدي يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: سمعت عمرو بن دينار يقول: سمعت ابن عباس يقول: سمعت النبي ﷺ يقول:

(الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء، وما دعا عبدٌ الله - تعالى - في دعوة إلا استجابها).

قال ابن عباس: فوالله ما دعوت الله فيه قط إلا أجابني.

قال عمرو: وأنا ما دعوت الله فيه إلا استجاب لي.

قال سفيان: وأنا ما دعوت الله فيه إلا استجاب لي.

قال الحميدي: وأنا ما دعوت الله فيه إلا استجاب لي.

قال محمد بن إدريس: وأنا ما دعوت الله فيه إلا استجاب لي.

قال محمد بن الحسن: وأنا ما دعوت الله فيه إلا استجاب لي.

قال عبيد الله بن محمد: وأنا دعوت الله فيه مراراً فاستجاب لي.

قال حمزة: وأنا دعوت الله فيه فاستجاب لي.

قال الحسن اللبان: وأنا دعوت الله فيه فاستجاب لي.

قال الغزنوي: وأنا دعوت الله فيه فاستجاب لي.

قال السلفي: وأنا دعوت الله فيه فاستجاب لي.

قال ابن مكي: وأنا دعوت الله فيه فاستجاب لي.

قال الطبري: وأنا دعوت الله فيه فاستجاب لي.

قال النشاوري: وأنا دعوت الله فيه فاستجاب لي.

قالت أم هانئ: وأنا دعوت الله فيه فاستجاب لي.

قلت - أي السيوطي -: وأنا دعوت الله بأمور دنيوية وأخروية فاستجاب لي الأولى، وأرجو أن تكون الأخرى قد استجيبت ["جياد المسلسلات" (196 -199)].
قال العلامة المحدث محمد بن أحمد الفاسي ثم المكي (ت 832): (روينا عنه - أي الملتزم - حديثاً مرفوعاً مسلسلاً في استجابة الدعاء فيه، وجرب ذلك من زمنه إلى عصرنا). ["العقد الثمين" (1/ 242)].

فهؤلاء الأئمة من لدن سفيان بن عيينة إلى السيوطي مروراً بالفاسي اعتمدوا التجربة في قبول الحديث. قال الشيخ العلامة صديقنا مجد مكي محقق "جياد المسلسلات" (201) بعد نقل كلام للشوكاني في ذلك: (وهذا تعليل جيد، يضاف إليه صدق التجربة). فالشيخ العلامة المحدث مجد مكي اعتمد أيضاً صدق التجربة في تقوية الحديث.

قال الحافظ شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري (ت 833)، المقرئ المشهور، صاحب الطيبة وغيرها: أخبرنا شيخنا الإمام المحدث جمال الدين محمد ابن يوسف بن محمد بن مسعود السرمدي مشافهة، أنبأنا شيخنا الإمام أبو الثناء محمود بن محمد بن محمود المقرئ، أنبأنا أبو أحمد عبد الصمد بن أبي الجيش، أنبأنا أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن بن علي، أنبأنا والدي، أنبأنا محمد بن ناصر الحافظ، أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن خلف، أنبأنا عبد الرحمن السلمي، أنبأنا عبد الله بن موسى السلامي، أنبأنا الفضل بن عياش الكوفي، أنبأنا الحسين بن هارون الضبي، حدثنا عمر بن حفص بن غياث، عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب، قال: رآني رسول الله ﷺ حزيناً فقال: يابن أبي طالب أراك حزيناً؟ فقلت: هو كذلك. قال: فمر بعض أهلك يؤذن في أذنك، فإنه دواء للهم. قال: ففعلت فزال عني. قال الحسين: فجربته فوجدته كذلك. قال حفص بن غياث: جربته فوجدته كذلك. قال عمر بن حفص: جربته فوجدته كذلك. قال الحسين بن هارون: جربته فوجدته كذلك. قال الفضل: جربته فوجدته كذلك. قال عبد الله بن موسى: جربته فوجدته كذلك. قال عبد الرحمن: جربته فوجدته كذلك. قال أبو بكر: جربته فوجدته كذلك.

قال ابن الجزري: لم أسمع ابن ناصر يقول فيه شيئاً، بل جربته فوجدته كذلك. قال أبو محمد يوسف: جربته فوجدته كذلك. قال عبد الصمد: جربته فوجدته كذلك. قال أبو الثناء: جربته فوجدته كذلك. قال ابن الجزري: ولم أسمع شيخنا السرمدي يقول شيئاً، ولكن جربته فوجدته كذلك. قلت (أي: السيوطي): وسمعت هذا الحديث من الحافظ تقي الدين محمد بن فهد (ت 871) بسماعه من الجزري حسب التسلسل، ولم أر في رجاله من تكلم فيه بقدح. انظر ["كنز العمال" رقم (5001)]. وهؤلاء الأئمة في هذا النسق من لدن حفص بن غياث إلى ابن فهد اعتمدوا التجربة كما تقدم من سياقة الحديث.

● وفي خبر مقطوع عن يونس بن عبيد: ليس رجل يكون على دابة صعبة، فيقول في أذنها: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: 83] إلا وقفت بإذن الله. رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة، من حديث المنهال بن عيسى، وهو مجهول. ومع هذا فقد قال ابن القيم الجوزية (ت 751) عن هذا الدعاء: (قال شيخنا ابن تيمية قدس الله روحه (ت728): وقد فعلنا ذلك فكان كذلك) ["الوابل الصيب" (ص 168)].

وإن لم يصرحا بالتقوية للحديث إلا أن فعلهما له أو فعل ابن تيمية له ثم وقوع الحديث وفق ذلك يدل على قبوله عندهما، لما علم من شدة تمسكهما بالسنة وبالآثار، ومن هنا ينضمان إلى من ذكرنا سابقاً بتقوية الحديث بالتجربة.

● حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "تكون مدينة بين الفرات ودجلة، يكون فيها ملك بني العباس وهي الزوراء، تكون فيها حرب مقطعة يسبى فيها النساء، ويذبح فيها الرجال، كما يذبح الغنم".

رواه الخطيب البغدادي أحمد بن علي (ت 463) في "تاريخ بغداد" (1/ 39).

وذكره الإمام السيوطي (ت 911) في كتابه "جامع الأحاديث الكبير" (4/ 109 - 110) ثم قال: (الخطيب عن علي، وقال: إسناده شديد الضعف، قلت - أي السيوطي -: وقعت هذه الحرب والذبح بعد موت الخطيب بأكثر من مائتي سنة، وذلك مما يقوي الحديث) (رقم الحديث: 10580) كما في طبعة دار الكتب العلمية، وأما في طبعة مجمع البحوث الإسلامية 1402 "جمع الجوامع" المعروف بالجامع الكبير، العدد العاشر من الجزء الثاني، فهو في (ص 1185) ورقم (470 - 12794).

وسقطت بغداد (الزوراء) بأيدي التتار سنة 656، ووقع فيها من الذبح، والحرب المقطعة، والسبي ما هو مذكور في كتب التاريخ، وذلك محل اتفاق من

المؤرخين، أي بعد موت الخطيب بـ 193 سنة / مع أنه ضعفه، وعلى ذلك فيكون الحديث موجوداً عند الرواة قبله بكثير، ولعل مما زهد الحفاظ في روايته حتى حمله غيرهم من الضعفاء الذين ليسوا وجوهاً في الناس لعله وقع ببغداد في النفوس، وكونها حاضرة البلاد، ومركز الخلافة، ولا يجرؤ المشاهير على رواية شيء من ذلك مما قد يعرضهم لطوائل المحاسبة وصوادع المعاقبة.

هذا وقد أورد الإمام المحدث المتقي الهندي (ت 975) هذا الحديث في كتابه «كنز العمال» رقم (31455) في (1/ 1136) طبعة بيت الأفكار الدولية، ونقل كلام السيوطي كما هو مقراً له، فهذا إقرار منه ورضا به.

والسيوطي نفسه قد أورد هذا الحديث ضمن كتابه «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (1/ 248). ومع هذا فقد قواه في كتابه «جامع الأحاديث الكبير» لأنه وقع.

● وقد استأنس الحافظ الكبير، والإمام الشهير، خاتمة الحفاظ أحمد بن علي ابن حجر (ت 852) بالتجربة في تخريجه حديث «ماء زمزم لما شرب له» فقال فيما نقله عنه الإمام السخاوي: (ومرتبة هذا الحديث أنه باجتماع هذه الطرق يصلح للاحتجاج به، وقد جربه جماعة من الكبار فذكروا أنه صح . . .) «المقاصد الحسنة» (568) فاستأنس بالتجربة كما ترى، فلا أقل من أن تكون عنده استئناساً كما يظهر من كلامه.

● وذكر الإمام السخاوي صاحب «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» المتوفى (902هـ) حديث «ما خلا يهوديان بمسلم إلا همّا بقتله» ثم قال: (وقد تكلمت عليه في بعض الحوادث، وأوردت ما حكاه لي قاضي الحنابلة الأستاذ عز الدين الكناني رحمه الله من واقعة له مع يهودي تؤيد ذلك) «المقاصد الحسنة» (580) فجعل الواقعة مؤيدة للحديث، فلا أقل من كونه جعل الواقع العلمي أو التجريبي لدلالة الحديث الضعيف تأييداً واستئناساً به عليه.

● ومن المشايخ المعاصرين الذين قووا الأحاديث الضعيفة لوقوعها الشيخ حمود بن عبد الله التويجري (ت 1413)، قال في كتابه «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» (1/ 12): (وبعض الأمور التي ورد الإخبار بوقوعها لم ترو إلا من طرق ضعيفة وقد ظهر مصداق كثير منها، ولا سيما في زماننا، وذلك مما يدل على صحتها في نفس الأمر وكفى بالواقع شاهداً بثبوتها وخروجها من مشكاة النبوة).

وعلى ما ذكر فإن الحديث الضعيف يقوى إذا تحقق وقوعه تماماً بدون تأويل بعيد، أو تفسير متكلف. وأقوى أنواع وقوعه ثبوت إعجاز علمي به، فهذا هو أقوى التجارب.

● وقد ذكر الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في كتابه «الحباء من العيبة غب زيارتي لطيبة» حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قعد على موضع مسجد الفتح، وحمد الله ودعا عليه، وعرض أصحابه وهو عليه، وهذا الحديث هو حديث إجابة الدعوة في مسجد الفتح، وقد حسنه الشيخ ابن عقيل لتجربة إجابة الدعوة فيه مما ظهر أن للمكان خصيصة فضل. ثم قال: (فإذا وجدت شواهد تصحح أو تحسّن تجربة جابر رضي الله عنه، أو صحت تجارب لغيره من خالف أو سالف فنتائج التجربة متبعة) (ص 67). وقد ذكرنا من المعاصرين - على ما سبق - السيد العلامة المحدث الشيخ محمد ابن علوي الملكي الحسني المكي، كما في حديث صلاة الحاجة، وذكرنا أيضاً الشيخ العلامة مجد مكي كما في حديث إجابة الدعاء في الملتزم.

وأما من السابقين فالإمام الحاكم صاحب المستدرك، ومن في نسق إسناده في صلاة الحاجة على ما مر سلفاً، فقد اعتمدوا التجربة.

وكذلك من في نسق الحديث المسلسل بإجابة الدعاء في الملتزم، ومنهم السيوطي إلى سفيان بن عيينة، وكلهم محدثون أثبات. وكذلك الإمام الفاسي صاحب «العقد الثمين» حيث نقلنا قوله هناك وصرح بالتجربة، وكذلك من في نسق الحديث في تفريج الهم بالأذان في الأذن، وفيه جلة من أئمة هذا الشأن كالسيوطي وابن الجزري، وابن فهد وابن ناصر وحفص ابن غياث وغيرهم. وأنهم جربوه فوجدوه كذلك، رووه هكذا مسلسلاً من لدن حفص بن غياث إلى السيوطي.

وكذلك نقلنا عمل ابن تيمية، ونقل ابن القيّم عنه ما جربه في إيقاف الدابة الصعبة بتطبيق خبر مقطوع وفيه مجهول، فوجدوا الأمر كذلك. وكذلك تقوية السيوطي ثم المتقي الهندي صاحب كنز العمال، لحديث سقوط بغداد مع كونه واهي الإسناد لوقوعه وتحققه على ما ورد.

وكذلك اعتماد المنذري لحديث صلاة الحاجة الذي رواه الحاكم، بسبب التجربة. مع أن فيه راوياً ضعيفاً تفرّد به. ورجلاً متروكاً متهماً. وذكرنا الحافظ ابن حجر، وتلميذه السخاوي في استئناسهما بالتجربة، أو الوقوع على قبول بعض الأحاديث.

إذا تأكد لديك ما مضى تقريره، فاعلم أن ما قاله بعض الفضلاء المعاصرين المشتغلين بالحديث والتفسير وهو: الشيخ الفاضل الدكتور محمد بازمول: (واليوم يكثر الحديث عن الإعجاز العلمي، وقد هجم بعضهم وذهب يقوي أحاديث حكم أهل العلم بضعفها، وأحياناً بوضعها، فيأتي هؤلاء[1] لما يراها توافق الحقيقة العلمية ويمهّد لإثبات الحديث بهذه الموافقة. وهذه طريقة لا تثبت بها الأحاديث، بل إن الحديث ضعيف السند إذا وافق آية لا يحكم له بثبوت نسبته إلى الرسول ﷺ لمجرّد ذلك، ما لم تكثر طرقه، ويقوم من القرائن ما يجعل النفس تطمئن لذلك، فكيف بمجرّد الموافقة للواقع العلمي؟) «مجلة جامعة أم القرى، (ع 26) (ص261)».

اعلم أن ما قاله هذا الشيخ الفاضل المعاصر لا يتجه مع ما سبق نقله من كلام أئمة هذا الشأن، وتقويتهم الحديث بالتجربة. على أنه لم يورد إلا حديث سقوط بغداد وكلام السيوطي عليه فقط، ولم يورد كلام غير السيوطي ممن ذكرنا في رسالتنا هذه، ثم إنه لا نزاع أنه لا تثبت نسبة حديث إلى رسول الله ﷺ ثبوتاً قطعياً، إلا المتواتر من الحديث على ما هو مبسوط في كتب المصطلح وأصول الفقه، وإنما ثبوت غير المتواتر إليه ﷺ يكون من قبيل الظن الراجح، وأما الحديث الضعيف الذي ثبت أو قوي بالتجربة (دعاء أو وقوعاً أو إعجازاً علمياً) فالأئمة وغيرهم من المتعاطين لهذا الفن لا يثبتون نسبة الحديث إلى الرسول ﷺ قطعاً أو جزماً، وأنه قاله بلفظه، ولكن يحصل عندهم ظن راجح أن الراوي الضعيف لهذا الحديث أدى المعنى، فالذي يثبتون نسبته هو المعنى الذي صححته التجربة. ودل عليه البرهان.

هذا، ولا يخفى أن الحقائق العلمية اليوم أقوى من الوقائع التاريخية التي وردت ضمن الأخبار، وقوى السيوطي من أجلها حديث سقوط بغداد، لأن التاريخ متسع، وقد تحدث حادثة مقبلة ينطبق عليها الحديث أتم الانطباق.

وكذلك الحقائق العلمية أقوى من مجربات الأدعية، كحديث صلاة الحاجة، والدعاء في الملتزم، والأذان في الأذن، وقراءة الآية على الدابة الصعبة، على ما مر تفصيله، لأن الدعاء قد يستجاب لأمر آخر، كالإخلاص واضطرار الداعي، وغير ذلك، ولكن لكثرة وقوع ذلك اعتمد الأئمة تصحيح تلك الأحاديث.

(1) هكذا، والصواب لغة: إما أن يقول: بعض هؤلاء، أو يقول: يرونها...

لا يخفى أن الحقائق العلمية الثابتة بالتجربة أقوى برهاناً ودلالة على صحة الحديث إذا طابقته وطابقها دون تكلّف من تأويل أو تفسير، لأنها حقائق ثبتت قطعاً شأنها في ذلك شأن الضروريات التي لا مجال لإنكارها لكونها من قبيل المحسوسات، أو ما نزل منزلتها، وكل هذا يدل على قدرة الله تعالى، ثم الإعجاز العلمي المطوي في تلك الأحاديث الأمر الذي قواها، علاوة على دلالة ذلك على ثبوت النبوة وصدق صاحبها ﷺ.

هذا وقد ألفت هذه الرسالة الموجزة بناء على طلب السيد الكريم . . . كريم بن نجيب بن الأغر. أدامه الله لرفع راية العلم الدقيق، والتفسير العلمي للقرآن الكريم.

وكتبتها بين الظهر والعصر من يوم الثلاثاء الموافق الخامس عشر من رجب عام 1425هـ المحاذي لـ 31 من أغسطس آب عام 2004م .

والله أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم على رسولنا الأكرم، وأصحابه الأقدم فالأقدم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم البعث الأعظم». انتهى كلامه. («المعربة في تقوية الحديث بالتجربة» للشيخ أبي حزم عبد الرحمن بن محمد الحكمي الفيفي).

وبعد أن جُلنا في عالم أقوال الجهابذة العلماء الذين تلقتهم الأمة بالقبول، وتبيّن لنا مدى حرص - العالم المكرم - الشيخ عبد الرحمن بن محمد الحكمي الفيفي في الإحاطة بجوانب هذا الموضوع الفريد، نرى أنه من الحكمة أن نورد مثلاً يجسّد لنا هذا الإعجاز، ويبرز من الناحية العلمية الأسباب التي تجعله يرتقي إلى درجة الاستئناس.

ولذلك نتناول الحديث: «النطفة التي يُخلق منها الولد ترعد لها الأعضاء والعروق كلها إذا خرجت وقعت في الرحم» [أخرجه الديلمي ح23].

فهذا الحديث يشير إلى الحقائق العلمية الغيبية التالية:

1 - أن للإنسان نطفة، نسبة للفظ: [النطفة] في الحديث. وتوافق بذلك الآية: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيمة: 37].

2 - أن هذه النطفة خاصة، بمعنى أن لها القابلية لأن تُخلق - بإذن الله - إنساناً، أي أنها مخصبة، نسبة للفظ: [التي يخلق منها الولد]، وتوافق بذلك الآية: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الانسان: 2].

3 - أن لهذه النطفة صبغية، نسبة للفظي: [لها] و[عروق] في الحديث، وتوافق بذلك الحديث جيّد السند: «إن الله تعالى إذا أراد خلق النّسمة فجامع الرجل

المرأة طار ماؤه في كل عِرْق وعَصَب منها، فإذا كان يوم السابع جمعه الله تعالى ثم أحضر له كل عرق بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 8]» [أخرجه الطبراني ح21]، ناهيك عن أبعاد كلمة «عرق» من كونها تشير إلى أن الصبغيات طويلة، بل إنها في غاية من الطول، وإنها تشكل أصل الإنسان.

4 – أن هناك العديد من العروق، نسبة للفظ: [العروق]، وتوافق بذلك الحديث السالف ذكره.

5 – أن هذه العروق تتحرك، نسبة للفظ: [ترعد لها... العروق]، وهي بالتالي توافق الحديث: أن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ، فقال: ولدت امرأتي غلاماً أسود، وإني أنكرته، فقال رسول الله ﷺ: «هل لك من إبل؟» قال: نعم. قال: «فما ألوانها؟» قال: حمر، قال: «هل فيها من أورق؟»، قال: نعم. قال: «فأنى هو؟»، قال: لعله يا رسول الله: يكون نزعه عِرْق له. قال له النبي ﷺ: وهذا لعله يكون نزعه عِرْق له» [أخرجه مسلم ح65]، وغيره من الأحاديث التي وردت في هذا الصدد.

6 – أن حركة هذه العروق محددة بالانكماش والتمدد المحدودين في هذا المقام، وفي هذا الوقت تحديداً، نسبة للفظ: [النطفة التي... ترعد لها... العروق... إذا خرجت]، وتوافق بذلك الحديث المرسل عن ثقة (أي ذات الضعف غير الشديد)، وهو: «صدقت!... إذا كان حينُ الولد، اضطربت العروق كلها، ليس منها عِرْق إلا يسأل الله أن يجعل الشَّبه له» [أخرجه الحكيم الترمذي ح22].

7 – أنها تأتي من خارج الرحم نسبة للفظ: [وقعت في الرحم]، وتوافق بذلك الآية: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المؤمنون: 13].

8 – أن الموضع الذي تأتي منه متصل بالرحم، نسبة للفظ: [إذا خرجت وقعت في الرحم]، **وهذا المفهوم تفرّد به الحديث**، وهو يوافق الحقائق العلمية الثابتة، وبالتالي أضاف إشارة علمية جديدة على مجموع الإشارات التي جمعت من مختلف الأحاديث.

9 – أن الموضع الذي تأتي منه يقع على هاوية تطل على الرحم نسبة للفظ: [وقعت في الرحم]، وتوافق بذلك حديث – إسناده صحيح – هو: «إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكاً فقال: يا رب: مخلّقة أو غير مخلّقة؟ فإن قال: غير مخلقة مجّتْها الأرحام دماً» [رواه الطبري ح32].

10 – أن إخصاب النطفة يحصل في الرحم قبل أن تدخله، لأنها تدخل الرحم

ولها القابلية أن تتخلق، نسبة للفظ [النطفة التي يخلق منها الولد. . .وقعت في الرحم]، وتوافق بذلك الحديث السالف ذكره في النقطة رقم (9).

11 - أن ارتعاد عروق النطفة يحصل في المكان الذي يقع عضوياً قبل الرحم، **وهذه أيضاً إشارة تفرّد بها الحديث على غيره من الأحاديث**، وهي إشارة علمية صحيحة بلا شك، وهو بذلك أضاف دقّة جديدة تضاف إلى مجموعة الإعجازات التي وردت في هذا المضمار.

12 - أن هذه النطفة تمكث لفترة غير وجيزة خارج الرحم، نسبة لوظيفة [إذا] التي وردت في الحديث، وتوافق بذلك الحديث رقم 32 السالف ذكره، والذي ورد في النقطة رقم (9).

13 - أن ارتعاد عروق النطفة يحصل زمنياً بعد التخصيب مباشرة نسبة للفظ: "النطفة التي يخلق منها الولد ترعد لها. . .العروق"، وقبل ولوج حدود الرحم نسبة للفظ: «ترعد لها. . . العروق كلها إذا خرجت وقعت في الرحم»، وتوافق بذلك اللفظ الذي جاء في الحديث رقم 22 السالف ذكره، وهو: «إذا كان حينُ الولد، اضطربت العروق كلها»، وهذا التحديد في منتهى الدقة حيث جعل الأمر المذكور (الارتعاد) بين حدثين مهمين (التخصيب -دخول الرحم)، وكل ذلك في وقت ضيّق (حوالي يومين)، مع تقريب الحدث أكثر لجهة زمن التخصيب، لأن لفظ "إذا" - المقترن بوقوع النطفة في الرحم - يشير إلى مكوثها لفترة من الزمن - بعد أن ترعد عروقها - في مكان ما يقع خارج الرحم قبل الولوج في الرحم، بينما الارتعاد حصل لمجرد أن النطفة أصبحت مستعدة لأن يتخلق منها الولد (أي أصبحت مخصبة).

14 - أن كل عروق النطفة ترعد بدون استثناء نسبة للفظ: [العروق كلها]، وتوافق بذلك الحديث رقم 22 السالف ذكره بدقّة متناهية.

15 - أن دخول الرحم يحصل برفق، نسبة للفظ: [إذا خرجت وقعت في الرحم]، حيث إن خروج النطفة من حدود مكان ما (قناة فالوب) أعلى مستوى سطحه من مستوى سطح مكان آخر (الرحم) أدى إلى وقوعها على سطح الأخير، وليس من جراء قفزها واندفاعها بسبب السرعة والضغط الذي يرافقها كما أشارت إليه الآية القرآنية: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: 6]، وتوافق بذلك الحديث رقم 32 السالف ذكره، وانظر لهذا الغرض مبحث "**هجرة النطفة من المستودع إلى الرحم**".

أما بالنسبة للفظ «الأعضاء» الذي ورد في الحديث إلى جانب كلمة «العروق» فسنعتبر أنه جاء في الحديث من جراء ما يسمى في مصطلح الحديث بالتصحيف، والتفصيل هو كما في الحاشية[1].

---

(1) لقد اعتدنا في هذا العصر على النظر إلى مقالات وكتب طبعت بواسطة آلات حديثة. هذه الآلات تضع بأحرف أبجدية قد صممت خصيصاً لهذا الغرض، واعتنى مصمموها بها بشكل فائق لكي ترسم الحرف الأبجدي بشكل واضح وجلي لا تحيد عن رسمه قدر أنملة. غير أن المتقدمين لم تتح لهم هذه التقنية ونسخوا كل الأحاديث بأيديهم على الأوراق. وكما نعلم فإن كلاً منا يتمتع بخط معين يختلف عن الآخر، كما أن جودة الخط تختلف من واحد إلى آخر. وأثناء النسخ تحدث أخطاء يدوية، من جراء سهو بعض الناسخين لما يكتبون، أو من جراء فهمهم بشكل خاطئ لمخطوطة أخرى... إلخ. وهذا يسمى بالتصحيف في علم مصطلح الحديث، وهذا ما حصل في هذا المقام. وتعريف التصحيف - كما يفسره لنا الشريف محمد علي الجرجاني، في كتاب «التعريفات» (ص 82، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2/ 1413هـ، 1992م، دار الكتاب العربي بيروت) -: «أن يقرأ الشيء على خلاف ما أراد كاتبه، أو على ما اصطلحوا عليه». أو هو - كما جاء في «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» للعراقي، (ج4/ ص56)، تأليف محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق وتعليق علي حسين علي، ط1، الدار السلفية لنشر العلم بالقاهرة، 1415 هـ، 1995م): «تحويل الكلمة من الهيئة المتعارفة عليها إلى غيرها».

وينقسم التصحيف إلى عدة أنواع، منها قسمان رئيسان هما: تصحيف البصر، وتصحيف السمع. وتصحيف البصر هو كما تبين من التعريفين السابقين، أما تعريف السمع فهو - كما ظهر من تقسيم المحدثين له إلى سمعي وبصري -: أن يسمع الشيء على خلاف ما أراد قائله.

ومثال التصحيف البصري - وهو الأكثر -: أن يحيى بن سلام حدث عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: 145] قال مصر. وهي في الحقيقة مصيرهم كما أكده أبو زرعة، وهذا نشأ لعدم وجود التنقيط أثناء كتابة مصيرهم.

ومثال التصحيف السمعي - وهو الأقل -: حديث لعاصم الأحول رواه بعضهم عن واصل الأحدب. («التقييد والإيضاح» للحافظ زين الدين الحسين العراقي، ص 242 -243، دار الحديث، بيروت، 1405 هـ، 1984م، وانظر «فتح المغيث»، ج4/ ص61 - 62).

وفي كتابنا هذا وقع أيضاً النوعان المذكوران.

فأما بالنسبة للتصحيف السمعي فتمثل بالحديث: «صدقت، إن لك تسعة وتسعين عرقاً، وله مثل ذلك، إذا كان حين الولد اضطربت العروق كلها، ليس منها عرق إلا يسأل الله أن يجعل الشبه له» [أخرجه الحكيم الترمذي ح22]. فالعلم الكوني يشير إلى أن للإنسان اثنين وتسعين عرقاً بينما ينص الحديث على تسعة وتسعين عرقاً، وبما أن مختلف النسخ كنسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ونسخة مكتبة الملك فهد، وغيرها فيها تسعة وتسعون عرقاً فمن المستبعد أن يكون التصحيف بصرياً لأنه لو كان ذلك لاختلف من مخطوطة عن مخطوطة أخرى، كما هو شأنه في سند الحديث (انظر تعليقنا على الحديث في صحة الحديث على الإعجاز، في قسم تخريج الحديث في الإعجاز العلمي، على الحديث رقم 22). =

ومرد هذا التصحيف - في اعتقادنا - إلى التباس السمع على المستمع سواء أكان الناسخ الأول للحديث، أم راوياً من الرواة، حيث إن رقم تسعة وتسعين جاء في عدة مواضع في النصوص القرآنية، فتبادر إلى ذهن المستمع الرقم الأخير لألفته له، فأخذ به.

ومن النصوص الشرعية التي ورد فيها الرقم تسعة وتسعون هي:

1 - ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: 23].

2 - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعةً وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة» [أخرجه البخاري ح118].

3 - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «قال سليمان بن داود عليه السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله. فقال له صاحبه إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون» [أخرجه البخاري ح119].

ومن الجدير بالذكر أن الشرع لم يذكر رقم تسعة وتسعين للتكثير فقط، وإنما لوقوعه كذلك، والدليل على ذلك أنه وقع في أحاديث أخرى غير ذلك من الأرقام - كما مر معنا في طيات هذا الكتاب -، مثل رقم أربعين، وسبع، وثلاثمائة وستين... إلخ، وبالتالي فإن الشرع ينقل الرقم الموجود في الطبيعة، وهو في هذه الحالة: اثنان وتسعون، وهذا ما يدل على أن السامع خلط بين الرقم الحقيقي والرقم الشائع في النصوص الشرعية.

وأما بالنسبة للتصحيف البصري فنمثل بالحديث: «النطفة التي يخلق منها الولد ترعد لها الأعضاء والعروق كلها إذا خرجت وقعت في الرحم» [أخرجه الديلمي ح23].

والدليل على ذلك الأسباب التالية:

1 - أن رسم الأعصاب اليدوي يتشابه إلى حد كبير برسم الأعضاء، حيث إن الباء تكتب مرتفعة عن السطر في وسط ألف الأعصاب الأخيرة ولها مثل الهمزة في أولها، وبالتالي تتشابه إلى حد كبير مع الهمزة، فيتوهم الناسخ أن الأعضاء هي اللفظ المراد.

2 - أن العلم الكوني الثابت يعتبر وسيلة لمعرفة الخطأ من الصحيح، وإذا استعرضنا مختلف الأحاديث، نتعارض فيما بينها، إلا إذا رجحنا أي اللفظين أصوب، والعلم الكوني يشير إلى أن لفظ «الأعصاب» هو المراد.

3 - أن العامل النفسي يؤثر في نسخ المخطوطات، وقد تجلى هنا بناحيتين:

● أولاً: أن الارتعاد مألوف لدى عامة الناس - وخاصة لرجل حصل قدراً قليلاً من العلم في مجال تخلق الجنين - أنه يحصل لسائر الأعضاء الجسدية، وبالتالي فلن يتبادر إلى ذهن الناسخ أن الارتعاد - المذكور في الحديث يحصل على صعيد النطف، بل على صعيد جسد المرأة ككل، وبما أن الاضطراب يتصور حصوله لسائر الأعضاء الجسدية عادة أكثر من حصوله لأعصاب المرأة ككل، بمعنى جهازها العصبي، فلقد تراءى له أن كلمة «أعصاب» هي «أعضاء».

= ● ثانياً: أننا نلحظ أن ما وقع من العامل النفسي للراوي في حديث: «تسعة وتسعين عرقاً» قد وقع أيضاً هنا، فإن الراوي، أو الناسخ الذي تصحّف عليه لفظ «أعصاب» إلى «أعضاء» - كان كثيراً ما يطرق سمعه ورود كلمة «أعضاء» في الحديث، الذي هو مجاله، بخلاف كلمة «أعصاب». فقد وردت في حديث: «عن ابن عباس أُمِرَ النبيُّ ﷺ أن يسجد على سبعة أعضاء، ولا يكفَّ شعراً، ولا ثوباً: الجبهة، واليدين والرُّكبتين والرِّجلين» [أخرجه البخاري ح120]، وحديث: (عن أبي سعيدٍ الخدريّ رفعهُ قال: «إذا أصبح ابنُ آدم فإنّ الأعضاء كلّها تُكفِّرُ اللّسان فتقول: اتّقِ اللّه فينا، فإنّما نحنُ بك، فإنْ استقمتَ استقمنا، وإنْ اعوججتَ اعوججنا») [أخرجه الترمذي ح121]، إلى غير ذلك.

فالورود الكثير للكلمة شجّع الراوي أنها المقصودة، ومن هنا وقع التصحيف عنده.

4 - أن مختلف الأحاديث جاءت بلفظ «عرق» دون لفظ «عضو»، مما يشير إلى أن العروق وحدها هي المقصودة، وليس سائر الأعضاء، مما يستوجب حمل معنى الكلمة المعطوفة على العروق، أو المقرونة بها، على الأعصاب دون غيرها من الأعضاء، لأنها تفيد نفس المعنى.

5 - أنه لا يخفى أن عطف العروق - وهي دقيقة جداً - على الأعضاء - وهي المرئية في البدن لكل أحد - فيه نبوّ في الأسلوب العربي، لأن العطف، وإن اقتضى التغاير، إلا أنه يبغي فيه التناظر، ونظير العروق هو الأعصاب. وهذا ما يسمى «بمراعاة النظير» (وقد سبق تعريفه في مبحث «**مرحلة القابلية للحياة/ العدة**»)، فكيف إذا اتفق مع ما دل عليه العلم، بعد ذكرناه آنفاً من الإمكانية الكبيرة لوقوع التصحيف فيه؟.

6 - والجدير بالذكر أن حديث الطبراني وردت فيه اللفظتان مفردتين (عرق - عصب)، على حين أن حديث الديلمي وردتا فيه مجموعتين (أعضاء - عروق)، مما يدل أن المراد هو الأعصاب، لا الأعضاء؛ ورودها مع «عروق» مفردتين هناك، وورودهما عند الديلمي مجموعتين، فما أفرد هناك جمع هنا. ولا يتعين هذا إلا بكون الراوي صحّف الأعصاب إلى الأعضاء. فاستعنا بدلالة إفرادهما عند الطبراني على معرفة تصحيف الراوي لإحداهما (الأعصاب) عند الديلمي، فتأمل فإنه ملحظ دقيق.

7 - أن الحديث رقم 22: «إن الله تعالى إذا أراد خلق النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عرق وعصب منها، فإذا كان يوم السابع جمعه الله تعالى ثم أحضر له كل عرق بينه وبين آدم، ثم قرأ: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 8]» [أخرجه الطبراني ح21] يعتبر بياناً لحديث: «النطفة التي يُخلق منها الولد ترعد لها الأعضاء والعروق كلها إذا خرجت وقعت في الرحم» [أخرجه الديلمي ح23]. وقد ورد فيه لفظ «عصب» - على ما تأكدنا منه -، وهو أقوى في سنده من الحديث الذي أخرجه الديلمي رقم 23، مما يعني أن الأعصاب هي المرادة. والله تعالى أعلم. =

= وقبل أن نشرح لماذا حديث الطبراني هو بمثابة بيان لحديث الديلمي ننوه إلى ما يلي: إن الحديث ورد عند البيهقي في «الأسماء والصفات» بلفظ «عضو». غير أن الطبراني متقدم على البيهقي، فالطبراني متوفى سنة 360هـ، بينما البيهقي متوفى سنة 458هـ، وبالتالي فهو أقرب إلى النبع - أي إلى رسول الله ﷺ - مما يعزز الاتجاه أن البيهقي أو أحد مشايخه - رحمهم الله -، أو أحد ناسخي مخطوطات البيهقي وقع منهم التصحيف، وأن هذا التصحيف من النوع البصري.

= أضف إلى ذلك أن لفظ «عصب» ورد عند الطبراني في كتبه الثلاثة: «الكبير»، و«الأوسط» و«الصغير» مما يعزز احتمال أن لفظ «عصب» هو المراد لأن تعدد المصادر بنفس اللفظ تنفي أن يكون وقع هناك خطأ. أضف إلى ذلك أن الهيثمي الذي روى زوائد الطبراني على الكتب الستة في كتابه «مجمع الزوائد» أورده بهذا اللفظ، وهذا دليل آخر يضاف إلى مجموعة الأدلة السابقة بأن لفظ «عصب» هو المراد.

كذلك فإن الحديث الذي رواه الطبراني والبيهقي إسناده واحد، وهو: عن أنيس بن سوار عن أبيه عن مالك بن الحويرث ﷺ الحديث... ومن ثم اشتهر - أي روي بأكثر من سند - بعد ذلك، مما يشير إلى أن اللفظ يجب أن يكون واحداً فقط لا غير، لأنه يسمع من أنيس بن سوار - رحمه الله -. قال الطبراني: «لا يروى عن مالك ابن الحويرث إلا بهذا الإسناد، تفرد به ابن سوار». وبما أن الطبراني متقدم فيرجح لفظ الطبراني على لفظ البيهقي لأننا لا نستطيع أن نعتبر أن هناك ألفاظاً مختلفة - أي متون مختلفة - جاءت بأسانيد مختلفة، أي بمعنى آخر: أن رسول الله ﷺ تلفظ بها أكثر من مرة بأكثر من متن لأكثر من صحابي.

كذلك فإن الديلمي متأخر عن البيهقي الذي هو بدوره متأخر عن الطبراني. فالديلمي متوفى عام 509هـ، مما يعني أن الديلمي، أو أحد مشايخه، أو ناسخ مخطوطاته قد يكون ارتكز على مخطوطات البيهقي في فهمه للحديث رقم 23، فرواه بلفظ «الأعضاء» موافقاً بذلك جمع لفظ «عضو» الذي ورد عند البيهقي.

وتفصيل موضوع البيان الذي ذكرناه آنفاً هو كالتالي:

كلمة «كل»: «اسم موضوع لاستغراق أفراد المنكر نحو: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: 185]، والمعرف المجموع نحو: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: 95]. وأجزاء المفرد المعرف نحو: كل زيد حسن». (مغني اللبيب، لابن هشام الأنصاري، ج3/ ص84، تحقيق عبد اللطيف الخطيب، ط المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت).

فإذا تقدمت «كل» على المفرد المنكر جعلته بمعنى الجمع، وأفادت العموم، كما في حديث الطبراني رقم 21.

وإذا تأخرت «كل» على الاسم الذي تستغرقه أكدته، وإذا أراد المتكلم أن يظهر الجمع فعليه أن يجعل الاسم المستغرق في صيغة الجمع لأن دلالة «كل» في الجمع تبقى مطوية، كما في حديث الديلمي. =

= وخلاصة القول: أن رسول الله ﷺ أراد العموم مع تأكيدهما في كلا الحديثين: رقم 21، ورقم 23.

وذلك لأن رسول الله ﷺ قدم لفظ «كل» المفيدة للعموم لاستغراق أفراد الاسم المنكر في حديث الطبراني رقم 21، وعندما تقدمت «كل» كان المعنى في قوة الجمع، فأفادت «كل» العموم.

أما في الحديث الذي رواه الديلمي فتأخرت «كل» فأصبحت مؤكدة لما قبلها، وأصبحت دلالة ما قبلها - مع كونها أكدته - مطوية على الجمع بسبب تأخرها. فاحتاج اللفظ أن يأتي بصيغة الجمع لكي يفيد العموم.

وهكذا أصبح المفرد «عصب» يساوي العموم «أعصاب»، وتساوى الحديثان في الدلالة، لأنه استعيض عن معنى الجمع المطوي بجمع لفظي «عصب» و«عرق» إلى لفظي «أعصاب» و«عروق». =

- وإذا تقرر لك ذلك أيها القارئ، فاعلم أن الحديث الذي رواه الطبراني رقم 21 بمثابة بيان للحديث رقم 23 الذي رواه الديلمي -كما ذكرنا سابقاً - لأن كل رواية فصلت ما كان مطوياً في الأخرى، مما يعني أن المتنين مستويان في مرادهما، وبالتالي مستويان بألفاظهما، وهذا يشير بدوره إلى أن لفظ «عصب» المفرد في أصله، المجموع باتصاله باسم «كل»، يقابله لفظ «أعصاب» في حديث الديلمي، مما يعني أنه وقع تصحيف بصري بإبدال كلمة «أعصاب» بكلمة «أعضاء».

فائدة مهمة: وقد يتساءل القارئ لماذا قدّمت «كل» في حديث الطبراني في حين أخرت في حديث الديلمي؟ أليس لهذا الفعل دلالته؟ وإلى ماذا يدل؟.

- في حديث الطبراني:

ومن المعلوم أن «في» تفيد «الظرفية المكانية». وهي بالتالي تشير إلى معنى الوحدة والممازجة.
فإذا فهمنا أن معنى كلمة «طار» في حديث الطبراني: «طار ماؤه في كل عرق وعصب» يشير إلى الانتشار فهمنا أن عروق نطفة الرجل انتشرت بين عروق نطفة المرأة، وبالتالي أن حرف «في» وقع موقع أداة «بين». ومرد ذلك أن المراد هنا هو إظهار أن البينية شديدة جداً ومتشابكة كثيراً إلى حد الممازجة، مع أنها ليست الممازجة. فحسُن استعمال «في» الظرفية المستخدمة في غير معناها الأصلي في هذا الموضع. فمن ناحية فعل «طار» يدل على شدة الانتشار - كما مرّ معنا في مبحث «**اختلاط عروق النطفة**» ومن ناحية وظيفة «في» تدل على المخالطة إلى حد الممازجة مما يثبِّت في ذهن السامع قوة الانتشار. وتفيد المعطيات العلمية: «إن صبغيات الأم (أي عروق نطفة المرأة) وصبغيات الأب (أي عروق نطفته) تختلط في (الطور الاستوائي METAPHASE) (لأول عملية انقسام ميتوزية FIRST MITOTIC DIVISION) للبويضة المخصبة» (كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص32)، ويكون ذلك عند خط استواء البويضة. فالحاصل أن هذه العروق - بعد أن تتمدد - تتضاعف، ومن ثم تنقبض على نفسها لكي يتاح لها أن تعبأ في مكان ضيّق وأن تصطفّ بشكل منتظم عند خط استواء النطفة، ومن هنا ساغت الصياغة (أي ساغ استعمال فعل «طار» واسم «في») التي توحي بشدّة قرب الأشياء المختلطة. غير أن هذه العروق لا تتداخل، ولئلا تتوهم الممازجة أتي= = بلفظة «كل» الدالة على العموم. فكانت الدلالة على المراد دقيقة جداً، فهي انتشار لكل عروق الحيوان المنوي بين كل عروق البويضة انتشاراً واسعاً شاملاً - كما أفاده العموم في «كل» - ومتلاصقاً إلى قريب الممازجة - كما أفادته «في» المفيدة بمعنى العموم -. والسر في ذلك أنه يتوهم من إدخال «في» أن الصبغيات (أي العروق) أصبحت شيئاً واحداً، على حين أن لفظة «كل» تفيد التعميم للجنس فرداً فرداً، فقيِّدت دلالة «في» بدلالة «كل»، فحصلنا على معنى دقيق جداً لم يكتشف إلا حديثاً بدقة متناهية.

- في حديث الديلمي:

أخّرت «كل» لغرض التأكيد. فالموضوع يشير إلى الارتعاد، أي إلى تموج واضطراب عروق الحيوان المنوي وعروق البويضة، وتفيد لنا المعطيات العلمية أن عروق الحيوان المنوي تكون داخل غشاء منفصل عن الغشاء الذي يغلّف عروق البويضة عندما يدخل الحيوان المنوي البويضة، أي أنهما يؤلفان مجموعتين منفصلتين، ومن ثم يتفكك غشاؤهما النووي - بعد أن تقترب المجموعتان من بعضهما

وقد علّقنا في «قسم تخريج الأحاديث وصلتها بالإعجاز العلمي» على هذا الأمر في «صلة الحديث بالإعجاز العلمي» للحديث رقم 21، وبيّنا أن اللفظ الصحيح هو لفظ «الأعصاب»، لأنه بذلك يكون قد تكلم عن نفس الشيء الذي جاء ذكره في الحديث وهو: «العروق»، أي عن الصبغيات التي ترعد، فانظره هناك. وهو إن كان كذلك - ولا بد أن يكون كذلك لأن المعطيات العلمية قاطعة في هذا المجال، ولأن لفظ الحديث رقم 21 (المتصل، المشهور، ذو الرجال الثقات) قد جاء فيه كذلك - فهو يضيف أبعاداً وصفية في منتهى الإعجاز للعروق وهي أنها مربوطة بعضها ببعض، وملتوية، وليس ذلك فقط بل شديدة الالتواء، مع العلم أنه لا يمكننا رؤيتها بأي حال من الأحوال لصغر حجمها الذي يقدر بالإنجستروم (واحد على عشرة مليار من المتر).

ونرى من التحليل السابق أن الحديث السالف ذكره يشير إلى عدّة إشارات علمية ذات طابع إعجازي مبهر، وهذه الإشارات العلمية تشكّل مجموعة متجانسة بعيدة المنال لبعيد الحدس، بحيث تجعل من المستحيل التنبؤ بها مجتمعة، فالحديث يدور عن شيء (نطفة) جد صغيرة (يبلغ حجمها حوالي 0,055 ملم) في مكان مظلم، والوصول إليه متعذّر بغياب التقانة لأن مدخل المهبل لا يتّسع في الأحوال العادية لأكثر من أصبع صغير أن يدخله، وهو مسدود بكتلة مخاطية، ويصف لنا حالة هذه النطفة (مخصبة)، ويصوّر لنا طبيعة حركتها (من رخاء)، وموقع المكان الذي تجري فيه (خارج الرحم، وأنه يقع على مشارفه)، ويعطينا فكرة عن مدة مكوثها في هذا المكان، ويخبرنا عن وجود أشياء في النطفة هي أصغر منها بآلاف المرات (الصبغيات)، بل يخبرنا أن تلك الأشياء تتحرك، ويصف لنا طبيعة تحرك العروق (الارتعاد، أو الاضطراب)، مع العلم أن حادثة الارتعاد تحصل في دقائق معدودة، ويحجب رؤيتها غلاف النطفة بالنسبة للناظر الذي ينظر داخل قناة فالوب. فما الحال بالنسبة للناظر الذي ينظر من خارج جسد المرأة؟!!!، هذا مع العلم أن وصف صورة

=بعضاً - وتنتشر عروق كل من الفريقين فيما بينها، وبما أنه في بادئ الأمر كانت العروق تؤلف مجموعتين منفصلتين فإنه لا يلزم ارتعاد أفراد مجموعة ما ارتعاد أفراد المجموعة الأخرى، فجاء تأخير «كل» للتأكيد على أن أفراد كلتا المجموعتين ترتعد، حيث إن عروق الحيوان المنوي تتمدد بعد أن تكون متراصة، بينما تستكمل عروق البويضة تمددها، وعند اختلاط المجموعتين تنقبض كل العروق - بلا استثناء - فتندرج مرة أخرى تحت معنى الاضطراب الكلي.

فاعتبر أيها القارئ الكريم كيف أن الصياغة محبوكة بحكمة ودقة.

ديناميكية، أي شيء ينتقل من مكان إلى آخر، تتغيّر صورته الداخلية مع مرور الوقت، أصعب من وصف شيء لا يتحرك، وأعضاؤه الداخلية جامدة، بحيث يتسنى للناظر الوقت لكي يستوعب تفاصيله، وليس ذلك فقط بل يحدد لنا الزمان الذي تتحرك فيه تلك العروق بالشكل السالف ذكره، ويقيّده بين زمانين: بعد زمن الإخصاب، وقبل زمن دخول الرحم، مع الإشارة إلى أن وقت الارتعاد أقرب لزمن حدوث الإخصاب، ولا أظن أن أي إنسان على الإطلاق يستطيع أن يفصح عن تلك المعلومات بهذا التفصيل الذي يفوق التصور، إلا إذا كان يؤيّده الوحي الرباني، لشدة الدقة والشمولية التي فيه، والغيب المطبق الذي يحيط بهذا الأمر بغياب التقانة، وفي ظل جهل مطبق أيضاً كان سائداً ليس في الجزيرة العربية فقط بل في العالم أجمع في عهد الوحي وما قبله!!!!!!.

كذلك فإن الحديث المعتبر يوافق القرآن الكريم والأحاديث السالف ذكرها وغيرها لم نذكرها لسببين: - أولاً: لكي لا نطيل على القارئ - ثانياً: لأن التوافق بين الحديث المعتبر والأحاديث الأخرى يحصل بواسطة طرق فقهية غير مباشرة كاقتضاء النص وغيرها، وهي أقل مرتبة من طريقة عبارة النص التي اعتمدناها بالغالب هنا.

والمعاني التي أشرنا إليها هنا قطعية الدلالة لأنه لا نستطيع أن نصرفها في غير الأوجه التي ذكرناها وإلا لأصبحت دلالاتها عندئذ عبثية.

وبعد أن سردنا الأدلة الشافية لموضوع "تقوية الحديث ذي السند الضعيف جداً - والذي يحمل في طيّاته إعجازاً علمياً نوعياً - إلى درجة الاستئناس به - كحد أدنى -"، نرى من الأهمية بمكان أن نلخّص ذكر الأسباب التي تدعونا لهذا الفعل، والقرائن التي من أجلها يجب أن ترفع لها راية التجديد الفقهي لموضوع "الإعجاز العلمي في القرآن والسنة" من جهة تقوية الأحاديث التي لنا إليها حاجة، حتى نُحكم هذا الموضوع خدمة لهذا الدين العظيم، ولكي يعتمده علماء الحديث فيبوبوا له أبواباً، وحتى يعتمده العلماء المعاصرون في أبحاثهم الآتية بإذن الله، وهذه الأسباب هي:

1 - أن نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة تدعونا لهذا الفعل.

2 - أن جهابذة العلم الفقهي والحديثي في الإسلام قد ذكروا تقوية الحديث الضعيف جداً مليّاً - بشكل مفرق - في كتبهم.

3 - أنه إذا كان جهابذة العلماء يقوون الحديث الضعيف جداً الذي يرتكز على الدعاء لمجرد تحقق وقوعه عدّة مرات - وليس بشكل مزمن دائم - على أيدي بعض

الرجال دون غيرهم، فمن باب أولى أن نقوي الأحاديث التي تتكلم عن حقائق مطّردة سارية في كل زمان، ولكل المجتمعات، وفي كل أنحاء الكرة الأرضية.

4 - أن علم «الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» علم جديد يجب أن يسن له قوانين مناسبة لمتطلباته.

5 - أن هناك وسيلة إضافية - لم تكن متوفرة من قبل هي الآن بمتناول الأيدي - تمكّن لنا معرفة صحة متن الحديث من خطئه.

6 - أنه يعد تفريطاً أن ننسى تلك الأحاديث التي تتكلم عن إشارات غيبية إعجازية لمجرد أنها رويت على ألسنة الضعفاء للأسباب النفسية والاجتماعية التي ذكرناها آنفاً.

7 - أنه إذا كان علماء الحديث يرجعون الحديث الموقوف على الصحابي - والذي جاء فيه إخبار عن الغيب - لرسول الله ﷺ تحت باب «الوقف القولي الحكمي»[1]، فمن باب مرادف أن نقوي درجة صحة سند الأحاديث الضعيفة جداً التي تتكلم عن إعجاز علمي فريد.

ونقول: وإن كان الوقف القولي الحكمي يرتكز على صحة السند، غير أنه يرتكز أيضاً على فقدان تصريح الصحابي نسبته للنبي ﷺ وقد يكون قال هذا الخبر ﷺ بناء على فهمه لأحاديث أخرى، على سبيل التفسير، لا على سبيل رواية حدث قاله رسول الله ﷺ، أضف إلى ذلك أنه قد يخطئ في فهمه لتلك الأحاديث، مع شكه في أنه قد يكون فعل كذلك، فيصفها بشكل خاطئ، بقدر استطاعته، لعدم تمكنه من استعادة صيغة رسول الله ﷺ الفريدة في ذهنه، دون نسبتها للرسول ﷺ، كما كان يفعله سيدنا ابن مسعود - التقي، الورع، ﷺ - الذي تبين لنا سابقاً في هذا البحث[2] أنه كان لا يرفع حديثاً لرسول الله ﷺ لم يحفظ صياغته بدقّة، لشدة حرصه على هذا الأمر، بينما نرى أن الحديث الضعيف جداً على عكس ذلك، حيث إن السند يقرّ الرفع إلى رسول الله ﷺ بينما رجل من رجال السند - أو رجال - فيهم

(1) مقدمة في أصول الفقه، الشيخ عبد الحق الدهلوي، ص 38: فالرفع قد يكون حكماً كإخبار الصحابي، الذي لم يخبر عن الكتب المتقدمة (كالتوراة والأناجيل)، ما لا اجتهاد فيه عن الأحوال الماضية كأخبار الأنبياء، أو الآتية كالملاحم (وهي الموقعة العظيمة القتل) والفتن وأهوال يوم القيامة، أو عن ترتب ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص على فعل، فإنه لا سبيل إليه إلا سماع عن النبي ﷺ.

(2) انظر تعليقنا لصلة الحديث بالإعجاز العلمي للحديث رقم 32، في «قسم تخريج الأحاديث وصلتها بالإعجاز العلمي».

طعن، وكما مرّ معنا قد يكون صدق في هذا الموضع خاصة، أو قد يكون قد خلط في كلامه الكاذب بعض الصدق.

8 - أنه في بعض الحالات يروي لنا الأحاديث رجال فيهم ضعف من حفظ وضبط للأحاديث من جراء اختلاط ذاكرتهم، أو لأسباب أخرى، ولكنهم ليسوا بكذبة، وعلى هذا فيمكن اكتشاف الأحاديث التي ضبطوها - دون الأحاديث التي فرطوا فيها - عبر مقابلتها بالحقائق العلمية الثابتة، إذا كانت رواياتهم بهذا الصدد.

9 - أنه يجب علينا الحفاظ على جميع التراث النبوي، وعدم التفريط في شيء منه، ولو حمله الضعفاء، ما دام لدينا الوسائل الدقيقة في معرفة ما ضبطوه بما يتعلق بموضوعنا هذا.

وصلى الله على سيدنا محمد - خير الأنام -

والحمد لله رب العالمين.

خاتمة

لست أدعي الكمال في كتابي هذا، فكل إنسان يصيب ويخطئ، فلا كمال إلا لله وكتابه الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: 42]، فما كتبته من فهمي وكان حقاً فهو من الله، وما كان غير ذلك فهو مني ومن الشيطان. وقد حاولت في هذا الكتاب أن أثير عقل القارئ حتى يبحث عن الحق، وأفتح قلبه حتى يستنير بالنور، وأن أبحث بموضوعية ومنهجية مطابقة للعلم. فبيّنت أن الإسلام وحي من الله تعالى لا مدخل للبشرية فيه، وأن محمداً ﷺ رسول لا ينطق إلا بوحي من الله الحكيم العليم. وأظهرت جزءاً من معجزات النبي ﷺ في القرآن على ضوء الحقائق العلمية المعاصرة، ليؤمن من كان منكراً ويزداد إيماناً من كان به معتقداً ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: 4]، وليكون مشعلاً ونوراً للعاصين الشاردين. فأهل عصرنا لا يذعنون لشيء مثل إذعانهم للعلم، على اختلاف أجناسهم وأديانهم.

وهذا بحثٌ أضعه حتى يكون واحداً من المؤلفات التي تغني المكتبة الإسلامية العلمية، وتعطي حافزاً للباحثين أن يكملوا الطريق العلمي ويزيدوا من ترقّي العلم وتطويره.

وقصدي من بحثي هذا أن يكون علماً نافعاً ينفع الآخرين نفعاً عميماً وأن أنتفع به في قبري حين لا أنيس ولا سمير، فينوّر قبري ويشفع لي يوم القيامة، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: 88-89] فتكون به نجاتي.

وأسأل المولى ﷻ أن يتقبل مني عملي، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به البشرية جمعاء وأن يغفر لي زلاتي ويستر لي عوراتي ويختم بالصالحات أعمالي.

وصلى الله وسلم على سيد المرسلين

والحمد لله رب العالمين.



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

كتب تفسير القران:

1 - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - لأبي السعود محمد بن محمد العمادي - دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، بيروت 1994م.
2 - أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبي سعيد عبد الله أبي عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي - دار الفكر - بيروت - 1996م.
3 - بحر العلوم - لمحمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي - تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرمة العمري - دار الفكر - الطبعة الأولى - بيروت 1996م.
4 - البحر المحيط - لمحمد بن يوسف، الشهير (بأبي حيان الأندلسي) - دار الفكر - الطبعة الثانية - بيروت 1983م.
5 - التحرير والتنوير - لمحمد طاهر ابن عاشور - دار سحنون - تونس 1997م.
6 - الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القُرْطبي - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الثانية - 1985م.
7 - جامع البيان في تفسير القرآن - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - دار المعرفة - بيروت - 1986م.
8 - حاشية الصاوي على تفسير الجلالين - لأحمد الصاوي المالكي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
9 - الدر المنثور في التفسير بالمأثور - لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - دار المعرفة - بيروت - المصورة عن الطبعة الميمنية - مصر - سنة 1314هجرية.
10 - روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني - لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الرابعة - بيروت 1985م.
11 - تفسير روح البيان للبروسوي.
12 - زاد المسير في علم التفسير - لأبي فرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمود الجوزي - المكتب الإسلامي - الطبعة الثالثة - بيروت 1984م.
13 - صفوة التفاسير - لمحمد علي الصابوني - دار القرآن الكريم - الطبعة الأولى - بيروت 1980م.
14 - فتح القدير - لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني - دار المعرفة - بيروت.
15 - تفسير القرآن العظيم - لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير - دار إحياء التراث العربي - سوريا 1969م.
16 - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري - دار المعرفة - بيروت.

17 - محاسن التأويل - لمحمد جمال الدين القاسمي - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - مؤسسة التاريخ العربي - الطبعة الأولى - بيروت 1994م.
18 - مدارك التنزيل وحقائق التأويل - لأبي البركات عبد الله النسفي - دار الفكر - بيروت.
19 - مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير - لمحمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي البكري الرازي - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الأولى - بيروت 1995م.
20 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي - دائرة المعارف العثمانية - الطبعة الأولى - اسطنبول.

كتب علوم القرآن:

1 - الإتقان للإمام جلال الدين السيوطي الشافعي، دار الفكر، الطبعة الأولى.
2 - البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق د. محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، دار الفكر.

كتب علوم الحديث:

1 - تدريب الراوي لجلال الدين السيوطي، تحقيق د. أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي، بيروت.
2 - تيسير مصطلح الحديث، للدكتور محمود طحان. نشر وتوزيع مكتبة دار التراث - الكويت ط6، 1404 هجرية 1984م.
3 - لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث، عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الرابعة 1417هـ، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.
4 - مقدمة في أصول الحديث، للمحدث الجليل الشيخ عبد الحق الدهلوي، المتوفي سنة 1052 هجرية، تقديم وتعليق سلمان الحسيني الندوي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثانية 1986 ميلادية.

كتب تخريج الحديث:

1 - أحوال الرجال، لأبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، تحقيق السيد صبحي السامرائي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط1 1405هجرية - 1985م.
2 - إسعاف المبطأ برجال الموطأ، للسيوطي - آخر كتاب تنوير الحوالك له -.
3 - البداية والنهاية، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، الناشر: مكتبة المعارف - بيروت - طبعة مصورة عن الطبعة المصرية.
4 - بشارة المؤمن بتصحيح حديث "اتقوا فراسة المؤمن"، لمحمود سعيد ممدوح، ط1. 1416 هجرية، 1995م.
5 - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، دار الفكر - بيروت - .

6 - تذكرة الحُفّاظ، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تصحيح عبد الرحمن ابن يحيى المُعلّمي، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - المصوّرة عن دائرة المعارف العُثمانية بحيدر آباد - الهند - سنة 1377هجرية.
7 - التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة، لأبي المحاسن محمد بن علي العَلَوي الحُسينيّ، تحقيق د. رفعت فوزي عبد المطّلب، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط1. 1418 هجرية - 1997م.
8 - تراجم رجال الدارقطني في سننه، للشيخ مقبل الوادعي، الطبعة الأولى 1420 هجرية، الناشر: دار الآثار - صنعاء -، توزيع مؤسسة الريان بيروت - .
9 - الترغيب والترهيب، لعبد العظيم بن عبد القويّ المُنذري، مطبعة محمد صبيح - ميدان الأزهر بمصر - سنة 1352 هجرية [أو الطبعة التي حققها محمد عمارة، تصوير دار الفكر - بيروت - سنة 1401 هجرية - 1981م].
- والنسخة التي حققها محي الدين مستو، وسمير العطار، ويوسف بديوي، الطبعة الثالثة 1420 هجرية، دار ابن كثير دمشق - بيروت - .
- والنسخة التي حققها الشيخ الألباني من ضعيف الترغيب والترهيب، الطبعة الأولى 1421هجرية، مكتبة المعارف الرياض - .
10 - تغليق التعليق على صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق سعيد القزعي، الطبعة الأولى 1405 هجرية، المكتب الإسلامي - بيروت - ودار عمّار - الأردن -.
11 - تقريب التهذيب، لأحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوّامة، طبعة دار القلم - دمشق - ط3. 1411 هجرية - 1991م.
- تقريب التهذيب، لأحمد بن حجر العسقلاني، ومعه حاشيتا عبد الله بن سالم البصري ومحمد أمين ميرغني، تحقيق محمد عوّامة، الطبعة الأولى لدار ابن حزم - بيروت - سنة 1420 هجرية - 1999م.
12 - التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعيّ الكبير، لأحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الله هاشم اليماني المدني، طبعة دار المعرفة - بيروت - المصورة عن الطبعة المصرية سنة 1384 هجرية.
13 - تلخيص العلل المتناهية لابن الجوزي، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق ياسر بن إبراهيم بن محمد، مكتبة الرشد - الرياض - شركة الرياض - الرياض - ط1. 1419 هجرية - 1998م.
14 - تنزيه الشّريعة المرفوعة عن الأخبار الشّنيعة الموضوعة، لأبي الحسن علي بن محمد بن عرّاق الكناني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصّدّيق الغُماري، ط2. 1401 هجرية - 1981م دار الكتب العلمية - بيروت - المصورة عن الطبعة المصرية.
15 - تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق د.

عامر حسن صبري، المكتبة الحديثة، الإمارات العربية المتحدة، ط1. 1409 هجرية 1989م.

16 - تهذيب التهذيب، لأحمد بن حجر العسقلاني، طبعة دار صادر - بيروت - المصورة عن الطبعة الأولى لدائرة المعارف النظامية - الهند سنة 1325 هجرية.

17 - تهذيب سنن أبي داود، لمحمد بن أبي بكر الزرعي (المعروف بابن القيّم) - ومعه مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري، ومعالم السُّنن للخطّابي - تحقيق محمد حامد الفقي، وأحمد محمد شاكر، تصوير دار المعرفة - بيروت - عن مطبعة السُّنة المحمدية - القاهرة - سنة 1369 هجرية.

18 - تهذيب الكمال، لأبي الحجّاج يوسف بن عبد الرحمن المزّي، تحقيق د. بشّار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط1. 1413 هجرية - 1992م.

19 - التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي، الطبعة الثالثة 1408 هجرية، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض.

20 - جامع الأحاديث والمراسيل (الجامع الكبير والصغير وزوائده) - لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي - دار الفكر - بيروت - 1994م.

21 - ذكْر أخبار إصبهان. للحافظ أبي نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الطبعة الثانية 1405 هجرية، الدار العلمية - دلهي - الهند.

22 - ذِكْرُ من اختلف العلماء ونُقّاد الحديث فيه، لأبي حفص عُمر بن شاهين، اعتناء حمّاد الأنصاري، كتب هوامشه عبد الباري بن حمّاد الأنصاري. مكتبة أضواء السّلف، ط1. 1419 هجرية - 1999م.

23 - زوائد الأجزاء المنثورة على الكتب الستّة المشهورة، لعبد السلام علّوش، المكتب الإسلامي - بيروت - ط1. 1416 هجرية 1995م.

24 - سنن ابن ماجهْ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجهْ القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، تصوير دار الكتب العلمية - بيروت - عن الطبعة المصرية.

25 - سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - المصورة عن الطبعة المصريّة.

26 - سنن البيهقي، لأحمد بن الحُسين البيهقي - ومعه الجوهر النّقي، لعلاء الدين ابن التُركماني -، طبعة دار المعرفة - بيروت - 1413 هجرية - 1992م. المصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية - الهند - سنة 1355 هجرية.

27 - سنن التّرمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سوْرة التّرمذي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر (1-2)، وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (3)، وتحقيق إبراهيم عطوه عوض (4-5)، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - المصورة عن الطبعة المصرية.

28 - سنن الدارقطني، لعلي بن عمر الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني

المدني، طبعة دار المحاسن - القاهرة - سنة 1386 هجرية - 1966م، وطبعة دار المعرفة، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني، بيروت، 1966م.

29 - سنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، بعناية محمد أحمد دهمان، الناشر دار إحياء السّنة النبوية، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - المصوّرة. أو مصورة دار الفكر - بيروت - 1398 هجرية - 1978م.

30 - سُنن النّسائي، لأحمد بن شُعيب النّسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السِّندي، اعتناء الشيخ عبد الفتاح أبو غُدّة، دار البشائر الإسلامية - بيروت - ط3. 1414 هجرية - 1994م. الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

31 - سيرُ أعلام النُّبلاء، لمحمد بن أحمد الذهبي، أشرف على تحقيقه الشيخ شُعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط11 1417 هجرية - 1996م.

32 - شرح السنة، للإمام الحُسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، الطبعة الثانية 1403 هجرية، المكتب الإسلامي - بيروت -.

33 - شرح سنن ابن ماجة، للحافظ علاء الدين مُغلطاي بن قليج. تحقيق كامل عويضة، الطبعة الثانية 1420 هجرية، مكتبة نزار الباز - السعودية -

34 - شعب الإيمان، للإمام البيهقي، تحقيق محمد بسيوني زغلول - طبعة دار الكتب العلمية.

35 - صحيح البُخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ومعه فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن حجر العسقلاني - رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، تصوير دار المعرفة - بيروت - .

36 - صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت - ط2. 1406 هجرية - 1986م.

37 - صحيح مُسْلم، لأبي الحُسين مسلم بن الحجّاج القُشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار الفكر - بيروت - 1403 هجرية - 1983م المصورة عن الطبعة المصرية.

38 - الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، 1997م.

39 - العظمة، لأبي الشيخ الأصبهاني أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان، دراسة وتحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري. دار العاصمة - الرياض - النشرة الأولى 1411هجرية.

40 - غريب الحديث - لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي - تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - 1985م.

41 - الفتح الرّباني لترتيب مُسْند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مع شرحه بلوغ الأماني، لأحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - المصورة عن الطبعة المصرية.

42 - الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير - يوسف النبهاني - دار الكتاب العربي - بيروت.
43 - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لمحمد بن أحمد الذهبي، ومعه حاشية برهان الدين سبط بن العجمي الحلبي، تحقيق الشيخ محمد عوامة، خرّج نصوصهما أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة - جدة - ومؤسسة علوم القرآن - جدة - ط1. 1413 هجرية 1992م.
44 - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني، الناشر: مؤسسة مناهل العرفان - بيروت -، توزيع مكتبة الغزالي - دمشق - .
45 - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق بكري حياني، وصفوة السقا، طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت - 1409 هجرية، وطبعة دار الفكر.
46 - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي - بيروت - ط3. 1402 هجرية - 1982م مصورة عن الطبعة المصرية.
47 - المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي، لأبي الفيض أحمد بن محمد ابن الصديق الغماري، تحقيق مصطفى صبري، دار الكتبي - مصر - ط1.
48 - المرض والكفارات لابن أبي الدنيا، تحقيق يوسف بديوي ومحمد منير جلال، دار ابن كثير - دمشق - 1992م.
49 - المستدرك على الصحيحين، للإمام الحاكم، أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، وبذيله تلخيص المستدرك، للحافظ الذهبي. الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - مصور عن طبعة الهند.
50 - مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التميمي، تحقيق حسين سليم أسد. طبعة دار الثقافة العربية - دمشق - بيروت - ط1. 1413 هجرية - 1992م.
51 - * مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، طبعة دار الفكر - بيروت - المصورة عن الطبعة الميمنية بمصر سنة 1313 هجرية.
* مسند الإمام أحمد بشرح وتحقيق أحمد محمد شاكر، طبعة مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة - مصر - الناشر دار الجيل - بيروت -
* مسند الإمام أحمد، طبعة مؤسسة الرسالة، الأولى، بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.
52 - مسند الفردوس، للديلمي، دار الكتب العلمية، تحقيق بسيوني زغلول، بيروت.
53 - مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة لشهاب أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق وتعليق موسى محمد علي والدكتور عزت علي عطية، الموزع: دار الكتب الحديثة، مطبعة حسان، مصر.

54 - المصنف لابن أبي شيبة، طبعة دار الفكر.
55 - المصنف للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ط2، توزيع المكتب الإسلامي.
56 - معالم السنن، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق محمد حامد الفقي، وأحمد محمد شاكر - ينظر تهذيب سنن أبي داود - .
57 - المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض - ط1. 1405 هجرية - 1985م.
58 - المعجم الصغير للطبراني، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، طبعة دار الفكر - بيروت - 1401 هجرية - 1981م. المصورة عن الطبعة المصرية.
59 - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق عبد الله محمد الصديق الغماري، دار الكتب العلمية - بيروت - ط1. 1407 هجرية - 1987م.
60 - مقدمة صحيح مسلم - ينظر صحيح مسلم - .
61 - الموطأ للإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي مصر - .
62 - ميزان الاعتدال، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، طبعة دار المعرفة - بيروت - المصورة عن الطبعة المصرية.
63 - * نصب الراية، لأبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط3 1407هجرية - 1987م، المصورة عن الطبعة المصرية، دار المأمون سنة 1357 هجرية (و الهندية) سنة 1301 هجرية.
* نصب الراية، بتصحيح الشيخ محمد عوامة. مؤسسة الريان - بيروت، دار القبلة - السعودية، المكتبة المكية - السعودية - ط1. 1418 هجرية - 1997م.
64 - نظم المتناثر من الحديث المتواتر، لمحمد بن جعفر الكتاني، دار الكتب العلمية - بيروت - ط7. 1402 هجرية - 1987م.
65 - نوادر الأصول، لمحمد بن علي، الحكيم الترمذي، طبعة دار صادر - بيروت - المصورة.
66 - الهداية في تخريج أحاديث البداية، لأحمد بن محمد بن الصديق الغماري، عالم الكتب - بيروت - ط1. 1407 هجرية - 1987م.
67 - اليوم والليلة، للإمام أبي بكر ابن السني أحمد بن محمد، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى 1389 هجرية، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - دار الطباعة المحمدية بالأزهر.

كتب تفسير الحديث:

1 - تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي - لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم

المباركفوري - تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، وعبد الرحمن محمد عثمان دار الفكر - بيروت(للتخريج)، وطبعة دار الفكر - 1995م (للشرح).

2 - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البرّ النمري القُرْطبي، تحقيق جماعة من علماء المغرب، طبعة المغرب، سنة 1387 هجرية - 1967م.

3 - تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي - دار الكتب العلمية - بيروت (للشرح)، وطبعة دار الندوة الجديدة - بيروت - المصورة عن الطبعة المصرية (للتخريج).

4 - جامع الأصول من أحاديث الرسول، لمجد الدين أبي السعادات المبارك ابن محمد الجزري (المعروف بابن الأثير) - تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني. مطبعة الملاّح. مكتبة دار البيان - دمشق - طبعة سنة 1389 هجرية - 1969م (للتخريج). وطبعة دار الفكر - الطبعة الثانية - 1983م (للشرح).

5 - جامع العلوم والحكم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط7. 1417 هجرية - 1997م.

6 - حاشية السندي على سنن ابن ماجه - لأبي الحسن محمد بن عبد الهادي المعروف بالسندي - المطبعة العلمية 1313 هجرية، مصر.

7 - شرح سنن النسائي - لجلال الدين السيوطي وحاشية السندي - المطبعة المصرية بالأزهر (للشرح)، و(للتخريج: شرح سنن النسائي للسندي، وشرح سنن النسائي للسيوطي، ينظر سنن النسائي في كتب تخريج الحديث).

8 - شرح النووي على صحيح مسلم - تحقيق حازم محمد، عماد عامر - دار أبي حيان - الطبعة الأولى - الإمارات - 1995م.

9 - عمدة القاري شرح صحيح البخاري - لبدر الدين محمد عبد الرحمن بن أحمد العيني - دار الفكر - بيروت.

10 - عون المعبود شرح سنن أبي داوود مع شرح الحافظ ابن القيم الجوزية - لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي - تحقيق عبد الرحمن عثمان دار الفكر - بيروت.

11 - فتح الباري بشرح صحيح البُخاري، لأحمد بن حجر العسقلاني - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب - دار المعرفة - بيروت (للشرح)، و(للتخريج: يُنظر صحيح البخاري في كتب تخريج الحديث).

12 فيض القدير شرح الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي - لمحمد عبد الرؤوف المُناوي - تصوير دار الفكر - بيروت - عن الطبعة المصرية - سنة 1357 هجرية.

13 - معالم السنن - لأبي سليمان حمد بن حمد الخطابي وتحقيق محمد حامد الفقي، وأحمد محمد شاكر - ينظر (تهذيب سنن أبي داوود في كتب تخريج الأحاديث).

14 - المنتقى شرح موطأ الإمام مالك - لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب ابن وارث الباجي - دار الكتاب العربي - الطبعة الرابعة - بيروت - 1984م.

كتب الفقه:

1 - بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لمحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

كتب أصول الفقه:

1 - أصول الفقه الإسلامي للسنة الرابعة، كلية الحقوق، جامعة دمشق، الدكتور إبراهيم السلقيني.
2 - المستصفى في علم الأصول، للإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

كتب اللغة العربية:

1 - الأشباه والنظائر للسيوطي، دار الكتاب العربي، ط3، 1417 هجرية.
2 - الأصول شرح تلخيص مفتاح العلوم، لإبراهيم بن محمد بن عربشاه العصام الحنفي، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، طبعة دار الكتب العلمية، ط1، 1422 هجرية.
3 - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لعبد الفتاح القاضي ط1، 1401هـ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
4 - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز والمطبعة النموذجية.
5 - تاج العروس للإمام اللغوي محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي - تحقيق علي شيري - دار الفكر - بيروت - 1994م.
6 - تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م.
7 - الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، طبعة دار الكتب العلمية.
8 - رصف المباني في شرح حروف المعاني، للمالقي، تحقيق أحمد الخراط.
9 - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - لبهاء الدين عبد الله العقيلي الهمداني - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - بيروت - 1988م.
10 - شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق الدكتور يحيى بشير مصري، ط1، جامعة الإمام، الرياض، 1417 هجرية.
11 - الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين، الطبعة الأولى 1987م.
12 - عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لبهاء الدين أبي حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق الدكتور خليل إبراهيم خليل، ط1، دار الكتب العلمية.

13 - فصول في فقه العربية، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1420 هجرية.
14 - القاموس المحيط - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - بيروت - 1986م.
15 قطر الندى وبل الصدى للإمام جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2000م.
16 - لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الثالثة - بيروت - 1993م.
17 - المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، لسعد الدين مسعود، ابن عمر التفتازاني، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، 1422 هجرية.
18 - معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي - دار صادر - بيروت - 1977م.
19 - معجم القواعد النحوية عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية - 1992م.
20 - معجم متن اللغة، للعلامة اللغوي الشيخ أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958م.
21 - معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر.
22 - المعجم الوسيط، إخراج د. إبراهيم أنيس، د. عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد.
23 - نظرات في البيان، تأليف الدكتور محمد عبد الرحمن نجم الدين الكردي، ط3، مطبعة السعادة، 1406 هجرية، 1986 م، مصر.

كتب متفرقة:

المصادر العربية:

1 - إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، الدكتور محمد فياض، ط1، دار الشروق، القاهرة.
2 - الإعجاز العلمي في السنة النبوية، الدكتور زغلول النجار، طبعة ثالثة، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع - مصر، 2002م.
3 - الإنسان، الدكتور تاج الدين محمود الجاعوني، الجزء الأول، ط1، دار عمار، عمان - الأردن.
4 - الآيات العجاب في رحلة الإنجاب، للدكتور حامد أحمد حامد، دار القلم - دمشق - ط1، 1996م.
5 - البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن لكمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم

الزملكاني - تحقيق خديجة الحديثي وأحمد مطلوب - مطبعة العاني - الطبعة الأولى بغداد - 1974م.

6 - التارات السبع: من الطين إلى الجنين، أطوار الخلق في القرآن والسنة المطهرة، د. محمد علي البار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1420 هجرية - الرياض - المملكة العربية السعودية.

7 - تاريخ النقد الأدبي عند العرب، للأستاذ طه أحمد إبراهيم، بدون ذكر طبعة وتاريخ ودار نشر.

8 - تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي البيجوري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان.

9 - تشجيع الأمهات على الإرضاع الطبيعي(طبعة منقحة، ومزيدة)، للدكتورة فيليستي سفج كينغ، ميدتو للنشر، نيقوسيا، قبرص، ١٩٩١م.

10 - خلق الإنسان بين الطب والقرآن، للدكتور محمد علي البار، الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة - ط10، 1995م.

11 دراسة في السيرة، للدكتور عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، دار النفائس - بيروت - ط5، 1981م.

12 - رحلة الإيمان في جسم الإنسان، للدكتور حامد أحمد حامد، دار القلم - دمشق - ط1، 1996م.

13 - الرضاعة الطبيعية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، للدكتور علي التنبر، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، مطابع كويت تايمز - الكويت - ط1، 1982م.

14 - الرضاعة والفطام في الطب والقرآن، د. محمد كمال عبد العزيز، الدار العربية للنشر والتوزيع، ط١، مصر - ١٩٩٨م.

15 - السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، ج١، دار القلم - دمشق ١٩٩٩م.

16 - الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع، لمختار سالم، مؤسسة المعارف - بيروت - 1988م.

17 - الطب محراب الإيمان، للدكتور خالص حلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط3، 1984م.

18 - علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، المجلس الأعلى العلمي للمساجد، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة - 1987م.

19 - القرار المكين، الدكتور مأمون الشقفة، دار حسان (الرياض - المملكة العربية السعودية)، دار الآداب(الشارقة، الامارات العربية المتحدة)، ط2، 1987م.

20 - مجلة الإعجاز العلمي الصادرة عن هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - رابطة

العالم الإسلامي - مكة المكرمة، الأعداد: الأول والرابع والعاشر، والثاني عشر، والثالث عشر، 1995 - 2002م.

21 - مختصر الجامع في السيرة النبوية، سميرة الزايد، المطبعة العلمية، ط1، 1995م.

22 - المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد محمد حسن الشراب، دار القلم (دمشق)، الدار الشامية (بيروت)، ط1، 1991م.

23 - المعجزة القرآنية، للدكتور محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط2، 1994م.

24 - مفردات ألفاظ القرآن الكريم - الراغب الأصفهاني - تحقيق عدنان داوودي - دار القلم - دمشق، الطبعة الثانية - بيروت - 1997م.

25 - المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، جامعة بغداد، الطبعة الثانية، 1993م.

26 - مناهل العرفان في علوم القرآن - لمحمد عبد العظيم الزرقاني - دار الكتب العلمية - بيروت - 1996م.

27 - من علم الطب القرآني، للدكتور عدنان الشريف، دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الأولى، 1990م.

28 - موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، الطبعة الثانية، 2003م، مكتبة ابن حجر، دمشق، سوريا.

29 - هل تستطيع اختيار جنس مولودك ولد أم بنت؟ للدكتور خالد بكر كمال - دار الثقافة العالمية - جدة - ط1، 1994م.

30 هل هناك طب نبوي؟ للدكتور محمد علي البار، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط2، 1990م، جدة، المملكة العربية السعودية.

المصادر الأجنبية:

1 - ABSTRACTS OF THE SCIENTIFIC ORAL AND POSTER SESSIONS. PROGRAM SUPPLEMENT. 16TH WORLD CONGRESS ON FERTILITY AND STERILITY, AMERICAN SOCIETY FOR REPRODUCTIVE MEDICINE, ALABAMA, 1998.

2 - A CHILD IS BORN, LARS HAMBERGER, DOUBLE DAY, LONDON, 1990.

3 - ANATOMIE TOPOGRAPHIQUE, J.P ROUVIERE, EDITION MALOINE, PARIS, FRANCE.

4 - BREASTFEEDING AND HUMAN LACTATION, JAN RIORDAN, KATHLEEN G. AVERBACH, SECOND EDITION, JONES AND BARTLETT PUBLISHERS, MASSACHUSETS, 1999.

5 - CLINICAL GYNECOLOGIC ENDOCRINOLOGY AND INFERTILITY, LEON SPEROFF, 4TH EDITION

6 - GENERAL AND SYSTEMATIC PATHOLOGY, EDITED JCE UNDERWOOD, CHURCHILL LIVINGSTONE, THIRD EDITION, 2000

7 - HUMAN EMBROLOGY, W.J. HAMILTON AND H.W.MOSSMAN, THE WILLIAM & WILKINS COMPANY, 1978.

8 - HUMAN GENETICS, CONCEPTS AND APPLICATION, 3RD EDITION, RICKI LEWIS, THE

UNIVERSITY OF ALBANY, MC GRAW HILL, 1999.
9 - INFANT FEEDING, JAMES AKRE, WORLD HEALTH ORGANIZATION - GENEVA - SUPPLEMENT TO VOLUME 67, PRINTED IN BELGIUM, 1989.
10 - INTRODUCTION TO PSYCHOLOGY, RITA L.ATKINSON, RICHARD C. ATKINSON, EDWARD E. SMISTH, DARYL J. BEM, ELEVENTH EDITION, 1993. HAROURT BRACE COLLEGE PUBLISHERS.
11 - LIFE ON EARTH, DAVID ATTENBOROUGH, COLLINS/BBC, LONDON 1992.
12 - MANUAL ON FEEDING INFANTS AND YOUNG CHILDREN, MARGARET CAMERON AND YNGVE HOFVANDER, THIRD EDITION, OXFORD MEDICAL PUBLICATIONS, OXFORD, 1983.
13 - MEDICAL EMBRIOLOGY, T.W SADDLER, WILLIAMS & WILKINS, SEVENTH EDITION, BALTIMORE, 1995.
14 - OBSTETRICS AND GYNECOLOGY, WILLSON CARRINGTON, MOSBY YEAR BOOK, 9TH EDITION, 1991
15 - SHORT PRACTISE OF SURGERY, BAILEY AND LOVE'S, 20th EDITION.
16 - STATISTICS FOR MODERN BUSINESS DECISIONS, LAWRENCE L. LAPIN, THE DRYDEN PRESS, SIXTH EDITION, USA, 1993.
17 - THE DEVELOPING HUMAN, KEITH MOORE, with islamic additions, ABDUL - MAJEED A. ZZINDANI, THIRD EDITION, DAR EL QIBLA, JEDDAH, 1983.
18 - THE DEVELOPING HUMAN KEITH MOORE & PERSAUD, W B. SAUNDERS COMPANY, 6TH EDITION, USA, 1998.
19 - THE GROLIER MULTIMEDIA ENCYCLOPEDIA, ELECTRONIC PUBLISHING INC, MINDSCAPE, CALIFORNIA, 1995 (CD).
20 - WILLIAM'S OBSTETRICS, 18TH EDITION, UGL.

المؤتمرات:

- المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي: الإعجاز الطبي في القرآن، 25/ 9/ 85م، القاهرة.

- الدكتور شارل رو.
- الدكتور كيث مور.
- الدكتور ت - ف - ن برسو.
- الدكتور جولي سمبسون.
- الدكتور محمد علي البار.
- الدكتور ج - س - جورنجر.
- الدكتور عبد الفتاح محمد طيرة.

- المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، 22 - 24 مارس 2004، دبي، الإمارات العربية المتحدة.

- د. عثمان جيلان علي معجمي.
- د. فواز صادق المزيني
- د. محمد دودح.

فهرس الكتاب

الموضوع الصفحة